

المجلد

١٣١٥

فيهم وبأدى الذين يستنون القول فيهم أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

بني الحكمة من يشاؤون يؤتوا الحكمة فقد أوتي
شيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و منارا ، كنار الطريق

(مصر - الأحد ٣٠ المحرم ١٣٢٧ - ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩)

فاتحة السنة الثانية عشرية
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، ولا
جعل علينا فيما شرعه لنا من الدين حرجاً ، بل جعل مع السريسر أومع
الشدة فرجاً ، ومن يتق الله بإقامة سننه يجعل له مخرجاً ، ان الله بالغ
أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً

والصلاة والسلام على من بعث الى الايض والأحر ، وقام بأمر
ربه ١٥ : ٩٤ فأصنّع بما تُؤمّر ، ففكر به قومه ليثبتوه أو يقتلوه أو
يخرجوه ، فهاجر من وطنه ووطنهم فبعوه وحاربوه ، حتى شجوا

رأسه ، وكسر واسننه ، وعذبوا من اتبعهم من ضعفاء المؤمنين ، فصبر وصبروا
حتى كانت العاقبة للمتقين ، ٣٧ : ١١٦ وَنَصَرْنَا لَهُمْ فَمَكَتُوا لَهُمُ الْغَالِبِينَ •
وبعد فإنا نقص في فاتحة منار هذه السنة وهي الثانية عشرة له ،
نبأ من تاريخه الصريح ، الذي كنا نشير اليه بالتلويح ، تذكيراً وتفصيلاً
للقراء السابقين ، وعبرة للقراء اللاحقين ، وأخص العثمانيين الذين طالما
ارتعدت فرائضهم عند ذكر المنار ، حتى ربما كفى عنه عبوه بلفظ المنار ،
أنشئ المنار في أواخر شوال سنة ١٣١٥ وكان صحيفة ذات ثمان
صفحات ، وقد بينت في العدد الأول منه الغرض من انشائه ، ومذهبه
في الإصلاح الديني والاجتماعي والأدبي ، وسكت عن بيان منهاجه في
الإصلاح السياسي ، مع التصريح بنزعه العثمانية ، وخدمته للدولة العلية ،
وإنما أسكتني عن ذلك الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى)
فقد كنت استشرته في انشائه ، وقرأت له تلك الفاتحة قبل طبعا ،
وكان فيها ان من مقاصده بيان حقوق الامة على الامام ، وحقوق الامام
على الامة ، فاستحسن كل ما أودعته تلك الفاتحة الا هذه الكلمة ،
فاقترح عليّ ان أحذفها ، ولم يراجعني في شيء غيرها ، وكان مما قاله في
ذلك : « ان المسلمين ليس لهم امام في هذا العصر غير القرآن » ، وان الخوض
في السياسة العثمانية فتنة يخشى ضررها ولا يرجى نفعها ، وان الناس ههنا
لا يحبون ان يسموا في السلطان والدولة الا ما يشتهون ، ومصر ليس فيها
سياسة ، والمسلمون لا ينهضون الا بالترية والتعليم ، فلا تخطط السياسة بمقاصدك
الاصلاحية لئلا تقسدها عليك ، فانها ما دخلت في عمل الا وأفسدته
هذامعني ما قاله ، وقد حذفت تلك الكلمة استجابة له ، وليت

السياسة تركتني كما تركتها ، أو سألتي كما سألتها ، ولكن أبي عليها
الخرق والثوب ، الا ان تجاهد مني غير عدو ، فأذنتي بالحرب ، وأذنتي
في الأهل والصحب ، حتى أجباني اعتداؤهما على حقيتي ، الى التنصي
في استعرا ف ظلمها لامي ، ثم الى الدخول في زمر المجاهدين ، لرؤسائها
واعوانها الظالمين ، ٥١: ٥٥ ، فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَصَرِّينَ
جئت مصر وأنا أحسن الظن بالسلطان ، دون من يحيط به من
الوزراء والقرناء والخصيان ، وأسئ الظن بطلاب الاصلاح من الاحرار ،
واعتقد أنهم انما يطلبون الرب والاوسمة والدينار ، وقد كنت أصرح
بهذا وذلك في السنة الاولى مع المطالبة بالاصلاح ، والشكوى من فاقبة
الظلم والافساد ، وما كنت لا قول الا ما اعتقد ، وأبث الاما أعلم وأجد ،
منع رشيد بك والي بيروت (أحد أركان الافساد في حكومة
الاستبداد) توزيع العدد الثاني من السنة الاولى وأرسل البرقيات الى
جميع أنحاء الولاية بوجوب جمع ما وزع منه واحراقه ، ولم يكن فيه
شيء مما كانت تنكره الحكومة في ذلك الوقت ، وانما فعل ذلك مرضاة
للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي ، الذي كان يعلم اني من حزب السيد
جمال الدين الأفغاني ، فهو الذي أوعز الى والي بأن يصادر النار ، كما أوعز
بذلك الى بدرية باشا متصرف طرابلس الشام ، فصار كل منها يمنع
بعض الاعداد ، التي يؤذن توزيعها في الاستانة وغيرها من البلاد ، حتى
هبطت الارادة السنية ، وصدرت الاوامر العلية ، بمنع من جميع الولايات
العثمانية ، وذلك قبل ان يتم له نصف سنة !
لم يشف هذا غيظ أبي الهدى أفندي فأوعز الى بدرية باشا واعوانه

بأن يؤذوا والدي واخوتي ، ويندروا عشيرتي وذوي مودتي ، ولما رأى
بدري باشا أن مجلس ادارة اللواء ، لا يوافق على ما يقصد من الايذاء ،
وان الايذاء بغير يد الحكومة ، لا يشبع تلك النفس الضارية المهومة ،
أبدى هو وشيعته للسيد الوالد (رحمه الله تعالى) نواجز الشر ، ثم أشخصوه
الى مصر ، ليحملني على مشايمة ابي الهدى ، وعدم المبالاة بمن دونه من
الورى ، وبعد طول المذاكرة رضى مني بأن اكتب اليه كتاباً مني أبين
له فيه أنه ليس من قصدي الطعن فيه وانني لا أريد الا الإصلاح ما
استطعت ، وكتب هو اليه كتاباً آخر ، فاعلم أن جاء ثامنه الجواب
وهذا نص ما كتبه الي بخطه :

الحمد لله وحده

من الفقير اليه تعالى محمد ابو الهدى الصيادي الرفاعي عني عنه الى
جناب الاديب الكاتب الشيخ رشيد رضا افندي كان الله لنا وله وللمسلمين .
وصلني قبل كتابكم وفي هذه المرة أخذت كتاباً من والدكم وكتبت له
الجواب في بريد اليوم فكان ريبض الخاطر طيب البال نعم اني أرى جريدتك
طالفة بشفاشق المتأفّن جمال الدين الملققة وقد ندرجت به الى الحسينية
التي كان زعمها زورا وقد ثبت في دوائر الدولة رسماً أنه ما زندياني من
من أجناف الشيعة بمد المخابرة مع سفارة ايران بدار السعادة والسفارة
النسبية في ايران وهو حي وما تقدر على الدفاع ، وهو مارق من الدين كما
سرق السهم من الرمية ، وراك تملأ جريدتك كل يوم بانتقاد الصوفية
بأبشاح جلبها ما هي من طريقهم وكذا أولتها وفي بعضها أنت محق بلاشبهة
الا انك تعلم ان العلماء الآن ما هم كالشافعي وابي حنيفة وعظماء السلف

تمسك بالشرع ولا عامة الأمة كالعامة الاول فلو انصفت وخدمت دينك
بغير هذه المواضع واذا ألزمتك طورك وقلبك بالتطرق فهناك تقصد
أعمال الامم السائرة من غير الاسلام اتقاداً عتلياً يستميل لك القلوب ويرضي
عنك ربك لكان أولى، ولما طالب قلبنا لك نصحتناك والموعداً الله في كل غاية
والسلام م١٩ رجب سنة ١٦

ومن هذا الكتاب يعلم أن ما كان يؤلمه من المنار محصور في أمرين
أحدهما التنويه بالسيد جمال الدين الافغاني وذكره بقلب «السيد» - ولم
أكن أمنح أبا الهدى هذا اللقب لأنني لا أعتقد شرفه - وثانيهما اتقاد
خرافات أهل الطريق التي جعلها أساس مجده، ولكنه كان يوم السلطان
أن المنار لم ينشأ الا لأجل الطعن فيه كما يعلم مما يأتي. فكتبت اليه كتاباً يفت
فيه أنني لم أكتب ولا أكتب الا ما أعتقد أنه نافع وذكرته له رأيي في
السيد جمال الدين فلم يلبث أن أجابني بهذا الكتاب بخطه:

ولدنا الروحاني الأديب الأرب الفاضل الشيخ محمد رشيد افندي
أكل رضا المعترم

أدعولكم ولوالدكم بالخير والعافية ودوام التوفيق، وجداً أصرت ممنوناً من
تحرير انكم المرسله والمأمول من عناية الله وفضله أن يديم لكم التوفيقات فيما
يرضيه وقد حصل الآن قيد رؤس أدركه من مراتب العلمية الشريفة لك
فهو ان شاء الله أول القيوضات ولا يمنحن لبالك ان ذلك لنوائش هذه الدنيا
بل اني أعجبني قولك واطمأن قلبي لصدقتك ولبراءتك وارجو الله اصلاح
شأنك في الله كما هو مطوي في كل من له للجناب الرفيع نسبة. وأوصي
رفيقك بالثبات والاستقامة على ما يبيض الوجه حالة القدوم على الله

ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم^(١) وبحوله تعالى عند عيشكم اليانوا انكم
عن هذه العوارض الحاضرة الزائدة التي لا تنطبق على مجد النسبة نوعاً ما
وان كان قصدكم حسناً فهناك تبليج فيكم أنوار نسبتكم بالتحقق في
الطريق الأقوم تحت نظر سرّ الوجود صلى الله عليه وسلم وتكون اذن
خدمتكم للدين وللمسلمين على النهج الشرعي الصحيح الأمين ومنى لكم
الدعاء وهو المطلوب منكم والسلام

كتبه محمد ابو الهدى

١٦ شعبان سنة ١٦

عني عنه

قرأت هذا فبادرت الى ارسال كتاب اليه جزمت فيه بأنني لا أقبل
الرتبة العلمية التي طلبها لي واني من الذين يرغبون عن الرتب والوسمة
فيجب الرجوع عن طلبها واني لا استبدل بخدمة المنار للملة خدمة أخرى
مهما كان مظهرها وفائدتها واني لا اطلب من الاستانة الا الاذن بدخول
المنار لسوريا وغيرها من ولايات الدولة . واعدته في هذا الكتاب او فيما قبله
بترك التنويه بالسيد جمال الدين مادام المنار مأذونا له بدخول بلاد الدولة .
وسكت على ذلك وسكتنا

وبعد ثلاثة أشهر وأيام من هذه المكاتب كتب ناظر خارجية انكلترا
الى لورد كرومر عميد دولته في مصر يقول ان سفيرهم في الاستانة كتب
اليه يخبره ان رئيس كتاب السلطان جاءه وقال له ان في مصر جريدتين
معاديتان لشخص السلطان وهما المنار والقانون الاساسي وان الخديو ومختار

(١) يريد برقي عبد الحليم حامي اقدي مراد وكان يومئذ مديراً لاشغال المنار
وكان سافر الى الاستانة قبل ذلك وبلغني انه اجتمع بابي الهدى ولم أدر ماذا كان بينها
ولم يكن لذلك السفر علاقة بالمنار

باشا النازي يساعدانها وان السلطان يرغب اليه بأن يسمي لدى حكومته بإبطال هاتين الجريدتين ويتخذ ذلك يدا يكافئه السلطان عليها ١١ فأخبر اللورد الامير بذلك فجب أشد العجب لانه لم يكن هو ولا مختار باشا بمساعد للشار ولا للقانون الاسمي بل لم يكن يعرف من مشرب النار الا ما خبره الاستاذ الامام من أنه جريدة ديفية أدوية.

سألني الامير عن ذلك سرا في يوم عيد الاقصى (سنة ١٣١٦) عند ما أردت الخروج مع العلماء من مقابلة التهيئة له باليد وأسرني بأن أذهب الى مقابلة أحمد شفيق بك وكان رئيس القلم التركي (وهو اليوم احمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوي) فنذهبت من حضرة الامير الى غرفته وكان يقرأ النار ويعلم انه ليس فيه تحمل على السلطان بل لا يخلو من مدح له، ورايته جازما بأن أبا الهدى هو الذي سعى عند السلطان هذه الساية وضرب سهامه فيها الى عدوين من أعدائه : الامير ومختار باشا النازي. فأخبرته بأن بيني وبين ابي الهدى سلاما ذكرت له هذين الكتابين فطلبهما مني لأجل ان يجمع بهما فقلت له ان الرسالة بالامانة واني لا اجيز لنفسي ان أظهرهما مادمت أعلم أن اظهارهما يؤذي بتفسير السلطان عليه، واستدل لاهما على خيائته له، اذ يجعله ترسا يدافع به عن نفسه. وأما اللورد فقد جرى في المسألة على ما تعود من المحافظة على حرية الصحافة ولكن بعد البحث ومعرفة الحقيقة كره احوان ابي الهدى على أهلي كرة ثانية وكانت الدولة دولتهم فضربوا احدنا خوتي وهو خارج من طرابلس الى القلمون ليلا وسرتموا فرسا لنا وحاولوا اخذ مسجدا منا وأغروا جريدة طرابلس الشام بالظمن في النار وانقسوا لها الساعدة من كل من يكتب في طرابلس حتى اصعدتني

فاضطرت الى كتابة مقال عنوانه « مؤاخذه العلماء » (٣٩٦ و ٢٥١)
استكثبا به عن التمادي في الطعن ، ولكن ألسنتهم لم تسكت عن السب
واللعن ، الا بعد ان أدل منهن ، وخضدت شوكتهم وذهبت ريحهم ، وخرج
بدري باشا من طرابلس مؤثما مذموما ، وبدلنا به عبد القني باشا العابد وكان لنا
وليا حيماء بل غلب فهو دعت باشا العابد على هوذا الشيخ اني الهدى في جميع
البلاد السورية ، فإزاد انتشار النار فيها وان لم يرسل الا في البرد الاجنبية ، وأمن
الاهل والقراء على انفسهم طائفة من الزمان ، حتى كان منذ أربع سنين ما كان ،
ذلك ما كان في السنة الاولى والثانية من سني النار . وفي أواخر الثانية
وأول الثالثة صار يتردد علينا بعض جواسيس ممدوح باشا ناظر الداخلية في
الاستاتة ويمرض علينا الرب والوظائف اللاتقة اذا نحن تركنا النار ،
وحاذرنا هذه الديرة ، فلو شئت ان اكون يومئذ قاضيا أو مفتيا في الشام
أو بيروت أو آخذ من تباشير باعظيا من الدولة لقطعت ، وقد قبل عبد الحليم
افندي حلمي أن يترك مصر ويكون معاونا لناظر النفوس في بيروت بحر تب
كرب الناظر فتال ذلك على انه لم يكن كاتب ولا سياسيا ولا ذا شأن في
النار وقد بلغني وتثبت أن ذلك الجاسوس اخذ من ممدوح باشا ٨٠٠ ليرة
ثمانية سماها ثمن المطبعة النار ولم يكن للنار يومئذ مطبعة تساوي ٨٠٠ قرش
وفي أثناء السنة الرابعة غضب علي أمير هذه البلاد وأذنتي صديقي
حسن باشا حاصم (وكان معه أفندي يومئذ رئيس التشريعات) بأنه لا يرعى ان
أقبله بمد وكان يقول لي قبل ذلك إن لك ان تجيء الي في قصر بابدين
أو قصر القبة متى شئت . وكان غضب أيضا على الاستاذ الامام وكلمنا
اشتد غضبه على أحدنا يشتد على الآخر ولا أحب ان اذكر الآن شيئا

كما سمعته او علمته من آثار هذا النضب الاما قيل من عزمه على اخراجه من مصر فقد قال مصطفى كامل باشا للاستاذ الامام مرة ان افندينا يريد ان ينفي صاحب النار من مصر ويطلب منك ان تسكت على ذلك ولا تحمل لورد كرومر على المعارضة فيه وسمعت مثل هذا الخبر بعد وفاة الاستاذ الامام . وقال لي أحد معارفي في ٢٢ من المحرم سنة ١٣٢٦ ان السرغورست على وفاق مع الخديو وهو لا يعارضه في الانتقام ممن يفضب عليه ولا سيما اذا كان عثمانيا لانه ليس كلورد كرومر في المحافظة على الحرية الشخصية وقد علمت أن الخديو غضبان عليك فيجب ان تسمى في استرضائه لئلا يتفكك من هذه القيد وانه ربما يفعل ذلك . قلت له انني لا أكتب في هذه السنين شيئا عنه ولا أعلم ان في النار شيئا يسوءه فماذا ينقم مني ؟ قال دوام الثناء على الشيخ محمد عبده . قلت ليس في النار ثناء ، وانما هي اقوال عنه وآراء ، ولا يمكن أن يخلو النار من ذكره ، وان مصر لا مزية لها عندي الا الحرية العلم والصحافة والحرية الشخصية فاذا كان الخديو ينفي منها من كره وجوده فيها ، فلماذا أحرص أنا على الاقامة بها ، أو آسى على البعد عنها ؟ انني اذا أظن الى الهند ، واني لا أعلم انه يكون لي فيها مقام كريم لا اجد مثله في مصر . هذا وان مثل هذا الخبر ليس برهاا يقينيا على صحة ما قيل عن الامير برأه الله وحماه مما لا يليق به ، وان كان عند بعض الكبراء ونظار الحكومة بآ منه ،

وفي السنة الخامسة نشرت «سجل جمعية أم القرى» في النار ومقالات «الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة» فتضاعف قراء النار في القطر المصري

واشتدت الحكومة العثمانية في المراقبة عليه والبحث عن قرائه ولا سيما في القطر السوري ،

وفي السنة السادسة شرعت في نشر رسالة في مآل الدولة العثمانية فرغب الي الأستاذ الامام أن لا أتمها فوافيت رغبته ولكنني ضقت ذوعا بسوء حالنا السياسية فصرت أكثر في تفسير القرآن الحكيم من السياسة وهو يجيز ذلك لانه إنما ينهي عن التصريح بسياسة حكوماتنا وحكامنا لئلا يصدونا عن خدمة الدين والعلم

وفي السنة السابعة كثرت ديب عقارب السعاية من جواسيس المايين بمصر وتواترت التقارير في الأستاذ الامام وفي صاحب المنار، وكان الديس يبلغها السلطان هو عزت باشا العابد الذي كان بينه وبين الأستاذ مودة سابقة مذ كانا في سورية ولم يحدث بينهما ما يوجب هذا الانقلاب الا صنعة عزت الجديدة في المايين وعلاقته بمصر وكان حزب الشيطان الذي يدبر هذه السمايات والمفاسد قد زور رسائل بتوقيع (محمد عبده) وأرسلها الى الحجاز واليمن وغيرها من البلاد العربية تشتمل على الدعوة الى الخلافة العربية وهو يعلم انها تقع في الايدي التي توصلها الى المايين فاشتد خوف السلطان من الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد عبده لا علم له بما يكتب في شأنه ولا ما يكتب عن لسانه مما هو مخالف لرأيه واعتقاده حتى انه هو الذي أرجع بعض المستشرقين عن السعي لإنشاء دولة عربية لا اعتقاده ان التفريق بين الترك والعرب يضيف التريقين ويسهل على الدول الطامعة محو الدولة الاسلامية من الارض واني ماوقفت على اكثر ما اشرت اليه هنا الا بعد موته

وما دخلت السنة الثامنة الا وقد صار النور والخلاف بين الامير والاستاذ على اشد هما كما ان السعاية الى السلطان فيه قد بلغت غايتها ، وقد اشتد المرض على الاستاذ حتى كان يجود بنفسه في الاسكندرية والحكومة العثمانية تبحث عنه في سواحل بيروت لان الجواسيس قد بلغوا المايين انه سافر الى بيروت متكرراً ليؤسس الخلافة العربية في سورية !! ألا قاتل الله اولئك التحوت الاشرار ما كان اشد عبثهم بالسلطان وخيانتهم له وللدولة والامة . وفي هاتين السنتين كان الاستبداد قد شد الخناق على محبي العلم والاضطهاد لمقتتي الكتب ومنيت بيروت بخليل باشا واليا ، وطرأ بس بحسنى بك متصرفاً ، وكأنا من شر اعوان الاستبداد والمخلصين له فنيا يحاول من الظلم والافساد ، فأسرفا في تفتيش البيوت ، واخذ الكتب والاوراق منها ، والمواخذة على اقتنائها ، حتى صار الناس يحرقون كتبهم وأوراقهم بالنار ، ومنهم من كان يدفعها بل يشدها كما تشد الجاهلية البنات حتى احرق في سنة واحدة عشرات الألوف من المجلدات !

كيف لا وقد كانت الكتب والجرائد تعد من الجرائر ، منها الصغائر ومنها الكبار ، وكان اقتناء المنار او ما طبع بمطبعة المنار ، هو اعظم الذنوب وأثقل الاوزار ، وكان الحكم على مجرمي الكتب بالموت لا بالشرع ولا القانون ، لا تأخذ الحاكم فيهم رأفة ، ولا تقبل منهم شفاعاة ولا عدل ولا هم ينصرون ، على أن أولئك الولاة ومن دونهم من المستبدين ، لم يستعملوا بأس الحكومة الا في منع كتب العلم واضطهاد المتعلمين ، دون سفك الدم وافساد الاثمن ، واهلاك الحرث والنسل ، فاذا كان حقنا من حكمهم ؟ دمروا الدار ، واجتاحوا الكتب والاسفار ، وحبسوا من وجدوا

من الاخوة ، وحصروا الوالد المريض مع النساء ، ووضعوا على داره الحراس والخبراء ، فكان ذلك الشيخ الجليل ، والسيد الشريف ، يجود بنفسه ، ويتنظر أمر ربه ، وبناته مع أمهن امام سريره يطلقن المبرات ، ويصعدن الزفرات ، فقد عز عليهن ، وعظم المصاب في قلوبهن ، أن حيل بينه وبين أولاده الابرار ، في وقت توديعه لهذه الدار ، فنههم القريب الذي هو في حكم المبعد ، والسجين الذي هو في حكم المستبعد . . هذا والجنود السلطانية تحيط بهم ، وتطوف حول منزلهم ، شاكية السلاح ، مستعدة للكفاح ، تدل يأسها وشدها ، وتمثل قوة « الخلافة الحميدية » وعظمتها ، ليعرف الشيخ المحتضر عجزه عن تأسيس خلافة عريية في قرية القلمون ، وهكذا قضى الوالد نجه فاتنا لله وإنا اليه راجعون ،

ثم كان من ظلم الحكومة المستبدة لنا أن ولت على مسجدنا رجالا آخر بنير حق واطمعت في الاستيلاء على مقارنا بدعوى انها وقف كما اطمعت غيره من أشقياء طرابلس فنهبوا ما وجدوا في الدار من الثياب والحلي والماعون وغير ذلك ، وقد أسقط الله حكومة الاستبداد ، ولما تكونت حكومة الدستور ، حقوقنا لا تزال مهضومة لنفساد الحكام ، واختلال الامن العام ، فهذا يحمل من خبر ظلم الحكومة لنا ، وهو قليل من كثير ظلمها لغيرنا ، ممن أجرموا كاجرامنا ، فشكوا من الظلم والجهل ، ودمعوا الى العلم والعدل ،

كان يصل الينا قليل من أخبار الاستبداد ، ووقائع التور والافساد ، وبعد وفاة الاستاذ الامام صرفنا وقت الفراغ والراحة الذي كنا نجالسه فيه الى مجالسة اخواننا العثمانيين المقيمين في القاهرة فازدادنا علما بسوء

الحال ، وخطر المال ، فأسسنا جمعية الشورى الثمانية لاجل جمع كلمة
العثمانيين ، على استبدال حكومة الشورى بحكومة المستبدين ، لعلنا بأن جمعية
الاتحاد والترقي خاصة بالمسلمين ، وان العثمانيين ما داموا متفرقين شيعة
ومتقطعين ملأ وأما ، فكلمتهم هي السفلى ، وكلمة الاستبداد هي العليا ،
فتألفت الجمعية من المسلمين عربهم وتركهم وألبانهم واكرادهم ، ومن
النصارى عربهم ورومهم وأرضهم ، ودعى اليها بعض اليهود ولكن لم يكن
في مجلس ادارتها أحد منهم ، وقد انتخب هذا العاجز (صاحب هذه المجلة)
رئيسا لمجلس ادارة اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية وكانت ترسل جريدتها
ومشوراتها السرية ، الى الروملي والناطول بل والاستانة العلية ،

اهتم السلطان بهذه الجمعية حتى هجر النوم مضجعه ثلاث ليال ، كما
علمنا من رواية العارفين الثقات ، فقد كان - وأمر الله بالدستور عنه ،
ولا سهد في عهد الحرية جفنه - كثيرا ما يشارك أحرار أمته في أرقهم ،
ويساهمهم في قلقهم ، وان كانا في هذا الامر ، كضيف عمرو وعمروا ،
وصار للجمعية لسان صدق عند جميع أحرار العثمانيين ، فكانت مبدأ
ما كان من وحدتهم بمد حين ، وقدم أحمد رضا بك من باريس الى مصر
فرغب اليها ان نضم جمعيتنا الى جمعية الاتحاد والترقي فأبى مجلس الادارة
ذلك عليه ، وكان مما قلته له ان تمدد الجمعيات مع وحدة الغاية والمقصد
لا يمد تفرقا ولا يحدث ضمنا ، واتنازى انه لا نجاح للعثمانيين بالاتفاق
عناصرهم على المطالبة بالدستور ، قال ان قانون جمعيتنا لا يمنع قبول غير
المسلمين فيها ، قلت نعم واتنا لا نشكو من القانون ولكن من عدم تنفيذه
فما قانونكم - وليس في جمعيتكم رومي ولا أرمني ولا سوري نصراني - الا

كقوانين السلطنة « جبر على ورق » ولو قد السلطان قوانين الدولة على
 علائها لما طالبناه بمجلس المبعوثان لائسرك الامة معه في الاحكام
 هذا ملخص تاريخنا السياسى في السنين الخالية: سالنا السياسة
 فساورت وواثبت، وأسلنا لها جملت وتقمحت، وكنائهم بها في بعض
 الاحيان، فيصدف بنا عنها الاستاذ الامام، ولم نل منها ما نهواه الا بعد
 ان اصطفاه الله، وليس للمناظر حظ في السياسة العملية، وإنما هم أن
 يكون حرا فيما فرض عليه من الخدمة المالية، واذا كان (كسائر الصحف)
 قد أمن على حريته واستقلاله من استبداد الدولة، فقد بقي عليه أن يجاهد
 مع غيره استبداد الامة. فان في الامة أعداء للحرية والاستقلال، في
 العلوم والافكار والاعمال، يحبون ان تكون الصحف كما يرون لا كما
 يرى أصحابها، وان ينشر فيها ما يعتمدون لا ما يعتمد كتابها، وما كتاب
 الصحف الا معلمون ومرشدون، وهل يعلم الاستاذ تلاميذه ما يعلمون
 ويربى المرشد مريديه كما يريدون!! وقد جرى على هذا كثير من أصحاب
 الصحف المصرية وما كانوا مصلحين، ويجري عليه الآن بعض أصحاب
 الصحف العثمانية وما هم بمهتدين، وسيدى المنار على صراطه لا يالى بالمخالفين،
 نعم ان المنار يستقبل جهاداً جديداً في البلاد العثمانية، وقد فرغ من مثله
 فيما عداها من مصر وسائر البلاد الاسلامية، فأكثر المسلمين العثمانيين،
 لم يألفوا حرية البحث في السياسة واللم والدين، ينظر اغلب الباحثين
 الى القائنان دون الاقوال، وينصرون التقايد على الاستقلال، ولكن
 يوجد في كل بلد أفراد سلمت فطرتهم، وانتارت الحق بصيرتهم،
 يشعرون بشدة الحاجة الى اصلاح حالنا الاجتماعية والدينية، ويعلمون

انه يتوقف على استتلال الفكر والحرية ، وان هؤلاء على قلمهم ، ليغلبون أولئك على كثرتهم ، وسيبرزون لهم بعد استقرار الدستور مجادلين لا مجالدين ، يتلون (٢ : ٢٤٩) كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) فهذه الفئة هي التي يشد المنار أزرها ويشد بها أزرها ، ونصرها في جهادها وتقاضاها نصره ، ٢٧ : ٤٠ وَلَيَبْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ •

سيقول السفهاء من الناس ، وأهل الارباب والوسواس ، ان هذا المنار يدعو الى القوضى في الدين ، يترك مذاهب الائمة المجتهدين ، ونصر مذهب الوهابية ، على مذهب السنة أسية الحشوية ، ويبطل القول بالكرامات ، بأنحائه على الدجل والخرافات ، وحجة انصار المنار على هؤلاء ، ومن يقلدهم من الدهماء ، الذي ثبت انه يهوى الحق والصواب ، ولا يريد الا الاصلاح ما استطاع ، دون التعصب لمذهب على مذهب ، هي قبوله انتقاد المتقدمين ، في مسائل الدنيا والدين ، اذا أبدت الاولى بالعلم والعقل ، والثانية بما صبح من النقل ، مع التزام النزاهة والآداب ، واجتناب الحشو والاطناب ، فن زعم ان في المنار باطلا فليكتب اليه ، دون أن يمضي الله بنيته والطن عليه ، ولحق السلطان على الباطل (٢١ : ١٨) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمنه فاذا هو زاهق ، ١٣ : ١٩ فأما الزيد فيذهب جهنم واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال)
منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ خطاب صاحب المنار ﴾

على طلاب الكلية الأمريكية المسلمين في بيروت

أيها الأخوة الكرام:

أنكم أنتم محل رجاء البلاد بتریشكم وما تتلقون من العلوم العالیه لذلك أحببني هذا الوقت قصیر ان اذكر کم بما ينبغي لطلاب العلم ان يكون عليه ليتحقق رجاء أمته فيه ان العلوم تطلب لفرضين صحيحين : احدهما تكمیل النفس وترقية العقل . وثانيهما العمل بالعلم . ولعمل به مسلكان احدهما جعله حرفة ومستقلاً للعامل والاخر جعله وسيلة لترقية الامة واعلاء شأنها ويمكن الجمع بينهما

الفرض الأول لا بد منه لكل عاقل وهو العون الاكبر على الفرض الثاني فان من استنار عقله بالعلوم وصار صحيح الحكم فيها تعلمه وكونه جديراً بالاحسان في العمل والاقان للصنع فيجب اذاً ان يكون هو أول شيء تتوجه اليه همته وتقطع فيدرغبتكم يظن بعض ضعفاء العقول وصغار النفوس ان طلب العلم لأجل ترقية شأن الامة به يتأني ما أودع في القرائن من كون منفعة الانسان لنفسه هي العلة الفاتية لكل عمل من اعماله وان من توجه الى ذلك وجعله همه من حياته تفوته مصالحه ومنافعه التي لا بد له منها تلك خديعة الطبع اللئيم ووسوسة شيطان الخسة والصغار لصغار المهم قد رأينا بأعيننا وسمعنا وروينا عن التاريخ ان الذين يقفون حياتهم على خدمة أمهم لا يعوزهم الطعام واللباس الاثني بهم بل كانوا يفضلون عيشتهم على كل عيشة سواها لما لهم من الكرامة ووضعة الذکر ان لم يكن في بداية أمرهم ففي نهايته

ان من يسلك في طلب العلوم مسلك الاحتراف ويكون قصده منه ان يجعله دكاناً يتجر به أو بستاناً يستقله ليعيش منه لا يرتفع به الى ما هو أعلى من هذا القصد فان قيمته في الوجود لا تقاو قيمة غيره من اصحاب الحرف والصناعات العملية كالنجارة والحداة والزراعة . لا أقول ان هؤلاء لا قيمة لهم وكيف أقول ذلك واعلمهم لا بد منها للمجتمع الانساني وانما أقول ان هؤلاء هم أهل الطبقات الدنيا من الناس الذين لم يرقوا في افق الانسانية ويسهل على طلاب العلوم لاجل الكسب والاحتراف

ان يكونوا في افق اعلى من اقمهم بان يوجهوا نفوسهم الى اعلام شأن الامة بكسبهم واعمالهم ايها الاخوة : ان استعداد البشر للكمال لاحد له يعرف ، ولا طرف له يوقف عنده ، وان الانسان قد فطر على طلب الكمال فلا يصل الى شيء منه الا ويطلب ما فوقه ، وان افرادهم يتفاوتون في ذلك تفاوتاً لا نظير له في غيره من المخلوقات فمنهم من يكون وجوده بمقدار محيط جسمه لا يكاد يهيمه شيء وراء توفية مطالبه كبعض الحيوانات الدنيا ومنهم من يتسع وجوده حتى يملأ بلدًا كبيراً أو مملكة عظيمة ، وربما تعلو بعض الناس همهم الى جعل وجودهم المعنوي سارياً في أم كثيرة ماثلاً للأرض التي يعيش فيها الانسان . ولا تكلم فيهم الانسان ولستشر افهامهم ورواد ذلك من عالم الغيب اذا كان فضل الانسان وسعة وجوده الانساني على قدر نفسه بعلومه وعمله فلا شك ان من توجه نفسه الى فتح جميع البشر يكون افضل واكمل ممن لا يتوجه الا الى فتح أمة واحدة أو شعب واحد ولكن كيف يتأتى للفرد من الناس ان يخدم امما كثيرة ؟ الجواب عن هذا السؤال يعرف من القاعدة المعقولة التي جاء بها الحديث النبوي وجرى عليها الشرع الاسلامي وهي : ابدأ بنفسك ثم بمن تقول : الاقرب فالأقرب ، وقد قال قهواتنا ان من وجد من القوت زيادة عن كفايته قدمه للأقرب اليه من ولد وزوج الخ فان وجد فضلاً اتفق منه على غير الاقربين من ذوي الحاجات حتى قالوا انه يجب على المسلم ان يفتق على المضطر من غير المسلمين ما لم يكن محارباً لنا وانه يقدم الجار على غيره قربه ؛ فعلى هذا يجب علينا ان نبدأ بنشر العلم والقيام بالاعمال النافعة في امتنا ومملكتنا وان يقدم أهل كل بلدة خدمة بلدهم الذي يقيمون فيه على غيره من بلادهم ثم نفيض بعد ذلك من علومنا وأعمالنا النافعة على غيرنا من الامم على الوجه الذي سبقتنا اليه الامم الحية في هذا العصر وامامكم الخبرة في المدرسة التي تعملون فيها أليس منشو هذه المدرسة يقصدون بها جعل العلم الذي ينفع الناس وسيلة لنشر لغتهم وبث تعاليم مذهبهم الديني في نفوس من يعطونهم ؟ بل وان في حالم هذه الخبرة لنا يجب علينا ان نعتبر بها وان نرفع افئسنا لتكون أولى بهذه المثبة منهم يجب عليكم ان تعاونوا وتصبوا بهروة الاجتماع وانكم بما تفقون كيدوا حراجا لتشتوا وتتكبوا جادة الاعتدال في استمساكم بدينكم وحرصكم على الاجتماع والتعاون

(المآرج ١) (٣) (المجلد الثاني عشر)

فيجب ان تسع صدوركم لجميع ماتبتكرون من معاملة من معكم وان تقابلوهم بالادب في القول والفعل لان الادب من الفضيلة وهي مطلوبة لذاتها ولئلا يكون لهم عليكم حجة بعد ان ثبتت لكم الحجة عند دولتكم ودولتهم

انكم لم قصدوا بما كان منكم الا لرضاء ضائركم والمطابقة بين عقائدكم واعمالكم فحسبكم ان يتم لكم ذلك بالهدوء والسكينة والادب، واني اجلكم عن قصد العناد ووسائكم واسأذتكم او الجنوح للاستعلاء بالظفر لذاته

وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ولو منفردين في حجاتكم وبالحرص على صلاة الجماعة كلما تيسر لكم ذلك ولو على ارض حديقة المدرسة فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم «جملت لي الارض مسجدا وترتها طهورا»

انكم قتم بواجبي ديني سلمي وهو الامتناع من دخول الكنيسة لسماع تعاليم دين غير دينكم فليكم بهذا العمل الايجابي الذي هو عماد الدين «واستمينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين»

﴿ المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية ﴾

المدرسة الكلية الامريكانية

المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت كسائر مدارس الجمعيات النصرانية في الشرق غرض مؤسسيها منها جعل العلم وسيلة الى الدين، ولبعضها غرض سياسي ايضا فهي طريق من طرق الدعوة الى مذاهب مؤسسيها في دينهم، ولهم وسائل أخرى كالمستشفيات والمكتبات وحجرات القراءة يشئون فيها دعوتهم، وينشرون بها مذهبهم، الا أن المدارس الأمريكية أحسن من غيرها تعلما وأعلى تأديا وأشد استقلالا وأقل تعصبا على المخالفين في الدين والسياسة، اذ ليس لأمرىكا مطامع سياسية في هذه البلاد ولكن قد تؤيد هذه المدارس سياسة انكلترا

إن عقلاء المسلمين يقدرون غيرة مؤسسي هذه الجمعيات الدينية حق قدرها ويعرفون مقدار المستخدمين فيها لشر دينهم والتوسل اليه بالوسائل النافعة للناس في أجسامهم وعقولهم، ويمتنون لو يوجد في أمتهم الاسلامية اسخياء اجواد يذلون المال لنشر الاسلام مع العلم النافع الذي هو أساس بنيانه، والعمل الصالح (كالمستشفيات) الذي هو أقوى أركانه،

وان عامة المسلمين يشرون بشدة الحاجة الى هذه المدارس التي أسست على دعوة النصرانية لما فيها من العلم ، ويعلمون بما فيها من الضرر لآ ولادهم في الدين ، فالعلم يقتضي الإقبال عليها ، وانطوف على عقائد النشء الجديد بمنع من الثقة بها ، والجمهور مختلفون في الترجيح بين المانع والمقتضي

فمنهم من يرجح المقتضي من غير تفكير في عواقب المانع لأن الشعور بالحاجة الى العلم قد استحوذت على فكره ، حتى حال بينه وبين سلطان قلبه ، ومن يرجحه لاعتقاده ان المسلم لا يكون نصرانيا لأن الدين قد سار على سنة الارتقاء تبع الاستعداد البشر فكان الاسلام متعيا ارتقاؤه وهو الدين المعروف تاريخه ، المتواركاته ، المحفوظ سند سته ، ومن وصل الى الدرجة العليا في شيء لا يرضى لنفسه ان يهبط الى مادونها ، ولذلك يذلل دعاة النصرانية الألوف المكررة من الدناير في دعوة المسلمين الى دينهم بالاساليب العجيبة وقضون السنين الكثيرة في البلد من بلادهم ولا ينجحون باستمالة رجل واحد وإرجاعه عن الاسلام ، وان كانوا يؤمهم جمعياتهم التي تدمم بالمال فيكتبون اليها في كل عام انه قد تنصر في هذه السنة على أيدينا فلان وفلان ، ويذكرون اسماء سموها بأقلامهم لم يعرف مسيحتها الزمان ، ولكن الاسلام يجذب الى رحابه الفسيح في كل سنة ألوف الناس بغير دعوة ولا ترغيب كترغيب دعاة الانكليز والامريكان ، ولا ترهيب كترهيب دعاة الروس في بلادهم

نعم ربما يقذف القفر في كل حقبة من الزمن برجل من المسلمين جنسية لاحقة فيلقيه في الحامن ملاجئهم أو فناء من أفتينهم فيسهل له العوز اتحال اسم من اسمائهم ، أو لقب من ألقابهم وربما أغراه المال بأن يكون داعيا من دعائهم ، كأفضل «أوميا الحزين» الذي استجاب لرقيتهم بمصر ثم فضحهم وهو يبشر لهم في الجزائر ، اذ كتب مقالات في المؤيد يتن فيها انهم يدعون في كل بلد اسلامي بنجاح دعوتهم في غيره ، ويدعون في قاهرهم التي يرسلونها الى جمعياتهم انهم تاجحون في كل بلد ، والغالب فيمن يجتج لهم ان يعود الى الاسلام ولو بعد حين

وقال السيد جمال الدين الافغاني في بيان سبب إخفاق دعوة المبشرين بين مسلمي الهند : ان المسلم لا يمكن ان يكون نصرانيا لأن الاسلام نصرانية وديانة

فإنه يقرر الايمان ببسبي وبما جاء به من عند الله تعالى دون ما زاده القلوب على ذلك
 ويزيد على ذلك الايمان بمحمد (عليهما الصلاة والسلام) وبما جاء به مصداقاً لما قبله.
 وحدثني شاكر بك الذي كان رئيساً للجزء بطرابلس الشام من بضع عشرة
 سنة انه كان في بلدة ليس فيها مدرسة للبنات الجمعية للراهبات فوضع بنتاً له فيها فقرأها
 أمها يوماً ترمم شكل الصليب على وجهها أو صدرها فوجت وامتنعت، وشكت
 وبكت، وقالت لا بد من إخراجها من هذه المدرسة. قال فهونت عليها ألا مروكنت
 أقول لها: جاتم ان ابن المسلم لا يكون نصرانياً أبداً ولم أقبل توسلها الي باخراجها وقد
 تعلمت حتى أمت تعليمها عند الراهبات وهي الآن تقرأ القرآن الشريف وتصلي
 ونصوم ولم يضرها حرص الراهبات على تنصيرها

هذما يراه بعض الذين يسلون أبناءهم وبناتهم في هذه المدارس الدينية. ومنهم من
 يرجع المانع على المقتضي كما هو المتمد في المسألة عند أهل الأصول كما أشار الى ذلك الشاعر
 بقوله قالوا فلان عالم قاضل فأكرموه مثلاً يرتضي

قلت لما لم يكن عاملاً فعارض المانع والمقتضي

وببلغ حجة هؤلاء ان مذاهب الفقهاء المتبعة تحظر على المسلم المتمكن في دينه
 ان يدخل مع النصراني وغيرهم من المخالفين لنا في أصل الدين معادهم بهيتهم
 الدينية التي يدخلون فيها وصرحوا بأنه إذا تشبه بهم في ذلك بحيث يظن انه منهم
 صار مرتداً وان بقي متميزاً عنهم بحيث لا يشتبه بهم لا يكون مرتداً الا اذا قال أو
 فعل أو اعتقد ما يخالف ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة. ويقولون ان
 من اخطأ على دين غير المتمكنين في دينهم كالأولاد الذين يوضعون في هذه
 المدارس ان يسمح لهم بهذه الأعمال التي يغلب ان تكون عندنا كفراً وردة
 وأهونها ان تكون معصية فإذا علق النوع الأول في ذهن التلميذ مناومات قبل ان
 يصحح اعتقاده بمعاشره المسلمين العارفين أو مراجعة العلماء الراسخين مات مرتداً
 لآثرته ولا تعامله معاملة موتانا اذا كنا عالمين بحاله واذا مات أبوه أو أمه أو غيرهما
 من الأقربين في حياته لا يرث هو منهم شيئاً. ويقولون أيضاً ان بعض فقهاءنا
 صرح بأن الرضى بالكفر كفر فإذا رضىنا بشيء من ذلك نكون نحن مرتدين أيضاً

(الماترج ١٢١) الكلية الامريكانية . إلزامها المسلمين بدخول الكنيسة ٢١

وهذا الذي يتخوفونه على دينهم ليس يعيد عن مدارس الكاثوليك والأرثوذكس ولا سيما مدارس الجزويت كما بلغنا من مصادر كثيرة تصل الى درجة التواتر المعنوي من انهم يلزمون أولاد المسلمين بجميع هاليدهم الدينية حتى تعظيم الصور والتماثيل والاستغاثة بالقدسين وذلك في حكم الاسلام شرك مستقداً أنه طرأ على النصرانية بعد المسيح عليه السلام وحواريه عليهم الرضوان بمدة قرون . وان كان القرآن لا يدخلهم في قبب المشركين ولا نحن نخطبهم به لأنهم يبرؤن منه ويتأذون به وإلذا هم محرم علينا سواء كانوا ذميين أو معاهدين وقدينا ذلك في الماترا أكثر من مرة . أما ما ذكرناه في هذا المقال فبيان لما يستقده المتساهلون وغير المتساهلين منا نرجو ان يكون سبباً لحسن التفاهم بيننا وبين العقلاء المعتدلين منهم كمعدة المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت قد قلنا في أول المقال ان مدارس الامريكان أقل تعصبا على المخالفين وقد جرى بيني وبين أحد أساتذة المدرسة الكلية الامريكانية بيروت حديث في الخلاف الذي جرى بين تلاميذ المسلمين وعمدة المدرسة على دخول الكنيسة لسماع الوعظ الديني اذ اتمم التلاميذ من الدخول بعد ما صارت الحكومة العثمانية دستورية حرة وأصرت المدرسة على إلزامهم أحد الأمرين إما الاستمرار على دخول الكنيسة كما كان الأمر على عهد الحكومة الاستبدادية وإما الخروج من المدرسة وترك التعلم فيها ، فاجتمعوا وقاسموا لثبث على رأينا : لا ندخل ولا نخرج . حتى رفع الأمر الى الاساتذة و بعد مراجعة حكومتنا هناك لسفير الولايات المتحدة قرر بينهما ما بلغتة نظارة الداخلية لوالي بيروت وهو انه لا يلزم المسلمون دخول الكنيسة بل يجب ان يبنى لهم مسجد يصلون فيه . وان السفير بلغ معتد (قنصل) حكومته في بيروت ذلك ليليله المدرسة الكلية . وقد كان الحديث بيني وبين ذلك الاستاذ قبل ورود هذا البلاغ من الاساتذة وحضره جماعة من فضلاء النصارى

قال الاستاذ ما معناه : ان المدرسة الكلية لا تعلم التلاميذ التقاليد والاعمال الدينية التي يقرها بعض مذاهب النصرانية ولا تظمن في أديانهم ولا مذاهبهم التي تخالف مذاهب مؤسسها وإنما تلقي عليهم مواعظ عامة تنفق مع كل دين وان كانت من الكتاب المقدس لأجل ان قمرس في نفوسهم قوى الله وحبه الفضيلة

وتباعد عن الجلاء والتعطيل فان المؤمنين لما من أهل الدين والمحافظة عليه أم مقاصد . وان المكان الذي تقى فيه المواظ الدينية ليس كنيسة مؤسسة لأجل العبادة بل هو مكان تقى فيه الخطب العلمية والأدبية وغيرها ويمزف الحسان فيه بآلات الموسيقى . (قال) فهل يحرم الدين الاسلامي على المسلمين دخول هذا المكان ويوجب عليهم مخالفة نظام المدرسة ؟

قلت ان المسلمين فريقان منهم من يأخذ بالدليل ومنهم من يتبع قهوا مذهبهم والمشهور عن قهوا المذاهب التي عليها هؤلاء التلاميذ ان الدخول الى معابد المخالفين لنا في الدين ومشاركهم فيها هو خاص بهم من أمور الدين فيها وكذا في خارجها إما محرم وإما كفر في تفصيل لم في ذلك فلفل تلاميذكم يعتقدون ان دخول المكان الذي ذكرته من هذا القبيل وحيث يجب احترام اعتقادهم وان كان لا يقوم دليل في الاسلام على تحريم دخول مكان مثل الذي ذكرت ليس معبدا دينيا ولا يقى فيه شيء مخالف للإسلام (ثم قلت) ان احترام النظام في المدارس والبيوت وكل مكان ركن عظيم من اركان التربية ومن لم يترب على احترام النظام والتزامه لا يكون رجلا عظيما نافعا لأمة ووطنه . ولكن احترام الاعتقاد والضمير أقدس وأعلى من احترام النظام فان من لا يحترم اعتقاد نفسه يكون مناقها لا يوثق به في شيء من الاشياء . وان اكراه التلميذ على ذلك أشد إفسادا لأخلاقه من كل ما يخطر في البال انه يفسد الاخلاق اذ لا يرجى ممن لا يحترم اعتقاده ان يحترم أسرته ولا أمته فضلا عن احترامه لمن لا يتصل به في وشيجة رسم ولا مصلحة وطن

(قلت) اني اذا رأيت إنسانا يعتقد بأن هذه البلاطة من الرخام (واشرت الى بلاطة في الارض) تنفع وقصر ورايته يعبدها ويحترمها فاني لا أميز لنفسى أن اكراهه على دوسها والوطا عليها ولأن أمره بذلك الا بعد أن أقننه بطلان اعتقاده فيها . وقد وقع لي واقعة في ذلك : وهي ان رجلا أخبرني بأن خصما لي في محاكمة شرعية حله كتابا الى آخر وسألني ماذا يفعل فيه وأنا اعلم انه يطعنني في كل ما آره به وان في الكتاب حجة لي على خصمي نصلح فصلا للزراع وتوفر علي وقتا طويلا وفقه كثيرة ولو شئت لا أخذت الكتاب فان حامله لا يخالف أمرى ومع هذا لم استحل أن آمره بالخيانة

ولما حدثت مشكلة اقتضاء الشرعي بمصر من زهاء عشر سنين وهزم الانكليز على إلزام الخديو عزل القاضي المولى من السلطان وتولية قاضٍ مصري مكانه كره الخديو ذلك ولكنه لم يهتد الى المخرج منه فطلب ان يجي الاستاذ الامام من القاهرة الى الاسكندرية (وكان الخديو في مصطافه فيها) فجاء (رحمه الله) ليلا وقابل الامير في الصباح فقال له انني طلبتك لسان البرق لاستشيرك في مشكلة القاضي وبعد خروجك من هنا سيدخل لورد كرومر لأجل ان يكلمني في وجوب عزل جمال الدين افندي وتولية احد علماء مصر منصب قضاء مصر الشرعي وسيجتمع بعد ذهابه مجلس النظارة لتقرير ذلك فماذا أدفع اللورد بحسب رأيك ؟ قال الاستاذ ان الانكليز من أشد خلق الله احتراماً لحرية الضمير والاعتقاد حتى انهم ربما ذكروا ذلك في قوانينهم فانهم لما وضعوا قانون التقيح للوقاية من الجدري كان من موادها انه يجبر عليه كل أحد الا من يقول إن ضميره لا يميز ذلك . فاذا كنتم تعتقدون ان تولية القاضي من حقوق السلطان وانه لا يجوز لكم ان تدينوا القاضي من قبلكم فيكني في إقناع اللورد بالرجوع عن طلبه ان يقول له افنديا ان ضميري لا يسمح لي بذلك لأنني اعتقد ان هذا حق السلطان وحده . فتي سمع هذا الجواب يذعن له ولا يمكن لمثل لورد كرومر في زريته الانكليزية العالية ان يقول لكم خافوا ضميركم وقد كان الامر كما قال الاستاذ وبذلك انحلت المشكلة بعد ان كان عزل قاضي السلطان قد صار في الأمر المقضي الذي لا مراجعة فيه حتى ان جمال الدين افندي باع داره ونهاى لسفر من مصر الى الاسكندرية هذا ما أجبت به احد اساتذة المدرسة الكلية وقد استحسنه من سمعوا وعترفوا بأن من افساد الاخلاق ان يؤمر الانسان بفعل ما يعتقد انه قبيح او محرم عليه ، ثم جاني بعض تلاميذ الكلية من المسلمين وسألوني عن رأيي في مسألتهم وسألتهم عن سببها وعلمها فاستغدت من المراجعة ما يأتي

- (١) ان التلاميذ يلزمون الدخول كل يوم الكنيسة (Chapel) والمكث وبع اولئك ساعة لسماع نبذة من العهد الجديد او العهد العتيق ثم بالدعاء الذي يعبرون عنه بالصلاة ، وكل يوم احد ثلاث مرات يمكنون كل مرة زهاء ساعتين ونصف
- (٢) انه يوجد في المدرسة جمعية ارمنية للتلاميذ الأرمن وجمعية يونانية

اليونانيين وجمعية للمصريين من المسلمين والنصارى وجمعية مسيحية تسمى جمعية الشبان المسيحيين وجمعية لليهود

(٣) طلب التلاميذ المسلمون إنشاء جمعية إسلامية تبحث في ترقى المسلمين

مع عدم الخوض في السياسة فرفض طلبهم

(٤) طلبوا ان يجتمعوا اليه المولد النبوي للبحث في سبب الاحتفال في مثل ذلك

اليوم وما يحسن فيه فنعوا . فهذا هو السبب لتألب المسلمين . وذكري عبارات شاذة في الطعن في الاسلام تصريحاً او تلويحاً سقطت من بعض رجال المدرسة الأمريكانين هاجت النفوس وأعلنت الحركة التي ظهرت بعد ذلك عند ما جاء وقتها ولا نذكرها في هذا المقال لانها ليست من نظام المدرسة ولا من اعمالها المطردة بعد هذا كله نقول ان مؤسسي المدرسة بأموالهم ومديري شؤونها والمعلمين فيها

كلهم من أهل الفضل والخير والعلم بطائعات الأثم واخلاق البشر وأحوال الاجتماع فهم يعلمون ان الظلم (ومنه منع المسلمين من الاجتماع كاليهود بآلة النصارى) ينتج في المستقبل ضد مايراد منه في الحال ، وان الأثم لا ترهق في زمن الدستور والحرية ، بما كانت ترهقه في زمن الاستبداد والعبودية ، فكان عليهم ان يتذكروا هذا فيلبنوا ويتسامحوا مع التلاميذ المسلمين عند امتناعهم عن دخول الكنيسة ثم يستقبلوهم إلى احترام المدرسة بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم من الملل والشعوب في تأليف الجمعيات بأن يأذنوا لهم بتأليف جمعية إسلامية فان الرئيس الذي لا يبدل لا يطاع بالاحترام ، وكفى بطلاب بالنظام من يتعصب ويحايي في النظام ، ثم يجعلون تلك المواظ خالية مما يخالف الاسلام ويارضه ويقنعون أولئك التلاميذ بأن حضورها بهذه الصفة لا يحظره الاسلام فيكون ففاقا — وما أسهل ذلك عليهم اذا جاؤهم من باب ان جميع من في المدرسة الكلية من الرؤساء والمعلمين يعلمون أن مايلقى فيها من المواظ عادة لا يرد المسلم عن الاسلام الى النصرية ولكنه لا يخلو من نوع من الألفة والمودة وقريب الطوائف بعضها من بعض ، وهذا المقصد العالي الذي يسعى اليه الحكماء الذين يخدمون الانسانية خدمة خالصة من شوائب السياسة والهوى . فاذا كان رؤساء المدرسة يرمون الى هذا الغرض فليعلم ان يتذكروا ان الرب

عن قوس العزة والإذلال ، والإكراه والإذلال ، هو الذي يطيش سببه ، و يضي الى ضد ما يراد منه وأن الحب لا يكون بالقبص ، وإنما التجب داعية الحب ، بلغني أنهم يقولون ان المدرسة مسيحية انشئت بمال المسيحيين لأجل بث الدين المسيحي فمن لم يرض بدخول الكنيسة وتلقي التعليم المسيحي فيها فلا يدخل مدرستنا وهذا القول على مخالفته فمحوى ماسمعه من أحد معلمي المدرسة يمكن ان قوله بعض رؤساء المدرسة احتجاجا واتصارا لأنفسهم وما أعلن ان جميع أولي الشأن في المدرسة يرضون بأن يكون فصل الخطاب في المسألة حرمان المسلمين من المدرسة أو إخضاعهم لما سبق يانه من المعاملة التي تفر القلوب وتورث العداوة والبغضاء والتعصب الذميم

وصفة الكلام في هذا المقام أنه يتعد على المدرسة الآن الزام من فيها من المسلمين ما ذكرنا بعد ما اجتمعوا وقاسموا واتفقت حكومة الاسانة مع سفارة الولايات المتحدة على عدم جواز ذلك . وان أمامها في السنة الآتية أحد أمرين : إما التساهل والتسامح في قبول التلاميذ المسلمين لتأليف النفوس وجذب القلوب بعضها الى بعض والا كفاء من الخدمة الدينية بهذا المقدار مع ترقية العقول بالعلم والنفوس بالترية الادبية الاجتماعية ، وإما عدم قبول المسلمين في مدرستهم وهم أحرار مختارون في ذلك

فان اختاروا الأمر الأول حدهم المسلمون وحمدتهم الإنسانية وكانوا أقرب الى مقصد الدين الحقيقي الذي لاخلاف فيه بين المسيحية والاسلامية وهي خير البشر وتألفهم ، وان اختاروا الأمر الثاني فانهم يملون المسلمين دوسا جديدا قد يضرهم و يضر من يعيش معهم من جهة تباعد القلوب وقوة التعصب الذي يشكو منه محبو التأليف والتوفيق ولكنه ينفهم من جهة أخرى بما ينهض من همهم ويرفع من نفوسهم ويدفعها الى الاعتماد على ذاتها ومباراتهم في تأليف الجمعيات الدينية لإنشاء أمثال هذه المدارس لأنفسهم

سيقولون ان المسلمين لا يستطيعون الآن إنشاء مدارس كالمدرسة الكلية بل

كثيرا ما قالوا . ولكن هذا القول لاحجة له الا ما يهدون من بخل اغنياء المسلمين بالمال في سبيل العلم والدين . وهذا عرض لا يدوم فما نحن أولاء نرى اخواننا المصريين قد بدأوا يذلون الالوف من الدنانير لإنشاء المدارس وقد سبقهم الى ذلك مسلمو الهند ومسلمو روسيا . وقد دبت الحياة في المملكة العثمانية فبرجى ان تعمق غيرها في هذا المضمار لمكاتبتها العالية من سائر بلاد المسلمين

ان مسلمي العثمانيين لا بد ان يشعلوا في هذا المعصر من عقالم ويسلموا ان التعليم الاجنبي المحض مما عظم نفعه لا يؤمن ضرره ، فانه ان خلا من الطعن في الاسلام أو تفضيل غيره عليه فانه لا يتخلو من اضعاف للعاطفة الملية ، وحل للرابطة القومية ، فانه يحول مجاري الفكر في العلوم ومساب آهواء النفوس في الاخلاق والآداب الى جهة المعلمين والمربين من الاجانب فيجعل عقول نابتنا وقلوبها ملكا لم أو وقفا عليهم أو مجذوبة اليهم أو مفضلة لقومات أمتهم على غيرها وبذلك ينقص من مقومات أمتنا ومن احترامها في نفوس نابتنا بتقدير ما يزيد في نفوسها من عظمتهم فلا نطعم في مجاراتهم ومباراتهم ، فضلا عن مسابقتهم ومقاومتهم ، بل نكون دائما عيالا عليهم . ناهيك بما في العلوم من الشبهات على الدين التي يسبل دفتها عن الاسلام لو كان المعلمون عارفين بحقيقته ، وارين عين شريته

فهذه العلوم التي تؤخذ من هذه المدارس لا تكون حياة حقيقية لأمتنا الا بعد ان يصير زمام التعليم والبرية في أيدينا . فيجب على تلاميذنا في المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت وعلى امثالهم في غيرها ان يعدوا انفسهم ليكونوا عونا لنا على ذلك باتقان اساليب التعليم ونقل العلوم الى لقتنا ، وسيرون من الامة نهضة مباركة في إمدادهم بالمال ، وان لا يكرهوا ما يرون من هضم حقوقهم وعدم مساواتهم برفاقهم من ابناء الملل الاخرى فان هذه المعاملة هي التي تحرك غيرتهم وتجميع كلمتهم فليقبلوها بسعة الصدر ، واحاطة الفكر ، وحسن المعاملة ، وكثرة المجاملة ، وطاعة النظام ، ولين الكلام ، والتواصي بالحق والصبر ، حتي تكون حجتهم هي الناهضة وعاقبتهم هي الحسني ، وعسى ان تكرر شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .

الاصلاح الالم المقدم في الملكة العمانية

كثير حديث الناس في الحكومة العمانية الجديدة وما ينتظر منها من الاصلاح بعد ان قضى احرار الامة وجيشها على الحكم الشخصي الاستبدادي ، وأدالوا منه حكم الشورى الدستوري ، وكثرت اقوال الجرائد في ذلك ، ولكننا نرى اكثر الحديث في الأمور الكمالية التي لا يكون إصلاحها الا في السنين الطوال كالمالية والمعارف والحرية والبحرية والدولية (الحقانية) والزراعة ، ولما نرى أحدا يذكر أهم المهمات الذي يجب تقديمه على كل شيء بلا استثناء ، ألا وهو تنظيم الشرطة (الضابطة والبوليس) لأجل حفظ الأمن العام وتنفيذ الشرع والقوانين بالعدل والمساواة أعلن الدستور وأعيد القانون الاساسي فصاح الصائحون بالناس في كل بلد أن يحتفلوا بمحافلهم ، وقيل لهم اخطبوا واهتفوا وخطبوا واهتفوا ، وقام الاحرار والمستعدون للحرية في وجوه أعوان الاستبداد والعبودية ، فانزلوا اناسا عن مراتبهم ، وعزلوا افرادا من مناصبهم ، وانفردوا آخريين بلاء يحمل بهم ، وبشروا العامة بالخير القريب ، والعز الشديد ، والتعظيم المقيم ، فذهبت النفوس في فهم ذلك مذاهب ، ووردت منه مشارب ، حتى فسره بعضهم بإباحة الحقوق وإلغاء الاتاوات والضرائب ، وقد اتهم الناس في فهم الدستور الى اقسام ليس من غرضنا بيانها في هذه المقالة وإنما قول إنه يوجد في البلاد العمانية كثير من المستخدمين في الحكومة والذين عزلوا بعد الدستور واستقالوا ومن اصحاب التفوذ والجاه — يمتنون الحكومة الحاضرة ويمعنون الى الاستبداد السابق لاعتقادهم انه بني مالمهم ويوسع دائرة جاههم لانهم يتبعون هوى وروائيهما كما كان فيه من خراب ذمهم ودينهم وخراب بيوت معظم الامة والقضاء العاجل على الدولة . فهو لاء يوسوسون للعامة : ماذا استندنا من الدستور والحرية ؟ كان يستبد بنا في البلد رجل واحد فصار يستبد بنا جميع الاشقياء . ومثل

هذا الكلام يروج عند العامة التي تنتظر الراحة والسعادة من الحكومة الجديدة اذا لم تكذبه هذه الحكومة بالعمل في اقرب وقت

ماذا يجب على الحكومة قبل كل شيء ؟ الجواب عن هذا السؤال بديهي وهو ان الواجب قبل كل شيء حفظ الأمن العام والحرية الشخصية ولا يتم هذا على وجهه الا بتنظيم الشرطة (الضابطة) ولذلك نرى الولاة والمتصرفين يتعلمون من كثرة الاعتداء بالضرب والقتل فاذا طولوا بترية المجرمين يقولون انا نتظر التعليمات الجديدة في إصلاح الشرطة من الاساتذة في أول السنة المالية القادمة

هكذا قالوا لنا عندما تكلمنا معهم وأيناهم يلتمون كما فعل ان من في البلاد من الشحنة والشرطة قد افسد اكثرهم حكم الاستبداد الماضي فصاروا اعوانا للاشقياء والمجرمين ، وقد اقترحنا عليهم ان يسندوا شرطة لواء بشرطة لواء آخر فاعتذروا عن ذلك بقلة الرواتب وقالوا ان من ينقل من بلد الى بلد يحتاج الى نفقات جديدة لا يفي بها راتبه وستراد الرواتب في اول العام القابل فيتسر قتل هؤلاء الى بلاد لا صلة لهم بأشقيائنا ويكونون تحت مراقبة شديدة

هذا ما ينتظره والي الشام وجميع ولاء المملكة لأجل حفظ الأمن وحماية الحرية الشخصية وبحسبهم الجمهور غير مباين بما يقع حيناً بعد آخر من الجنايات والمظاهرات التي تنبئ بأحقار العامة للحكومة

لولا أن الاجل المضروب للبدء بالإصلاح المطلوب قريب لخشنا ان يفضي لإهمال الحكومة للعامة الى الفوضى وان كان أكثر أهالي بلادنا لا يزالون على حظ عظيم من حب السلامة وحسن الاخلاق على ما أفسد الاستبداد من أخلاقهم ، فقد رأينا مثال ذلك في مصر قاتل الجنائات واهلاك الحرث والنسل في القطر المصري أشد وأكثراً مما هو في القطر السوري على كون الحكومة المصرية أرقى من الحكومة العثمانية . والسبب في ذلك ما أعطته الحرية للعامة من احتقار الحكومة والأمن من سطوتها الا ان تثبت نهمة على منهم في الحاكم مع جعل أكثر الاهالي وإفساد الاستبداد السابق لاختلاهم ولا تزال الحكومة المصرية في حيرة من أمر

الأمن العام على كثرة بحثها وبمحت أصحاب الجرائد وغيرهم من الكتاب وأهل الاختبار في وسائل ذلك منذ سنين

لو أخذ ولاتنا بالحزم في أوائل العهد بإعلان الدستور وساعدتهم جمعية الاتحاد والبرقي التي أخذت يدها صولجان السلطة عدة أشهر لدى حكومة الاستانة بأمرها فقبضوا على كل من يرتكب جناية وعجلوا بمجازاته حتى بالقتل ان قتل لأراحوا أنفسهم وأراحوا الأمة في الحال مما تشكوه والحكومة في المستقبل مما سوف تشكو منه إذا كانت تريد ان تبقى على سياسة الرقة والطف (الزناكة) التي اتبعها منذ أعلن الدستور إلى اليوم وقيد الحكم بظواهر ألتاذا القوانين

رأى زعماء سياسة الرقة والطف اننا قد أخذنا الدستور نظيفاً غير ملوث بالدم فيجب ان تبقى سفك الدم في دور الاقلاب ونداري المسدين والمجرمين الى ان يستقر الدستور في نصابه وهو على نفاذه . ولكن هذا الرأي إنما يصح في بلاد يخشى فيها من الثمن والثروات الداخلية إذا فوجيء أهلها بما يكرهون كبلاد الحجاز لا في الشام الذي ليس فيه استعداد لثورة ولا خطر في بال أحد من أشقيائه انه يمكنه ان يقف في وجه الحكومة بنفسه أو بصيته اذا هي حاولت ان تسلط العدل على الأخذ بناصيته ١١

ألا إن أكثر زعماء سياستنا ليجلون حال الأمة في جميع الولايات ويولون عليها من الولاة والمتصرفين من لا وقوف لهم على حقيقة حالها حتى اتقي أحسب ان ناظم باشا لا يزال غير محيط علماً بحال ولا يتي بيروت وسورية على ذكائه واختباره لها في سني الاستبداد وشهور الدستور فاعلم القاري بأدهم بك والي بيروت الجديد الذي كان عائشاً في أوربا فانتقل منها بعد الدستور الى الاستانة فيروت ؟ ثم بمثل متصرف طرابلس جاويد بك ؟ وقد يمز على هذا المتصرف وذلك الوالي ان يرقا حال البلاد وأهلها في زمن قريب لعلتين فيهما : عدم التكلم بالربية ، والعزلة ، فإنها يكادان لا يكلمان أحداً في غير أمور الحكومة الرسمية في دار الحكومة ! ومن كان هذا شأنه كيف يقف على حقيقة حال البلاد ؟ ومن لا يقف على حقيقة حالها كيف يسوسها على وجه الحكمة والعداد ؟ ١٢

يظن امثال هؤلاء انه لا يطلب من الوالي او المتصرف الدستوري الا ان يكون حفيظا مستقيما مراعي في سيرته لقوانين وقائمه ان معرفة حال الناس الذين وضع القانون لاجل اصلاح شأنهم مقدمة على معرفة القانون والحرص على تنفيذه لان العدل في التنفيذ لا يكون الا بتطبيق المواد على الوقائع وهذا التطبيق يتوقف على معرفة حال المتلبسين بالوقائع التي تطبق عليها تلك المواد . وان وراء ذلك من الاجتهاد في حسن الادارة مالا تقي عنه القوانين وان فذت بالعدل

يتوهم بعض الولاة والمتصرفين أن الاشقياء الذين اشتدت جرأتهم في عهد الدستور عصائب نشد أزهرم وان الحكومة لا تهدر على تربيتهم الا بد تنظيم الشرطة وانها اذا حاولت الآن ان قبض على المشهورين منهم أو تلزم الشراذم الذين يتأتون عليها حدم وتحفظ هيتما في نفوسهم يثرون عليها ويقاومونها بقوة السلاح وان تركهم على ما هم عليه هو الواجب الآن عملا بقاعدة ارتكاب اخف الضررين وهذا وهم باطل بالنسبة الى ولايتي بيروت وسورية فان هذه البلاد وان ساءت حالها وكثر اختلالها في أواخر عهد الاستبداد فهي لم تصل في الشر والهمجية الى هذا الحد الذي قد يتوهمه بعض حكامها

هذا التوهم هو الذي كف أيدي الحكومة الجديدة عن تربية المجرمين فامتدت ايديهم الى ما لم تكن تمتد اليه في عهد الاستبداد حتى صار القلاء يخشون ان يفضي احتقار الاشقياء للحكومة الى القوضى ، وهم لا يصدرون الولاة على إهمالهم ولا يصفون سبب هذا الإهمال اذ لو عرفوه لاجتهدوا في إقناعهم بأن البلاد ليس فيها عصائب ذات قوة ولا جمعات سرية وان الوالي اذا شاء ان يقبض على مجرم وينفذ القانون على أي ممتد فل الا ان يفر الشقي الذي تأمر الحكومة بالقبض عليه قبل ان تصل يدها اليه ، وأنه لا يوجد في مدن سورية كلها شقي تهدته نفسه بأن يعصي على الحكومة فجرا ، او يفر الى الاهالي بمصباتها سرا على ان إقام هذا الوالي بيروت لأجل حمله على القيام بعمل لحفظ الأمن قديما من البعث فانه لا يتوجه الى عمل ما في ذلك إلا بعد ورود ما ينتظر من تنظيم الشرطة والشحنة في أول السنة المالية القادمة وما هي يجد

يجب ان يمدد الولاية ومن دونهم من رجال الادارة لهذا الإصلاح عدته فانه هو الإصلاح الذي يتوقف عليه كل إصلاح . يجب ان يستخرجوا من المحاكم اسماء المحكوم عليهم بالاعدام وما دونه من العقوبات وينفذوا ذلك كله بمقتضى الجسد والحزم ثم يمنعوا الاقتتات على الحكومة بالمظاهرات التي لا يبيحها القانون أو يطلب بها ما لا يبيحها القانون ومن أصر على غيّه يؤخذ منه باليمين

ويجب على الاستانة ان لا تعيد الولاية بقيود كثيرة وان لا تجعلهم عبالا على نظارة الداخلية في كل شيء . ولا في أكثر الاشياء بل فيها لا بد منه ولا غنى عنه من الأمور الإجمالية . يجب ان يباح لروساء المحاكم من الولاية وغيرهم الاجتهاد في فهم القوانين وتنفيذها بالمشاورة كل فيما يخص به مع تشديد التبعية (المسئولية) عليهم وجعلهم تحت مراقبة المجالس العمومية التي يجب توسيع اختصاصها وكذا اختصاص مجالس الادارة . واذا أعيد التفتيش على الولايات يكون للأمة اربعة انواع من الضمان الذي يحول دون اسبداد الولاية ومن دونهم من رؤساء الادارة : مجالس الادارة في كل لواء ومركز وناحية والمجلس العمومي في الولاية والتفتيش ، وشدة التبعية يضاف اليها من قبل الأمة نفسها انتقاد الجرائد وما وراءه من إثارة سخط الرأي العام . وكذا يقال في المحاكم مع ما يجب من استقلال القضاء وجعل المحاكم الشرعية المولفة من عدة أعضاء يحكم فيها بالاتفاق او أكثر الآراء وإيجاد محاكم استئناف شرعية في كل ولاية

هذا ما عنّ لنا ان نكتبه الآن ، وينبغ على غلتنا ان حكومتنا تحتاج في تنظيم الشرطة والشحنة الى الاستعانة بالاجانب كما تحتاج الى ذلك في كثير من الأعمال فان الرجال القادرين على الإصلاح عندنا قليلون كما سيظهر بالعمل وتدعو الله ان يوفق مجلس الأمة الى خير الإصلاح المنتظر



تنبيه الجرائد السورية

الى الاعتبار بتاريخ الجرائد المصرية *

اذا كانت تربية الاطفال فنا من ادق الفنون وهو ما يبلغ درجة الكمال على
هناية العلماء والفلاسفة به فاذا قول في تربية الام ؟

يوجد الوف كثيرة من المربيات والمربين في كل امة من الامم المتقدمة ولكن
الذين يربون الامم قليلون في كل امة وكل زمان

ان للامم اطوارا كما ان للأفراد اطوارا، ولا يحتاج المربي للأفراد في طور من
اطوارهم الى العلم الواسع والخبرة الدقيقة والعناية العظيمة كطور الانتقال من المراهقة
الى البلوغ او من التقليد والالزام الى الرشد والاستقلال، وان المربي للامم يكون عند
انتقالها من حكم الاستبداد والعبودية الى حكم الشورى والحرية احوج من مربى
الأفراد الى العلم والخبرة والبصيرة والحكمة

ان خطباء الامم والقائمين على تربيتها بالارشاد والتعليم وانتقاد الخاكين والعاملين
هم اصحاب الجرائد ، وقد كانت الجرائد العثمانية في مأزق لا تستطيع فيه حراكا ،
فخرجت الى مجال فسيح وميدان واسع ، ولكن الجولان في هذا المجال والجري في هذا
الميدان لا ينبغي الا للفرسان المهرة ، فان الارض على رحبها غير ممهدة ، والطرق على
سعتها غير ممهدة ، فامام من يريد الجولان عواير يخشى عليه من التردى فيها، وعقبات
يصعب اقتحامها ، واعلام مشتبهة لا يؤمن الضلال بينها

فنون الكلام في الجرائد كثيرة ، والانتقاد ادقها مسلكا واصعبها مركبا واشدها على
النفوس وقعا واكثرها ضارا ونقعا ، فن وظائف الجرائد قد الحكم والاحكام ، وقد
الهمال والاعمال ، وقد العلماء وكتب العلوم ، فلا شيء الا وهو معرض لقدم ، فان احسن
كتابتها النقد كانوا خير العون على الاصلاح ، وان اساوا كانوا من عوامل الفساد

(* نشرناها أولا في جريدة «الأميل» البيروتية ونقلها عنها جريدة الاتحاد اللبناني

والافساد ، لا سيما في مثل الطور الذي دخلت فيه الامة العثمانية الآن لا يعرف أحد كنه تأثير الجرائد في مثل هذا الطور كما يعرفه أهل البصرة الذين خبروا بأنفسهم أمة كان الاستبداد يسومها سوء العذاب ، فانتقلت الى الحرية فجأة ووجد فيها جرائد كثيرة مرخية العنان مطلقة من القيود ورأوا باعينهم ما كان لها من التأثير في تلك الامة . وان هذا الوصف ليصدق على بعض العثمانيين الذين اقاموا في اقطر المصري زمنا طويلا موجعين عنايتهم الى اكتناه احواله الاجتماعية فاذا اشتغل هؤلاء بالصحافة العثمانية رجونا ان يفيدوا الامة جميعا

لقد نفعت الجرائد في مصر كثيرا واضرت كثيرا ، واذا كر على سبيل العبرة للجرائد السورية مثلا من نفعها ومثالا من ضررها :

ان للجرائد المصرية احسن الاثر في النهضة العلمية في اقطر المصري حيث صار الموسرون يبارون في دفع الوف من الجنبات لانشاء المدارس ، ويقفون عليها وعلى الجمعيات التي تقوم بادارتها الاراضي الواسعة ذات الربيع العظيم ، وقد كانت اشراك الجمعية الخيرية الاسلامية لا يخرج من كيس القني الكبير منهم الانكذاب مطالبات كثيرة ، وما ذلك الا شراك الاجنبيان أو اربعة جنبات في العالم !

لم يكن الحث على انشاء المدارس والدعوة الى الترية والتعليم غرضا خاصا لجريدة من تلك الجرائد ، ومذهبهم ان يدعو اليه وتجعله مدارا لنهضة الامة وسعادتها الا بحجة المنار التي صرح في فاتحة العدد الاول منها بهذه الكلمة « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين » ثم كنا نستطرد من كل موضوع يكتب فيها الى الحث على الترية والتعليم . ولا أريد بهذا الاستثناء ان أنيط بالمنار ما ذكرت من النهضة العلمية فادعي انه هو روحها الذي به حياتها ونماؤها . بل لا أنكر ان الجرائد اليومية أعم تأثيرا منه في ذلك ، ناهيك بنشرها لاسماء المتبرعين بما قل أو أكثر مع الحمد والثناء . ولو انها جعلت الدعوة الى ذلك مذهباً متبعاً ومشرعاً ، وورودا لكان النفع أعظم ، ولكن شغلها السياسة عن ذلك وهو أنفع لهم في سياستهم

فهل للجرائد العثمانية ان تعتبر بهذا فتجعل الدعوة الى الترية والتعليم دينها ،

والحث على التبرع لذلك وتأسيس الجمعيات لاجله مذهبا الذي توجه الى نشره
جل عنايتها ؟ فاذا كان للجرائد المصرية بعض العذر في جعل جل هما في السياسة
فان جرائد سورية لا نصيب لها من هذا العذر ، لانه ليس في بلادها سلطتان متعارضتان
احداهما اجنبية يدها الحل والعقد بالفعل ، والاخرى رسمية لها الاسم ومالا يعارض
سياسة الاولى من الفعل . على اننا قد نبهنا اصحاب الجرائد السورية الى تقصير
الجرائد المصرية في الدعوة الى الحرية والتعليم على الوجه الذي هو ارجى
تكوين الامة وجعلها امة عزيزة مستقلة في نفسها استقلالاً يفضي الى استقلالها في
احكامها وسياستها

هذا ؛ وأما المثل لضرر الجرائد المصرية فهو طريق انتقادها ولاسيما للحكومة ، فقد
سلك اكثرها فيه مسلكاً أسقط هبة الحكومة من النفوس بعد ما كان لها من هياكل
العظمة في كل خيال ، وشعور الخشية والبأس في كل قلب ، فوثبت الجرائد بالشعب
المصري من طرف الى طرف ، من غير ان تمر به على الوسط أو يقرب من الوسط .
ذلك المسلك هو اتهام الحكومة بمشايعة الانكليز على ما يريدون من سوء
بالبلاد ، فكان أولئك الكتاب ينحون بقدرهم وطعنهم على الوزارة « مجلس النظار »
في الجملة وعلى رئيسها وافرادها وعلى المديرين وغيرهم من رؤساء الاعمال في
التفصيل ، فذلك الانتقاد أو الطعن كان الغرض منه تأييد سياستهم في مقاومة الاحتلال
والشفي من الانكليز ويان ان الامر كله في أيديهم وتبعته عليهم ، وان النظائر وسائر
الموظفين المصريين آلات صماء ، تحركها هذه الايدي كما تشاء ، ولكن فيما يضر البلاد
ولا ينفعها وفيما يسلب السلطة الشرعية من أميرها ، وهو الذي يريد لها الخير لولا
انه عاجز عنه . وكان يقوم في وجه هذه الجرائد الكثيرة جريدة أو جريدتان أو
ثلاث تندد بالامير وبطائته ، وتلمز ذلك المقام بما يخفض من قدره — فبذلك كله زالت
هبة الامير وحكومته الرسمية من النفوس ، فتجرأ الاشقياء على اسلب والنهب ،
واهلاك الحرث والنسل ، وكثر الجنايات في الارياض حتى ان الحكومة لا تزال في
حيرة من حفظ الامن الى هذا اليوم

نعم انه قد استقر في أذهان جميع المصريين ان الامر كله للانكليز ، وأنهم

يستطيعون ان يفعلوا ما أرادوا من حيث لا تستطيع الحكومة المصرية من دونهم شيئاً ، ولكنهم علموا مع هذا أن الانكليز لا يحفلون بالمسائل الجزئية التي تعلق بافراد الاهالي وانما يكون الامر فيها الى الحكومة المصرية تنظر فيها بحسب القوانين ، فلا يستطيع المأمور ولا المدير ولا رئيس النيابة (المدعي العمومي) ولا القاضي ان يعاقب جانياً الا اذا ثبتت جنايته في المحكمة ، وقلاً يقدم الجناة على عملهم الا وهم آمنون من ثبوته عليهم ، فاختلال الامن في القطر المصري نشأ من سقوط هبة الحكومة من نفوس العامة ، والتطرف في الحرية والانتقال من حكومة استبدادية عرفية ، الى حكومة قانونية حرفية ، اي يجري فيها الحكم على ظواهر الفاظ القانون من غير تطبيق على المصلحة العامة التي وضع لاجلها القانون . وما كان لاكثر الجرائد من عمل في ذلك الا ما ذكرنا ، فما كان من خطأ يقع كانوا يحملونه على سوء النية من الحكومة ، وما كان من صواب يسكتون عنه او يحملونه على غير محله ، حتى كانوا ربما يطعنون في أنفع الاعمال كانشاء الخزان في اسوان — فلماذا ولغيره من الخطأ الذي لا يتسع هذا المقال لشرحه كان الاستاذ الامام يقول « جرائدنا احدى بلاياتنا »

فيجب ان تعتبر الجرائد السورية بخطأ الجرائد المصرية التي سبقتها في الاستقلال والحرية كما تعتبر بصوابها ، فكما يجب عليها ان تتخذها مذاهب في اصلاح الاجماعي لا تشغلها عنه السياسة يجب عليها أن تتخذها اسلوباً حكماً في انتقاد الحكومة برجي نفعه ولا يخشى ضرره ، ويجمع بين حفظ هيئتها في نفوس العامة من حيث هي امينة على مصالحها ومنفعة لشرعيتها وقوانينها التي اقرها نوابها ووكلاؤها ، وبين تكريم الامة واعلاء شأنها وغرس مبادئ الحكم الذاتي في نفوسها .

كيف تتقدم الحكومة

تتقدم اعمال الحكومة لغرضين شريطين : أحدهما وهو الاصل صيانة الحقوق وحمل الحكم على العدل واداء الأمانة بالتزام الشريعة وتطبيق القانون على المصلحة العامة . وثانيهما عرضي تمس اليه حاجة الامة أو ضرورتها في مثل الطور الذي نحن فيه الآن في بلاد الدولة عامة والقطر المصري خاصة ، وهو بث مبادئ الحكم الذاتي في نفوس الامة (أي حكم نفسها بنفسها)

اما الأول فطريقه ان يبحث الكتاب عن الاعمال والاحكام ، ويبنون ما يجب يانه في انطباقها على الشرع والقوانين وعدمه من غير بذاء ولا استعلاء ولا طعن يسقط المهابة ويذهب باحترام الحكومة من نفوس العامة . وانما نفي بالاعمال اعمال الحكومة دون الاعمال الشخصية التي لا دخل لها ولا تأثير في المصالح العامة .

ومن كان مخلصا في انتقاده يتحرى الحق فيه ، فاذا ظهر له انه اخطأ فيما كتبه رجع عنه وجوعا صريحا وبين سبب خطئه الاول ومشرق انبلاج الصواب له وبذلك يكون كلامه مؤثرا في القلوب ذا سلطان على النفوس فيقدره قدره الحاكم ، فاذا لم يرجع به المسي عن غيه آخذة رؤسائه على سوء فعله ومن آيات الاخلاص ان يسعى مريد الانتقاد ان يسر له كأن يراجع الحاكم فيما يرى انه يسيء أو يجور فيه ، فان تم له ذلك والالجأ الى الانتقاد وينبغي ان يبدأ بالرمز والتلويح ، ثم يترقى في سلاليم التصريح ، فاذا استقام الجائر ، وعدل الظالم ، وجب ان يقف الناقد عند الدرجة التي ارتقى اليها في تقدمه ثم يثني على العمل الذي يستحق الثناء

ومما يتحتم مراعاته ان تكون الفقرة التي ينتقد بها القضاء ورؤساء الادارة بحيث يفهمها الخاصة دون العامة ، كأن تورد بضروب من المجاز والاستعارة وتستعمل فيها الالفاظ القرية لئلا نزول مهابة الحكومة من نفوس العوام وتقل ثقتهم بالقضاء ويعتقدوا انه لا سبيل الى قضاء مصالحهم الا بالرشوة ، ويطمع المبطلون منهم بهضم الحقوق ويضري الاشقياء ، بالتعدي على الضعفاء ، اعتمادا على ضعف الحكام وأظلمهم وإنما يجب مراعاة ما ذكر في انتقاد من يسيء مستخفا ، واما من يجهز بالسوء ويعرف عنه الظلم فأولئك هم الذين لا تحفظ لهم حرمة ، ولا ترقب فيهم ذمة ، فيجير الكتاب بانتقادهم ، ويجزؤون الامة على الشكوى منهم ، اذا لم يبادر رؤسائهم والمتنشون عليهم الى النظر في أمرهم ، ولكن الشكوى الى المجالس العمومية في الولايات ثم الى مجلس المبعوثان في الاستانة بعد مراعاة ما اشترطه القانون الاساسي في ذلك اما الطعن في الحكومة على الاطلاق فضرره عظيم جدا في مثل بلادنا ولا سيما

في أول العهد بالانقلاب كهذا الزمن . مثال ذلك طعن المثقورين أو الرجيين (على الخلاف بين كتاب العرب وكتاب الترك في قههم) في حكومة الشورى الحاضرة من حيث شكلها والاستدلال على ذلك بالخلل والفساد الذي أظهرته الحرية في الأمة والحكومة جميعا بزعمهم ، وما هو إلا من رزايا الحكومة السابقة التي يتعذر تطهير الارض من نبتها في بضعة شهور أو بضعة سنين

ومن أمثله استنباط كثير من المحين للحكومة الحاضرة لأعمال مجلس الأمة وأظهروا قلة الثقة به وشكهم في أنفسهم ونشكيكهم للناس في قدرته على القيام بما عهد اليه من اصلاح حال الدولة ، وترقية شؤون الأمة ، وما ذلك إلا لجلهم بحاله وبحال الحكومة التي ينظر في أمر اصلاحها

ان مثل مبعوثينا ونوابنا في مجلسهم كمثل مهندس كلف وضع رسم أو رسوم لبناء بلد كسيني « لا مسينا كما تضبطه الجرائد » قد دمرته الزلازل وان يستحضر البنائين لاعادة بنائه على أحسن مما كان عليه ، ويراقب عملهم الى ان يتم ثم يكون أينما عليه حافظا له فأراد ان يشرع في العمل فوجد معظم اقاوس البلد مقودة قد تلف بعضها وسرق بعض ولم يجد من البنائين المهرة والصناع والتجارين حددا كافيا للامراع في العماره !! فهل يلام المهندس ويرمى بالتقصير وحده ونسى ذلك الزلزال الذي دمر البلد وأولئك اللصوص الأذنياء الذين كانوا ينهبون اناضله وما يهيا لبنائه ؟؟

ألا ان عذر مبعوثينا أظهر من عذر ذلك المهندس ، فان زلزال الاستبداد قد توالى على المملكة العثمانية من زهاء ثلاثة اجيال ، وقد اشتد في عودنا هذا من أول هذا القرن الهجري حتى كاد يجمل المملكة أثرا بعد عين . وقد كان أكثر رجال حكومتنا في ذلك الدور كأولئك التحوت الذين اقرصوا زلزال (مسيني) فسارعوا الى نهب كل ما وصلت اليه أيديهم الانيمة من أموال المالكيين والمشرفين على الهلاك فإذا عسى ان يفعل نوابنا في أيام أو شهور ؟

قال أمامي بعض هؤلاء المتقدين الطيبة قلوبهم الخلفة عقولهم وأواليل اختارهم : ان بعض المبعوثين يسأل في المجلس أسئلة سخيفة تدل على ان مجلسنا في سن

الطفولية ! قلت هل كان فيها أسخف من سؤال بعض نواب الانكليز في مجلسهم الذي هو أعلى وأرق مجلس نيابي في الأرض عن الكنف (المراحض) في القاهرة وكونها قليلة أو غير موجودة في الاحياء الوطنية !!

ومن أمثلة الانتقاد المطلق في الحكومة الحاضرة ما يليج به الناس من جميع الطبقات في جميع البلاد من قصيرها في حفظ الامن وارسلها جبال الاشقياء على غواربهم ، وهذا الانتقاد واقع ماله من دافع لظهور موجه لكل أحد ، وهو هو علة الانتقاد الذي ذكر قبله ، ولأمر ما كان كلام الجرائد فيه دون كلام الناس في أندنيهم وسارهم ويوتهم وسائر مجامعهم وفي الطرق والأسواق .

وإذا طال العهد على هذا الاهال فأنتي اخشى ان يتعاقم امره ، ويستشري شره ، وقد كلمت فيه والي بيروت قبلاً « والي سورية الآن » والي بيروت الآن والمدعي العمومي لولاية بيروت ومتصرف طرابلس فرأيتهم ينتظرون أول السنة المالية التي قربت خطواتها لاصلاح حال الشحنة والشرطة والدخول على حفظ الامن من بابه ان عذر الولاة والمتصرفين في القصير في حفظ الامن محصور في ظلمهم انه لا يمكن بطريقة قانونية لا استبداد فيها ولا ظلم الا بعد تنظيم الشرطة ويجاد قوة عسكرية كافية لتلافي ما ربما يحدث من الثورات الداخلية ، وهو عذر مبني على عدم اختبار حال البلاد في مثل ولاية بيروت فحاسبوها على مثل ولاية الموصل وعلى حوران من ولاية سورية ، ويصبر علينا إقناعهم بان هذه البلاد لم تصل الى هذه الدرجة من الشر والفساد ، وانه لا يوجد فيها احد من الاشقياء يفكر في مقاومة الحكومة قط ، وان اي وال أو متصرف أخذ بالحزم يسهل عليه ان يحفظ الامن . على ان من يقع منهم بذلك لا يتجرأ على الاقدام عليه وتحمل تبعته في عهد هذه الحكومة ولا سيما مع بقاء الاستانة مستائرة بالسلطة العليا ومقيدة لسلطة الولاة بله المتصرفين فن دونهم ! اذا طال العهد على الحال التي نحن عليها - وما هو بالذي يطول ان شاء الله -

يتقوض بناء مهابة الحكومة من نفوس العامة فلا يبقى منه شيء . وتصير البلاد فوضى ، ولو لا ان سلامة القلوب ومحاسن الاخلاق لا تزال ذات السلطان الغالب في بلادنا لكانت بضعة شهور كافية لانتشار الفوضى وطعم الاشقياء في الخروج على

الحكومة ولكن شيئا من ذلك لم يكن ولن يكون ان شاء الله تعالى
ان الحكومة قادرة الآن على التكييل بالاشقياء فكيف بها بعد التنظيم الذي
اغفلنا زمانه وادركنا ابانه . وان ما حصل طبيعي في طور الانقلاب فاهو بالامر الغريب
الذي يبيع للناس ولا للجرائد الطعن في الحكومة على الاطلاق
اذا رأينا بعد استقرار الحكومة الجديدة واقامة النظام المتطر عجزا عن حفظ
الامن في ناحية لسوء ادارة مديرها او في قضاء لجليل القاتمقام او في لواء لضعف
المصرف او في ولاية لعله في الوالي - فاننا نسعى لدى مرجع كل واحد من هؤلاء
لاستبداله ، اذا اعوزنا اصلاح حاله ، ولا نطعن في الحكومة طعنا مطلقا يذهب بقية
العامه بها ، ولا تهمة بالخيانة والفساد ، ولا نرميها بالعجز والضعف ، فان ذلك كله
نسوء عاقبته على كونه لا يمكن أن يكون صحيحا على اطلاقه
حسبنا هذه الكلمات في بيان الفرض الاول من غرضي الانتقاد الصحيحين
فان الخطاب بها هم الكتاب الالباء والليب تكفيه الاشارة
واما الفرض الثاني من ذينك الفرضين وهو قوية روح الحكم الذاتي في
الامة فقد يحتاج اليه في البلاد المصرية اكثر مما يحتاج اليه في البلاد السورية ، لمكان
الظنة في استئثار الانكليز بالسلطة وجعل المصريين الآن في أيديهم . ومع ذلك
نرى الجرائد المصرية قد قصرت فيما يجب عليها من الرمي الى غرض نفوذ الامة
فكان معظم نضالها أو جميعه دون نفوذ الامير نفسه ، أي لتقرير الحكومة الشخصية
والانتقال من استبداد أجنبي محدود إلى استبداد شخصي وطني لاحد له . الا انه
قد كثر خوض هذه الجرائد في هذه السنين الاخيرة في طلب المجلس النيابي لمصر
وكون ذلك موافقا لرغبة الامير في رأي بعضها . ولكن الصحيفة المصرية التي
اتخذت قوية سلطة الامة نفسها مذهبها لتراعي في انتقادها على الحكومة هي (الجريدة)
التي أسسها جماعة من الوجهاء وأهل الرأي تنفيذا لما كان دعاهم اليه الاستاذ الامام
في آخر حياته . ويعلم الله ان هذا ما كنت اقترحه عليه من بضع سنين حتى اتني
كنت قد اخترت له المحررين ووضعت له الميزانية بعد المذاكرة الطويلة معه في
المذهب السامي — وهو سلطة الامة وفي النهاج الاجتماعي الأدبي وجمله في

انتقاد الاخلاق والعادات . فهل للجرائد السورية ان تفكر في هذا وقدرة حق قدره ؟
ان الجرائد العثمانية كلها تحتاج الى انتقاد الحكومة فيما يختص بسلطة الامة
عند وضع بعض القوانين التي تقوي سيطرة الحاكم وتضع العثرات في سبيل الامة
كقانون المطبوعات وقانون الجزاء (العقوبات) وقانون المعارف ولوائحها ونظام
مدارسها ، بل يجب ان تنتقد مجلس الامة اذا لم يجعل تنقيح القانون الاساسي مقيدا
للحكم الشخصي ، مطلقا لحكم الشورى من تلك القيود المعروفة ، واذا نازعت الحكومة
فيما يقوي به سلطة الامة وجب على الجرائد ان تحمل عليها حملة شعواء ، وان لا
ترضي اقلامها بما دون الطعنة النجلاء .

كذلك يجب على الجرائد في كل ولاية ان تنتقد الولاة اذا هم حاولوا الاستبداد
في أمر المجالس العمومية ومجالس الادارة أو اظهروا التعصب لجنسهم كتعصب
التركي للترك والعربي للعرب فان العصبية الجنسية من الحكام تضعف الجامعة
العثمانية وتحدث فيها الاحداث والمفاسد

ولا يجوز بحال من الاحوال ان تهم الحكومة في حملتها بهضم حقوق الامة
وكراهة حكمها الذي هو حكم الشورى ، وان كان الكثيرون من الوجهاء والرؤساء
السابقين قد قل انتفاعهم ونقص مالم وجاههم في عهد الحكومة الحاضرة ، فهم يحنون
الى الاستبداد ويتمنون الرجوع اليه حتي صارت جرائد الاستانة تسميهم الرجعيين .
فمن بقي في الحكومة من هؤلاء ومن يدخل فيها على عهد الدستور للجهل بحالم
أو للحاجة اليهم على عوجهم لا يألون جهدا في الاستبداد إذا وجدوا منفذا من
المنافذ ، وأمنوا المراقب والمؤاخذ

فن أقدس وظائف الجرائد وواجباتها ان تنسج عوارهم ، وتعلم اظفارهم ، وتكتب
انصارهم ، مع مراعاة ما أشرنا اليه من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي أحسن
كما أرشدنا الذكر الحكيم . ولكن الاخلاص رائدنا ، وإثثار المصلحة العامة غايتنا ،
فلا شيء انفع وأرفع من العمل لخير الناس ، ولا مرشد إلى ذلك اهدى من الاخلاص .

باب المراسلة والمناظرة

﴿ شيخ الاسلام ابن تيمية وما قيل فيه ﴾

غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار المنير بمصر

سلام الله عليكم ورحته، ولا زلت في نعيم مقيم

سيدي: من العجب انكم لم تعرضوا لما قاله ابن حجر الفقيه في فتاويه الحديثة من الطعن على ابن تيمية بالتفصيل الشافي المعروف من حضرتكم ومحاكمة ابن حجر فيما قاله حتي يبين الرشد من الغي ! . وهنا نجد اكثر الجامدين من اصحاب العائم يتمكنون بتغيير البسطاء عن مطالعة المنار لكونه ينقل عن ابن تيمية وان المنار يلقيه بشيخ الاسلام ناسياً ما قاله ابن حجر في فتاويه حيث يقول « عبد خذله الله تعالى واضله واعماه واصمه وأذله »

ونجد محب المنار الغير المطلع على اقوال ابن تيمية التي اوجبت خذلانه وانحرافه عن الطريقة الجادة يلتجئ الى السكوت . نعم ربما انه سبق لحضرتكم كلام في بعض أجزاء المنار السابقة بخصوص هذه المسألة . « لان مثل هذا مما لا يحسن سكوت حضرتكم عنه كل هذه المدة »

ولكن يتجدد قراء كثيرون في المنار في كل عام وكثير منهم لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم للاطلاع وذلك يلجئكم ان توضحوا المسألة ثانياً . وقد بلغتني أن كثيراً من العلماء العظام اتفقدوا كلام ابن حجر . فهل لسيدي قل بعض اقوالهم ؟ ولكم من الله جزيل الفضل ومنا الشكر .

ع . س (دلي - سمطرا)

(المنار) لا غرابة ولا عجب في عدم تعرضنا لما ذكرتم قبل ان نسأل عنه ، على اننا كنا

(المجلد الثاني عشر)

(٦)

(المنار ١)

عازمين على كتابة ترجمة لابن تيمية بعد إتمام ترجمة الغزالي . ويطلب على فلنا ان الفقيه ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى لم يطلع على كتب ابن تيمية وانما رأى ما انتقده عليه بعض معاصريه كالشيخ تقي الدين السبكي وغيره فانكر ذلك عليه ولا يعد ان يكون بعض المفسدين قد دس في كلام ابن حجر ذلك السباب والشتم الذي يحل مثله عن مثله وذلك مما حدث كثيرا كما بينه الشعرا في كتاب البواقيت والجواهر وغيره حتى ذكر ان بعض كتبه نسخ في عصره ودست فيه ضلالات كثيرة ولم يقتنع العلماء بأن تلك الضلالات من دسائس المفسدين الا بعد أن أبرز لهم ما كتبه بخطه . ويظهر انه لم يطلع أيضا على ما قاله حفاظ الحديث والعلماء والمؤرخون في الثناء على ابن تيمية بما لم يشوا بمثله على أحد حتى شهد له معاصروه ومناظره بالوصول الى رتبة الاجتهاد المطلق ومن كان كذلك لا بد ان يخالف غيره من المجتهدين في بعض المسائل . ويعز على الفقهاء المقلدين ان يوجد في عصرهم من يخالف أئمتهم بل من دون أئمتهم ممن يجولون من الميتين حتى كأن الموت يجعل العالم معصوما . ولذلك ترى ان سبب قيام الشيخ كال الدين الزمكاني والشيخ نصر بن المنجي علي ابن تيمية هو إنكاره على الشيخ محيي الدين بن عربي، وسبب قيام ابي حيان عليه هو إنكاره على سيويه وتخطئه له . فهو لا اثنائه والشيخ تقي الدين السبكي هم اعظم العلماء الذين انكروا عليه في عصره ومن اسباب حقهم عليه تشدده في الانكار عليهم هم فيما اتصروا به لابن عربي وسيويه ولكن كل واحد منهم قد اثى عليه ثناء عظيما قبل وقوع النفور بينهم كما سيأتي

وقد ألف بعض العلماء كتابا خاصة في الثناء على ابن تيمية والاتصا له، منها (القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبل) للعلامة المحدث السيد صفى الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس . ومنها (جلاء العينين في محاكمة الاحمد بن) اي احمد بن تيمية واحمد بن حجر وانا نقل عن كل منهما طاقة من القول عن العلماء في ترجمة ابن تيمية ، قال صاحب القول الجلي في أول كتابه ما نصه :

« ولد رحمه الله تعالى في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وست مئة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في التفسير وأقبح ودرس وله

نحو العشرين ، وصنف التصانيف وصار من اكابر العلماء في حياة شيخه ، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين . وكان يتوقد ذكاه . وسمع من الحديث أكثره ، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ ومعرفة بالتفسير إليها المتعمق وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فأباحق فيه . وأما قوله بالفقهاء هذا هو صاحب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالمال والنحل فلا أعلم له فيها نظيرا ، ويدري جملة صالحة من اللغة ، وعريته قوية جدا ومعرفة بالتفسير والتاريخ فموجب عجب . انتهى ملخصا من كلام شيخ الاسلام أبي عبد الله الذهبي فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي

قال الحافظ الذهبي الدمشقي الذي قال فيه الحافظ ابن حجر هو من أهل الاستقرار الثام في نقده الرجال وتبعه على ذلك الحافظ السيوطي فيما نقله الحافظ ابن ناصر الدين : ابن تيمية أكبر من أن يبنه مثلي على نمونه فلو خلفت بين الركن والمقام خلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم وقال الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعي في فتاواه في حديث « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وفي حديث « كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين » حيث أجاب باعتماده كلام ابن تيمية في وضع اللفظين وناهيك به اطلاعا وحفظا أقرله بذلك الخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا

وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد للثبوت وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بسارة رشقة وعين مفتوحة

وقال حافظ الاسلام الخبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ الحديث جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الركن عبد الرحمن المزي الشافعي فيما نقله عنه الحافظ ابن ناصر الدين : ما رأيت مثله يعني ابن تيمية ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لها منه . اهـ وقد تقدم عن الحافظ الذهبي نحوه وناهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي

وقال الشيخ الإمام بقية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي لما اجتمع به وسمع كلامه : كنت أظن ان الله تعالى ما بقي يخلق مثلك . وقال أيضا : رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد . ذكره الحافظ المذكور وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي : وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء ، ومن يخطئ ، ويصيب ولكن خطأه بالنسبة الى صوابه كقطعة في بحر لجي وخطؤه أيضا مغفور له لما صح في صحيح البخاري « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وآله وسلم . وما قاله في غاية الحسن والحافظ المذكور ثقة حجة باتفاق وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بترجمة جليلة جدا فلا التفات الى ما نقله عنه الشيخ تقي الدين الحصني . نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأؤذي بسببه ومع انه خالف الاثمة الاربعة في ذلك فلم يتفرد به كما هو مبين في موضعه وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسير فافهم

(فان قلت) ما ذكره الامام الحافظ ابن كثير مبني على ان الشيخ قد بلغ رتبة الاجتهاد وأنى له بهذه المرتبة وقد انقطع الاجتهاد من زمان طويل !! (قلت) وقد نص على انه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء منهم الامام أبو عبد الله الذهبي فيما ذكره ابن ناصر والحافظ ابن حجر كما سيأتي والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ فيما أحفظ ولم يتفرد بمسئلة منكرة قط وان كان قد خالف الاثمة الاربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين ومن اشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور وقد قال به قبله أبو عبد الله ابن بطة الحنبلي في البانة الصغرى وسنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى

وقال الحافظ ابن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الاسلام الحافظ الهام ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي مانصه : ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة مرارا بسبب أشياء أنكرها عليه من الاصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا أفتى بسفك

دمه مع شدة المتعصين عليه رحمه الله من أهل الدولة حتى جلس بالقاهرة ثم بالاسكندرية ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وورعه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الاسلام والدعاء الى الله في السر والعلانية فكيف لا ينكر على من أطلق عليه انه كافر بل من أطلق على من سماه بشيخ الاسلام الكفر وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فانه شيخ الاسلام بلا ريب والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشعي ولا يصير على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً، وهذه تصانيفه طائفة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرئ منه ومع ذلك فهو بشر يخطئ، ويصيب، فالذي أصاب فيه وهو الا كبر يستناد منه ويرحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه لا يقلد فيه أي كسئلة الزيارة والطلاق بل هو معذور لان أئمة عصره شهدوا بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتعصين عليه والقايمين في إبطال الشر اليه وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني يشهد له بذلك، وكذا الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره . ومن أعجب العجب ان هذا الرجل كان اعظم الناس قياماً على أهل البدع من الروافض والخلوية والأتحادية وتصابه في ذلك كثيرة شهيرة وفتاواه فيهم لا تدخل تحت الحصر، فياقرة أعينهم اذا سمعوا تكفيره وياسرورهم اذا رأوا من يكفر من لا يكفره . فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل ان يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر من ذلك على قدر قصد النصيح ويثني عليه بقضائه فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء، ولو لم يكن للشيخ هي الدين من المناقب الا تليذه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والخالف لكن غاية في الدلالة على عظيمة منزلته فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلاً عن الحنابلة . فالذي يطلق عليه مع هذه الاشياء الكفر أو على من سماه شيخ الاسلام لا يلتفت اليه ولا يقول في هذا المقام عليه بل يجب ردعه عن ذلك الى أن يراجع الحق ويدعن المصواب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل حسبنا الله ونعم الوكيل

وقال شيخ الاسلام صالح ابن شيخ الاسلام عمر البقيني رحمه الله تعالى فيما كتبه على الكتاب المذكور - :وقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي في ثناء الائمة عليه بان الحافظ المزي لم يكتب لفظة شيخ الاسلام الا لأبيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين ابي عمر فلولا ان ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ما قرن ابن السبكي أباه معه في هذه المثبة التي قلها ، ولو كان ابن تيمية مبتدعا أوزنديقا ما رضى أن يكون أبوه قرينا له . ثم وقد ينسب الشيخ تقي الدين لاشياء أنكرها عليه معارضوه وانتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألي الزيارة والطلاق وافرد كلا منها بتصنيف وليس في ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته أصلا . وكل أحد يؤخذ من قوله أو يُترك الا صاحب هذا القبر » (١) والسعيد من عدت غلطاته ، وانحصرت سقطاته ، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين انه لم يصدر ذلك نهورا وعدوانا ، حاش لله بل لعله لرأي رآه واقام عليه برهانا ، ولم تقف الى الآن سد التروي والفحص على شيء يقتضي كفره ولا زندقته ، وانما وقفت على مارد على أهل البدع والاهواء أو غير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعليه مرتبة في العلم والدين . وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟) وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا - وفي رواية - حق كبيرنا » وكيف يجوز ان يقدم على رمي عالم بفسق أو كفر ولم يكن ذلك فيه انتهى

قلت وسند ذكر ان شاء الله تعالى قريبا ما يكون صريحا في تنزيهه عما نسب اليه .
من التشبيه والتجسيم

وقال قاضي القضاة عبد الله التهتي الحنفي عامله الله بطلفه الخفي فيما كتبه على الكتاب المذكور : ان الشيخ تقي الدين كان على ما نقل اليانا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذي صارت تصانيفه في الآفاق عالما متعبا مقللا من الدنيا معرضا عنها متمسكا من إقامة الأدلة على الخصوم وحافظا .

(١) حكاية لكلمة الإمام مالك التي كان يقولها في الحرم المدني ويشير الى

القبر الشريف

(المنار ج ١ ص ١٢) شيخ الاسلام العيني والبساطي . مدحهما ابن تيمية ٤٧

السنة عارفا بطرقها عارفا بالاصلين أصول الدين وأصول الفقه قادرا على الاستنباط في تخرج المعاني لا يولمه (لعله لا تأخذه) في الله لومة لائم على أهل البدع المجسة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم (قال) فمن كان متصفا بهذه الاوصاف كيف لا يقب بشيخ الاسلام بأي معنى أريد منه ؟ (قال) وإنما قام عليه بعض العلماء في مسألي الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه شهوده . والمسألان المذكوران ليستمن أصول الاديان وإنما هما من فروع الشريعة التي أجمع العلماء على ان المحطي فيها مجتهد يثاب لا يكفر ولا يفسق . الخ ما قال

وقال شيخ الاسلام العيني الحنفي فيما كتب على الكتاب المذكور: وما هم أي المنكرون على ابن تيمية رحمه الله تعالى الا صلح بقلع سلقع ، والمكفر منهم صلعة بن قلمة وهيان بن يان وهي بن بية وصل بن ضل وضلال ابن التلال . ومن الشائع المستفيض ان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية من شتم عرابين الافاض ، ومن جم براهين الامائل ، (قال) وهو الذاب عن الدين ، طعن الزنادقة والملاحدين ، والنائد للرويات عن النبي سيد المرسلين ، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال انه كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسب الى الزندقة فهو زنديق ، وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزين والشقاق ، ولكن بحثه فيما صدر عنه في مسألي الزيارة والطلاق ، عن اجتهاد سائح بالاتفاق ، والمجتهد في الحالين مأجور ومثاب ، وليس فيه شيء مما يذم أو يعاب ، (قال) ولا ريب انه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ، ولتلامذة من فقهاء الأنام ، فاذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الاسلام ، لأن من كان شيخا للمسلمين يكون شيخا للاسلام .

وقال شيخ الاسلام البساطي المالكي . وأما قول من قال انه يعني ابن تيمية كافر وأن من قال في حقه انه شيخ الاسلام كافر فهذه مقالة تقشعر لسماعها الجلود ، وتذوب لسماعها القلوب ، ويضحك ابليس اللعين بها ويشمت ، وتنشرح بها أفئدة الخالفين وتسمت ، ثم يقال كيف لو فرضنا انك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستندك في الكلام الثاني وكيف تصح لك هذه سكرة المتناوئة لمن سبقك ومن.

هوأت بعدك إلى يوم القيامة ؟ وهل يمكنك ان تدعي ان الكل اطلعوا على ما اطلعت انت عليه ؟ وهل هذا الا استخفاف بالحكام ، وعدم مبالاة بني الايام ، والواجب ان يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجه لا يخرج به شرعا عن الهدية بأن كان واهيا برج به تبريحاً يردع أمثاله عن الاقدام على اعراض المسلمين . اهـ

(قلت) فتأمل رعاك الله كلام هؤلاء الاعلام ، في مدح هذا الامام ، فكيف ينسب إلى بدعة التجسيم أو يعاب بشيء غير ذلك أو يلام ! »

(المثار) هذا ما أورده الشيخ صفي الدين الحنفي البخاري في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية في أول كتابه (القول الجلي في ترجمة قتي الدين ابن تيمية الحنبلي) ويليه فصل في عقيدته التي هي عقيدة سلف الأمة أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم . واما السيد نعمان خير الدين الاكوسي فقد جاء في كتابه (جلاء العينين . في محاكاة الأحدين) بترجمة أوسع وأكثر نقلا عن كبار العلماء والحفاظ في الثناء عليه والاعتراف له بمشيخة الاسلام ،

قال بعد ترجمة بليغة ملخصة من كلام طائفة من الحفاظ والمؤرخين مانصه : « قال الذهبي وما اهد ان نصانيفه الى الآن تبلغ خمس مئة مجلد . وترجمه في معجم شيوخه بترجمة طويلة منها قوله : شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر علما ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويرا إلهيا وكرما ونصحا للامة وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر . سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال ، وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال مبال ، واستنبط منها اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه قتل من يحفظ ما يحفظه من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وتناوى الصحابة والتابعين ، واثقن الرية اصولا وفروعا ، ونظر في العقايات وعرف افعال المتكبرين ورد عليهم ونبه على خطئهم وحذر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين : وأوذني في ذات الله من المخالفين ، واخيف في نصر السنة المحفوظة حتى على أئمة

تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وكبت أعداءه ، وهدى به رجالا كثيرة من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الاتقياء له غالبا وعلى طاعته ، واحيا به الشام ، بل الاسلام ، بعد أن كاد ينتظم خصوصاً في كائنة التار وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام أنني ما رأيت بعيني مثله وإنه ما رأى مثل نفسه لما حثت اه

وقال الحافظ ابن كثير : وفي رجب سنة سبع مئة واربعم راح الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مسجد التاريخ وأمر أصحابه وتلامذته بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار ويندثرها قطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما . وبهذا وأمثاله ابرزوا له العداوة وكذلك بكلامه في ابن عربي واتباعه . فحسد وعودي ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا اليه بمكره واكثر ما نالوا منه الحبس مع انه لم يقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ولم يتوجه لم عليه ما يشين وإنما اخذوه وحبسوه بالجلاء . اه

قيل من جملة اسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعي ويطلب الامارة فقي عليه أعداؤه طريقا من ذلك ، فحسبوا للامراء حبسه لسد تلك المسالك . وكتب الشيخ كمال الدين الزملكاني : كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه اشياء ولا يعرف انه ناظر احدا فاقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان ممن علم الشريعة او غيره الا فاق فيه أهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها (قلت) ورأيت في ثمر الدر الذائب ، في الافراد والفرائب من كتاب الاشباه

والنظائر النحوية للإمام السيوطي عليه الرحمة ما نصه : جواب سؤال سائل عن «لو» سيدنا وشيخنا الامام العالم الاوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة امام الأئمة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين اوحد علماء الدين بركة الاسلام حجة الاعلام برهان المتكلمين قانع المتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة ودامت به على أعدائه الحجة واستبانته ببركته وهديه المحجة تقي الدين ابني العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن

عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني اعلى الله تعالى مناره وشيد من الدين اركانه

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيتنا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنواره اربت على الفجر

تقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني : بسم الله الرحمن الرحيم ، قلت من خط الحفاظ علم الدين البرازلي قال سيدنا وشيخنا الامام العالم العلامة القدوة الحافظ الزاهد العابد الورع امام الأئمة خير الأئمة مقي الفرق علامة الهدى ترجمان القرآن حسنة الزمان عمدة الحفاظ فارس المعاني والالفاظ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة ناصر السنة قاصع البدعة قهي الدين ابو العباس احمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ادام الله تعالى بركته ورفع درجته : الحمد لله الذي علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الباهر البرهان ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الانس والجان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما برضى به الرحمن ، سألت وفقك الله تعالى عن معنى حرف « لو » وكيف يخرج قول عمر رضي الله عنه « نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يعصه » على معناها المعروف وذكرت ان الناس يضطربون في ذلك واقتضيت الجواب اقتضاءً أوجب أن اكتب في ذلك ما حضرني الساعة مع بعد عهدي بما يلقي بما قاله الناس في ذلك وانه لا يحضرني الساعة ما اراجعه في ذلك فأقول . اه بحر وفه . ثم ساق الامام السيوطي آخر الجواب الى نهايته ، وافر المترجم على ترجمته ، فن ردتاه فارجع الى الاشباه والنظائر ، فان فيه جلاء الابصار والبصائر ، (*

وكتب الحافظ ابن سيد الناس : ألفتيه ممن ادرك العلوم حظاً ، وكاد يستوعب

(*) وفي هامش الكتاب عند هذه العلامة مانصه : وكذا المذوق ابن هشام في شرح الشذوذ نقل عنه بعض الاقوال : لنحوية معبرا عنه بالامام العلامة وكذا غيرها ممن سلت له الامامة

(المناج ١٢م) ابن تيمية . ترجمة ابن الوردي له . وصفه للواسطي ٥١

السنن والآثار حفظاً ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، وان اقبى في الفقه فهو مدرك غايته ، او بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، او حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته ولأرفع من درايته ، برز في كل علم على أبناء جنسه ، ولا ورات عيني مثل نفسه ،

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه : وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعليهم وطبقاتهم ومعرفة فنون الحديث مع حفظه لثبوتها الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المتشعب في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله تعالى . غير انه يعترف فيه من بحر وغيره من الائمة يعرفون من السواقي . وأما التفسير فسلم اليه . وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير له من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة نحو ما اربعة كراريس . وله التأليف العظيمة في كثير من العلوم وما يبعد ان تصانيفه تبلغ خمس مئة مجلد . وله الباع الطويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل ان يكلم في مسألة الا لا يذكر فيها مذاهب الاربعة . وقد خالف الاربعة في مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة . وبقي سنين يقضي بما قام (عليه) الدليل عنده . ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية . وكان دائم الاتبها لكثير الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش ، له اوراد واذا كار يديها لا يدها ولا يجاوي ، محبوبا عند العلماء والصلحاء والامراء والتجار والبراء . وصار بينه وبين معاصرة وقعات مصرية وشامية لبعض مسائل اقبى فيها بما قامت عنده الادلة الشرعية : واجتمع بالسلطان محمود غازان السكك المختار وتكلم معه بكلام خشن ولم يبهه ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ، ودعاه منصف اكثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه اه ملخصا واطال في ترجمته

وقال العلامة الشيخ عماد الدين الواسطي في حقه بعد ثناء طويل جميل المنطق : « فوالله ثم والله لم ير تحت اديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علما وعملا وحالا وخلقا واتباعا وكرما وحلما وقياما في حق الله تعالى عند انتهائك حرمانه . اصدق الناس عقدا واصحهم علما وعزما وانفذهم واعلامهم في انتصار الحق وقيامه همة ، واسخا هم كفا

وأكلهم اتباعا لنبية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وافعاله الا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة . اهـ

وقل في الشذرات عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وقد سئل عن الشيخ ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته ؟ قال « رأيت رجلا سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء » . فقبل له فلم لا تتناظران ؟ قال « لانه يحب الكلام وأحب السكوت »

وقال ابن مفلح في طبقاته : كتب العلامة تقي الدين السبكي الى الحافظ الذهبي في امر الشيخ تقي الدين بن تيمية ما نصه : « فالملوك يتحقق قدره وزخاره بحره وتوسعته في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وأنه بلغ في ذلك كل المبالغ الذي يتجاوز الوصف . والملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي اكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله تعالى له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالماخذ الا وفي وغرابة مثله في هذا الزمان بل في أزمان » اهـ

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته المطبوعة : ان الفتنة لما ثارت على الشيخ ابن تيمية من جهة بعض كلماته تعصب له القاضي الحنفي ونصره وسكت القاضي الشافعي ولم يكن له ولا عليه . وكان من اعظم القائلين عليه الشيخ نصر بن المنجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن عربي فكتب يعاتبه على ذلك فما أعجبه لكونه بالغ في الخط على ابن عربي وتكفيره فصار هو يحيط على ابن تيمية ويغري (به) ببيرس الجاشنكير وكان يبيرس يفرط في محبة ويعظمه . وانفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين بن الحريري اتصم للشيخ ابن تيمية وكتب في حقه محضرا بانثناء عليه بالعلم والفهم وكتب به في خطه ثلاثة عشر سطرا من جملتها « يازه منذ ثلاث مئة ما رآني الناس مثله » اهـ

وتقرن الامام العسقلاني ايضا عن الحافظ الذهبي انه قال حضر عند شيخنا ابو

حيان المفسر فقال ما رأيت عيناى مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر انه نظمها
بدنية وانشدته إياها وهي :

لما أتانا بقي الدين لاح لنا	داع الى الله فرد ماله وزر
على عيائه من سبى الألى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حبر نسر بل منه دهره حبرا	بحر تقاذف من امواجه اللدر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم اذ مضت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره اندرست	واخذ الشر اذ طارت له شرر
يامن يتحدث عن علم الكتاب أصح	هذا الامام الذي قد كان ينتظر

يشير بهذا الى انه المجدد . وقد صرح بذلك ايضا العماد الواسطي . ثم دار
بينهما كلام مجرى ذكر سيويه فأغلق الشيخ ابن تيمية القول في سيويه فأنظره ابو
حيان بسببه ثم عاد ذاتاً له وصير ذلك ذنباً لا يفر (ويقال) إن ابن تيمية قال له :
ما كان سيويه نبي النحو ولا معصوما بل اخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ما
تفهمها انت . فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء
وكذا في مختصره التهرام

وقد ترجمته علماء المذاهب المعاصرون له وغيرهم بتراجم مفصلة واثنوا عليه
بالثناء الحسن وذكروا له كرامات عديدة ومواظبة على الطاعات والعبادات وتجنباً
عن البدع وشدة اتباعه للسنة وطريق السلف الصالح وانه لم يتزوج حتى مات
وكان ابيض اللون اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة اذنيه
عيناه لسانان ناهقان ، ربة من الرجال بعيد ما بين المنكين جهوري الصوت .
وقد ذكر نبذة من اختياراته العلامة ابن رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمس وتسعين
في طبقاته ، وفصل ايضا سيرته واحواله والثناء عليه

وقد توفي سنة سبع مئة وثمان وعشرين سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعدة
الحرام في السجن ! فأخرج الى جامع دمشق فصولوا عليه فكان يوماً مشهوداً لم يهد
بدمشق مثله ، وبكى الناس بكاء شديداً وتبركوا بما غسله واشتد الزحام على نعشه
ودفن بمقابر الصوفية بعد ان صلوا عليه مراراً . وحزر من حضر جنازته بمئتي الف

ومن النساء بخمسة عشر الفا وختمت له خيمات كثيرة ورثي بقصائد بليغة
(المنازع) بعد ان اورد المؤلف هنا مرثية الشيخ عمر ابن الوردى احدى تلك
المرثيات التي يشنع فيها على من آذوه وحسوه قال :

(قلت) وما زال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يثبتون في الله تعالى ويصبرون
وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون وأهل الخير في الامم السابقة يقتلون ويحرقون
وينشر اعداهم بالمشاور وهو ثابت على دينه ولولا كراهة التطويل لذكرت من ذلك
ما يطول : وقد سمّ ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسمّ الحسن وقتل الحسين وابن
الزبير وصلب حبيب ابن عدي . وقتل الحجاج عبد الرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن
جبير وغيرهما . وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد
الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربع مئة سوط ثم قتله ، وسعيد بن المسيب ضربه
عبد الملك بن مروان مئة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شاتٍ وألبس جبة
صوف ، وحبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مئة
سوط وذلك انه حدث عن النبي صل الله عليه وسلم انه قال « اذا بلغ بنو ابي العاص
ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا » فكان عمر اذا قيل « أبشر »
قال « كيف بخبيب على الطريق » وابو عمرو ابن العلاء ضربه بنو أمية خمس مئة
سوط ، والامام موسى الكاظم سجنه هارون حتى مات ، والامام ابو حنيفة توفي في
السجن بعد أن ضرب وقيل او جر سماً ، والامام مالك بن أنس ضربه المنصور
ايضا سبعين سوطا في يمين المكره وكان مالك يقول لا يلزمه اليمن . والامام احمد
امتنح وسجن وضرب في أيام بني العباس ، والشيخ ابن تيمية في هولا الأئمة
أسوة . ولو اردنا استقصاء ما ذكره معاصروه من التناء عليه وبيان سيرته ومفضل
أحواله لافضى بنا إلى الطول ، والقلم - لا مللت - ملول ، ويكفي من القلادة ما
احاط بالجيد .

(المنازع) وعقد بعد هذا فصلا في تبرئة الشيخ مما نسب اليه، وثاء المحققين
المتأخرين عليه . فنقل عن صوفي الفقهاء وفتية الصوفية الشيخ ابراهيم الكوراني المدني
الشافعي وعن علامة العراق الشيخ علي السويدي البغدادي الشافعي ، وعن والده

السيد محمد الأكمسي المقي ، وعن عالم بلد الله الحرام الملا علي الهروي ، وعن أمير العلماء وعالم الأمراء أبي الطيب حسن صديق خان الحسيني البخاري . ثم عقد فصولاً أخرى ذكر فيها كل ما قاله العلامة ابن حجر الهيتمي وبين الحق فيه فليراجعه من شاء . فمن أشبهه في مسألة معينة من المسائل التي انتقدت على ابن تيمية ولم يتمكن من مراجعتها في كتاب جلاء العينين أو راجعها وبقي في نفسه شبهة منها فله ان يسألنا عنها إن أحب . وانا كنا نعتقد ان ابن تيمية وصل الى درجة الاجتهاد المطلق قبل ان نطلع على قول العلماء في ذلك بل نعتقد انه لا نظير له في علماء الاسلام قط الا تلميذه ووارث علومه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ونفع المسلمين بعلومهما

الحجاز بعد الدستور (*)

بعث الدستور بعد ان قبر ، وبذلك كذب الله اعداء الاسلام الزاعمين ان الشورى غير ملائمة لروح الاسلام ، فهل سبق ان رأوا أمة قد أكل عليها الاستبداد وشرب زمنا طويلا ، فساهي الا عشية أوضاعها حتى استحات الصبياء فاصبح افرادها بحمد الله اخوانا ، لا فضل لاحمر على اسود إلا بقوى الله ، قدألف الله بين قلوبهم ، لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم

كذب الله قيام الدستور زعم اولئك كما ايد به قول القائلين بسداد نيه مولانا السلطان وفائق حكمته ووافر عقله وقوة ادراكه زاده الله توفيقا اذ لم يكن من احد من قادة الامم ما كان منه فله الشكر والدعاء اذ صان كيان الامه ودماها وأموالها وشرفها فالمملكة مدينة له بما فعل

وقد شرق الاعداء بما رأوا من اتحاد عناصر المملكة ، ولم يرق في اعينهم فقاموا بما قاموا به ، إذ جاوزكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وابدت ظبايها الناهية ، ومانحني صدورهم اكبر . قل موتوا بغيظكم .

(*) لأحد فضلاء المسلمين في ستغافوره (س . س . ي)

ولكن قل لي ابن هم اصدقاء الاسلام ؟ اين ما قاموا به ؟ اين مواساتهم في هذه الازمة ؟ اين من مد لنا يده في طور انتقالنا الخفيف ؟ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟!

شاهت الوجوه ، وقبح اللع ومن يرجوه ، نعم قد سمعنا عن الانكليز جمعة ولم نرططنا ، فشكرا لهم على ذلك ان لم يك استدرجا ومكرا ، ولقد كانت نعمة الدستور عامة على كل الممالك العثمانية ، وكان حظ الحجاز منها غير قليل ، لولم يكن غير تطهيره من ذلك الطاغية وبالسته فكيف وغير ذلك كثير ؟ ولكن الحجاز لكونه اول ولاية عثمانية ، وهو قبلة المسلمين كلهم ومحل نسكهم ، ولطول عهده بالخراب والدمار والاستبداد يحتاج الى اكثر مما صار ، وهو أحق بلاد الله بالاصلاح والمصلحين ، واصلاحه يفيد الدولة فائدة عظيمة وهو اوجب عليها من اصلاح غيره بحكم الشرع والعقل . ولست احتاج الى إقامة الدليل الشرعي لبداهته ولكنني اشير الى العقلي السياسي : وذلك ان الحجاز هو المكان الذي تنحصر فيه وفود المسلمين وجلهم في هذه المصور محكوم بالاجانب ، وقل من يقصد منهم من بلاد المسلمين غير الحجاز ، فاذا لقوا فيه اصناف الشقاء وانواع التماسه مع ما يعلمون له من المكانة الدينية والسياسية وكونه النموذج المروض لو فود كل الامم ، وكون السلطان حفظه الله ينعت كل جمعة على كل منبر في الدنيا افتخارا بخادم الحرمين الشريفين وحاميها ، فاذا كانت حاله كما هي الآن فكيف يكون الحكم على باقي المملكة وعلى ساستها ؟

لو قلت لا يجد اعداء الدولة معولا يهدمون به نفوذها في المسلمين ، وصابونا يغسلون به جباه من قلوب الامة ، وحجة يقيمونها للام على ان الترك اعداء الانسانية والاسلام والعرب خصوصا - اكبر وأوضح من الحال التي كان بها الحجاز وترجو ان لا يعود الى ما يقاربها - لو قلت هذا لم ينفذ قولي عاقل عالم منصف إن الاصلاحات التي يجب إجراؤها في الحجاز كثيرة جدا ولتدع ما كان منها فنيا او قانونيا لمن هو أقرب عهدا منايها واوسع اطلاعا منا ، ولكننا نلتمس إلى شيء قليل مما لا يجوز السكوت عنه :

إن الحرم الشريف وهو المسجد الوحيد المشترك بين أكثر من ثلاث مئة وأربعين مليوناً من البشر على حال يتأفف منها العقلاء، قد أحاطت به بيوت يسمونها المدارس يسكنها الوف من الناس وكلها فيها كنف (مراحيض) ذات بلايم في الأرض تخفزن بها الاقذار، فاذاسالت السيول امتلاً الحرم بتلك التجاسات وبقي عفناً عدة أسابيع وقد تكرر وقوع ذلك . واذا نزلت الامطار تشربتها الأرض فيتصاعد حيثئذ منها بخار ممتلئ من كل ارض المسجد، فلا يقدر احد أن يضع جبهته للسجود الا كما تفافسه كأنه واضع افه على ثقب كنيف مسدود، ولو كان نحن سجدته شبرا 11 هذا امر عرفته بنفسى ويعرفه كل من اقام هناك، مع ان تلك المدارس (البيوت) واجب ازالها اذ هي قائمة على ارض لا يجوز تملكها البتة ولكن اقامها الجور ودعمتها الرشوة ! ثم ان المياه التي تشربها الأرض تنحدر الى المنخفضات ، ولا ريب بأنه يصيب بئر زمزم حظ من تلك التجاسات السائلة ، فلذلك صار ملوئها كثير الديدان والجراثيم الضارة ! فاذا كنا لا قوم بتطهير ما يقارب تلك البئر المقدسة ولا نبعد عنها السوائل النجسة القذرة السامة ولا نعيد الحرم كما كان في العصور الصالحة كامل النظافة اذ كانت مواضع الاقذار بعيدة عنه وعلى ظهر الأرض - فأى حجة لنا على الاجانب اذا حكموا باراقه ما تزوده الحاج من ذلك الماء المبارك كما تراق المستفدرات ! ومنعوا إدخاله الى بلادهم حرصاً على حفظ الصحة !!!

إننا لو قمنا بالنظافة المطلوبة التي هي من الايمان ، وطهرنا ما جاور البيت من الانجاس والادران ، لكان لنا من ماء زمزم المبارك مورد عظيم ، ولوجدنا مئات الشهادات من نفوس الاطباء فيما له من الخواص العجيبة الحسية فضلاً عن الخواص المعنوية ، واذ ذاك يمكننا ان نبني منه في اقطار العالم ملايين من القوارير ففى ترى تلك الاراضي المقتضية من المسجد الحرام ومن حواشى المسعى قد أعيدت ؟ ولو ارادت الحكومة ان تبذل لاصحابها الظالمين بدل تلك البنائات الغير محترمة فانها تجد من كرام المسلمين تلبية تسرها يذل الاموال حباً في تطهير الحرم الطاهر من آثار الاستبداد والجور

ثم انه لا بد من ائارة الحرم الشريف بالنور الكهربائي لوفور ضوئه وحسنه وبهائه، وبذلك يتوفر أكثر من نصف ما يصرف الآن عبثا للامراج بتلك القناديل الوسخة التي لا يتجاوز نيرها زجاجها ! ويستغنى عن جيوش السراجين . وبمكتم استخدام تلك الاكلات نهارا في جلب الماء من زمزم واجرائه في مواسير الى خارج المسجد فيسلم من بلل قرب السقائين المحرقة ونحو ذلك

ولا غناء عن هدم مقامات الائمة لأنها مبتدعة فيكتفى بامام واحد يرضي فضله وعلمه ودينه، ولينزه البيت وصحنه من خدمة الاغوات الذين هم تركة المصور المظلمة الظالمة وخدمة الجبابرة من الملوك الذين لجلهم بالدين أجوا ان يجعلوا خدمة الكعبة وحجرة النبي (ص) من جنس ما يستخدمون في بيوتهم ! وهيات هيات، ويمكن ان يوظف بدلهم نحو ثلث عدهم من الأخيار الاقياء الحسني السيرة المعروفين لدى العدول، ولا شك بأنه يكفي لمن ذكرنا قليل مما يذهب ضياعا مع أولئك الاغوات .

اتني كنت في بعض جهات أوروبا فزعم بعضهم ان الخصاء مما يأمر به الاسلام ! وانه من الحنم عند المسلمين ان لا يخدم السلطان ولا يعمل في الكعبة ولا يتولى سدانة الحجرة المنيفة الا لخصيان ! وقد أفدت محمدي بتحريم الشريعة المحمدية للخصاء وبرائتها من تلك البربرية فلم يقتنع، ولم تكن له حجة الا هذه النقطة المحزنة المسيئة سمعة الاسلام، ولعمر الحق ان التغالي في اثمانهم لما يفري التخاسين الطاعين قالوا يجب حسم الداء من أصله

وأرى ان يمنع من رمي الجبوب للحام حتى تضطر الى مفارقة الحرم بمحدوده وهناك تقنص، فقد جلبت كثرتها أذية للسلمين وتنجيسا وتوسيخا للمسجد، ونشأ عن ذرقها الكثير أمراض ضارة، ولكثرة الحام يسهل اقتناصه على الهررة فتأكل بعضه وتدع البعض يتعفن فتنبعث منه أمراض كثيرة الى نحو ذلك

ومن الواجب طرد الكلاب من الحرم كله ثم تسميها بعد ذلك، فلقد صح أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتلها إلا ما استثنى، والموجود بمكة جله من المرضى

المجرحة فيقع عليها الذباب الكثير ينقل عنها مواد التقيح لجملة امراض الى بني
الانسان صغارا وكبارا

ويمكن ان يصرف لطلبة العلم الشريف جميع ما يصرف الآن على الحمام
والكلاب فان ذلك خير وأبقى

ونحن نرغب الى مشايخنا الأجلاء ان لا يحملونا مضغة في الافواه وهزوا
لدى العقلاء، وان لا يلصقوا بديننا النقي ما برأه الله منه من النقائص والفساف
وعلى الله الاعتماد وحده

هذه أمور نلفت اليها انظار رجال الدولة واعضاء مجلسي الأمة والشورى ومولانا
الشريف الحسين وصاحب الدولة والي الحجاز كاظم باشا ليعملوا ما يرونه أقرب للتقوى

أنا لله واليه المرجع

العام الهجري الجديد (*)

﴿ سنة ١٣٢٧ ﴾

اطل على الاكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم في صورة زاد حسنها على الدهر حسنا انها تتكرر
فبشرهم من وجهه وحيته وغرته والتاخرين مبشر
واذ كرم يوما اغر محجلا به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داع الى الهدى يحف به من قوة الله عسك
بماشيه جبريل وتسعي وراه ملائكة ترعى خطاه وتخفر

« احتفل المصريون بدخول العام الهجري الجديد، وقررت الحكومة جعل أول
يوم منه عيداً رسمياً تقبل فيه دواوينها وتمطل اعمالها، ولقد نظم الشعراء القصائد في
ذلك، فأقرنا ان نثبت منها هذه القصيدة

يسراهر برهان من الله ساطع هدى ويمناه الكتاب المطهر
فكان على ابواب مكة ركة وفي يثرب اناره تنفجر

مضى العام ميمون الشهور مباركا تعدد آثار له وتسطر
مضى غير مذموم فان يدكروا له هتات قطع الدهر يصفر ويكدر
وإن قيل أودى بالآلوف اجابهم بحجب لقد احيا الملايين فانظروا
اذا قيس احسان امرئ باساءة فاربن عليها فالاساءة تغفر
ففيه افاق التأمن وقد أتت عليهم كاهل الكهف في النوم اعصر
وفي عالم الاسلام في كل بقعة له اثر باقٍ وذكر معطر
سلوا الترك عما ادركوا فيه من منى وما بدلوا في المنسرفين وعبروا
وان لم يقيم الا (نيازي) و(أنور) فقد ملأ الدنيا نيازي وانور
تواصوا بصبر ثم سلوا من الحجب سيوفا وجذثوا جذمهم وتذبروا
فسادوا وشادوا لللال منازل على هامها سعد الكواكب ينثر
نجلى بها عبد الحميد بوجهه على شعبه والشاه خزين ينظر
سلام على عبد الحميد وجيشه وامتة ماقام في الشرق منبر

سلوا الفرس عن ذكرى اياديه عندهم قد كان فيه الفرس عيافا بصروا
جلا لهم وجه الحياة فشاقهم فباتوا على اربابها وتجمهروا
ينادون: أن مني علينا بنظرة واحبي قلوبا أوشكت تنفطر
كلانا مشوق والسبيل معمد الى الوصل لولا ذلك المتشمر
اطلني علينا لأتحافى فانا بسرك أوفى منه حولا واقدر
سلام عليكم امة الفرس انكم خليقون ان تحبوا كراما وتفخروا
ولا اقرئ الشاه السلام فانه يريق دماء المصلحين ويهدر

وفيه هوى عبدالعزيز وعرشه واخني عليه الدهر والامر مدبر

ولا عجب إن ثل عرش ملك قوائمه عود ودف ومزهر
فألقى إلى عبد الحفيظ بتاجه ومراً على دراجة يتعزرا
وقام بأمر المسلمين موفق على عهده مُرّاكش تتحضر

وفي دولة الافغان كانت شهوره وإيامه بالسعد واليمن تزه
أقام بها والعود ريات أخضر وفارقها والعود فينان مشر
وعودها بالله من شرطامع إذا ما رمى (أدورد) أورايش قيصر

وفيه نمت في الهند للعلم نهضة أرى تحتها سرا خفاً سيظهرا
فتجري إلى العلياء والمجد شوطها ويخصب فيها كل جذب وينضرا
وفيه بدت في أفق «جاوة» لمعة أضأت لأهلها السبيل فبكروا
وبالته أولى الجزائر منة تفك بها تلك القيود وتكسر
وفي تونس الخضراء يالته بنى له أرا في لوحة الدهر بذكر

وفيه سرت في مصر روح جديدة وفيه سرت في مصر روح جديدة
خبت زمناً حتى توهمت أنها خبت زمناً حتى توهمت أنها
تصدى فأورها وهيأت أن يرى تصدى فأورها وهيأت أن يرى
مضى زمن التوهم يا نيل وانفتى مضى زمن التوهم يا نيل وانفتى
وقد كان «مورفين» الدماء مخدرا وقد كان «مورفين» الدماء مخدرا
شعرنا بحاجة الحياة فإن بات شعرنا وحسنا بات نفوسنا
إذا نل الحاجة نل إذا نل الحاجة نل
رجال العسل نل الحاجة رجال العسل نل الحاجة
رجال العسل نل الحاجة رجال العسل نل الحاجة

مباركة من غيرة تسمر مباركة من غيرة تسمر
تجافت عن الأبراء لولا كرومر تجافت عن الأبراء لولا كرومر
سبيلا إلى الخادها وهي تزفر سبيلا إلى الخادها وهي تزفر
ففي مصر أيقاظ على مصر تسمر ففي مصر أيقاظ على مصر تسمر
فأصبح في أعصابنا يتخدر فأصبح في أعصابنا يتخدر
عن أمتنا عن نيلها كيف نعذر عن أمتنا عن نيلها كيف نعذر
من العيش إلا في ذرى العز تسخر من العيش إلا في ذرى العز تسخر
أن الموت قهار ولا متعبر أن الموت قهار ولا متعبر
أن قادة النيل وشعب يعمر أن قادة النيل وشعب يعمر
ألى مصلح يدعو وداع يذكر ألى مصلح يدعو وداع يذكر
ألى حكمة نيل وكف نحر ألى حكمة نيل وكف نحر

رجال الغد المأمول انا بحاجة
رجال الغد المأمول انا بحاجة
رجال الغد المأمول لا تركوا غدا
رجال الغد المأمول ان بلادكم
عليكم حقوق البلاد أجلها
قصارى منى أوطانكم ان ترى لكم
فصكونوا رجالا عاملين أعزة
ويطالبي الدستور لا نسكنوا ولا
اعدوا له صدر المكاتب فاتي
ولا تنطقوا الا صواباً فاتي
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله
قد غفر الأتراك عدلاً بسوءهم
هم لم العام القديم مقدر
تقوا بالامير القائم اليوم انه
فلا زال محروس الأريكة جالساً
الى عالم يدري وعلم يقر
اليكم فسدوا القمص فينا وشعروا
بمر مرور الأتس والعيش أغبر
تناشدكم بالله ان تذكروا
تعهد روض العلم فالروض مقدر
يدا تبني مجدا ورأساً يفكر
وصونوا حتى أوطانكم وتحرروا
تيتوا على يأس ولا تنصجروا
أراه على أبوابكم يتخطر
أخاف عليكم ان يقال تهوروا
وما ناله في العالمين مقصر
ونحن على الآثار لا شك نلفظ
ونحن لنا العام الجديد مقدر
بكم وبما ترجون أدرى وأخبر
على عرش وادي النيل ينهي ويأمر
محمد حافظ ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة السلطان (*)

﴿ في ضيافته للمبعوثين ﴾

أيها المبعوثون الافندية

لاني اصبحت في الحقيقة ممنونا جدا لتأولي الطعام هذه الليلة مع سائر وكلاء أممي العثمانية ورعيتي الشاهانية فكأنني مع جميع افراد أممي العزيزة !! زاحضرة الحق تعالى عددها وسعادة حالها . ان هذه الليلة مباركة وسعيدة وأظن أنها اول ليلة من نوعها في تاريخ دولتنا العلية ولذلك فاني ابارك عليها وأسأل الله ان يشرفنا جميعا بدوام وقوع أمثالها . ان هذا الاجتماع المسعود هو مبدأ دليل الآثار الفياضة التي منحها القانون الاساسي لدولتنا وامتنا ووطننا والتي سيمناها في المستقبل الى ماشاء الله تعالى . فهو اذا جدير بالتبجيل

ايها المبعوثون الافندية

كونوا على علم بأن الله هو حامي حقوق السلطنة والمملكة والدولة أولا ، ثم الامة ومجلس نوابها لذلك كانت وظيفتكم هامة ومقدسة ، وغاية مطالوبي ان تجعلوا سعيكم وغيرتكم وقصدكم وبنيتكم بنسبة تلك المكانة الهامة وهذه القدسية . واني اؤكدهم بأني نصبت نفسي بعناية الكرم للمحافظة على أحكام القانون الاساسي الضامن والكافل

(*) ادب السلطان للمبعوثين مادية حضرها معظم المبعوثين ، وتختلف فريق منهم عن حضورها ، وكانت أعدت خطبة سلطانية للترحيب بالمبعوثين لازالة ذلك الاثر السي الذي علق بأذهانهم من خطابه في افتتاح مجلسهم (راجع من

لهذه الحقوق المقدسة . واؤكد لكم بأنه اذا وجد من يخالفه فأني سأكون أول خصمه
وأول عدوه أيا كان بصفتي خليفتم وسلطانكم
نضرم إلى الله تعالى أن يكون معينا وظهرنا لنا في سعيينا وغبرتنا في سبيل دولتنا
وأمتا وسلامة وطننا المقدس (١)



جواب رئيس مجلس المبعوثان عن خطبة السلطان

إن التاريخ الذي ينقل الوقائع الماضية للخلف لم يسجل إلى الآن في حياتنا
السياسية يوما عظيماً بهذا المقدار . إن السلطان والامة اللذين كان يتحسر أحدهما
على رؤية الآخر من زمن طويل يأكلان اليوم على مائدة واحدة ويشربان من
إناء واحد . ولم يعرف مثل هذا الائتلاف والاتحاد الا في عصر السعادة (٢)
مرت ثلاثة عشر قرناً والشرق محروم من رؤية السلطان مع الامة وجودا واحدا .
إن العرب قد أظهروا للوجود مدنية عظيمة وكذلك العثمانيون سيكونون متمدنين
قلبا وقالبا مع سلطانهم ، وبذلك يكونون موفقين لأعلاء شأن الوطن والتوفر على
حفظه وصيائه ويكسبون موقعا ممتازا في عالم المدنية . ونواب الامة يرضون لذاتكم
السلطانية تعظيمهم واحترامهم لقاء ما نالوه في هذه الليلة من حلاتكم من الاعزاز والالتفات

(١) بعد ان اتم جواد بك رئيس كتاب المايين هذه الخطبة التفت السلطان
إلى احمد بك رضا رئيس المبعوثين قائلا « انني لا اذكر دقيقة واحدة من عمري
كنت سعيدا فيها بهذا المقدار »

(٢) يريد بذلك عصر النوبة وزمن الخفاء الراشدين الذي كان الخليفة فيه
لاميزة له على أحد من أفراد الامة . ذلك العصر الذي كان يجراً فيه رجل من
آحاد اليهود أن يمد يده إلى النبي صلى الله عليه وسلم ممسكا بثوبه مخاطباياه بقوله:
انكم يا بني عبد المطلب قوم مطول ! انه لعصر جدير بأن يسمى عصر السعادة

نهضة الأزهريين

صير على المفكر أن يحبط علما بكل ما يقع تحت نظره ، وعزى عليه أن يجهل اسباب أمر واقع ، ولهذا كان الفكر كثير الدأب والتجوال ، لا يقر له قرار حتى يكون له إدراك صحيح لما يرى ويشاهد ، واذا ذلك يرى أنه اذا حكم على شيء كان ذلك الحكم مدعماً بالاستقراء ، ناتجاً عن مقدمات لا تنتج غيره .

ان فيما يتفق عليه جمهور المفكرين كثيراً مما يكون موضعاً للشبهة ، وللأفكار فيه مسارح ومذاهب ، لطموس معاملة وخفاء كنهه ، ولذلك لم يتحقق الإجماع على ما لا يد من البديهيات الا فيما ندر وقل ، وان مما اتفق عليه العلماء استحالة وقوف حملٍ ما عند حد محدود ، لا يتنزل الى هبوط ولا يتوقل الى صعود ،

لا يبعد ان يذهب قصار النظر الى إمكان ذلك ، واتي لا اوجه كلاماً الى هؤلاء ، بل اخطب به أرباب العقل ، وأربابهم أولئك الذين لا يهملون أمراً الفكر ، بل يستعملونه فيما خلق له ، ولكل وجهة ومنحى

تأمل في أي عمل من الاعمال تأمل نافذ البصر فاقب البصيرة ، ثم اوجع الى نفسك ، وأنا ضمين بأنك تفهم إما بترقيه واما بتدليه ولا وسط بينهما

كل هذا مما أثبتته المشاهدات ، واستفاضت بتفصيله النظريات ، حتى بات من المقررات ، التي لا راع فيها بين من يعقل ويفكر ، ولذلك كان في حال الأزهر وبقائه في قطعة محدودة لا يتجاوزها قيد شبر لمن ينظر اليه بادي الرأي حيرة للعقول ومضلة للاقدام .

افرح ذلك الماقل الحكيم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده محمد في سبيل اصلاح الأزهر وقضى دأباً على ذلك سنين لو أمضاها في التأليف والكتابة للملائخ لكانت حكمة وعرفانا صاحبالأزهريين صيحة صمت منها آذان وتفتحت بصائر ، فأصاخ قوم لقوله ،

وثار آخرون يبرزونه بالقلب ، ويمرقلون مساعيه العظيمة ، فريق منهم عانده عن غي وجمل ، وآخرون كانوا يمتنون ويوعدون ، وكثيرون منهم حملوا على ذلك وهم

كارهون!! ولكن الامام كان في أول الامر موهبدا من الامير فلم تؤثر في عمله صيحاتهم ، ولم تصدف به عن سعيه سعائاتهم ، فأسس للأزهر مجلس ادارة على نمط ديمقراطي لا يدع لكبير نفوذ فيه ، ولا لامير سلطة عليه ، ونفخ روح الاستقلال في رجاله ، بما كان يريهم من جلائل اعماله ، وجلس من الطلاب مجلس مفيض الحكمة على العقول ، ومر بي الاخلاق والنفوس

لم تكن العقبات والعوائير الأولى صادرة له عما انتدب له وصمم عليه ، بل كان لا يأبه لها . - وذلك شأن أرباب النفوس الكبيرة - الى ان ظهرت له بشكل جديد ، يمدحها نفوذ قوي ، ويؤيدها مقام علي ، فتكر لها كما تنكرت له ، وواثبها حينما كما واثبته ، حتى كانت تلك الوقفة المشهورة للامير ، وفيها نطق بما كان اكته ، واظهر ما اخفاه واجته ، قال :

« ولقد كنت اود ان يكون هذا شأن الأزهر والأزهرين دائما ولكن من الاسف رأيت انه وجد فيه من يخطئون الشغب بالعلم ومسائل الشخصيات بالدين ويذكرون لذلك من اسباب القلاقل حتى انه لما بدا شيء من بعض المغاربة المجاورين فيه عند اسكانهم في المحال التي خصصت لهم في الاروقة التي عمرت حديثا على نفقة ديوان الاوقاف كان من اهل الأزهر نفسه من يهددهم بالمساكر ويتوعددهم بالنفي ويستفز نفوسهم بمثل ذلك الليل والقال والاضطراب والمهاج ، الى ان قال :

« وأول شيء اطلبه انا وحكومتي ان يكون الهدوء سائدا في الأزهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشتغل علماءه وطلبه الا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء »

نطق الامير بخطبته تلك ففهم الامام من بواطنها أكثر مما فهم الناس من ظواهرها ، فاستيقن أن العراقيل التي تقف في سبيله إن لم تقدر على زحزحته عن مكانه ، فانها كفيلة بتعطيل عمله واصلاحه ، فخرج من حضرة الأمير والأسف . شتم على نفسه ، ورأى ان الخروج من مكان أراد ان يجعله كعبة للاصلاح ، ثميل يده وين ما يريد - أصبح واجبا محتما ، فاستقال من ادارة الأزهر هو وصديقه العالم الشيخ عبد الكريم سلمان ، ولقد كان تركها الأزهر اضطراب وحزن

شاركت مصرفيه سائر أنحاء العالم الاسلامي ، لان الرجا بالاصلاح الاسلامي كل من
معقوداً بهذين الرجلين الزعيمين به . ثم مضى الامام الى ربه ولسانه يتاليج بقوله :
ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه المهائم

استحوذ اليأس على النفوس من إصلاح الأزهر بعد ذلك ، وحكم الناس بأنه
سيصير طلالادارسا ، لان طريقين يسير الناس فيهما في هذه الدنيا : فإما فناء وإما
ارتقاء ، ولا ثالث لهما ، ولا وسط بينهما كما مر من قبل ، وجميع الكثيرون على ان
الأزهر سائر في الطريق الأولى ، وصادف عن الأخرى ، وكان أناس في حيرة
من أمر الأزهر ، فأنين انه واقف ساكن لا يسير الى تدل ولا إلى رقي ١١ وهذا
هو الحال بهينه . وقد كان الاستاذ الامام يقول : يستحيل ان يبقى الأزهر في هذا
المصر على ما هو عليه فان لم يصبر ويرتق فلا بد أن يخرب ويزلزل

رأى الأمير بعد ذلك ان يصرف عنايته في سبيل إصلاح الأزهر ، وتغير رأيه في حفظ
الحكومة منه ، وادخل العلوم الجديدة عليه ، حتى أصبح يراها من القروض المحتمة ، فألف له
مجلسا على اياه ورئيسه في بعض الاحيان ، قرر المجلس وضع نظام جديد للأزهر ، ودأب
اعضاؤه بمجموعون نظمات المدارس الاميرية وما كان وضعه المرحوم الاستاذ الامام ،
وتخلصوا من كل ذلك نظاما جديدا وضعوه ليسير عليه الأزهر ، فكان من عبء به الكثيرة
ان الاساتذة أنفسهم لا يستطيعون السير عليه ، قد وضعوا فيه علوما جديدة أوجبوا
على الطلاب ممارستها ، وأكثروا فيه من العلوم والفنون التي يستحيل على طالب لم
يتوفر على تحصيلها من قبل ان يلم بها ، وحتما على من أوشكوا ان ينتهوا من الامتحان
تأدية الامتحان فيها ، مع علمهم بأن هذا من الازهاق الذي لا يستطاع حمله ،
فان الطالب الذي بلغ الثلاثين أو ما فوقها يصبر عليه أن يرجع إلى مدرسة كتب
السنة الأولى وبينه وبين الامتحان سنة أو سنتان ! ! على انه لا يوجد من الاساتذة
من يحسن تدريسا بل لا يوجد من ألم بها أو زاوها !

سألني أستاذ عهد اليه تدريس تاريخ آداب اللغة ماذا أفضل من التواريخ
لأقراؤها ؟ ابن خلدكان أم ابن الأثير ؟ ! ! وجاني أستاذ آخر يداني ، هي
المحاضرات ؟ ! وربما كان السائلون لتبيري أكثر ، على أنهم يسألون عن موضوعات

ليست غريبة عنهم فإياك بعلوم الطبيعة والرياضة ونحوهما ؟
جاء البرنامج الذي وضعه حاويا أكثر من عشرين عاما بين قديم وجديد ،
وأوجبا على طلاب السنة الثانية عشرة ان يجتهدوا فيها فكأنهم بهذا فرضوا عليهم
أن يعودوا الى السنة الأولى ، ووزعوا العلوم على من لا يحفظ حتى أسماءها ، فن
ذلك أنهم فرضوا على ضرير ان يقوم بتعليم الاملاء ، وأرادوا على تدريس الرياضة
من لا يحسن القواعد الأربع ، وهكذا كانت توزيع سائر العلوم على المدرسين
فكانوا كلما توغلوا في تطبيق النظام ازداد التهوريش والاضطراب

وأى الطلاب انهم مسوقون في طريق غير مبدلة ونهيج غير سوي ، فاستيقنوا
أن النهاية ستكون شرا من البداية ، وكان كثيرون منهم ممن حضروا دروس الأستاذ
الامام عرفوا منها ان للانسان أملا في هذه الدنيا يسعى اليه ، وغاية يقصدها بطله وعمله ،
ورأوا أنفسهم انهم ليسوا من ذلك في غير ولا فقير ، فاضطربت أنفسهم وحزنت قلوبهم ،
اطلوا على مستقبل مظلم ، مسبوق بالتكد والارهاق ، ورأوا الأهواء تصرفهم ،
ويؤس العيش يؤذيهم ، فبوا من رقتهم ، واستيقظوا من غفوتهم ، ونهضوا نهضة
من نفخت فيه نسمة من الحياة كانت ساكنة ولا محركا لما فركها حرارة هذا
النظام وبرودة تنفيذه من جهة فصارت ريمحا عاصفا

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاذلال غير الحلي والوتد

من ذا الذي كان يظن ان طلاب الأزهر سيخرجون من الأزهر بقضيم
وقضيبهم وهم بضمة آلاف ليعتلوا للملا ان مام فيه لا يرضى به من كان إنسانا ؟
وان ما أوتوه من النظام الجديد انما هو نتيجة افكار تستطيع ان تحشر الموتلف
والمتخلف معا ، ولكنها لا تحسن النظام بل لا تعرف طرقة ؟

خرج الطلاب من أزهرهم حذرا ما أريدوا عليه ، وابتقاء الوصول الى خير
منه ، فطوفوا في الشوارع ، وذهبوا الى الجزيرة فخطبوا ، وكان مظهرهم من أجل
ما قع عليه العين ، وكان أحسن مام فيه نظامهم وأتاهم ، فقد كانت صفوفهم
متوازية ، وأبصارهم خاشعة ، تأدبا بأدب الدين ، وتخلقاً بأخلاق حملة العلم .

سر الناس بهذا المظهر الجميل أو المظاهرة كما يقول الكتاب ، وارتاحت قلوبهم

إلى الازهرين بعد ان حكموا عليهم بالموت الزوام ، ولكن القيمين عليهم من المدرسين والمتقنين ريموا وعضبوا ، وصوروا الحال للأثير بعكس ماوقع ، فأوهوه ان فريقا أو أفرادا حقيرين « وكلتهم الحقيقة : هلاقت ا » ، قاموا يصخبون ويصيحون ، وأن تأديبهم من السهولة بمكان ، فلم يحفل الأثير بتدائهم ، ولم يستجب لقولهم ، ولكن ظهر بعد ذلك غشهم لانفسهم وللأثير ، ورأوا من اتحاد الازهرين وصدق عزيمتهم أكثر مما عندهم من القسوة والصلف ، وان الامر واقع ماله من دافع ، فلم يزدحم ذلك الا تشددا وعتا ، فظانهم أن الشدة تفرق جمعهم ، وتحل عرى اتحادهم ، فجاءهم رجال الشرطة وركبناها ، فأحاطوا بالازهر من كل جهة ، وسدوا من دون طلابه كل منفذ ، حتى ان فريقا منهم لم يرض بما دون التحرش بقاله وأعماله ، فابن من هذا تهديد المغاربة الذي عده الأمير بدعا ؟ ولكنهم أقوا الطلاب مدرعين بالأناة والصبر ، معتصمين بحبوة التوادة والسكينة ، فاستطاعوا حملهم على ما يكره من مثلهم ، ولا إرادتهم على غير ما أرادوا أنفسهم عليه .

لم تقف الحكومة موقف الحكمة امام حركة الازهرين ، بل وقتت شاخصة يبصرها كن فرض امامه أنواع من الصور المتحركة ا ولم تحفل بمطالب الازهرين الذين اضطربوا عن حضور دروسهم وجاء نيلها ، على انه لم يكن من العسير اجابهم الى بعضها ، ولو انهم اجيبوا لرضوا وشكروا ، وتنازلوا عن المطالب الاخرى واعتدروا طلبوا المساواة بين المعاهد الدينية في حقوق الطلاب ورواتب المدرسين حتى لا يكون راتب المدرس في الازهر مئة قرش وراتب ضريعه في الاسكندرية ثمان مئة قرش كما هي الحال الآن مع ان الازهر رأس المعاهد الدينية . فن ذا الذي لا يقول انهم طلبوا حقا وتمسوا مساواة وعدلا ؟

طلبوا مدرسين من ار باب الكفاءة والاضطلاع ولا سيما الذين بعد اليهم تدريس العلوم الجديدة التي لا يقدر غير الضليع بها على تدريسها ، وان تلقى اليهم على نحو القائها في المدارس النظامية ، وأن ينفذ النظام الذي وضع لهم بالتدريج اتباعا لسنة الارتقاء الطبيعي ، لا أن يدفعوا به في صدورهم مرة واحدة ، ويحملوا على الجري عليه كلمة كلمة ، افليسوا بهذا المطلب محقين ، وبه جديرين ؟

طلبوا أن يكون لحظة الشهادة الابتدائية والثانوية منهم حظ من الاستخدام في المحاكم الشرعية والأوقاف والخطابة والوعظ وغير ذلك من الوظائف الحقبية .
فهل هم بذلك يخفون بما طلبوا ؟

طلبوا أن لا يحمل الطالب الذي يؤدي الامتحان في هذا العام على تأدية الامتحان في العلوم الجديدة التي لم يدرسها ولم يعرف من امرها شيئا ، لأن حمله على اداء الامتحان فيها من الأرهاق والظلم اليين فهل اساءوا وظلموا ؟

طلبوا ان يكون لهم احترام امام ذوي السلطة ، وأن يسمح لهم بالسفر بنصف اجرة في السكك الحديدية ولشيوخهم من دون اجرة مساواة لهم برؤساء الاديان الاخرى ، فهل كانوا بذلك بدعا ، ام اتوا امرا إذا ؟

تلك معظم مطالب الازهرين فأني منصف بل اي مجحف يبيع لنفسه الادعاء بأنهم ليسوا احق بها واهلها ، رأوا أنهم هضموا وظلموا ، واعطى اخوانهم في الاسكندرية فوق ماسألوا ، فطلبوا المساواة بهم . ورأوا أن العلوم وزعت على مدرسين لم يحيطوا بها علما ، بل لم يعرفوا لها حدا ولا رسما ، وقد مر على القارىء ان الإلماء عهد في تدريسه الى اعمى ، والرياضة الى من لا يعرف لها مسمى ، فكيف مع هذا لا يكونون محققين في طلب المدرسين الاكفاء ، والعلماء الفضلاء . رأوا ان الحامل منهم للشهادة الابتدائية اسوأ حظا من حجاب المحاكم ، وغيرهم من مزاوي ما هو دون مهنتهم . فطلبوا ان يكون لمن يحملها نصيب في بعض الوظائف الحقبية ، فهل هم بذلك ظالمون ؟ رأوا انهم ممتنون مزدرون وان واحدهم اذل من قيسي بمحمص ، وان أندادهم واثقلم من ارباب الديانات الاخرى لهم من الاحترام عند رجال الحكومة ومن الميزة في بعض الشؤون ما حلهم على الطلب بأن يعاملوا مثلهم ، فهل يعد هذا من الانتيات ؟ وهنا لك مطالب أخرى ما كان لهم أن يطلبوها وان كانت حقا وعدلا ، كطلب تعيين شيخ الجامع الازهر بالانتخاب وغير ذلك ، وما يكونون طلبوا كل ذلك ليجابوا الى بعضه ، على ان الحكومة تعزأت بهم وسخرت منهم ، فكان ذلك داعية لصدور حكم المجلس العالي للازهر عليهم وهذا هو حكمه بعد ذكر الاسباب :

« قرر المجلس ما يأتي : حرمان طلاب العلم بالجامع الازهر من المرتبات

والجرايات والامتيازات الخائزين عليها بحسب تبعيتهم للأزهر ويمنون من دخوله^{١١} الخ»
جوزي الأزهريون بهذا الحكم لطلبهم تلك المطالب ، وسيحفظه التاريخ الذي
لا ينسى شيئا ، ويكون لمن بعدنا حكم عليه واي حكم !!

لم ارفيا رأيت في هذه البلاد امرا عنت به الامة واضطربت له عيانتها
واضطرابها بأمر الأزهرين ، وليس لهذا من سبب الا الشعور العام بأنهم مضطرون
مضطهدون ، فكان اندفاع الامة في الرغبة الى الحكومة والالتماس من الامير
بمعاملة الأزهرين بالرفق والحسنى ، وإجابتهم الى ما طلبوه بحق وعدل .. كانت
ذلك سببا لتهضة النظر ووجعهم الى الامير ان يصفح عما عده ذنبا للأزهرين ، وقد
كان ذلك وقررا رجاء الأزهر الى قانون سنة ١٣١٤

سكنت نائرة الأزهرين وارتاحت قوسهم الى هذا القرار ، وأفرخ روع الامة
بعد القلق والاضطراب ، ولكن قام فريق من اصحاب الجرائد وكتابها الذين يتكلمون
بغير وجدانهم ، ويكتبون بموترات كاذبة يخفونها لا أنفسهم — يصيحون ويصخبون
متلئين من هذه المغبة ، متبرمين من سوء النتيجة ، ناعين على جرائد أخرى كانت
تشدد أزر الأزهرين لأنها كانت تؤيدهم ذلك التأيد ، وذلك ليوهموا الامة
ان الرجوع الى ذلك القانون خسران ميين !!

للم يكن في الرجوع الى ذلك القانون الاحصر سلطة الأزهر في مجلس ادارته لمد
هذا وحده غنا واي غنم ، على ان نظام القانون القديم الدرامي كان وضعه على نمط
يجعل للطلاب حظا من العلوم الجديدة من دون أن يرهقوا أو يحملوا على ما لا يستطيعون ،
قد كان القانون يخول لمن كان في السنة السادسة الاختيار في الامتحان في العلوم
الجديدة ، فله ان يمتحن فيها اذا شاء ويكون اذ ذاك مقدا على غير الممتحن فيها ، وذا حظ
من الجوائز المالية التي كانت خصصت لمن يبرز فيها . فأين هذا من القانون الجديد
الذي يقضي حتى على من كان في آخر سني الدراسة ان يمتحن في تلك العلوم كلها ؟
ليس من يملك على ما لا استطاع حمله بالقصر كن يسوقك الى صنع المستطاع
المهين بما في وسعهم من أنواع الترغيب والتحييب ، وهذا ما جعل الطلاب يتقنون القانون
القديم بالرغبة والجدل ، وحملهم على النفور من الجديد بالكراهة والسخط ، وذلك

أمر متظر والمثل يقول « ان رمت ان تطاع فسل ما استطاع »
 يقول المتفيعون اللاغظون إن نفور الأزهرين من النظام الجديد دليل على
 جودهم ، وأنا أقول إنه دليل على استقلالهم ونهضتهم ، وحجة أولئك زعمهم ان
 الأزهرين لم يرتضوه لانفسهم لانه يحملهم على ممارسة العلوم الجديدة وهم لا يشاءون
 ان يضربوا بسهم فيها ١١ وسلطاني انهم رفضوه لكونه مشوها مضطربا لا يمكن السير
 عليه ، وقد مر على القارىء الاطلاع الى شيء من مساوئه ، أما العلوم الجديدة فانهم
 عرفوها أيام كان كبارون من واضعي النظام يحاربونها ، ويرمون مزاويلها بالتضليل
 والتكفير . فالرياضة والهندسة والهيئة والميقات وتقويم البلدان والتاريخ — كان يدرسها
 الأزهريون ولكنها كانت تدرس لمن لم يتجاوزوا السنة الرابعة الدراسية ، لا ككافى النظام
 الجديد بإرغام جميع الطلاب عليها ١

الغرض الاول من الأزهر تخريج الاختصاصيين في علوم الشرع ، ومن الضروري
 ان يكون العالم الشرعي ذا إلمام بالعلوم الجديدة لأن الجاهل بها في هذا العصر هو
 والأعمى شرع ، ولكن من الرعونة والبلاهة ان يراد من العالم الشرعي ان يكون إحصائيا
 في الرياضة والطبقة والهندسة وغير ذلك ،

ألا ان الاصلاح الحقيقي لا يكون بزيادة العلوم ووضع القوانين ، وإنما يكون
 بالرجال الكفاء الضليعين الذين يزنون الأشياء بميزانها ويضعون كل شيء في موضعه
 اذا كان لديهم المال الذي يقتضيه ذلك الاصلاح . وإن ينظرنا كثيرا كثيرين من
 هؤلاء وهم من متخرجي الأزهر وموظفي الحكومة ، فاذًا على الحكومة لو عهدت الى
 هؤلاء اصلاح الأزهر — وهم القادرون وحدهم على ذلك — اذا كانت تريد الاصلاح ،
 واحسن ما نتخذه به هذه المقالة الثناء على الشيخ حسونه النواوي الذي ظهر من
 استقلال فكره وكال رجله ماذ كرنا بكلية الاستاذ الامام فيه « انه افضل من يلىق
 لمشيخة الأزهر » بل ماحله على الاستقالة لأنه لم يجب الى مطالب الأزهرين اذ
 سألها ، فكان ضيقنا بكرامته ان تهان ، وبارادته أن تتلاعب بها الاهواء ، وهذا هو
 الرجل الفذا أكثرنا فينا من أمثاله
 حسين وصفي رضا

ندوة العلماء الهندية

• تأسيسها داراً للعلوم •

ان لندوة العلماء في الهند مساعي في خدمة الدين الخفيف جليلة، وسعياً في خير النوع الانساني مبروراً، وقد انجى عزمها الى انشاء مدرسة كبرى للعلوم (جامعة) دعيتها (دار العلوم) واختلفت في أول شهر ذي القعدة الماضي بوضع الحجر الأول من اساسها، وقد قالت في ذلك مجلة البيان التي تصدر في مدينة لكنؤ (الهند):

« عقدت حفلة لندوة العلماء في ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ نوفمبر الفارضي مدينة لكنؤ فامها المسلمون من كل الاصقاع من الامراء والعلماء والوجاء، وكانت الحفلة بهيجة لم ير الناس مثلاً في حسن انتظامها وبلاغه ماألتقي فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف وإعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصام الملى واصلاح ذات الين وتوطيد الاخاء والوثام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم، وتمت الحفلات ولم يحدث فيها مايريب ذوي الالباب أو يشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء.

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صنوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والهنود وكان بين المسلمين اهل السنة وعلاؤهم والشيعة ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفية والاحناف والوهاية والمتفرنجية. وهو أول اجتماع ديني حفل أهل المدن المختلفة كأنما هو طاقة رياحين مختلفة نفعاتها والوانها

ولما حانت الساعة المعينة اتى الوالى السرجون هويت وقرينته فاستقبلهما اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلوسهما لجلسا على كرسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بعد ان تلا اقارؤ آيات من القرآن الحكيم، وقدمت الى الوالى عريضة الحال فأجاب بخطبة مسبهة اثني فيها على الخطبة التي سارت عليها الندوة من رفع الخصام

ونشر المعارف الحديثة مزوجة بعلوم الدين وعضء اعضاء الندوة من خلصي دولته وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر اساس المدرسة »
وهذا نص العريضة التي قدمت الى الوالي نقلناها عن المجلة الخاصة التي تصدرها الندوة باسمها :

مولاي الاكرم : نحن اعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الايالة ونشكركم على اجابتكم دعوتنا لوضع حجر أساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأنها لسان الامة ولا يوجد قدر شبر من الارض الا وفيه انصار الندوة وحماها وقد استبان بهذا ما للدولة من التسامح الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملك الحكومة وعمودها فان الندوة ليست إلا جمعية دينية

مولاي الاكرم : نحن نستدعي من حضرتم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطوائفها التي من احد مظاهرها الجليلة دار علومنا هذه

مولاي الاكرم : ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم نزل فيهم طائفة تلقب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في أمور الدين واحكامه والامة كانت تقفو اثرهم وتتبع هداهم في كل ما يمس بالدين ولو في أمور الدنيا وكانوا النموذج لتقدينا الاسلام ومكارم اخلاقه . والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تقوم به جنسية المسلمين ليست خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الاسرة كما هي للام الأخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل له كل ما كان للمسلمين قاطبة على اختلاف جنسيته وعشيرته ومبذته، ولما لم يكن للمسلمين حزب يختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا يبعدوا عن قصد المحجة . وهذا الامر دعا الى أن نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الأخرى ومن مزية امة الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرمى وغاية - وما في هذه الامة من احترام العلم والخضوع له والتفاني امر لا تشار كفايه امة حتى ان الرؤوس المتزينة بالتيجان كانت تخضع لها كرامة . والحق ان تأخر الامة ما كان إلا بعد ما فقدت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من

المكانة عند القوم وحينئذ حرمت الآفة من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بمحقرات الأمور وبلغ الحال الى أن رفعت الشكاوي الى الحاكم السلطانية فقام حينئذ حزب من العلماء لصد الغلل واقامة معالم الاصلاح وكان من اول مظاهر هذه الجمعية الممعة بالندوة ، انعقدت حفلتها الاولى في كافور سنة ١٨٩٣م وفي سنة ١٨٩٨ م صادقت الحكومة عليها رسيا وبلغت حفلتها اثنتي عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف اهلهم واذواقهم - أمامطالب الندوة فحصر مهماتها في أربعة أمور :

(١) ترقية المدارس النورية واصلاحها (٢) رفع المحاصمات الدينية (٣) اصلاح امور المعاشرة والاخلاق (٤) نشر الاسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية

في بدء الأمر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الامة كافة فوسعت حينئذ مطالبها وكان من أول مساعيها انها اجتهدت في رفع الخصام الحادث في احزاب الامة واصلاح ذات الين وقازت في ذلك الى حد لا يستهان به ، وكذلك سعيها بتخفيض نفقات عوائد الفرح والالام لم يذهب ادراج الرياح ، ثم ان الندوة أقامت دار الاقامة في لكنؤ - ومحللا للايتام في كافور ولكن كان اهم مطالبها امر التعليم ، اصالح ما فسد منه ليكون سبباً لوجود شرذمة تهدي الناس في الأمور الدينية

ومن الين ان التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعترى الامة وحجزها عن سبيل رقيها ونظرا الى ذلك اسست الندوة في سنة ١٨٩٨م مدرسة سميتها بدار العلوم كانت في أول الامر مدرسة ابتدائية ثم تحولت الى كلية في سنة ١٩٠١م وصارت كأنها أساس لجامعة دينية - ولما كان أمر التربية اعظم خطراً من التعليم اسست دار اقامة للطلبة ولكن كان من شؤم الحظ ان الامة لم تقدر مسمى الندوة حق قدره فالفئة القديمة اساعت الظن ان ادخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهماً في الدين ، حتى ألفت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة ، وفوق ذلك ان الناشئة الجديدة ايضا كانت تتقاعد عن الاخذ بناصرنا فانها كانت تحسب ان الندوة تقيد حرية الافكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع احياء العلوم النورية اصلا ومع أن الندوة كانت هدفا لسهام كلتا الطائفتين لم تنزل لها قدم ولزمت محبتها واختارت

لنفسها جادة وسطا فترقت نصابا جديدا رجح فيه جانب الادب والعلوم الدينية، ومع ان دار العلوم لم يعض عليها ربح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على ارتجال الخطب من غير روية وهذا شيء لم يسبق له مثيل! وكان يعدام نادرا في إبان الحكومة الاسلامية ايضا وقد اضفنا الى نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد وكفرا في المدارس القديمة، ومما زاد الطين بلة أنا أدخلنا في نصابنا تعليم اللسان الانكليزي لزوما، فكان من عمرته حرمان الندوة من بعض المساعدات المالية حتى أن بعضا منهم استرجع ارضا كان وقفها على دار العلوم! ولم نأل جهدا في الاستفادة مما لاهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية وخزائنها فتحتوي على أكثر ما كتبه المستشرقون في امثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح أن تكون زينا لكل متحف علمي، وتلاذمتنا لهم مزيد شغف في الاستفادة من تلك الخزانة، ويوجد فيهم من يكتب في مجلة الندوة مقالات علمية يستحق التنويه بها

والآن اردنا أن ننشيء لجنة يكون اعضاؤها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة . وبناء على ما توارثنا من آباءنا لا نأخذ للتعليم اجرة ، ونريد ان نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية . ومن أهم مزايا مدرستنا ان الذين بقوا على الحيازة عن المدارس الدولية لاجل التمسك الديني أو لاجل عدم الثروة لا ينجحون الا الى مثل التعليم الذي اختارته الندوة فانها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجترى، على ان نعرض على مسامعكم ان دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها اربت على امثالها من كلا النوعين بنوع خاص ، فانهم ابدؤا عن التشغف وبراء من الفخفة الفاسدة . ومع ان مدرستنا لا تهدر على احداث طائفة يصلحون للتوظيف في اعمال الدولة ولكن نحن على ثقة ان مدرستنا تنشيء رجالا يقدرون على اطفاء الثورات الحالية التي تريد احياء سيطرة الخلق والمخلوق معا - رجالا يكون من شيمتهم الاستكانة للاكابر والمواطنة للجار والتواضع للعامة وفوق كل ذلك : الاقياد للحكومة والمخضوغ فمدرستنا تنفخ في طلبها روح المسامحة الدينية التي فتحت أبوابها لكل حزب، فلم يمتن طلبتنا ولا اساتذتهم بالمشاجرات التي حدثت اليوم بين الفتيين العظيمين من المسلمين وعلماء

لجئنا لا يزالون يدعون الناس الى الخير والصلح فخرجوا من دار علونا والمدارس التي تبغ سبيلها انها تخرج طلبة سيسودون الامة ويملكون ازمها مرة اخرى ويحسمون الشاق، ويشقون عصا النفاق، و يصبحون لئوسهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطة موصلة بين الفتنة الناشئة وحزب الفقهاء العتيق، ونحن على يقين من ان المسلمين كما يسلم اذعانهم لحكومتهم يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة واطيادا للحكومة. والآن تقدم الى جنابكم اذكرى الشكرات حيث فضلتم علينا قطعة من الارض لترفع عليها قواعد مدرستنا وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعدتهم الى هذا الحد، ونخص من بينهم أولا سمو النظام امير (حيدرآباد) الذي نستغفر من جود امارته من نفوسه أطفالنا وان لم نرزق زيارته حتى الآن، وبعد ذلك نوذي مقترض الولاء الى سمو الملكة اميرة بوقال التي تمنحنا وظيفه اعانة سنوية ونبت ايادي اماره هماو بالفور التي رفقت اميرتها غير ما تسمح به امارتها سنويا بمنحة تساوي خمسين الف روبية، حياتنا لتتشرف بان تضع ساداتكم حجر اساس كليتنا ونرى من واجباتنا ان نذكر من غير هؤلاء الكرماء الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توحيانا من الخير كرنل خان بهادر عبد المجيد خان وزير خارجية اماره بلالاه ونحن نشكر المستر أي -ال- ساندروس -والستراس ايج بطارسي اي . اي . والمسترال ام جابلوك الذين نصرونا بتحصيل القطعة التي اقمتم بها علينا . وفي الختام نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا بما نقيم اليها من اعنة فضلكم ونعيد مرة اخرى نشكركم الذي قدمه الى جنابكم حيث قبلتم ان تضعوا يديكم الكريمة حجر الاساس . والآن نسألكم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير الذي يبقى على كرا الدهر .

﴿ لقب حاكم المسلمين ﴾

لصاحب الامناء

رأيت في بعض جرائد الاساتنة كلاما عن اخلاقه واتهام خديوم مصر بالسي في القلب بها الى نحو ذلك ولا أدري أي عقل صيباني يقبل تلك المتريات الباردة ! ان لقب الاخلاقه لقب شريف وله شروط والخلفاء الحقيقيون الذين هم خلفاء بدون شك قدموا ورحمهم الله تعالى كافي الحديث المشهور « الاخلاقه بمدي

ثلاثون ثم يكون ملكا عضوا « وفي رواية « ملكا وجيرية » انتهى باللفظ أو بالمعنى فمن كان بعد ذلك من علوج أمية أو فساق بني العباس فليسوا خلفاء بل هم ملوك ولم يستثن الا من استقام على الطريقة المثلى ولم تكن عنهم قرشيتهم شيئا ولا دينهم ثم ماذا جني المسلمون من لقب الخلافة ؟ إنهم لم يجنوا غير الافتراق والقتال ومنذ استشرى سلاطين آل عثمان لهذا اللقب فتحوا على انفسهم أبوابا من التعصب بدون مقابل ، قل لي أي فائدة حازوها بهذا الاسم الضخم ؟ أي مملكة اقتحوها بهذا اللقب أي حق استحقوا بهذا المنصب ! اني لا اعرف شيئا وما اراهم استفادوا غير نفرة مجانين الملوك وزيادة التفريق الذي اودى بنا . السلطان مفروضة طاعته في المعروف ، حرام الخروج عليه لغير سبب مسوغ . كل هذا معلوم فاذا يجب غير هذا له لو كان خليفة مستكمل الشروط ؟ انا لو اردنا أن تقتصر لأقل ملوك المسلمين الآن على ما كان لابي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم شكوا في استحقاقهم له وارجعوه لم يقبل أحد منهم ذلك مع أن اعلام كعبا لا يقوم للمسلمين بعشر معشار ما قاما به . لا اقول ان ذلك الاوان مساو للوقت الحاضر يكفي فيه ما كفى في ذاك لا بل اقول بعد مراعاة الأزمنة والاحوال

إذا يجب النصح والمساعدة لسلطان المسلمين على كل أحد منهم بما قدر عليه سواء سماه امير المؤمنين أو الخليفة أو السلطان أو سلطان كذا أو امير اطورا أو ملكا أو فلان بن فلان بلافراق . ومن المحسوس أنه ليس للمسلمين سلطان أحق واولى بالأعتراف من السلطان عبد الحميد خان زاده الله توفيقا فالنصح له بمدا النصح لله وكتابه واجب وكذا الدعاء له لكن لا على نحو ما يفعله الجهلة وخطباء المنابر في الدعاء او بان يقدموا امامه ما يكون سببا لعدم قبوله من المبالغات والنعوت الكاذبة وما يدل على الخيلاء والابهة والكبرياء فكل ذلك بدعة ووجها الوسواس الخناس عليهم وعمل بها علماء السوء عباد الدرهم والدينار . والتواضع والخضوع والصدق في الدعاء والاتباع فيه لما جاء عن سيد المرسلين من أعظم أسباب قبوله . هذه آرائي أعرضها للتصحيح واقترح على خطباء المنابر أن لا يزيدوا على قولهم عبدك الفقير اليك فلان وكأني بهم اذا عملوا باخلاص وقد رأوا علامات الاجابة والله الهادي

س . س . ي سنغافوره

﴿ التاريخ الهجري الشمسي ﴾

عند ما شرعت بوضع النظام أو القانون للجمعية الخيرية الإسلامية في طرابلس الشام خطر لي أن تكون سنيتها هجرية شمسية وإن يكون أول مستها شهر مارث (آذار) كالسنة المالية العثمانية وذلك في القانون ثم خطر لي أن أذكر هذا التاريخ في المنار إحياء له مع ذكر السنة القمرية التي عليها المعمول في الأمور الدينية للاستغناء فيها عن الفلكيين والحاسين . وقد جاء في حسابي أن سنة ١٩٠٩ الميلادية توافق ١٢٨٥ هجرية شمسية لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح صلى الله عليه وسلم وبمئ على رأس الأربعين وأعلن بعثته بعد ثلاث سنين من نزول الوحي عليه أول مرة وهجر بعد عشر سنين من إعلان الدعوة ذلك ٥٣ سنة تجمع إلى سنة الولادة فتكون معها ٦٢٤ تطرح من ١٩٠٩ فيبقى ١٢٨٥ . ولكن رأيت بعد ذلك أن الدولة العلية عزمت على أن تجعل حسابها الهجري على السنة الهجرية الشمسية وأن سنة ١٩٠٩ وافقت على حسابها ١٣٨٨ هجرية وكان الحاسين الذين قالوا بذلك لم يحسبوا سني الفترة بين أول الوحي وإعلان الدعوة وهي ثلاث على المشهور فحب أن يتقدم من غلط الصاري في تاريخه إذ قد أخذ خطفه بعدة سنين ثم لم يمكنهم الرجوع إلى السواب بعد أن ملئت الكتب والدفاتر بالخط.

﴿ أهم ما نطلب من مجلس المبعوثان ﴾

- (١) إصلاح نقارة الأوقاف وجعل أموال الأوقاف التي تراعى سرورها والتي جهات شروصها والتي وقعت على يد الدولة كغيرها من أموال الدولة ونشرها في جميع البلاد ونفطها في وقت.
- (٢) إصلاح نظام الشريعة وهو أن هذا الأمر لا يصح جعله تحت إشراف الدولة كمنظمة مؤمنة من قبل الدولة وتأييد كتبها كالجورجيات ونحوها . واستدانة وتغييره (عنه) بقص وإبرام وترتيب رواتب تهرية مستدانة . والكتب ومنهم من أخذ الرسوم

(٣) جعل اللغة العربية محتمة في جميع مدارس الحكومة وإنشاء مدارس معلمين ومدارس زراعة

﴿ ذيل لكشف الظنون ﴾

كنت شرعت منذ ست عشرة سنة بتأليف ذيل لكتاب (كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون) تصنيف العلامة منلا كاتب جلبي المعروف بمحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ جمعت فيه ما فاته ذكره من أسماء الكتب والمصنفات مع أسماء المؤلفات التي حدثت بعد عصره في اللغات الثلاث الشرقية الى يومنا هذا . وجمعت في ذلك الى كتب التراجم وفهارس المكتبات العمومية وبعض المكتبات الخصوصية وضمنت الى ذلك الكتب التي وقعت على اسمها في أثناء مطالعتي لكتب شتى مختلفة المواضيع وأسماء كتب كثيرة دخلت في يدي مع ما وقعت عليه من أسماء المؤلفات التي اعلنت الجرائد والمجلات طبعا وقد احييت ان طبع هذا الذيل الخافل اجزاء متتابعة كل جزء مائة صحيفة بقطع الاحل بحيث يصدر في كل شهرين جزء منها . وبما اتيت قد ذكرت في كتابي هذا كثيرا من مؤلفات المعاصرين احييت ان لا يفوتني ذكر كثير منها مما لم اطلع عليه لتعذر الاحاطة فارجو من فضلاء العصر وكتابه وادبائه ان يتحفوني في مدة شهرين ونصف باسماء مؤلفاتهم ومؤلفات اسلافهم كأبائهم واقربائهم مع ذكر شيء من خطبة الكتاب ونبذة من ترجمة مؤلفه وتاريخ ولادته وان كان متوفى فتاريخ وفاته ومحل طبع الكتاب ان كان مطبوعا وسنة طبعه . وبما اتيت رتب هذا الذيل على حروف المعجم كالاهل فاذا أخر أحد ارسال اسماء مؤلفاته الى ما بعد الاجل المبين وكان فيها كتاب يدخل في الحرف الذي تم طبعه فاتيت ذكر ذلك الكتاب . وأرجو أيضا من أصحاب الجرائد والمجلات ان يتحفوني باسماء جرائدهم ومجلاتهم وتاريخ انشائها وبيان وصفها إجماليا حيث اجعل ذكرها والتنويه بشأنها خاتمة للكتاب واتي اسفل كل من تفضل عليّ بآثاره كل شكر جزيل وثناء جميل .

بخايرني من شاء بهذا العنوان : (محاسب المعارف في يروت جميل العظم)

المسحاة

١٣١٥

بإني الحكمة من يشاؤون يؤتوا الحكمة قدرهم
غير كثيرا وما يكسركم إلا أولو الألباب

فيهم عبادي الذين يستمرون التورل فينبسوا حسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الاثنين ٢٩ صفر ١٣٢٧ — ٢٢ مارث ز آذار) سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٠٩ م ﴾

فَتَاوَى الْمَتَانِ

فتاونا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر مواعيله (وظيفته) وله بسد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متاعراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا . ولن يعمي على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لاعداد صحيح لا ففاله

﴿ أوراق اليانصيب وسندات المصارف ﴾

(س ١) من بورت سودان لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام وفيلسوف الانام مربي الامة ومرشدها وغرة عصرها وعالمها سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الفراء فغني الله بعلومه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بسد فقد جمعتي وجماعة من نباء بورت سودان وفضلاتها مجلس انعقد بمنزل فضيلة قاضيا الشرعي لسماع درس التوحيد وبعده أخذنا تتجاذب اطراف الحديث الذي وصل بنا الى تحليل أو تحريم أوراق اليانصيب وطال الجدال في هذا الموضوع واقسمنا الى قسمين

قسم منا حرما من أولها لآخرها سواء في ذلك سندات سكة حديد تركيا (الرومالي) والبنك العقاري جديدها وقديمها

واقسم الآخر فصل في الموضوع حيث حرم كل الأوراق ما عدا سندات البنك العقاري وسكة حديد تركيا قال بالحل فيها إلا انه لم يحزم بهذا القول واشترط في أوراق البنك العقاري عدم أخذ (الكون) أي الربح السنوي

وبالنسبة لكوننا لم نوفق للفصل في هذا الموضوع عنها ثانيا قرأ القرار على الاستعلام من حضرة تكم رأخذنا في هذا الموضوع للاهتداء بهديكم وكلفوني أن أسألكم ان شاء الله تعالى وكرم اخلاقكم جئت اليكم بهذا راجيا لإرشادنا في هذا

الموضوع أرشدكم الله والفصل فيه ليحق الحق ويبطل الباطل ان الباطل كان زهوقا
كما اني أرجوكم ان كان سبق لسيادتكم التكلم عنه في مجلدات غابرة ان
تجيئوني عليه وأكون ممنونا لو تفضلتم بالإجابة في أول عدد لأهيمته عندنا والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته

كاتبه

أحمد كرم

أحد قراء المنار

(ج) اقتبنا في المنار من قبل (ص ٤٧ م ١٠) بأن اليانصيب من القمار المحرم لما
فيه من الضرر الظاهر فإن المقامر يضع ماله لتوهم الربح وقد فصلنا القول في ضرر الميسر في
تفسير قوله تعالى ٢١٩:٢ يسألونك عن الخمر والميسر « فراجع في (ص ٣٢٩ ج ٢)
من التفسير . واما مثل سندات البنك القاري فهي نفسها ليست من « اليانصيب »
وان كان يعمل لها « يانصيب » بل هي ضرب من ضروب التجارة لأن لها أثمانا
كأثمان سهام الشركات المالية تزيد وتنقص وتشبه من جهة أخرى الدين بربح قليل
لأن صاحب المال يأخذ عليه كل سنة ربحا « كويون Coupon » ولكنها خالية من ضرر
القمار لأنه ليس فيها إضاعة مال محقق لربح متوهم ومن ضرر الربا المبرر عنه بقوله
تعالى في خاتمة آيات الربا « لا تظلمون ولا تظلمون » وهي مع ذلك مشكلة والظاهر
من اقوال الفقهاء وقواعدهم انها غير جائزة لذاتها ولكن بعضهم يميز ذلك في غير
دار الاسلام أو مع الحريين لأن التزام العقود الاسلامية إنما يجب في البلاد التي
يحكم بها الاسلام ولهم في ذلك تفصيلات كثيرة (راجع ص ٦٣٩ م ٧ و ص ٢٦٨
٢٩١ و ٨٥٩)

ثم ان الفقهاء قد جعلوا الشرع العملي قسمين عبادات ومعاملات فالمعاملات
ليس فيها امور تعبدية بل كلها معقولة المعنى منطبقة على مصالح الناس ومنافعهم ودفع
المضار عنهم فلا يحرم منها الا ما هو ضار بفاعله أو بغيره وما يترضى به الناس من
المعاملات من غير غش فلا يحرم عليهم الا انه اذا كن من شأنه ان يضر لا يارهم
الغش ما كانوا راضوا به اذ هم اختلفوا بعد ذلك وتماكروا اليه ولا يفهم المقني بوجوبه
شرا فقد جاء في الآيات المسححة عند البخاري وغيره ان المقترض اذا اعطى افضل مما

أخذ أي كيفاً أو كماً فلا بأس بذلك ما لم يشترط ذلك أي يجعل حقا شرعياً . وهذا في الربا الذي هو اغتظ المحرمات المتعلقة بالمعاملات المالية فإذا اعطي صاحب سندات البنك العقاري مالا من البنك قدر يجه بالسحب برضى اصحاب البنك فانه لا يظهر لي ان أخذه محرم عليه ولا سيما اذا كان اصحاب البنك من الاجانب الذين لا يلتزمون أحكام شريعتنا من انفسهم ولا توجد حكومة اسلامية تلزمهم العمل بها ولا يظهر لي ان هذا من القمار الا بالنسبة لمن يشتري أوراق السحب التي تباع في الاسواق والشوارع لأن هو لا يضعون اموالهم على التوهم واما اصحاب السندات فان اموالهم محفوظة لهم لا يضع منها شيئا والله اعلم واحكم

﴿ دين المستقبل وهل يكفر من له رأي فيه ﴾

(م ٢) من بغداد لصاحب التوقيع الذي عهد الينا بكتان اسمه

حضرة سيدي المحترم محمد رشيد رضا افتدي أدام الله مجده

أما بعد فقد جئت طالبا من فضلكم نشر سؤالي هذا على صفحات (المنار) الاغر ومرد جوابه بما ينراى لكم لأن الامر أشكل في بغداد والاقوال تضاربت فجئت طالبا فتواكم ولكم الأجر

إن أحد الكتاب نشر مقالة في جريدة بغداد في عددها الأول ونقل فيها : ان حضرة السيد البكري قبيب أشرف مصر قال سألت الشيخ جمال الدين الافغاني عن دين البشر في المستقبل فأجابني بقوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا قلهم أجروهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) فقام بعض المدعين للعلم وقال

(١) المنار : سمعنا هذه المسألة من البكري وقال أمانا إن السيد قال له انقشوا هذه الآية على هرم الجيزة الى أن يجي المستقبل فيفسرها . وليراجع في المنار ما قاله الاستاذ الامام في تفسيرها

ان هذا الناقل الذي نشر المقالة قد كفر وخرج من دين الاسلام وطلب من الحكومة مجازاته وهو القتل كفراً لا حدا والياذ بالله ثم وكل الأمر الى أربعة من المدرسين وهذا المكفر معهم خامس فاما أحدهم فقال إن الرجل ناقل وليس عليه شيء من دون ان يصدق البحث في أصل الموضوع فرفضوا قوله واجتمع الأربعة على انه يجب تعزير هذا الناقل تعزيراً شديداً وقدموا قرارهم هذا للمدلية ولا ندري ما سيكون منه فخرجكم تدقيق هذا البحث باطرافه بحق قائله وناقله والحاكين فيه ليتضح الحال خدمة للوطن والدين والامة دامت أفضالكم الامضاء

غيور اغثار لدين

(ج) لا وجه للقول بكفر هذا الناقل ، ولا ذلك القائل ، ولا تعزير من يرى ذلك الرأي سواء كان خطأ ام صوابا والظاهر أن أولئك العلماء لم يفهموا معنى سوال البكري ولا جواب الافغاني لأنهم لم يفكروا في مثل هذا البحث ولا في سببه لا بلادة في أذهانهم ولا لجهلهم باللغة التي عبر بها القائل والناقل . نعم ان المشتغلين منا بالفتنات ، الجامدين على التقاليد والعادات ، كثيرا ما يتجهون على التكفير ، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، واظن ان من ذكرتم من علماء بغداد ، لو فهموا معنى السؤال والجواب ، لما خطر في بالهم ان يعدوا القول به ذنباً ، فضلا عن ان يعدوه كفراً

يقول كثير من علماء الاجتماع إن البشر في مجموعهم يسبرون الى الكفر والإلحاد عاما بعد عام وان هذا السير ينتهي بترك الام كلها للدين بعد قرون كثيرة اوقلية ومن هؤلاء القائلين بهذا الرأي من هو متدين بالاسلام ومنهم من هو متدين بغيره ومنهم من هو ملحد لا يدين بدين

ويقول آخرون ان البشر لا يمكن ان يستقوا عن الدين ولا عبرة بما نراه في هذا الوقت من كثرة الكافرين فلا بد ان يبقى الناس متدينين وان يبقوا مختلفين في الدين ويذهب آخرون الى انه لا بد ان يسود في المستقبل دين يكون عليه أكثر البشر وهل يكون ذلك ديناً جديداً ام أحد الأديان الخاضرة بعد تنقيحه وتطيقه على حال الناس في المدينة المستقبلية ؟ انهم مختلفون في هذا وسمعت الاستاذ الامام

يقول أكثر من مرة اتني اعتقد منذ عشرين سنة ان دين المستقبل هو الاسلام ولي على ذلك أدلة اجتماعية وادلة عقلية كالعودة الالهية بإظهاره على الدين كله وهو عندي في مرتبة اليقين . ولا يخفى ان أصول الدين الالهي الحق التي دعا اليها جميع رسل الله هي الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح . والكتاب والسنة تفصيل لهذه الاصول . وعبرة السيد جمال الدين بمجلة فلا يدري أرايه كراي تليذه الاستاذ الامام ويريد بالاصول المجملة في الآية ما هو مفصل في غيرها من الآيات أم يريد ان البشر لا يتفقون على تفصيل الاسلام ولا غيره وإنما يستقر رأيهم على تلك الاصول المتفق عليها ويتركون لكل فرد رأيه واجتهاده في تفصيلها؟ الله اعلم بتفصيل وأيه ولكن الذي يجب الجزم به انه لا يجوز ان تكفره ولا أن نفسه برأيه لأنه لا علاقة بين مثل هذا الرأي وبين قوة الايمان وصحة الاسلام بل لا يجوز ان يقول بكفر من يرى ان البشر يتركون كل دين ولا تعزيره اولومه على ذلك . فليتق الله علماءنا في المسلمين وليعلموا أن عاقبة هذا التشديد والجرأة منفرة عن الاسلام وانها يوشك ان تفضي الى مالا يحبون لانفسهم ولا لدينهم

أما العدلية فلا أدري ما هي علاقتها بأراء الناس وافكارهم فاذا كان رجال العدلية في بغداد كمن ذكرتهم من العلماء فهأ لهذه المسألة وكان رأيهم في العقوبات القانونية ، كراي اولئك الفقهاء في العقوبات الشرعية ، فباحسرة على بغداد ، فانها لا تزال ترسف في قيود الجهل والاستبداد ،

• تعدد صلاة الجماعة في وقت واحد •

(س ٣) من بغداد لصاحب التوقيع

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار دام فضله

اتفقت أقوال العلماء على أن لا فرق بين أقوال الائمة الاربعة المجتهدين رضوان الله عليهم وانهم تجمعهم السنة والجماعة ولكن مع الأسف نرى في أغلب جوامع بغداد قمام للصلاة جماعتان خفية وشافعية في آن واحد وكل يصلي بصلاته بحيث

لا يكاد يميز السامع بين تكبير إمام وآخر في القول في ذلك ؟ واغرب منه ان يقوم مع وجود الامامين إمام ثالث حنفي ويصلي بالناس مع ان صف الجماعة المقتدين به متصل كمال الاتصال بصف المصلين خلف الشافعي بحيث لا يمكن معرفة الحد الفاصل بين الجماعتين قط . وبعدها صلاتها تقام جماعة حنيفة أخرى ؛ فما القول في الامامين الاولين على ان الشافعي راتب والحنفي فضولي والحنفي الذي يصلي أخيرا راتب ؟ أرجوكم دفع هذا الالتباس ولكم الاجر الامضاء

مسلم لا يجب تفرقة الاسلام

(ج) ان تعدد الجماعة في وقت واحد بدعة مذمومة لاسبب لها فيما نعلم إلا جعلها وسيلة للتراتب التي يأخذها أئمة المساجد من الاوقاف أجرة على الامامة وفي هذه الاجرة ما فيها . ولا التباس في المسألة فحتاج إلى إزالته لان هؤلاء المفرقين لا يقولون ان إقامة جماعتين فأكثر في مسجد واحد في وقت واحد مشروع فردد عليهم . ولا يرجح ان يترك هؤلاء الأئمة ذلك باختيارهم الا بأحد أسباب ثلاثة (١) علم أولئك الأئمة بالسنة والحرص على اتباعها (٢) رغبة المأمومين عن التعدد كأن يقبض الله لهم من يعلمهم ان أمتنا أمة واحدة وديننا واحد حرم الله علينا التفرق فيه بمثل قوله « أقيموا الدين ولا تفرقوا » وان سلفنا الصالحين ما كانوا يقيمون جماعتين أو جماعات في وقت واحد مع مخالفة بعضهم لبعض في بعض الفروع الاجتهادية كما عليه الشافعية والحنفية وغيرهم ، وأن هؤلاء الخلف ما تفرقوا عن الجماعة إلا لاجل الدنيا . فاذا علم العامة ذلك لا يلبثون ان يصلوا مع الجماعة الاولى في كل وقت ، ولكن هذا أبعد مما قبله لان علماءنا أهملوا تعليم العامة دينهم وصار أكثرهم يكتفي من خدمة الدين بتكفير من يخالف رأيه أو هواه من المسلمين ، فحسبنا الله ونعم الوكيل . (٣) أن يصير للمسلمين رياسة دينية محترمة عند الحكومة وعند الناس يوكل اليها الفصل في أمثال هذه المسائل كأن يجعل ذلك من شأن المفتي ، فان قيل إن الدين الاسلامي لا رياسة فيه كغيره من الاديان قلنا لا نفني ان يكون له رؤساء يسيطرون على الناس في دينهم بل رؤساء يحترمون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أمر الدين المتفق عليه ،

﴿ منع غير المسلمين من سكنى الحجاز ﴾

(س ٤) من الخواجه إلياس لطف الله بوسليمان بينوغستا (الارجيتين)

حضرة العلامة العامل والأستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا أدامه الله
بمخضوع واحترام أقدم كامل الواجبات لشخصكم الشريف وارجو من
سيادتكم الافادة إذا كان منع غير المسلمين من الدخول إلى أرض الحجاز
المقدسة هو أمر ديني مقرر في الكتب الشريفة المتزلة أو في الحديث الشريف أم
هذه عادة وفي الحالين ارجوكم إذا لم يكن من مانع ان تكموا بالابضاح في احد
اعداد مناركم المنير ولكم جزيل الفضل والمعروف . قال سعادة الشيخ علي يوسف
صاحب المؤيد الاغر في عدد ٥٥٦٧ ما معناه ان المهندسين العثمانيين في سكة
حديد الحجاز افتردوا بالعمل كله من اللإ إلى المدينة لعدم جواز دخول غير المسلم
ارض الحجاز . اختم بتركار رجائي والله يديمكم مرجعا في جميع الامور كي تسنببر منكم
ومن مناركم العموم سيدي

(ج) روى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال اشدت برسول
الله صلى الله عليه وسلم وجهه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث : اخرجوا
المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، ونسيت الثالثة .
والذي نفسي الثالثة هو سليمان الاحول وهي النهي عن اتخاذ قبره وثنا أو تجهيز
جيش أسامة

وروى أحمد ومسلم والترمذي وصححه عن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول « لا تخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتي لا اذع فيها لإسلاما »
وروى أحمد من حديث عائشة قالت : آخر ما عهد به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لا يترك بجزيرة العرب دينان . وروى أحمد أيضا والبيهقي من حديث أبي

عبيدة ابن الجراح قال آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب»

وذكر الحافظ ابن حجر في كتاب الجهاد من شرحه البخاري ان اليهود على ان الذي يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة قال وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب لاتفاق الجميع على ان اليمن لا يمنعون منها مع انها من جملة جزيرة العرب . أقول قال في القاموس : جزيرة العرب ما أحاط بها بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن أين إلى اطراف الشام طولا ومن جدة إلى ريف العراق عرضا . والذي جرى عليه العمل هو إخراج غير المسلمين من الحجاز ففي صحيح البخاري ان عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز . وذكر يهود خيبر فقال أجلام عمر إلى نيام وأريحاء . وجعل بعضهم حديث أبي عبيدة مخصصا لتصريحه بلفظ «أهل الحجاز» وقال بعضهم انه لا يصلح مخصصا

وليس من غرضنا هنا تحقيق الخلاف وتحرير الدلالة وإنما قول ان الحجاز هو الذي نفذ فيه الامر وجرى عليه العمل فهو عند المسلمين كالمسجد ولا يشاركون في مساجدهم الا من دان بدينهم وشاركهم في عبادتهم . وهذا التخصيص على كونه دينيا يتعلق بسياسة الاسلام فانه لما فيه من التساهل مع المخالفين لا يستقي أهله عن بقعة خاصة بهم لا يزارهم فيها غيرهم يأرزون اليها عند إجلاء الحوادث ومطاردة الكوارث . وليس الحجاز مما يصلح لكسب الدنيا والتمتع بزيتها فما منع غير المسلمين الا من مكان لاحظ لفبر المسلم فيه الا ان يريد مزاحمته أو الاقيات عليه في خاصة دينه . وقد بين المحققون ان حكم الاسلام في مكة انها وقف للمسلمين عامة . قال ابن القيم : وأما مكة فإن فيها شيئا آخر يمنع قسمتها ولو وجبت قسمة ما عداها من القرى (اي التي تفتح عنوة) وهي انها لا تملك فانها دار القسك ومتعبد الخلق وحرّم الرب تعالى الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ففي وقف الله على العالمين وهم فيه سواء ومني مناخ من سبق قال تعالى «٢٢:٦٥ ان الذين كفروا ويصدون

عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد — الى ان قال — فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة والمسعى ومنى وعرفة ومزدلفة لا يختص بها أحد دون أحد بل هي مشتركة بين الناس اذ هي محل نسكهم ومتعبد لهم فهي مسجد من الله وقفه ووضع خلقه الخ

ثم ان لسائر ارض الحرمين احكاما خاصة فلا يحل صيدها ولا يحتل خلاها فن هنا يعلم ان منع غير المسلمين من سكنى بلاد الحجاز ليس هو الحكم الذي يختص به وحده هذه البلاد . واما دخولها لغير السكنى ففيه أقوال اصحابنا عندي قول الشافعي انه لا يمكن غير المسلم من دخول ارض الحرم الا باذن الامام لمصلحة المسلمين . على ان المشهور في مذهبه أنه يجوز لغير المسلم دخول مساجد المسلمين باذن اي مسلم لا يختص بالامام الاعظم ولا يقيد بالمصلحة العامة . وقال بعض العلماء يجوز دخولهم ما عدا المسجد الحرام والحجاز

(الزكاة في القرايطيس المالية « الانواط »)

(س ٥) من الشيخ محمد بسيوني في (سبب برنو)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ العظيم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المثار الفراء متعني بوجوده أمين .

وبعد أهديكم اركى التحية والاحترام أرجو من فضيلة سيدي الجواب عن هذا السؤال . لا زلتم مشكورين .

ما قولكم في الانواط هل تجب فيها الزكاة أم لا ؟ وما العلة في وجوبها أو عدمه افتوني سيدي باقول الصحيح المقصد مأجورين .

(ج) ينال في الفتوى ٢٨ من المجلد العاشر (ص ٥٣٩) ان القرايطيس المالية التي تسمى (بنك نوت وانواط) من قبيل النقود الذهبية . وفي الفتوى الاولى من المجلد الخامس كلام في الخلاف فيها واعتماد كونها من قبيل النقد لا عروض التجارة وكون الزكاة تجب فيها والربا يحصل بها فليرجم الى ذلك ولو قلنا ان الزكاة لا تجب

١٠٠ حديث من آذى ذمياً . الدخان بمجلس القرآن (الماراج ٢ م ١٢)

في هذه القرايطس لا يمكن للقي الذي يملك ألوف ألوف من الذهب أن لا يودي زكاة قط ولا يبيع الربا بسهولة في أكثر معاملات المصارف (البنوك)

﴿ حديث من آذى ذمياً ﴾

(س ٦) من محمد افندي احمد شمس بالاسكندرية

ملخص السؤال انه اطلع على خطبة للشيخ بشير الفزي العالم الحلبي الشهير فرأى حديثاً لم يطرق سمعه وهو « من آذى ذمياً فانا خصمه ومن كنت خصمه خصته يوم القيامة » وسأل عن تخرجه لياهي بتساهل الاسلام فيه

(ج) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه الى معجم الدبراني الاوسط وأشار الى انه حديث حسن . وفي معناه أحاديث أخرى في الوصية بالذمين والمعاهدين منها حديث عبدالله بن عمرو عند احمد والبخاري والنسائي وابن ماجه « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ربحها ليجد من مسيرة اربعين عاما » وحديث علي عند الحاكم « منغني ربي ان أعظم معاهدا ولا غيره » والاسلام بأمر بأكثر من ذلك فقد قالوا انه يجب على المسلمين اطعام الذمي عند الضرورة ويستحب مع غير الضرورة كما يجب حمايتهم والدفاع عنهم ولو بمحاربة المعتدي عليهم

﴿ شرب الدخان في مجلس القرآن ﴾

(س ٧) من الشيخ ابراهيم حسين بهوارة عدلان (الفيوم)

حضرة العلامة الكامل والاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الفراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سيدي ومولاي : جرى الخلاف بين طائفة من أهل العلم في حكم التدخين أي شرب الدخان في مجلس تلاوة القرآن الشريف فمنهم من حرّمه ومنهم من جوزه مع الكراهة مراعاة للأداب ولم يذعن احد الطرفين

قول الآخر وحيث ان سيدي من يرجع اليه في فصل الخلاف قد حررت هذا
لفضيلكم راجيا التفضل بالجواب مبسوطا في العدد الآتي في مجلتكم مويدا بالحجج
الاقناعية بدون احالة على ما نشرتموه سابقا في المجلة لاجاله ولصعوبة الشؤ عليه الآن
على مثلنا ولفضيلكم جزيل الشكر

(ج) قد بسطنا الكلام على هذه المسألة في الفتوى ٧١ من المجلد
السابع (ص ٥٣٧) وحاصل رأينا فيها أن شرب الدخان في مجلس القرآن يعد محظورا إذا
كان العرف العام بعده من إساءة الأدب والأوجب على كل امرئ مراعاة ما يستقده
وقطعتن اليه نفسه مع الاحتياط في التزام الادب . وان الجرأة على التحريم من
أكبر الجنايات على الدين إذا لم يكن الدليل عن الشارع واضحا نصا أو دلالة ولا
نص في مسألتنا ولا دليل إلا ما يقال في مسألة الادب وهو شيء يتعلق إما بالعرف
وإما باعتقاد الشخص وهو ما اعتمدنا عليه من قبل وما نقوله الآن والله أعلم

— (استعمال ساعة الذهب وليس خاتمه) —

(س ٨) من كتاب للشيخ عبد السيف أبي عوف بدقله (السودان)

أرجوكم إفادتي بوجه السرعة على صفحات مجلتكم القراء عن حكم لبس الساعة
التي داخلها شيء من الذهب وكذا الخاتم ومقدار ذلك الذهب أعني عيار ١٢ او
اقل ولكم الشكر

(ج) في الفتوى ٥٧ من فتاوى المجلد السابع (ص ٤١٩) تفصيل لمسألة
التحلي بالذهب واستعماله ومنه بعد ذكر الأحاديث الواردة في المسألة والبحث
فيها وجملة القول انه ثبت في الصحيح النهي عن الأكل والشرب في أواني
الذهب والنفضة مع الوعيد والنهي عن التخم بالذهب وفي حديث مسلم انه شبهه
بجمرة من نار ولم أره في المتن . واما مذاهب العلماء فيها فقد حمل الاقلون النهي
على التنزيه دون التحريم وذهب داود الى تحريم الشرب في أواني القدين وإباحة
ما عداه من أنواع الاستعمال وقاس كثير من الفقهاء غير الأكل والشرب عليها

حتى حرم الشافعية اتخاذ الاواني وان لم تستعمل « ثم بحثنا في علة ذلك واختلافها باختلاف الزمان . وذكرنا في آخر الفتوى ان الاحياط أن يمتنع المسلم ما ورد به النهي الصريح ويراعي المصلحة فيها وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص . وراجع التفصيل ان شئت (في ص ٤٢١ - ٤٢٤ م ٧) والظاهر ان المراد بالذهب في النهي ما يعم الثبر الخالص والمزيج من الذهب وغيره ما سمي ذهباً ويحتمل ان يقاس الذهب على الحرير عند من يقولون ان الثوب المحرم منه هو ما كان ابريساً خالصاً أو ما كان الابريس هو الغالب فيه وزناً أو نسيجاً . واتي اعتقد ان استعمال الساعة الذهبية انما تحرم إذا كان فيها إسراف أو مخيلة وكذا غيرها مما لا نص في النهي عنه والا فهو مباح او مكروه في الاكثر والله أعلم

﴿ رابطه النقشبندية ﴾

(س ٩) من ع . ب . ح في ستغافوره

حضرة الفاضل صاحب المنار بمصر

نحن معاشر اهل الطريقة بهذه الجهات قد عثرنا على فتواكم في رابطه اهل الطريقة فحمدنا الله على صنيعكم وما ايدتم طريقنا بقولكم (يمكن للمريد العارف بعقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تحيل شيخه - الى أن قلتم - فمثل هذا لا يعد مشركاً شيخه مع ربه « ونحن قلله الحمد عرفنا بعقيدة الاسلام وان احضارنا صورة شيوختنا عند ذكر الله لانه من آكد الآداب والاستمداد منه هو استمداد من النبي صلى الله عليه وسلم وقله بجاذبي تم بنا الى صاحب الطرق نينا محمد (ص) وقله (ص) « رزق التوجه الى الحسرة الالهية كـ : هو مقرر في كتب الطريقة وقد عمل بالرابطة اولياء الله الصالحين ونسب من متبهميه متبعي النبي (ص) وسلسلة طريقته متصلة اليه - والى حضرة النبي (ص) « وكيف يقول خبر الامام يستغافوره ان الرابطه بدعة لم يعمل بها النبي ولا انصاعابه ولا التابعين . بل قال الرجل ان اختراع الرابطه لم يكن في عهد الامام الغزالي وعبد الوهاب الشعراني وغيره القادر الجليلاني فهل تصوران

كبار العلماء القائلين بالرابطة اخطأوا فيها وهذا المدعي واضرا به مصيرون فيتركهم الناس ويتبعون المدعي واضرا به كلاً ثم كلاً وقد تجرأ المدعي على أهل الطريقة قال ما معناه: ومن قال ان الدين الاسلامي يأمر بالرابطة فهو اكذب من خطيب سميس لان ذلك الخطيب وغيره قد فثروا ردوداً على مجلة الامام بالجرائد ومن قول ذلك الخطيب ما معناه حيث ان الامام قد انكر الرابطة وقال انها بدعة لم يأمر بها الدين بل هي ممنوعة وجبت عليه التوبة ووجب عليه اعلان توبته بمجلته وبالجرائد التي كسب فيها مسألة الرابطة لئلا يفتتر الناس بقوله في الدين اه وزجروا من النار بسط الجواب هل هي بدعة ممنوعة ام لا

(ج) قد علم من جوابنا السابق ان الرابطة لم يرد فيها شيء من كتاب ولا سنة نبوية وانما ليست من أعمال الدين فيطالب كل مسلم بها ويد مقصراً في دينه اذا تركها وينكر عليه اذا أنكرها كما يد مبتدعاً اذا فعلها. وإنما هي طريقة في تربية النفس كغيرها من الطرق التي استحدثها الناس في التربية والتعليم واستفادوا منها بالتجربة ما كان عوناً لهم على مقصدهم فمن قال ان الدين يثبتها أو ينفيها لذاتها فهو مخطئ. لأنه ليس فيها نص ديني ومثله كمثل من يقول إن طريقة كذا في التعليم مطلوبة أو ممنوعة ديناً. نعم ان ما يستحدثه الناس من طرق التربية والتعليم قد يخل عرضاً بأمر من أمور الدين فيكون محظوراً ديناً لذلك العارض كما اذا اعتقد المريد ان شيخه يملك بالرابطة نفعه أو ضره وهدايته أو شدة أو غوايته وضلاله.

واعلم يا أخي في الدين والطريقة انك لا تستطيع أن تدافع عن الرابطة الا اذا قلت اننا لا نتخذها ديناً وحينئذ لا يضرنا كونها بدعة لأن البدعة إنما تكون ضلالة اذا كانت في الدين وأما البدعة في غير الدين فبها الحسن ومبها القبح كما يؤخذ من حديث مسلم «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» إلى غير ذلك من أقوالهم القمامة ومن منعت سنة فمينة وزرها وورز من عمل بها إلى غير ذلك من أقوالهم القمامة. انه ليس لأحد من قطع الوحي ان يسن في الدين شيئاً ولا يفيق السنن. ومنه يؤمر الناس في ترك بدعهم وتعظيمهم وسياستهم وسائر مصالحهم التي تنفعهم في دنياهم وآخرتهم ولا يكونوا بدعهم.

في دينهم لا يعد حكماً دينياً يطالب به الناس على انه دين لان شارع الدين هو الله تعالى على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ولا شرع بعد انقطاع الوحي وختم الرسالة ثم اعلم ان عمل بعض الصالحين بالرابطة لا يدل على انها من الدين لانه لم يقل أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم ار عمل الصالحين حجة في الدين وقد وقع كثير من الصالحين في البدع أو المعاصي عن جهل بالحكم الشرعي ويجوز عقلاً ان يخطئ بعض أولئك الصالحين في مسألة ويصيب فيها مثل صاحب مجلة الامام من المعاصرين . ولو شئت لأفشيت سر الطريقة وزدت يانا ولكن لا محل لذلك هنا ولا حاجة اليه وجملته القول ان صاحب مجلة الامام قد أصاب في قوله ان الرابطة ليست من الدين ولكن يظهر لي انه بالغ في الإنكار حتى جعل الدين محروماً لها لذاتها وان لم يرتب عليها محظور أو تجعل شرعاً وديناً كما بالغ المنتسبون الى الطريقة فجعلوها ديناً كأنه وقع بها التكليف من رب العالمين على جميع المسلمين حتى صار المنكرها كالمنكر بعض ماورد في الكتاب والسنة من أمور الدين . وهذا ما تنكره على الفريقين . وأوصي أهل الطريقة بترك المراء والجدل والنبز بالألقاب وأن لا يحملوا ذلك سبباً للتفرق والخلاف في الدين فان ذلك يخرج صاحبه من حظيرة الدين (١٠٥:٣) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليات وأولئك لهم عذاب عظيم)

تدكير مجلس المبعوثان

﴿ ببعض شؤون الإصلاح ﴾

المحاكم الشرعية

ما زال حظ المحاكم الشرعية في البلاد العثمانية دون حظ المحاكم النظامية وسائر دواوين الحكومة ومصالحها فإننا لم نسمع حتى الآن صوتاً قوياً من المبعوثين في مجلس الأمة بطلب ما يجب من إصلاحها قبل تهيب حكومتنا لإصلاح هذه المحاكم أو تنقاس عنها كما فعلت الحكومة المصرية ١١

ان الحرك للحكومة المصرية والمرسل لها إلى الإصلاح أو المسك لها عنه انما هو الاختلال الانكليزي وكان الرؤساء من الانكليز يقولون اننا لانس الامور الدينية لانها لا قبل الإصلاح أو لأن المسلمين لا يريدون اصلاحها أو يتهموننا فيها تهمة نحن في غنى عن التعرض لها ثم محاولة تبرئة أنفسنا منها . وقد ضج مسلمو مصر بذلك بطلب إصلاح هذه المحاكم فكانوا مع الانكليز كالذي ينقو بما لا يسمع إلا دعاء ونداء .

ان المحاكم الشرعية في القطر المصري أمثل منها في سائر الولايات العثمانية من بعض الوجوه على ان اختصاص هذه أوسع من اختصاص تلك وليس لمجلس الأمة في الاستانة ان يتأمل بمثل ما يتأمل به الانكليز عند مطالبتهم بإصلاح هذه المحاكم فتنسمع صيحة أهل العلم المحيين للإصلاح في المجلس ببيان ما يجب من إصلاحها ١٢

أينسى أولئك المبعوثون أصحاب النيرة على الشرع ان هذه المحاكم كادت تكون حجة على الاسلام وقتة المسلمين ؟ أينسى أولئك الاحرار الواقفون للاستبداد

(١) نشرناها في جريدة المفيد ببيروت

(المجلد الثاني عشر)

(١٤)

(المترج ٢)

بالمرصاد انه لا يوجد معهد من معاهد الحكومة يباح فيه الاستبداد بغير تبعة ولا مسئولية إلا في المحاكم الشرعية حيث يحكم القاضي برأيه بلا مشاورة في الامر ولا مشاركة في الرأي ولا معرفة للمتقاضين بالمسائل التي يجب بها الحكم ١١ . فهل يرضى مجلس الامة ان تبقى هذه المحاكم على هذه الحال وهي المنسوبة إلى الشرع الذي بني على الشورى وأمر الرسول المعصوم بالمشاورة (صلى الله عليه وسلم) وجرى الخلفاء الراشدون على الحكم بها ؟

ألا يعلم نوابنا الكرام ان فساد هذه المحاكم مفسد لكثير من البيوت (المائلات) التي هي مرجعها في مسائل الطلاق والنققات وغير ذلك من أمور الزوجية ؟ أبستهينون بأمر الاوقاف وما لها من العلاقة بالامور الدينية والاعمال الخيرية التي لها شأن كبير في صلاح الامة وفسادها ؟

أول شيء يجب الالتفات اليه في إصلاح هذه المحاكم هو إدخال الشورى فيها بجعلها مؤلفة من اعضاء يحكمون بأكثر الآراء كما هو الشأن في المحاكم النظامية حتى ما يحكم فيها بالشرع الشريف كما حكم الحقوق التي يحكم فيها بالجملة . وقد سبقت مصر إلى هذا الإصلاح في محكمة القاهرة التي يرأسها القاضي الأكبر الذي يرسل اليها من دار السلطنة العثمانية . فإقامة هذا الركن الاسلامي في المحاكم الشرعية يبطل استبداد القضاة في الاحكام ويقلل ارتكابهم لجريمة الرشوة ويجعل الاتقضية سريرة الانجاز فيصل الناس إلى حقوقهم في وقت أقرب مما يصلون فيه الآن ان وصلوا ١ .

يلي هذا الركن وضع كتاب في الاحكام التي تختص بها هذه المحاكم ككتاب مجلة الاحكام العدلية في سهولته وترتيبه وقسمه إلى مواد معدودة ومسائل معدودة تلزم الحكم بها وبيان عدد المسألة التي يستند في الحكم اليها . ولا حاجة إلى التذكير بفوائد هذا الكتاب التي (منها) كون المتقاضين يعلمون منه الاحكام التي يحكم بها في دعاوهم فيطبقونها عليها ويطالبون الحكم بها . (ومنها) توحيد الاحكام في الدعاوي التي موضوعها واحد لا كما يقع الآن كثير من حكم المحاكم المختلفة بل المحكمة الواحدة في مثل هذه القضايا باحكام مختلفة يؤخذ فيها مرة بقول فلان ومرة بقول غيره ، ناهيك بما في

كسب قه الحنفية من الخلاف في التصحيح وال ترجيح وما يكون في هذه الاحكام المتعارضة من الفضائح وضعف الثقة بالدين واهله (ومنها) سهولة تناول الحكم وتضييق مسالك الخلاف فيه بين اعضاء المحكمة . وبوجود مثل هذا الكتاب تحقق قاعدة كون الجهل ليس بعذر . وانه ليصر الآن على من زاول كتب الفقه عدة سنين أن يعرف الحكم الذي يحكم به القاضي الشرعي في قضية ما فإنا بالك بمن لم يزاول هذه الكتب واكثر المسلمين لا يستطيعون ذلك

ولا بد من تعزيز هذين الركبين بثالث وهو وضع نظام لسير هذه المحاكم في اعمالها وكتبها وسجلاتها ويجب ان تغل فيه يد رئيسها عن الاستبداد في الاعمال كهرل الكتاب ومتولي الاوقاف وموظفي المساجد واستبداد غيرهم بهم أو تقديم بعض القضايا على بعض بل يجب ان يكون كتابة المحكمة كسائر عمال الحكومة لا يعزلون الا بمحاكمة ثبت فيها عليهم ما يوجب عزلم . وانا لننظر من حكومتنا الجديدة قانونا عادلا لمجالس أو محاكم التأديب التي يحاكم فيها جميع عاملها

اما الرسوم التي تؤخذ في هذه المحاكم وقسم بين القاضي والكتابة فيغلب على ظني أن المالية تبطلها ان لم تكن قررت ابطالها بالفعل في الميزانية الجديدة وحددت مرتبات القضاة ورؤساء الكتاب وسائر الكتابة فان في أخذ المحكمة للرسوم مفساد كثيرة لا تخفى على اولي الامر وما هم لها بمهملين

الركن الرابع من اركان الاصلاح جعل هذه المحاكم ابتدائية واستئنافية في كل ولاية كالمحاكم النظامية وابقاء التمييز في الاستانة ما بقي تمييز الاحكام العدلية فيها وان كان في ذلك مشقة على أهل الولايات البعيدة وتعويق للاحكام النهائية يرجى ان تلتاها الحكومة أو تلتاها مجلس الامة

وأقترح على باب المشيخة الإسلامية وعلى مجلس الامة ان يعهدا الى اللجنة التي تنظر في اصلاح المحاكم الشرعية بمطالعة تقرير الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الذي قدمه لظاهرة الحفانية في شأن محاكم القطر المصري وما يلزم لاصلاحها ومطالعة لائحة محاكم ذلك القطر القديمة والنظام الجديد الذي وضع اخبرنا فان في ذلك عوننا كبيرا

والله الموفق

خطبة

﴿ على أعضاء المجلس العمومي بيروت ﴾

دعا كامل بك الاسعد كبير عشائر جبل عامل وفاقه أعضاء المجلس العمومي بولاية بيروت الى داره فيها وأعتد لهم مأدبة حضرها صاحب هذه المجلة وبعض وجهاء بيروت. وبعد الفراغ من الطعام وقف دعاس افندي جريس أحد الاعضاء وأثنى على رب الدار، وأطرى صاحب المنار، وأشار الى رغبة الحاضرين في استماع شي منه في موضوع المجلس العمومي ورأيت الانظار موجهة الي تنظر الاجابة فشكرت وقلت بعد مقدمة فكاهية ماملخصه :

ان للمجلس العمومي فائدتين فائدة اجتماعية وفائدة عملية أما الفائدة الاجتماعية فهي تنشئة الامة وتزيتها على الحكم النيابي اعني حكمها لنفسها نفسها ان أمر هذه المجالس العمومية من أفضل ما في القانون الاساسي من الاصلاح فلولا يكن للامة أحد من قبلها ينظر في مصالحها إلا المبعوثون في عاصمة السلطنة لأمكن ان يبقى أهل الولايات ولاسيما البعيدة عن العاصمة جاهلين لمعنى مشاركة الامة للحكومة في ادارة مصالحها ولكن وجود أفراد من كل قضاء بكل ولاية في مجلس قريب منهم يشرف على اعمال حكومتهم وينظر في مصالحهم ومنافعهم هو الذي يلهيهم بالعمل معنى الحكومة الديمقراطية ويعلمهم واقين بان حكاهم عمال مخلصون لاسادة قاهرون وانهم لا يستطيعون ان يستبدوا فيهم أو يظلموهم الا اذا ظلموا هم انفسهم ان المبعوثين يشتغلون بأمر الدولة الكلية فصالح الاهالي لا تعلق بهم مباشرة وانما تعلق بحكومتهم المحلية فذلك المجلس ينظر في القوانين العامة ولكنه لا ينظر في كيفية العمل بها في كل قضاء بحسب حاجته ولكن هذه المجالس العمومية هي التي تنظر في ذلك فتقرر اصلاح كذا من الطرق وانشاء كذا من المكاتب والمدارس في الاماكن التي تعينها والاهالي يرون ذلك بأعينهم ويعلمون انهم نالوه برأي نوابهم ونفوذهم في

آكومتهم فذلك ففرون على الآكم النفاى وفعرون ففمه فلا فرفعون عنه ولا فرفون بالآكم الشآصى بعءه

ان مآلسكم هءا صورء مصفرة لمآلس المبعوآن فاذا قمم بمآءء الكم كا فرفى من ففرفكم وفبرفكم فانكم فكونون أولف من فبركم بالفرفف فف الآفآباف الفآلة لأن الآهالف فكونون فءوقوا فكم عن ففورة وفبرة كما فكونونأ كثرعنافة بالآفآب وأكبء آملاف فف الففففن

ان ماذ كرف فف معنف فرفة الآمة على الآكم النفاى أمر عظم ففب ان فكون فصب أعفكم فان له علاقة عظفمة بمسفبل البلاد وعظمة الفولة . ان الفولة لا فكون فولة فففورفة الا اذا اسفر الآكم الفففورف فف كل ولآفة من ولآفأها وعمرت به البلاد وارفف أهلها

ان كل ولآفة من الولآفاف فءء عضوا من أعضاء جسم الفولة ولا فمكن ان فكون الجسم آفا قوفبا سولفا اذا كان بعض أعضاءه صحفآا وبعضها مصابا بالفآلف . فم افف أذكركم بما لا ففونوه من ان فف الآمة آز با فرى وفوب اسفقالل كل ولآفة من ولآفاف الفولة فف اءارفها الفافلفة كالولآفاف الآمانفة أو الولآفاف الفففة فاذا كانت البلاد الفمانفة ففر مسففة لفذلك الآن واذا كان هءا الآزب الآن ضعفا لا فسطفف فنففء رأفه فا فءرفنا ماذا فكون فف المسفبل البعف أو الفرفب من أمره وأمر البلاد ؟ ألا فموز ان فقوى بمء وان فكون الوزارة فف فوم مأ من أعضاءه والرأف الفالف فف مآلس الآمة هو رأفه ؟ (فموز فموز) اذا كفف فكون آال ولآفنا هءه وسائر الولآفاف الفرففة الفف فف فونها وءون سائر ولآفاف الفولة فف الاسفءاء للاسفقالل الآءارف ؟ . اننا فعرفف باننا عاجزون الآن عن اءارة شؤون ولا ففنا بءون اسفآانة باآواننا من الفرك مع ان ولآفنا أرقف الولآفاف الفرففة وفء قلأ من فبل وكتبأ فف المآر ان الولآفاف السورفة فءء وسفلا فف الاسفءاء والارقفاء فف ولآفاف الرومفل وبعض ولآفاف الاناطول وفن سائر الولآفاف الفرففة كالعراق والآآاز والفن . ففجب ان فرفف انفسنا وان فكون مصءرا أو عوال سائر الولآفاف الفرففة على الارقفاء . بل أقول ان آخواننا الفرك الففن فعرفف لهم بانهم أرقف منا لا فسففنون الآن

عن الاستعانة بالاجانب لتربية ولايتهم كاحتاج نحن اليهم والى الاجانب وهذا الرأي عندي قديم وقد كاشفت به متصرف طرابلس والوالي ايضا فن الحتم ان نوجه جل عنايتنا للحكم الذاتي والاستفتاء بانفسنا عن الاجانب ايها الاعضاء الكرام : ان هذا النرض الذي تطالبون به عظيم ولكن قوة الارادة في الانسان تصغر كل عظيم وتسهل كل عسير فاذا وجهتم عزائمكم الى ذلك بالاخلاص فانكم تصلون الى الغاية باذن الله

وقل من جد في امر يحاوله واستعمل الصبر الاقار بالظفر يرى بعض الفلاسفة ان الانسان لا يجزم ارادته بامر ممكن الا وينفذ وكان الاستاذ الامام على هذا الرأي وقد قال اكثر من مرة انه لم يجزم ارادته بطلب شيء جزما تاما لا تردد فيه الا وحصل وقد كان حكما الصوفية على هذا الرأي وعبر عنه بعضهم بقوله « ان لله عبادا اذا ارادوا اراد » اي اذا صح توجه ارادتهم الى شيء تعلقت به ارادة الله وما تعلقت به ارادة الله نفذ حتما فلي الانسان ان يعرف قيمة نعمة الارادة فيوجهها الى خدمة وطنه جازما بانه اهل لأن يرقه وهو بهذا يكون اهلا له معها كانت معارفه فان تفاضل الناس بالارادة فوق تفاضلهم بالمعرفة فاكل عالم ينفع وكل من اراد ان ينفع فانه ينفع على قدر استعداده

هذا ما احييت ان اذكر به من امر الفائدة الاجتماعية في المجالس العمومية واما الفائدة العملية فهي قسبان مادية وأهمها إصلاح الزراعة وتسهيل المواصلات وتعديل الاموال الاميرية . ومعنوية وهي التربية والتعليم والبحث في هذه المسائل يطول وأتم أعلم بحاجة البلاد وطرق عمرانها من رجل مثلي ليس له مثل اختباركم ولكنني اذكركم بثلاثة أمور تتعلق بالتعليم هي أهم المسائل في رأيي : مراقبة التعليم والتربية في المدارس ، وإنشاء مدرسة للمعلمين ، و احياء لغة البلاد

ان مدارس الحكومة ليس فيها تربية ولا تعليم نافع بل ربما كان ضررها أكبر من نفعها وانما كان حظ الحكومة المستبدة السابقة منها هو التمتع بصورة الملك دون التربية التي تكون النفوس الفاضلة والتعليم الذي يربي المتول الكبيرة ان الدول تؤلف في هذا العصر من عدة وزارات منها وزارة المعارف وهذه

الوزارة لا تكون بغير مدارس فكان بقاء المسكتيب والمدارس في عهد الاستعداد الماضي لدولتنا لاجل استكمال صورة الملك والتمتع بها فان التمتع بالظاهر الصورية له لغة كما ترون في تمثيل القصص والا فان الاستعداد كان يحارب العلم حربا حروبا فان أردتم ان يكون التعليم نافعا في مدارس الحكومة فيجب ان تبدأوا بالامر الاول وهو مراقبة التعليم بان تطلبوا تعيين مفتشين ممن يرضى الاهالي معرفتهم وغيرتهم وصدهم يتعاهدون هذه المدارس ويراقبون سيرة مدبريها ومعلميها في التربية والتعليم . ثم ان فساد التعليم في الزمن الماضي قضى بان يكون المعلمون الاكفاء فينا اند من الكبريت الاحمر فالاصلاح الحقيقي للتعليم يتوقف على إنشاء مدارس لتخرج المعلمين القادرين على التربية والتعليم بالطرق المصرية القرية . يجب ان يكون الاستاذ المعلم على علمه بالفن الذي يعلّمه مهذبا ليكون قدوة للمعلمين في الفضيلة فان فاقد الشيء لا يعطيه . ويجب ان يكون مع ذلك عارفا بطرق التربية والتعليم فما كل مذهب يعرف كيف تتكون ملكات الفضائل في النفوس ولا كل عالم يعلم كيف ترسم مسائل العلوم في الازهان فلا بد من إنشاء مدوسة للمعلمين في مركز الولاية . واما احياء لغة البلاد واعني بها اللغة العربية فالذي طالب به الحكومة من وسائله هو جعل تعليمها في مدارسها كلها الزاميا كأختها التركية وجعل دراسه العلوم في الولايات العربية بلغة أهلها وفي سائر الولايات بالتركية كما كان بحسب القانون والذي يقرر هذا هو مجلس الامة في الاستانة وانما على المجالس الصومية المطالبة به لا يقال ان هذا يفتح علينا باب تعصب الجنسيات في الدولة واننا في أشد الحاجة إلى الاتفاق والتمسك بالاجناس فان الفرق بين العرب وبين ما عدا الترك من الاجناس واضح جدا

ان الشعب العربي يعد نحوًا من ثلثي نفوس الدولة ويقل فيه من يعرف التركية وأما سائر الاجناس : الالبانيين والاكراد والارمن والروم فكلهم يعرفون اللغة التركية فلا يحتاج الحكام والموظفون فيهم إلى معرفة لغاتهم ليحسنوا القيام باعمال الحكومة فيهم بل ان أكثرهم ليس لهم لغات علمية ذات فنون ومعايير تصلح للتعليم فالارمن قريبا عهد بتدوين لغتهم وجعلها تعليمية والالبان والاكراد

لما يتم لم ذلك بل قرأنا في بعض جرائد هذا الشهر ان الابان قد عزموا على اختيار الحروف العربية للفتح التي يشتغلون بتدوينها ومن المقرر ان غرض الحكومة الأولى من مدارسها هو تخرج الموظفين الأكفاء فاذا كان المتخرجون فيها جاهلين باللغة العربية التي هي لغة أكثر العثمانيين يتعذر عليهم ان يقوموا بوظائفهم كما يجب في أكثر بلاد الدولة فان من يجهل لغة قوم يتعذر عليه ان يعرف حقيقة حالهم وما ينبغي لهم وما يتظلمون منه . ولا يقول عاقل انهم يستغنون بالترجمين لما في ذلك من السر والتفات وأين يتعلم المترجمون ؟ على أن العربية ركن للتركية فعملها يزيد المتعلم كمالا فيها اما جعل اللغة العربية هي لغة العلوم والاكتفاء من التركية في بلادنا بالقراءة والكتابة فذلك ان الامة التي لا تلقي العلوم بلغتها لا تكون امة علم وانما يكون مبلغها من العلم أن يوجد فيها بعض المترجمين لبعض ما يقرره العلماء المستقلون ولا يوجد فيها المحققون والمخترعون والمكتشفون

ان لغة الامة صفة مقومة لما واللغات التي يتعلمها بعض افرادها اعراض تعرض لها وتنازعا فاذا تلقت العلم بلغتها بصير صفة لهاحية بجأتها نامية بنائها واذا تلقت بلغته اجنبية قصصاه أن يكون زينة عارضه لبعض افرادها ولا ارتقاء للام في هذا العصر الا بالعلم فيجب علينا أن نبذل جل عنايتنا في تحصيل العلوم المصرية ونقلها الى لغتنا ولا حياة لنا بغير ذلك واتنا في عملنا هذا لا نبعد عن اخواننا الترك بل نكون اخوة متساوين في المزايا والحقوق لما يجب أن يكون الاخوة . والمساواة الحقيقية لا تكون مع التفاوت في العلم والعرفان (فليس سواء عالم وجهول)

ارجو عفا فقد اطلت عليكم عقب الاكل ووقت طلب الراحة فان خلطت في الكلام فرميا كان سبب ذلك الخلط في الطعام ، وتوجه اكثر الدم الى المدة واقله الى الدماغ والسلام

الحرية واستقلال الفكر

آخر خطبة لي بيروت

دعيت الى حضور الاجتماع الشهري لجمعية الجامعة اللبنانية بيروت في أوائل هذا الشهر (آذار) فأقترح علي رئيسها أن أخطب فيهم بما يفتح الله به حاكيا عن رغبة الجمهور فسمت وقلت ما ملخصه بحسب ما أتذكر

أيها الاخوان الكرام

إن المسائل التي نحتاج الى البحث فيها واستجلاء غوامضها كثيرة جدا فمن الناس من اذا اقترح عليه ان يخطب يبادر الى الكلام في الموضوع الذي يتبادر الى ذهنه سواء كان مطابقا لمقتضى الحال يرجى ان يستفيد منه السامعون ما يصحح أفكارهم أو يقوم أعمالهم أم لا. ومنهم من يرى هذه الطريقة متقدمة وانه لا بد ان يخاطب الناس بما يتعلق بمحلم وما ينبغي ان يكونوا عليه في أفكارهم وأعمالهم فلا يحتملهم على ماسبيل اليه ولا يقرر لهم مالا يفهمون حقيقة

مثال من ذلك : ان بعض الخطباء يقف فيقول أيها اللبنانيون عليكم ، بالاتحاد عليكم بالائتلاف ان الاتحاد هو مفيض العمران ومرفق الأوطان ورافض شأن الإنسان. ويكتفي بمثل هذه الخطايات المجهلة التي لا يعلم السامعون كيف يمكن العمل بها فان اتحاد المختلفين في التربية والتعليم والقائد والافكار والاخلاق والتقاليد والمادات من الامور لا يمكن ان تحصل بمجرد الحث عليها ومدحها وإنما يجب بيان ما يشترك فيه من يراد منهم على الاتحاد واقناعهم بأن منافهم ومصالحهم مرتبطة به وانها إنما تحفظ وتقوم بأنحادهم واتفاقهم وتذهب أو تضعف بتخاذلهم وتفرقهم

أما أنا فأقول ان كل كلام صحيح المعنى لا يخلو من فائدة والفكرة الاجالية لا نخرج الى حيز التفصيل إلا بآرازها بأقول أو بالكتابة ومن لم يستفد اليوم من الكلام (المجلد الثاني عشر)

الصحيح فائدة ثامة يرجي أن يستفيد غذا فليقل كل أحد ما يرى أنه حق نافع وليقدم
الاهم على غيره وهو ما كانت حاجة الناس اليه اكثر . واذا قيل لنا ما هو أهم ما نحتاج
اليه الان ؟ قلنا أننا محتاجون الى اشياء كثيرة من العلوم والاعمال لاجل ان نهض
لما نكون به أمة عزيزة ولكن نهوضنا يتوقف على أمر عظيم لا يحصل بدونه . فما هو
هذا الامر الذي هو شرط للارتقاء في كل علم وكل عمل بحيث يلزم من عدمه العدم ؟
ألا إنه هو الحرية الشخصية واستقلال الفكر

قد قلت في بعض الخطب التي تكلمت فيها عن الحرية ان استعداد البشر
للارتقاء ليس له حد يعرف ولا غاية تحدّد فاذا عاشوا ملايين من السنين يمكن أن
يكونوا في ارتقاء مستمر لا يقطع اذا كانت حريتهم في العلم والعمل مصونة من عبث
المستبدّين فهكذا ترتقي الامم على قدر صيانتها واحترامها للحرية وتتخلف عن الارتقاء
بل ترجع الى الوراء على قدر عبثها بالحرية وبحكمها في الباحثين والداملين

مضت سنة الله في البشر بأن الفكر يسبق العمل فاذا كانت أفكار العقلاء
والاذكياء مضغوطة ممنوعة من الحركة والنمو فإنها لا تكون مستقلة والامة لا تخطو خطوة
واحدة الى الأمام الا اذا أطلقت العنان لجياد الافكار تجول في ميادين الكتابة والخطابة
بلا حرج ولا ضغط لا فرق في ذلك بين المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها
يجب علينا أن نحترم رأي من يخالفنا كما نحترم رأي من يوافقنا لأن الفلاح
متوقف على ظهور الحقائق وظهورها يتوقف على استقلال الأفكار وحرية البحث
والكتابة والخطابة ولا يخاف على دينه من حرية البحث إلا من لا ثقة له يدينه ومن
كان واثقا بأنه على الحق فانه يعلم أن مخالفته فيه لا تزيد الا قوة وظهورا قد نطق
الكتاب العزيز بما هو ثابت عقلا واختبارا من أن الحق يعلو ولا يعلو وانه ما تنصارع
الحق والباطل الا وصرع الأول الثاني « بل قذف بالحق على الباطل فدمغه فاذا
هو زاهق » « وكل جاء الحق وهزق الباطل إن الباطل كان زهوقا »

علينا أن نبحث بعد هذا عن أنفسنا لنعلم هل نحن نحترم استقلال الفكر وحرية
القول والعمل ؟ هل قننا بحق هذا الشرط الذي يتوقف عليه كل مقومات الحياة
الاجتماعية والسياسية واسبابها ؟ إن حكومتنا تركت الضغط على عقولنا وافكارنا

والحجر على ألسنتنا وأقلامنا لتكون احرارا في أقوالنا واعمالنا فهل صرنا أحرارا بالفعل؟
نعم أن الحكومة تركت الاستبداد والاستعباد وأباحت لنا الحرية طوعا أو كرها
ولكننا ما قبلناها فان الافكار لا تزال مضغوطة محجورا عليها أن تبرز من مضيق الدماغ
الى فضاء الوجود الخارجي والحرية الشخصية مهددة لا من الحكومة بل منا أنفسنا
في البلد حوادث حيوية كثيرة لا يكتب أحد من أصحاب الجرائد رأيه فيها
بالحرية. ولماذا؟ يخاف من « المراقب » أن يرجعها له؟ لا إن الجرائد لا تعرض
الآن على المراقبين كما كانت تعرض في زمن استبداد الحكومة ولكن ما سقط
مراقب الحكومة الا وقاسم مثل عمله من لا يحصى من دهاء الأمة يفتاتون على
أصحاب الجرائد وكتابها وعلى الحكومة نفسها وربما كان هذا الاستبداد أشد وطأة
واثقل ضغطا من استبداد الحكومة

إن جرائد بيروت كان لها مدير واحد لسياستها هو المراقب وكانت نسبة
أصحابها ومحردبها اليه كنسبة محروري الجرائد الكبيرة في البلاد الحرة الى رئيس
التحرير أو مدير السياسة. فكانوا اذا أرادوا كتابة شيء يتحرون أن يكون بحيث
يرضيه وقد عرفوا ما يرضيه ويميزه فلم تكن مراعاته متعذرة عليهم ولكن يتعذر عليهم
الآن أن يعرفوا ما يرضي هؤلاء المراقبين الذين حلوا محله لأن عقولهم وآراءهم
لبس لها قاعدة ترجع اليها ولا ميزان توزن به. فهل يمكن أن ترقى الصحافة أو
الافكار في بلاد يفتات على حلة الاقلام وارباب الافكار فيها كل أحد حتى
البحار والحمال و بائع الحص والبول !!

اننا قد تمينا باسم الحرية في أيام إعلان الدستور وأقينا الخطب الكثيرة في
وصفها، وانشدنا القصائد العديدة في مدحها والتغزل بها، وكان هتاف الجماهير للخطباء
والشعراء « يعلو في الجو حتى يبلغ عنان السماء » وكتبنا ذلك الاسم الجليل « الحرية »
بالخطوط الجميلة وزينا به البيوت والمعاهد العامة والخاصة والحدائق فظهرنا بمظهر العاشق
الوطنان لهذه الحرية الجميلة ولكنني اخشى أن نكون في عشقنا لها كعاشق أم عمرو؟
ولعل بعض الحاضرين لا يعرف خبر هذا العاشق فاذكره إعلاما له وتذكيرا لغيره
مر بعض الناس بصديق له مرة فراه على غير ما يهد : وآه قلنا مضطربا فسأله

من حاله قتال إتي عاشق ولسان لا يقر لي قرار ، ولا يلبط لي اصطبار ، ولا يبتأ
لي طعام ، ولا يزود جيتي نعام ، قال له صاحبه من عشقت ؟ قال عشقت أم عمرو ،
اجل نساء العصر ، قال من هي أم عمرو ومتى رأيت وجهها الملبح ، فبرج بك هذا
التبرجح ؟ قال لا أدري من هي ولا لحنها عني وإنما سمعت رجلا يشد في الطريق :
يأم عمرو جزاك الله مكرمة ردني علي فؤادي ابنا كافا

قلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه أبرع النساء جمالا وحسنا ، وأوفرهن من
القسماء قسما ، لما قال الشاعر فيها هذا القول فمشقتها

وقد طال على هذا العاشق الاحق عشق تلك المشوقة المجهولة حتى مر به
صاحبه يوما فاذا هويكي ويندب قد ساورته الاحزان ، ووابته الاشجان ، فساله
مادهالك ؟ فصاح أواه واويلاه : لقد بليت بأشد المصائب وأعظم النوائب قد ماتت
أم عمرو . وغلبه الشجيع وأخذ في التحجب ، ولما سكت عنه الروع قال له ومن أخبرك
بموتها فهل رأيته وعرفتها ؟ قال لا ولكنني سمعت الشاعر ينشد في الطريق :

قد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

قلت لولا انها ماتت لرجعت ولما قال الشاعر هذا القول

نعم انني أخشى ان تكون حريتنا المشوقة ، هي أم عمرو المجهولة ، فان الحرية
الحقيقية قد تعرفت الينا فنكرناها ، ورغبت فينا فرغبتنا عنها ، وأحببت القرب منا فافخرنا
البعد عنها ، والافنا بالالكثيرين منا ، يسلطون العامة على من يدي رأيا يخالف رأيهم
أو هوى أنفسهم ، يهددونه ويهينونه ، وإذا لم يوجد له عصبة تمنعهم منهم فانهم يضره ، ومتى
كانت الحكومة المستبدة تضطهد حرية الفكر والملم أشد من هذا الاضطهاد ، وتحاول
استبعاد أقبح من هذا الاستبعاد ، أي السودتين اذل ، العبودية للحكومة أم العبودية للعامة ؟
كان الخطباء والشعراء يقولون في أيام عيد الحرية في مدح الأمة تحموا بما يقولونه

في مدح الحرية نفسها لإظهار التناسب بينهما . ولا يزال كثيرون منهم يسمعوننا مدح
أنفسنا ، ويشيدون بفضلنا وفضل سلفنا ، ويمثلون بقول شاعرنا : نبني كما كانت أوائنا الخ
أما أخوكم هذا فيقول ان ما كان يقال في أيام عيد الحرية لا ينبغي أن يقال اليوم ولا
في كل يوم . ان الأعياد في عرف الناس هي أيام السور والابتهاج فيحسن ان

يتقاسي فيها ما يسوء ويتحرى فيها ما يسر، وهذه أيام الجدة والعمل فيجب ان نعرف فيها ما يحتاج اليه في هذا العصر لتجاري الامم العزيرة القوية، الراتعة في بحبوحة الدنيا، لان أن نغي النفس بالأقوال التي يلذ صماعها، ونترك السنن التي نرقى باتباعها، يا قوم اننا مرضى ومن كم دامه قله، اننا مرضى ويجب علينا أن نداوي أنفسنا، ان الادوية لا يقصد بها اللذة، بل يقصد بها المنفعة، هل سمعتم ان الأطباء يداوون المريض المدنف باطعامه اللحوم المعالجة بالبول والاقاوية والكثافة والبقلاوة والاشربة المثلوجة؟ لالا انهم يداوونه بالمسهلات البشعة الطعم والكيثا المرة ودرعاد اووه بالسكين بنال شيئا من بدنه. وكذلك تكون أدوية الامراض النفسية. وانتم ليسوئي ان اصرح لكم بما يؤلمكم ولكنها الحقيقة لا بد منها وان كانت مرة كاللواء «أخوك من صدقك لان صدقك» ان من فضل الحرية علينا ان صرنا قادين على البحث عن مرضنا وعلى الاجتهاد في معالجته فيجب ان نعرف قيمة هذه النعمة وان نشكر الله تعالى عليها بالعمل الذي نستفيد به منها

أعود فأقول اننا لا يجوز لنا ان ندعي اننا عرفنا الحرية واننا قدرها قدرها الا اذا كنا نحترم استقلال الفكر فلا نفرض أحدا في إبداء رأيه وإظهار علمه باللسان أو القلم ولا يمكن ان نخطو خطوة واحدة الى الامام بدون هذا

فعليكم أيها الفضلاء المحبون لخير أمتكم وقدم بلادكم أن تنصروا الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية وأن تبذلوا جهد المستطاع في بث هذا الفكر في طبقات الأمة وتغنوا أولئك الذين نسع أخبار افقياتهم على الكتاب وأصحاب الجرائد بأن علمهم هذا ضار ببلادهم وان الذين يفرونهم بذلك هم اهل الاهواء الذين يتبعون حفظ أنفسهم ولو فيما يضر ببلادهم

انصروا حرية البحث والطباعة لكي تتجلي للأمة الحقائق فتعرف ما يضرها وما ينفعها ولكي تتربي فيها العقول الكيرة يمد رفح الضغط عنها. ان تعملوا هذا تخدموا بلادكم أحل خدمة. وأراني اطلت عليكم في هذا الكلام الحار مع حرارة الجوى بكثرة الاضواء وازدهام الناس فحسي هذا والسلام

خوارق العادات

﴿ في الاسلام ﴾

اطوار البعر والمعجزات - المعجزات العقلية والحسية - علم القنب - التوهم المنطيسي
استحضار الارواح - الكهانة - الاحلام - السنن الكونية والمعجزات
جرائم الامم والافراد والقويات الالهية عليها

أتى على الانسان حين من الدهر كان في طور أشبه بطور الطفولة ، فسادت
الأوهام والخرافات على العقول البشرية ، وكثر بين الناس الدجالون والمحتالون ،
والسحرة والمشعوذون ، وملكوا نواصي الناس بافكهم وكذبهم ، وصاوا يتصرفون في
جميع أمورهم ، فما كان أحديهم على عمل ما إلا بعد مشاورتهم ، والاسترشاد برأيهم ،
فكان الناس في أيديهم كالانعام بل هم أضل سبيلا : عقول فاسدة ، وآراء كاسدة ،
وأفهام ساذجة ، وبصار قاصرة ، وجمل وأوهام ، وخرافات وخزعبلات ، تقيمهم وتقدمهم ،
وتفرحهم ونحزنهم ، وتخيفهم وتزعجهم ، فاذا برق بارق من السماء ارتجفوا واضطربوا ،
وإذا نزلت صاعقة من السحاب ماجوا وارتموا ، وإذا أصابهم مرض ما علقوا لدنمه
الاوراق ، أو استجدوا براق ، وإذا نظر إلى بنهم ناظر حوطوهم بالتمتم ، وأطلقوا
حولهم بخور المباخر ، وإذا كسفت الشمس أو خسف القمر صاحوا ودقوا الدفوف
وقرعوا الطبول لإرضاء آلهتهم على ما يزعمون - إلى غير ذلك من الاوهام والأباطيل .
هذا كان شأن الجماهير إلا من شذ منهم وندر ، وأضاء الله عقله بشيء من نور

العلم ومع ذلك ما كان يسلم عقله من جميع ترهاتهم

سار الله تعالى مع تلك الأمم في هذا الطور سير الأب الحكيم مع أبنائه في
طفوليتهم فأكثر فيهم الهادين والمرشدين والأنبياء والمرسلين فأكثر من وعظهم
ونصحهم وانذارهم ووعدهم وعيدهم . وخذلوا من كانوا متسلطين على عقولهم من

السحرة والمشعوذين بما أجراء الله على أيديهم من المعجزات ، وأظهر لهم من الآيات
الآيات ، التي تركت السحرة مغلوبين في أمورهم ، حيارى في شأنهم ، ولولا تلك الآيات
لما قدر الانبياء على تخليص أمهم من حائل الدجالين والمحتالين ، بل الابالة
والشياطين ، فكانوا إذا ظهرت تلك المعجزات بهرت منهم العقول وحيرت الافكار
وأعجزت السحرة وأدهشت الناس فيخضع المستعد منهم لهية من ظهرت على أيديهم
فيؤمنون له ويتبعونه . ويطيعونه فيما يأمرهم به (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) ثم
يأخذ الله الماندين الذين خالفوا ضمائرهم وكابروا عقولهم وأبصارهم ولم يعزوا بين
الغالب والمغلوب ، والصادق والكذوب ، بأنواع من العقوبات تناسب أحوالهم جزاء
لهم وعبرة لغيرهم ليعلمهم يرشدون

مضت الأيام والأعوام ، وتوالت القرون والأجيال ، وانتقل البشر من حال
إلى حال ، وارتقوا من طور إلى طور . فأخذت العقول تستدير ، والأفكار تضيء .
والسحر يضمحل ، والانبياء من بينهم تقل ، حتى ختمت النبوة بعثه سيد الانبياء
 والمرسلين . وأكبر الهادين والمصلحين

كان البشر في عهد البعثة المحمدية ، قد خرجوا من طور الطفولية إلى سن الرشد
فأصبحو لا يناسبهم من الدلائل والبراهين ما كان يناسبهم في القرون الأولى وقيل
فيهم تأثير المحتالين والدجالين والسحرة والمشعوذين . وصاروا يرجون الهداية من
طريقها ، فساعدتهم الاسلام على ذلك ونهجه بهم منها لم يسبق به دين من قبل ، فجعل
الحجج العلمية والدلائل العقلية رائدة في جميع دعاويه وعليها متمددة في كل مبانيه ،
وقل من شأن المعجزات الحسية بقدر الامكان ، حتى لا تكون عقبة في رقي عقل
الانسان في مستقبل الزمان ، (وما كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل
كتاب * يحول الله ما يشاء . ويثبت وعنده أم الكتاب) فان البشر في عهد النبوة
المحمدية ، أخذوا يدركون قيمة المعجزات الحسية ، وأنها لاعلاقة بينها وبين دعوى
النبوة ، وأنها لايسهل تمييزها عن غيرها من أعمال السحرة والمشعوذين ، والصناع الماهرين ،
وأنها إن أقنعت تلك العقول القديمة وأرهبت تلك النفوس وهي صغيرة وحملت على
الإيمان فأنها أوجبت لانتقي العقل قليلا ولا تزيد الأمور إلا تعقيدا . وأن الدليل

إن لم يكن له من العقل أكبر نصير فهو أضعف ضعف . ومن كان يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات فما كان يريد بها إلا الاعاث والاعجاز ، والسخرية والاستهزاء ، وإلا فان أمامه من البراهين والآيات ما يشفي علة النفوس ويروي غلة العقول (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) وأما ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الحسية فلم يكن يراد به إلا إغمام الماندين المستهزين ، والزيادة في تثليث ضعفاء المهتدين . وقد كان جل اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات دعوته على القرآن وحده . كما يتضح ذلك لمن تدبر آياته . فانه هو المعجزة التي تلثم مع الدعوة ، وتعلو بالقل إلى مستوى العلم والفهم ، وتاسب حال الاجيال من بعده فلا تقف عقبه في سبيل نظرياتهم وتفكيرهم ، ومعلوماتهم واختراعاتهم ، ولا تتلبس عليهم بحيل الدجالين وتدليس المحتالين ، ولا بكذب القصاصين وافتك الراوين ، ونجيل الواهمين واختراع الكاذبين ، بل تساعدهم على البحث وتحضهم على التفكير والنقد والتحجيص والاستدلال والاستنتاج

فبعبئة محمد صلى الله عليه وسلم ختم عصر المعجائب والغرائب وبدأ عصر العلم والمقل فهو الحد بين المصريين فلذا كانت معجزاته تشمل هذا وذاك وكان أجلها وأكبرها والباقي منها وهو القرآن مناسبا لزمته عليه السلام ولكل ما أتى ويأتي بعده من الازمان فلا يناسبها غيره

وكما ختم عصر المعجزات ، وتمت النبوات ، كذلك أغلق باب الكهانة فكأن الله تعالى في العصر الأول والبشر في طور الطفولية كان يتجلى لأبصارهم وفي العصر الثاني وهم في طور الرجولية صار يتجلى لبصارهم أكثر مما يتجلى لأبصارهم . فان بصائرهم في العصر الأول كانت ضمنية لصغرهم فلا تتحمل أن تراه فلذا كان يظهر لأبصارهم بأنبيائه ورسله الكثيرين وآياته ومعجزاته وبعض مخلوقاته كالجن الذين كانوا يسرقون السمع من الملائكة الأعلى فيخبرون به بعض البشر وذلك لانبثاق الأب مع أطفاله يكثر اتكلم معهم وتأديبهم ونهذيتهم وترغيبهم وترهيبهم بمكافئاتهم بالماديات أو معاقبتهم على حسب ما يسد منهم فاذا صاروا رجالا كف عن ذلك

واكتفى بإبداء بعض تعاليمه العامة وإرشاداته المكتسبة من طول التجربة والاختبار وتركهم يستعملون عقولهم فيما يرونه صالحاً لهم كذلك فعل الله تعالى (وله المثل الأعلى) بعد أن بلغ الإنسان رشدَه أعطاه الشريعة العامة والقواعد الثابتة وأباح له التصرف في الأمور بحسب ما يرشده إليه عقله فبعد أن كان يوحى للأنم السابقة بكني إسرائيل مثلاً في كل جزئية من جزئيات الأمور اكتفى الآن بما في القرآن الشريف من القواعد العامة والأصول الثابتة فانها مع ما يوحى إلينا العقل كافية لهدايتنا في جميع الأمور بعد أن بلغنا رشدنا

لذلك أغلق الله تعالى باب الوحي والمعجزات والكهانة وأخبرنا بذلك كله صريحاً في الكتاب العزيز فلم يبق لمحتال علينا حيلة ولا لمشعوذ أدنى وسيلة وبذلك خلص العقل البشري من الأوهام والخرافات والترهات ، وأصبح طريق العلم أمامه واضحاً لا يحجب عنه حاجب ولا يقف أمامه فيه واقف ، ولكي لا يبقى هناك ثلعة في نفس أحد من المؤمنين يصل إليه منها شيطان من الشياطين نص الكتاب العزيز نصاً صريحاً لا يقبل التأويل على أن الغيب علمه عند الله لا يعلمه إلا هو وأن الأمور كلها بيد الله يصرفها كما يشاء لا يراعي فيها مجاملة أحد من عباده فقال مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي نقصاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثل ذلك في القرآن كثير يصعب أن يستقصى في مثل هذه المقالة

يقول واهم إذا كان الغيب لا يعلمه أحد إلا الله فما بال التنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح والأحلام الصادقة تكشف كثيراً من الغيب وكانت الكهانة تكشف كثيراً من قبل ؟

فاعلم أن الشخص في حالة التنويم المغناطيسي لا يمكنه أن يعلم شيئاً مما لم يوجد فلا يمكنه أن يطلع على الغيب أي لا يمكنه أن يعرف شيئاً مما لم يكن له وجود وهو في تلك الحالة المخصوصة وغاية الأمر أنه لا يحجبه عن رؤيا بعض الموجودات حاجب لصفاء روحه عن كثورة المادة إذ ذاك ومن هنا تتسع دائرة معلوماته عن بعض

الموجودات فيمكنه أن يخبر بالقياس أو الاستنتاج مما علم عن بعض أشياء قبل وقوعها كالأمراض التي تنصبه مثلا بعد وقوفه على حاله الجسمية كما يخبر الطبيب عن بعض الأشياء المرضية قبل حصولها لمعرفة الأمراض وأسبابها ومسبباتها وأعراضها وكما يخبر الفلكي عن الكسوف والخسوف قبل وقوعهما أي إن الشيء إذا لم يكن موجودا فلا يمكن العلم بوقوعه إلا قياسا أو استنتاجا أو استنباطا من موجود وإلا فالغيب (وهو ما غاب عن الإنسان لعدم وجوده مطلقا أو لعدم وجود ما يستدل به عليه) علمه عند الله لا يعلمه إلا هو ولا يعلمه أحد من عباده إلا إذا أطلع هو (جل شأنه) أحدا على شيء منه فيخبر به ويفشو بين الناس كما أطلع الله رسله (الملائكة والأنبياء) على بعض الغيب فعلموه وعلمه الناس منهم وكما كان يعلم بعض ذلك بعض الجن قبل إبطال الكهانة واستراق السمع من الملائكة الأعلى فيخبرون به بعض البشر فيخبر الناس أنهم يعلمون الغيب والحقيقة أنهم أخبروا بما أخبروا به لصلته بينهم وبين عالم الأرواح وإن كانوا يكذبون في كثير مما أخبروا به . ولنا الآن في مسألة استحضار الأرواح دليل قاطع حسي على إمكان اتصال البشر (ومنهم الكهنة) بالعالم الأخرى الروحية (ومنهم الملائكة والشياطين) وبذلك يمكن البشر الاطلاع على بعض البغيات من هذا الطريق كما يمكنهم أن يطلخوا على بعضه في طريق الأحلام الصادقة، قائما من قبالة الوحي إلى بعض النفوس الصافية، وفيها يرى الله تعالى بعض عباده شيئا مما سيكون برأده كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبل وليس للبشر في معرفة شيء من ذلك اختيار بل هو شيء يفعله الله متى شاء وكيف شاء

أما علم أحد من تلقاء ذاته (أي بدون وحي أو سماع من غيره) بغيب حقيقي (أي لا يستدل عليه من موجود) فهو محال إلا على الله الفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء متى شاء وكما شاء ودعوى معرفة أحد غيره الغيب دعوى باطلة كاذبة ولا يمكن لأحد الجزم بوقوع شيء من الغيب باليقين وما يقع منه مطابقا للخبر فلا يكون إلا اتفاقا ما لم يكن موحي به

فالغيب المنفي علمه في القرآن الشريف هو هذا الذي ذكره أي الغيب الحقيقي لا مطلق الغيب . فإن الغيب أمر اعتباري فإغاب عنك لا ينفي عن

غيرك ومالم تعرفه لجهلك بشيء . ما يعرفه غيرك من علم هذا الشيء .
أما مسألة إنكار المعجزات بسبب مخالفتها لما اعتاده الناس فهي من السخافة
يمكن . نعم إن سنن الله تعالى في هذا العالم لا تقبل ولا تتغير كما فلق به القرآن
الشريف في عدة مواضع منه ولكن خرق العادة ليس خرقاً للسنة فإن من سنة الله
إيجاد الشواذ في كثير من الأشياء المعتادة إذا اقتضت حكمته ذلك . ولذلك
نشاهد في عالمي الحيوان والنبات من الشواذ التي يسمونها (القلّات الطبيعية)
ما يصعب حصره وما قال أحد بأن هذه الشواذ خارقة لسنن الكون ونواميس
الوجود وإن كانت خارقة للمعاد . ولو سألتهم عن حكمة وجودها أو عن كيفية
خلقها لمجروا عن الجواب . أما نحن فنقول إن الحكمة في وجود مثل هذه الأشياء
الشاذة هي أن الله تعالى يريد أن يرينا شيئاً من مبلغ قدرته وعظمته وأن قدرته
تعالى لا تقف عند الحد الذي عهدناه بل هي أوسع من أن تحيط بها مداركنا وأما
كيفية خلق هذه الشواذ والعلل المباشرة لتولدها فانا نجهلها الآن كالجهل وربما
علنا عنها شيئاً في المستقبل . كذلك نحن فلم حكمة إيجاد الله تعالى للمعجزات وهي
أنها تخيف الناس وتلجئهم إلى الاحتماء بالأنبياء فيتعلمون بهم ويؤمنون لهم ويتبعونهم
فتصلح حالهم . وتفهم من أعمال السحرة والمشعوذين وتبدهم عنهم . ولكننا إلى
الآن لا يمكننا أن نفهم كيفية إيجادها ولا الأسباب التي تنشأها وغاية ما نقول إنه
هكذا أوجدتها القدوة الإلهية كما يقول الطبيعي عن الشواذ هكذا وجدت وإن
كان عقله لا يدرك كيفية وجودها .

قد يقول قائل إن هناك فرقاً عظيماً بين المعجزات وبين هذه الشواذ
الطبيعية التي اتخذتها مثلاً لها فالمعجزات لا يشاهدها أحد الآن بخلاف الشواذ
فانها تشاهد كل يوم فإن كانت المعجزات حقيقة وجارية على سنن الكون
فلم انقطعت الآن ؟؟ وقول أما انقطاع المعجزات فهو لاقتضاء زمن الأنبياء
ولو وجد داع لها الآن لوجدت كما أن كثيراً من الشواذ في العالم الطبيعي
قد انقرضت الآن لانقراض الحيوانات والنباتات التي كانت تظهر فيها . فكان
سنة الله تعالى في هذا العالم هي أنه إذا وجدت الحكمة لظهور المعجزات فظهر ،

ولو وجدت بعض الانواع من الحيوانات والنباتات البائدة لوجد فيها من الشواذ المخصوصة في خلقها وكيفية معيشتها ما يدعنا الآن ويمد من المصائب والعقوبات. وقد كانت الاحياء في مبدأ أمرها تولد من الجادات مباشرة وهو ما يسمونه (التولد الذاتي) وقامت البراهين القطعية على ذلك والآن لا يوجد شيء منه مطلقاً فلم لا ينكره المنكرون لا قضاء عهده الآن كما اقضى زمن المعجزات؟ إن هذا الامر عجاب ١١ بقيت كلمة واحدة تمة لهذا الموضوع وهي أننا قلنا فيما سبق ما معناه إن الله تعالى كان يؤدب الأمم بالساقطة ببعض أنواع من العقوبات المادية كالحبس والمسح والقسط فهل ما يقع الآن بالأمم من ذلك هو جزاء لهم على أعمالهم أم لا ؟

الجواب — إن ما يفهم من القرآن الشريف هو أن ما يقع بالأمم من المصائب المهلكة هو عقوبة لهم على أعمالهم (وما كان ربك مهلكاً لقري بظلم وأهلها مصلحون) وكذلك ما يصيب الأشخاص من المصائب هو في الغالب جزاء لهم على ذنب ارتكبوه (إن ربك بالمرصاد) (وما أصابكم من مصيبة فبما كبت أيديكم) ولكن لا يفهم من ذلك أن جميع المصائب هي بسبب ما كسبه الانسان بل إن ذلك بحسب الغالب . فان الآية لا تدل على التعميم وإذا فهم منها العدم فانه يخص بمنزل قوله تعالى (ولنبليكم بشيء من الخوف والجوع وقصص من الاموال والانسف والثرات) الآية . أي إن بعض المصائب قد يراد بها الاختبار أو غيره لا العقوبة كما أن قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) لا يراد به ظاهره مع أنه أصرح في إفادة السلبية من قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) الآية . فالله تعالى لم يترك البشر في هذا الطور (طور العلم والعقل) بدون مراقبة ومجازاة لهم على أعمالهم كلا ! بل هو أرحم من الأناب الحكيم لا يترك أبنائه إذا كبروا بدون تأديب لهم إذا كثرت أفعالهم بل قد يتداخل في أمورهم ويعاقبهم على ما يجرمون . فلا تحسبن الله شافلاً عما يعمل الظالمون . (المنار) اتبع الدكتور فيما ذكر من ترقى الدين رسالة التوحيد وهذا هو الامام في نسخ الشرائع الذي يحتاج به عليه الشيخ صالح الياقني في الرسالة التي بعدة . وهو لا ينكره . ويرد عليه ان الخوارق لم تنقطع ولكنها لم تعد حجة للدين في العصر كالعصور الأولى

باب المراسلة والمناظرة

﴿ ردّ الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين ﴾

١

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا آله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (ص) وأنه بلغ الرسالة وادى الأمانة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه واتباعه الى يوم الدين

أما بعد فاني قد وقفت على الكلمات التي كتبها في الرد عليّ حضرة العلامة والمفضل الفهامة الدكتور محمد توفيق صدقي وقتنا الله وإياه للهداية والتوفيق آمين وحيث إنني رأيت لم يأت بدليل جديد وإنما كرر كتابة ما قد ينت للقارئ فساد في رسالتي السابقة أردت اختيار السكوت وإن أفوض الى قراء المنار وغيرهم من علماء الاسلام تولي ترجيح أحد القولين والحكم بتخطئة أحد المخلصين بعد الفحص عن أدلة الطرفين. ولكن ألح علي في كتابة جواب الجواب من يعز علي من أهل البيت الاطهار نخبة الاخبار سيدي احمد بن حسين العطار باعولي سلمه الله وحفظه وكذلك كثير من حزب الله المفلحين المصلحين الصادقين محيي المنار الأغر فاخترت الله واستعنته على كتابة هذه الجملة المختصرة لأتبه اخانا الفاضل على أن ما كتبه في

(٥) جاءت هذه الرسالة من الشيخ صالح اليافعي رد بها على الدكتور محمد توفيق صدقي ثانية فأثبتناها على طولها ليأخذ الموضوع حقه من البحث فانه من أهم المسائل الدينية في هذا العصر

هذا الرد هو نفس ما كتبه سابقا مما قد ينال الله الحمد خطأه وايضا هو لم يطل شيئا مما كتبناه في رده لا بنص تقلي ولا بدليل عقلي

واما ما ذكر من شبهات غير المسلمين فهي ممالا قيمة لما اذا عرضها الفاحصون على معيار التحقيق وغاية محصلها أن تكون من اضعف الشبهات التي ربما تعرض وتعلق بخیالات غير الواقفين على حقيقة دين الاسلام - وها أنا ذا أقدم للواقفين بيان قيمة كل شبهة اوردها العلامة المدوح عنهم ووجه دلالتها ثم اتبع ذلك بردها وأتمس من حضرة سيدنا شيخ الاسلام ومرشد الانام مولانا السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار أن يصلح ما فيها من القصور والخلل وان ينبه أحدنا على زلته ، ويدله على محل عثرته، ولولا أن بذل النصيحة في الدين واجب لم اكتب ولا حرفا واحدا ولكن امثالا لقوله صلى الله عليه وسلم «تناصحوا في العلم فان خيانة أحدكم في علمه أشد من خيائه في ماله وان الله مسائلكم» ولتشرع في المقصود بعون الجواد المعبود فاقول: قال العلامة الفاضل سلمه الله ووفقنا وإياه للسواب «الكلمة الاولى في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة النسخ في القرآن» الى آخر ما نقل عنهم وحاصله أنهم اعترضوا على صحة دين الاسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوجود النسخ الذي يسلمه المسلمون في القرآن لانه أي النسخ لا يكون الا اذا كان المنسوخ ناقصا ومعينا إما في مغزاه أي غاياته أو معناه أي مدلول لفظه أو بلاغته المحل باعجازه أو ان الحكم لا يرضاه الناس أو أنه لا ينفعهم أو انه قد يضر بمصلحتهم

فمحصل ما ذكره ان النسخ لا يكون الا لذلك وكأنهم يريدون ان صدور ذلك من الرب واجب الوجود محال واستتجوا من ذلك استحالة أن يكون دين الاسلام منزلا من الرب أي لوقوع ذلك فيه واعتذروا عن قبول العقلاء لذلك بأن سببه كمال محمد (ص) في الهداء والتحليل بحيث صار يلعب بمقول اصحابه وذكر عنهم ما ملخصه وحاصله ان محمدا (ص) لم يتم له ما أراد من التشريع الا بعد اصلاح ما وقع في دينه من العيب والنقص وابدال ما انتقده عليه المتقدمون أو عارضه المعارضون أو عرف انه يكون كذلك ولو بعد حين ولذلك تعلق بدهائه الى اخفاء عيبه وعيب دينه بتجوير وترويح مسألة النسخ في قرآنه ونقل عنهم انهم قالوا وقد ضاع بسبب ذلك مما أنى به

(المجلد ١٢) القول بالنسخ خير من الحاجة الى التأويل ١٢٧

من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وكأنهم يريدون بذلك انه كما انه يستحيل بزعمهم ان يكون القرآن منزلا من الله فهو أيضا غير محفوظ ولم ينقل إلينا كله. ودعوى المسلمين ان ذلك مما نسخ الله لفظه تحكم غير مقبول، اذ لم يقدر المسلمون على تعليل ذلك بعلّة معقولة - وقل عنهم أيضا انهم يزعمون ان ما بقي من القرآن في أحكامه شطط وان عباراته متناقضة مختلفة - وذكر عنهم اعتراضا على بعض أجوبة المسلمين التي ذكرناها في رسالتنا السابقة لتسويغ نسخ لفظ القرآن حيث قلنا ما أدى وظيفته لا يلزم بقاءه فقل عنهم في معارضة ذلك ان القرآن مشتمل على مسائل خاصة بمحمد (ص) وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواه قال فاذا صح عند المسلمين نسخ الفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ مثل هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنها وما حكمة آية الرجم مثلا مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين !! انتهى

أقول والكلام على ما أورده عنهم من وجوه

(احدها) ان قول ان بعض هذه الشبهات كقولهم وما بقي من القرآن بعد هذا التصحيح والتفجيج نجد شططا في كثير من أحكامه فضلا عما في عباراته من التناقضات والاختلافات الى آخره لا ترد علينا ولا على من يقول ان القرآن الموجود فيه ناسخ ومنسوخ وانما ترد على خصوص مذهب الدكتور وهو لا ينفصل عن هذه الإيرادات ولا يستقيم مذهبه الا اذا سلك مسلك التأويل المناقض لظاهر الدلالات في هذه المواضع ، والتأويل اذا صار لا يصح الا بحيث يكون المعنى المؤول اليه انما يدل عليه بالفاظ غير ما عبر الله به عنه فهو يكون لاحالة من باب التبديل والتحريف للذين ذم الله أهلها ونهى عنها وكما ان مثل هذا التأويل مردود عند أهل الحق من المسلمين وغير المسلمين أيضا لا يقتنعون به وهو أعظم منفر لهم عن الاسلام ، لجواز ان يعتقدوا ان ذلك لإصلاح خلل وتكميل قصص في القرآف والدين - فاعتراضهم السابقة على النسخ هي واردة على مثل هذا التأويل وقبولهم تكذيب ما نقله المسلمون فيما تقدم ضرب من المحال ،

اما نحن القائلون بجواز النسخ في الأديان ووقوعه في القرآن فلا ترد علينا هذه

الشبهات لا في الدين ولا في خصوص القرآن ، وانما يلزمنا الاستدلال على جواز النسخ عقلا وبمحسن منا إذا يتنا حسنه وحكته في المورد المعين ومن قصر عن إدراك ذلك فلا يضره ذلك ولا يضر الدين أيضا — لان جهلنا بالشيء لا يستلزم عدمه في الواقع — وانما يضر لو كان بعض ما علمنا انه من الدين مخالفا للحقيقة في نفس الأمر وليس في الاسلام شيء من ذلك — وفضلا عن الارادات والشبهات الواردة على دين أو مذهب مؤلف من هذه التأويلات المنفرد لمن يريد استحاله التي لو أردنا إيرادها لغال بها الكلام فان مدلول النسخ الذي يمكن ان ينكر وقوعه المنازعون أو يورد الشبهات عليه الزائفون والتأويل الذي يؤقل القرآن اليه حضرة الفاضل الدكتور متحد لا فرق بينهما الا أن هذا الأخير يكون من الرب الذي يفعل وأمر بالحكمة والمدل فليتأمل الناظرون ولينصنا اخونا الدكتور الفاضل — ثم ليدلنا على مورد شبهات غير المسلمين الصحيح — أهو على من يقول بوقوع النسخ في القرآن المصلحة الراجحة والحكمة المادلة أم على من يعترف بصحة شبهاتهم ثم يعدل الى التأويل المذموم الذي لم يأذن الله به ولا دل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم

وليعلم القراء الكرام ان ما اعترض به علينا في نسخ الاحكام غير المسلمين هو وان كان فاسدا كما سيأتي إلا انه وارد عليه أيضا لانه قائل بوقوع ذلك في السنة بل السنة القولية منسوخة عنده كما صرح بذلك مرات وناسخ ذلك احتمال تقدير سبب من جملة احتمالات لحديث أبي سعيد (رض) المختلف في رفعه ووقفه الماراض بما هو أصح وأصرح منه ومتأخر عنه كل ذلك مع ترك العلة والسبب المنصوص في ذلك كما سيأتي بيان ذلك في الكلام على وجوب العمل بالسنة القولية النبوية فانظروه —

فاذا عرفت ذلك لم يبق مما ذكر من شبهات غير المسلمين ما يخصنا الجواب عنه دونه إلا ما يورد على نسخ اللفظ قط

(الوجه الثاني) ان مثل هذه الشبهات فاسدة في نفسها لا يصح ان يوردها الا من كان لا يجوز النسخ في الشرائع مطلقا أي ولا يجوز نسخ شريعة نبي متأخر.

لشريعة نبي متقدم عنه مطلقا حتى ولا من بعض الوجوه في حكم من الاحكام لان من جوز ذلك في شيء مخصوص لزمه تجويزه فيما سواه اذا وجدت العلة أو نظيرها والاولى فيما هي به أولى . فاذا جاز نسخ شريعة نبي لشريعة نبي قبله فن باب أولى جواز نسخ بعض شريعة لبعضها الآخر . لأن نسخ دين النبي المتقدم وشريعته الثابتة المقررة عند أمته وأتباعه أشق وأبعد من كل بعيد عن معتقداتهم الموروثة لاسيما اذا كان قد تدين بها أنبياء كثيرون لان ما جاء به العدد الكثير قد تسبعت بعض العقول نسخه بما جاء به الواحد - فإسليمه الدكتور الفاضل من النسخ هو أولى بإيراد الشبهات مما ينكره - ولما كان نسخ بعض الشريعة لبعضها الآخر يكون منوطا بمناسبة الاحكام لافراد معتقبيها المميزين - كان كلما كثروا تتجدد الاحكام وتعدل على الحد الوسط المشترك بين أكثر مجموع الامة ليكون الدين شريعة عامة فلهذا ونحوه كان النسخ في الشريعة الواحدة لطفا حسنا وعليه فالنسخ في شريعة أي نبي من الانبياء حين حياته أبعد عن اعتراض المعارضين عليه منه فيها بعد ثبوتها فثبت ان حكم نسخ شريعة لشريعة أو بعضها لبعضها سيان مطلقا ان لم تقل جواز ذلك في الأخير أظهر والله أعلم

ثم قول لمن لا يجوز النسخ مطلقا انا لا نسلم ان النسخ لا يكون الا لنقص أو عيب في المنسوخ بحيث يستلزم قص الشارع ومعاذ الله من ذلك لانا نقول ان النسخ في الأديان لازم ومساوق لترقي نوع الانسان فلنا ترق ديني وترق طبعي ولا يكون الاول الاحكام ومصلحة راجحة ، فالحكم الثاني النسخ يوجد عند ما تكون الامة مستعدة له وتخطو إلى التقدم من المقام الاول الذي يحسن ان تنتهي مدة الحكم المنسوخ بجوازها له - لان ما يناسب البشر في أول نشأتهم قد لا يناسبهم بل قد يجب ان لا يكفروه في أوان كمالهم وما كانت الأمم السالفة محجورة عنه لمصلحة سد الذريعة قد يجب في هذه الازمان رفع حبرهم عنه إذ لو كلف الجهال ونحوهم ما يتسع له العلماء للزم وضع الشيء في غير موضعه المناسب له وهذا من لازمه قلب الحقائق ولو حبر على القلاء البحث في الحقائق المستعدين لا درا كما

وتهدبرها قدرها لكان في ذلك الظلم المتزه ربا عنه ولو كلف الضعيف عقلا أو جسما لا يطيقه هو أو ما لا يطيقه إلا من هو أكمل منه لكان كذلك وإذا استحال كل ذلك فلا شك أن حالات الأمم السالفة واستعداداتهم تخالف حالات الأمم واستعداداتهم اليوم فتكليف بني الانساف اليوم بشرائع أولئك أو العكس أقل حالاته أن يكون تكليفها بما لا يناسب النشوء الفطري والترقي التعليمي وحينئذ لو كان ذلك تكون احكام الدين من باب تكليف ما لا يطاق أو من باب الحجر على المستعدما هو مستدله فيكون الدين سدا دون العلوم والمعارف ولو أطلق للاولين الحرية واذن لهم بولوج ابواب هي بمجھولة لديهم او لم يستعدوا معرفتها لكان ذكر تقريرها لهم وتكليفها لالا يطيقونه وما كان كذلك فالله لا يرضى بقاءه بل لا بد من تغيير وتبديل فيه مساوئين لترقي معارف البشر وهذا هو حقيقة النسخ وما ذكرناه هو سببه وحكمته في الشرائع فالنسخ لا يكون لعب وقص في المنسوخ ولا لجمل الشارع تعالى عما يقول الظالمون بل يكون لاستعداد المكلفين لما هو خير لهم في الحال أو الاستقبال ونحو ذلك مما لا يخلو عن زيادة الخيرية التي ذكر الله انه لا بد منها في النسخ فالنسخ يكون قبل فحش التفاوت في مناسبة المنسوخ لحالة المكلفين كما ذكرنا ذلك في رسالتنا السابقة

ثبت بما ذكرناه وما نذكره من الحجج اليقينية أن النسخ في الشرائع لازم ومستحسن عقلا وكذلك هو واقع فعلا وثبت ذلك قولا فان كثيرا من شرائع الانبياء قد نسخت واندثرت وأنسيت بشرائع انبياء بعدهم وذلك ظاهر لا نظيل بذكره وان أبي المعترضون لزعمهم فوق ما قدمناه من المحالات أن تكون شرائع الله المحكمة المحتم على البشر قبولها واستمالها والايمان بها متضاربة متناقضة وذلك بأن يجب على الشخص الواحد المؤمن بجميعها فعل الشيء الواحد وتركه في آن واحد وهو محال من الله وعلى العباد

والاديان والشرائع قبل الاسلام وقع فيها كثير من الخلط والقلب - أما التكليف والصعوبات الشاقة والكلمات الموهمة خلاف الواقع والحكايات المستبعدة في كتبهم الدينية فما أوجب على العقلاء منهم ومن غيرهم الجزم بأن تلك الكتب

قد وقع فيها من التحريف والتبديل ما أوجب أن يحكم بعدم الوثوق بها وما كان كذلك فمن اللازم ان لا يبقى ديننا للبشر الى آخر الدهر - ولذا ونحوه قال نينا صلى عليه وسلم « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » الحديث افليس من اللازم ان يدل الله بهذه الشرائع شريعة عادلة محكمة محفوظة عن تغيير المبطلين وعبث العابثين ؟ ان تلك الكتب وشرائعها لا تصح وهي بالحالة التي عرفت حجة لله على عباده فارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات الدينات فاما من دليل يستدل به على رسالة رسول من الانبياء والرسل السابقين الا وقد ايد نينا (ص) بمثله وبأظهر واوضح منه وصح لدينا قسلا لا يثريه شك باسناد صحيحة متواترة متصلة . ولو لا شهادة الله في كتابه القرآن وشهادة رسوله محمد (ص) في خطابه بصحة معجزات الرسل السابقين لم تبلغ تلك النقول والقصص فيها الى مرتبة الفان فضلا عن اليقين لأنها لو وزنت بميزان التحقيق في شرائط النقل لم تحصل منها ما يصح اعتباره مسندا متصلا عن القلة المعروفين بشروط الرواية

وبناء على ما ذكرناه قول اذا كان وجود النسخ في تلك الشرائع غير قادح فيها لكونها قد ايدت بالمعجزات - فكذا وجود النسخ في الاسلام أو في القرآن لا يصح أن يكون قادحا في صحته عن الله تعالى لما عرفت . وايضا فن يقدح بذلك في دين الاسلام ورسالة محمد (ص) يكون في الحقيقة قادحا في صحة دين من تقدمه من الانبياء عليهم السلام من حيث يعلم اولا يعلم رضي ام أبي

وقول في الجواب أيضا (الوجه الرابع) ما يدري هؤلاء المشككين ان النسخ الواقع في شريعة الاسلام أو في القرآن قد كان سببه تلك التهم التي أوردوها ؟ فهل عندهم قل يؤيدها ويصحها أو دلالة عقل تعينت على ما ذكره أم هو احتمال فرضوه وأوهام توهموها أو عماراة أو معاندة انتجتها الاحقاد الموروثة ؟ وهل هذا الاحتمال متعين فالدليل عليه وهل يصح ان يقوم مقامه احتمال غيره ينقض مزعمكم أم لا ؟ وحينئذ لا يصح ان يدفع اثبات ويرد باحتمال من احتمالات هذا حالها . واذا كان النسخ في التشريع والاديان لازما عقلا وواقعا حتما يكون مستحسنا

كذلك قلا وكانت رسالة نينا (ص) ثابتة بالحجج اليقينية بأصح ما يمكن ان تثبت بها رسالة أي رسول — فتعين ذلك الاحتمال والوهم وحاله ما عرفت مع وجود ما يدفعه وبكذبه باطل لا يجوز لما قل ان يلتفت اليه أو يعتري بابراده

أما قولهم ان محمدا (ص) قد باغ من الدهاء أن صار يلعب بقول اصحابه فجعلهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره فالجواب عنه ان محمدا (ص) بأني هو وأمي لم يكن من أهل الخيل والدهاء وانما كان من الانبياء الاتقياء وقد عرف بالصدق والوفاء حتى صار ذلك وصفه الثابت حتى عند أعدائه أما أصحابه فقد عرفوا صدقه وصحة دينه بالدلائل الصحيحة الثابتة وهم لم يصدقوه فيما جاء من النسخ وغيره لضعف في عقولهم وهو ما جاء في دينه من النسخ بدعا مما جاء به المرسلون قبله واذا كان كذلك فمن البهت ان يقال ان اصحابه صاروا يصدقون ويقبلون منه ما لا يقبل من غيره لان قول هو (ص) لم يأت الا بما يأتي به المرسلون ولم يقبل عنه أصحابه الا ما يقبل عن المرسلين والا لانتقلب الامرو كان النسخ في الشرائع محالا وقد تمت فساد عقلا وشرعا

فباذا ذكرناه يعرف الناظر فساد تلك الشبهة وانما في غير محلها وانها لا يتعين ورودها على شريعة دون غيرها من الشرائع — بل لو صح ابرادها على بعض الشرائع السابقة لراكاة ما عرف من تلك الشرائع وعدم صلاحيتها لتدين جميع البشر الى آخر الابد واللوهن في ثقلها وضبطها — فان صحة توجيهها على الاسلام ضرب من المحال وتقص عن الكمال لما في القرآن من الدلائل والبراهين على صحة كل احكامه وشرائعه وما كان فيه من منسوخ وناسخ موجود فقد ذكر سببه وحكته بالصراحة تارة وبالتضمن والاتزام أخرى يعرف ذلك بطرق يعرفها من تلقى فهمه عن أنزل عليه (ص) فيها ان يذ كر الحكم الاول مقرونا بسببه أو بفائده وغايته أو غير ذلك مما يصح ان تدرك به علة هذا الحكم فاذا نسخ به بأنزل بعده حكما يناقضه بوجه من الوجوه فهو يذ كر سببه أو غايته أو غير ذلك كذلك مما تعرف به الحكمة في النسخ وهذا بخلاف الشرائع السالفة فانها وان كان فيها أشياء من الاستدلال الصحيح الا انه لا يوجد في كل شيء ومع ذلك هو لم يبلغ بالاستدلال فيها الى المراتب الكملة في التحقيق كما هي في القرآن ودين الاسلام ومع ذلك كله نحن لانحمل ذلك على

تقص فيها كما يقول هؤلاء المعترضون وانما قول إن تلك قد سبقت فيها الشرائع على طريقة تناسب عقول البشر واستعدادهم اذ ذاك وهي غير موفية فناسب ان تكون كذلك حتى ينرق الانسان الى أعلامقاماته مما تطلع به اليه خلقته وفطرته المخصوصة وحينئذ يناسب ان يشرع له دين بالغ في التحقيق اقصى غاياته فكان الامر كذلك بدين محمد (ص) وشرعه

(لها بقية)

أشعار علي بن أبي طالب

الترية والامهات

أنشدنا الشيخ معروف الرصافي شاعر العراق الاجتماعي لنفسه ييروت في الحرم

سنة ١٣٢٧

هي الاخلاق تبت كالنبات	إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تمدها الرب	على ساق الفضيلة ثمرة
وتسوء للكارم باتساق	كما اتسقت أنايب الفتاة
وتنفس من صميم المجدروحا	بازهار لها متضوعات
ولم أر للخلائق من محل	يهذبها كحضن الامهات
فحضن الأم مدرسة تسامت	بترية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنا	بأخلاق النساء والوالدات
وليس ريب عالية المزايا	كثل ريب سافلة الصفات
وليس التبت يثبت في جنان	كثل التبت يثبت في الغلاة
فيا صدر الفتاة رحبت صدرا	فأنت مقرأسنى العاطفات
تراك إذا ضممت الطفل لوحا	يفوق جميع الواح الحياة
إذا استند الوليد عليك لاحت	تصاوير الختان مصورات

لا خلاق الصبي بك افكاره
وما ضربات قلبك غير درس
فاول درس تهذيب السجايا
فكيف نطن بالابناء خيرا
وهل يرجي لاطفال كمال
فما للامهات جهلن حتى
حنون على الرضيع بغير علم
فما انمكس الخيال على المرأة
لتلقين الخصال الفاضلات
يكون عليك يا صدر الفتاة
اذا نشأوا بمحض الجاهلات
اذا ارتضعوا ثدي الناقصات
أتين بكل طباش الحصة
فضاع حنو تلك المرضعات

أأم المؤمنين اليك نشكو
فذلك مصيبة يا أم منها
نخذنا بمدك العادات دينا
قد سلكوا بهن سبيل خسر
بحيث لزمهن قعر اليت حتى
وعدوهن اضعف من ذباب
وقالوا شرعة الاسلام تقضي
وقالوا ان معنى العلم شيء
وقالوا الجاهلات اعف فسا
لقد كذبوا على الاسلام كذبا
أليس العلم في الاسلام فرضا
وكانت امانا في العلم بحرا
وعلمها التي اجل علم
لذا قل ارجعوا ابدأ اليها
وكان العلم تلقينا فامسى
وبالتقرير من كتب ضخام
الهم زرفي الحسان الغيد قبل
مصيبتنا بجهل المومنات
«نكاد نقص بالماء الفرات»
فاشقى المسلمون المسلمات
وصدوهن عن سبل الحياة
نزلن به بمنزلة الاداة
بلا جنح واهون من شذاة
بتفضيل الذين على اللواتي
تضيق به صدور الفانيات
عن الفحشا من المتعلات
نزول الشم منه مرزلات
على ابائهن وعلى البنات
نحل لسائلها المشكلات
فكانت من اجل العالمات
بثني دينكم ذي الينات
يحصل باتياب المدرسات
وباقل المدد من الدوة
اوانس كتابات شاعرات

وقد كانت نساء القوم قدما
يرحن الى الحروب مع الغزاة
يكن لهم على الاعداء عوناً
ويضمدن الجروح الداميات
وكم منهم من اسرت وذقت
عذاب المون في اسر العداة



فإذا اليوم ضر لو التفتنا
الى اسلافنا بعض التفات
فهم ساروا بنهج هدى وسرنا
بنهاج التفرق والشتات
نرى جهل الفتاة لها عفاً
كأن الجهل حصن لفتاة
ونحقر الحلال لا لجرم
فنؤذيهن أنواع الاذاة
ونلزمهن قعر الليث قهراً
ونحسبن فيه من الهات
لئن وأدوا البتات فقد قبرنا
حجبناهن عن طلب المعالي
جميع نائتا قبل المات
ولو عدمت طابع القوم لو ما
ففسن بجهلن مهتكات
وتهذيب الرجال أجل شرط
لما غدت النساء محجبات
وما ضر العيفة كشف وجه
لجل نائتهم متهدبات
فدئ ثلاثي الاعراب نفسي
بدا بين الاعطاء الاباة
فكم برزت بحبهم الغواني
وان وصفوا لدينا بالجفاة
وكم خشف بربعهم وظبي
حواسر غير ما متريات
ولولا الجهل ثم نقلت رحي
يبر مع الجداية والمائة
لمن ألفوا البداة في الفتاة

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ﴾

اهدانا المعلم عبدالحيد الفراهي (من العلماء المحدثين) في تفسير ورد
متفرقة من آيات القرآن في ذكر في العنوان وهي : « تأويل الفرقان » و
والعصر والكافرون والاسد اوديت » وقد تضمنت على هذه الرسالة : « من

النظر فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية ، دون المباحث الفنية العربية ، ولكنه لا يفسر كل آيات السورة وكلها ولا يتكلم على ما يفسره بالترتيب وإنما يتكلم عن المسائل الكلية والمقاصد التي تهدي إليها الآيات كلأما عاما مبسوطا مفصلا معدودا بالأرقام . فمن فصول تفسير سورة التحريم : (١) نظام السورة وموقع آياتها (٢) سنة الله في الاحتساب (٣) عمود السورة هو الاحتساب والتشهير له (٤) دين النطرة هو الاعتدال بين الفسق والرهانية (٥) تفرق الفسق والرهانية (٦) نزول القرآن حسب أحسن المواقع (٧) شأن نزول هذه السورة حسب الكليات (٨) شأن نزول آيتين ١ - ٢ حسب جزئيات الواقعة والفوائد الكلية منها وهي ست . الخ وان المؤلف لفهما ثاقبا في القرآن وان له فيه مذاهب في الياث وطرائق في الاستطراد منها القريب والبعد وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواهدا فقد كتب في تفسير كلمة « صفت » من قوله تعالى « ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما » أكثر من صفحة على انه قد صنف كتابا في مفردات القرآن كما فعل الراغب الاصفهاني . وإن أدري أفسر اقرآن كله على هذا النظم أم هو يشغل بذلك الآن ويريد طبع تفسير كل سورة عند إتمامها . وقد رأيت فيما قرأت ذكر كتب أخرى له في القرآن والدين كالمفردات وتاريخ القرآن والامثال الإلهية وأصول الشرائع فمضى أن يتفضل باخبارنا عنها أمهي تامة أم لا ، أطبع منها شيء أم لا ؟ هذا وقد أرسل البنا عدة نسخ من تفسير بعض السور لأجل بيها عندنا وهي مطبوعة طبعا حجرى عن خط فارسي حسن فمن أحب ان يطلع عليها فليطلبها من ادارة المنار ونحن تفسير سورة التحريم فرشان وماعدها فثمنه قرش او قرش ونصف

* * *

✽ رحلة الحبشة ✽

هذه الرحلة من أحسن الرحلات أسلوبا وقائدة وفكاهة لأنها بالتركية مادق باشا المؤيد العظمى الفريق الأول بالجيش العثماني للسلطن عبد الحميد بأمره وهو الذي أرسله الى نجاشي الحبش بكتاب منه فكتب ماراه وشاهده في طريقه وفي البلاد

والمواقع التي نزل بها لاسباب الصومال وما ارتآه واستنبطه من المسائل العسكرية والاجتماعية ومأمله من التقاليد والعادات مع شيء من التاريخ القديم والحديث عن الحبشة فجاءت رحلة جامعة لكثير من الفوائد المتنوعة من كل فن وذكر في آخرها الوقائع الحربية بين ايطاليا والحبشة مفصلة وختما بذكر من نال شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم من الحبش رجالا ونساء . وقد ترجمها بالعربية رفيق بك العظم وحفي بك العظم وطبعتها شركة طبع الكتب العربية على النسق الذي طبعت به في التركية مزينة بالصور والرسوم ومنها صورة النجاشي بلباسه الرسمي ومتصلا بها خريتان احدهما رسم فيها الطريق الذي مر به والثانية رسمت فيها بلاد الحبش . وقد زادت صفحات هذه الرحلة على ۳۲۰ وثمنها اثني عشر قرشا صحيحا

وانا نقل شيئا من كلامه عن مسلي الصومال وتلقهم بالدولة العلية . قال في سياق كلامه عن جيوتي حاضرة مستعمرة الصومال الفرنسية ما نصه

«ومنذ خرجنا الى البرأخذ الاهالي وكلمهم من المسلمين يقدون علينا أفواجا مرحين بنا ببايات الاحترام والتعظيم ولم يكتفوا بذلك بل انتظرونا فيما كنا عند الوالي ود آتو يوسف» خارج المحل وعند ما خرجنا واقفوا مهلين مكبرين واستمروا كذلك كلما نخرج براقوتنا من محل الى آخر ويتهزون كل فرصة لاطهار سرورهم العظيم من ورودنا ثنهم فاذا طلبنا مركبة يجري المشرات منهم لاحتضارها واذا صألناهم الطريق يقدم مئات انفسهم لقيام بخدمة وما كنا نحتاج لهم لأن الوالي كان حبيب وصولنا عين سكرتيره ليكون (مهاندارا) لنا مدة اقامتنا في جيوتي ولكن اعتنوت عن ذلك شاكرًا انسانيتهوا كفتت بجنود الشرطة الذين خصصهم لخدمتنا

«وبعد قليل من وصولنا الفندق تكأأ المسلمون بعضهم على بعض في الردة الكاثنة امام الفندق وأخذ يزداد عددهم كثيرا فكانوا لا يقتنعون برؤية الوفد المرسل من قبل خليفة الاسلام مرة واحدة بل كانوا يريدون أن يروه كثيرا على قدر استطاعتهم واستمر الزحام على هذا المنوال امام المنزل الى ما بعد المشاء»

ثم ذكر انه قبل السفر من جيوئي آذنه خادم الفندق بقدم رؤساء بعض القبائل لزيارة الوفد السلطاني . قال

« هذا وقد غاب الخادم قليلا ثم جاء معه الزائرون وكان عددهم ثمانية وهم رؤساء قبيلتي عيسا ودانجالى وهم سر الوجوه لون البعض منهم يميل للجوزي وكلهم طوال القامة متناسرو الاعضاء بحلهم . حبات الوقار والمهاية ويلبس البعض قيصاطويلا وعلى رأسه طاقية والبعض ليس عليه سوى (فوطه) وهو مكشوف الرأس . وشعرهم الكث فوق رؤوسهم يشبه العمامة المدورة الكبيرة يضعون في خلاله سهما طويلا مصنوعا أغصان الاشجار مثل (الدبوس) الذي يربط به السيدات الغريات قبعاتهن على شعورهن . ويستعملون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند اللزوم لانه لا يمكن وصول أصابعهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر . وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيدا والباقيون لا يعرفون منها إلا قليلا

وبعد المصافحة والسلام اخذوا يدعونهم وقوف على الاقدام للحضرة العلية السلطانية وابلغني انه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القريبة من جيوئي للتسلم على الوفد السلطاني . ثم جلسوا فصاروا يسألون عن احوال الاساتذة مستفسرين عن عدد سكانها وعن مساجدها الجامعة والمحلات المباركة فيها وعن الوجهة التي أقصدها وسبب سفرى اليها

« وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جدا والبعض منهم حافى القدمين والبعض يلبس في رجله نعل مثل النعال الحجازية . ومع كل ذلك ترى الانسان يشمر بهيئتهم ووقارهم حال رؤيته لهم . وسمات الشجاعة والبسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلا منهم شبه تمثال للحرب والكفاح صنع من (البروز)

« بينما كنا تتجاذب اطراف الحديث اذ جاء الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسية لرد الزيارة ومعه حاشيته والكل مرتدون اديتهم الرسمية وكان يشي أمام مركبة الوالي فازدان من جنود الشرطة فلارأى الوالي الموما اليه رؤساء القبائل الصومانية هش في وجوههم وصاغهم جميعا يدايد وسأل عن احوالهم وصحتهم ولم ينس قليلا من وصول الوالي حتي جاء أيضا (آتو يوسف) قنصل الحبشة في حبش

مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكرا لإي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء لحضور المأدبة التي أعلها اكراما للوفد السلطاني وقد كان الوالي دعائي ومن كان معي لهذه المأدبة يوم وصولنا الى جيونني »
ثم قال بعد كلام في حال البلد وشؤونها

« وفي الساعة العاشرة على الحساب الشرقي سمعت انفاما وأصواتا آتية من بيد وبينما أنا أفكر في ما عسى أن يكون ذلك إذ أخبرت يرود وفد قبائل عسا فخرجت إلى شرفة الفندق فرأيت جمهورا من الناس نحو من خمسمائة ذوي ألوان نحاسية كبيرى الاجسام متناسبي الاعضاء مسلحين بالحراب والمراوات ويكبرون مرة وينشدون الأناشيد الحربية مرة أخرى وجاهير الناس تمشي معهم محتاطين بهم للتفرج عليهم وبعد أن وصلوا أمام الفندق أخذوا يسلون علينا بلسانهم ولما اتهموا من السلام تحقوا وصاروا يفتنون ويرقصون والبعض منهم كانوا يتبارزون داخل تلك الحلقة ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشوا بأوضاع خفية وسرعة عجية مما يدل على انهم اقوام حريون أولو بأس شديد وميل للحرب والبطان .
وبعد ذهاب هذا الوفد أتى وفد الدانقاليين وبدعم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم ثم انصرف الجميع شاكرين لما لقوه منا من الاكرام وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الافرنجي فارتدت الكسوة الرسمية البيضاء وذهبت أنا ورفيقي لحضور المأدبة التي دعينا اليها » اه المراد

وفيه من العبرة ان للدولة الطلية وسلطانها نفوذا مضويا في نفوس جميع المسلمين لم نحسن الاتعاض منه ولا التمتع به في الماضي فحسى أن نتفنع به في هذا العهد الجديد الذي دخلنا فيه وهو آخر الرجا في حياة هذه الدولة فحسى ان لا يقطعه أصحاب النفوذ بالمنازعات الجنسية والأهواء الشخصية . وفيه أيضا ان الوالي الفرنسي يعامل أولئك الناس الذين يعدم متوحشين بالاحترام ليؤنسهم بحكمه ويأمن جانبهم ويكسب مودتهم ودولتنا تحقر أمثالهم في اليمن والحجاز والعراق فيبتدل جههم لما بنضا وميلهم اليها نفورا وإعراضا فحسى ان لا تعود إلى ذلك في هذا الزمان
وقد اتفقتنا على الرحلة ذكر الشهر الذي سافر فيه الموف (وهو نيسان) دون

ذكر السنة في أولها وجريانه على ذلك في اثنتائها حتى انتهت في ١٢ تموز (يوليو) ولكن يعرف القارىء أن الرحلة كانت سنة ١٨٩٦ م من ترجمة براقة الوسام الذي اهداه النجاشي الى صادق باشا وترجمة المكتوبات التي اوسلها اليه فطار النجاشي وآل بيته

﴿ عقود الجوهر . في تراجم من لهم ٥٠ تصنيفاً فية فاكثر ﴾

نشرنا في آخر الجزء الماضي اعلاناً لجميل بك العظم محاسب المعارف بيروت عنوانه « ذيل لكشف الظنون » علم منه انه يعنى منذ ١٦ سنة بجمع ما فات صاحب كشف الظنون من أسماء الكتب وما حدث بعده منها . وقد استحسن في اثناء بحثه ان يضع كتاباً في تراجم المكثرين من التصنيف الذين لهم خمسون تصنيفاً فاكثروا وقد أتم الجزء الأول من هذا الكتاب وسماه « عقود الجوهر » وطبعه وهو يذ كر العالم ترجمة مختصرة ثم يذ كر مصنفاته مرتبة على حروف المعجم فجزاه الله خيراً . وقد اقترحت عليه في بيروت أن يجعل الذيل رأساً فيؤلف كتاباً مستقلاً في أسماء الكتب والفنون ففسي أن يلقى من المساعدة ما يرجع ذلك عنده

﴿ الاشتقاق والتعريب ﴾

قد علم قراء المثار في العام الماضي ما كان من أعضاء نادي دارالعلوم من المناظرات في مسألة التعريب . وقد عني الشيخ عبدالقادر افندي المغربي أحد محرري جريدة المؤيد في أننا ذلك بوضع كتاب مستقل في المسألة وطبعه في هذا العام فبلغ زهاء ١٥٠ صفحة بقطع كتاب الاسلام والنصرانية . وقد ترجم المؤلف كتابه بقوله فيه « ديبحت في ما يعرض للغة العربية من تكاثر كلماتها بواسطة الاشتقاق والتعريب » وأن هذا الاخبر طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات ، وأن استعمال العرب لا يبطئ من قدر فصاحة الكلام والاستشهاد على ذلك ، فهو اذا مؤيد الرأي القائلين بمجازا التعريب والتصرف في اللغة بحسب الحاجة بل توسع في ذلك بما لا يوافقونه كلهم عليه فبالنظر

ودعم كلامه بضروب من الأمثلة والشواهد والدلائل لم يسبقه إليها الباحثون وقال في أواخر الكتاب ما نصه :

نتائج وملاحظات

قد نتحصل معنا أن الكلمات التي تستعمل اليوم في اللغة وينطق بها المتكلمون بتلك اللغة — قديماً قسم عربي محض وقسم دخيل . والدخيل أنواع : منه ما أدخله أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الإسلام كسندس وإبريق . ويسمى في الأسطلاح معرباً . ومنه ما أدخله المولدون في صدر الإسلام ويسمى مولداً . ومنه ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين ويسمى محدثاً أو عامياً والطريقة في أحداث النوعين الأخيرين المولد والعامي — قد تكون الاشتقاق : كالعربية والبارود والفسقية . وقد تكون التعريب : كاللبوس والباذر والمالحة وقد تكون التصرف في الاستعمال : بأن تستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب : كالفطر والقطائف . والدخيل بأنواعه الثلاثة لا يحيط من قدر الكلام العربي إذا وقع فيه وإن كان في أصله غير عربي لما قدمناه من الأدلة على ذلك عند الكلام على التعريب ، والأدلة المذكورة تصلح أن تكون مقدمات منطقية تبيحنا « أن الكلمات العربية العريقة عريقة أو بقوة العربية » حتى لا يكون ثم فرق في صحة الاستعمال بينها وبين تلك التي تكون عريقة الأصل : بحيث يصح لك أن تستعمل كلمة « درصاص » الأمازيغية المغربية في كل موضع تستعمل فيه كلمة « صرقان » العربية . وما يدرينا أن العرب وأنشأوا من الألفاظ القديمة التي نحسها عريقة والتي لا رائحة فيها للاشتقاق من لغة عربية — غير عريقة في أصلها وإنما هي دخيلة .

وقد ذكرنا في جملة تلك الأدلة دليلاً لا نزاع في صدق دلالته : وهو أن علماء اللغة قد نسبهم حصراً شروط فصاحة المفرد في ثلاثة أمور : خلوصه من تنافر لغوي ، ومن الغربة ، ومن مخالفة القياس ولم يشترطوا في فصاحته قط أن يكون عريقاً . لا شائبة فيه بالعجمية .

فقد في الكلمة الدخيلة التي تدمجها كلامك خلوصها مما ذكره علماء

البلاغة كان كلامك فصيح المفردات . وعليك بعد ذلك ان تراعي سائر ما اشترطه أولئك العلماء في فصاحة الكلام وبلاغته . حتى إذا فعلت كان كلامك فصيحاً بليماً . لا يكون كلامك فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية ما كان غريباً عن افهام المخاطبين أو ما تنبوعه اذواقهم وتجنأ طابعهم مثل أن تقول « وكانت الطهاة يفرقون ألوان الطعام بالفشليل » والفشليل كلمة معربة عن قفليز الاعجية . ومعناها المفرفة . كما لا يكون فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية المحضة ما كان من بابة تلك الكلمات : كأن تقول « أنانا مختللاً في مشيته » . منفشلاً للحيته . تعني منفشاً لها . أو تقول « لحاه الله من رجل غنجنش » أي فظ جافي الطباع . ومن هذا القليل الكلمات الانكليزية أو الالمانية مثلاً التي تكون مخارج حروفها صعبة متنافرة يعتذر أو يتعسر علينا النطق بها . ولم نعهد مثلاً في مخارج لغتنا . حتى إذا اضطررنا إلى ادخال كلمة من هذا الصنف في لغتنا كانت علينا حينئذ ان نشبهها ونهذبها ونوفق بينها وبين أوزان لغتنا ما استطعنا الى ذلك سبيلاً . كي تواتبنا ويسهل علينا النطق بها . والا كان علينا أن نهجرها ونعد الكلام الذي يتضمنها غير فصيح . كما اذا تضمن كلمة متنافرة مثلاً من الكلمات العربية الاصل كالهمخ وهو اسم نبات . قيل لأعرابي أين تركت ناقك؟ قال تركتها ترعى الهمخ . وكأن تقول لا آخر : اياك أن تزوج الهمقة بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة . تعني الحقاء الودهاء . (١) واعلم أن الكلمات الدخيلة في لغتنا مهما كان اصلها ترجع إلى قسمين : قسم مدلوله الجواهر والاعيان مثل نرجس وبلجم . وقسم مدلوله المعاني والاحداث مثل البوس : فكلمات القسم الاول إذا شاعت بيننا . وحلت في اسماعنا وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة . وتزهت عن أن تكون من « الفاظ السفلة » كما سيجي .

(١) المنازع : ان بعض ما مثل به من الغريب ليس مما يثقل على اللسان كفنشل ولكنه غير مألف لعدم صقله بالاستعمال فهو لا ينافي الفصاحة . وما كانت شيئاً كالهمخ الذي يذكره في كتب البلاغة إنما ينافي تلك الفصاحة ويكره استعماله اذا كان له مرادف يقوم مقامه والاحسن استعماله عند الحاجة اليه ورأيت أكثر ادياء عصرنا غافلين عن هذا وذالك

(المتاوج ٢ م ١٢) قياسية الدخيل في أسماء الاجناس لا المعاني ١٤٣

في قول ابن المقفع — ينبغي أن يجوز لنا استعمالها وادماجها في كلامنا: لأن الكلمة التي من هذا القبيل إما أن لا يكون لها مرادف في لغتنا أو لها مرادف مهجور وجنث يكون الوجه في استعمالها ظاهرا . وعذرتنا فيه مقبولا . وإما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور فيكون لنا الحق في أن نستمعها أيضا اقتداء بأهل اللغة انفسهم الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية الى مرادقاتها من الكلمات العربية الدخيلة مثال ذلك كلمة «كوسج» الاعجمية فانهم لا يكادون يطلقون على الكوسج سواها . وقلنا تراهم يستعملون كلمة الاضط العربية . بل اذا وردت هذه في كلامهم فسروها بالكوسج . لكونها أشهر منها وعلق بأذهان الناس كما يفسر شراح الحديث كلمتي «الدرج» و«الباء» العريتين بكلمة اللوياء الاعجمية العربية

وقد كثر استعمال الدخيل والاعراض عن الاصيل في كلامهم كثرة تشعر بأن هذا الصنيع طبيعي في اللغة وضرورة لا يمكن دفعها . بل يشبه أن يكون قياسا لأهل اللغة من ورائه غاية محدودة : هي توسيع نطاق لغتهم وتسهيل أمرها على ممارستها هذا في كلمات القسم الأول الذي مدلوله الجواهر والاعيان . اما القسم الثاني الذي تدل كلماته على المعاني والاحداث كاللبوس فهذا ربما ضر الاستكثار منه فيما أظن : اذ يكون مدرجه لضياع اللغة ومسحها وتحويلها عن اصلها . وقلنا تجدد العرب نقلوا إلى لغتهم فعلا أو مصدرا أو اسلوبا خاصا من أساليب كلام الاعاجم . وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها وان كان شيء من ذلك فهو قليل جدا ككلمتي «الهرج» و«النفاق» الحبشيتين . (١)

واكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات في زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية في العصر العباسي . أما في زمن الجاهلية فقله لم يتخط القبايل التي عاشت مع الاعاجم وكثر امتزاجها بهم كفسان ولخم وجذام . ومثل هذا لا يصلح حجة للقياس والجواز العام . نعم أن اللغة بمجموعها جواهر واحداثا محولة عن لغة اعجمية كما اثبتناه

(١) المتار : الكلمتان عريتان ومعنى الأولى الفتنة التي يحدث فيها تداخل واضطراب وقتل وقول ابي موسى ان المخرج في لسان الحبشة القتل لا يدل على ان العرب اخنتها عن الحبشة وما كان العكس . والثانية مشتقة من النافق . (راجع ص ١١٨٨٥)

في صدر هذا الكتاب . ولكن هذا في تحول اللغة وتولدها المتوغل في القدم . لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب . والذي كان يحصل على ألسنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها واستقلت بأصولها وقواعدها فانهم أذذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الاحداث والمعاني إلى الاستعانة بلغات غيرهم . وإنما يرجعون إلى فضل ذكائهم وذلاقة لسانهم . وحسن طريقة الاشتقاق في لغتهم . فهم يضعون أو يشتقون للمعاني التي تجول في نفوسهم من الكلمات ما يفهم عن التعلل في ذلك على سواهم . أما الجواهر والاعيان . فقد يتعذروا ويتعسر عليهم أن يضعوا لها كلمات . بعد أن ضرب المتبضعون والتجار في طول جزيرتهم وعرضها . وهم ينادون باسم الخيل والوالي والبالذنجان والكوب والابريق والمسك والبنفسج والسندس والإستبرق والفيروز والبلور واللجام والدائق والدرم والدينار والمربون إلى غير ذلك أسماء الادوات والفرش والماعون . وقد ضاق ذرع العرب بهذه الاسماء . وأعجزتهم كثرتها فاضطروا إلى أن يرجعوا بها ويقولوا حبلا على غاربها اه المراد منه وثمن الكتاب خمسة قروش وهو يباع في المكاتب المشهورة

بَابُ الْحَبْلِ وَالْإِلَاقَةِ

نصيحة

﴿ لمسلمي بيروت عامة ، وقيانهم الشجعان خاصة ﴾

اتني في كلامي عن البلاد السورية قد فضلكم على غيركم ، ورجوت منكم نيل البلاد ما لم أرجه من سواكم ، وإنما كتبت ما اعتقدت ، بحسب ما رأيت واختبرت ، تشييطاً للعاملين ، وتنبيهاً للخاملين ، ذلك بأني رأيت من احترام الحرية عندكم ما لم أر مثله في طرابلس ولا دمشق ولا غيرها من البلاد ورأيت

فيكم حركة الى العلم والبرية لم أر نظيرها- على ضعفها- في غير بلدكم فحمدت الله تعالى على ذلك وحمدتكم .

ثم إني أقت في بلدكم سبعة أسابيع متصلة بعد تينكم الزيارتين المتعاقبتين فرأيت فيه أمرا استنكرته وحزنت لأجله حزنا شديدا ، فأحييت أن أنصح لكم فيه كتابة كما نصحت فيه لكثير منكم مشافهة وخطابة ، عسى أن تكون الكتابة أعم وأنفع ، ولا أقول ان هذا الامر المتقد خاص بكم وإنما أرجو أن ترجعوا عنه بمجرد النصيحة وربما بقي عند غيركم الى ان تتكون الحكومة الجديدة وتستقر وترجعهم عنه بالقوة القاهرة ان لم يرجعوا خوفا منها .

ذلك الامر المنكر هو ما ذكرته في آخر خطاب أقيته في نادي الجامعة العثمانية عندكم (ونشرت محصله في هذا الجزء) وأعني به ازعاج الحرية الشخصية في بعض الاوقات لاسيما حرية أصحاب الصحف . وقد حمدكم الغلاء لاستنكاركم حادثة الشام وحملكم على المسدين الذين أثاروا الفتنة فيها كراهة لحرية العلم والاستقلال في فهمه ونشره ولكن جرائد الشام الآن أوسع حرية من جرائدكم كما يعلم ذلك جميع القراء منكم فهل ترضون بهذا الانقلاب ؟

كاد يقع الخصام بل الالتحام في الصدام بين طائفتين منكم لان شيطاننا من شياطين الانس وسوس الى بعضهم: ان جريدة كذا نشرت آية من القرآن الكريم ونشر القرآن في الصحف إهانة له فيجب أن يهان صاحبها حتى لا يعود إلى ذلك . ذكر ذلك في مجتمع فيه كثير من العامة والخاصة فاشتد في الانكار بعض الشبان فأنبرى للدفاع عن صاحب الجريدة آخرون من ابناء حبه فساهل الاولون واتهمى الكلام بالتدابير الجليلين لسؤال صاحب الجريدة عن حقيقة الامر ولجأ الآلهة لسؤال كنت عنده وكان هو قد خرج لحاجة فراجعنا جريدته أولا فلم نجد فيها شيئا من القرآن وأقنعتهما بأن الإهانة لا تكون لا بالقصد وان من يقصد إهانة القرآن يعمل عمله بصير به مرتدا لاعاصيا فقط ولا يقع هذا من مسلم وإنما يكتب الآيات من يكتبها لاجل ان يكون في كلامه روح ربانية مؤثرة ينفع بها القارئ . وقلت لها ان جميع جرائد المسلمين

في مصر وفي بيروت وغيرها من البلاد تزين بعض كلامها بالآيات الكريمة وتناولات من جرائد كانت بجانب نسخة من المويد فأطلعهم على عدة آيات فيها بعضها في خطبة لأحد الاساتذة بنظارة المعارف المصرية. وما زلت بهما حتى خرجا مقتنعين بأن من من حرك هذه الفتنة لم يكن مخلصا في قوله وقبل يدي بعد ان كانا حديثهما معي حديث الخضم مع الخضم فدل ذلك على حسن نيتهما

ثم ان صاحب جريدة أخرى كتب في جريدته ان المسلمين مقصرون فيما يجب عليهم من العناية بالترية والتعليم وما تقتضيه حال العصر من سعة الثروة وان جيرانهم وخطاهم من النصارى قد سبقوهم في هذا المضمار . فوسوس شيطان التفريق الى بعض القتيان المتحمسين قال ان صاحب جريدة كنا قد أهان المسلمين وفضل النصارى عليهم !! فاضطربوا وغضبوا وأخذ بعضهم نسخا من باتم تلك الجريدة فمزقوها وحاول طائفة منهم إهانة الكاتب بل إهانة بعضهم بالفعل ، وطاف آخرون على بعض المشتركين بالجريدة فرغبوا اليهم أن يقطعوا اشتراكهم فيها

وقد رأيت شابا يتأثر صاحب هذه الجريدة في بعض الشوارع فلما رأيته استوقفته وتحدثت معه ثم تركته تبغي وسألني عما كتبه عن المسلمين فقلت له كتب كتبت وكبت ليحث المسلمين على إنشاء المدارس والعناية بتربية أولادهم حتى يكونوا أرقى الأمم واعلمها وعلى تحصيل الثروة ليكونوا من أغنى الناس واعزم . وأقنعه بأنه لا يعقل أن يكون قصد إهانة أهل دينه الذين بهان بهوانهم ويعتد بعزتهم ويشرف بشرفهم من غير ان يكون له فائدة في ذلك ولا مجال للقول بأن له فائدة أو ربما من الإهانة ثم ذكرت له شيئا من مفاسد هذا الشقاق الذي يلقيه بعض أهل الاهواء بين المسلمين وهو أضر عليهم لا سيما في هذا الوقت من كل ما يتصور أن يضرهم . فأنشئ مقتنعا شاكرا

هذا ما تركت عليه يبرهت يوم سافرت منها وقد دخلت القاهرة ليلة الخميس وفي اليوم الثاني من وصولي اليها صليت الجمعة في أحد المساجد فإذا بالخطيب فيه يصدع الناس بوعظ يقول فيه مامعناه : انكم قد تركتم الاسلام وأين الدليل على اسلامكم وأنتم تعملون كذا وكذا حتى قل وتشبهت نساؤكم بالمهاترات . فقلت في نفسي لو كان

هذا الخطيب في بيروت لا تزلوه عن المنبر بالقوة ومنعوه من إتمام خطبته مع هذا كله أقول الآن كما قلت من قبل ان مسلمي بيروت أقرب الى الخير والاستعداد للترقي من غيرهم وأبعد عن الفتن التي تحول دون الأعمال النافعة وأكثر ما يفتقد عليهم مما ذكر فيهم بحسن النية غالباً لا أعرف فيهم غير رجل واحد يحب إثاره الفتن بسوء نية ولعله يندو ان يوجد له أقتال وفقراء في ذلك

فالذي تنصح به لم ولنغيرهم هو ان يطهروا انه لا شيء أضرم على الأمم من التفرق والشقاق لأجل الخلاف في الفهم والرأي سواء كانت في أمر الدين أو أمر الدنيا فضرراً كبير الكبار - كالقتل والزنا وشهادة الزور - هو دون ضرر التفرق والشقاق في الأمة لأن هذا الجرم هو المانع من وحدة الأمة وعزتها وقوتها وهي متى قويت تقدر على منع سائر الجرائم ومتى كانت ضعيفة بالتخاذل لا تقدر على منع شيء من المفاسد ولا على إقامة شيء من المصالح . ولذلك تواعد الله تعالى على التفرق والخلاف بما لم يتواعد على غيره بل جعل المتفرقين في الدين برأ من النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه قال (٦ : ١٥٩) إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأنزل يوم تلاحى نفر من الأوس والخزرج وذكروا ما كان من مشاقة بعضهم لبعض يوم باث (٣ : ١٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

فلتدبر القرآن يرى انه تعالى ينهانا ويحظر علينا التفرق والخلاف ويحتم علينا أن نكون أخوة متحابين ويفرض علينا مع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أهان أخاه واحترقه أو آذاه لأنه قال أو كتب ما يخالف رأيه لا يكون آمراً بالمعروف وهل يوجد أحد من الناس يقول ان الإهانة والإيذاء من المعروف ؟ وإذا كان الله تعالى قد أمر نبيه بأن يجادل المشركين بالتي هي أحسن فهل يرضي

منا ان نجادل إخواننا المؤمنين بالتي هي أسوأ وأقبح؟ أما ما قال الله عز وجل (١٢:٥١٦) أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) اما قال مع ذلك (٢١:٣٣) لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ؟ ان الله تعالى ما ذكر فرضية الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع النهي عن التفرق والاختلاف الا لأن هذه الفريضة هي سياج وحدة الامة وحفاظها فإقامتها تمنع التفرق كما قال الاستاذ الامام فاذا جعلنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببا للتفرق والخلاف والعداوة بين المسلمين نكون قد قلبنا مقصد الدين وقضنا ميثاقه وقطعنا مأمرا الله به ان يوصل وافسدنا في الأمر (٢٥:١٣) والذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)

للامر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط وآداب فصلناها في التفسير المشهور في الجزئين الثامن والتاسع من مجلد المنار العاشر ولا يصلح لما على الاطلاق الا أهل العلم والعرفان . فأني إفساد في الدين والدنيا شر من إغراء العامة بالاعتبات على أهل العلم وحمله الاقلام والتصدي لا مرم ونهيم . بل وجد من شياطين الافساد والتفرق من اغرى العامة بمنع بعض خطباء المساجد من خطبة الجمعة ! حدثني بذلك بعض شبان يبروت قلت له ان الخطبة فريضة دينية كالصلاة فهل يجوز لنا ان نمنع مسلما من اداء الصلاة لأننا غضبنا منه بحق أو ياطل ؟ إذا جاز لنا هذا جاز لنا ان نمنع كل من اذنب ذنبا من اداء الصلاة والصيام والزكاة والحج وأن نشترط العصمة في كل طاعة من الطاعات . ولا يبيح لنا ديننا ان نقول بعصمة أحد بعد الانبياء وقد ختمهم الله تعالى بعينه نبينا صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم ولم يقل احد من المسلمين الذين يمتد أحد من بعده الاما له الامامية من الشيعة في الائمة الاثنى عشر من آل بيت النبي باسلامهم بعصمة عليه وعليهم السلام

فلما بيناه أن التصدي لإهانة الناس الذين يظن أو يعلم انهم اخطأوا هو من المفاسد المحرمة شرعا والقيحة عقلا وكل من يفري بها فهو شيطان رجيم يجب

عصيانه والبعد عنه والاستعاذة بالله من شره . والاجتماع لأجل هذه الجريمة والتعاون عليها يزيد في قبها وإثمها قال الله تعالى (٥ : ٢) وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

بعد هذا كله أقول لقتيان بيروت الذين يعرفون بقب «الأبضايات» انكم أيها الشجعان البواسل قد عطرتم الأرجاء بمحمدة عظيمة ظهرت منكم في أيام إعلان الدستور ولا تزالون تحافظون عليها حتى اثني عليكم المغلاء في غير بلادكم بما لم يشنوا به على سواكم ألا وهي محاسنة خطائكم وعشرانكم في وطنكم من المشاركين لكم فيما عدا الدين من شؤون الحياة . فهل يلقى بكم بعد فضيلة مسالمة هؤلاء ان تلوثوا برذيلة معاداة من يشاركم في كل شيء . حتى في الدين فتكونوا كن نزل فيهم قوله تعالى (٥٩ : ١٤) بأسهم ينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ؟ حاشاكم ان ترضوا بذلك عالمين به وانما يشكم الفاشون فلا تكونوا آله لهم في اهوائهم

لا أقول انه ينبغي ان تخدموا بلدكم باتقان كل واحد منهم لعمله فقط فانكم تستطيعون أكثر من ذلك . انكم تستطيعون ان تعاونوا دائما على منع العدوان حتى يصير نادرا وتعاونوا على إصلاح ذات الدين عند ما يقع شقاق أو خصام بين اثنين أو جماعتين ولكنكم لا تقدرون على الهيمنة على العلماء والسياسيين والمراقبة على الخطباء والمحورين وضع الامة بإيقاف هؤلاء عند حدود لا يمدونها . وانكم اذا تصديتم لذلك تصرون الامة ضررا عظيما . ولا تستقلوا ما قلت انكم لا تستطيعونه فانه أمر عظيم مقدم على كل أمر لأنه يتعلق بالأمن والراحة العمومية وهو أول شيء تطالب به الحكومة فاذا قتم في بيروت بعمل لا تزال الحكومة مقصرة فيه في كثير من البلاد فانكم تستحقون من الناس الثناء الجميل ومن الله الثواب الجزيل

رحلة صاحب المجلة

﴿ في سورية ﴾

٤

حمص. وحالها الاجتماعية

سافرت في اليوم الثاني من شوال من بعلبك الى حمص والمسافة بينهما في القطار الحديدي ثلاث ساعات وقد وصل القطار الى محطة حمص الساعة ٨ و٤٥ دقيقة مساء فاذا بالصديق الكريم والولي الحميم السيد عبد الحميد الزهراوي ينتظرني فيها مع طائفة من أهل العلم وكرام البلد في مقدمتهم الشيخ احمد زهران الذي جبه البناء على البعد ماني البناء من عقله وخلقه وجبه للاصلاح مع علمه وحسن سيرته أفت في حمص أربع لال وثلاثة أيام في دار الزهراوي ولقيت فيها أكثر أهل العلم والمكانة من المسلمين والنصارى اذ كانت اندارغاسة بهم ليلانهارا وقد رأيت في هذه البلد من الوفاق بين الفريقين وحسن الألفة ما لم أراه نظير في سائر البلاد السورية ولا يبروت فان جل مامدحتاه من أهل يبروت هو ترك الثقل والتسافك ولا يزال كل فريق فيها بعيد عن الآخر في المعاشرة والمعاملة لا، لا يخلو منه مكان بمحكم طبيعة الاجتماع وحاجة بعض الناس الى بعض حتى انني قلت لكثيرين منهم انني أرى الوفاق الذي حمدناه لكم على البعد سلبا لا إيجابيا وصرحت بذلك في نادي الجامعة اللبنانية ودعوت الناس في خطبة خطبتها في ذلك الى التزور والتعامل وغير ذلك من اعمال الوفاق الايجابي

وقد كنا توهمنا ونحن بمصر ان الشقاق بين مسلمي حمص وفصاهاها شديد لحادثة جرت في الاحتفال بعيد الحرية كبرتها الجرشد فوجدنا الأمر على ضد ما كتب في ذلك فتتني ما رأيت في بيت من بيوت ضرابلس ولا يبروت مثلا رأيت في بيت الزهراوي من اجتماع الفريقين كل ليلة من ليالي الشتاء للسمر ومبادلة الآراء .

ثم اتى لم أرى في حمص ما رأيت في غيرها من الاضطراب والاعتصاب والافتيات على المحكام والبرم من جمعية الاتحاد والترقي . ومن أسباب ذلك ان اعضاء لجنة الجمعية المركزية كانت مؤلفة من أناس مؤلفين متعارفين لا ينتمى اليهم منهم شيئا ولا يشكون منهم إهانة ولا شذوذا وقلما اتفق هذا للجنة أخرى كما يعلم مما نكتبه بعد عن الجمعية

نم انه يعتقد على أهل حمص ما يعتقد على أهل طرابلس من الخمول والسكون فهم لم يشرعوا في عمل مفيد للبلاد . وقد حثت طائفة من الوجاه على تأليف جمعية خيرية إسلامية لأجل إنشاء المدارس الاهلية ومساعدة الفقراء على تربية أولادهم وتعليمهم فأقيمت منهم اربابا واستحسنوا وقد مرت الشهور ولم يشرعوا في العمل ولكتنا لم نأس من همهم وغيرتهم فمضى ان يسمع منهم عن قريب ما نر به المين هذا وان عمران حمص يعمون عظميا والزراعة والصناعة تتقدم فيها قدما مينا ولكنها متخلفة عن طرابلس في ترف الحضارة وان كانت سابقة لها في مضمار العمران بل هي وسط في التأتق في الاطعمة بين مثل طرابلس وبيروت ودمشق وبين القرى الكبيرة التي يوجد فيها أغنياء يعيشون في بلنية فالظاهر ان التأتق في حمص خاص ببعض أهل السمة والبيوت المطروقة وان الفقير في طرابلس ليتنوق في طعامه ما لا يتنوق الاغنياء في كبر من المدن ، واتي لأعلم ان المصري المقيم في القاهرة نفسها الذي يزيد دخله في الشهر على دخل الطرابلسي في السنة لا يأكل من الخلوى في السنة كلها بقدر ما يأكل الطرابلسي منها في شهر واحد . قللة التنوق في الاطعمة بجمص محدة لما عدي إذا كانت تحفظ ثروتها من التلف في غير ذلك من ضروب السرف وتجعل حظا منها عظميا للتعليم والترية

طرابلس أيضا

سافرا من حمص قبيل الفجر من يوم السبت سادس شوال (٣١ أكتوبر) في مركبة من مركبات «شركة الشوسه» فوصلنا إلى طرابلس بعد العصر وطلقت أنهابا للسفر إلى مصر ، وكنت عازما على السفر في يوم السبت التالي لهذا السبت (١٣ شوال و ٧ نوفمبر) ولكن عرض ما حال دون ذلك

جمعية خيرية اسلامية بطرابلس

في يوم الاربعاء (١٠ شوال) رغبت إلى مفتي طرابلس أن يقوم بتأليف جمعية خيرية إسلامية كالجمعية التي بمصر وذكرت له موضوعها وأعمالها ووجه الحاجة إلى مثلها في طرابلس وأهمها إنشاء المدارس لتعليم أولاد الفقراء على نفقة الجمعية وأولاد الاغنياء بالاجرة . فأجاب بأنه مستعد لذلك بماله وحاله واستحسن أن أدعو الوجاه والاغنياء إلى ذلك قلت له انت كبير البلد وزعيمها وانا قدصرت غريباً او الكرمي لاتي مسافر بعد ثلاث فاذا لم تقيم انت بهذا العمل لا ينجح . ثم رضي بأن يكون هو الداعي لهم إلى الاجتماع على انهم متى اجتمعوا أخطب فيهم فان أجابوا الدعوة التي أوضحها لم وأين وجه الحاجة إليها كان هو أول العاملين والمساعدين في التنفيذ

وأقول هنا ان رشيد افندي كرامي مفتي طرابلس على كونه سيد بلده وأوسع أهلها ثروة وجاها هو أقرب وجاها وأغنياؤها إلى الخير وأبعدهم عن كل شر وأطيبهم فساداً بسطهم مع اقتصاد الروية كما يظهر ذلك لمن يعاشره خلافاً لما عليه كثر الاغنياء في بلادنا فهو لا يدع لطالب الاصلاح في العلم أو العمل حجة عليه بل يجيب كل داع إلى خير كسيد الرحمن باشا اليوسف في دمشق ولكن لا يقدم واحد منها على ابتكار العمل والتهوض به بل يقولان مثلاً كان يقول هنا حسن باشا عاصم (رحمه الله تعالى) أوجدوا العمل وطالبوني بالمساعدة أجبك بها . وإنما كان هذا يساعد بالعمل وذلك يساعدان بالمال فها خير أغنياء بلادها

كان عذر حسن باشا عاصم في عدم الاقدام على الابتكار وإيجاد المشروعات هو عدم الثقة بأجابه الناس وثباتهم على العمل ولابن اليوسف في دمشق وابن كرامي في طرابلس مع مثل هذا العذر أعذار أخرى ككثرة أعمالها وما لا حاجة إلى بيان الآن من حال البلاد وغير ذلك

ذهبت في ذلك اليوم (الاربعاء) إلى القلمون فيأت ثيابي وحاجي وأرسلتها إلى الميتاء في يوم الجمعة وعدت إلى طرابلس مع كثرة الأمطار مساء لان المفتي كان وعدني بجمع الوجاه ليلة السبت لاجل تأسيس الجمعية الخيرية فألفيته قد ارجأ

دعوتهم للاشتغال بانتخاب المبعوث عن طرابلس لان الولاية أمرت بإتمام الانتخاب يوم السبت ولكثرة الامطار التي كان يظن انها تحول دون عودتي من القملون على قرب المسافة وقال ان أقرب وقت يمكن ان يجتمعوا فيه إذا نحن دعوناهم بعد انتخاب المبعوث غداً هو ليلة الثلاثاء فأريت ان أرجى السفر أسبوعاً لأجل إتمام هذا العمل الشريف

ملخص خطبة

وفي ليلة الثلاثاء اجتمع في دار عمر باشا المحمد نحو من عشرين رجلاً إجابة لدعوة المقيومهم من وجهاء لواء طرابلس لالمدينة نفسها فقط لخطبت فيهم خطبة بينت فيها فوائد الجمعيات وأنواعها وتأثيرها في ترقية البشر في العالوم والأعمال الدينية والدنيوية وكون الخيرية منها من الضروريات التي لا يخلو منها بلد من البلاد المرتقية حتى ان الرجل الأفرنجي إذا مر في سياحته على بلد وأراد أن يبذل شيئاً من ماله لمساعدة قراء أهله فإنه إنما يرسله إلى الجمعية الخيرية في ذلك البلد وربما وضع أحدهم حواله مالية في كتاب وكتب عليه « الجمعية الخيرية » ووضع في صندوق البريد من غير أن يسأل هل يوجد في هذا البلد جمعية خيرية أم لا كأن الجمعيات الخيرية من الأمور الضرورية التي لا يمكن ان يخلو بلد منها . وذكرت ذلك المشهود الذي جاء القاهرة وأراد بعد ان ربح بألمابه فيها ربها عظيماً أن يخصص ليلة يجعل دخلها للجمعية الخيرية الاسلامية فيها فكان ذلك سبب تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية ثم قلت: أيها السادة! ان حكومتكم قد دخلت في طور جد يدفرت ديمقراطية أمرها بيد الشعب بعد أن كانت استبدادية شبه الارستقراطية بالأغنياء والشرقاء من النفوذ فيها واعلموا ان كثيراً من الاحرار الذين اقلبت السطة الاستبدادية بسعيهم متطرفون في الديمقراطية وإن معظم الاحكام ستكون في أيديهم عاجلاً أو آجلاً وأن الشعب سيشعر به وهذا سبب اليه كراهة الكبراء والأغنياء فيكبرهم وتفتخ فيه روح الاشتراكية وسيجعلهم «العمل فإذا جاء طرابلس متصرف متطرف من الديمقراطيين الذين أثمرت البروزة في الولاية منهم أيضاً فاعلموا ان ما تعودوا منه من

(التاريخ ١٢م ٢٠) (المجلد الثاني عشر)

الجاه والكرامة في وطنكم لا يقي لكم الا اذا كان الشعب يحكم بحكم يتحكم اليه قبل ذلك والا دهوركم واسقطكم كما فعلت قبله الشعوب الافريقية بأولئك النبلاء الذين كانوا يملكون أوربا ويتصرفون فيها تصرفا لم تصلوا الى مثله من كونت ودوق ومركيز ثم يقوم من طبقات الشعب الذين يتولى الزعامة في البلاد بحق أو بغير حق . وما أظن ان صدوركم تنشرح لتلك الحال ولا ان اعينكم بتبسيط برويته . واتي أحب ان تكونوا أنتم زعماء بلدكم في زمن الحرية ونحت ظل الدستور بأن تتجهبوا الى الشعب مذيالوم بنشر الحرية والتعليم فيه ومواساة الفقراء والمساكين من أهله

اتي لا أحب الارستقراطية وان كنت من بيت شريف ، واتي ما زلت من دعاة الديمقراطية بلسان السياسة ولسان الدين ، وانما أميل الى بقاء زعامة وطني في وجهاته وإياكم أعني لاعتقادي انه لا يوجد في دمهاته من يصلح للزعامة كما وجدني فرنا عند ما صارت ديمقراطية

الفرق بيننا وبين فرنسا بعيد ، ان فرنسا كانت قبل ثورتها المشهورة قد استمدت ما لم تستعد بمثله نحن اليوم حتى نبغ فيها من دماء الشعب من يصلحون للزعامة بعلومهم وأعمالهم وآرائهم وأخلاقيهم

اتي لطبي بهذا الفرق ولما رأيت في بلاد مصر التي تمتعت بالحرية قبل بلادنا من العبر وهبوط قوم وصعود آخرين أقول ما أقول عن خبرة وبصيرة وأحب ان فتبر نحن العثمانيين بحال الامة الانكليزية التي هي أعرق الامة في الحرية وأكثرهن استفادة منها فهي الامة التي حافظت على كرامة النبلاء وحرمة البيوتات فيها بعد الديمقراطية الراسخة واستفادت من ذلك كثيرا . وأرى ان إسقاط الشعب لكرامة أصحاب البيوتات منا وتساق أفراد الطبقات الدنيا للزعامة فينا مع ما هم عليه من الجهل يقف في طريق نهضتنا وأن غاية وجهتنا بحفظ كرامتهم وحرصهم على ان يكونوا هم زعماء الشعب يكون أسرع في تقدمه إذا هم أتوا البيوت من أبوابها فتسهم في الغالب على شيء من الاخلاق والعلم أو الاختبار

نم قلت ان خدمة الامة والتجيب اليها انما يكونان بالثبوت على تربية أولادها وتعليمهم ما به قوام حياتهم ومواساة المنكوبين والمعوزين من قرايتها وذلك لا يتيسر

الا بتأليف جمعية خيرية يجعل معظم ريعها لانشاء المدارس و باقيه لإعانة المتكويين والموزين وهذا ما أدعوك الى الا كتاب له بلسان فضيلة المفتي الحريص على هذا العمل المبرور الراغب في هذا السعي المشكور وسيجمعكم في ليلة أخرى لاجل المذاكرة في القانون الذي يوضع لذلك وانتخاب الاعضاء العاملين . ثم شرعنا في الا كتاب واتسحه المفتي في ورقة كتبت في اعلاها ما نصه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« وتعاونوا على البر والتقوى »

هذا بيان ما تبرع به الذوات المذكورة اسماؤهم بخطوطهم ادناه لتأسيس جمعية خيرية اسلامية في طرابلس الشام لنشر التعليم الديني والدنيوي على الطريقة العصرية ولإطائه المصايين والمتكويين الموزين بمقتضى قانون يجري العمل بموجبه بعد إقرار المكتبين له في اجتماع خاص وقد جرى هذا في ليلة ١٦ شوال سنة ١٣٢٦ الهجرة الشريفة .

﴿ اسماء المكتبين لتأسيس جمعية خيرية اسلامية بطرابلس الشام ﴾

ونذكر اسماء المكتبين مع الألقاب وهم كتبوها مجردة كما هي العادة ورتبها على حسب قيمة الا كتاب

لبرة عثمانية

- ١٠٠ مفتي اللواء رشيد افندي كرامي
- ١٠٠ عمر باشا المحمد من اعيان اللواء
- ٠٣٠ عثمان باشا المحمد
- ٠٢٠ علي باشا المحمد
- ٠٢٠ مصطفى افندي عز الدين من كبار التجار
- ٠١٠ عبد القادر باشا الملا رئيس شركة الترام والشوس
- ٠٠٥ ابراهيم بك الاحمد من الاعيان

ليرة عثمانية

- ٠٠٥ احمد افندي سلطان وكيل الدعاوى (الحامي)
 - ٠٠٥ خير الدين بك عدده من كبار التجار
 - ٠٠٥ عبد الحى افندي الملك من الوجاه
 - ٠٠٥ عبد القادر افندي القباني الليروني الشوير (وكان في طرابلس)
 - ٠٠٥ عبد القادر افندي النوق من كبار التجار
 - ٠٠٥ محمد فؤاد افندي النوق
 - ٠٠٥ محمد سعيد بك (مير قلم متكوي بحى الولاية) الذي كان وكيل المتصرف يومئذ
 - ٠٠٥ محمد كامل بك البحيري صاحب جريدة طرابلس
 - ٠٠٣ عبد اللطيف افندي الغلايني وكيل الدعاوى
 - ٠٠٣ محمود افندي الحداد من التجار
 - ٠٠٢ الشيخ اسماعيل افندي الحافظ رئيس كتاب المحكمة الشرعية
 - ٠٠٢ صبحي بك شريف
 - ٠٠١ عبد الرحمن افندي أديب من التجار
- المجموع ٣٣٦

وقد وعدني بعض هؤلاء بأن يدفعوا أكثر عما كتبوا منهم مصطفى افندي عز الدين والشيخ اسماعيل افندي الحافظ لما وعد بعض من حضروا كتب اسمه ولم يمين مبلغا كمبد الله افندي الثمين من كبار الوجاه أصحاب النفوذ الادبي في اللواء وعضو مجلس الادارة الآن

هذا وان الذين أجاؤوا الدعوة وحضروا الاجتماع هم زهاء خمس من دعاهم المتي . وقد أبى حضورها بعض المتأخرين بالمجد التليد الذين يرون انهم يستفنون به عن المجد الطريف ومنهم من صار يسعى بعد ذلك في إبطال العمل ويثبط عنه وكان لسميهم هذا تأثير أوقف التنفيذ إلى أجل ولولا ذلك لما ذكرت من أمر هذه الجمعية إلا ان جماعة من أهل الفضل في طرابلس أنسوا جمعية خيرية إسلامية فلمع الشكر والتناء

يوجد في كل بلد أفراد مجردون من حب الخير ويرون أنهم أهل لأن يوصفوا بكل خير ويؤمنهم منظر الخير في غيرهم لأنه بعمله تحلى بما أعوزهم وأعجزهم فهم يقدمون بكل طريق من طرق الخير يصدون عنها ويفقونها عوجاً . لأنجل هو لاء أحب مقي طرابلس أن لا تؤسس الجمعية الخيرية إلا بعد دعوة جميع الوجهاء حتى لا يعتذر بعد ذلك أعداء الخير بأنهم لا يساعدون هذا العمل لأنهم لم يدعوا إليه عند التأسيس ونعم ما أحب وما رأى

على أن بعض من دعي ولم يجب ممن ذكرنا وصفهم اتذبوا لإجباط العمل والتثبيط عنه حتى أن منهم من لم يستح من مخاطبة المتي نفسه بذلك ولما لم يجد وجها وجها للتثبيط قل له انه لا ينبغي لسماحتكم ان تقوموا بهذه الجمعية عن دعوة فلان فأجابه المتي جواب العقل الفاضل فقال أولاً أن هذا العمل خير لا ويب في نفسه وفائدته فسواء كان من دعائي اليه دوني أو مثلي أو فوق في لافرق في ذلك وثانياً أن الداعي الى ذلك هو واحد منا ومن أهل العلم والشرف فينا وليس له منفعة شخصية ولا غرض ذاتي حمله عليه ولا هو يريد الإقامة في هذه البلاد فتقول انه يتفرد بشرف العمل فيه جبا بالشهرة الخ

لأني لما علمت بمثل هذا القول الذي قيل للمتي ولغيره كفت عن السعي فيما كنت آخذاً فيه من تأليف لجنة مؤقتة لإدارة العمل والدعوة إليه الى ان يشترك في الجمعية عدد كثير تتألف منه الجمعية العمومية التي تنظر في القانون وتنتخب من افرادها اعضاء للإدارة . وكنت اسعى الى من اظن فيهم الخير في بيوتهم ومحال علمهم . وإنما كفت لأرى ماذا يصنع المذنبون او المشبوهون هل يتفقون مع المتي وينضمون للعمل ام يرتاحون الى السكوت عنه لأنه هو المصدور لهم بالذات ؟ فبين بعد ذلك انهم لا يريدون إلا إجباط العمل لأنهم لا يعملون الخير ولا يحبون ان يعمله غيرهم وقد كتبت في مذكري في أوائل شهر ذي القعدة مانصه : ذكر لي غير واحد من الوجهاء أن نخاح الجمعية الخيرية الاسلامية بطرابلس لا يرجي وان الذين اكتبوا في المذكرة التي في يديهم لا يعتقدون انهم يدفعون شيئاً بل قلوا ان المتي نفسه يسايرني مسaire

بأن أترك التشبث بالجمية . وظهر لي انه يرى ان ذلك ينفر القوم مني من حيث لاستفيد مما أريد شيئا ، الخ ما كتبته في شأن افراد معينين ، من قاتل ومقول فيه
أ كتب هذا ليعلم أصحاب النية الصالحة في طرابلس كالمقي وغيره السبب في اكتفائي بعد ذلك بانتقاء نفر من يرجى نجاتهم لإدارة الجمعية موقتا وايدان المقي بذلك في يوم الاربعاء ٢٣ ذي القعدة (١٦ ديسمبر . ك ١) بعد دعوة كل واحد منهم على حدة ووعدته لي يبذل الجهد في ذلك الا واحدا منهم (وهو محمود افندي الملا) قال انه لا يدخل في العمل إلا بعد ان يشرعوا فيه بالفعل . وان لي رجاء قوي في مهمة المقي وغيرته وهمة أولئك الانجاد بأن ينهضوا بهذه الجمعية نهضة صالحة بعد هدوء الاضطراب الذي احده ضعف الحكومة الجديدة والاستواء على حال ثابتة . واتي اساعدهم بالقلم من هنا وكون عوناهم على اليائسين الذين لم اكتب ما كتبت الآن الا ليعلموا ان كدهم في تضليل دواعي الحق وهو يهدي السبيل »

حقوقنا المهضومة ونائب طرابلس الشرعي

لقد علم القاضي والداني من عثماني وغير عثماني أن حكومة الاستبداد الماضية قد أسرفت في الجور على بيتنا وظلم أهلنا اتقاما مني (راجع فاتحة السنة الثانية عشرة في الجزء الماضي) وكان من ذلك الظلم انه لما توفي والدنا فعمده الله برحمته صرت أنا المستحق بعده للتولية على جامع القلمون الذي جدده فيها جدنا الثالث بحسب نظام التوجيهات الناطق وفقا للشرع بأن يوجه ما ينحل عن الوالد من الوظائف المتلفة بالآواقف الى أكبر أولاده ولكن حكومة الرشوة والاستبداد وجعت تولية مسجدنا على رجل آخر اسمه عثمان النصري واشتهر انه اعطى القاضي (نوري افندي) على ذلك اربعين ليرة . ثم اعطاه رجل آخر اسمه الشيخ محمود حسن . على مئتا ذراع . سبعين أو ثمانين ليرة فعزل عثمان النصري بعد دعوى مافقه ووجه التولية على محمود حسن فلما أردت السفر من طرابلس الى مصر قدمت دعوى الى المحكمة الشرعية ملخصها ان تولية محمود حسن على جامع القلمون غير صحيحة واتي أنا صاحب الحق في هذه التولية فأطلب توجيهها عليّ عملا بالنظام . إذ فرضنا أن توليته صحيحة فاتي اثبت خيائته بترك معاهد الوقف عرضة للخراب وترك عمارة ما حارب منها في زمن

تولته والزيادة في النفقات والنقص من الربح ووكلت عني وكيان شرعين ثم نهيات
للسفر فحدث ما ذكر آفا من التثبت بتأسيس جمعية خيرية ثم جاء بآبرقي بأن نيابة
طرابلس (أي قضاءها الشرعي) وجهت الى عبد المجيد افندي الجعفري وانه سيسافر
من الاساتنة قاصدا طرابلس ثم لم يلبث ان حضر

عرضت الدعوى على هذا النائب فقال لي انني أقول لك وان كان لا ينبغي للقاضي
ان يصرح برأيه قبل الحكم ان حقت ظاهري واثني سأعيد لك بعد استيفاء المعاملة الشرعية
- ولا كنت على ثقة من ظهور هذا الحق اعتقدت ان الدعوى تنتهي في اسبوع أو اسبوعين
فأجلت السفر ونايت سير الدعوى بنفسني وأنا أعلن في كل اسبوع انني افرغ فيه من
الدعوى وأسافر في الذي بعده وكنت عازما على الإقامة في سورية خمسة اسابيع فقط
لكثرة شغلي في مصر فأقمت ستة اشهر والدعوى على حالها يزيد هذا النائب كل يوم تعقيدا
انني لم أك اجالس هذا القاضي مرتين أو ثلاثا الا وقد جزمتم بأنه سيهان في
طرابلس إهانة لم يسبق لها نظير فكنت حريصا على إنجاز قضيتي قبل ظهور حقيقة
حاله التي تتعني متوقعته بالفراصة وكشفت به غير واحد ولكن هذا القاضي لا ينجز
عمالا من يتقدم مثلي في نيل حقه على انه محق وقادر على إثبات حقه

انشأ هذا القاضي يوئيل جلسات الدعوى ويبحث وكيالي الخصمين على كتابة ما شأ
في جريدتها ويماطل في قراءة ما كتبنا وقد ثبت لديه ان تولية المدعى عليه غير صحيحة
وانه خائن تارك للامارة الواجبة شرعا كما تبين بالكشف من قبل المحكمة وشهادة الشهود
ومع هذا لم يحكم بشيء حتى آن الأوان ووضح الالوف من الناس بالشكوى منه واجتمعوا
عند المحكمة وهم ألوف ينادون فليسقط القاضي الخائن المرتكب وشكوا أمره للشيخنة
الاسلامية فأمرت بالتحقيق وهم يشكون منه أمورا كثيرة ذكرت في جريدة لسان الحال
وغيرها منها التطويل في المرافعات وعدم الحكم فيها بعد انتهائها كما حدث معنا حتى امتنع
الوكلاء (المحامون) عن المجيء الى المحكمة ومنها أنه قد يحكم ثم يرجع بحكمه بعد كتابته
ومنها كراهته للحكومة الدستورية واعتزازه بكونه من جمعية « فدا كاران ملت » وقد
علمنا بعد ذلك انه كان نائبا في صيدا فأحدث فيها فتنة حتى هرب منه ليلالوان ذلك شأنه

(لها جقية)

في بكل بلد كان فيها حاكما

﴿ قانون المطبوعات وتقييد الصحافة بمصر ﴾

لم تكند تستقر قدمنا بمصر بعد عودتنا من سورية (في الأسبوع الأخير من هذا الشهر) حتى صحت سمعنا بأعزم الحكومة على العمل بقانون المطبوعات الذي وضع عقب الثورة العراقية لثلاثين الجرائد ذلك التيسير سببه الأولى ثم سمعنا ان هذا كان عن اتفاق بين الامارة المصرية والحكومة الانكليزية ونظرا للحكومة المصرية لم يكن لهم به من علم الا ان يكون رئيسهم الجديد بطرس باشا غالي وانهم عندما فوجئوا بطلب تمرير ذلك القانون ابوا وفضلوا الاستقالة على ذلك وروت بعض الجرائد الانكليزية ان سعد باشا زغلول ناظر المعارف ومحمد سميد باشا ناظر الداخلية هما اللذان عارضا وكادا يستقيلان ثم اقعا فلم يستقلا وان الوزارة لم ترض اخيرا بتنفيذ ذلك القانون الا بعد تعديل ما وافق على عدم التصديق به على المطبوعات ولا المراقبة على الكتب التي تطبع ولا المطابع التي تطبعها ونما يخص المراقبة بالجرائد فمنها من الاسراف في الطعن والهجاء الذي لم يسلم منه الامير ولا رجال الحكومة فضلا عن غيرهم ومن تيسير الناس على الاعمال التي قد تضر بالاضطراب وتبثر السخط العام على الحكومة . وقد كان وقعنا هذا القانون ألبا شديدا على رجال الصحافة وغيرهم ويخشون ان يكون مبدأ لشر اعظم منه الامن هم على رأي الساطع التي أعادته

كان للادارة الانكليزية في مصر مزيتان عظمتان لا نزاع فيهما ويقول الكثيرون انه يمكن لها من مزيتها سواها الا وهما يسر البلاد المالي وحرية الطباعة وقد ذهبت العسرة المالية منذ سنتين المزيت الأولى وكانت انكلترا قادرة على تفرجها كما فرجت عسرة أمريكا التي هي أعظم منها بكثير من الاضغف فاذا زالت المزيت الثانية بقانون المطبوعات القديم الجديد فانه مزيت تبقى لهم في مصر يمنون بها على البلاد ويخافون بها الامم وكلا الأمرين حدث بعد مفادرة ورد كرومر لمصر وهو الذي كان صاحب المزيتين عني ان الحزب الوطني وجرائده واكثر الجرائد الاخرى ونها الماييد كادوا بمصرون شكواهم من الاختلال في شخصه فصارا كثر دم اليوم يتمثل بقول الشاعر:

رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبينون أحواله

المسحاة

١٣١٥

غير أكثرا وبالمسحاة لا أولو الألباب
بأنهم لم يسمعون القول فيتبينون أحواله

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و « متارا » كثر الطريق ﴾

﴿ مصر - الاربعاء ٣٠ ربيع الاول ١٣٣٧ - ٢١ ابريل (نيسان) سنة ١٣٨٥هـ ١٩٠٩م ﴾

فَتَسَاءَلُكَ الْمَلَائِكَةُ

نحننا هذه الباب لا حاجة أسئلة المشركين خاصة ، اذ لا يسع اناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزى الى اسمه بالحروف ان شاء ، وان كان ذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعاً قد نامتاً غير السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورماعاً جينا غير مشترك لثقل هذا ، ولعن يعفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا نقاله

﴿ مسألة خلق القرآن وقدمه ﴾

(س ١٠) من جلة (الحجاز) لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام بحر العلوم العقلية والنقلية تاج رأس السنية سيدي محمد رشيد رضا افندي منشي مجلة المنار الفراء لا زال في مقام كريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . من العجب أني لم أعثر في مجلدات المنار على مبحث في القرآن المجيد المكتوب في المصاحف الخ تكونون كتبتموه أو ستم

(الملج ١٢٣) ضرر الفرق والخلاف والمذاهب . الاعتقاد بالقرآن ١٨٣

عنه لنكتفي عن أن نستلزم قروم من غيركم على الدين الاسلامي ان قضيونا بما هو الحق الذي يجب اعتقاده في مسألة القرآن الواقع فيها الخلاف بين الحنابلة وأتباع الحنفية والمالكية والشافعية الآن بالبيان الثاني الكافي بأدلة الفرقين وزجيج أي الاعتقادين على الآخر لأن لكم القدر المثل في هذا الفن ولكم الأجر والشكر في الدنيا والآخرة محمد حسين

(ج) اعلم يا أخي قبل كل شيء أنه ما أضر الاسلام والمسلمين شيء كالخلاف والفرق فيه الى شيع ومذاهب يوجب كل باحث منهم قراء الى تأييد اقوال مذهبه الذي ينسب اليه وتزيد كل ما يخالفه ولذلك وردت الآيات والأحاديث الشريفة في حظر الخلاف والفتن حتى قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (٦ : ١٥٩) ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقال للمسلمين (٣ : ١٠٥) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليقينات وأولئك لهم عذاب عظيم) ولعل الجمل بمسألة من المسائل مع الوقوف والاجتماع يكون أحيانا خيرا من العلم بها مع الخلاف فيها والفرق ولذلك كان النبي (ص) يريد أن يبين شيئا فترك يانه لاجل خلاف المسلمين في الحاجة اليه كما فعل يوم أراد ان يكتب لم كتابا لن يضلوا بعده أبدا كما في صحيح البخاري . وقريب من ذلك ما كان حين أراد أن يبين لم ليلة القدر كافي الصحيح أيضا وغرضنا من هذا تذكير السائل الكريم بأنه لا ينبغي له ولا لغيره ان يسأل عن شيء لاجل تأييد ما يراه هو فيه ويان خطأ المخالف له من المسلمين

واعلم يا أخي ثانيا ان المحاكمة بين المذاهب لا أجل ترجيح بعضها على بعض هي من أقوى أسباب الحل على تعصب أهل كل مذهب لمذهبهم وملاحاة المخالفين لم ومعاداتهم وقلا يوجد منتسب الى مذهب ينظر في قول المخالف وفي دلائله نظرا مستجيلا للحقيقة بل ينظر اليه بين النقد والبحث عن مواضع الضعف ولو في التعبير ليجهم عليه من موضع ضعفه فيفتض بنيانه وبين بطلانه

اذا علمت هذا وذاك وأنت تعلم ان المثار أنشئ للجمع والتوفيق لا للخلل والفرق بينك وجه العذر في عدم الاجابة الى ذكر أدلة المذاهب في المسألة

١٨٤ ضرر الفرق والخلاف والمذاهب . الاعتقاد بالقرآن (المار ج ١٢٣)

والترجيح بينها مكتفياً ببيان الحق فيها وهو ما كان عليه السلف الصالح من غير جدال ولا فضال ، ولا ما كره لنا الله من القيل والقال

ان هذا القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ في الصدور المتلو بالألسنة هو كلام الله المنزل على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والرسول المبلغ لعن الله تعالى ليس فيه صنع ولا عمل . والقول بأنه مخلوق على الاطلاق أو باعتبار قراءته أو كتابته من البدع المذمومة التي لم يأذن بها الله ولا قال بها رسوله ولا أصحاب رسوله ولا أتباعهم لهم في هدايتهم ولا هي مما يحتاج اليه الامة في حفظ دينها ولا مصلحة دنياها . ومن البدع ايضا ان يقال ان حروفه مخلوقة وان قراءتي له مخلوقة و ربما كان ذريته الى ما هو شر منه مع عدم الحاجة اليه و ضرر إضاعه الوقت في مثله

اننا لم نخض في مسألة الخلاف في خلق القرآن اتباعا للسلف ولكنا بينا في تفسير أول آية من الجزء الثالث من القرآن معنى كلام الله وتكليمه وكون كلامه عز وجل شأنا من شؤنه قديما قدمه . واتباع مذهب السلف بمنعنا من الخوض في الخلاف فنحن نين الحق الذي نفتقده وندين الله به وندعو اليه ولا نزيد على ذلك . وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كتب في رسالة التوحيد جملة في مسألة هذا الخلاف ثم اعترف بأنه أخطأ مذهب السلف في ذلك وأمر بمحذف تلك الجملة من الرسالة في الطبعة الثانية ولما طبع الرسالة ثانية مصححة بتصحيحه حذفنا تلك الجملة منها

ومن المعلوم أن قننة القول بمخلق القرآن حدثت في أول القرن الثالث فخير لنا ان نجعلها نسيا منسيا ونكون في ذلك كأهل القرن الأول والثاني . فإن قيل كان يكون هذا حسنا لو رضي الناس به وجروا عليه ولكن المسألة لا تزال قرأني الكتب فملق شبهة البدعة ببعض الاذهان فوجب إبطال تلك الشبهة التي يزعم أصحابها انهم جاؤا بمحقاق الفلوسة اذ جعلوا القرآن عضيبي منه كلام نفسي وكلام لفظي وقالوا هذا حادث وذاك قديم . قلنا ان المجادلات النظرية تحيي تلك النظريات الفلسفية وإتقانيتها بالذهي عنها عنها و بيان الحق الذي كان عليه السلف لا ترى غير ذلك و بالله التوفيق

﴿ جعل الدية على العاقلة وحكمة ذلك ﴾

(س ١١) من يروت لصاحب الامضاء

حضرة العالم الفاضل والغيور الصادق معتمد الامة الاسلامية السيد محمدرشيد
رضا صاحب مجلة المنار الاغر

هل قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة الجاني (كما ثبت في
الصحيحين) جناية على الانسانية ، واجحاف بحق المدنية ، كما يظهر ذلك من
مقالة سطرت في جريدة - لبنان - الصادرة في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٦
عدد ٧٧٧ تحت عنوان (مجلس الادارة وجريدة لبنان) أم هو نهاية في العدالة
ومحض خير للامة ، وغاية في حفظ دماء البشر ، وتعليم للناس ليعين بعضهم بعضا
إذا اخطأ ، ورية لم حتى لا يمكن أحدهم ابن حيه باللعب بمسدس مثلا ، أفيدونا
الجواب ، ولكم من الله الثواب ،

سبب المقالة فيما يظهر ان بعض اللبنانيين يود انتخاب أناس من مجلس الادارة
وبعضهم يروم انتخابهم من مشايخ الصلح ومنهم صاحب الجريدة . حجة الفريق
الاول ان بعض مشايخ الصلح أخطأ في أمر ما فزيم لهذا الاعراض عنهم وتيمم رجال
بمجلس الادارة لذلك قال كاتب المقالة ما نصه (بلا زيادة حرف)

« على انه إذا صح لنا تبديل النظام ونزع ذلك الحق من أيدي مشايخ الصلح
خطأ ارتكبه واحد منهم صح استبدال نظام كل حكومة عند ما يرتكب أحد رجالها
جريمة من الجرائم وبجازاة كل مأمور بها . وكانت مثلهم مثل العاقلة في الشرع
الشريف . فانه إذا قتل أحد الصاغة مثلا في قرية وما أمكن معرفة قاتله وجبت
الدية على جميع ابناء حرقه وهكذا مشايخ صلح وجب بحسب تلك القاعدة إلقاؤهم
جميعا تحت تبة ما يرتكبه أحدهم » اه ثم رد على من يتنفي الانتخاب من مجلس
الادارة اللبنانية وحضر على الانتخاب من مشايخ الصلح اه كامل الغلايين

(المنازع) (٢٤) (المجلد الثاني عشر)

(ج) جعل الدية على العاقلة وهي عصبة العشيرة (المائلة) خاص بقتل الخطأ وحكمته تكافل العشيرة وتعاونها في المصيبة فهو من قبيل إيجاب الثقة للمسررين من الاقرين على المسررين منهم على ما في هذا وذلك من التفصيل والخلاف . وهذا يرد زعم بعض الجاهلين بالشريعة أن الاسلام لم يقرر في امر المائلات شيئاً كأن المائلة لا وجود لها في الاسلام على انه لا يوجد في شريعة الهية ولا وضعية من اقدم الشرائع الى أحدثها مثل ما يوجد في الشريعة الاسلامية الفراء من إحكام روابط القرابة ووشيجة الرحم من الاحكام والآداب ومن أهمها مسائل النفقات ومسألة جعل دية قتل الخطأ على عاقلة القاتل (وربما كان لفظ المائلة محرفاً عن العاقلة) لأنه لما كان مذكوراً بخطأه وكانت الدية ربما تذهب بثروته لاسبأ اذا تكرر الخطأ منه جعلتها الشريعة في عاقلة تعاونون عليها وقد تقدم في التفسير من هذا الجزء . وفي غيره كلام في تكافل الامة فما بالك بتكافل العشيرة

وحكم العاقلة ورد في الحديث لا في القرآن وقال العلماء في شرح بعض الاحاديث الواردة في ذلك انه مخالف لظاهر قوله تعالى (١٨:٣٥) ولا ترز وازرة ووزر أخرى) وأجابوا عن ذلك بجعل الاحاديث الواردة في ذلك مخصصة لعموم الآية بناء على قول جمهور أهل العلم ان تخصيص القرآن بأحاديث الآحاد وتقلوا عن بعض العلماء والمذاهب خلافاً فيها

قال في نيل الاطوار : وعاقلة الرجل عشيرته فيبدأ بمخذه الأدنى فن عبزو ص بهم الاقرب فلا اقرب المكلف الذكر حر من عصبة النفس ثم السب ثم في بيت المال . وقال الناصر انها تجب على العصبة ثم على أهل الديون ثم على السلطان . وقال ابن خزيمة انها تجب على أهل الديون دون أهل الميراث ولم ينزل هكذا في البحر . ولا يخفى ما في ذلك من التهمة لانه في الصحيحين لا يوجد في البحر عن الأصم بن علي ولا ذكر اخوانه ابن دهم في مال النصارى . يلزم العاقلة وحكي عن شقعة وابن أبي ليلى انه لا يوجب الميراث لغيره من الميراث . يلزم العاقلة هو الخطأ المحض وهذا الخطأ في

أقول وورد في بعض الاحاديث انه لا تجب الدية على المائلة

الاحوص انه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فقال رسول الله (ص) « لا ينجي جان الاعلى نفسه لا ينجي والد على ولده ولا مولود على والده » رواه احمد وابو داود والترمذي وصححه وابن ماجه . وحديث ابي رزمة قال خرجت مع ابي حتى اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت برأسه ردع حناء وقال لا يبي « هذا ابنتك » قال نعم قال : أما إنه لا ينجي عليك ولا ينجي عليه » وقرأ رسول الله (ص) « ولا تزوروا زرة وزر أخرى » رواه احمد وابو داود والنسائي والترمذي وحسنه وصححه وابن خزيمة وابن الجارود والحاكم وفيه روايات أخرى وحديث الرجل من بني يربوع قال اتينا رسول الله (ص) وهو يكلم الناس فقالوا يا رسول الله هو لا . بنو فلان قتلوا فلانا قال رسول الله (ص) « لا ينجي نفس على نفس » رواه احمد بسند رجاله رجال الصحيح والنسائي . وقد ادخل الفقهاء الاحاديث في باب التخصيص فأخرجوا الوالد والولد من العاقلة والنسخ فيها اظهر ولكن العمل جرى على الاحكام . وكما أن العاقلة مخالفة لظاهر الآية التي استدلت بها الرسول في الحديث السابق هي مخالفة للقياس ايضا وقد أجاب الفقهاء عن الأول بما علمت من التخصيص وفصل الجواب عن الامرين الامام ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين فقال

(فصل) ومن هذا الباب قول القائل هل العاقلة الدية عن الجاني على خلاف القياس ولهذا لا تحمل المدد ولا العبد ولا في الصلح ولا الاعتراف ولا ما دون الثلث ولا تحمل جناية الاموال ولو كانت على وفق القياس لحلت ذلك كله والجواب أن يقال لا ريب أن من تلف مضمونا كان ضمانه عليه « ولا تزوروا زرة وزر أخرى » ولا تؤخذ نفس بحرية غيرها وبهذا جاء شرح الله سبحانه وجزاؤه وهل العاقلة الدية غير مناقض لشيء من هذا كما سنبينه والناس متنازعون في العقل هل تحمله العاقلة ابتداء أو تحملا على قولين كما تنازعوا في صدقة الفطر التي يجب ادائها عن الثير كالزوجة والولد هل يجب ابتداء أو تحملا على قولين ؟ وعلى ذلك ينبغي ما لو أخرجا من تحملت عن نفسه بغير اذن المتحمل لها فن قال هي واجبة عليه ابتداء قال لا تعجز بل هي كأداء الزكاة عن الثير وكذلك القاتل اذا لم تكن له عاقلة

هل تجب الدية في ذمة القاتل أولاً بناء على هذا الأصل ؟ والقيل فارق غيره من الحقوق في اسباب اقتضت اختصاصه بالحكم وذلك أن دية المقتول مال كبير والعاقلة إنما تحمل الخطأ ولا تحمل العمد بالاتفاق ولا شبهة على الصحيح والخطأ يندرج فيه الإنسان فإيجاب الدية في ماله فيه ضرر عظيم عليه من غير ذنب تصدده واهدار دم المقتول من غير ضمان بالكلية فيه إضرار بأولاده وورثته فلا بد من إيجاب بدله . فكان من محاسن الشريعة وقيامها بمصالح المباد أن أوجب بدله على من عليهم موالاة القاتل ونصرته فأوجب عليهم اعاقته على ذلك وهذا كإيجابه النفقات على الأقارب وكسوتهم وكذا مسكنهم وإعافهم إذا طلبوا النكاح وإيجاب فكك الأسير من بلد المدفون إن هذا أسير بالدية التي لم تصمد بسبب وجوبها ولا وجبت باختيار مستحقها كالقرض والبيع وليست قليلة فإقتاتل في الغالب لا يقدر على حملها وهذا بخلاف العمد فإن الجاني ظالم مستحق للعقوبة ليس أهلاً أن يحمل عنه بدل القتل وبخلاف شبه العمد لأنه قاصد للجناية متعمد لما فهو آثم متعمد وبخلاف بدل المثلث من الأموال فإنه قليل في الغالب لا يكاد المثلث يسجز عن حمله وشأن النفوس غير شأن الأموال . ولهذا لم تحمل العاقلة مادون الثلث عند الإمام أحمد ومالك قلته واحتمل الجاني حمله وعند أبي حنيفة لا تحمل مادون أقل المقدار كأرض الموضحة وتحمل ما فوقه وعند الشافعي تحمل القليل والكثير طرداً للقياس وظهر بهذا كونها لا تحمل العمد فإنه سعة من السلع ومال من الأموال فلو حملت بدله لحملت بدل الحيوان والمتاع وأما الصلح والاعتراف فعارض هذه الحكمة فيهما معنى آخر وهو أن المدعي والمدعى عليه قد يتواطآن على الإقرار بالجناية ويشتركان فيما يحمله العاقلة ويتصلحان على تنزيم العاقلة فلا يسري إقراره ولا صلحه فلا يجوز إقراره في حق العاقلة ولا يقبل قوله فيما يجب عليها من الرامة وهذا هو القياس الصحيح فإن الصلح والاعتراف يتضمن إقراره ودعواه على العاقلة بوجوب المال عليها فلا يقبل ذلك في حقهم ويقبل بالنسبة إلى المعترف كمنظاره

فتبين أن إيجاب الدية على العاقلة من جنس ما أوجب الشارع من الإحسان إلى المحتاجين كإبناء السبيل والفقراء والمساكين وهذا من تمام الحكمة التي بها قيام مصلحة

العالم فإن الله سبحانه وتعالى قسم خلقه الى غني وفقير ولا تم مصالحهم إلا بسدخلة
 الفقير فأوجب سبحانه في فضول أموال الاغنياء ما يسد خلة الفقراء وحرم الربا الذي
 يضر بالحاج فكان أمره بالصدقة ونهيه عن الربا أخوين شقيقين ولذا جاع الله بينهما
 في قوله (بحق الله الربا ويربي الصدقات) وقوله (وما آتيتكم من ربا ليربوا في أموال
 الناس فلا يربو عند الله وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)
 وذكر سبحانه أحكام الناس في الأموال في آخر سورة البقرة وهي ثلاثة عدل وظلم
 وفضل فالعدل البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذم كثر ما بهم وذم
 للراوين وذكر عقابهم وأباح البيع والتداين إلى أجل مسمى والمقصود أن حمل الدية
 من جنس ما أوجبه من الحقوق لبعض العباد على بعض كحق المملوك والزوجة والاقارب
 والضعيف ليست من باب عقوبة الانسان بجنابة غيره فلهذا ذكر الكفارة والله الموفق اه
 فتبين مما تقدم كله أن حمل الدية على العاقلة بشروطه هو من باب إعانة من
 يقع في مصيبة وتلزمه غرامة لم يعتمد سببها وانه من أسباب تكافل الاسر والعشائر
 (العائلات) ونظامها وإحكام روابط المودة وقوية وشائج الرحم بينها وان من كتب
 ما كتب في جريدة لبنان لم يفهم معنى كون الدية على العاقلة جملة ولا تفصيلا فكيف يفهم حكمته
 وهكذا نرى شأن الذين ينتقدون احكام الاسلام نصريحا أو تلويحا يقولون
 ما يعلمون، ويهرفون بما لا يعرفون، فيجنون على العلم من جهة ويورثون الاضغان
 الدينية من جهة أخرى وما كان أغناهم من الخالين اذا لم يكونوا متعمدين للافساد
 كما هو شأن الكثيرين منهم

﴿ القضاء والقدر ﴾

(س ١٢) من مشترك بالسودان

جناب مدير الماتر الاغر

بعد التحية، ذكرتم في صحيفة ٧٢٣ (ج ١٠ م ١) كلمة بخصوص مسألة القضاء
 والقدر. وبلا كان الماتر هو المجلة الوحيدة في العالم الاسلامي التي يهتم بها البحث في قضايا

الدين وشؤون الاجتماع والعمران. وكانت مسئلة القضاء والقدر هي الامر الذي اعترف به الصديق والعدو انه السبب الوحيد في تأخر المسلمين. رأيت ان ما ذكره المناوفا هذا الجزء والاجزاء السابقة لم يشف غليل العقول ولا هو زخرف شيئا من أساس المبدأ الثابت في أدمغة العالم وانحطت القائل عنه (هي الدين بن تيمية) من شتين مضت: فمن كان من أهل السعادة اثرت أوامره فيه بغير صفة

ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل بأمر ولا نهي بتقدير شقوة

واذا كانت العباد مقسومة هذا للشقاء وذلك للسعادة وإن هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمه المسلمون التي توجه للإصلاح والتقدم ليست الا ضربا من التقليد والتشبه للام الحية التي لا تعرف شيئا من هذه العقيدة المقيدة لهمم والعقول فتزول منهم اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرارية الداعية لهذا التشبه لان الدين أرسخ في الازمان من مبدأ وقي أثره تقليدي. اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين ونشبت النفوس تدريجا بالمبادي الطبيعية التي تسير مع تقدم الامم أو تكون هذه المسئلة على خلاف ذلك إذا إن ما ذكرتموه في المثال (عن ولي عهد المانيا وأخيه بمصر) لا يبرهن للدور الذي يتبرأ من هذه العقيدة انه كان من الازل مقرر اصابه أحد الاخوين بالحى ليتأخر عن الميعاد الذي حددده لسفروه وانه لا بد ان يصاب به حتما بل هو يقول لك كما يقول العقل والعلم: انه لو لم يتعرض للاسباب التي أوجبت هذا المرض لسبب عدم علمه بها لسافر في ميعاده المحدد وانه كان في امكانه ان يتجنبها لو علم بها. فاذا مسئلة اصابته بالمرض ليست محتملة له من الازل. ولا كان الله تعالى مخصصا اليه بالذات ولكنها مخصصت له منه تعالى بسبب جهله تلك الاسباب ليس الا... ويقول (نه تعالى) مخصصت له انه خالق كل الاسباب التي يتعرض لها الانسان بإرادته سواء علم بتأثيرها أو جهلها. فاذا قلتم حسب مبدأكم ومبدأ (ابن تيمية) السالف ان ولي العهد قد علم انه من الازل ان يحضر مصر وكان لا بد ان يمرض بمرضه هذا فقلت لكم ان القدر الذي قدماست يده بسبب ما سرق كان لا بد ان يسوقه الله تعالى للسفرة ثم لم تقطع يدكم انكم تكون هنا بإرادة الانسان ومستوياته في الدنيا والآخرة. فقالوا رب (ابن تيمية)

ضروب السخرية وتقيم رواية ليس لها نتيجة... ونكون كما قال (ابن تيمية) وحكمتها العليا اقتضت ماقتضت من الفرق فمفهوم أيد ورجحه يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي يقدره نحو العقاب بمره ويهدي أولي التعميم نحو نعيمهم بأعمال صدق في خشوع وخشية وما دامت الاسباب التي هي حجة للتأنيج مقدرة حتمية... فالتأنيج بالطبع تابعة لهذا الإلزام. وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس إلا تنبؤ رواية كلامية وإذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلومن الأمم الإسلامية الماضية وما كانت فيه من الاضمحلال... ولا داعي لاستخراج نتائج فلسفية أو عمرانية للزوم الاخذ بأسباب الترقى والمهرب من القديم... ولا عيب على حكومات الاستبداد... ولا مانع من البقاء في الجهل الخ. إذ ان الداعين للزوم تغيير المناهج لتغيير معها النتائج ليسوا الا معترفين بلزوم التسلط وتحرير القدر الالهي القابض على الاسباب يد حديدية

وعلى هذا... هل أقول مع (المنار) للذين يعتقدون من غير المسلمين ان عقيدة القضاء والقدر بهذا الشكل هي السبب في تأخر المسلمين : (ان ما ينتقد على المسلمين من ذلك لا يرجع منه شيء الى الاسلام الخالص فما قدره فهو الحق الواقع في نفسه الذي لا يمكن لمؤمن ولا ملحد انكاره) ؟ أم ماذا نقول اذا كان ما سبق هو ما يريد المنار وتقريره ؟ وأشكركم سلفاً

(ج) لكل مقام مقال فلتحرير النزاع ولرد الشبه مقال غير مقال التذكير بأمر مقرر، واعتقاد محرور، وقد كان ما ذكر في ص ٧٢٣ ج ١٠ م ١١ من المنار من القسم الاخير ونحن اتباعاً لهداية القرآن نكرر المسائل المهمة لا سيما في التفسير فنذكرها تارة بالابحار وتارة بالاطناب وما اشترتم اليه هو قول الاستاذ الامام والغرض منه التذكير بأن الانسان ليس مستقلاً في عمله تمام الاستقلال لجهله وعجزه والنظريات التي ذكرتموها لا تنقض شيئاً من قوله بل تؤيده وحكم القضايا الممكنة غير حكم القضايا المطلقة كما هو مقرر في المنطق فقولك إنه كان في إمكان ولي عهد ألمانيا ان يتجنب اسباب المرض لو علم بها وإذا لا نفذ الترتيب الذي وضعه لسفره فمسألة

إصابته بذلك المرض لم تكن محزنة له من الازل الخ قول ظاهر البطالن . لأن قضية مرضه جعلتها الإطلاق لوقوعها بالفضل والامكان لا يناقض الإطلاق . وبعبارة عامية : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوته . وليكن ذلك لجملة بأسباب المرض . على ان هناك أمراضا لا تعرف أسبابها كالسرطان وأمراضا تعرف أسبابها وقد يتعذر اجتنابها كالسل نكتفي بهذه الاشارة ولا نضيع الوقت في المناقشة الطويلة ببيان بطلان كل نظرية من النظريات الباطلة التي أوردتموها قلا أورأيا وهي مشهورة لان الاطالة في ذلك لازيد المسألة الا تعقيدا كما صرحنا بذلك منذ سنين فقد قلنا في الدرس الرابع عشر من الأمالي الدينية التي كنا نلقها بمصر الذي نشرناه في جزء المنار الذي صدر في غرة جمادي الثانية سنة ١٣١٨

هذه المسألة من توابع انبحث في العلم والارادة وهي الفتنة التي ابليت بها الأمم فوفروا في بحار الخير تدافعهم أمواج الشكوك ويتفاهم أذي الشبهات (أي موجها) حتى غرق فيها أكثر الخائضين ونجا الاقلون . ومن عجيب أمرها ان العامة أعلم بها من الخاصة ، وان الامين أقرب الى اليقين بها من السكاتين ، وان شئت قل ان الجهل بحقيقتها ، تابع لسمة العلم بمباحثها ، فكما زاد الانسان نظرا فيها زاد عماية عنها ، لأن الخطأ كما يكون من شدة البعد ، يكون من شدة القرب ، الخ قلنا تمهيدا للقول « بأن المسألة في نفسها بديهيّة عوملت معاملة النظريات والبديهي كلما زاد البحث فيه بدعن الادراك » الخ

لقد قن علماء اللاهوت من النصارى في هذه المسألة كما قن المسلمون ، وقد صنف المسلمون فيها مصنفات خاصة فاعنت عنهم من شيء . وكانت تسمى المشكلات العقلية فألبسها أهل هذا الزمان ثوب المشكلات الاجتماعية وزعموا انها سبب ضعف المسلمين ولاستاذ الامام مقالة طويلة في ابطال هذا الزعم ويان ان هذه العقيدة من أسباب التذم والارتقاء تطلب من المنار (ص ٢٦٥م ١٣) ومن الجزء الثاني من تاريخه (ص ٢٦٣)

إن الناس يأخفون من دينهم في كل عصر من الاعصار ما يناسب حالهم الاجتماعية حتى ان العقيدة الواحدة تكون في الامة الواحدة مصدراً لآثار متناقضة في زمنين

مختلفين كقيدة القدر كانت في زمن من الأزمان مصدر الشجاعة والاقدام والفتح
والعمران والكسب للسلمين وفي زمن آخر مصدر الجبن والكسل والتواني والتواكل
والإهمال . وأكثر الذين يتكلمون في ضعف المسلمين واسبابه غافلون عن
هذه القاعدة وجاهلون حقيقة الدين فهم يجهلون المسلمين حجة على دينهم والدين
حجة عليهم بدليل أثره في سلفهم أيام كانوا بدينهم سادات العالم في كل علم وكل عمل
ومن البديهي ان الناس يتسكون بالدين في أول ظهوره أشد مما يتسكون به بعد ان
يطول عليهم الامد، وتكون معرفتهم بحقيقته في أول العهد بأصح وأقوى منها بعد ذلك
ان السائل أو المتقدم لم يطالع فيما يظهر لئلا على ما كتبناه في هذه المسألة بقصد إيضاحها
في السنين الأولى للنار وإننا وإن اطلقنا القول فيها من قبل نذكر فيها الآن جلا
وجيزة يتجلى بها الحق لمن يطلب الحق بذاته لذاته بعد الامراض عن النظريات
الفلسفية المشهورة في المسألة وهالك ما نريد بيانه الآن

(١ - القضاء) كان السلف يسمي هذه المسألة (مسألة القدر) ثم صار الناس يقولون
مسألة القضاء والقدر . وقد ورد لفظ القضاء ولفظ القدر في الكتاب العزيز بمكان
مختلفة لا يهتمان الالفاظ المشتركة في اللغة العربية

ورد القضاء بمعنى الفصل والحكم في الشيء قولاً أو فعلاً وبمعنى الاعلام به وبمعنى
إتمام الشيء وإنهائه قال تعالى (١٧: ٢٣) وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه أي حكم
بذلك قولاً في الكتاب المنزل على رسوله . وقال (١٠: ٩٣) ان ربك يقضي بينهم يوم
القيامة أي يحكم ويفصل بالعدل وقال (١٧: ٤) وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين الخ وقال (وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين) وكلاهما بمعنى الاعلام بذلك والاخبار بوقوعه وقال (٤١: ١٢) قضاهن
سبع سموات في يومين أي أتم خلقهن . وقال (٢٨: ٢٩) فلما قضى موسى الاجل
أي أتمه . وأكثر ما ورد من هذا اللفظ قد جاء بهذا المعنى

ولم يرد في القرآن لفظي القضاء يظهر فيه معنى المشيئة ويكون اصلاً فيما نحن فيه
الا قوله (٢: ١١٧) بديع السموات والارض واذا قضى أمراً فإنما يقول له كن
(المناج ٣) (٢٥) (المجلد الثاني عشر)

فيكون — ٤٧:٣ قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) ومثله في ٣٦: ١٩ و ٦٨: ٤٠ فالآية الاولى في مقام خلق السموات والارض والثانية والثالثة في مقام خلق عيسى عليه السلام والرابعة في مقام ذكر الاحياء والإماتة . وقد ورد هذا المعنى نفسه بلفظ الارادة قال تعالى (٨١: ٣٦) أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم؟ بلى وهو الخلاق العظيم ٨٢ انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون) والمعنى في التصيرين واحد وهو كما لم يختلف فيه الاديان فاليهود الذين سأل سائلهم المسلمين مستشكلا معنى القضاء بتلك الايات التي أولها

أيا علماء الدين ذمي دينكم تخبر ردوه بأوضح حجة
اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فواجه جلبي

يقولون بذلك . وقد أجابنا من سوء الفهم (ص ٥١٢م ٣) وأجاب قلنا غير واحد منهم ابن تيمية الذي أورد السائل بعض آياته . وكذا النصاري الذين منهم الاوربيون لا ينكرون كون الله تعالى اذا قضى أمرا وأراد به فغده بقدرته حالا كما هو مفهوم العبارة (وراجع تفسيره في المنار وفي ص ٣١٩ من ج ٣ تفسير) لأنه لو صغر عن إيجاد ما يريد لم يكن له الماء والإشكال في مسألة القضاء الإلهي فرع الايمان بوجود الله اذ لا معنى للبحث في الفرع مع إنكار الاصل . فخاصل معنى القضاء في هذا المقام ان الله تعالى اذا أراد شيئا أو أفغده وأفغمة فانما يكون ذلك على نحو ان يقول للشيء كن فيكون بلا إمهال ولا تمكث . ولا إشكال في هذا عند من يؤمن بالله هما كان دينه

(٢ - القدر) القدر (بفتح الدال وسكونها) والمقدار والتقدير ألفاظ وردت في القرآن بمعنى جل الشيء بقياس مخصوص أو وزن محدود أو وجه معين يجري على سنة معلومة فهي داخلة في معنى النظام والترتيب قال تعالى (٢٣ : ١٨) وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الارض) أي بمقدار معين له نظام يتعلق بتشبع الجو بالبخر ودرجة برودة الهواء كما قال (١٣ : ١٧) أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) أي بمقدار ما يسهه كل واد من الماء . وقال بعد ان ذكر بروج السماء وكواكبها والارض ورواسبها وإنابته فيها « من كل شيء موزون » وما فيها من أسباب المأيش (١٥ : ٢٠) وإن من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله

الا بقدر معلوم) وقال (٥٤: إنا كل شيء خلقناه بقدر) فهذا القدر العام بمعنى ذلك القدر الخاص أيضا وقال في العموم بعد ذكر أمور خاصة (١٣: ٨) الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) أي أن لكل شيء من مخلوقاته سنا ونواميس ومقادير منتظمة كسنته في حمل الأنثى وعظمها وزيادة علوق الأرحام وتقصها ومن ألفاظ التقدير في مقام التخصيص قوله عز وجل (٣٩: ٣٩) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال في ذلك (١٠: ٥) هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وقال في خلق الإنسان (٨٠: ١٨) من أي شيء خلقه ١٩ من نقطة خلقه قدره) وبين هذا التقرير بالامتثال من طور إلى طور في أول سورة المؤمنين . وقال في الزمن (٧٣: ٢٠) والله يقدر الليل والنهار) وقال في سرد الدروع وصنمها خطابا لداود عليه السلام (٣٤: ٣٤) أن اعمل سابتات وقدر في السرد) والتقدير في نسج الدرع وسردها هو جعل حلقة متساوية ونظام واحد . وقال في الطرق وترتيب السيرين قراها في قصة سبأ (٣٤: ١٨) وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سير وافيا ليالي وأياما آمين) وقال في التعصيم (٢: ٢٥) وخلق كل شيء بقدره تقديرا) فلم من هذه الشواهد كلها أن عقيدة القدر والمقدار والتقدير في كتاب الله الذي هو أصل الإسلام وأساسه هي التي تعلم المؤمنين بهذا الكتاب أن هذا الكون نظاما محكما وسنا مطردة ارتبطت فيها الأسباب بالمسببات وأنه ليس في خلق الرحمن خلل ولا تفاوت ، ولا فيه قذفات مصادفات ، ولا خلل استبداد ، وأنه لا استئثار في الإيجاد والإمداد ، ومن فائدة هذا الاعتقاد أن أهله يكونون أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات ، وتعرف سنن الله في المخلوقات ، وطلب الأشياء من أسبابها ، والجري إليها في سنها ، ولا نعلم أن هذا البيان كان مفصلا في الديانات السابقة ولكني أقول أنه لا يقول عاقل شم رائحة العلم أو داق طعمه أن هذا الاعتقاد هو سبب تأخر المسلمين ، كيف وأنه لمواجد بترقيتهم وأن أكثرهم أمسوا جاهلين لهذه الحقائق لأنهم لا يأخذون دينهم من القرآن وإنما يأخذونه من كتب بعض الأموات

(٣- القدرية) كان السلف الصالحون يفهمون القدر بهذا المعنى ولذلك ضلوا القدرية الذين أنكروا الاسباب وقالوا « الأمر أُنْف » أي ان الله تعالى يستأنف ويتبدى ما يريد إيجاده كل شيء في وقته من غير تقدير ولا نظام سابق تجري عليه سنته فيه ولا أسباب يرتبط بعضها ببعض بل قال قدمائهم من غير علم سبق وإنما يعلم الشيء عند وقوعه وقد كفر هذه الفرقة السلف الصالحون وهي قد حدثت في عصر الصحابة . تلقى بدعتهم هذه معبد الجهني عن سيسويه المجوسي . ففي صحيح مسلم وكعب السنن الثلاثة ان عبد الله بن عمر (رض) سئل عنهم قيل له انه قد ظهر فينا ناس يقرءون القرآن ويتقنون العلم وذكر (السائل وهو يحيى بن يعمر) من شأنهم وانهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنْف . فقال ابن عمر إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أنني بريء منهم وانهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم ساق حديث جبريل وفيه « وتؤمن بالقدر خيره وشره » أي ان كلا من الخير والشر يجري في الكون بمقادير وموازين وسنن وأسباب اقتضتها الحكمة البالغة . ومن مذهبهم ان الانسان إذا فعل شيئاً فإنما يفعله أنفاً أيضاً من غير أن يكون لله تعالى علم سابق بذلك أو سنة يجري عمل الانسان عليها فالانسان مستقل بذلك تمام الاستقلال . ثم ان المتأخرين منهم اعترفوا بأن لله تعالى علماً أزلياً بالاشياء ولكنهم أنكروا أن يكون له ارادة تتعلق بأفعال المباد مع أن معنى الارادة هو وقوع الفعل من العالم على حسب علمه

(٤- الجبرية) غلا أولئك فوقفوا في طرف وعبدوا الله على حرف فجاء بعدهم آخرون وقفوا على الطرف المقابل لطرفهم وهم الجبرية فقالوا ان الانسان ليس له عمل ولا تدره وإنما هو كالريشة المعلقة في الهواء محركها رياح الاقدار، من غير ان يكون لها ارادة ولا اختيار ، وانا نرى أكثر الناس لاسيما المتفرنجين منهم يظنون ان عقيدة الجبر هي عقيدة القضاء والقدر لان ألفاظ الجبر راجت في المسلمين بواسطة جملة المتصوفة كما بينا ذلك مراراً كثيرة . آخرها ما في بحث التوكل والاسباب من (ج ١١ م ١١) وقد أوردنا فيه الآيات والاحاديث وأقوال السلف في إثبات

الاسباب وإسناد عمل الانسان اليه . فاذا قال القائل ان الجبر من اسباب ضعف المسلمين فطالما ايدنا هذا القول ولكن الجبر ما جاء المسلمين عن دينهم وإلما جاءهم من فلسفتهم التي لونوها بصيغة الدين لما وقعوا في جميع علومهم وأعمالهم الدنيوية وهذه الفلسفة شرع بينهم وبين جميع الامم حتى الافرنج كما نبينه في المسألة السابقة وكأن السائل صاحب الاشكال نسي هذا وما فيه من تنفيذ النزعات الجبرية حتى ردنا على الامام الغزالي في بعض ما أورده فيها وتعلق بعبارة الاستاذ الامام المختصرة فألصق بها تلك الشبهات المشهورة في المسألة

(٥ - متأخرو المسلمين) المسلمون في هذه الازمنة الاخيرة قد اختلط عليهم الامر لمعوم الجمل وفساد طرق التعليم حيث يوجد ولذلك ترى في كلامهم ما يدل تارة على شيء من عقيدة القدرية وتارة على عقيدة الجبرية وتارة على عقيدة المعتزلة وقد يتناهي العدد الثاني من سنة المنازاة الأولى ان الواحد منهم يجمع بين العقائد المختلفة (لاضطراب اعتقاده وعدم تلقيه عن العارفين فان المسلمين في فوضى دينية وعلمية لانه ليس لهم رئاسة دينية ولا مدارس منتظمة) وانهم في الغالب يميلون الى الجبرية في المسائل المتعلقة بأقامة الدين أو خدمة الامة والقيام بالمصالح العامة والى عقيدة المعتزلة أو القدرية في المسائل الدنيوية فلا حجة في حالم على الاسلام بل الاسلام حجة عليهم

(٦ - المتكلمون) ان علماء الكلام سلكوا الطريقة النظرية العقلية في الرد على المخالفين من الملاحدة والمبتدعة ورد الاشاعات على المعتزلة والقدرية والجبرية . والمسائل النظرية مثار الشبهات والاشكالات وبذلك دخلت مسألة القضاء والقدر في قالب فلسفي نظري وكثر فيها القيل والقال والقرآن فوق ذلك كله لا تمسه الاوهام ولا تنال منه الشبهات كما علمت . وانما هي مباحث فلسفية تتعلق بقدرة الله وارادته وبخلق الانسان وعثرته وارتباط أعماله بعلمه وإدراكه وهي مشتركة بين جميع الامم ولا يوجد مذهب من المذاهب التي قال بها فلاسفة المسلمين من أهل الكلام والتصوف الا وقد قال بمثلا غيرهم ويقول بها بعض علماء أوروبا اليوم

(٧ - فلسفة المسلمين والافرنج في الجبر) كان من فلسفة المسلمين في الجبر الذي ألبس ثوب القضاء والقدر أن عمل الانسان أثر طبيعي لاعتقاده بالنافع

والمضار وشعوره بالذات والآلام فهو يتبع علمه بذلك وعلمه صفة من صفاته أو حال من أحواله لا يمكن دفعها ولا الانسلاخ منها والعلم بقسميه يحرك الإرادة والارادة تزجج القدرة الى تحريك الاعضاء للعمل وهي سلسلة ضرورية لا يملك الانسان باختياره إبطالها ولا الفصل بين حلقاتها أو منع تحرك احداها بحركة الأخرى . وللفرنج شرح طويل لهذا المعنى أورد له مثالا بليغا وجرى على هذا فلاسفة الافرنج وأيدوا المسألة بمباحثهم الفسوفية والبيسكولوجية فقالوا ان أعمال الانسان آثار طبيعية منسكة عما في مخه من الآثار التي وصلت اليه من طريق الحواس وأثبتت فيه بتأثير الوراثة والعادات ، فالاعصاب الحساسة تلقي ماتحملة من ادراك الحواس الى المخ ثم يعود منه الى الاعضاء العاملة بواسطة الاعصاب المحركة التي تحرك العضلات بالفعل . فما في المخ ينعكس الى العضلات بواسطة الاعصاب فيحركها بسرعة أو يبطئ . فما كان بسرعة لا نشعر بأن ثنايه اختيارا وما كان يبطئ نشعر به فنسمي ذلك اختيارا وهو حتم لا يمكن التفعي منه . وقد سبق البحث في ذلك في المجلد العاشر وغرضنا مما أوردناه الآن ان نبين للسائل ان الافرنج أعرق من المسلمين في هذه العقيدة الجبرية فلا يخافن من تسجيلهم الضعف على المسلمين بمثل ذلك

واذا قال ان هذا القول لا يخلو من شبهة على الدين قلنا انه ليس على الاسلام وحده بل هو شبهة على النصرانية أيضا وموضوع سوأل السائل ان عقيدة القدرة عند المسلمين من العقائد المشككة والضارة بمعتقديةا وقد بينا ان الامر فيها ليس كذلك . بل ربما كانت الشبهة على الاسلام هنا ضد الشبهة التي هي موضوع السوأل أو تقيدها بأن يقال ان الاسلام يثبت الانسان عملا وشيئة واختيارا وبذلك جعله مكلفا مطالباً بالاعمال الحسنة وإن فلسفتنا تقول لنا انه لامشيتة له في الحقيقة بل هو مجبور مضطر في جميع ما يصدر عنه بمقتضى ذلك النظام المطرد المنعكس في التأثر والتأثير بين مخه وأعصابه وعضلاته فاذا كان لهذا الوجود وما فيه من النظام مصدر واجب قديم فيجب إسناده الافعال التي هي أثر الانعكاس بين مخه وعضلاته الى ذلك المصدر الواضع هو لنظامه وهو الله سبحانه وإلا قلنا بالضرورة العمياء التي أبدعت هذه العوالم كلها من الهباء (أرأيت كيف ان باب المباحث العلمية والنظرية

(المار ج ١٢) حكم الاسلام في عمل الانسان . علم الله وقدره وعمل الانسان ١٩٩

في المسألة واسع جداً حتى انه يمكن كتابة أسفار كثيرة فيه)
(٨ - حكم الاسلام في عمل الانسان) إن دين الفطرة لا يكلف الناس عناء هذه الفلسفة ولا يمنهم النظر فيها وإنما يرشدهم الى الاعتقاد الحق الذي لا يضر معه بحث بل يمكن معه الاستفادة من كل بحث وهو ان الله تعالى خلق كل شيء بحكمة ونظام وقدر سابق على الفعل تجري عليه السنن العامة (التواميس) وأن معرفة المخلوقات انما تكون بالنظر فيها مع التأمل والبصيرة وان منها نوع الانسان الذي يعمل عن علم بما يعمل يرجح به ما يراه صواباً على ما يراه خطأ فيكثر صوابه بمقدار سعة علمه بالواقع وأسبابه ويكثر خطؤه على قدر جهله بالحقائق وسننها لأنه يسير في ذلك على سنن الله في خلقه وقدره الذي قام به نظام ملكه « وكل شيء عنده بمقدار » وأن عليه ان يتحرى العلم الصحيح بالمصالح والعمل الصالح بحسب ما يشعر به من قدرته وتمكنه من ذلك مهما كانت علة ذلك وفلسفته . ونفني بالعلم هنا ما يستفاد ولو بالمادة والثرية أي ما يعم العلم النظري والعلم الحسي والوجداني والعلم العملي أي الذي يطعمه العمل في النفس

(٩ - علم الله بعمل الانسان واختياره) ان سبق علم الله بما سيعمله الانسان وتقديره له ووضع سنن اجتماعية يسير عليها في عمله لا ينافي شيء من ذلك كونه خفقه ذاعلم وارادة وعمل فان كونه كذلك هو أمر ثابت في نفسه معلوم بالحس والوجدان ، وهما أقوى أركان البرهان ، ولا يقال إذا كان قد سبق في علمه تعالى ان فلان سيعمل كذا فلا بد أن يفعل فيكون مجبوراً على فعله لأن متعلق العلم الإلهي لا بد ان يكون والا لزم الجهل فانا نقول انما يصح هذا اذا كان قد سبق في علم الله انه يفعله مجبوراً ولكن إذا سبق في العلم الأزلي انه يفعله مختاراً فلماذا لا نقول انه يجب ان يكون مختاراً في فعله لما ذكرتم من الدليل ؟ ويرد مثل هذا في أفعاله تعالى فانها تقع ويحدث بحسب العلم الأزلي ولا يقال انه تعالى مجبور عليها . كيف وان معنى الاختيار للفعل هو ان يكون تابعا لعلم الفاعل الذي يرجحه به على غيره سواء كان العلم بذلك ضرورياً أم كسبياً بديهياً أم نظرياً . هذا هو المعنى الذي نسميه اختياراً فان سماه غيرنا اضطراراً أو اسماً آخر فانما يكون الخلاف يبنافي التسمية ولا مشاحة في الاصطلاح . وهذه المسألة التي تعد من مشكلات عقيدة

القدر ان صح استلزامها الجبر ليست في الحقيقة من عقيدة القدر في شيء ولكنهما يبردا في مباحث العلم والارادة . وقد حللناها كيفما كانت

(١٠- حكمة الجزاء على الاعمال) يبقى من المشكلات في هذا الباب مسألة أخرى عدوها من لوازم عقيدة القدر وهي كيف يجازي الله الناس على أعمال لا مندوحة لهم عنها لأنهم غير مختارين فيها ؟ ونجيب عنها جواً بغير إثبات الاختيار ومنع الجبر فنقول ان الجزاء على الاعمال هو أثر طبيعي لها في الدنيا والآخرة وذلك انه ما فرضت علينا طاعة إلا وهي نافعة لنا في تهذيب نفوسنا وسلامة أبداننا وحفظ حقوقنا وغير ذلك وما حرم علينا شيء إلا لأنه ضار بنا في أشخاصنا أو في نظامنا الاجتماعي ولذلك قالوا ان التكليف يقوم بحفظ الكليات الخمس: الدين والعقل والعرض والشخص والمال . ثم ان كل عمل يعمل الانسان يكون له أثر في نفسه إما في تركيتها فتفلسخ وتسدو وإما في تدسيها وإفسادها فتخبث وتشتق (٩١ : ٩٠ قد أفلسخ من زكاها ١٠ وقد خاب من دساها) ويظهر أثر ذلك تاماً كاملاً في الآخرة ولذلك قال (٣ : ١٨٥) وإنما توفون أجوركم يوم القيامة (تقدم تفسيرها في هذا الجزء) وقد يتنا كون الجزاء أثراً لازماً للعمل بحسب سنة الله تعالى في مواضع كثيرة من التفسير وغير التفسير فلا نطيل فيه هنا فالبحث فيه ينبغي أن يكون من البحث في نظام العالم وسنن الكون والاجتماع (١١ - الخلاصة) خلاصة ما تقدم وهو القول الفصل ان الاسلام أمر الناس بالعلم والعمل لما يجودون في انفسهم من القدرة والاختيار وعلمهم ان الله خلق كل شيء بقدر ونظام وانه لا يصجزه شيء فاذا قضى أمراً وارهاده يقع بلا تخلف ولا ببطء وان له سناً ونواميس ينبغي لهم ان يعرفوها وان لا يعملوا جزءاً هو أثر طبيعي لها يكون بعضها في الدنيا وتماه في الآخرة . وقد اتفق المسلمون بهذا ما قهوه ولم تنصرهم الا فلسفتهم المخالفة له هذا ما وسعه المقام لبيان الحق في هذه العقيدة وما يتعلق بها ويضاف اليها وقد سلكتنا سبيل الايجاز في كل مسألة من المسائل المشر لما سبق لنا من البحث فيها من قبل ولان باب الفتاوى لا يسع أكثر من ذلك فان اشبه السائل أو غيره في شيء منها فليسأل عنه وليختصر في السؤال بقدر الإمكان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ ردّ الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافي ﴾

٢

(الوجه الخامس) ان قول ان عدم معرفة حكمة النسخ لا تضر من جهلها بعد أن يعرف صحة رسالة الرسول (ص) وعدم علمنا بالشيء لا يغيثه وذلك امر ضروري لكل أحد - ولتكتف في الجواب الاجمالي عن شبه غير المسلمين بما ذكرناه خوف الاطالة الذي لا تحمله المجلات في نشراتها والا فالحق بما له وعليه يجعل فيه الاسباب والتقيب عن النكات والاسباب على ان ما ذكرناه هو الباب وبه فصل الخطاب لمن يريد الصواب

اما اذا كان المعترضون من غير المسلمين متعصبون لا يريدون الحق ولا يقصدونه فسواء عليك أن تذرهم ام لم تذرهم لا يؤمنون - ومثل هؤلاء اناس كثيرون في هذا الزمان فرحوا ويطروا بما عندهم من العلوم المادية والسياسية والاجتماعية وهو لا هم الذين كفروا بالنم وقالوا الاحسان بالاساءة اذ لم يدركوا ما ادركوه الا من الانبياء عليهم السلام فواثقوا فيه ما جاء به الانبياء عليهم السلام راما العقلاء صحيحا وما خالفوا فيه الانبياء فهو القصد والخطأ حتى انهم انفسهم صاروا يعرفون ما في هذا الاخير من الولايات والبيات شيئا فشيئا. هؤلاء المفرورون تارات يستجلبون فينبعهم قاصروهم وضعفاء العقول او اسراء الشهوات فيظنون ان اوضاعهم تقني عن الشرائع الإلهية مع استبعادهم لصحة النبوة والرسالة فهم لا يفرقون بين الانسان والحيوان الا بالصورة الذي هي في زعمهم انتخاب الطبيعة في ترقبها غير المقصود بمسلم علم وقدرة قادر واردة يريد ويقولون ما في الانسان وغيره من الاسرار الغرائب والغايات والمعجائب انما وجدت قترتب عليها بسد وجودها ما يليق بها بالاستعداد (المآرج ٣) (٢٦)

الطبيعي وبالقياس الثاني من المنفعة بداعي الضرورة ودام ذلك باموس الارث الى غير ذلك من خرافاتهم الذي نجعل ناقلا وحاكيا فضلا عن ان يعتمد صحتها من يوسم بقل وهم لم يحلهم على ذلك الا زعمهم يعض العلوم التي ذكرناها مع جهلهم بمقتضى تلك المعلومات كما اعترف بذلك كبارهم حيث قالوا انما عرفنا بعض آثار المادة وبعضها لم يزل محجوبا مستورا عنا وعليه فهم لا يمتازون عن العوام الا بمزيد معرفة في الآثار فقط اما الكنه والحقيقة فلم يدركوها البتة

نحن لا ننكر النشوء الطبيعي مطلقا وانما ننكر نشوءا مخصوصا وننكر استقلال الطبيعة والمادة بهذا النشوء الذي ليس هو ذاته لما وقد الشيء لا يبطيه على ان هذا النشوء الداروني يقابله الانحطاط وبمجاواتهم على مذهبهم ليس اعتناء الطبيعة باحدها بارى من الآخر الا بمرجح وابطل كل باطل وافسد كل فاسد انكار ان يكون ما في الموجودات كالانسان وغيره من الاسرار والغايات غير مقصودة بالقصد الاول لغاياتها لان قولهم ناطقة بأن القابل الطبيعي لا يجوز ان يتخلف عن وجود ما هو قابل له لان القابل لا يكون قابلا طبعا الا اذا اندفعت الطبيعة في مجراها التكويني اليه لتؤدي وظيفتها الطبيعية التي لا يمكن طبعا الا منه وبه كالبارد المسدود عليه مثلا في صخرة ونحوها اذا دعر بالثار مثلا يضر الصخرة بشق او خرق . ذلك الخرق والشق هو مجرى البارود المتفرق ونتيجة تفرقه الطبيعي ولا يجوز عقلا ان يتقدم او يتأخر ذلك الخرق أو الشق عن سببه الطبيعي

فهل آلة الذكورة والأنوثة ونحوها مما اودع في الانسان كانت نتيجة مجرى طبيعي حين تكون في الرحم وهل كان هذا الجري مقارنا للتكون غير متقدم ولا متأخر عنه بان تكون الطبيعة قد أخذت اعمالا طبيعية من تلك الاعضاء في ارحم على نحو ما تتأدى بها الاعمال بعد وجود الانسان ان كان عندهم ظاهرا بهذا فليخرجه لنا والا فقولهم بين الامان نفسه على ما تقتضيه قواعدهم المقررة عندهم — فلا يبقى الا ان يقولوا مثلنا ان هذه الاعضاء تكونت بقدرة عالم الغايات مقصودة بالقصد الاول حين التكون وحينئذ لا يلزم محذور . على ان ما يستدلون به على المذهب الداروني انما هي احتمالات ملفقة وخرص بيد لا يتعين بها دلالة على خصرص

ما ذهبوا اليه كما أقر بذلك كبيرهم وهي مع ذلك لو أخفت بالمأخذ الصحيح لا تنافي
ه جاء به المرسلون عليهم السلام في بيان بدء الخلق بل تكون موبدة له

وليس هذا محل الرد عليهم وإنما المقصود تعريف الناظرين والقراء ان مثل
هؤلاء قد يوردون الشبهات على الأديان ولا يريدون الرجوع عنها إذا وقفوا على
الجواب الصواب وإنما قصدتم التشكيك بما يناسب طريق أهل الأديان فان لم
يفلحوا في هذا الاقتراء زبروا غيره لما عرفت انه ليس في مقدماتهم إلا استحالة
الرسالة والنبوت (١) ونحن نجيّب ان شاء الله عن كل ما يذكرون لئلا يظنوا
بأحد من المسلمين قروج عليه شبهاتهم فيخسر الدنيا والآخرة

ونلصق إلى المقصود فنقول ما قدمناه هو الجواب الاجمالي مع غاية الاختصار
وهو كافٍ وافٍ في رد هذه الشبهات إذ لم ترد على محل معين في واقعة معينة وما
كان منها كذلك فإليك جوابه والله المستعان وعليه التكلان

أما قولهم إن محمداً (ص) قد بلغ من الدهاء الى آخره . فجوابهم الذي نقوله
ان هذا اختلاق بحت وحيثنا رسول الله (ص) سيرته مزبورة ونعوته وأخلاقه
وشماله معروفة مشهورة فهل رأى الرايون أو سمع السامعون ان أحداً ممن عرفه
حتى ولو كان من أعدائه قد وسمه بهذه السمة أو وصفه بمدلول هذه الكلمة ؟
لا وإنما المعروف عن أعدائه قبحهم الله وخذلهم اطلاقهم عليه ضد ذلك فقالوا انه اذُن —
ومنهم من قل مجنون ومنهم من قال شاعر وإذا رأوا آية من آيات صدقه وهي المعجزة
قالوا ساحر تعرض به ريب المنون — وهكذا الاعداء اذا عجزوا عن المواجهة
وأرادوا الاصرار والتعصب لمذاهبهم بعد قيام الحجة عليهم . والمؤمنون الذين
صاحبوه وعاشروهم وعرفوهم قد عرفوا صدقه وكأله وانه رحمة للعالمين وعلى خلق
عظيم قد بلغ الرسالة حين كان وحيدا عن الانصار والاعوان ولم تأخذه في الله لومة

(١) ان اقاتلين برأي دارون لا يقولون باستحالة الرسالة كما قال ولا كلام
يدعي أن النبي (ص) محال ، بل يقول المحققون العارفون بسيرته منهم انه كن
صادقاً مقتداً لما يقول وليس هذا المقال بالذي يتسع لبيان آرائهم في ذلك

لائم ولو خالف ما جاء به القرآن قول هؤلاء الذين هم من الناس كسقط المتاع انه اذا اتاكم بحكم واتضح له بعد التجربة انه لم يرض الناس عدل عنه والتجأ الى حيلته المشهورة وهي دعوى التسخ في الاحكام الى آخره — قول في جوابه سبحانه هذا بهتان عظيم والواقع يكذبهم فانه (ص) لم يراع ولم يأل في امره الله بتبليغه أحدا من الناس كائنا من كان ولم يبال بمن لم يرض بذلك وقد آذوه في ذلك أشد الإيذا فهل احتال في التخلص من إندائهم له بحيلة ولو مرة واحدة ؟ لا والذي أرسله بالحق بل كان يفعل كلما أمره الله به ولا يبال بما نزع فمأزات عليه (فاعدد بما تؤمر) جاهرهم بالعداوة حتى حقر آلتهم في المجمع والمحافل علانية وكان بأبي هو وامي اذ ذاك وحيدا عن الاعوان فصبر على مقاساة المصائب ورموه بالحجارة حتى خضبت بالدماء فعلاه (ص) فهل يصح ان يقال انه كان يعدل عن احكام دينه اذا رأى ان ذلك لا يرضي الناس وهو بالحالة التي عرفت وهو هو (ص) كما انه لا يأل الكفار ولا يصانهم في دين الله كذلك هو في ذلك مع أصحابه لا يألهم ولا يصانهم في دين الله وقد دل على ذلك وقائع كثيرة صحيحة فمنها صلح الحديبية فانه امضاه بعزم لا يعتريه تردد وقد استاء لذلك أصحابه وكرهوا ذلك غاية الكراهة ولم ينقل انهم استأوا بشي كاستيائهم بذلك حتى ان بعضهم رض قال له « ألت رسول الله ألسنا على الحق » فله يبال باستيائهم في مخالفة ما أمره الله به — هذا ونحوه أعظم برهان وأكبر دافع ومكذب لمثل هذه الشبهة التي هي مخالفة لما هو الواقع في نفس الأمر — فلعمري الحق ان ابراد مثل هذه الشبهات لا أدل دليل على تعصب هؤلاء المعترضين وانهم لم يعدلوا الى ابراد مثل هذه الشبهات الواهية الضعيفة الا حيث لم يجدوا غيرها والمسلمون لا يعترفون الادبلا على سخر عقول قائلها وانهم معاندون للحق والحقيقة وبدلا عن تكون مثل هذه الايرادات شبهات اما تكون بمنزلة الحجج الدالة على صحة رسالة سيدنا ونبينا محمد (ص) فانه ليس بعد ظهور ضلال الخصم الاثبوت الحق لدينا

وقول هؤلاء انكم لا تستطيعون ان تدعوا على حكم واحد جاء به الاسلام لا منفعة فيه أو انه مضر لا منسوخا لا محكم — بأنه العجب أن يصح ان يقل ذلك

في دين لم يعرف الحق من عرفه الا من تعليماته ، ولم تبرز أنوار المعارف الا من مشكاته ، ولم ترق ميازين العدل الا بتلاوة آياته ، فدين الاسلام لم ينسخ منه شيء لاجل مضرة أو عدم مصلحة وانما يكون ذلك فيه لأجل زيادة في الخير تارة وتسهيل على الأمة أخرى ويكون تارة تنشيطا لها وتارة لتوحيد جامعها وتارة لتقويتها في اظهار الحق على الباطل ودمغه ودمغ انصاره مع مراعاة ما يليق ويناسب الجمهور الا كبر كلما كثر عدد الافراد ومع ملاحظة أحوال الزمان وقوة الأعداء وكثرتهم وما يلزم ان يكونوا عليه بإزاء ذلك معه وبعمده فالعدد القليل الخائفون من المسلمين قد تناسب حالتهم احكامهم هي أعظم كل خبر بالنسبة اليهم أولا يمكنهم الا الإتيان بها فقط فالعدل ان تكون التكاليف والتعاليم كذلك بالنسبة اليهم والى ما احتف بهم من الاحوال

ان التشريع والحالة هذه يكون بالسنة كما يكون بالقرآن لا ينكر ذلك الامكابر ولذلك كان النسخ فيها سيئين فاذا كثر المسلمون وكانت قوة الايمان والتصديق فيهم متناسبة متقاربة وضعف بعض ما يحذرون فلا يشك عاقل في حسن ان يشرع لهم احكام تناسب ذلك مع مراعاة المصلحة الراجحة وسوا. في ذلك القرآن والسنة — فاذا صلحوا لمقاومة المهاجم أيا ما كان وهم بتلك الصفات التي تكاد ان تكون متساوية فلا يبعد ان يكلفوا ما يرونه سهلا في اعتقادهم والواقع ومثال الاول كون الصلاة أول ما فرضت ركعتين بالفداء ورعتين بالعشية فانه يمكن اخفاؤها إذ ذلك مع ضعفهم وقوة العدو. والمثال الثاني إيجاب الخمس حين وقع بعض اختلاف بين الكفار حيث وجد فيهم من يؤمن المسلمين وكث بعضهم عن إيذاء المسلمين ومن بقي من الكفار حريصا على الإيقاع بهم قائما كان يكون منه السب والضرب بالكف والعصي ونحو ذلك والمسلمون قد زدد عددهم بعض الزيادة فكانوا قادرين على اندفاعه في بعض الاحيان ولم يؤثروا بالهجرة ولا القتال فلا أمروا بالهجرة إلى طيبة (المدينة المنورة) حين اشتد عليهم أذى الكفار مرة أخرى وظهر لهم الذبح ونصرهم الأكفاء وكان المسلمون تشابه صفاتهم في صلابة الدين ، الخوة ، القبة البدنية والدينية -- فلا غرو ان يوجب الله عليهم قتال الظالمين

الظالمين وهذا القتال هو الذي سماه الاسلام والمسلمون بالجهاد وهو قتل أهل الاصلاح لاهل الفساد الذي لا يتركه عقل عاقل لان غايته ان تكون كلمة الله هي العليا والتصارى أنكروا على المسلمين هذا القتال ولينهم عملوا بماقوا حتى لا يكونوا من الذين يقولون مالا يفعلون

فرض الجهاد على المسلمين وكان الواجب عليهم اذذاك وهم كما عرفت ان لا يفروا من عشرة اضعافهم من المبطلين لأن الاستهاد ونحوه لا تخور به عزائمهم وهم بالحالة التي عرفت بقي هذه الصورة وهي المثال الثالث لا ضرر ولا قصص في هذا الحكم بل لوقتي ابد الآبدين فليس فيه نقص ولا حيف بالنسبة الى كثير من المسلمين . وانما اذا تبدلت الحالة وصار انصار الحق كثيرين أو كان فيهم من يضعف اعتقاده أو يحرص على حياته أو نحو ذلك فلانك ان زيادة الخير تكون في رفع صفة الحكم كالوجوب والازوم وبعوض عنه حكم يناسب صاحب الحق ويميزه عن صاحب الضلال وهو لزوم ان لا يهرب المستعد لصرة الحق عن الاثنيين من انصار الباطل لانه ان ضعف مؤيد الحق المستعد عن ذلك تلزم مساواة أثر الحق لأثر الباطل وهذا لا يصح ولا يحسن فالحكم المنسوخ في هذا المثال انما هو الوجوب اللازم لا الإباحة أو التذب لمن يطبق ذلك

فبهذه الامثلة يظهر للمنتصف حسن النسخ سواء كان في القرآن أم في السنة لان القرآن من حين البعثة لم يزل ينزل بالاحكام ولم يكن زمن مخصوص بالتشريع بالسنة وزمن مخصوص بالتشريع بالقرآن بل القرآن لم يزل ينزل على سيدنا محمد رسول الله (ص) بما يناسب حال المعينين من مقتفيه ولم يزالوا يزيدون والاحكام كذلك ما بين احكام متناهة عند وجود عللها وأسبابها وناسخة من خير الى ما هو اكثر خيرا منه كان ذلك يكون الى ان مكن الله لدينه ودخل الناس فيه افواجا وصارت الامة بحيث يصح ان تكون مثالا لكافة الناس فلما آن أن اوان اقناع الوحي بتحول رسوله (ص) الى ائدار الباقية اكمل الله شرعه بما يصح ان يكون دين لاهل الارض اجمعين الى يوم الدين

فمثل هذه الحكم كان النسخ - والمسلون يرونها فكيف يقال انهم لم يستطيعوا

ان يملوا ذلك بطل مقبولة. هم أيضا يملون ان كل ذلك كان يكون لاعتراض معترض ولا لانتقاد متقد. علموا ذلك بالعلم الضروري من سيرة الشارع (ص) ومن نشوء الاسلام ومن زعم غير ذلك فليعين من هو المعترض والمتقد وعلى أي محل اعترض وانتقد وما هو الاعتراض وأين السند المقبول والا فالسلعون لا ينظرون الى هذه الابرادات والشبهات الا بعين الاستحقاق ويا لله العجب هل وجد في كفار العرب من قریش أو غيرهم من عارض شيئا من القرآن معارضة صحيحة؟ وهل فلفروا بشيء مما قال هؤلاء ان في انشائه شيئا لم يرق له بعد اذاعته؟ ولم يمارضوا ما هذا حاله؟ أليس لو وقع شيء من ذلك لتوفرت دواعي الكفار والمسلمين الى قتله اما المسلمون فلا بد ان يوجد عندهم ولو لردده وتوهمه كما تتلوا عن مسيلة الكذاب وغيره وأما الكفار فهو غاية بغيتهم ومدار حجتهم فلو وجد فلا يعقل أن يهملوه فعند النقل لما هذا حاله أدل دليل على المدم

فلا يبقى للخصوم الا ان يقولوا ان هذه الشبهات احتمالات مفروضة وقد قدمنا ان فرض ما يخالف الواقع في مثل هذه الاشياء لا يصح عند من له مسكة من عقل وايضا تجوز مثل هذا الاحتمال الظاهر البطلان يلزمه عدم جواز النسخ الذي عرفت حسنه عقلا وفطرة فلو جاز اتهم من ثبت نبوته ورسالته بالمعجزات والحجج اليبينات بهذه التهمة لوجب ان لا يكون للبشر الا شريعة اول نبي ارسله الله فقط ولما جاز ان يرسل الله رسولا بعد رسول بشرية تنسخ ما لا يناسب احوال الامم المتأخرة وقد عرفت أن هذا يؤتى الى انظلم المحال على الله وما استلزم المحال فهو مثله محال فيتبين ان اتهم نبيا (ص) بعد ثبوت نبوته بتهمة انه ما اجاز النسخ في دينه الا حيلة يتوصل بها الى اصلاح القص والعبس الذي يمكن أن يرى في دينه هو تهمة كاذبة كما قدمنا ذلك وان فرضها محال

فوجب ان يكون نسخ الانظ وانشاؤه في القرآن كنسخ الحكم لمصالح وحكم ونحن وان قصرنا من ادراكها كثرة لاسباب كثيرة لكن نعلم أن الكتب الالهية وبالمخصوص القرآن هي لنا اصل تعاليم الدين والنظام الاجتماعي واستعداد الناس متفاوت في التعلم والتعلم ومن لازم ذلك ان تكون مواد التعليم أي كتبه الدراسية

كذلك فلهذه الحكمة وحكم أخرى كثيرة كان القرآن الكريم سورا طولا وقصارا ومتوسطة وقد اشرنا الى ذلك في رسالتنا السابقة فالنسخ والإنشاء اللفظي هو معمل بحكم وغايات هي من جنس ما يعال به تعدد السور ومن جنس ما يعال به اللفاء ما اختصروه من الكتب البليغة لطوله وقد تكون هناك علل واسباب أخرى وقد صح ان بعض آيات القرآن تتفاوت في الفضل وثواب التلاوة ولا بدع في ذلك فان فضيلة الكلام تابعة لفضل معناه وكثرة فوائد مرماه — فاذا انزل الله آية هي نص في واقعة مخصوصة وهي انطباق المصنفين لاي سبب ثم بعد رسوخهم في الفهم وقبلهم لزيادة التلقي ونحوه بحيث يكونوا قد نزعوا من طور الى طور لا يقبح بل يحسن ان يأتي الله بآية بدلا عنها جامعة لما دلت عليه الاولى وزيادة عليه — اذ لو بقيت الاولى الدالة على المعنى المخصوص فقط لجاز أن تكون آيات القرآن إنما تدل على معاني جزئية ومن لازم ذلك الطول المفرط الذي يمكن ان يقال انه لا يلائم التعاليم والزم ايضا جواز تعرية القرآن من جوامع الكلم حين استعداد الناس للفهم والقبول

وبما ذكرناه بظهر جليا انه لا فرق يعتد به بين النسخ في الاحكام والنسخ والانشاء في الالفاظ لأن ناموس الترفي جار في الامرين بلا عيب ولا نقص ولكل حال ما يناسبه من الافعال والاقوال هـ

فيا حضرة اخونا الدكتور ليهوذك ما بهذي به المبتلون التعصبون فانهم على النار فمعجل فنقول ان صديقنا الاستاذ اليافعي لم يأت بحكمة ظاهرة لنسخ وإنشاء عبارة القرآن ولفظه تنطبق على ما نقل من ذلك لاسيما ما كن معناه محكما ولا يظهر معنى الترفي والاختصار في كلام الخالق الذي هو متعنى الكمال ولو اختصر منه شيء لخلف قصة موسى من بعض السور . وما يأتي قرياني بيان حكمة نسخ ما روي من آية الرجم غير ظاهر لاسيما مع بقاء آية الجلد على اطلاقها . وأذكره بذلك من الآن لعله يقدح زناد فكره ويراجع ذكرته فيما قرأه لعله يجد لذلك حكمة ظاهرة فان معظم الاشكال عند الدكتور ومثله كبير من المسلمين وغيرهم محصور في هذا وهو يقول بأصل النسخ وحكمته بل كتب في ذلك أيضا

غير محجة وليس بأيديهم حجة - ونحن قد اضر بنا عن كثير من الحجج والمسوغات هنا وكفينا بما كتبناه خوف الاطالة ولكن فتحنا الباب لذوي الالباب وفيه الكفاية وفصل الخطأ لمن يريد الصواب

اما قول المشككين ان في القرآن من المسائل الخاصة بمحمد (ص) واهل بيته ولا فائدة فيها لأحد سواه (وقد كذبوا بل فيها من الفوائد ما لا يقدر قدرها إلا من عرفها وقد علم ذلك العالمون من المسلمين واستفادوا منها وما علينا إذا لم نفهم البقر *) - ما هو أولى بالنسخ قالوا كآيات كثيرة من سورة الاحزاب والتحريم وبعض آيات سورة المجرات والمجادلة فإذا صح عن المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ أمثل هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنها - والجواب ان قول ان هذه الآيات هي محكمة وفيها فوائد تتعلق بالأمة أيضا ونحن لم نقل ولا قال أحد غيرنا ان النصوص والمخصوص سبب للنسخ بل الأمر عكس ذلك وتقيضه والمسائل والآيات الخاصة بمحمد (ص) واهل بيته هي أجدر بأن لا يكون ولا يقع فيها النسخ لأن اتحاد من تتعلق به الاحكام وكذلك تعين أهل البيت الواحد لذلك بعيد عن وقوع التفاوت واختلاف الحالات الذي هي المسوغ الأعظم للنسخ وهذا بخلاف ما يتعلق بالأمة الكثيرة الافراد المختلفة الطبائع باختلاف الزمان والبلاد - فظهر ان النسخ فيها ذكروا انه أولى به باطل وان القياس الصحيح لا يجوز النسخ في ذلك وكذلك وقع

أما قولهم انها قد أدت وظيفتها وانقضت زمنها فجوابه انها حين إمكان النسخ والتبديل لم توجد وظيفتها ولم ينقض زمنها وأما بعد وفاة النبي (ص) فقد فات وقت النسخ والمسلمون لا يجوزون الزيادة ولا التقيص ولا يحرفون ولا يبدلون في كتب الله سبحانه بعد ثبوتها وإنما يفعل ذلك من أبعد الله وغضب عليه ولعنه على السنة أديانه وهذا الاعتراض والایراد دليل على ان هؤلاء لا يفهمون اتقاناً ما هم عليه انهم ومن اضل ممن يقبع الهوى ليصد عن الحق

أما قولهم وما الحكمة في نسخ ألفاظ آية الرجم مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين
فجوابه ان نقول ان مسألة الرجم للزاني المحصن قد أنزلها الله في كتابه القرآن
وهي ثابتة في توراة موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فكان نزولها
لحكمة توافق الكتابين ويعرف المسلمون هذا الحكم العظيم ويشتركون في تقيده
كغيره من القرآن وفرق بين تلقيهم السنة والحديث وتلقيهم للقرآن فان القرآن يثبته
تعبدا في الصلاة وغيرها اجتماعا وافرادا والله جل شأنه شرع هذا الحكم بالعدل
وفق الحكمة فان هذه الفاحشة مفسدة للأئمة وأقوى ذائع الصلوات مهلكة للأموال
وللبلدان، ومنهكة للأبدان ومبيدة لقلل الانسان في أكثر الاحيان، وإذا كان حدها
الاعدام، وأقصى الاحكام، ولما كانت المفسدة بما ذكر قد تفاوتت رفع لفظ آيتها حين
لا يخف خفاء الحكم إذا دعت الحاجة والضرورة اليه — وما رفعه الانهليل وبسر
ورحمة وسر — ولئلا يظن المسلمون ان الثواب في التقية والتطلع على الناس
فيستأقوا الى الشهادة بهذه الجريمة قياسا على فضل تلاوة آيتها فرفع الله لفظ هذه
الآية لهذه الحكمة وانما خصها دون ما سواها من آيات الحدود لانها أشد الحدود
وأغلظها ولان قباحة الزنا من المحصن فوق كل قباحة ففي رفع هذه الآية إشارة
للمسلمين على ترك التجسس للشهادة كما قال تعالى « ولا تجسسوا » وإشارة إلى
ترك الاقرار بذلك والعدول إلى التوبة — ولذلك اشترط في الشهادة بالزنا ما لم
يشترط في غيره حتى عاقب الشاهد الواحد والاثنين والثلاثة بمقوبة حصد القذف
واشترط في ذلك المعينة التي لا شبهة فيها والله يحب السر على عباده — فقال
« ان الذين يحبون ان تشيع افواحشهم في الذين آمنوا لم عذاب أليم في الدنيا
والآخرة » وقال (ص) « تعافوا الحدود بينكم فما باقني من حد فقد وجب »
فإذا لم ترد شهود في الحدود فلا يبقى الا اقرار فاعلم بها ورضاه بأقامة الحد على
نفسه بان لم يتب و يرجع عن طلب اقامة الحد على نفسه فلو أقر بذلك وطلب
اقامته ثم رجع وتاب جاز للعالم اعفاءه من اقامة الحد أو اتمامه بعد الشروع فيه
وهذا هو ما اختاره شيخنا ابن نية رحمه الله وهو الحق عندنا الذي دل عليه السنة
الصحيحة عن رسول الله (ص) وذلك فيما روى بريدة (رض) قال جاء ماعز

بن مالك إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله طهرني فقال «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه» قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال النبي (ص) مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله (ص) «فيم أطهرك» قال من الزنا فقال رسول الله أبلغ جنون؟ فأخبر أنه ليس به جنون فقال «أشرب خمرًا» فقام رجل فاستنكه فلم يجد منه ربح خمر فقال (ص) «أزيت قال نعم . الحديث وفيه جاءت امرأة من غامد من الازد قتالت طهرني فقال «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه» الحديث رواه مسلم وفيه انها ابت الا إقامة الحد على نفسها وكانت حبلى فأبى (ص) ان يقيم عليها الحد حتى تضع مافي بطنها وتكمل رضاعته وبعد ذلك جاءت وأقام عليها حد الرجم وعن أبي هريرة عند الترمذي وابن ماجه ان معاذا (رض) فرحين وجد مس الحجارة ومس الموت فقال رسول الله (ص) هلاً تركتموه؟ الحديث وفي رواية «هلاً تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه» وهذا نص في ان المقر بالزنا إذا استغنى عن الحد جاز للامام ان يسقطه ولذا وذلك ولأن الحدود تدرأ بالشبهات ولا قام في أرض العدو رفع لفظ آية الرجم وهي حكمة بالغة وقد دل عليها الكتاب والسنة وقيت آية الرجم ثابتة الحكم بما ذكرناه وبالسنة الصريحة مقيدة بقيوده كما عرفت وهي مع ذلك كله موجودة في القرآن ظاهرة للعلماء خفية عن العوام قال ابن عباس (رض) الرجم في الكتاب لا يفوص عليه الا غواص وهو قوله تعالى «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب» الآية وقيل انها موجودة في غير ذلك أيضا — فظهر بذلك الحكمة في رفع آية الرجم مع ان بدلها في القرآن موجود وما ذكرنا من التعليل لا ينافي ما علل به بعضهم قلت وقد رأيت السيوطي (رح) قد أشار بالاختصار إلى ما ذكرته — وصرح بان القرآن الموجود بين أيدينا الآن في المصحف فيه البديل عن كل ما رفع من هذا النوع وغيره قلت والأمر كذلك

وفوق ذلك كله قول هؤلاء المتراضين زعمت ان نينا (ص) الصادق الامين لم ينم له ما تم الا بعد اصلاح العيب والنقص الذي براه او يتوقعه في شرعه وكتابه الذي انزله الله عليه وقد كذبتم وكذبكم الواقع المعروف من سيرته كما قدمنا

ذلك وحالة التشريع وكيفية نزول الوحي عليه (ص) يعلم بها فساد قولكم — أليس انه (ص) كان ينزل الله عليه ما شاء ان ينزل من الاحكام واقرآن حين وقوع الحاجة الى نزوله وبحضرة من اصحابه غالبا وقد نزل عليه (ص) عدة آيات دفعة واحدة والقصة الواحدة كذلك والسورة الكاملة ايضا في بعض الاحيان وبعض ذلك يكون حين وقوع السؤال ووجود السبب الموجب ارجحالا — ومع ذلك كله لم يكن (ص) يعرف الكتابة بل كان يحفظ ذلك ويحفظه اصحابه (ص) ويتلوه عليهم ثم يأمر أحد الكتاب أن يكتب ذلك في سوره من غير ان يراجع المكتوب الاول منها ويتأمل المناسبة والمناسقة وكان يشتر بين الناس آيات كتاب الله ويعلمه الخالص والعالم والعدو والصديق فهلا امكن اعداءه ان يأخذوا عليه شيئا مما ضعف انشاؤه في كتابه وردوه واتوا بمثله ولو بعد حين ؟

ان من يراجع مكتوباته ويتأمل في تأسيس احكامه ليصلح ما فيها من العيب والنقص لا بد وان يكون كاتباً وقارئاً مطلقاً على كتب غيره ليراجع ما فيها من الآراء فيرجع ويضعف حينئذ او يترقى بفكره الى احسن مما فيها لكن لا يمكنه ذلك الترقى الطيبي في الأفكار الا بعد اطلاعه على آراء من تقدمه والا بطلت سلسلة الترقى الذي يسلمها أكثر الناس واذا كان لا يمكن الرد والقدرح والاصلاح والتكميل والتنقيح الا بهذه الاسباب ونحوها غالبا فان حصول علوم جميع اهل الارض لاسيما علوم الامم المضمحلة والبائدة والمتباعدة ولاسيما الخفية منها والمهجورة بالخصوص في ذلك الزمن الذي بحث فيه نبينا محمد (ص) — ان حصول ذلك كله لرجل واحد لا سيما اذا كان من العرب الذين قد عرفوا باعزالهم علوم سائر الأمم لمن الحال الذي لا تسلم به عقول العقلاء فإياك بالقيم الأسمى (ص) الذي قد عرف منشأه ولم يزل اعداؤه يترصدون به الدائر حتى وضعوا عليه العيون والرقباء هل يمكن من هذا حاله المراجعة والاصلاح لاهو بمثابة تهذيب علوم أهل الارض وتكميل أخلاقهم اجمين ؟ فيالمقول المتحصين أين يذهب بها الهوى

قلنا ذلك لا تأوينا ما لم تكن نحسب عاقلا يقوله : رأينا من على شاكلة هؤلاء المفترضين حين يطعنون في الاسلام يعسرون مقاديرهم عليه من اقوال ومذاهب الأمم

الغابرة ثم يقابلون بينها وبين شرائع الاسلام وما فيه من القصص وغيرها ثم يقولون ان هذا أخذه محمد (ص) عن أولئك ثم يقولون قد ردّينا النزع على أصله وما لم يقدروا أن يجدوا له نظيرا يقولون سيكشف المستقبل حاله ويقولون ان محمدا (ص) قد قد اطلع على ذلك وحفظه وهدبه وأصلح فيه حتى ساقه في قوالب كلامه الفصيح البالغ الذي اعجز العرب! قلت أي واعجزهم أيضا ان يعرفوا جميع مصادرهم وآخذهم هو لا يريدون أن يطنخوا في صحة الاسلام وما درى المساكين ان ذلك ينقلب عليهم ويصير من اعظم الحجج المؤيدات لصحة دين الاسلام — لانه اذا بطل قولهم وصح ان محمدا (ص) لم يكن قبل نزول الوحي يعرف شيئا مما ذكره او ان ذلك لا يمكن حصوله لبشر بدون وسائله وان تلك الوسائل لا يمكن تيسرها في ذلك الزمان والمكان لا سيما لمن كان مثل محمد (ص) — ثبت باليقين كذبهم وصحة دين الاسلام وانه وحي الله وامره والله اعلم

انه مامن علم يوجد عند البشر سابقين ومتأخرين الا وقد نبه على بعض مسائله في معرض الاعتبار والانماض ونحوه او الاستدال وما شابهه يسوق ذلك سوفا يعرف من تأمله وحققه انه كلام مختبر عالم بدقائقه وغوامضه ولذلك تراه يختار من كل شيء صحيحه وثيقه لا يلتفت الى سواء وان اجتمع أهل ذلك العصر على سواء ولم يكشف بذلك حتى اخبرنا بكثير من اخبار الايام الآتية التي قد وقع ووجد مصداق كثير منها عيانا وقد ذكر من ذلك كثيرا مما لأتمه به تعلق وهو يذكر ذلك في معرض التنبيه كما انه يذكر من اخبار الايام الماضية ما يذكر كذلك فيا هو لا هل يمكن الحصول بدون الوحي ان يطلع على ذلك كله مع اشتغاله بتلك المشاغل وقيامه بتلك الوظائف لا سيما اذا كان تبعا اميا في بلاد قاصية عن الامم المتدنية وبين امة امية؟ فان جوزتم ذلك فهل يمكنكم ان تأتوا بنظيره في كل ما حكيانه عنه (ص) والحالة ما ذكرنا لان ما يجري على النواميس الطبيعية لا بد وان يتكرر بل لا بد وان يترق كما هي قاعدة التشو الطبعي واذا لم تفعلوا فاتهم مقرون مكابرون وسيلم الذين ظلوا أي منقلب ينقلبون

قلت وبما ذكرناه يطل قولهم ولو قورع وصحة ما دلت عليه الاحاديث تبطل

دعوى أخينا الفاضل الدكتور أن أحاديث الأحاد كلها لا تنيد غير الظن مطلقاً

ولقد إلى ابطال الشبهات المذكورة على النسخ زيادة على ما ذكرناه سابقاً فتقول ان كان اعتراضكم هذا صحيحاً وأنه لم يتم له (ص) ما تم الا بما ذكرتم فلم لم يتم في وجهه أعداؤه الى يومنا هذا فيصلحوا أو يكملوا أو يقضوا ويرموا ويتناضوا ويتعاون فصحاءهم وخطبائهم وشعراؤهم ليأتوا بمثل قرآنه بزعمكم أو يأتوا بسورة من مثله؟ لم لم يفعلوا وهو يناديهم هل من مبارز هل من معارض؟ ويتلو عليهم في كتابه دقل لئن اجتمعت الأنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ويتلوه فيه «فأتوا بسورة من مثله — أو — قل فأتوا بعشر — أو مثله» لو كان الأتيان بالقرآن أو بمثله مما يمكن البشر الواحد ولو بالاصلاح والتبديل كاتقولون فهلا قدر واستطاع ان يجيء بمثل سورة قصيرة منه جميع العرب العرباء والمستعربين والمتعربين جميعاً وانفراداً ولو بعد الاصلاح والتكميل المزعوم؟ وحيث استحال ذلك بمضي تلك المدة الطويلة وعجز فطاحل العرب وفصحاءهم وفاتوا ولم يخلفهم مثلم لكن من خلفهم هو أعجز منهم علم فساد قولكم وكذبه وسقوطه

ان نفس التحدي بسورة من القرآن معجزة لانه لا يمكن أحداً من البشر العقلاء ان يدعيها لنفسه من قبل نفسه، ولما يأتي به من عند نفسه ومن يأمن ان يأتي الزمان بمثله أو بأحسن منه واذا لم يكن عنده يقين بذلك فكيف يشترط صحة دعواه عليه ويعلقها بهذا التحدي فما بالك بمن قد صرح بصحة جسده وكمل عقله وتديره العدو والمخالف والصديق الموافق — أما لو كان هذا التحدي بغير أمر الله لسكان من أبعد كل بعيد وأحل كل محال صدوره من سيدنا محمد (ص)

هنا بعض ما نقوله في الجواب عن هذه الشبهات الواهية اضر بنا فيه عن الاطالة وما تركناه أكثر وما عندنا الكاملين أكثر وأعظم وما عند الله خير وأبقى «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»

قول الدكتور الفاضل ومنه ترى ان اعتمادهم فيها (اي في إيراد الشبهات) إنما هو على روايات الأحاد التي يتمسك بها المسلمون الى ان قلل ما محصله — فهل اردوا هذه

بدلا عن ان يقوموا في وجهنا ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طعن في أصول الدين وبمثابة تسليم سكا كين للخصم ليقطع بها منهم الوتين» انتهى
وأقول قد عرفت جوابنا عن هذه الشبهات وانت اذا تأملت عرفت ان فسادها بديهي فلا سكا كين وانما هي شوك مخضود وبذاء من القول مردود فلا وخز فخافه ولا قطع ونحن لم نرد عليه مكفرين له مع تأويله ولكننا بينا فساد بعض أقوله وضعفته وقلنا انه لا حاجة تلجأنا اليه وهو حفظه الله انما خاف من غير مخوف وغلن السراب ماء وليس ما نبحت فيه مع الفاضل الممدوح مما يليق بالغللاء ان يقولوا فيه نصبا ونحيزا ولا خرا ومما رآه بل هو الدين واردة الحق وطلبه للفوز برضاء الرب ولذلك قلنا في رسالتنا السابقة ان طالب الحق لا يليق به ان يستدل باقوال الناس وانما يستأنس بها بعد البحث والتفتيح وامامنا ناقض منها حكم الله في كتابه أو في سنة رسوله (ص) فانما فضجرته ونمّله ونرفضه لانه من الغلطات التي غايتها ان يتفرقا ثلما اذا لم يقصر ومن تتبع الشواذ وقع في الغلطات وانه لولا التأويل لم يحسن قصد لازم كل غلط لوازم فظيعة مكبرات ولو الزم كل غلط لوازم قوله لفحش اختلاف ويعد الائتلاف والحكم بكفرا كثر الغالطين ولذلك كان القول الحق ان لازم المذهب ليس بمذهب اما ما ذكره الفاضل في كلمته الثانية من التفصيل فهو ان كنا نعتقد الحق زيادة عليه الا انه قول قد قاله كثير من الائمة ومع ذلك فله حظ من النظر الا قوله في آخرها « اما الروايات التي تنفي نسخ لفظ القرآن » الى آخره قانا لا نسلمه له لا سيما وقد عرفت مما قدمناه عدم مخالفة نسخ وإنشاء لفظ القرآن للحكمة والعقل فاذا صحت الرواية عن الصحابة الغالبين بالحفظ والمراجعة أو بالكتابة المصونة بأن آية كذا كانت قرآنا وأنها نسخت أو أنسيت أو رفعت أو نحو ذلك قبلنا ذلك وحيث كان لم يقصد من هذه الروايات اثبات زيادة على القرآن الموجود فهي غير معارضة ولا مناقضة لما ثبت من القرآن بالتواتر حتى على قول من يشترط التواتر في اثبات قرآنية القرآن - وترجيح التواتر على الآحاد انما هو اذا اتحدت الدلالة من جميع الوجوه حذو النمل بالنمل مع عدم معرفة المتأخر اما اذا لم تتحد كالعلم والخاص والمطلق مع المقيد او ما تأخر تاريخه فلا معارضة ولا مناقضة لا شرعاً ولا

عقلا ولأن الآخذ بالدليلين هو المدين والا لزم اهل احدها - واصل منشأ اشتراط التواتر انما هو في الوصف بالقرآنية الذي من احكامها المفرقة عليها الثلاثة في الصلاة ونحوها واثباتها في المصحف الى غير ذلك على خلاف مشهور في ذلك لاهل العلم والنظر ولذلك ترى الحق عدم جواز نسخ السنة للفظ القرآن المثبت في المصحف واما حكمه مع بقاء اللفظ فهو محل الخلاف والحق عندنا جواز نسخ الحكم بالسنة الصحيحة لأن ثبوت الاحكام لا يشترط فيه التواتر كما سيأتي ولأن اقتضاء الحكم للتكرار امر زائد على مفهوم مجرد الامر وكذلك الاستمرار كلاهما ظني وخبر الآحاد اقل حالته اذا كان صحيحا ان يكون ارجح لكن هل ذلك واقع فعلا ام لا ؟ ولا شك ان من بعد غوزه في قلبه الدين يعرف ان ذلك لم يقع وان السنة مينة ومفسرة لما دل القرآن عليه ولو بدلالات خفية اوتأتي باحكام يكون القرآن ساكتا عنها اوزيادة عنى ما فيه وهذا اجمال يدرك المنصف ما وراءه من الفوائد اكتفينا به عن التفصيل والاطالة

تكلم حضرة الدكتور الفاضل في الكلمة الثالثة من رسالته على قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها » الآية - وحاول ان يثبت ان يكون المراد بالآية المعجزة وقال انه على حد قوله تعالى « ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كن لرسول ان يأتي بآية الا بإذن الله ، لكل اجل كتاب » يحمو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب »

اقول واعلم انه لم يقل أحد من يفسر القرآن بالمأثور ان مدلول الآية هي المعجزة في الموضعين معا او ان معناها واحد كذلك والمعروف عنهم ان هذه الآية في المعجزة وتلك في آيات الاحكام وسيأتي ان بعضهم حل الاحكام على نسخ آيات الاحكام أيضا عكس ما يقوله الدكتور الفاضل وقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها قد عرفناك تفسير السلف لها في رسالتنا السابقة واما قوله تعالى « وما كان لرسول ان يأتي بآية الا بإذن الله » فلا شك ان المراد بالآية فيها المعجزة خارقة العادة فليس الى أي رسول الإتيان بها بل ذلك إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد - قوله « لكل أجل كتاب » أي لكل مدة مضروبة كتاب

أي مكتوب « وكل شيء عنده بمقدار » ألم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير » فالمراد بالكتاب ما يعم معلومات الله الكونية والشرعية الدينية بان جعل لكل مدة مضروبة عنده كتابا — وبعض السلف قدرها بالسنة وقد اختلفوا في المحو والإثبات هل يكون في كل شيء أم في شيء دون شيء فقال بعضهم يحو الله ما يشاء الا الشقاء والسعادة والحياة والموت وقيل غير ذلك أيضا والذي دلّت عليه الأحاديث الصحاح أن ذلك كائن في كل شيء . . . واختلفوا هل هناك كتب وكتاب غير هذا أم لا وليس الاطالة في ذلك من غرضنا هنا فان شئت ذلك فارجع اليه في مكانه — فهذان قولان في الكتاب ومده والقول الثالث ان المراد بالكتاب كل كتاب أنزله الله من السماء على رسله وهو قول الضحاك بن مزاحم وكلف يقول في قوله « لكل أجل كتاب » أي لكل كتاب أجل « يحو الله ما يشاء » منها « ويثبت » يعني حتى نسخت كلم بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه . فقول الدكتور الفاضل يحو الله ما يشاء من الآيات السابقة فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة الى آخره قول مبتكر لم يدل عليه أثر ولا قاله أحد من السلف ولا ندرى كيف أجاز لنفسه القول في كتاب الله برأيه

وتقول معجزات الانبياء التي قد اظهرها الله لا يقال إنه محامها او نسخها بل يقال كتبها وقدرها وفي الواقع اظهرها وأمضاها وقد فرغ عنها — والمحو انما يكون لما كتبه وقدره قبل وقوعه اذا لم يوقمه وما وقع قائما يقال كتبه وأوقمه طبق ما كتب فالدكتور غلط هنا في مواضع — وحاصله ان الكتاب في هذه الآية ان كان كتاب المقادير والمعلومات فالاحكام فيه لا يكون في المعجزات التي قد اظهرها الله لتأييد انبيائه وان كان المراد به كتبه التي انزلها على انبيائه لكل اجل ما يناسبه من كتب الاحكام وآياتها فالآية نص في رد ما زعمه حضرته

اما قوله : واعلم ان نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها يعني قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك

ختمت بقوله تعالى « ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير » الى آخر مقاله في هذا المعنى وأقول نحن قد ذكرنا تفسير السلف لهذه الآية في رسالتنا السابقة وهم الذين تلقوا عن رسول الله (ص) بيان القرآن وهم الذين شاهدوا الاسباب والوقائع وهم الذين نزل القرآن بلسانهم فتفسيرهم للقرآن لا يجوز لنا الخروج عنه بالكلية وما ذكره الدكتور الفاضل واختاره هو لم يختاره من أقوال السلف ولم يقل به أحد منهم وهم قد صرحوا بأن هذه الآية إنما نزلت في آيات الاحكام فحمل ذلك على المعجزات إنما هو من باب الخرص والقول بالرأي في كتاب الله وهو لا يجوز (*) فتفسير الآية في هذا المقام بالمعجزة قطع متضمن من حيث الثقل وسياقها لا يقتضي ذلك وكذلك معناها ومدلولها لا يصح ان يكون هو المعجزة عقلاً

وما ذكر عن الأستاذ الامام شيخ الاسلام المقي المقي الشيخ محمد عبده رحمه الله فان صح عنه ذلك فقله قاله من باب الاستنباط والاشارة والاياء — زيادة على ما يدل عليه الظاهر — ذلك هو الواجب على الصادق في موالاته . الأستاذ الامام وما أدراك ما مرتبته وفضله ومقدار محبة أهل الحديث له في جميع الارض كيف لا وهو امامهم وحامل لوائهم الذي هزم الله به المبسدين وكسر به دونه المتقلدين الجامدين . نصر الله به السنة وتباعاء وحفظها به عن ضياعها سمعت بعض الناس يقول ان الأستاذ الامام لا يقبل أحاديث الآحاد الصحاح — فقلت له كيف علمت ذلك ؟ قال لانه قال في بعض كتابه اننا لا قبل الحديث الا إذا تحققناه كما تحققنا وجود مكة والمدينة . فقلت له ويحك ماذا تقول ان الأستاذ الامام رحمه الله يصح أن يتحقق الاحاديث الصحيحة ويحويها كذلك ونحو الانع علم الانسان ظهر له ما خفي على غيره وكل أئمة الحديث كذلك ورحمهم الله (*)

(*) المار : تفسير القرآن بالرأي عبارة عن تفسير المرء له لاجل تأييد رأي يتخله أو مذهب يتقلده فهو بمعنى تفسيره بالمعنى . وليس معناه تفسيره بما يخالفه من المذهب عن الاولين ولا يمكن ان يكون هذا هو المراد بحديث انكار التفسير بالرأي عن ابن الحديث لا يصح والسلف قد فسروا القرآن بفهمهم وخالفوا فيه بعضهم بعضاً وكذا ماورد عنهم من ذلك لا يصح له سند وكلمة الامام احمد فيه مشهورة

الدولة العثمانية بعد الدستور

﴿ جمعية الاتحاد والترقي ﴾

تصريحات كامل باشا في سبب سقوط وزارته

نشر كامل باشا مقالا طويلا في سبب اسقاط الجمعية اياه من الصدارة بعد اخراجه هو ناظر الحرية واستعفاء ناظر البحرية من الوزارة وهما من أعضائها . وانا ننشر ترجمته برمه لبيان في الحال والتاريخ في الاستقبال ، قال

كان يوم السبت الموافق ٣١ كانون ثاني « يناير » في مجلس المبعوثان يوما عبوسا قهظيرا لهبوب اعصار الافكار حتى ان بعض الاعضاء ويبلغ عددهم زهاء السبعين تركوا المجلس وانصرفوا خذرا من نتائج هذه الزوامة التي كانت منحصرة بين جدوان دائرة المجلس المذكور وبينما كان الذين يبلغهم خبرها في الخارج لا يصدقون بصحة وقوعها كان الذين داخل المجلس في غاية القلق والتأثر من السطوة التي برونها من بعض اناس كانوا يتخللون صفوفهم وبما كان يلقي على مسامهم من ان تسكين هذا الهياج الذي دام نحو ساعتين لا يتأتى الا باسقاط الوزارة التي كانت قد ضعفت باستعفاء ثلاثة من اعضائها وهذا لا يكون إلا باقرار المجلس على عدم الثقة بها . فلما رأى الاعضاء الحاضرون ذلك بادروا لحسم الازمة على الوجه الذي أريد منهم وأقروا على عدم الثقة بالوزارة فلما منهم انهم خدموا بذلك سلامة الوطن والمملكة ولم يكن مبعث هذا الهياج الا المساعي العظيمة التي بذلت في سبيل احداثه إذ بثت البعثات الخصوصية قبل ذلك الى أدرنه وسانليك فاذاعوا هناك ان الحكومة قصد إعادة الحكم الاستبدادي وبذلك حركوا بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث وأهاجوا سخطهم

ثم أرسلوا باسم هؤلاء الضباط رسائل برقية إلى بعض أنحاء السلطنة تشير بانهم (أي الضباط) مستعدون للوقوف امام كل حركة تبدر من الحكومة فبعد

بها ارجاع الحكم الاستبدادي كما انهم أوعزوا إلى بعض ضباط الاسطول بإرسال رسالة برقية إلى مجلس المبعوثان يطلبون فيها عزل ناظر البحرية الذي تعين بالوكالة ويلتزمون المجلس انهم لا يعرفون رئيسا لهم سوى مجلس الامه العثماني وقد تلي هذا التفراف في المجلس وتم لم بذلك ما يقصدونه وهو اظهار المملكة في حالة فوضى امام الناس لذلك كنت أردت وقتئذ ان أبين ما بالمملكة من الاضرار من جراء هذه الازمة المتقطعة والمقصودة قصدا وان أذيع المسائل المهمة والاسرار السياسية التي لا ضرر من افشائها واتما رأيت ان أوجل لإيضاح ذلك الى وقت آخر أكثر مناسبة متظرا زوال هياج الافكار المار ذكره وما قد أتيت بالآت بالإيضاح الموعود مقرونا بالأدلة الواضحة بقدر ما تسمح لي به الظروف في الحال وما يفرضه علي حسب تجنب المحاذير السياسية :

لا يخفى أنني كنت قد ذهبت بالذات إلى المجلس النيابي في أوائل اغتقاده وأوضحت امام الاعضاء برنامج الوزارة السيامي الذي حاز وقتئذ قبول الهيبة المحترمة ورضاها ووعدت الوزارة بأنها تسير على مبدأ هذا البرنامج مع ان القانون الاسامي لم يصرح بشيء عن دعوة الصدر الاعظم وشيخ الاسلام للاستيضاح منها عن بعض الامور وانما فعلت ذلك بقصد خالص من كل الشوائب تطبيقا لمصالح البلاد على الحكم الشوروي الحقيقي ومراعاة للإدارة الدستورية قولوضع مثال للمستقبل

ولا يؤخذ من ذلك انه يتحتم على الصدر الاعظم ان يحضر الى المجلس في الساعة واليوم اللذين يطلب فيها كما انه لا يفهم من طلب تأخير الصدر ميعاد الايضاح بضعة أيام انه يريد بذلك الناء هذا الاختصاص الذي أعطاه القانون الاسامي للنظار بناء على حكمة كبيرة والوارد في جميع قوانين الدول الدستورية الاساسية . ان الاصرار في هذا الباب يعد خرقا صريحا لاحكام القانون الاسامي . وقد كنت عزمت عند ما وصلتني رسالة الدعوة من رئاسة مجلس المبعوثان في مساء يوم الخميس الموافق ٢٩ كانون الثاني (يناير) ان أذهب في اليوم المطلوب الى المجلس للاجابة على الاستيضاح حذرا من اخللال الاحوال الموضوعة ولكنه جاء في اليوم التالي (الجمعة) رسول من قبل سفير روسيا يخبرني بأن السفير سيحضر يوم السبت الى

الباب العالي لمتابقي والمذاكرة معي في المسألة البلغارية حسب تفراف ورد عليه من بطرسبرج وفي الحقيقة حضر السفير المشار اليه في اليوم المذكور . فلاحظ ذلك ولاشتتالي ببعض مسائل سياسية مهمة كتبت إلى رئيس المجلس بإرجاء موعد الايضاح إلى يوم الثلاثاء المقبل

وبعد عصر يوم السبت المذكور وردت علي رسالة من رئيس مجلس المبعوثان يقول فيها انه بناء على بعض إشاعات وصلت إلى مسامع المجلس هاجت أفكار الاعضاء وهو يرى من الضروري ذهائي في الحال إلى البرلاف لاعطاء الايضاح اللازم فكنتت الى الرئيس جوابا قلت فيه ان الاشاعات التي بلغت المجلس عارية عن الاهمية وان لا أصل بالرة لما قيل من حدوث هياج في المدينة واني سأحضر الى المجلس يوم الاربعاء وكان قصدي من هذا الإرجاء (أولا) ان توصل بما عندنا من الزمن الى ربط المسائل السياسية المهمة الماسة بمرافق الدولة الحيوية بالاصول التي كنا تصورناها الى هذا اليوم (ثانيا) ان أتمكن من إستخراج الوثائق الرسمية من محافظتها (دوسياتها) استمدادا للايضاح أمام المجلس ولتقديمها لحيأة المبعوثان بصورة غير علنية حتى يقطع الاعضاء بصفة قطعية بما سأقوله :

ورد بعد قليل رسالة ثانية من رئاسة المجلس فأعدت جوابي الاول بايضاح أكثر فلم يأت بغائدة ، بل أرسل أحمد رضا بك بضرورة حضوري الى المجلس لبيان الايضاح المطلوب نظرا لهياج الامة والمجلس الناشيء من تبديل بعض النظار وما عقبه من اشاعة الخلع الكاذبة (أي خلع السلطان) واستعفاء بعض النظار مما جعل سياسة الدولة في الخارج والداخل في حالة غموض واهدام

فلا رأيت هياج الافكار الذي كان منحصر فقط في اعضاء المجلس دون الاهالي أي لا أثر له في الخارج باشرت التحقيق في الحال لأتف على الطرق والمساهمي التي بذلت في سبيل احداث هذا الشعب وعلمت أنه ازداد عدد الحزب المعارض لي في المجلس وما تقرر لديهم من أمر معاملي في حالة ذهائي مما يسبب حدوث أمور غير مرضية تحط بقدرة مجلس المبعوثان . فجنبنا لذلك كله كتبت الى الرئيس أعلمه بأني مستعد لتقديم الاستقالة من منصبي الى الحضرة السلطانية اذا لم يراع

٢٢٢ نصريح كامل باشا بسبب سقوط وزارته (النارح ٣ م ١٢)

نص المادة ٣٨ من القانون الاسامي ملقيا بمة ما ينشأ من الاضطراب داخلا وخارجا على عاتق الذين كانوا السبب في حدوثها . فلما أت الجواب وحصل ما حصل في المجلس من الامور الغريبة . وقد جذبت الاحوال المذكورة انظار الاجانب الذين كانوا موجودين وقتئذ في دائرة المجلس واستوقفت أبصارهم الطرق والوسائل غير القانونية التي اتخذت للوصول الى اجبار الاعضاء على التصويت ضدي واعطاء قرار بعدم الثقة بي كما ان شيوع هذه الامور التي هي بمكان من الغرابة قد شغل افكار الجمهور

وزد على هذه الحالة الخلة بالقانون بصفة خصوصية ذهب رئيس مجلس المبعوثان مساء اليوم المذكور وبرقته بعض اعضاء المجلس الى القصر السلطاني وطلبه من الحضرة السلطانية فصلي من منصبي قبل ان أستقبل منه وتعيين خلفي الذي رشحته الجمعية (جمعية الاتحاد والترقي) من قبل

ومن الامور التي تستدعي دقة النظر المنشور السلطاني الذي استصدروه بتوجيه منصب الصدارة العظمى على حسين حلمي باشا والذي تلي في الباب العالي إذ ورد فيه هذه الجملة بحروفها :

« بناء على انفصال كامل باشا حسب الايجاب من منصب الصدارة » ، وهو مثل ما كان يحصل في الزمن الاستبدادي عند فصل الصدور من مناصبهم بناء على دسائس أصحاب الاغراض مع انه كان يجب ان ينظر انفصالي على استغفاني وسبب هذا الهياج الذي لم يكن لوجود لو لم يحدثه البعض عن قصدهم تعيين ضيا باشا في منصب نظارة المعارف التي كانت شاغرة من قبل وتعيين حسن باشا من أمراء الجند البحري في منصب نظارة البحرية بالوكالة بدلأ عن عارف باشا الذي استقال وترك الخدمة بصفة رسمية وتعيين علي رضا باشا ناظر الحرية مندوبا ساميا للدولة في القطر المصري نظرا لبعض الايجابات السياسية الواردة فيما بعد وتعيين ناظم باشا قائد الفيلق الثاني في منصب نظارة الحرية بدلأ عنه

ولا كان تأليف الوزارة من حقوق المصدر الاعظم الذي يرفع الى الحضرة السلطانية أسماء من يعتقد قدرتهم وكفاءتهم لتولي مناصب النظارات تروى .

للاعتراض على التبديل الذي حصل في الوزارة وقتئذ كما وقع قبله تبديل نظار الداخلية والمعارف والاوقاف والعدلية ورئيس شورى الدولة حسبما ظهر انه المصلحة ولم يفسس احد يثبت شفة اعتراضا على ذلك

وقد ظهر فيما بعد ان سهم الاعتراض في التبدلات الوزارية الاخيرة كان مصوبا بوجه خاص الى تعيين ناظم باشا في منصب نقارة الحرية حتى انه في مساء اليوم الذي كان تعيين فيه المشار اليه ناظرا لوزارة الحرب حضر الي رجل يدعى ناظم بك من جمعية الاتحاد والترقي وكانت املاوات اقلت واضطراب البال بادية على وجهه وقال ان الجمعية تستغرب تبديل بعض الوكلاء (النظار) وتستوضح منكم جلية هذا الامر الذي حدث من غير ان يكون عندها علم به فاجبته بأن ليس في الامر ما يوجب كل هذا الاستغراب . وفي اليوم التالي اجتمع مجلس الوكلاء واشتغلتا برؤية الامور حسب العادة وزدنا عليها المذاكرة في الاحوال المهمة السياسية واقترح أعضاء الوزارة في الساعة ٢ ونصف (بالحساب العربي) وكنهم على اتفاق تام ولم يتصرف الليل الا ووردت استقالة حسين حلي باشا من نقارة الداخلية وفي اليوم التالي استقال رفيق بك ناظر العدلية وعقبه ورود استقالة حسين فهمي باشا و يظهر ان استعفاء هؤلاء الوزراء من مناصبهم لم يكن نتيجة اتفاق بينهم اذ لا يمكن ان يكونوا اجتمعوا في تلك الليلة ليتفقوا على الاستقالة لبعدها الثقة بين مساكهم التي يحول بينها البحر ولكن كان حسب مشورة وفوقه رجال الغيب (أي جمعية الاتحاد والترقي) وقد بذلت المساعي في حل توفيق باشا ناظر الخارجية على الاستقالة انسوة بزملائه المستقلين ولكن الرجل رفض الاستقالة غير متأثر بنفوذ اصحاب هذه المساعي . و يروى ان سبب استعفاء الوزراء المشار اليهم هو تبديل وزيرى الحرب والبحر على ان وزير البحرية استقال من تلقاء نفسه وكتاب الاستعفاء الذي رفعه الى الصداقة محفوظ في قلم الاوراق والذي سمي بدلا عنه لم يبين الا بالوكالة فقط . اذن لا وجه آئنة للقبول وقال في هذه المسئلة . وأما مسألة تعيين علي رضا باشا مندوبا في القطر المصري واقامة ناظم باشا ناظرا للحرية بدلا عنه فسأوضحها فيما بعد مقرونة بالاسباب التي أوجبت هذا التبديل

وفي الحقيقة انه لم يكن هناك موجب لاستعفاء النظار الثلاثة كل على حدة وهم

خارج المجلس بل لو كان زملائي النظاراتوا أثناء المذكرات وهم في المجلس ان تبديل ناظر الحرية مخالف لقواعد الشورى والدستور ومضر بمراقب الدولة لكنت اقيم استقالي في الحال هربا من الوقوع تحت تيمة التهلكة وانظر الذين كنت اراهما يتخللان تيارات الاحوال الحاضرة . ولكن الحقيقة لم تكن كذلك بل كان القصد من إجبار هؤلاء النظار على الاستقالة (من قبل رجال الغيب) انما هو اظهار الحالة الحاضرة بظهر الاضطراب وان يدوا بذلك وسيلة لاحداث الهياج المطلوب في مجلس المبعوثان ولا يضاح الامور التي أوجبت تبديل ناظر الحرية يجب قبل كل شيء ان اذكر الحقيقة الآتية:

كان بعض الثناني أو ذوي الافكار الفنية من المستخدمين المكيين أو الضباط العسكريين وأصحاب الكلمة النافذة من الذين اتسبوا بعد اعلان القانون الاسامي الى جمعية الاتحاد التي لها الخدمات المشكورة في إعادة الحكم الدستوري جعلوا ديدنهم وضع ادارة الحكومة تحت السيطرة والمراقبة الى أن تؤيد الحكومة الدستورية وذلك خوفا من عودة الاستبداد على زعمهم . على ان جميع العناصر الثمانية قلت أصول الشورى بكمال الحمد والشكران والسرور وأثبتوا انه لم يكن ليوجد بينهم من يريد الرجوع الى الحكم الاستبدادي كما ان الجنود الثمانية كلها أقسمت ونهضت على الذود عن أحكام القانون الاسامي فلا موجب والحالة هذه لوضع ادارة الحكومة تحت السيطرة والمراقبة المار ذكرهما . ومع هذه البدايه كانت المداخلات باسم الجمعية في شؤون الحكومة تتوالى وهو الامر الذي أخل بانتظام ادارة الحكومة وعرقل مساعيها جدا ووضع العقبات في سبيل معاملتها وأوجب طرء الضعف على القوة الاجرائية من مداخلات الجمعية التي تألفت في الولايات الثمانية واختل من جراء ذلك امر الضبط والربط والنظام كما ان اقسام الضباط الذين هم القوة المحركة في الفيلقين الثاني والثالث الى قسمين ووقع الخلاف بين الذين ينسبون الى الجمعية والذين لا ينتمون اليها أدى الى الإخلال بالنظام العسكري

ولا يخفى انه بمقدار ما تراعي فياقتنا النظام العسكري ويكون جنودها يدا واحدة في اتحادهم بما يشبه الجسم الواحد بمقدار ذلك يكون التأثير في الاعداء وتكسر

شرتهم وبمكس ذلك يتجرأ العدو على تجاوز حده ويتمرد ويطلق ومن جهة ثانية لا يعود في قدرة الجيش قمع الفتن الداخلية فلذلك كله كان الواجب على الضباط ان يتجنبوا الاشتغال بالسياسة وان يتعدوا عنها وان يراعوا سلسلة المراتب حسب ما نص عليه القانون ولكن بدلا عن ذلك صار الضباط يلقون الخطب السياسية في الملاهي « قونسر » والاجتماعات والمظاهرات وانشأوا يقيمون المتاورات الحرية والاستعراضات العسكرية في المراسح فكنت ترى فرق الجند العثماني تمر بأسلحتها وضباطها من امام المتفرجين في مراسح التشخيص وهو مما يحط بالشرف العسكري وكل ذلك كان منشؤه ضعف ارادة علي رضا باشا ناظر الحرية المطلوب منه حسب وظيفته منع كل هاته الامور المحلة بنظام الجيش والذي لم يكن ليقدر على تنفيذ أوامره وتبنياته بإزاء نفوذ كلمة الضباط المنتسبين للجمعية . على اني اشهد أن علي رضا باشا رجل على غاية من الاستقامة والحلم ولكنه غير قادر على الوقوف امام حركة الضباط التي اخلت بنظام الجيش كما مر ذكره آنفا فحفظا لشرف الجيش واعادة النظام والانظام الى صفوفه تقرر تعيين ناظم باشا قائد الفيلق الثاني الذي اثبت اقتداره باصلاح الفيلق المذكور واعادة النظام اليه في مدة لا تزيد عن الشهرين ناظرا للحرية وبودر في الحال لاغاد هذا القرار وهو الوسيلة الوحيدة لسلامة الامة والوطن ولكن جمعية الاتحاد والترقي التي لا تريد الا استبقاء نفوذها اجبرت زملائي الوكلاء والنظار على الاستقفاء واخذت مجلس المبعوثان تحت امرها وبذلك اعدت الوسائل اللازمة لإسقاط وزارتي . وهنا يجب ان اسرد بعض امور حدثت قبل سقوطي وكانت مقدمة لإثارة الافكار ضدي فكانت السبب في اضمال الجمعية مني واليك الاسباب

كنت من زمن حدوث الانقلاب اروج بقدر الامكان والازمان اقتراحات
 ١٠ « تكن يا جنبي بصفته عضوا في الجمعية واستمر الحال كذلك الى ان حضر ليلى الى
 « زلي » ذلك قبل افتتاح مجلس المبعوثان بأسبوعين « البكاشي اسمعيل حتي
 بك ومعه رححي بك الذي يدعي انه قائم مقام الوكيل السيامي عن الجمعية وقالوا ان
 (المنازع ٣) (٢٩) (المجلد الثاني عشر)

الجمعية لا تدخر وسعا في اكرام اعضاء اللجنة البقانية الانكليزية المؤسسة في
لندره الذين حضروا اخيرا الى الاستانة وانه صار دعوتهم لوليمة عشاء بحضورها
نهار غد في منزلي ١١ قلت لم اني اجعل وصول هؤلاء الاعضاء الى الاستانة ولا اعلم
مركزهم ومنزلتهم في بلادهم لعدم ورود شيء يعرفني عن ذلك لامن سفير الدولة
في لندره ولا من سفير انكلترا هنا فأستقرب دعوتكم لاشخاص لا معرفة لي بهم ،
ولم يسبق المقابلة معهم ، الى تناول العشاء في منزلي من غير ان يكون عندي علم
بذلك كأنكم تدعونهم الى فندق وهو أمر لا استصوبه لعدم موافقته للاصول بل
يجب ان اتعرف بهم قبل كل شيء واقابلهم وبعد ذلك أعد لهم الوليمة في يوم معين
احد اسما عيل حتي بك ورفيقاه من كلامي هذا وخرجنا من المنزل وذهبا في
الساعة الرابعة من الليلة المذكورة نفسها الى القصر السلطاني وقابلنا احد قراء الحاضرة
السلطانية وقال له : « اعرض الآن لحضرة السلطان ان يسترجع الختم السلطاني من
الصدر الاعظم » أي ان يمزله « والا نذهب غدا بالقوة العسكرية الى الباب العالي
ونخرجه منها قسرا على أنه قد قرر أن يزل في أول اجتماع من مجلس المبعوثان »
فقال هذا الكلام القرين فأجابهم قائلا : « وما السبب في ذلك ؟ اني
لا استطع عرض هذه المسألة على جلالة في مثل هذا الوقت فالاحسن أن نحضرا
غدا لنفهم ما في الامر ونعرضه على الحاضرة السلطانية . »

وعلى ذلك ذهبا وعادا في اليوم التالي وبرفتها ضابط آخر واجتمعت بهم بدعوة
خصوصية حسب الارادة السنية الصادرة لي وكانت معنا أحد القراء فسألهم
من قبل من أرسلوا ؟ قالوا انهم حضروا من قبل الجمعية . قلت لهم هل الجمعية راضية
عن مراجعتكم للحاضرة السلطانية في مثل هذا الطلب ؟ اجابوا نعم ان الجمعية توافق
على كل ما نفعه . عند ذلك اعدت ما قلته لهم في الليل من عدم مواجة اقتراحهم في
مسألة الدعوة وزدت عليه ان عزل الصدر الاعظم بلا سبب ودون ان يستقيل هو
مخل بما نصه القانون الاساسي وان خدمتي الآن في هذا الزمن المخوف بالمخاطريس
الاتفاديا مني في حب الوطن وليس لأجل التفاخر ولا لجر منفعة . قلت هذا الكلام
بشدة واشتمزاز هاموا وانصرفوا من غير ان يفوهوا ولا بكلمة

وبعد ذلك صدرت ادارة سنية تبلغها بالواسطة بوجوب دعوة اعضاء اللجنة البلقانية المذكورة الى الشاي بعد حصول التعارف بهم وصادف أن حضر الاعضاء الموما اليهم الى الباب العالي حيث زاروني وكان عددهم اثني عشر بين ذكور واثنا عشر فدونهم لتناول العشاء في اليوم التالي عندي حيث حضروا هذه المأدبة كما حضرها ايضا بعض اعضاء جمعية الاتحاد والترقي فكان عدد الجميع ۲۴ مدعوا ما عدا رحمي بك الذي لم يشأ أن يحضرها

واللجنة البلقانية هذه كانت تألفت من بعض وجوه ومعتبري الانكليز بقصد انساني ألا وهو تذكير الحكومة الانكليزية بحماية السكان البلغاريين من أهالي مقدونية من مظالم العثمانيين وقد طاف بعض اعضائها القطر المقدوني بعد الانقلاب لينتقموا بأنفسهم عما اذا كان البلغاريون لا يزالون في حاجة الى الحماية الاجنبية ثم حضروا الى الاستانة وقد قصدت جميعتنا باكرام هؤلاء الاعضاء أن نقيم الحجة لهم على الاخوة التي حصلت بين المسلمين والبلغاريين وان تكسب بذلك رضا اللجنة المذكورة ونحوز بواسطتها انعطاف الامة الانكليزية على ان الامة العثمانية كانت قد اكتسبت حسن نظر وانعطاف الشعب الانكليزي العظيم بما أظهرته عقب انقلابنا السعيد من الاستعداد لادارة دستورية سالمة

وهنا يجب علي أن اترك الحكم الى أرباب الفكر والاذعان في مسئلة الذهاب الى القصر السلطاني وطلب اسقاط الوزارة من أجل اني رفضت طلب دعوة أشخاص الى منزل صدر اعظم بدون اذنه ولم يسبق التعارف بهم مما هو مخالف لاصول وآداب المعاشرة ولاي قابلت هذا الطلب الغريب بصورة مقبولة وهذا أمر جدير بتوجيه الانظار اليه

لذلك صرفت الجمعية كثيرا من المساعي لاسقاط الوزارة عقب انعقاد مجلس المبعوثان ولكنها اخفقت امام ميل الرأي العام الطبيعي ولما رأيت الجمعية ذلك وعلمت أن لا قبل لها بالوقوف امام الرأي العام أوفدت من قبلها طلعت بك بك وانور بك فحضرا الي ليلة وأبلغاني بأنه هرب أن يكون السبر حسب رأي فشكرهم

٢٢٨ تصريح كامل باشا بسبب سقوط وزارة (الماروج ٣ م ١٢)

على قرارهم هذا وقلت لم اتنا كلنا جسم واحد فيجب أن نسمى معا في سبيل خدمة
الامة والدولة .

مضى ١٥ يوما على ذلك فصادف ان احتفلت فرقة الاحرار في عيد مضي ٦١٠
سنوات على استقلال الدولة العثمانية فدعيت الوزارة أيضا الى المأدبة التي أقيمت
لأول مرة في (برابالاس) فرأيت ان أحضر هذا الاحتفال احتراماً لذلك اليوم
المقدس فلم يرق ذلك في نظر الجمعية فأوفدت إلي احمد رضا بك في اليوم التالي
فاشار في كلامه ممي الى عدم استحسان ذهابي الى الحفلة المذكورة فقلت له اني
بصفتي رئيس الوكلاء (النظار) يجب علي أن احضر الاحتفالات التي تقام من قبل
أي حزب كانت تذكارا لمثل هذه الاعياد الوطنية المقدسة ، وان
هذا أمراً طبعياً . فزاد كلامي هذا في مودة الجمعية علي وجدد حرازاتها وصارت
تنتظر الفرصة لاسقاطي حتي تقرر تعيين رجل نشيط نادر المثال مثل ناظم باشا في
منصب نظارة الحرية وعلت الجمعية ان النظام العسكري سيعود قريباً الى ربوع
الجيش بواسطة الناظر الجديد فلم يرق في نظرها ذلك فأحدثت المايج المار ذكره .
على ان التخلص من هذه الازمات الخطرة والرجوع الى الحالة الطبيعية مع
توفي الضرر والمهلكة هو من وظائف الحكومة المسؤولة امام العموم والحيلولة بين
الحكومة وبين اداء هذه الوظيفة هو بمعنى الرضا بالملكه وقبولها . واذا كانت
الحكومة العثمانية لا تستند الى مجلس نيابي يحوز اعضاؤه على حرية الفكر فانه
لا يمكن الوقوف امام المخاطر والمهلك الآتية . واذا أصرت الجمعية على التسك
بتيار نفوذها هذا واستمرت في السير معه فالنتيجة تكون بجهولة بسبب مضادة الرأي
العالم للسير على المتوال المذكور وذهاب الضباط وامراء الجند مذاهب شتى

على ان الحكومة العثمانية تهرب شيئاً فشيئاً من مستثنين سياسيين مهمين إذا لم تنحسما
بالطرق الحكيمة الضرورية في زمن غير بعيد يخشى من أن نجد الدولة نفسها أمام
غائلة كبيرة . الاولى مشكلة كريد وقد كانت الحكومة وقتئذ اتخذت الوسائل اللازمة
التي توصل الى حلها حلاً يوافق مصالح الدولة العثمانية واهالي الجزيرة وهو جدير بمراعاة

الدول الاربع الحامية لسكريد . ولا أدري بالنظر الى الحالة الحاضرة في أي طور
ستدخل هذه المسئلة المهمة الآن

واما الثانية وهي المسئلة البلقانية فهي أهم من مسئلة كريد وقد زاد مركزنا اشكالا
فيها تضارب المصالح السياسية بين الروسية والنمسا في هذه الآونة فاذا لم يحكم مركزنا
هذا في الوقت اللازم باستعمال الوسائل الرشيدة كانت العاقبة وخيمة جدا علينا
ولا ينبغي أن اقوة أساس كل شيء فاذا كان ناظر خارجية إحدى الدول لم
يشأ قبول اقتراح سفير دولة أخرى كان من الواجب أن يظهر لمان ٣٠٠ الف
حربة وراء ذلك الناظر مستعدة لنصرته كما قاله البرنس ميتريخ « ناظر خارجية النمسا
السابق » رفعت باشا مندوب الدولة العثمانية السامي ولو كان عندنا في شهر او غسطس
الماضي قوة مياة مجهرة للدفاع عن مرائنا في الروم ايلي لا كانت بلغايا تجرأت على
اعلان استقلالها ولما اقدمت النمسا على ضم اليوسنه والمهرسك لبلادها وهذا الحال
يمكن تطبيقه في المستقبل فاذا املت قوانا الحرية كما كانت املت من قبل لا تمكن
الدولة من الوقوف في وجه الاعداء ونخرج بلاد الدولة العثمانية قطرا بعد قطر من
يدها وهذا ثابت بدليل حدوث أمثاله مرارا لذا رأيت تعيين ناظم باشا المشهور بقدرته
على اصلاح جيشنا في بضعة شهور ناظرا للحرية امر اضروريا ليتمكن الاصلاح في
مدة قليلة قبل فوات الوقت. أفلا بعد الوقوف في سبيل الحكومة لمنعها من اصلاح
كهذا ضارا ومروجا لمقاصد الذين يرجعون اغراضهم الشخصية على مصالح الدولة
إن اعلان الدستور الذي كان نتيجة مساع عظيمة صرفت في هذه السبيل
اكسب الدولة انعطاف اوربا عليها واطمئنتان اليها وثقة بها فاخذ أصحاب رموس
الاموال يوفدون وكلامهم الى الاسنانة والبعض منهم حضر بنفسه للقيام بالمشروعات
المفيدة الاقتصادية النافعة للبلاد مثل انشاء الخطوط الحديدية وارواء الاراضي من
الانهار واستثمار المناجم والمعادن وتجنيف المستنقعات والبرك مما يستلزم بذل الملايين
في البلاد العثمانية وبذلك يجد المعوزون والفقراء من سكان البلاد الذين كثيرا ما
يلجأون بسبب ضيق ذات اليد الى ارتكاب المحرمات شغلا بأجر وفيهم يوفروهم أسباب
المعيشة ويكفي الحكومة مؤنة الاهتمام بهم وبجرائمهم المضرة بالسكان والبلاد

الناتجة عن الفقر والاحتياج . ولكن أختلال النظام في المملكة المتأني من تغير شكل الحكومة ودخول ادارة السلطنة تحت نفوذ جمعية غير مسئولة مالم يحصل مثيله في الممالك المتمدنة استوجب بكل اسف انسلاب ثمة اوربا وعدول ارباب رؤوس الاموال من القرينين عن ارسال ملاينهم الى البلاد العثمانية انتظارا لرجوع البياه الى مجاريها الطبيعية واستباب الامن في البلاد تحت إدارة حكومة شرعية يوتاح اليها ارباب الاموال وقد كنا آملين ان تساعد زيادة الايرادات المتظر حصولها من المشروعات الاقتصادية البارذ كرها ومن احتكار بعض البضائع التجارية الواردة في البروتوكول العثماني النمساوي وتزيد رسم الجمارك على سد العجز الذي في الميزانية العمومية

وأما الآن فان المرء يتساءل كيف يمكن للدولة ان تقوم بإدارة حركتها مع قصص الملايين في ميزانيتها ومع عدم وجود الامل في زيادة الايرادات بالنظر لامتناع ارباب الاموال عن انفاذ المشروعات الاقتصادية في المملكة واخلال ان الدول لا ترضى بسبب حالتها هذه بزيادة رسم الجمارك وترويج اقراح الدولة في مسألة الاحتكار خصوصا وان الحكومة مضطرة لإعاشة اكثر من ٢٥٠ الف جندي في هذا الزمن السلمي ولا نستطيع تخفيض هذا العدد بسبب القلاقل الضاربة اطنابها في المملكة وقدان الامن في انجلتها وعدم مساعدة أحوال الدولة المالية لانفاق كل هذه المبالغ بصورة دائمة وليس في الامكان مع الحال الحاضرة ايجاد منابع ايراد لها كل هذا يجعل المرء في حيرة من حالة الدولة وكيفية ادارتها مع ما هي عليه من التضعف المالي . ولو زال هذا الارتباك وحل محله النظام وعادت المياه الى مجاريها الطبيعية لاستتب الامن والراحة في المملكة . ويمكن حينئذ صرف عدد كبير من الجند وادارة ما بقي منه ضمن دائرة الميزانية كما ان الجنود التي لا لزوم لها تنصرف الى الاشتغال بالزراعة والفلاحة في بلادها فيزيد بذلك الحصول في المملكة ولكن هذه الملاحظات بعيدة جدا على ما أرى عن نظرو الامعان كان قد ذكر على الألسن في الايام التي دعيت فيها الى الذهاب لمجلس المبعوثان اشاعة الخلع (أي خلع السلطان) فقد انصل بنا خبر من هذا القبيل عند ما كن

ناظر الداخلية ملازما لقرائه من مرض أصابه وقد صار حينئذ اتخاذ كل الطرق اللازمة لمعرفة ما اذا كانت هذه الاشاعة حقيقة أم هي فرية من المفتريات التي نشرت في الجرائد الاوربية وفي ذلك الوقت نفسه أشيعت أرجوة أخرى بأنني أنا وناظم باشا نريد إعادة الحكم الاستبدادي وأرسل بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث رسائل برقية إلى بعض البلاد في المعنى المذكور واستدلوا على ذلك بطلب إعادة توأير الصيادة الى الفيلق الثالث على ان لا أصل البتة لكل ما قيل من هذا القيل والحقيقة هي ان السكان المسلمين الذين هالم خبر تسليح الحكومة اليونانية للأروام القاطنين قرب الحدود في ولاية يانيا قد طلبوا من الحكومة ارسال أربعة توأير في أسرع ما يمكن كما انه قد وردت برقيات من أهالي تلك الجهات الى نوابهم في مجلس المبعوثان في هذا المعنى نفسه وزادوا على ذلك أن أهالي (قالتاندن) تسلحوا واجتمعوا وانهم مستعدون للقيام بما يجب عمله اذا لم تحضر الجنود في الحال

فبناء عليه صدر الامر الى نظارة الحرية بوجوب ارسال اربعة توأير من الفيلق الثالث الى يانيا وانه اذا لوحظ ان أخذ أربعة توأير من الفيلق المذكور يؤدي الى إضعاف قواه العمومية — خصوصا وان كثيرا من جنده كان قد أرسل طاشليجه لتقوية الحدود المصرية — تلقاء هياج المصريين وقتئذ — فلا بأس من إعادة التوأير التابعة للفيلق الثالث والمرابطين الآن في الاستانة. هذا هو الامر الصادر الى نظارة الحرية وقد أجاب ناظم باشا عليه قائلا ان الفيلق الثالث أجاب بأنه لا يمكن أخذ جند فوق ما أخذ قبل من قوى فوق الفيلق وان المسألة انحسرت بتدأير أخرى بلا حاجة إلى إرسال الجند الى يانيا

بقي علي أن اشرح بعض قطفي مسألة رغبتنا في إعادة الحكم الاستبدادي فاقول: إني عند ما كنت صدرا أعظم للمرة الثانية قبل ١٤ سنة وجدت تغيرا عظيما في أصول الادارة ورأيت أن نتيجة شكل الادارة على هذا النمط سيكون وبالاعلى الدولة. فرفعت في الحال تقريرا مفصلا الى الحضرة السلطانية وطلبت من جلالها أن تسلم الادارة لهيئة عمومية تكون مسئولة أمام العموم وأن تستريح من عناء الاعمال قبلت الحضرة السلطانية كل ما عرضته وصدرت الارادة السنية بتأليف الوزارة

حسبما ورد في التقرير الآنف الذكر . ولكن لم يحض يومان الا وهما فصلي بصورة
غريبة من الصدارة بناء على افساد بعض المقرين الذين يرجحون منافهم الشخصية
على صواخ الوطن والامة وعينت واليا على حلب بقرار من مجلس الوكلاء (النظار)
ثم نفيت الى ازمير فبقيت هناك ١٢ سنة وأنا اذوق الامر من الفسدة الذين سلطوا
علي عن قصد . وفي النهاية صدر الامر بنفي الى رودس حسب تسويات
اصحاب المآرب

كل هذا يعرفه الجمهور كما يعرف كيفية خلاص من النفي المؤبد الاخير الى
رودس وحضوري الى الاستانة . ولو فدى اخلاقي قليلا من مصالحهم في سبيل
صالح الوطن وساروا على الطريق الوطني الذي سرت عليه أنا لما دامت الادارة
السابقة ودام معها تخريب البلاد

وأما اتهام ناظم باشا بمي بانه يريد اعادة الحكم الاستبدادي فيكفي لدحض
ما قيل فيه أن أقول إن الرجل نفي الى ارزنجان لسبب طفيف بعد أن جرد من
رتبه وألقاه وأقي في غيابة السجن وقضي على هذا الحال سبع سنوات هناك وهو لا
يملك بارة واحدة وعائلته واولاده يئنون تحت أفعال الجوع والفقر ولم يعد الى الاستانة
الا بعد اعلان الدستور مما ثبت أن ما أشيع في حقنا نحن الاثنين كذب
واقترأ شنيع

اني لم أقبل منصب الصدارة الذي استندته الحضرة السلطانية إلي وأنا في هذا
السن عقب اعلان الدستور وفي زمن سخط الرأي العام على الادارة السابقة وتهيجه
الا لهدئة الافكار التي بلغت متهى الهيج والقيام بما يجب علي حسب الحمية الوطنية
من المساعدة على تأسيس الحكم الدستوري مستعينا على ذلك بتوقيعات الله الصديانة
ولم يكن لي ارب في حيازة المناصب قط . واني أتمنى لأخلافي أن يودوا الخدمات
النافعة للوطن المقدس والامة والدولة وهم يعمدون عن كل تأثير ونفوذ واختم كلامي
بتحويل قرار عدم الثقة بي الصادر من مجلس المبعوثان وتقديره على الرأي العام العادل
الصدر الاعظم السابق

الدستور وجمعية الاتحاد والترقي

﴿ وسائر الجمعيات ﴾

أعلن الدستور العثماني منذ بضعة أشهر ففتحنا له مع الهاشميين ، ورحبنا به مع المرحيين ، وهما به سرورا وشغفا ، وملأنا ديار مصر وسورية مقالات فيه وخطبا ، ولكن سرورنا به لم يكن سالما من كل شائبة ، ورجاءنا فيه لم يكن خلوا من كل عفاة ، فقد أودعنا المقالة الأولى التي أنشأناها في الأسبوع الأول من اعلان الدستور ترحيبا به هذه الجمل (راجع ص ۱۱۴م)

۱ - « فالواجب على هذه الجمعيات المدبرة ، والقوى المنفذة ، ان تكفل الدستور الذي نالته الامة حتى تأمن عليه من دسائس اعوان الاستبداد ، الذين قاموا بتنظيم حكومة الجواسيس أعظم قيام ، وأول عمل يجب عليها هو السعي لإبعاد اعوان الاستبداد عن دار السلطة - لاعن دار السلطان قط - ومحاكمة من يمكن ان يسترد منهم العدل ، ما وهبهم الجور والظلم ، وتشكيل وزارة حرة تقوم بأعباء السلطة ، وتنتقي الولاة والمتصرفين والقضاة ورؤساء العدلية من اختيار الأحرار ، الذين يرجى ان تصلح بهم الادارة ويستقيم القضاء ، ويحفظ الامن ، ويستقر العدل ، لتندفع الامة الى الاعمال النافعة في ظل الدستور الظليل ، ثم العناية بأمر انتخاب النواب الخ ... »

۲ - « إذا نحن كفيئا شر المستبددين الاولين ، وفتنا وزارة من الاحرار المستقلين ، فالواجب علينا ان قف عند هذا الحد من المطالب في العاصمة وأن تعود السيوف إلى أعقادها ، وتنصرف الضباط الى سابق شأنها ، مع احكام الروابط الخفية ، بينها وبين الجمعيات السياسية ، ويتوجه الاحرار الى إصلاح حال المملكة ، بجميع الوسائل الممكنة ، والحذر والحذر ، من عواقب نشوة الظفر ، الحذر الحذر بجميع الوسائل الممكنة (المارچ ۳) (۳۰) (المجلد الثاني عشر)

من إهانة شخص السلطان ، والتسليق إلى عرشه بالبغي والعدوان ، فإدام السلطان مستويا على عرشه فهو رئيس الأمة ومرجع سلطتها ، ومنفذ قوانينها وشريعتها ، والوزارة هي الوساطة بينها وبينه ، فاعتداء المروء على الرئيس بإدلال القوة ، دون القانون والشرعية ، مجلبة للقوضى ومدعاة للخلل ، ويخشى في مثل الحال التي نحن فيها ان يفضي إلى الخطر ، الخ

٣ - « ان افضل ما تفاخر به الآن هو اننا نلنا الدستور من غير اوراقه للدماء ولا إلقاءه للبلاد في فوضى الثورة ، ولا غير ذلك مما يذم ويكره ، فيجب أن نحافظ على هذه الفضيلة ، وان لا ترتكب في طلب الفرع ، ما عصمت الله في طلب الاصل ، عسى ان يكون تاريخنا في هذا الطور انظف من تاريخ جيراننا فيه »

٤ - « إن اماننا عقبات كثيرة منها ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمون بها شغفا ، ومنها ما هو اقرب الى الوقوع كالتزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتحصنين والمقلدين ، ومنهم ماسة تكون الجنسية العثمانية ، وما يقع في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، »

٥ - « الحق أقول : إنه لا يخشى علينا من سلب الحرية ، وإنما يخشى علينا من سوء استعمال الحرية ، ومن الجهل بطرق المحافظة على الحرية ، : يخشى أن تدفع الحمية بعض الاحرار الظافرين ، الى مثل عمل المستبدين ، وان تهبط العبودية الموروثة بكثير من الجاهلين ، الى ان يكونوا عونا على انفسهم للحكام الظالمين . » هذا بعض ما كتبناه في حال السرور باعلان الدستور في الاسبوع الأول من لإعلانه وقد وقع جميع ما توقعناه وخفناه

اخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها كفالة الدستور وحفظه فألفت لها لجانا واحداث لها شعبا في جميع بلاد السلطنة ، وأبعدت أعوان السلطان عنه وسعت في محاربة بعض المعروفين بالظلم منهم ، وتدخلت في انتقاء الحكام والعمال وانتخاب البعوثين اتدبت للقيام بكل ما قلنا انه لازم واجب - لا لائنا قلنا بل لائنا تعلم ما علمنا - ولكنها لم تحسن العمل في كل ما تشبثت فيه سرورنا بعملها

سافروا الى الديار السورية وزرنا أهم مدن الولاياتين ورأينا تصرف جمعية الاتحاد والترقي فيها وما كان من عمل «اللجنة» المرخصة التي أرسلتها من سلاطنتك . قرأنا خلا وخلا وسوء تصرف كنا نعتد عنه لتأقبن عليها ، حتى انه لم يوجد لها من دافع عنها كما دافعت ، وليس تفصيل تصرفها في سورية من موضوع هذا المقال الذي وضع ليان الحال العامة .

ثم عدنا الى هذه البلاد التي يعرف من فيها ما لا يتيسر عرفانه لمن في سورية . فسمعنا ممن كانوا في الاستانة من العثمانيين الاحرار ومن غيرهم أمورا متقدمة فوق ما كنا نعلم بل رأينا أكثر العثمانيين لاسيما الترك متغيرين عليها . واننا نذكر مجموع ما ينتقده عليها الناس في مصر وسورية في موضوع مطالبنا التي اشرنا اليها آنفا وهو (١) ان سلوك الجمعية مع أعوان الاستبداد لم يكن سلوك من يريد القضاء على الاستبداد بإزالة نفوذ أهله وإخضاعهم للدستور بل سلوك من اغتم الفرصة للاستفادة منهم فقد كانت تأخذ المبالغ الكبيرة منهم وتدفعهم وشأنهم او تضمهم اليها وقد حدثت التقات من أهل الشام ان اللجنة المرخصة التي ذهبت لاجل التحقيق في الحادثة التي جرت لي في آخر شهر رمضان قد أخذت مبلغا عظيما من النفود باسم الاعانة للجمعية من رؤساء الفتنة وزعماء الاستبداد الذين بلغ من جنونهم في محاربة الدستور أنهم تحدثوا بنصب خليفة في الشام يأمرونه ويقاومون به الحكومة الدستورية (٢) انها لم تحسن في انتقاء العمال والحكام قد ساعدت كثيرين من أعوان الاستبداد حتى على الترتي في الوظائف وأهملت شأن كثير من الاحرار والمجريين . وقد كان اكبر رجاء لي في حكومتنا الجديدة الانصاف في اختيار الموظفين من الاكفاء لاسيما المجريين في مثل مصر . وينهمون الجمعية بأنها كانت تبيع الوظائف العالية بالمال ، والله أعلم بحقيقة الحال ،

(٣) انها جعلت هم لجنتها في جميع البلاد النفوذ في الحكومة لا مجرد المراقبة عليها لتلا تخرج عن التوازن ولا مساعدتها على حفظ الأمن الذي اختل بعد إعلان الدستور في جميع الولايات كل ولاية بحسب درجتها في الاخلاق وحال الاجتماع (٤) — إنها لم تحسن الانتقاء والاختيار في تأليف شعبها ولجنتها فأدخات فيها كثيرا

من المتقهرين أو الرجعيين وعادت آخرين . وظهر في بعض لجنتها التعصب للجنس التركي حتي كانه يكون الاعضاء من الترك هم أصحاب الشأن ومن معهم من غيرهم كالآلات . وقد سمعت كثيرا من الشكوى في ذلك فكنت أدافع بالتي هي أحسن (٥) حمل الضباط في جميع البلاد على الاشتغال بالسياسة وجعل نفوذهم هو

الأعلى في لجان الجمعية وهذا خطر على الدولة كان يجب التشديد في منعه ، والاكتفاء بأن يكون بين الجمعية وبين الضباط صلة خفية كما قلنا وانصراف كل الى عمله : الضباط الى العمل العسكري المحض الذي لا شائبة فيه للسياسة والجمعية لمراقبة سير الدستور من غير مشاركة للضباط في ذلك . فان ظهرت قوة تسعى لإلغاء الدستور وإبطال مجلس الامة أو الاستبداد والظلم جاز حينئذ استجداد الجمعية بالضباط لمقاومة ذلك . وانه لا يختلف عاقلان من علماء الاجتماع في وجوب منع الضباط من الاشتغال بالسياسة والادارة حتى اذا أبوا أخرجوا من الجيش وفي كون الجند الذي يدخل في الثورة يكون خطرا على الامة فاذالم يتيسر استصلاحه حالاً وجب إخراجهم من الجندية أو قتله (٦) نصرهما مع السلطان . انتقد عليها شيء منه لا نحب الخوض فيه ولكننا نقول إن الذين يرون ان السلطان هو روح الحركة التي وجهت في هذه الايام الى اسقاط الجمعية يقولون لولا أنها أخرجته لما كان شيء من ذلك

(٧) سيرتها في حمل الناس على انتخاب المبعوثين : رأيت بعيني بعض ذلك في طرابلس الشام وقد كنت أدافع عن الجمعية بقدر الامكان لئلا تشتد الفتنة ويستشري الفساد .

(٨) طريقة تأييد نفوذ الجمعية في « مجلس المبعوثان » بما كاد يكون مهددا لساير الاعضاء سائبا لاستقلالهم

(٩) اتهمت الجمعية أيضا بالتعصب للجنسية التركية . ويقولون عنها أمورا كثيرة في ذلك وهو أخوف ما نخافه على مستقبل الدولة وربما شرحنا ذلك في مقال خاص (١٠) العبث باستقلال الوزارة بحيث كانت الجمعية مافعة من وجود وزارة

مستقلة مسئولة امام مجلس الامة وحده عن عملها (١١) الجمل بمدواة الشعور الديني في الامة قد أظهر بعض أعضائها

المشهورين أمورا منكرة في نظر الدين جعات لاعدائها مجالا واسعا للتنبير منها. وقد اعترفت هي اليوم بهذا التقصير

(١٢) ظهورها بمظهر السلطة المستبدة غير المسؤولة حتى صرت تسمع من العثماني الحر والمتقهر ومن الاجنبي المتطرف والمعتدل هذه الكلمة التي اذاعتها الجرائد: ان جمعية الاتحاد والترقي قد أزالَت استبداد المايين وأدالت منه استبدادها هي . وتفرع عن هذه الكلمة كلام كثير منه قول الكثيرين ان استبداد السلطان ابن السلطان ابن السلطان أهون علينا من استبداد أوشاب من الناس لا يُعرفون فان السلطان أشرف منهم والذل له أقل عارا من الذل لهم وإرضاء أسهل من إرضائهم لانه شخص واحد يمكن ان يعرف ما يرضيه ولا يعرف ما يرضي هؤلاء الكثيرين

هذا مجمل ما خطر في بالنا الآن من أقوال الناس في جمعية الاتحاد والترقي بعد ذلك الاجماع على الثناء عليها في أول العهد باعلان الدستور فهل يعقل ان يكون كله كذبا واختراعا من الجماهير المتفرقين في ولايات وممالك كثيرة ؟ وإلا فما سبب شيوعه والهيج به في البلاد والممالك ؟

لم يحصل بعد الدستور شيء من السلطة بمحمد الا هدوء الاستانة وحسن السير في حل مشكلتي البوسنة والبلغارية كان الفضل الاكبر في ذلك لكامل باشا ولكن الجمعية لم تلبث ان اسقطت كملا من كرمي الصدارة وغبرت وزارته لانه كان معارضا لتفويضها الفعلي في الحكومة فانقداسا ور باهذا العمل وعدوه استبداد امن الجمعية في الحكومة وقال بمثل قولهم كثيرون في الدولة لانهم لم يصدقوا انه كان مضادا للدستور كما ادعت ثم قتل حسن بك فعمي رئيس محرر جريدة ميربسي غلبة فهم السواد الاعظم في الاستانة وغيرها ان الجمعية هي التي اغتالته لانه كان يعتقد أنه لها قانسد السخط عليها وانفجر بركانه وكان بعض أعضاء الجمعية اقترح في مجلس الامة تقييد حرية المطبوعات ونشر في أثناء ذلك مذبذب كامل باشا الذي بن فيه سبب سخط الجمعية لوزارته وما كان من شأنه وتأنها قبل ذلك ولم تحسن الجمعية التصرف في شأن حادثة قتل حسن فعمي الذي عذقتا للحرية الشخصية واستقلال الفكر فثارت الاستانة على الجمعية وكان وزراء الشريعة دفع حسن لث قويم فسقطت وزارة حسن لث

وزارة الجمعية بعد ان اُهيّن لمروره بمركته من حيث تشيع الجزاءة وعدم حضورها تبعاً لزعما الجمعية الذين لم يحضروها . وفر أعضاء الجمعية هارين من الاستانة وقتل كثيرون من البراءة وجرح آخرون ودمرت اندية الجمعية وادارات بعض جرائدها واستحوذ الرعب على أهل العاصمة وخافوا من سوء العاقبة

سواء صح ما قيل في الجمعية كله أم صح بعضه فان حسنتها التي لا ينافيها فيها أحد هي انها هي التي أخذت الدستور باليمين فلا تنهب بالشمال فهي أحرص على حفظه وبقائه من جميع العثمانيين . وهو الآن كالطفل يحتاج إلى تربية وكفالة ، وله أعداء فيحتاج الى دفاع وحماية ، فاذا قيل إن الحكومة المسئولة ومجلس الأمة يقومان بتربيته ، فهل يستطيع أحد ان ينكر اختصاص الجمعية بالقدرة على كفالة ، وهل جأته هذه القدرة إلا من الجيش ؟

إذاً لا بد من بقاء الجمعية ولا بد من بقاء صلتها بالجيش ولكن لا يجوز بحال أن تتدخل في أعمال الحكومة ولا ان تعبت بحرية المجلس ولا ان تدع ضباط الجيش يشغلون بالسياسة ولا ان تقاوم من يخالفها في الرأي بالقوة ولا حاجة بها الى ذلك في حماية الدستور ولكن قد يشبه رجال من الجمعية لأنه من تمتع القادر المنصور لا يوجد في البلاد قوة يمكن ان تقف في طريق الجمعية إلا قوة السلطان في العاصمة وقوة عصابات الاشقياء في بعض الولايات فاما العصابات فيمكن تذليلها بالقوة ولو بعد حين وأما السلطان فانه بنفوذه المعنوي المصبوغ بلون الدين وبأعوانه الكثيرين وبماله الكثير وبدهائه العظيم يمكنه في كل وقت ان يعمل عملاً كبيراً فهو أخوف ما يخاف على الدستور اذا لم يخلص له وللناس فيه رأيان أحدهما ان إزالته من امام الدستور ضرورية فان خطره دائم بدوامه . وثانيهما انه يمكن ان يؤمن خطره بأمواد ترضيه كلها ترجع الى ان يرى ما صار اليه خيراً مما كان فيه من انهم سلكوا بتأمينه على نفسه ومنصبه وتحمي جرحه وانه يؤمن بإبعاد رحته الممانين عن نفسه . ولكن الجمعية جرحته جروحاً فاعارة وأخرجت من قصره الخرس الحزين . ويظن ان حياته متوقفة عليه فهل تطيب لها بعد ذلك نفسه ، وهل يظن ان

أم لا بد له من الكيد لها ، والسعي للانتقام منها ؟

الجمعية المحمدية

واقفنا انباء الاستانة وأنا في سورية بأنه قد ظهر فيها جمعية جديدة سُميت بالجمعية المحمدية غرضها المطالبة بالحكم بالشريعة وتطبيق القوانين عليها فاجدتها مرتاحا لهذا النبأ على اني قد وقفت نفسي على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والتوفيق بين أحكامها ومصالح البشري في كل طور من أطوارهم مما اوقعت وما ذاك الا لاني خفت أن يكون الغرض الباطن منها محاربة الدستور باسم الدين، كما كان نفسي لم تكن مرتاحة للجمعية الاخاء العربي - وأنا من صميم العرب - لاني خشيت ان تكون مفرقة بين العرب والترك ومحركة للعصية الجنسية التي أخاف على الدولة شرها وكنت أصرح برأيي بذلك في كل محفل ومقام

سأني الأمير شبيب أرسلان عن رأيي في الجمعية المحمدية ونحن في ملا بادي الاتحاد العثماني يبروت قهلت إن خوفي منها غالب على رجائي فيها فان كانت تطالب مجلس الأمة بأن يأخذوا قوانين الدولة كلها من كتب الحنفية بالشروط المعتمدة عندهم في الفتوى فهذا حرج عظيم وما أظن ان مؤسسيها في درجة من الارتقاء يطلبون فيها المحافظة على أصول الاسلام الثابتة من الكتاب والسنة والاكتفاء بعدم الخروج بالقوانين عنها بل لا أرى انهم يرضون بذلك وانني أقول انه ليس في ديننا شيء ينافي المدينة الحاضرة المتفق على نفعها عند الامم المرحية الا بعض مسائل الربا وانني مستعد للتوفيق بين الاسلام الحقيقي وكل ما يحتاج اليه العثمانيون لترقية دولتهم بما جربه الافرنج قبلهم وغير ذلك ولكن بشرط ان لا ألزم مذهباً من المذاهب بل القرآن والسنة الصحيحة. وأرجو أن يكون ذلك مقبولا عند جميع العناصر العثمانية الا المقلدين المتعمسين لذهابهم من المسلمين. فأورد علي بعض الحاضرين مسألة الشهادة فأجبت بما أقنعه واقنع غيره من الحاضرين

وقع ما كنا نخاف وأكثروا فظهر ان هذه الجمعية هي التي قامت بالفتنة الحاضرة في الاستانة حتى انها استماتت اليها العسكر الذي جاءت به جمعية الاتحاد والترقي من سلاطيك لتحافظ به على الدستور، وعسكر الاسطول أيضا، ولا غرو فاسم الدين تقدر ان تستميل جميع عسكر الدولة ان هي أدلت بخراطيمها اليه. وتفيد أخبار الاستانة أن

قائدها في هذه الفتنة هو مراد بك الداغستاني الشهير الذي كان من زعماء جمية الاتحاد والترقي من بضع عشرة سنة فخانها مع الخائنين وسلم أوراقها للسلطان ورضي بأن يقاضي منه مالا على ذلك بعد ان كان من أشد المبالين في الطعن فيه والتعريض عليه . وبعد الاقلاب طلب ان يدخل في الجمعية لما رأى من نفوذها (وهو كالدنيا مع القائم) فأبى عليه فحاول الانتقام منها وإحباط عملها فكذا يكون الرجال المصلحون !!

جمية الاحرار

كان جميع طلاب الاصلاح من العثمانيين يقرون بالاحرار ثم تألف حزب في الاستانة سمي بحزب الاحرار وصار له جمعية خاصة به والمشهور ان هذا الحزب على رأي صباح الدين افندي سبط آل عثمان الشهير فيما يعبر عنه بعدم المركزية كما نوهنا بذلك من قبل فهو حزب سياسي لا خطر منه ان كان ظاهره وباطنه سواء وان كانت ولايات الدولة غير مستعدة الآن لأن تكون على رأيه برمته وكما في أوروبا من حزب يدعو الى رأيه سنين طويلة ولا يضر الامة مخافته لرأي السواد الاعظم ولسائر الاحزاب فيها ولكن جمعية الاتحاد والترقي تشتد في مقاومة هذا الحزب حتى إنها اتهمت بقتل محرر جريدة سر بستي كما علمت وذلك غلو كان من أسباب الفتنة الحاضرة . و هو قد اتهم أيضا بالسعي في إسقاطها ومن الناس من يتهم بعض رجاله بمقاومة الدستور ومالنا ولأنهم قعداتهم احمدا رضا بك بمشايعة السلطان على هدم الدستور أيضا

الثورة العسكرية والفن الداخلية

بعد كتابة ما تقدم علمنا ان شيطان الاستبداد تمكن من احداث ثورة عسكرية في الاستانة غرضها الظاهر إبادة جمعية الاتحاد والترقي ويخشى ان يكون الباطن محو الدستور وإعادة الاستبداد الماضي على ان اسقاطها يعيده بالطبع . وقد فر رجال الجمعية من الاستانة ولجأوا الى مركز قوتهم في سلايك ثم زحفوا بجيشهم على الاستانة ليحكموا السيف والمدفع في الأمر ، فنسأل الله لهم التوفيق والنصر ، وان يحفظ الدولة من الخطر وقد ولدت الثورة بالعاصمة فتنة في ولاية اطنه فحب الترك للذبح الأرمن وهو عمل تبرأ الاسلام منه ومن فاعليه ، ولكنه لا يسلم معه من طعن الامر فيه ، فبهمجية هؤلاء الاقوام ، صار المسلمون حجة على الاسلام

المسحاة

١٣١٥

بوتى الحكمة من يتشاور من بيت الحكمة هذا وتوفي
غيرا كثيرا وما يدكر الا اولو الالباب

بغير هادى الذين يستمعون القول فينبهون احسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر - الاربعاء ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ - ١٩ مايو (ايار) سنة ١٢٨٥ ١٩٠٩م)

فَتَاوَى الْمُنْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشركين خاصة ، اذ لا يحس الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعداً ما تمنا خيراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعاً لاجتناب غير مشترك لثقل هذا ، ولن يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا على صحيح لا نقاله

﴿ اسئلة من جاوه ﴾

(س ١٣ — ١٦) من صاحب الامضاء في مالاغ (جاوه)

نؤمن من فضلكم مع الله الوجود بوجودكم وأفاض من بحر علومكم وجودكم
أن تعيدونا عن حكم الله ورسوله في تكاح الرجل المسلم المرأة غير المسلمة هل
يجوز أم لا اذا وعده باسلامها بعد عقد النكاح كما هو جار عندنا لاسيما من الصينيات فهل
يجوز له المجهوم على نكاحها وهي على دين قومها أم لا في إسلامها بعد وهل تستثنى من غير
المسلمات الكتابيات ومن هن الكتابيات فهل الافرنج اليوم على اختلاف مذاهبهم
في النصرانية وعقائدهم وتبديلهم يعدون كتابيين ؟ تفضلوا يا سيدي افيدونا بحكم الله تعالى
في هذه المسألة فهي وان كانت واضحة لديكم فهي لدينا من المضلات فلا نتملأوها
واخوتها لوضوحها لديكم ولعله قد سبق كلام فيها فالأمر الاعداد لثم الافادة فنحن
في قلق حتى يند البنا جوابكم الشريف لأن السؤال من الوقائع الحالية عندنا اه
ونسألهم أيضاً أطال الله بقاءكم عن اجاع علماء الهيئة في هذا العصر على كوروية
الارض ودورانها حول نفسها وغيرها إثني يا سيدي لم كد أهم التوفيق بين هذا الاجماع

وبين قول الله سبحانه في قصة ذي القرنين «حتى إذا بلغ مغرب الشمس سوحي» إذا بلغ مطلع الشمس» وأين يكون المطلع والمغرب إذا كان هناك للأرض كروية ودروان؟ وإذا قلنا ان المطلع والمغرب هنا بحسب رأى العين لنا فإنا ننتلج الصدر بهذا لأن المطلع إذا كان بنسبة رأى العين لنا فهو بالنسبة لقوم آخرين هناك يسمى مغربا وكذلك المغرب كيف هذا والاخبار للصوم من غير نسبة لقوم دون آخرين وكروية الأرض أغلبها تمنع ان يكون للشمس مطلع أو مغرب في نخل مخصوص تفضلوا ينونا لابنكم المخرج من هذا الاشكال لأنني ياسيدي لسوء فهمي وسقم قريحتي حاولت التوفيق بينهما بنفسي ولم أظفر به وكثيرا ما حصل الخوض بين جماعة عندنا في هذه المسئلة وما استطاعوا الخروج من ربكة الاشكال وكلمهم وأشاروا على الحقير برفع هذا السؤال لحضرتكم والمأمول ان يجيروا خاطرنا بالافادة مع الله بكم آمين اه

ونسألكم لازتم سراجا للبهتدين عن الحضور في معرض ادارة الصور المتحركة لتفزع عليها هل هناك في الشرع الشريف ما يحظر علينا ذلك تفضلوا ينونا لنا حكم الله سبحانه فان عثرتم على ما يندرتنا بين يدي الباري جل وعز في حضورها ينوه لنا وما الاصل فيها التحريم أم الحل ينونا الجميع لنا على صفحات مناركم اه

ونسألكم لا برحمتي ملجأ لحل المضلات في الخبر المبلغ بواسطة البرق هل يعتبر به عندنا في الشرع كالصلاة على الغائب المبلغ خبره بواسطة البرق وما يترتب على ذلك في الامور الشرعية كالهلال في الصوم أو الافطار هل يجوز الاخذ بذلك تفضلوا وضخوا لنا الجميع ولكم من الله جزيل الاجر ودمتم محمد بن هاشم بن طاهر

﴿ أجوبة المنار ﴾

زواج المسلم بغير المسلمة وهل الاوريون نصارى

ذهب بعض السلف الى انه لا يجوز للمسلم ان يتزوج بغير المسلمة مطلقا ولكن الجمهور من السلف واختلف على حل الزواج بالكثائية وحرمة الزواج بالمشرقة ويريدون من الكثائية اليهودية والنصرانية واحل بعضهم الجوسية أيضا والمشرقة

الوثنية مطلقاً بل عدواً جميع الناس وثنيين ماعدا اليهود والنصارى ومن الناس من قال أنهم من المشركين ولكن التحقيق أنهم لا يطلق عليهم لقب المشركين لأن القرآن عند ما يذكر أهل الأديان بعد المشركين أو الذين أشركوا صنفاً وأهل الكتاب صنفاً آخر يعطف أحدهما على الآخر والعطف يقتضي المقارنة كما هو مقرر. وكذا الجحوس في قول وسياقي يان ذلك

والذي كان يتبادر إلى الذهن من مفهوم لفظ المشركين في عصر التنزيل مشركو العرب إذ لم يكن لهم كتاب ولا شبهة كتاب بل كانوا أميين

والأصل في الخلاف في المسألة آيتان في القرآن أحدهما في سورة البقرة وهي قوله تعالى (٢: ٢٢١) ولا تتكفروا بالمشركين حتى يؤمنوا الآية الثانية في المائدة وهي قوله عز وجل (٥: ٥) اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وقد زعم من حرم التزويج بالكتابيات أن هذه الآية منسوخة بذلك وردوه بأن سورة المائدة نزلت بعد سورة البقرة وليس فيها منسوخ فإن فرضاً أن أهل الكتاب يدخلون في عداد المشركين يجب أن تكون آية المائدة مخصصة لآية البقرة مستثنية أهل الكتاب من عمومها والألف في نص مستقل في جواز التزويج بنسائهم

وقد سكت القرآن عن النص الصريح في حكم التزويج بغير المشركات والكتابيات من أهل الملل الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب كالجحوس والصابئين ومثلهم البوذيين والبراهمة واتباع كوفو شيبوس في الصين وقد علمت أن علماءنا الذين حرص بعضهم على إدخال أهل الكتاب في عداد المشركين لا يترددون في إدخال هؤلاء كلهم في عموم المشركين وإن ورد في الكتاب والسنة ما هو صريح في التفرقة والمغايرة. فكما غير القرآن بين المشركين وأهل الكتاب خاصة في مثل قوله (٩٨: ١) لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) وقوله (٣: ١٨٦) ولتسمن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) وذكر أهل الكتاب بقسمهم في معرض المغايرة في قوله (٥: ٨٢) لنجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولنجدن

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) الآية كذلك ذكر الصابئين
والمجوس وعدم صنفين غير أهل الكتاب والمشركون والمسلمين قال في سورة
الحج (٢٢ : ١٧) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) فهذا
العصف في مقام تعداد أهل الملل يقتضي ان يكون كل من الصابئين والمجوس
طائفتين مستقلتين ليسوا من الصنف الذي يبرعه الكتاب بالمشركون وبالذين
أشركوا . وذلك ان كلاما من الصابئين والمجوس عندهم كتب يعتمدون انها إلهية
ولكن بعد الهدى وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لا ولا يمدأن يكون من جأوا بها من
المسلمين لأن الله تعالى يقول (٣٥ : ٢٤) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن
من أمة إلا خلا فيها نذير) وقل (١٣ : ٧) إنا أنت منسذر ولكل قوم هاد)
وإنا قويت فيهم الوثنية بعد الهدى بأنبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى
(٥٧ : ١٧) ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا
يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد قصت قلوبهم وكبر منهم
فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ودخول نزغات
الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم في كتاب الله على المشركين وعدم صنفا
آخر كما ان فسق الكثيرين من المسلمين عن هداية القرآن ودخول نزغات الوثنية
في عقائدهم لا يخرجهم من الصنف الذين يطلق عليه لفظ المسلمين ولفظ المؤمنين
وإن كانوا هم الذين يعينهم الخطباء على المنابر بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه »
و يطبق العلماء عليهم حديث الصحيحين « لتبعن سنن من قبلكم شيئا بشيرا وذيلا
بذرا » قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قل « فن » وبهذا يرد قول من حاولوا
ادخال أهل الكتاب في المشركين ونحوهم الزوج بنسائهم مستلدين بقوله تعالى
بعد ذكر اتخاذهم آجارهم ودهانهم أربابا من دون الله (٩ : ٣١) سبحانه وتعالى عما
يشركون) فان لإطلاق اللقب على صنف من أصناف الناس لا يقتضي مشاركة
صنف آخر له فيه إن أسند إليه مثل فعله كما بيناه في تفسير آية (٢ : ٢٢١) ولا
تنكحوا المشركات) لاسما اذا كان الفعل الذي أسند الى الصنف الآخر ليس

هو اخص صفاته وليس عاماشاملا لافراده كاتخاذ أهل الكتاب احبارهم ورهبانهم
أربابا يقعونهم فيما يحلون لم ويحرمون عليهم فان وصفهم الاخص اتباع الكتاب
وان كثيرين منهم يخالفون رؤسائهم في التحليل والتحرير ومنهم الموحدون
كأصحاب آريوس عند النصارى وقد كثر في هذا الزمان فيهم الموحدون القائلون
بعبوة المسيح بسبب الحرية في أوربا وأمريكا وكانوا قولا باضطهاد الكنيسة لم
والظاهر ان القرآن ذكر من أهل الملل القديمة الصابئين والمجوس ولم يذكر
البراهمة والبوذيين وأتباع كنفو شبوس لأن الصابئين والمجوس كانوا معروفين عند
العرب الذين خوطبوا بالقرآن أولا لجاورتهم لم في العراق والبحرين ولم يكونوا
يرحلون إلى الهند واليابان والصين فيعرفوا الآخرين والمقصود من الآية حاصل
بذكر من ذكر من الملل المعروفة فلاحاجة إلى الإغراب بذكر من لا يعرفه المخاطبون
في عصر التنزيل من أهل الملل الأخرى ولا يخفى على المخاطبين بعد ذلك ان
الله يفصل بين البراهمة والبوذيين وغيرهم أيضا

ومن المعلوم ان القرآن صرح بقبول الجزية من أهل الكتاب ولم يذكر أنها
تؤخذ من غيرهم فكان النبي (ص) والخلفاء (رض) لا يقبلونها من مشركي العرب
وقبلوها من المجوس في البحرين وهدر وبلاد فارس كما في الصحيحين وغيرها
من كتب الحديث . وقد روى أخذ النبي الجزية من مجوس هجر أحمد والبخاري
وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن عوف انه شهد لعمر
بذلك عند ما استشار الصحابة فيه . وروى مالك والشافعي عنه أنه قال: أشهد لسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وفي سنده
اقطاع واستدل به صاحب المنتقى وغيره على أنهم لا يمدون أهل كتاب وليس
بقوي فان إطلاق كلمة « أهل الكتاب » على طائفتين من الناس لتحقق أصل
كتبها وزيادة خصائصها لا تقتضي انه ليس في العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم
بأن الله بحث في كل أمة رسلاً مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط كما ان إطلاق لقب « العلماء » على طائفة معينة من الناس لها مزايا
مخصوصة لا يقتضي انحصار العلم فيهم وسلبه عن غيرهم

وقد ورد في روايات أخرى التصريح بأنهم كانوا أهل كتاب قال في نيل الأوطار عند قول صاحب المتن: واستدل بقوله سنة أهل الكتاب على أنهم ليسوا أهل كتاب. مانصه: لكن روى الشافعي وعبد الرزاق وغيرهما بإسناد حسن عن علي بن كان المجوس أهل كتاب يدرسونه وعلم قراءونه فشرب أميرهم الخمر فوقع على أخته فلما أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم وقال إن آدم كان ينكح أولاده بناته فأطاعوه وقتل من خلفه فأسرى على كتابهم وعلى ما في قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء، وروى عبد بن حميد في تفسير سورة البروج بإسناد صحيح عن ابن أبيزى، لاهزم المسلمون أهل فارس قال عمر اجتمعوا (أي قال للصحابه اجتمعوا للشاوره كما هي السنة المتبعة والفریضة اللازمة) فقال إن المجوس ليسوا أهل كتاب فنضم عليهم الجزية ولا من عبدة الاوثان فنجري عليهم أحكامهم. قال علي بن مريم أهل كتاب. فذكر نحوه لكن قال فوقم على ابنته وقال في آخره فوضع الاخدود لمن خلفه. فهذا حجة من قال كان لهم كتاب. وأما قول ابن بطلال لو كان لهم كتاب ورفع حكمه ولما استثنى حل ذبائحهم ونكاح نسائهم فالجواب أن الاستثناء وقع تبعا للأثر الوارد لأن في ذلك شبهة تقتضي حق الدم بخلاف النكاح فإنه يحتاط له. وقال ابن المنذر ليس نجس نجس نجس نجس وذبايحهم متفقا عليه ولكن الأكثر من أهل العلم عليه اهـ

إذا علمت هذا تبين لك أن العلماء لم يجمعوا على أن لفظ المشركين والذين أشركوا يتناول جميع الذين كفروا بديننا ولم يدخلوا في ديننا ولا جميع من عد اليهود والنصارى منهم فهذا قول صحيح في المجوس ومنه تعلم أن للاجتهاد مجالا لجعل لفظ المشركين والمشركون والقرآن خاصا بوثني العرب وأن يقاس عليهم من ليس لهم كتاب ولا شبهة كتاب يقر بهم من الاسلام، كما أن أهل الكتاب فيه خاص باليهود والنصارى ويقاس عليهم من عديم كتب لا يعرف أصلها ولكنها تقر بهم من الاسلام بما فيها من الآداب والشرائع كالمجوس وغيرهم ممن على شاكلتهم وقد صرح قتادة من مفسري السلف بأن المراد بالمشركون والمشركين في الآية العرب كما سيأتي وعلى هذا لا يكون قوله تعالى «ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا» نصا قاطعا

في تحريم نكاح الصينيات الذي أكثر منه المسلمون في الصين وانتقل الاقداء بهم فيه الى جواهر او كاد. وقد كان ذلك من اسباب انتشار الاسلام في الصين. ولا أدري مبلغ أثره في ذلك عندكم وبغني كونه نصا قاطعا في ذلك لا يكون استحلاله كفرا وخروجا من الاسلام والاساغ لنا ان نحكم بكفر من لا يحصى من مسلمي الصين. هذا وان المشهور عند العلماء ان الأصل في النكاح الحرمة وان كان الأصل في سائر الاشياء الاباحة وعلى هذا لا بد من النص في الحل ويمكن ان يقال اذا لم قل بأن هذا يدخل في القاعدة العامة بأن الأصل الاباحة في كل شيء حتى يرد النص بحظره فاننا نرد الأمر الى الكتاب العزيز فنسمه يقول بعد النهي عن نكاح أزواج الآباء (٤: ٢٣) حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم أو اخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ، ان الله كان غفورا رحيما (٢٤) والمحصات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين (الآية

فقول على أصولهم ان قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » لا يخلو ان يكون قد نزل بعد ما جاء في البقرة من النهي عن نكاح المشركات وفي سورة النور من تحريم نكاح المشركة والزانية أو قبله ، فان كان نزل بعده صح أن يكون ناسخا له وان كان نزل قبله يكون تحريم نكاح المشركة والزانية مستثنى من عموم « وأحل لكم ما وراء ذلكم » بطريق التخصيص سواء سمي نسخا ام لا كما يستثنى منه ما ورد في الحديث من منع الجمع بين البنت وعمتها قياسا على تحريم الجمع بين الاختين أو إلحاقا به وجعل ما يحرم من الرضاع كالذي يحرم من النسب على القول المشهور في الاصول بمجواز تخصيص القرآن بالسنة على ان الجمهور أحلوا الزوج بالزانية. وعلى كل حال يكون نكاح الكتابيات ومن في حكمهن (كالمجوسيات عند من قال

(المنار ج ٤ م ١٢) حل التزوج بالمجوسية والاشتباه في مثل البوذية ٢٦٧

بذلك كما نقل الحافظ ابن المنذر) داخلا في عموم نص « وأحل لكم ما وراء ذلكم »
وأكد حل نكاح الكتايات في سورة المائدة التي نزلت بعد ما تقدم كله
وخلاصة ما تقدم ان نكاح الكتايات جائز لا وجه لمنعه ونكاح المشركات
محرم وكون لفظ المشركات عاما لجميع الوثنيات او خاصا بمشركات العرب
محل اجتهد وخلاف بين علماء الساف . قال ابن جرير في تفسيره (ولا تنكحوا
المشركات) : « وقال آخرون بل انزلت هذه الآية مرادا بمشركات العرب
لم ينسخ منها شيء » وروى ذلك عن قتادة من عدة طرق وعن سعيد ابن جبير
ولكن هذا قال « مشركات أهل الاوثان » ولم يمنع ذلك ابن جرير من عدة قائل
بأنها خاصة بمشركات العرب . ثم قال بعد ذكر سائر روايات الخلاف « وأولى هذه
الاقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أنه تعالى ذكره عنى بقوله « ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن » من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات وان الآية
عام فآمرها خاص باطنها لم ينسخ منها شيء ، وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات
فيها » الخ ما اطال به في بيان حل نكاح الكتايات

هذا ما يظهر بالبحث في الدليل ولكتنا لم نطلع على قول صريح لأحد من العلماء
في حل التزوج بما عدا الكتايات والمجوسيات من غير المسلمين قد صرح بحل
المجوسية الإمام أبو ثور صاحب الامام الشافعي الذي تفقه به حتى صار مجتهدا
وصرحوا بأن تفردة لا بعد وجها في مذهب الشافعي . فالشافعية لا يديحون نكاح
المجوسية فضلا عن الوثنية الصينية

ولا يأتي في هذا المقام قول بعض أهل الاصول ان النهي لا يقتضي البطان
في العقود والمعاملات وهو مذهب الحنفية فانهم استثنوا منه النكاح وعلموا ذلك بأنه
عقد موضوع للحل فلما انفصل عنه ما وضم له بالني المتقضي الحرمة كان اطلاق الخلاف
البيع لأن وضعه لمالك لا الحل بدليل مشروعته في موضع الحرمة كالأمة المجوسية
فلذلك كان النهي عن شيء منه غير مقتضى اطلاق العقد . فلا يقال عندهم ان
نكاح الصينية يقع صحيحا وإن كان محرما

وأما البحث في المنع من حكمة التمسك به فقد نرى تعالى ذلك في آية النهي

٢٦٨ الفرق بين مشركي العرب وغيرهم في نظر الاسلام (المطروح ٤ م ١٢)

عن التناسخ بين المؤمنين والمشركين في آية البقرة بقوله (أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) وقد وضعنا ذلك في تفسير الآية وبيننا الفرق بين المشرك والكفاية فيه فيراجع في الجزء الثاني من التفسير (من ص ٣٥٧-٣٦١) ومنه ان أهل الكتاب لكونهم اقرب الى المؤمنين شرعت موادتهم لانهم بمعاشرتنا ومعرفة حقيقة الاسلام منا بالتخلق والعمل يظهر لهم ان ديننا هو عين دينهم مع مزيد بيان واصلاح يقتضيه ترفي البشر وإزالة بدع وأوهام دخلت عليهم من باب الدين وما هي من الدين في شيء . واما المشركون فلا صلة بين ديننا ودينهم قط . ولذلك دخل أهل الكتاب في الاسلام مختارين بعد ما انتشر بينهم وعرفوا حقيقته ولوقبلت الجزية من مشركي العرب كما قبلت من أهل الكتاب لما دخلوا في الاسلام كافة ولما قامت لهذا الدين قائمة . ومن الفرق بينهما في القرب من الاسلام أو الدعوة الى النار ان أهل الكتاب لم يكونوا يهذبون من يقدرون عليه من المسلمين ليرجع عن دينه كما كان يفعل مشركو العرب

ثم ان للاسلام سياسة خاصة في العرب وبلادهم وهي ان تكون جزيرة العرب حرم الاسلام المحمي وقلبه الذي تندفق منه مادة الحياة الى جميع الاطراف وموئله الذي يرجع اليه عند تألب الاعداء عليه ولذلك لم يقبل من مشركي جزيرة العرب الجزية حتى لا يبقى فيها مشرك بل أوصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يبقى فيها دينان كما بينا ذلك في الفتوى الرابعة المنشورة في الجزء الثاني (ص ٩٧) من هذا المجلد وتدل عليه الاحاديث الواردة في كون الاسلام يارز في المستقبل الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها . وهذا يؤيد تفسير قتادة المشركين والمشركات في الآية واذا كان الازدواج بين المسلمين والمشركين ينافي هذه السياسة التي هي الاصل الاصيل في انتشار الاسلام وكان تزوج المسلمين بالصينيات مدعاة لدخولهن في الاسلام كما هو حاصل في بلاد الصين فلا يكون تطليل الآية للحرمة صادقا عليهن وكيف يعطى الضد حكم الضد

وقد حذرنا في التفسير من التزوج بالكفاية اذ خشي أن تجذب المرأة الرجل الى دينها عليها وجمالها وجهه وضمف أجلاقه كما يحصل كثيرا في هذا الزمان في

في تزوج بعض ضعاء المسلمين بعض الأوريات او غيرهن من الكتاتيات
فيقتنون بهن وسد التدبئة واجب في الاسلام

كروية الارض ومطلع الشمس

مطلع الشمس المكان الذي تطلع منه ومنورها المكان الذي تغرب فيه وهو
يختلف باختلاف المواقع لكروية الارض اذ لو كانت سطحا هندسيا لما حصل هذا
الاختلاف في المطالع والمغرب . ويعبر كل قوم عن مشرقهم ومغربهم بحسب ما
يرون وان خالفوا فيه غيرهم فيقول بعضهم ان الشمس تطلع من جبل كذا
وتغرب في البحر وبعضهم غير ذلك . واذا رحل أحدهم الى أقصى ذلك
المكان من جهة المشرق يقول قد وصلت الى مطلع الشمس . وقد تتعارف
امم كثيرة تختلف مواقع بلادهم ومشارقتها ومغاربها على تسمية قطعة من الأرض
بالمشرق وقطعة بالمغرب مع ان ما يسمونه مشرقا يكون مغربا قوم آخرين
وما يسمونه مغربا يكون مشرقا قوم آخرين كما سميت بلاد مراکش
بالمغرب الأقصى حتى ان أهل امريكا يسمونهم بذلك وان كانت في جهة
المشرق منهم . ومثل ذلك التمييز عن بلاد الدولة العلية مثلا بالشرق
الأدنى وعن بلاد الصين بالشرق الأقصى . ويطلق الافرنج لفظ الشرق على قارتي
آسية وافريقية مع ان بعض بلاد افريقية هي في جهة المغرب من بعض بلادهم

فاذا أريد بمطلع الشمس ومغربها في قصة ذي القرنين ما كان يسمى في بلاده
مطلعا ومغربا صح ذلك واذا فرضنا انه كان لهم عرف في المطلع والمغرب كبعض
العرف المشهور الآن صح ذلك . والاظهر ان المراد بالمطلع والمغرب في قصته
أقصى المشرق وأقصى المغرب الذي تيسر الوصول اليه بأسباب السياحة والسفر
التي كانت في عصره وبالنسبة إلى بلاده فكان في سياحته كالذين يحاولون الآن
اكتشاف القطبين الشمالي والجنوبي

هذا وان لاشكال الذي هو محل الوقفة عندهم يرد على استعمال لفظ مطلع
او مشرق ومغرب مطلقا كما أشرتم الى ذلك فاذا كنتم لا تميزون استعمال هذه

الانفاظ الا في حقيقة لا تختلف باختلاف البلاد قد خطأتم جميع البشر في عرضهم واصطلاحهم وانخطب سهل والمراد ظاهر ولا مشاحة في الاصطلاح

الصور المتحركة

لا ترى وجها للسؤال عن حل رؤية هذه الصور أو حرمتها فلا يصل الحل . إننا نسمع ان أحدا من علماء المسلمين قال ان النظر الى الصور محرم ولا وجه لجبل الحركة سببا للحرمة . ويظهر لنا من هذا السؤال انكم لستم جاهلين لا بإباحة رؤية هذه الصور ولكن عندكم أناسا متعطلين يحبون التحكم والاشراف على المسلمين بالأمر والنهي من سماء الدين فيحلون ويحرمون بغير علم وما جراً أمثال هؤلاء في المسلمين على تحكمهم حتى ضيقوا عليهم دائرة دينهم الواسعة الا التقليد الأعمى ويزعم هؤلاء المعمون المتقادرون ان الاجتهاد هو الذي يضيع على العامة دينهم ويكثر الذين يتحكمون في شئ يعينهم والأمر بالعكس فان الذي لا يقبل منه القول الا بالدليل لا يستطيع أن يتحكم ولا أن يعيب كالذي يقبل قوله بلا دليل يدعوى ان طلب الدليل نزوع الى الاجتهاد المنوع

الاخبار البرقية

هذه الاخبار التي تبلغ بالآلات الكهربائية التي يبرعها بما ذكر وبالتلغرافات هي قلبية الاداء فكل من تلقى بخبره اذا كلمك بلسانه تلقى بخبره الذي يبلغه بالبرق لا يتردد في هذا أحد في العالم المستعمل فيه التلغراف ومتى صدق الناس الخبر تبعه العمل بما ينترب عليه من الاحكام الشرعية لاسباب اذا كان من جهة رسمية يطرد صدق برقياتها وكيف تعذيب نفس المسلم ان يفطر في تهاويله في ليله خبر برقي بروية هلال رمضان فصدقه تصديقاتا مالا شبهة فيه ولا احتمال (وراجع المبحث في ص ٦٩٧م ٧)

﴿ أسئلة من الجبل الأسود ﴾

(من ١٧ - ٢٠) من ح . ح . في نقشيك

ما قولكم دام فضلكم ونفع المسلمين بعلومكم

فيه من الخطاب بالبرية في أرض الترك ثم يترجم بعض أفاظ الخطبة باللسان

(المار ج ٤ م ١٢) ترجمة الخطبة بالتركية - التكير عند تشييع الحجاج ٢٧١

التركي ليفهمها الحاضرون لانهم لا يفهمون إلا باللسان التركي ولا سيما بعض الاحكام اللازمة كهدنة القطر مثلا فهل يمنع من هذه الترجمة المذكورة وادخال الالفاظ التركية خلال الخطبة .

وفيمن بقي الناس بجواز الجهر بالتكير في الاسواق عند تشييع الحجاج في سفرهم الى الحج من بلادهم مع ما يترتب على الجهر المذكور من المفساد التي منها امتهان الاسم الشريف في محل القاذورات وذلك مناف للعظيم ومنها انه يكون سبياً لاجتماع النساء والرجال ومنها ضحك الكفار واستهزاؤهم بذلك الذكر الشريف فيكون سبياً لهذا الاستهزاء وربما وقعت الفتنة بين القيليين بسبب ذلك وهل الهامة المسنونة يلزم فيها تغطية جميع الرأس حتى لا يبقى من القلنسوة شيء أم السنة هو الوجه المعتاد عند أهل الحرمين وغيرهم من استدارتها على الرأس وترك أعلا القلنسوة من غير تغطية

وهل الاعلان بموت الميت على المابر بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله جائز أم مكروه؟ اقتونا مأجورين

• أجوبة المنار •

ترجمة الخطبة بالانجليزية

لا يمنع الخطيب في مثل الحالة المسؤول عنها من ترجمة أحكام الخطبة لأف الضرورة تلجئ الى ذلك مادام المسلمون مقصرين في تعلم لغة دينهم والا كانت الخطبة عند أولئك الترك وامنالم من الاعاجم رسا صوريا لا يحصل به الفائدة المقصودة من الخطبة وبعض الاعاجم يحتاط فيترجم الخطبة ويشرحها بعد صلاة الجمعة وبلغني انهم يفعلون ذلك في الصين

التكير عند تشييع الحجاج

التكير عند تشييع الحجاج ليس مطلوباً شرعاً ولا يمنع اذا لم يتخذ شعاعاً دينياً ولم يترتب عليه مفسدة فان اخذه قوم شعاعاً دينياً يرون انه لا بد منه شرعاً وترتبت عليه مفسدة منع منه ولو كان مطلوباً شرعاً كما يطلب في الايام المعلومات لما صح ان

يكون من موانه اجتماع النساء والرجال ولا ضحك الكفار (٢٩: ٨٦) ان الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وما إذا مروا بهم يتغامزون) والامتحان لا يتحقق الا في نحو الحانات أو الكنف وما بعد في العرف العام لإهانة

واما الفتنة ويعني بها السائل فيما يظهر التخاصم الذي ربما يؤدي الى الضرب أو القتل فهي محل النظر لاني موضوع السؤال بل في شعار الدين الثابتة كالإذان والصلاة والتكبير في الميدان كان الكفار يؤذون المسلمين قيامهم بشعار الاسلام وفروضة وجب على المسلمين مقاومتهم ولو بالقتال إن قدروا فان لم يقدروا قاتلهم وضعفهم وجبت عليهم الهجرة من دار الكفر والتعصب الى حيث يكونون في أمان وحرية في دينهم . وقد زدنا هذه الفائدة في الفتوى عملا بالسنة من جواب السائل باكثر مما سأل عنه عند الحاجة الى ذلك

العامة السنوية

العامة (بكسر العين) هي كما قال بعضهم كل ما يعقد على الرأس سواء كان تحت المغفر او فوقه او لا يشد على القلنسوة او غيرها
وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبس العامة فوق القلنسوة تارة ويلبسها بفير قلنسوة تارة أخرى كما لبس القلنسوة بشير عمامة وفي حديث عمرو بن حريث في صحيح مسلم قال « رأيت رسول الله (ص) على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفيها بين كتفيه » وفي حديث جابر عند مسلم ايضا انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، ولم يذكر انه كانت لها ذؤابة بين كتفيه قال ابن القيم فدل على ان الذؤابة لم يكن يرخيها دائما . وكان يلحى بالعامة تحت الخنك أحيانا ومن فوائده انه يمنع السقوط . وبحصل الغرض من لبسها بأية كيفية كانت وورد في العامة عدة روايات ضعيفة وأهية . وهي من العادات لامن أمور الدين ولكنها زي المسلمين الاولين ومفيدة في حفظ الرأس من الحر

اعلان الموت على المئارة

هذا العمل بدعة لم يأذن بها الله تعالى ولا مضت بها سنة رسول الله عليه وآله وسلم . وانما نقول انه بدعة اذا أتى به على انه مطلوب ديناً بهذه الصفة اي جملة

في مكان اداء شعيرة الأذان وقرنه بأذكار مخصوصة . أما الإعلام بالموت لأجل ان يسمى من يعلمون به الى تهيؤ الميت وتشيعه ودفنه والصلاة عليه فذلك مشروع وان ورد في بعض الاحاديث النهي عن النعي وهو في اللغة الاعلام بالموت وإذاعته فالمراد به نعي الجاهلية . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري إنما نعي عما كان أهل الجاهلية يصنعونه وكانوا يرسلون من يعلن بخبر موت الميت على الدور والأسواق . ومن ذلك انهم كانوا يرسلون راجبا فيقول « فناء فلان » ويطلق النعي على اخذ التأثر قد كانوا اذا نموا القتل يحرضون على التأثره . وقال ابن الأثير ان النعي الاعلام بالموت والندب . وقال ابو بكر العربي يؤخذ من مجموع الاحاديث ثلاث حالات (الاولى) إعلام الاهل والاصحاب واهل الصلاح فهذا سنة (الثانية) الدعوة للمعاصرة بالكثرة فهذا مكروه (الثالثة) الاعلام بنوع آخر كالتباحة ونحو ذلك فهذا يجرم اه قتل ذلك عنه الشوكاني وقال بعده وبعد قول أخرى فالحصل ان الاعلام للفصل والتكفين والصلاة والحمل والدفن مخصوص من عموم النعي لأن إعلام من لا تم هذه الامور الا به مما وقع الاجماع على فعله في زمن النبوة وما بعده وما جاوز هذا القدر فهو داخل تحت عموم النعي اه فعلى هذا يكون الاعلام المسؤول عنه منها عنه فأقل حالاته ان يكون مكروها . وعندني انه يباح للناس ان يعلموا من لا يتولون ماذكر من الاعمال ولوللتباهي بكثرة المشيعين والمعزين بشرط ان لا يجعلوا ذلك من الدين

❦ الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر ❦

ارسل الينا السؤال الآتي من بعض البلاد العربية لنعرضه على علماء الازهر فأتى فيه من اطلم عليه بما ترى في الجواب وهذا نص السؤال

❦ بسم الله الرحمن الرحيم ❦

ما قول العلماء الاعلام السادة الكرام في قوم عوام يجتمعون وينشدون الاشعار بالالخان المحدثه والنمات المطربة ويصفقون بالسبح ويمتليون بتكسر وثن هل (المجلد الثاني عشر) (٣٥) (المترج ٤)

فصلهم جائز أيضا وإذا قلنا بكرهه ذلك في أحد المذاهب الاربعة هل يجوز للانسان التقليد ليرقص مثلهم . وما الحكم في مذهب الامام مالك بالرقص إذا كان بتكرس وثمن كرقص الخنثين هل هو حرام أو مكروه فقط أفيدونا بالجواب الشافي لاختل منكم الديار في جميع الاقطار

الجواب

الحمد لله أما بعد فقد سئل الطرسوسي رحمه الله في مثل ذلك فقال مذهب الصوفية ان هذا بطالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وستة رسوله صلى الله عليه وسلم . ان الرقص والتواجد أحدثها أصحاب السامري لما اتخذهم عجلًا جسدها له خوار فأتوا يرقصون حوله ويتواجدون ، والرقص دين الكفار وعباد العجل ، فينبغي للسultan ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يمينهم على طلبهم . وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم . قال العلامة ابن حجر الشافعي هذا هو الحق وغيره هو الباطل وان الرقص بتكرس أو ثمن حرام على الرجال والنساء وقال العز بن عبد السلام اما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يضلها الا أرعن أو متصنع جاهل ان الشريعة لم ترد بها في كتاب ولا سنة ولا فعل ذلك أحد من الانبياء . وإنما يفعله الجاهل السفلاء . الذين التبت عليهم الحقائق بالاهواء . وأما نشيد الاشعار بتلك الالحان المحدثه والنغمات المطربة فهو حرام لا يفعله إلا أهل الفسق والضلال . ان هذا من الفناء المنهي عنه . قال القرطبي في نحوه اتفق الامام مالك بالحرمة وهو مذهب أهل المدينة والنخعي والشافعي وسفيان الثوري وأبي حنيفة وأهل الكوفة . ولكل من الشافعي وأحمد قول بمثل ذلك ونص على الحرمة الامام الرافعي في التشرح الكبير والنووي في الروضة . وقال الامام الاذري اني أرجح تحريم النغمات المنحنة وسماها . قال عليه الصلاة والسلام ان افتناء ينبت التفاف في القلب كما ينبت الماء البقل . وقال أبو العباس القرطبي الفناء لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم . ولا فعل بحضرته ولا اعتي بمن يفعله

فليس ذلك من سيرته ولا سيرة خلفائه من بعده ولا من سيرة أصحابه ولا عثرته ولا هو من شريته . بل هو من المحدثات التي هي بدعة وضلالة وقد يتعالم عن ذلك من غلب عليه الهوى . قال عليه الصلاة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ — وان رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الفناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ثم توعدته ان عاد اليه بالضرب الوجع وحلق رأسه ثم شلأ به تعزيرا وبالفني عن أهله وياحلال سلبه لفتيان المدينة . ثم قال عنه وعن أمثاله هؤلاء العصاة . ثم توعدهم بأن من مات منهم بفسير توبة حشره الله يوم القيامة كما كان في الدنيا مختار عريانا كلما قام صرع . ومن أدلة التحريم قوله تعالى «واستغزز من استغلمت منهم بصوتك» . فسره مجاهد بالفناء والمزامر . ومنها قوله تعالى «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون» أي ممنون على لغة حمير كما قال عكرمة وابن عباس . وقال مجاهد هو الفناء بلغة أهل اليمن . من هذا كله تعلم ان المذاهب كلها على تحريم ما يصنع أمثال هؤلاء وان فعلهم هذا ممقوت عند الله وعند العلماء والعقلاء . وان مجلسهم مجلس الشيطان لا مجلس الرحمن . ولا يجوز افشاء السلام عليهم لأن بينهم وبين الشريعة حرا باعوانا والمحارب لاسلام ولا أمان له . فترك السلام خوف ان يقتلوا انهم محقون مكرمون مرضي عنهم . واذا كان الأمر كذلك فكيف يقلدهم في هذه الأباطيل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر كاتبه

عبد الفتى محمود المالكي بالأزهر حسين والي الشافعي المدرس بالأزهر

العمل المذكور بالسؤال غير مشروع عند الحنفية

كاتبه

عبد الباقي المغربي الحنفى المدرس بالأزهر

(المنار) هذا التشديد في الفناء خاص بمن يفعله على انه عبادة ودين كعوض التصوفة وكذا شدد فيه بعضهم مطلقا وقد فصلنا القول فيه تفصيلا في الجزئين الأولين من المجلد التاسع وخبر الذي استأذن الرسول بالفناء لا يصح وانما ذكره تقوية للتفسير

احدى الكبر* وكبرى العبر

خلع عبد الحميد خان • نفيه من دار
السعادة • وضعه تحت المراقبة العسكرية • ضبط
امواله و ذخائره وعقاره • اباحت يلكز للامته • توليت
مولانا السلطان محمد الخامس

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ،

وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ

تَشَاءُ، يَدُوكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ •

(سورة آل عمران ٣ : ٢٦)

جلت قدرة الله ونفذت مشيئته ، وغلب قدره وعلت كلمته ، جل الايام
دولا ، وجعل للدول نواميس وسنناً ، فلا يبدل لسنة ، ولا يحول لنواميس خلقه ،
فلا يفرئك إملأؤه للظالمين ، واستدراجة للفسدين ، ١٤٥ : ٤٢ إنما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الأبصار ٤٣ مهطعين مقنعي رهوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم
هواء ، وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب

لا ينفع من قدره حذر ، ولا ينفذ من محيط سنته سلطان البشر ، فلا يهولك
ما ترى من رسوخ الاستبداد ، ولا يؤنسك ما تشاهد من غلبة الاستعباد ، ولا
يفزعك ما ترى من الحصون والاجناد ، قد مضت سنة الله بأن الشيء إذا جاوز
حدّه ، جاور ضده ، وإن شدة الضغط توجب شدة الانفجار ، وإن الاعمال بالظواهر ،

٧٨:٧٨ والعاقبة للتيين » ، ١٣٥ : ٢٥ والذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لم اللفنة ولم سوء الدار ألا وإن مشيئة الله في إتياء الملك ونزعه ، وخفض الملك ورفعها ، واعتزاز السلطان وإذلاله ، ليست مشيئة استبدادية ، مقيرة لسنة الاجتماعية ، وإنما جعل لكل شيء سبباً ، ولكل أمر مقادير وسنن ، فإما من أمة تفرقت كلمتها ، وغلب عليها الجهل بحقوقها ، واعتقاد وجوب القدس لأمرائها وملوكها ، وكثر فيها المنافقون ، وقتل فيها الصادقون ، إلا وباتليت بالمستبدن ، وميتت بالفالين ، يسومونها سوء العذاب ، ويقطعون بها الأسباب ، فإما كلون الأموال ، ويستذلون الرجال ، ويعملون الخرائر إماء ، ليشتموا بالملث من النساء ، ويبشون بالشرية والقانون ، ويعجون على الأخلاق والآداب ، فيذلون أمتهم ، ويضعفون دولتهم ، فإذا استيقظت الأمة من سباتها ، واجتمعت بعد شتاتها ، وعرفت حقوقها ، وغيّرت ما بأنفسها من قدس السلاطين ، وأرادت أن تجعل الحكم فيها للشرية والقوانين ، فإن الله يغير ما بها من النذل والعبودية ، فتستبدل بها العز والحرية ، من حيث يذل ظالمها ، ويهلك مذلها ، ١٣ : ١١ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ، بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

لقد صدقنا الله وعده ووعدده ، وأرانا بأعيننا مصداق كتابه ، فهذا عبد الحميد خان وأعوانه ، وقرناؤه وخصيانه ، وجواريه وغلانته ، قد بقوا في الأرض ، وتركوا السنة والفرض ، وعطلوا الشرية والقوانين ، واستبدوا بجميع العثمانيين ، وجمعوا القناطير المقطرة من الأموال ، وحشدوا لحايتهم الألوف المؤلفة من الرجال ، وأقاموا حولهم المعاقل والحصون ، ليمنعوا أنفسهم أن يصل عليها المظلومون ، ٥٩ : ٢ وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأناهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار

نعم ان في ذلك لكبرى العبر ، لمن يعقل ويتدبر ، ٧٤ : ٣٢ كلا واقمر ٣٣ والليل إذا دبر ٣٤ والصبح إذا أسفر ٣٥ إنها لإحدى الكبر ٣٦ نذيراً للبشر ٣٧ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ، فقد أدبر ليل الظلم والاستبداد ،

وأُسفر صبح الدستور فيزين الإصلاح والإفساد ، وذهب النفي وجاء «الرشاد» ، وكانت هذه الحركة العنانية إحدى الكبر ، نذيراً للستبين من البشر ، تعلمهم انه لا ينفع حذر من قدر ، كما تعلم من شاء أن يتقدم أو يتأخر من الامم ، كيف يكون السير في الطريق الأمم ، وانما مدار التقدم والتأخر على العدل والاستبداد ، ورسوخ جنود احدى الكلمتين في البلاد ، ١٤٥ : ٢٤ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ٢٥ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ٢٦ ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء ، لقد ذهبت هذه العبرة بأعذار اليائسين من رَوْح الله ، وتعلات القانطين من رحمة الله ، الذين يتركون العمل ، ويتفثون ظلال الكسل ، إذا غلقت في وجوههم الابواب ، ونقطعت بهم الأسباب ، جهلا بناية الله بالإنسان ، وسنته في نظام الأكوان ، فها نحن أولاء قد رأينا عبد الحميد خان قد غلق جميع الأبواب التي تصور التوصل منها الى خلع ، وقطم جميع الاسباب التي يتخيل انها تقضي الى أخذه ، حتى أنه منع الاجتماع والجمعات ، وحجر حتى على كثير من الألقاظ والاصطلاحات ، فأبطل من المحاكم الشرعية لفظ الحجر والجنون ، وان يحكم بالحجر على مجنون ، ومنع لفظ المحالعة والخلع (١) ، منها وما يطبع من كتب الشرع ، لأنه يذكر بلفظ الخلع ، (بالفتح) كما أبطل من جميع المطبوعات ، امثال هذه الكلمات ، عبد الحميد . سلطان (الاعتد ذكره) امراد . رشاد . ثورة . حرية . جمعية ، مبعوثان الخلع وكان لمرأى الجرائد في ذلك من الأمر والنهي ، والاثبات والنحو ، ما يضحك التكل ، ويكي اليائس الذي جأته البشرية ، وأمر بحذف دعا القنوت من كتب التعليم ، وكلمة خلق النعيلين مما يطبع من

(١) الخلع بالغيم الطلاق بعوض . وقد رفع الى محكمة التمييز لإعلام بحكم شرعي في مخالفة فردته الى المحكمة الابتدائية لاجل تصحيحه بحذف كلمة خلع منه . وقد نهت على ذلك بالارقام تقولها (مثلا) يجب تغيير الكلمة الرابعة من السطر الثاني والعاشرة من السطر الثالث وهلم جرا

كئب الفقه والءاءء؁ لئلا بمأرأله فف البال؁ عءء ذكرأله الال؁ او فبق الى فهم الاللمف او المصلف؁ ان كلمة ء وئأله من فءأرك ء فف القنوء ءوبأ أله الفأار من السلاطف؁ هكأا رأفاه قء ائق كل شف؁ الا الله؁ ء ٨١:٢٨ فما كان له من فة فئصروه من ءون الله ء ٣: ٢٧٠ و١٩٢:٣ وما للظالمف من أنصار .

عز علف ان فسلب بالءسور والمأرة؁ ما كان فئأله من صفاء الربوفا؁ ككونه بمأه ما فشاء وفعل ما فرفء؁ لاراء لاأره؁ ولا مقب لأكمه؁ ولا أءوء لاأره ونهف؁ فمأ على السراء والضراء؁ ء ٢٣:٢١ لا فئسلل عما ففعل وهم فئسلون ء بفطف وئعم؁ وفضر وئفع؁ وفصل وفقط؁ وفرفق وئمأ؁ وفئأض وفرفع؁ فسلب من فشاء ما شاء؁ وفأئل من اراءمف اراد؁ وفعمء من فكر؁ وفقرب من فمأ؁ فرأف بعء الءسور أن أمر الشرفمة والءسور فوق أمره؁ وان ففر ذأفة الانأاء والترف فوق نفوءه؁ وان الالسة والاقلام الفف كانت مكرهه على ترتفل آفء إطرئه ترتفلا؁ والئسفف بمأه بكره وأصفلا؁ صاءت نسمف أعماله ووقائع فصره باسمفها؁ بعء ان كانت فعلق علفما أسماء أضءاءها؁ اذ كانت نسمف الظلم عءلاً؁ والنقص فضلاً؁ والأهل علماً؁ والسفاهه ألهاً؁ والباطل أها؁ والكأب صءقا؁ والأفساء لإصلاأاً؁ والئفسر فلاأا؁ والئأرفب عرانا؁ والاساءة لإأسانا؁ الفف ففر ذلك .

راءه ان فكون بشرا فوصف بصفاء البشر؁ وان فكون رعبفه من أفسه لا من الفئم والبقر؁ فضاأ بهذا الءسور صءرا؁ وعأز عن مبارزفه أهرأ؁ فلأأ الى الكفء والائأفال؁ وفأع ما اءأره لمثل هذا الفوم من كنوز الاموال؁ فلف بها الأمة المأمءفة؁ وبث ءعاها فف العاصة وأمع الولافاء العثمانفة؁ فففقو: فوسوسون لمامه المسلمف؁ ان الءسور مف للءفن؁ وان أمة الاتحاد؁ فرفءبث الالفل والإلأاء؁ وئأوفل المأكمه الاسلامفة؁ الى مأكمه أورفة؁ بفوا فئهم فف الففش فئقوه فصففن؁ وءبروا مكفءة لا فقااع المذابأ بفن العئصرفن؁ (المسلمفن والنصارف) ء ١٤: ٤٦ وقد مآروا مكرمهم وعء الله مكرمهم وإن كان مكرمهم لئزول منه الببال؁ أما لو فقت الواقعة؁ وقراء الءولة هذه الفقاعة؁ لئأئت الأرض رجا؁

وبسّست البلاد بساً (١) فكانت هباء منبثاً (٢) ولكن لطف الله بهذه الأمة، وأراد انتقاذ هذه الدولة، فانتهك السر، وانكشف السر، وظهرت بوارد الثورة على الدستور في القسطنطينية، قبل أن تصل دعايتها إلى جميع الولايات العثمانية، فقتل الآثرون بعض أعضاء مجلس النواب، ودمروا على نادي جمعية الاتحاد، فبروا ماعلوا تثيراً، وكادوا يدمرون المعاهد تدميراً، فأرّز (٣) أهل التدبير إلى سلاطنتك وهي مصدر الدستور، ومطلع هذا النور، واستصرخوا ذلك الجيش المنصور، فلباهم سليل الفاروق، مبادراً إلى فتح فروق، والقضاء الأخير على الاستبداد، واصطلام آخر جرثومة له في البلاد، والتكيل بما له من الأحزاب والأفصار، (١٠:١٣) سواء منهم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (٤) عباً (محمود) الأمة، و(شوكة) الملة، تلك الكتائب الشعواء، وهي كالقضاء المنزل من السماء، فكان هومنها كما قال شوقي من قبل في مدح جيش عبد الحميد تبعاً للمدح

يقود سراياها ويحمي لواءها	سيد المراتي في الحروب محارب
يحمي بها حيناً ويرجع مرة	كما تدفع اللجج البحار وتجذب
ويرمي بها كالبحر من كل جانب	فكل خيس لجة تنضرب
وينفذها من كل شعب قتلتي	كما يتلاق العارض المتشعب
ويجمل ميثاقاً لها تنبهي له	كما دار يلقى عقرب السير عقرب
ففلت عيون الحرب حيرى لما ترى	نواظر ما تأتي الليوث وتغرب
تبالغ بالرامي وتزهو بما رمى	وتعجب بالقواد والجند أعجب

(١) أي خربت فكانت أجزاء مفتتة، أوسق أهلها كما تساق الفم (٢) الهباء الفبار والمنبث المنذر المتفرق (٣) أي اجتمعوا وانضم بعضهم إلى بعض كذا فسر الاصمعي الكلمة في الحديث - وفي اللسان أرّز (كجلس) قبض وتجمع وثبت، ويقال أرّز إلى المكان إذا كان مأمناً ومنعته (٤) أي ويقال لم سواء منكم أيها الغلّاجون على الدستور من أسرّ القول للجنود وغيرهم بالحث على الفتنة ومن جهر به الخ، والسارب الظاهر البارز كأولئك الجنود المصاة

أو كما قال اليوم يخاطب هذا الجيش متخراً بعمله في أخذ عبد الحميد وخلعه

يا أيها الجيش الذي لا بالدعي ولا الفخور
 يخفى فان ريع الحى لفت البرية بالظهور
 كاليت يسرف في الفضا ل وليس يسرف في الزنبر
 الخاطب العليا بالاً أرواح غالية المهور
 عند الميدين ماجرى في الحق من دمك الطهور
 يتلو الزمان صحيفة غراء مذهبة السطور
 في مدح «أنورك» الجري «وفي» نيازيك «الجسور»
 «ياشوك» الاسلام بل يافنح البلد الصبر
 وابن الأكارم من بني «عمر» الكريم على «البشير»
 القابضين على الصل ل كجدم وعلى الصرير
 هل كانت جدك في ردا فك يوم زحفك والكروود
 قصص صياد الاسو د وصدت قنص القسود
 وأخذت «يلدز» عنوة وملكت عقاء الثغور

نم كز الفاروقى بحيشه وعيون الأمم الاجنبية شاخصة اليه ، وقلوب الشعوب
 العثمانية محومة عليه ، وزحف على الآستانه ، مصوبا مدفعه ممثقا حسامه ، فلقته
 جنود عبد الحميد ، وكانت الحرب كالسيل يقذف جلودا بجلود ، فتل الاخ دم
 أخيه ، وخرق القريب صدر قريه ، فكانت جنودا كما قال البحرى

إذا اشتجرت يوما ففاضت دماؤها تذكرت اقربى ففاضت دموعها
 ولكن شان ما بين الباعين ، وما أبعد ما بين الداعيتين ، ففريق ينصر الملة
 بنصر الشورى والدستور ، ويحمي الأمة بحماية مجلس المبعوثين ، وفريق ينصر الاستبداد
 بنصر ذلك الشبح البال ، والمسرف العال ، والمخون العال ، (٣ : ١٣) والله يؤيد
 بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .

أيد الله الحق على الباطل ، ومكن جند الدستور من تلك الحصون والمعاقل ،
 (المارچ ٤) (٣٦) (المجلد الثاني عشر)

حتى كأن قائده يحمل سيف جده عمر ، الذي كتب الله له النصر والفخر ، فكان هو الفاروق الفاضل ، بين العدل والظلم والحق والباطل ، وقد أعجب أهل الحرب في أوربا بسرعة حركته ، وحسن تعبته ، كما أعجب أهل السياسة بإحكامه للنظام ، وحفظه للأمن ، وفرح العثمانيون بنصر الله الدستور على الاستبداد ، وحكم الشورى على حكم الأفراد ، ٤٠ : ٥١ إننا لتنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم العقبة ولم سوء الدار ،

سقطت ديلندز ذات الحصون المشيدة ، والملاجئ المتعددة ، بعد أن حاصرها جيش الدستور ، وقطع عنها الزاد والماء والنور ، وفيها أربعة آلاف من النساء والفتيان ، والخصيان والأعوان ، والحرس الداخلي والحجاب ، والغلم والكاتب ، والسواس والحوزية ، والأربيين والبستاني ، كانوا يأكلون كل يوم ما تشبهه الانفس من اصناف الألوان ، ويتمتعون بما احبوا من نبات الحان ومعتقدات الدنان ، وقد استعد عبد الحميد فيها لكل شيء الا الحصار فانه لم يكن في الحساب ، وسبحان من لا يشغله شأن عن شأن ، أراد ان يجعلها كجنة الخلد ، فاذا هي في يوم الحصار دون جنة آدم في الأرض ، قد قال الله لا آدم (١١٨ : ٢٠) ان لك ان لا تجوع فيها ولا تفرى ١١٩ وانك لا تنظما فيها ولا تضحي (وقد جاع وظمى في جنة عبد الحميد حتى الغادات ، وصار من فيها كالسواثم يقتاتون بورق الثبات ، ثم ذاقوا يلندز طعم الجوع ، بعد ان كانت مئات الموائد توزع من فضلاتها على الجموع ، وتجميع الألوف من الجنود وغير الجنود ، وذاقوا لباس الخوف والرعب ، بعد ان كانت تخيف بهيم الشعب ، فصارت عبرة للمعتبرين . ومثلا للآخرين . ١٦ : ١١٢ ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأتبها رزقها وغدا من كل مكان فكفرت بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ،

ولما ضيق عليها الحصار ارتفع الصراخ والعريل ، من قال فيهن شاعر النيل

أين الاوانس في ذراها من ملائكة وحور

المرعات من النعم الراويات من السرود

العارات من الدلال الناهضات من النورود

الآمرات على الولاة	الناهيات على « الصدور »
الناعمات الطيات	العرف أمثال الزهور
الذاهلات عن الزمان	بنشوة العيش النضير
المشرقات وما اتقلن	على الممالك والبحور
من كل « بلقيس » على	كرسي عزتها الوثير
أمضى نفوذاً من « زيدة »	في الامارة والامير
بين الرقارف والمشا	رف والزخارف والحريز
في مسكن فوق السمك	وفوق غارات المفير
بين المعازل واقنا	واخليل والجسم النفير
سموه « يلدن » والافو	ل نهاية « النجم » المنير
دارت عليهن الدوائر	في الخادع والحدود
أسين في رق القليل	وبتن في أسر العشير
ما يتنهين من الصلا	ة ضراعة ومن النذور
يطلبن نعمة ربهن	وربهن بلا نصير

ولماذا صار ربهن عبد الحميد بلا نصير ، ولا ولي ولا ظهير ، الجواب من سورة الشورى التي كان يقرأها (٤٢ : ٨) وانظروا ما لهم من ولي ولا نصير) ومنها (٣٠) وما أصابكم من مصيبة فبما كبت أيديكم ويعفو عن كثير (٣١) وما أتم بحسبنا في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)

بعد أن ضيق جيش الدستور على يلدن الحصار ، خيرها بين التسليم وبين السيف والنار ، فعلم ذلك العاهل ، انه جاء الحق وزهق الباطل ، فأمر بالتسليم مدعيًا إثارة السلام ، على الحرب والصدام ، وأن العسكر المهاجم كالحرس من أولاده ، لا فرق بين الداعم والمادم لاستبداده ، فلم من كان فيها من الجيش سلاحه وذخائره مأسوراً ، ثم خرج منها مذموماً مدحوراً ، وخرج رؤساء الموظفين والكتاب والقرناء ، فالتصيان والخدم فالتساء ، فكان عسكر الدستور يخرج كل فريق فيعرف غير النساء منهم فرداً فرداً ، ويحصبهم بالمقابلة على الجداول التي يدهدها ، ثم يرسلهم محنوطين

إلى المواضع التي أعدها لهم ، إلى أن يصدر الحكم العمري الفاروقي فيهم ، بل ذلك حكم الله وسنته في نظام الأجناح ، د ٤٠ : ١٨ ما للطنابين من حميم ولا شفيع يطاع ، وصدق عليهم بعد اباحة بلذ للأمة ، ما نزل في فرعون وقومه ، د ٤٤ : ٢٥ كم تركوا من جنات وعيون و٢٦ وزروع ومقام كريم ٢٧ ونعمة كانوا فيها فاكين ٢٨ فابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين »

وقد وضع الفاروقي فروق تحت الأحكام العرفية ، وشكل فيها المحاكم العسكرية ، لحاكة منفذي الفتنة الحدية ، لإبطال حكومة الشورى الشرعية ، وإعادة الأحكام الشخصية الوثنية ، وهذا أمر لا بد منه ، ولا تقوم المصلحة العامة إلا به ، واقتل بهذه الأحكام العسكرية ، هو من قبيل ما يطلق عليه القضاة اسم الأحكام السياسية . وقد صرحوا بأنه يجوز قتل الثالث لإصلاح الثلثين ، فإن قيل أنها أحكام ربما نصيب بعض البراءة ، قلنا وقد يقع مثل ذلك في أحكام القضاء ، د ٨ : ٢٥ واقوا فتنة لا نصيين الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب »

وقد كان من أمر الولايات العثمانية ، عند ما علت بكيد عبد الحميد خان للحكومة الدستورية ، أن كتبت إلى مجلس الأمة بوجوب خلعهم ، ونفض اليد من يمينه ، وإعلامه بأن الجنود مستعدة لمحاربه ، والأهالي يتطوعون مع الجيش لمساعدته ، فلما أمن المجلس بأس ذلك السلطان ، اجتمع المبعوثون والأعيان ، واستنصروا شيخ الاسلام ، في خلع عبد الحميد وتولية رشاد ، وهذه ترجمة الاستفتاء والفتوى بالبرية : « إذا حذفت زيد أمير المؤمنين بعض المسائل الشرعية المهمة من كتب الشرع المقدسة ، ومنع ومزق وأحرق الكتب المذكورة ، وبذر واسرف في بيت المال بدون مسوغ شرعي ، وقتل وسجن ونفى رعاياه بدون سبب شرعي ، وتعدوا ارتكاب غير ذلك من المظالم الأخرى ، ثم بعد أن أقسم بأن يرجع إلى الإصلاح حث يمينه وأصر على إحداث قتل عظيمة تخل تمام الإخلال بانتظام أمور المسلمين واحوالهم ، وحرض على المذبذب ، وإذا كانت الأخبار تتوالى من جميع أنحاء البلاد الاسلامية طالبة خلعهم نخلصا من ذلك الجور ، وكان في بقائه ضرر محقق ، وفي نواله صلاح ملحوظ ، فهل يجب تنفيذ ما يرجعه أرباب الحل والعقد وأولو

(المراجع ٤ م ١٢) قرار المجلس العمومي بخلع عبد الحميد وتولية رشاد ٢٨٥

الأمر من إلزامه التنازل عن السلطة والخلافة أو خطمه ؟

(الجواب) نعم .
كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين

عفي عنه

بعد تناول هذه الفتوى من شيخ الاسلام ، التي هي أصح فري صدرت في هذه الأزمان ، لرد الشان فيها إلى أولي الأمر كما أمر القرآن ، اختار أول الأمر من المبعوثين والأعيان ، ان يخلعوا السلطان عبد الحميد الثاني ، لأنه ثبت لديهم أنه يصدق عليه ما ذكر في الاستفتاء من المظالم والمحازي ، وأن يابعوا بالخلافة والسلطنة ، محمد رشاد افندي ولي عهد المملكة ، وهذه ترجمة قرار المجلس بالعريّة

« في الساعة السادسة ونصف من يوم الثلاثاء وهو السابع من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ (مالية) قرر في جلسة المجلس الوطني العثماني المؤلف من مجلعي الأعيان والمبعوثين خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإستاد السلطة والخلافة إلى ولي العهد محمد رشاد افندي باسم (محمد الخامس) وذلك بناء على اختيار الخلع على التنازل الاختياري بالاقتراع وهما الحلان الميعنان في الفتوى المذيلة بتوقيع شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي المتلوة في الجلسة »

ثم ان المجلس ارسل وفدين ، لتبلغ قاره السلطانين ، لبلما ان الأمر لا ولي الأمر ، لا لرجل واحد يسمى ولي الأمر ، لأن الله تعالى اسند في كتابه إلى الجمع ، ولم يسند قط إلى الفرد ، وليكون الأول عبرة للمستبدين الظالمين ، والآخرسلفاً ومثالاً للدستوريين الآخرين ، فبلغ الوفدان القرارين ولسان الحال ، يرتل قول الملك المتعال ، دقل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

دخلوا على عبد الحميد الجبار ، الحقود المنتقم اقهار ، وهو في مأمنه الذي ملأه بالسدسات ، وحمل فيه الملاحي . والمفارات والمدخلات ، وله في كل حجرة منه تمثال ، يمثله في حال من الاحوال ، فيها تائم على السرر المرفوعة ، ومنها المنكى على الأرائك الموضوعة ، ومنها المكب على كتابه ، ومنها الممثل لقراءته ، يحاط بذلك لخيانة الجنود والأجراس ، وغفلة الرقباء والأرصاد ، حتى اذا ما دمر عليه مختل ، يحاول

الفنك والاعتقال ، واتفق ان اهتدى الى بعض حجراته ، التي يارز اليها في خلواته ،
يفره التمثال فيهجم عليه ، فينفذ رصاص المسدسات الحميدية من بين كتفيه ، وان
عبد الحميد لا يتخطى المرمى ، قد تمرن على الرمي حتى صار كني ثمل أو أرمي - .
دخلوا عليه فإوارته غبائته ، ولا حته مسدساته ، ولا دافعت عنه رجاله ، ولا أغنت
عنه أمواله ، بل غلب على هذا الخلو الجبن الخالع ، فإذا هو خاضع خانع ، قد
خرس لسان مقاله ، وقرأ لسان حاله ، د ٦٩ : ٢٧ ياليتها كانت القضية ٢٨ ما أغنى
عني مالي ٢٩ هلاك عني سلطانيه ، يتمنى لو كانت مكيدته قصت على الدستور ،
وجعلت زعماءه وأئصاره من سكان اقمبور ، ثم طلب أن يبقوا عليه كما أبقى على أخيه
مراد ، ويحسبوا إليه لأنه بري مما وقع من الفساد ، وطلق يوك باطل الاعذار ،
ولو كان صادقا لما انتهى الى هذا القرار ، د ٣٨ : ٢٨ ام نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ام نجعل المتقين كالفجار ؟

لماذا خضع وذل عبد الحميد ، وهو الجبار المنيد ، لذلك الوند ، الذي لم يكن
معه غير ثلاثة من ضباط الجند ، أتواضعا كتواضع الخلفاء ، ام هي شنشة الجبناء ، ان
قدروا بقوا وعتوا ، وان عجزوا ذلوا وعتوا ؟ أهدأ هو السلطان المستبد ، القاسي
المتكبر ، الحرص على حياته ، المحافظ بقوة الدولة ومالها على شخصه ، هو بعينه
عبد الحميد ، الذي دخل عليه وفد مجلس الأمة من غير معارضة ولا تفتيش ، فوقف أمامهم
خاضعا ضارعا ، متوسلا خاشعا ، يسألهم الإبقاء عليه . وترك روحه العزيزة بين جنبيه ،
سبحانك اللهم ما أجل حكمتك ، وما أعدل سنتك ، بما أصدق وعدك ووعيدك ، فقد
يفت لنا أن العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وقلت د ٤٠ : ٢٠ أولم
يسيروا في الأرض فيظفروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة
وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق .

أبن تلك القوة القاهرة ، أين تلك الإرادة النازدة ، أين تلك العظمة والكبرياء ،
أين ذلك الشم والإياء ، أين ذلك المسرف العال ، أين ذلك المعجب الخذل ،
أبن السلطان عبد الحميد ، الذي ظن أنه يتقى فعلا لا يريد ، فلم يكن يقبل ان يوجد
في المملكة من يقول هذا نافع في السياسة وهذا ضار ، وهذا حلال في تصرف

الادارة وهذا حرام ، أين السلطان عبد الحميد الذي جعل نفسه هو الملك وهو الأمة ، هو القانون وهو الشريعة ، الذي كان يرى ان الملك ملكه ، والزمان غلامه ، والناس عبيده أو عباد ، وان له الحق ان يحرف كتب دينهم ، وان يفسد أسفار تاريخهم وتاريخ غيرهم ، وان عليهم ان يقابلوا إساءته بالشكر ، وظله بالرضا والحمد ، أين السلطان عبد الحميد الذي كان لا ينزل إلى موكب صلاة الجمعة في الأسبوع ، إلا بين صفوف من الجيوش كالبيان المخصوص ، فيحرم الصلاة على الألوف من المسلمين لأجل صلاته ، التي يجعلها عنواناً على خلافته ، فيتزلف اليه فيها بآيات معبنة من القرآن ، لا يتجرأ أن يتلو غيرها قارئ ولا خطيب ولا إمام ، ولو قرأ قارئ على مسعاه آية من الآيات التي تنذر الظالمين الهلاك والدمار ، وتوذّنهم بالزوال واليوار ، لأخذ منه باليمين ، وقطع منه الوتين ، أو زجه في ظلمات السجن ، أو فناه من الأرض ، أين عبد الحميد الذي كان يزور الخرقعة النبوية الشريفة ، تذكراً للمسلمين بأنه هو الخليفة ، فتحرس له الجنود طريقه إليها طويلاً السعة ، فإذا قرب الموعد أخلت من جانبيها الفنادق والدكاكين والأمكنة ، وغلقت الأبواب والنوافذ والكرى ، وحشرت الجنود تملأ ما بين الرجا إلى الرجا ، لتلا يطعم أحد بالدنوايه ، أو يكون في مكان أعلى منه ، ٢٤ : ١١٠ ما أغنى عنه ما له وما كسب ، ولا وقاه ما أكدى وما وهب ، ولا فقه رأي قاته ، ولا سلاح حماه ، بل سلبت فته الباغية المخروقة ، لفنة الدستور المنصورة ، وذم هو عمل متفذي فتنه وتبرأ منهم ، وزعم انه كره عملهم ولكن عجز عنهم ، ٨ : ٨٠ واذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لأغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال لاني بري منكم لاني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب .

بعد اسبوعين من خلق عبد الحميد ، أنفذ القاروقى حكم أولي الأمر بنفيه الى سلانيك ، واخرج معه من دار السعادة اثنان من صفار اولاده ، واحدى عشرة امرأة من جواريه ونسائه ، وحجى به الى محطة سكة الحديد تخفى مركبه مركبات الجنود . وارسل كذلك مخفوناً في قطار مخصوص ، ولما وصل الى محطة سلانيك اختار ركوب احدى مركبات الاجرة ، الى ان وصل الى الدار التي أعدت له ، وهي دار

الأتيني بأشقائه الشرطة ، وقد احضر له ولن معه طعام ذلك المساء من إحد مطاعم السوق ، وطلب تبصراً فاشترت له أيضاً من السوق ، وكان في عامة أوقاته كاسف البال ، كثير المواجس والافكار ، وقد تضرع الى القائد الذي استقبله ، بأن يضمن له حياته ، فهدأ القائد اضطرابه ، وسكن روعه ، ولو كان عبد الحميد صاحب عزة وإباء ، لما حرص في مثل هذه الحال على البقاء ، ولا أقول لفعل ما فعلت الزبارة ، على ان الينعم والاحتار اذا كان محرماً في الاسلام ، فشدة الحرص على الحياة ليست من شأن أهل الإيمان ، فقد قال تعالى في في الذين لا يؤمنون (٩٦: ٢) ولتجنبنهم احرص الناس على حياتهم الذي اشركوا يود احدثهم لو يُعَمَّرُ ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون)

اما مولانا السلطان محمد الخامس فقد بويغ في ذلك اليوم بنظارة الحرية ، باختيار اولي الأمر ونواب جميع الأمة العثمانية ، فان كان قد قل في حفلة المبايعة اني أول ملك في عهد الدستور والحرية ، فاننا نقول ان مبايعة أول مبايعة جرت على الصورة الشرعية ، فقد كان سلفه يأخذون الملك بمجرد الإرث ، وهو قد ناله هو باختيار أهل الحل والعقد ، وقد بويغ بالمصافحة كما بويغ الخلفاء الراشدون ، لا بلمم الراحة وتقبيل الاذيال كما جرى عليه اسلافه المستبدون . وأول من بايعه الشريف حيد بك من أعضاء مجلس الاعيان ، ثم الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ، ثم قيب الاشراف رئيساً لمجلسي الاعيان والنواب ، فأعضاء المجلسين فالامراء والضباط ، ثم من حضر من خيار الناس ، وقد صرح مولانا عقب مبايعة ، بأن كل رغبته ورجائه في سعادة امته ، وبعد عدة أيام حلف في نظارة الحرية ، يمين التزام الشريعة والدستور والحفاظ على حقوق جميع الأمة العثمانية ، ثم حلف أيضاً في مجلس نواب الأمة ، كما استخلفهم على الاخلاص لها وله ، فأقسموا طائفتين ، وأطاعوا مختارين ، ودعوا له مخلصين ، والأمة من ورائهم قول آمين ، والعاقبة للمتقين ، « ١٣ : ٢٩ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب »

ونسأله تعالى ان يجعل لسال حال سلطانتنا الأواب ، هذه الآية الكريمة من الكتاب « ٤٠ : ٣٨ وقال النبي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد »

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين — لليافي ﴾

٣

تمت بحث النسخ

ولمعد الى ما كنا بصدده فقول قد يتنا في رسالتنا السابقة بعض حجج ما ذهبنا اليه وسنزيد ذلك ايضاحا فنقول — ان الكلام اذا سبق فلما يساق بمناسبة المتأخر لما قدمه وابتنى عليه ودونك ما قبل هذه الآية لتعرف دلالة السياق وان الكلام مسوق في أي شيء أهو في ذكر المعجزات كما قال الدكتور الفاضل ام في ذكر الدين وشرائعه واحكامه ومن هنا نعرف ان ما ذكرناه عن السلف في تفسير هذه الآية هو المناسب لسياقها قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم — ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خبر من ربهكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ففي اول هذه الآية حذر المؤمنين من موافقة الكافرين في إطلاق الالفاظ الموهمة كقولهم راعنا ثم اخبرهم في آخرها بشدة عداوة الكفار لهم وانهم يكرهون نزول الخير اليهم وذلك الخير الذي تفضل الله به على عباده المؤمنين هو الشرع التام الكامل (هـ) الذي شرعه لنبه محمد (ص) واختصه وامته به والله

(هـ) المترج: الكلام صريح في بيان سبب إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن أهل الكتاب يحسدون العرب فلا يودون ان ينزل الوحي على رجل منهم فهم لذلك ينكرون نبوة محمد (ص) والمشركون ينكرون النبوة من حيث هي فالكلام في النبوة لا في الأحكام الجزئية التي في الوحي وهي أقل ما فيه . والشرع الحمدي عقائد ومعارف إلهية وآداب وعبر وأخلاق كريمة ، واحكام عملية ، والعقائد هي الأساس والكلام في ركن النبوة منها لأن غيره يبنى عليه فالمناسب ان تكون الآية ما يؤيده

(المجلد الثاني عشر)

(٣٧)

(المترج ٤)

بمختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم — وعلى مناسبة ذلك قال «مانتسخ» من هذا الخبر وهو الشرع المحمدي «من آية أو نساها» فليس من باب تقويت أو احرامكم بعض هذا الخبر الذي فضلنا به عليكم بل فعل ذلك لتأنيكم بخبر منه اذا نسخته أو بمثله اذا قصرتم في حفظه ونسيتوه — أما قوله «الم تعلم ان الله على كل شيء قدير» الى آخره فاما ذكره في عقب هذه الآية كالدليل بالشيء على نظيره وذلك مثل استدلاله جل شأنه على البعث وامكانه بالخلق الاول وابعائه الارض بدمومتها وقد ذكرنا في رسالتنا السابقة مناسبات أخرى فارجع اليها ليتأمل الفاضل في هذا المقام وليعطه حقه من النظر

وقول ايضا نحن قد قدمنا وقلنا غير مرة انه قد علم من ديننا بالضرورة ان القول بالرأي في الدين والاخص تفسير القرآن لا يجوز مطلقا فإياك برأي مخالف لما قاله السلف ولما قلوه (١)

ثم قول لحضرة الدكتور الفاضل هب ان السلف لم يتكلموا ولم ينقل عنهم في تفسير هذه الآية شيء أفليس الواجب ان نرد كل لفظ الى اصله ونحمله على معناه الحقيقي ولا تقدم على القول بالحجاز ولا نعدل اليه الا اذا تبين بقرينة فاذا عرفت ذلك قول قال في القاموس نسخته كمنه ازاله وغيره وابطله وأقام شيئا مقامه والشيء مسخه والكتاب كتبه عن معارضة كالتسخه واستنسخه المقول منه نسخة بالضم وما في الخلية حوله الى غيرها انتهى والمعنيان الاخباران لا يصح حمل الآية المتنازع في تفسيرها عليهما اتفاقا فلا يبقى الا الازالة والتفسير والابطال — فاذا كان المراد بالآية في قوله تعالى ما ننسخ من آية المعجزة كما يقول حضرة الفاضل فامعني ازالتها أو ازالة مثلها فانه لا يزال ولا ينقل الا ما كان ثابتا في الخارج واما ما يعدم ويفوت بفوات واقضاء زمنه فلا يقال ازاله ولا يزيله نعم يقال في مجاز اللغة ازلت حجته بمعنى بينت كذبها وعدم صحتها فاذا اريد بالآية المعجزة فلا يجوز حملها على

(١) ان من يفسر آية بشير المروي عن واحد او ٢ ومن السلف لا يسمى مخالفا للسلف لاسيما اذا اختلفوا والا لكان جميع العلماء مخالفين للسلف حتى الائمة المشهورين وإنما مخالفة السلف المذمومة هي مخالفة سنتهم التي جروا عليها في امر الدين والابتداع فيه

معنى الازالة لا حقيقة ولا مجاز ابقى التغير والابطال والقول فيها كالقول في الازالة وهل يصح ان يقال ان الله غير واجب معجزات الانبياء السابقين فاذا فسد التفسير بحمل الآية على المعجزة تعين حملها على آيات الاحكام ونحوها من آيات القرآن لصحة قولنا ازلت حكم كذا واقت مقامه حكما آخر او ازلت الكلمة واقت مقامها كلمة أخرى فا ذكرناه في تفسير الآية هو الحقيقة التي لا يصلح ارادة غيرها وبذلك قال السلف كما عرفت ذلك عنهم فيما سلف — ولو جوزنا العدول عن الحقيقة الى المجاز بلا قرينة ولا مرجح للعدول وسلمنا ماقول بان النسخ قد يكون بمعنى الترك — فكذلك لا يصح ارادة مقاله الفاضل ولا يجوز أيضا — لأن ترك الشيء لا يكون الا إذا أمكن فعل ذلك الشيء نفسه والمعجزة الفعلية الذي وقعت واقتضى زمنها كاقطاب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية مثلا لا يمكن ان تعاد نفسها لاسيما مع عدم وجود العصفان قبل المراد مثلها قلنا وهذا مجاز بتوسط تأويل — ولو سلمناه أيضا فانه لا يصح حمل الآية عليه لانه لا يصح الا بعد ان يثبت ان الله قد روكتب في الكتاب الذي كتبه لكل مدة مضروبة بأن سيؤيد محمدا (ص) بمثل تلك المعجزات الماضية مماثلة من كل الوجوه فاذا قدر انه عدل عن ذلك الى ما يماثلها من بعض الوجوه جاز ان يقال ترك هذا المثل لهذا المثل ولا يخفى ان الهجوم على ذلك بلا توقيف جراءة واستبداد على الله

فان قيل لا نقول إنه ترك ما كتب وقدر انه يؤيده محمدا (ص) كما ذكرتم قلنا ان تنظير الدكتور للنسخ في هذه الآية بقوله (بحواله الله ايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) صريح فيما ذكرنا فساد — وقول أيضا ان ما هو نحو المعجزات من الافعال التي مضت واقتضت هي الآن مدمومة فان قيل المراد مثالها الموجود في بعض الازمان فيجوز تركه قلنا ذلك ممنوع لأن الموجود في الازمان المذكورة انما هو التصديق بتلك المعجزات ونسخه انما يكون بنقضه وتكذيبه وهو محال وايضا ما في اذهانهم لو أوجده الله في الخارج فهو لا يكون الا نفس المعجزات الماضية التي قد عدت والافعال التي قد وقعت لا يمكن ان تعاد نفسها وما كان كذلك فلا يقل انه تركه وعليه فالتسخ بمعنى الترك لا يمكن ان يفرض الا فيما يماثل من بعض الوجوه

ما حفظه بعض الناس من معجزات الانبياء وحينئذ لا يكون المنسوخ في الآية ما قد وجد ولا مثاله الموجود في اذهانهم بل هو ما يماثل مثاله من بعض الوجوه وهذا إما هو معدوم لانه غير موجود في الاعيان ولا في الازهان ومعلوم ان الله لم يرد انه نسخ أو ترك المعدوم المطلق أو انه أيد نبينا (ص) بخبر منه أو مثله لان الخبرة والمثلية لا يوصف بها المعدوم فظهر بذلك ان المعنى الذي حل الآية عليه خضرة الفاضل لا يصح الا فرضه في المعدوم المطلق وسياق الكلام ومعناه يأبى ذلك والا لزم وصح ان يقال ان كل ما أوجده الله فهو بدل ومثل ومسبب عن ترك معدوم مطلق لم يقدر في كتاب وهذا لم يقله أحد .

هذا بعض ما قوله في المنسوخ الذي ذكره الله في قوله « مانسوخ من آية أو نساها » وقد عرفت انه لا يصح ان يفرض شيئا مما قدمنا بيانه أمامعجزات نبينا (ص) فلا شك انها قد وفت وقامت بتأييد رسالته (ص) كما قد وفت ومعجزات الانبياء السابقين بتأييد رسالتهم وزيادة لكن اطلاق ان هذا ناسخ لهذا لا يصح في تفسير قوله تعالى (مانسوخ من آية أو نساها) وقوله فكل آية من آيات الانبياء السابقين الى قوله قد أتى الله بمثلا في الاقتناع والهداية أو بخبر منها قلت نعم والامر كذلك الا انا قد قدمنا فساد فرض المنسوخ بمعنى المعجزة وعليه فما أتى الله ومن به على نبينا من المعجزات فليس بدلا عن معجزات الانبياء السابقين على معنى ان تكون ناسخة لتلك ولو كان كل معجزة نبي متأخر ناسخة لمعجزات من تقدمه لكانت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لمعجزات عيسى عليه الصلاة والسلام ومعجزات عيسى عليه السلام ناسخة لمعجزات من تقدمه وهم جبرأيل وعليه فما أتى به محمد من المعجزات لا تكون بدلا لكل معجزات الانبياء السابقين والا لزم نسخ المنسوخ حين هو منسوخ (١)

(١) المنار : كل هذه اللوازم التي أوردتها ممنوعة ويمكن ايراد معنى الماثلة من كل الوجوه وبعضها على التفسير المشهور للآية . وان من يفسر الآية هنا بما يؤيد الله به الانبياء كأبي مسلم لا يقول اذا ازال الله ما يؤيد به بعض رسله من آية في زمن رسول آخر وايدته بغيرها فانه يكون ناسخا للسابقة باللاحقة بل يقولون ان المعنى إذا لم يؤيد الرسول

وقول ايضا يلزم الفاضل المذكور في الادلة المتعددة المختلفة الحقائق على صحة المدلولات التماثلات والمدلول الواحد تصحيح اطلاق ان كل واحد منها ناسخ للآخر فليأمل الناظر وليحكم بما شاء بشرط الانصاف

اما قول الفاضل الممدوح واذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل اتى تعالى بدل الآيات المنسوخة بآيات خبر منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثيرا من احكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ واقول قد عرفت انه لا يمكن حمل ذلك على غير آيات الاحكام وقول نعم انه قد عوضنا بدل كل آية بنسخها ورفضها بما هو مثله وافضل منها وذلك موجود في هذا القرآن الذي بين ايدينا - أما قوله فكيف نسخ كثير من القرآن بالسنة على قول بعضهم فجوابه انه لم يفضل احد احكام القرآن على احكام السنة لان الكل من الله والحكم الناسخ سواء كان في القرآن او في السنة هو اكثر خيرا من المنسوخ ولا تفاوت في نفس الحكم الا أن هذا يكون اصح من هذا كما سيأتي بيانه - نعم أفاظ القرآن هي افضل من أفاظ الأحاديث ولم يقل أحد أن لفظ الحديث ناسخ لفظ القرآن فسا اراد ابراده غير وارد فتأمل

ونحن قدمنا الكلام في اختلاف العلماء في النسخ فارجع اليه فمن يجوز نسخ القرآن بالسنة بعضهم يقول ان ذلك جائز لكنه لم يقع واما من يقول منهم بوقوعه فلهم أن يفرقوا بين نسخ الآية ونسخ حكمها بأن يقولوا إنه من المعلوم بالضرورة ان الدين كله سواء كان قرآنا او وحيا غير قرآن - وهو السنة - اما عرفناه بتوسط محمد (ص) الذي عرفناه صدقه وصحة نبوته ورسالته فلا يجوز لنا ان نقبل بعض ما - المتأخر بآية المتقدم بأن ازال تلك الآية وما أراد إعادتها فإنه يؤيده بمثلهما او بخبر منها في اثبات الرسالة . ويمكن ان يفسر لفظ النسخ على هذا الرأي بما ورد في المأثور من انه بمعنى الاثبات في الكتاب ويكون معنى الآية عليه ما ثبت من آية في الكتاب الذي هو القرآن خطأ ومعنى فيعرفها الناس او ننسها الناس بترك الاعلام بها فانا نأثري بخبر منها او مثلهما في تأييد رسلنا . وبذلك يعطى قول بعض الكافرين (٢١: ٥) فلنأتنا بآية كما أرسل الاولون) وما في معناه مما حكاه الله تعالى عن الماعندين

جاء به وترك البعض الآخر اذلو فلنا ذلك لكننا مكذبين له (ص) في ذلك البعض وذلك كفر في دين الله وبه كما قال تعالى «أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» — بناء عليه يجوز ان يكون بعض احكام السنة خيراً من الحكم المنسوخ الذي كان في القرآن — واذا كان المراد بالخيرية ان يأتي بخير منها أي يدل ذي مصاحبة راجحة فلا قباحة في أن يقوم الحديث النبوي بدلا عن لفظ آية وحكمها معا أما الوصية للوالدين والأقربين الوارثين فالجمهور يقولون ان النسخ لها إنما هي آية الموارد والسنة مينة وشارحة لذلك النسخ. هذا بعض أجوبتهم وهو مانع ودافع لكل ايراد ، قلت الابرار الصحيح في هذه الآية إنما يتوجه على مذهب حضرة الدكتور الفاضل لأنه إذا منع النسخ في القرآن مطلقا به أو بالسنة لزمه ان الواجب للوالدين الوصية والنصيب الذي فرضه الله لكل واحد منهما في آية الموارد — وحينئذ يترض عليه ويقال إنه اما أن يكون ما فرضه لها وافيا بمقتضاها أو ليس بواف بمقتضاها وعلى كل تقدير اما ان يلزم النقص أو الظلم (*) لا يقال ان الوصية إنما نذب اليها ولم يوجبها لأنها قول ان الاعتراض وارد على الاستحباب أيضا على ان في قوله تعالى «كتب عليكم» في أول الآية وقوله «حقا على المتقين» في آخرها دلالة ظاهرة لا يمتريها شك ونص في الوجوب فلا اعتراضات الواردة الصحيحة إنما ترد على مذهب الفاضل الدكتور

قال الفاضل وأين البديل للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله عشر رضعات معلومات يحرمن — الذي نسخ على زعمهم بقوله — خمس رضعات معلومات ثم نسخ لفظ هذا الاخير ولم يأت بدله ؟ قلت والجواب من وجوه وهو يختلف باختلاف مشارب الناس في هذا الموضع

(الأول) من لم يشترط التواتر في قل القرآن وهو لا يقولون ان آية (١) الخمس

« ورد عن علي وابن عباس وهما أعلم السلف بالتفسير ان الآية خاصة بمن لم يرث ويمكن للدكتور ان يقول به وهو ليس بمن ينكر التخصص وان مسي نسخا. على انه يمكن منع استلزام الظلم والنقص بجعل الوصية خاصة من وجه آخر كأن يكون بعض الورثة فقيرا عاجزا عن الكسب وبعضهم غنيا فيوصي للعاجز الفقير

الرضعات المعلومات هي آية (١) من القرآن الكريم وهي محفوظة بهذه الرواية ونحوها ولها عندهم حكم القرآن المتلو ومن يقول بذلك فلا يرد عليه اعتراض حضرة الدكوي الفاضل ههنا من أصله فان كان يرد عليهم اعتراضات أخرى فانهم قد أجابوا عنها -
(الثاني) قول من يقول ان القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وناسخه لا يكون إلا قرآناً أو سنة كذلك

(الثالث) انا نختار ان قول لا شك ان العشر الرضعات قد ثبت انهم كن فيما نزل من القرآن وثبت انهم نسخن ونقل المنسوخ لا يشترط فيه التواتر لان اشتراط التواتر في القرآن انما التزمه من التزمه لان من خالف الاجماع يكون شاذاً مخالفاً لما قلناه جميع الصحابة من حصرهم القرآن المحكم في هذا المصحف الموجود بين أيدينا واذا صرح وقيد الناقل ان ذلك قد نسخ لفظه أو وحكه فلا شك ان ذلك يخرج عن الشذوذ فلا يكون مخالفاً للثبوت عليه من القرآن لجواز ان يكون الصحابة (رض) تركوا نقله لكونه منسوخاً لفظاً

بقي البحث في النسخ وهو الخمس المعلومات ثم هذه الخمس المعلومات هل من قرآن محكم باق لفظه وحكه أم ليس من قرآن وقد قدمنا قول من لم يشترط التواتر وبعض من يشترط التواتر يقبل الحكم ولا يقبل القرآنية فنقول ان القرآنية المقولة بنقل الواحد ونحوه إذا خالفت المصحف كانت شاذة فمخالفة الجمهور اسقطت القرآنية لاحتمال ان يكون الراوي الواحد ونحوه نقل ما كان منسوخاً لفظه ولم يعلم بنسخ لفظه أو انه ظن ان ذلك قرآن اما الحكم المتضمنة له تلك الرواية فهو غير معارض بنقل الجمهور للقرآن و باب الحكم غير باب اللفظ والقرآنية فن هنا قالوا بقبول الحكم ورد القرآنية فنذكر

وآية عدد الرضعات المرفوعة المنسوخة هي ليست في الحقيقة مما يصح ان يورد عليها ما أورده الفاضل يعرف ذلك بجميع اطراف الرواية ودونك ذلك - روي عن عائشة (رض) انها قالت كان فيما نزل من القرآن «عشر رضعات بمجرم» ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن رواه مسلم وأبو داود والنسائي - وفي لفظ قالت وهي تذكر الذي يحرم من الرضاعة نزل

في القرآن عشر رضعات معلومات ثم نزل أيضا خمس معلومات رواء مسلم وفي لفظ قالت نزل في القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلك خمس رضعات الى خمس رضعات معلومات فتوفي رسول الله (ص) والامر على ذلك رواء الترمذي. وفي لفظ كان فيما أنزل الله عز وجل من القرآن ثم سقط لايحرم الا عشر رضعات أو خمس معلومات رواء ابن ماجه. والناظر يرى ان الصديقة (رض) لم تذكر لا النسخ ولا المنسوخ بلفظه ولا سياقه ولم تبين محله نعم روايتها ظاهرة في ان عدد الرضعات كان قرآنا في الجملة وبعضها ظاهرة في ان العشر نسخن بالخمس ورواية الترمذي هي صحيحة ولا تبين دلالتها على ان الخمس التي هي بدل عن العشر انها كانت قرآنا ولا تدل على ان النسخ وقع بالخمس أيضا وبناء على ما تقدم فقولها (رض) فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن أي ان بعض من لم يبلغه النسخ كان يقرأ ذلك وهو مع شذوذه عما نقل الجمهور لم يثبت قراءته في المصحف ولعله رجع عن ذلك ثم يحتمل كلاهما ان من بقي يقرأ كان يقرأ العشر والخمس معا وأنه كان يقرأ الخمس فقط فلان ان ذلك لم ينسخ وهذا الاحتمال الاخير بعيد. فلهذا احتمالات. وأما حديث ابن ماجه عنها فظاهر ان العشر أو الخمس انما هو آية واحدة ودلت هذه الرواية على ان الكل رفع. وبناء على ذلك ان من لازم نسخ العشر ان نسخ الخمس معها وترفع برفعها لكونها جزءا من آية ولأن الخمس انما هن معطوفات على العامل في العشر فهي منسوخة بالجمع لعدم جواز بقاء لفظها بعد نسخ اول الآية والالبقيت غير معلومة المعنى ومثل ذلك لا يجوز بقاءه او وجوده في القرآن نأندفع ما اورده الدكتور الفاضل - قوله في حديث مسلم رح ثم نسخن بخمس معلومات أي بقاء حكم جزء الآية الرفوع لفظه بالجمع وهي الخمس المعلومات ناسخ للعشر المقصود رفعها ونسخ حكمها بالاصالة والذات - وبقي بعض من لم يبلغه رفعها ونسخها يقرأها هكذا : لا يحرم الا عشر رضعات او خمس معلومات

قلت وقوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم) يصح ان تقول انه بدل عن هذا المرفوع ورواية ام المؤمنين (رض) قد اثبتت ان حكم العدد محكم فتحریم الامهات المرضعات في هذه الآية وارد في رضاعة معلومة وهي الخمس الرضعات وعائشة (رض)

يعين ان تكون سمعت من رسول الله (ص) ان حكم الخنس باق وقد روت في ذلك أيضا أمره (ص) سلة امرأة أبي حذيفة ان ترضع سالما خمس رضعات ومن يشترط الخمس الرضعات فهو يقول ان هذا كله منسوخ حكمه ولفظه وناسخ ذلك الاطلاق في قوله تعالى دوامها نكم اللاتي ارضعنكم ، فواصل الجوف هو الرضاع المحرم ومنهم من قال ان الله اطلق تحريم الرضعة والمرجع في ذلك الى السنن وقد ورد ان المصة والمصتين والرضعة والرضعتين والإملاجة والإملاجتين لا تحرم وحديث عائشة (رض) فيه إناطة التحريم بخمس معلومات فوجب المرجع اليه فيما تقدمت وقدمنا توجيهه ، بذلك اندفع اعتراض الدكتور الفاضل أيضا وثبت ان الناسخ لذلك هو القرآن مفسرا البراد منه بالسنة أو بما له حكم السنة وظهر بما قدمناه أيضا التكنة في نسخ لفظ الخنس والله اعلم وأما آية الرجم فقد قدمنا الجواب عن رفع لفظها وحكمته فلا نعيد واذ قد فرغنا عن جواب كل ابرادات الفاضل في مسألة النسخ فلنشرع في الجواب عما اوردته من الشبهات على وجوب العمل باحاديث الآحاد الصحاح فنقول (لما بقية)

الانقلاب العثماني الميسون

﴿ بنخلع عبد الحميد ﴾

(رأي جرائد مسلمي الهند فيه)

أرسل الينا صديقنا مولوي محمد إسماعيل صاحب جريدة « وطن » الغرائقي تصدر باللغة الاوردية في « لاهور » مقاتلين في الانقلاب احدهما من نفسه نشرها في قائمة أول عدد صدر من جريدته بعد العلم بلا انقلاب الاخبر وخلع عبد الحميد ثم ترجمها بالمرية والثانية نشرت في جريدة « برزور » باللغة الانكليزية وسأنا رأينا فيها فنحن نشرها ثم نبدي رأينا فيها وهذه هي الاولى فنشرها مع إصلاح قليل لبعض الألفاظ يحدد المعنى ولا يضيع منه شيئا (وعنوانها الانقلاب المشؤم في الدولة العلية) قد طبر البرق اليها اليوم النبأ المشؤم الذي قتل الالكاءه وأبدس القلوب ثوب (المآرج ٤) (٣٨) (المجلد الثاني عشر)

الحداد ، وقد ساد الأسف بمجرد سماعه على العالم الاسلامي في الهند وسائر اقطار المعمور ، ومن التألم الناشئ منه تنفتت الصدور ، وذلك النبأ العظيم الذي آلم العالم الاسلامي بأسره هو نبأ عزل جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الامة اجماعا على عزله ولا ادري هل انزل جلالة من عند نفسه او اعزله جمعية الاتحاد والترقي التي كانت عند اول ظهوره في بدء احياء الدستور العثماني اخيراً مظهرة عزها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون اعضائها من التامنين من جلالة او انخافين من ذاته على الدستور - ولكن علنا بعد صدور الارادة الشاهانية باعلان الدستور واقلاب الوزارة وقويض مسند الصدارة الى سماحتهم (١) كامل باشا الصدر السابق ان المتبدلين والعقلاء من حزب تركيا الفتاة لا يرون لزوم عزل جلالة عبد الحميد بعد ان صار محبا للدستور وحلف على حفظه وصرح بعزمه على قوية الحزب المذكور لا سيما الجمعية الاتحاد والترقي التي لعبت دورا مهما في ملعب احياء الدستور وترقية البلاد حتى صار جلالة لا يبرم امراً ولا يصدر ارادة من غير استشارة الجمعية ويطيع لها في كل الامور وقبل صدارة شرف الجمعية وقاه بها علناً - وقد مال بكليته الى الجمعية حتى عاداه حزب الاحرار من تركيا الفتاة وعيره بالتخلف عن فرائض الملك الدستوري بوضعه نفسه تحت يد جماعة غير مسئولة عن صلاح البلاد والعباد وبعد ما ترك استبداده بالحكومة قد وقع نفسه تحت نير الاستبداد الاشأم والاشمر من الاستبداد الاول ولكن كل هذه الملاينة والاعتقاد لم يجد بجلالته نفعا وصارت الجمعية تلهو وتلعب به كما تلعب الهرة بالقارة التي تريد اقتراسها - وقد أخذت الجمعية تمهد السبيل لعزله فأبعدت عساكر الاستانة وارسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التي جاءت بها من سلانيك وغيرها ، وطلبت من جلالة السلطان عبد الحميد ان يرضى بوضع فيلق الحرس المايوني ايضا تحت أسرة نظارة الحرية وقد رد جلالة هذا الطلب غير مرة ولكن لما رأى الجمعية مصرة على ذلك اجاب طلبها (وان كانت الاجابة خطأ - كما ظهر الآن) لان جلالة اراد ان يبرهن للعالم (أصالة) وللجمعية تبعا حسن نيته وميله الى جهة الدستور

ان آلمة الاءاء والءرقى كائنء لا آزال ءعمء على اللمش فى آلفء الءسوء
ولءلك لم ءكن ءسمآ باءاء العسكر الموالىة للءسوء الى الولاىاء وان كائنء ناء
الءن الءاخلىة مآآآبة فى آلمع اللماء والضروءة ءاعبىة لارسال العسكر الى
الآارج كى لمكن آآاءها واعاءة النظم الى البلاد - ولما اراء الصءر الاسبق
والرآل المآك كامل باشا اسءاءة النظم السكرى والطاعة فى اللمش اسءمء
الآلمعى عن ءلك واآءء ءرقل مساعى الصءر المءءوء وآكومءه فى اصلاء
المملكة الءاخلى فلما منها ان آروج اللمش من ىءالآلمعى ىضعف قوءها وىآرآ مركزا
وىكون آطراً على الءسوء - لا قءر الله - وصاءء الآلمعى ءأآء على مآارى أوءر
الآكموءة بالقوة القاهرة كآنها آكموءة فى آكموءة بل وفوقها معسءة على اللمش
وقء شوءء الءسوء بسىطرءها على الآكموءة ومآلس الامة آى اسقم آرب
ركبا القاء الى آزىن آرب الآلمعى وآرب الاءرار وناآب آرب الآلمعى بفضل
اللمش وكآرة اعضاءها فى مآلس الامة وانهم آرب الاءرار شرهمزىة فى عءة
مواضم انءفع فى انقاء اعمال الآلمعى بصدق الابهآة وكشف النطاء عن نىها المشروءة
للءسوء وانشر بفض الآلمعى بىن الاءام بعء ان كانوا مآىن لما لمآىن بشكرها فى
اعاءة الءسوء وهآآ اهالى الاسءانة وعسا كر ءار الآلافه مشهرىن سىف عءائم
فى وآه الآلمعى وقلبوا لما ظهر المآن - وفرآلمع انصار الآلمعى من اعضاء مآلس
الامة ءاركن مرا كرمهم فى الاسءانة الى مقرر مركز الآلمعى فى سلائك - واآءء الآلمعى
ءآءء الجنوء لكآآ آلمع الاءارجىن علفها والباءىن بعءوى المآافظة على الءسوء
واآىراً قء قازء الآلمعى على مآالفها وأآرء الاحكام العسكرية فى ءار الآلافه
واآءء ءبآ عن الءىن سعاء فى مآو الءسوء واعاءة الحكم المنطقى (برعها)
وكلما نظر فى آلال هءه الماءة الموءلة من أولها الى آآرها مآء آلاله
السلطان عبء الهمء مآافظا على الءسوء وموالىا للملة - والوطن - لم ىعرض
لمآلس الامة قط بل صرآ فى مثل هءه المالة الآرآة أىضا عء ءمىنه لملى كال
بك (كءا) صءرا لمآلس الامة ان مسءبل البلاد لا ىقوم الا بالمآافظة على الءسوء
وهءا ءللى بىن وىهان عظمى على كؤن آلاله مآاً للءسوء - ومآافظا علفه باراً

بينه بجنباً إراقة دماء الأبرياء ونرى المبعوثين أو حزب تركيا الفتاة تائبين في تيه الضلالة وتائبين واجبات صلاح الدولة والمملكة بإمراهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الأمور وخاصة عاقبة مثل ذلك الفعل القبيح — لانهم لو تأملوا بمحادث انقلاب السلطنة الأخيرة لوجدوا انه لم يكن لجلالة عبد الحميد يد فيها لأنه كان قادراً على ان لا يسمح بإبعاد حرسه الخاص قبل أسبوعين من تلك الكارثة أو جمع عدد عظيم من العساكر لحفظ مركزه — وعلى الأقل — حض العساكر الموجودة في الاستانة الذين بنوا وطنوا على الجمعية (واغرائهم) بالثبات والاستقلال في الحرب وجنود قصره على عدم قبول طاعة المهاجرين من غير مضافة — بل وإسلامهم للاعداء — كما صرح ضباطهم عند التسليم انا نعلم أسلحتنا بأمر من جلالة السلطان لأنه أبى إراقة الدماء وقال لنا ان المهاجرين أيضاً من أولاده وهو لا يرضى ان يصيهم مكروه ، وغير هذا كان من الممكن لجلالته ان يأخذ لنفسه حماية أقوى دولة من الدول الأجنبية — ولكنهم يفعل كل ذلك بل سلم نفسه لليلة وأثبت للبلاد انه يحب مخلص للامة والوطن ولا يريد هو الدستور أبداً وإراقة قطرة من دم في سبيل حفظ مركزه على طريق الواجب أيضاً فكان من واجبات الجمعية وحزب تركيا الفتاة ان يحترم عواطف ذلك السلطان الشفيق والسياسي المحنك الذي عند قبضه على صولجان الملك كانت السلطنة في أسوأ الحال من الافلاس — وعدم قوة الحرية — وخلل نظام الداخلي — وهجمات الأعداء الخارجيين — وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم الحديثة مقسمة على نفسها أي اقسام أذى ذلك الاقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها — ففسر على ساق الجسد وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتباراً مالياً في أسواق أوربا موازياً لاعتبار أقوى الدول في العالم — ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات — حتى صار الجيش نفسه اليوم عليه بعد ان كان له ، وكل فضل الجيش في الترية والعدة والعدد من بركات عبد الحميد لا غير فانظر يا أيها القاري كيف اقلب الحال ! ! سعى في اعتبار التعليم والعلوم الحديثة في البلاد وأقطع صداً الجهل عن

مرآة قلوب العباد ، الى ان صاروا يهيمون معنى الوطنية والامتنان والانحد ،
فالذين علمهم الوطنية والانحد صاروا اليوم يرمونه بعدم محبة الوطن ومخالفة الدستور
ان هذا شيء يراد

قضى ثلاثا وثلاثين سنة يمجّد ويحتهد وراه سعادة الامة والملة وعمل اعمالا اثمرت رفاه
البلاد والسلطة : عمر الطرق وبني السكك الحديدية واجرى الرع والقنوات واخصب
الغلاز واقطار ، وأوصل الاقطار بالاقطار ، وحفظ السلطنة من الضياع امام اعداء اشداء
حتى أفر العدو والصديق انه من أمهر السياسين في السياسة وداهية العصر في الدهاء .
وقاز في كل المواقع السياسية المشهورة بهمة الشاه غير مضيع نفسه ومضعف مركزه .
وكان في كل زمان عاملا نشيطا وسلطانا حازما لا يعرف الملل ولا يتريه الكل .
كان من عاداته ان يعمل ثمانى عشرة ساعة في كل يوم ويشغل في مهام السلطنة كأدى
خادم للملك والملة ، لم يكن له شغل بالراحة ولا كان يعرف الاستراحة فبعد ما عانى
من الشاق ما عانى نوعا لاصلاح البلاد ما عمل لما رأى ان غراسه أينمت وأثمرت ،
والملة لحكم الدستوري اشتاقت ، اعطاها هذه النعمة مراتح البال وصار يفدّهم بلبان
الافضال يقوم باقامتهم ويقدم باقصادهم كأنه ترك حمل القوم على غاربهم ليطهروا
استمدادهم ومعارفهم عادت الامة عليه ورمته بالسعي في إعادة الحكم المطلق من غير
يدنة ولا برهان حتى اذا لم يجد مسوغا لتجريمه استعان بتوى الشرع من شيخ
الاسلام وصوبت اليه سهام الملام ، وأنزله من عرش آباءه الكرام ، وهو في هذا الحال
أيضا راض من الامة غير منكسر البال بما فعلت به لانه يعرف ان القوم مخطئون
وهم لا محالة يوما على صنهم سيندمون .

فأرحم الله بلطفك هذه الامة الخاطئة التي كفرت بنعمتك الجزيلة ولم تعرف
قدر ذلك السلطان الجليل الذي كان خير سلطان لها في مثل هذه الحالة الحرجة والموقع
الصعب وأهدمها اللهم بجاه نبيك ان تكافى سينتها بحسنة لإعادة السلطان عبد الحميد
على سرير الملك وان لم تفعل ذاك فحفظ حياته وتحترمه احترام ما يليق به وتنتقم من
آرائه وتجار به وحكمته من حيث هو مشير مخلص خير في نظم المملكة وترقية السلطنة
ان لم تنتقم به من حيث سلطان قابض على زمام الملك وكّن يا مولانا له

وخلقه وأتمه خير نصير أنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير
حضرة الرصيف المناضل :

بعد السلام والاحترام نرسل اليكم اليوم مقالنا الافتتاحي في سطرنا هادي جريدتنا
في أمر عزل السلطان عبد الحميد - ومعها مقالة أخرى المنشورة في جريدة أوبزور -
وغرضنا ان نقسروها في جريدتكم نرا تطلع الامة العثمانية بأفكار المسلمين الهنديين
في ذلك الباب وان كان ما كتبناه عن عدم العلم بالاحوال الموجودة أو خلافا للوقائع
فلكم ان تقننوا أقراننا لتكون على بصيرة في المستقبل فيما نكتب بأمور الدولة العلية ولكم
الفضل هذا واقبلوا فائق احتراماتي افنتم سودتم

كاتبه المخلص محمد إنشاء الله

٦ مايو سنة ١٩٠٩

محرر ومدير جريدة « وطن »

(لاهور - بنجاب) الهند

(المنازع) وهذه ترجمة جريدة ابزور وهي مفتحة يدين لشكبير شاهر الانكيز
في مصرع يوليوس قيصر الروماني . قال

خلع السلطان عبد الحميد

لقد خلع السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني سلطان تركيا وخطيعة الاسلام
وأمر المؤمنين ونودي بمن يحلّفه . ان هذا الحادث المحفوف بأعظم الاخطار
الممكنة سيؤثر تأثيرا مرعبا في العواطف الاسلامية في العالم بأسره ومن شأنه أن
يوّدي الى قلق عظيم في جميع الممالك الاسلامية من النيجر في أقصى الغرب الى
الصين في أقصى الشرق

ان الزمن القصير الذي مضى على هذا الحادث لا يبيح لنا الحكم بمقدار تأثير
خلع عبد الحميد في السياسة العثمانية ومستقبل الاسلام قد يكون فيه خيرا تركا وقد
يكون بداية القضاء عليها ولكننا نعلم علم اليقين ان خلمه قد ذهب من مرسع العالم
السياسي بشخص مفرد كان له نفوذ عظيم في تكييف التاريخ الأوربي مدة ثلاثين

سنة وقبض في راحته على مفتاح الاسراء الدولية في الغرب وكان احسانه قل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوروبية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسد و بأسهم . وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على اتقاد تركيا من الوقوع في أيدي جاراتها القوية الطامعة . اذ لا يخفى ان الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنة والمهرسك على عهد الحكومة الدستورية (١) وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطيرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل في سلامة المملكة من الفوضى ونحو الاتحاد الأوربي عليها عائد الى حكمته وحكته فانه لم يسبق لملك آخر سواه من المتقدمين أو المتأخرين ان لاقى مالاقيه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للقتل المرتبة والبلاغات الأخيرة الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلي عنه غبار تلك الحوادث ظاهرا فائزا بفضل حكمته وحكمته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف محزنة منجمة بعد أن قضى حياته في التعب والناء تارة في صفاء وطورا في شقاء وهو في الحالتين قد امتاز بحسن تقديره للواجب الشريف والدأب على الصل لسعادة مملكته

ان التاريخ لم يرونا أنكى من هذه الحادثة وأكثر مفاجأة من هذه المفاجئة التي رأينا فيها سلطان الامة الجليل والخطيفة الشيخ الذي طالما تولى الأمور بيد قادرة وكانت ارادته نافذة في أمته وكان عاملا نشيطا لرفق وتقدم شعب متأخر— تلك الحالة التي رأينا فيها يهبط من علياء مجده ومكاته على أثر ثورة قام بها « أبناءه » وهو يتوسل اليهم أن يقوا على حياته وحياة أولاده ويندر أن يأتينا التاريخ برجل حامت حوله الآراء المختلفة كما حامت حول سلطان تركيا الخلع فقد نادوا به متقادا بلاده كما قالوا انه أفسد قومه . وأطروه فقالوا انه موجد الدستور العثماني ومأنحه وأهانوه فقالوا انه أشد خصوم الدستور . وفرحوا به فقالوا انه الذي رفع الامة المتأخرة وأحياها من العدم ثم أساوا اليه فقالوا انه منبع الانحطاط ومصدر نكاسة الامة العثمانية . جعلوه عنوان المفاخرة برجل تمكن بدعائه وحكمته من رد ساعي أعداء وطنه . وزعموا أنه ظالم مسند

ضعيف العقل لام له إلا ترويج مصلحته الخاصة . على أن خصومه وأعدائه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وفوزه في افساد مساعي الاعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وجهه الذي لا ينكر للاسلام وجميع ماله علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصيته وأعماله يثني عليه أو يقضي ببدل على الذين دسوا الدسائس خلفه

على ان الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سلك الدماء ووعده ان لا يهجر يلدز ورضي بالخلع المقدر له من أمته ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له ان يقضي بقية حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على انهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينته بعيدة سجنيا في بلاده محروما من جميع مظاهر الابهة معرضا لمعاملة مكذرة لرجل حساس نظيره وهو مع كل ذلك قد تصرف بأفقه المهددة ومبره المعروف الذي يليق أن يفاخر به الهيكل العثماني والملك الكبير والرجل الذي صح اسلامه

قد قال يورك « يالها من ثورة » ونحن نقول أي قلب لا يتأرذ يتأمل في ارتفاع عبد الحميد الى مستوى تزييف فيه الابصار ثم سقوطه الفجائي . من كان يظن وهو ذاهب يوم الجمعة الغات الى حفلة السلامك محاطا بالهتاف والدعاء ان مثل هذه التكببة فعل به بعد يومين من أمته حوت كثيرا من الشجعان والاشراف والابطال قد كنا نظن ان عشرة آلاف حسام بل عشرة ملايين حسام تجرد من اغمارها لننقم له من فطرة احتقار أو أقل اهانة

ولكن قصت الأقدار غير ذلك وتقل عبد الحميد ليقضي بقية أيام حياته في قصر الاتيني الذي كان مسكنا لاحد قواده اه

﴿جواب المناجر﴾

كنا نعلم ان الجرائد الهندية تطري السلطان عبد الحميد وتنوّه به ولكن لم يكن يحضر لنا يبال انها تجهل احوال الدولة العثمانية في عهده جملا مطلقا بحيث لا تدري حقيقة شي منها ألّبتة كما ظهر لنا من هاتين المقاتلين

كأنا نأظأ أن اصأاب هأه المأرااء فطأون بمأض المأأأق عأا الأولة وسلأأأنا
 من المأرااء الأورفة الةف لم فأمكن عبا المأا من اسأأأار المأأأه؁ وأنهم فكمأون
 هأه السفأأا و فذفمون بمأض أماءفم المأرااء المأناة الةف كأنا مكرأه عأا المأأ بالأأل
 وبمأض المأرااء الأورفة والمأصرفة المسأأأأرة أو المأأأة فف أأأأأاها أو المأأأة الطامأة
 بنوال ذاك السلأان الةف فعطف المأأا ففأأا وفسف إلى هلاك من فأاوفه
 وكأنا نألمس العذر لمن فأمس الظأ ففهم ونأأأأأا ففهم ففأأا كأمأفأنا صأاب
 أأرفة «وطن» بأنهم لا فأمأون أن ففأأوا المأأفة كأنا هف لألا ففأأا فعلق مسلفف
 المأأ بالأولة العلفة الةف فوأأون كأناها وأأمع المسلفن الةفن سلأأا علفهم الأأاب لو كأنا
 أقوى الأول وأعزها وأن فأأف صأأهم بأا قوة شأفة كأنا هف سفاسة أأرااء مسلفف
 مأصر سواء منهم من كأنا فسأفأا من عبا المأا وفطأم فف المأا ومن ففس كذاك
 كأنا نأأأأا مع الفأس هأا العذر أن مأأ المأرااء الأسلامفة فف مأصر والمأأ
 لعبا المأا والذفاع عأه صأار بالأولة سواء منه ما كأنا فأمس ففة وما كأنا عأا طأمع
 فف ماله أو رأبه وأوسأه لأن ذاك فأمأل ألوب المألفن من المسلفن مأأأة بشأصه
 وهأا شف فضر (لو كأنا سلأأانا مصلأا فافأاك وهو سلأأان مفسأ مأأأ) لأنه
 فأمأ أن ففكون فعلق بالأولة لا بالشأص ولأن فف كل قوة لعبا المأا فأمأافا
 للأمة المأناة وللأولة العلفة اذ أنأأ الأمة عأوة له وفأمأ الأولة صورا مأأأة فف
 ففه اذأ فأول أأأ الوزراء أو المأأرفن أو الولة أو القأأة ففن أوفهم أن فأمأل
 عألا ما مسأألا فففا فأمأب الشرع والقانون ففأه من أأم المأأمة ففأا؁ وكأنا
 عأابة أمره أأصرا؁ فأف سلب للاستأأال وأأمأاف للمأأمة ففكون شراً من هأا
 ومن الشواهد عأا ذاك ما أأأأف فف أأأ مأأأار بأشا الفأازف ففر مرة من أنه
 فأول أأمه أن فأأع عبا المأا فأمأل القأأا مسأألا أوفا السفاسة والأأارة لفأمن
 الفأس عأا فأوقهم وأنفسهم واستأان عأا ذاك ففأمأ كأأرا الأولة ففكان السلأان
 ففأأب لهذا الاقأراح ورفأفه أشأ الرفأ؁ وهل قوم للأول قأأة أو رأف الأام
 ففأر قأأا مسأأل ؟

وكنا نفتقدان ذلك المدح الذي غر المسلمين بالسلطان صار بأولئك المسلمين انقسم ايضا لانصرافهم بمعن استعدادهم واتكالمهم على من لا ينفعهم وقد كتبت في مقالة نشرت في جزء المنار الذي صدر في ١٧ المحرم سنة ١٣١٧ ما نصه :

« ان أمام المصريين وسائر المسلمين سداً منيعاً من الوم يحول بينهم وبين السير في طريق الترقى فاذا استطاعوا ان يظهروه او يقبوه - ولا أقول ان يدكوه - يتسنى لهم الایجاب والایضاع في ذلك المتهاج الواضح ، والمبيع الواسع ، وان ذلك السد هو الاعتماد على دولهم وحكوماتهم التي امست أغللاً في اعناقهم وسلاسل في أيديهم وقبواً في أرجلهم وغشاوة على ابصارهم ووقرا في أسماعهم وورينا على قلوبهم ، وكل ما نزل بالمسلمين من بلاء قائما نزل من سماء عظمتهم واستبدادهم ، وان تعجب فعجب قول من ليس للدولة العثمانية في بلادهم أمر ولا نهي ولا نفوذ ولا سلطان (١) » ان حياتنا بين يدي المايين وان السعادة ستهبط علينا من أفق الباب العالي ، وهم يطمون ان البلاد الي تحت جناح المايين ونفوذ الباب العالي تنقص من اطرافها ويتمزق أهلها كل ممزق ولا ينال تلك البلاد وأهلها من المايين والباب العالي الا الاعتراض على من مزق الاشلاء وشرب الدماء

« ماذا جني ويحني أهل جاوه والهند ومصر من الظهور القوي في حب الدولة العثمانية ؟ لعمرك انهم لا ينجون الا الحنظل والزقوم فان هولاندا وانكلترا كلما آتست منهم اليها ميلاً ، أو سمعنا منهم فيها قولاً ، تزيدان عليهم الضغط والاضطهاد ، والقهر والاستبداد ، أو لا يرون ان الدولة لا ترجع اليهم قولاً ، ولا تملك لهم ضرراً ولا نفعاً ،

« ولا أقول لهؤلاء المسلمين أبغضوا الدولة ولكني أقول اذا احببتموها فاكتموا حبها ولا ترجوا منها ما لا ينال واعتمدوا في رقيهم على المعونة الالهية ثم على جدكم وكذكركم وعلمكم فان رأيتم من الدولة نهضة عملية فانهضوا معها ان كنتم صادقين ، كل عاشق يحذر المذال والرقباء فكيف لا تحذرون ، ألم تعلموا ان الدولة لا ينالها من كثرة لعنكم بذكرها الا مثلاً ينالكم من الضغط الأوربي والاضطهاد

(١) كلمة قالها في تلك الأيام جريدة يومية من جرائد المسلمين بمصر

« نعم ان السلطان يفرح ويسر من خضوعكم له ولهجومكم بتداحمه ولكن تشعرون فرح شخص وسروره بمصالحكم ومصالح الدولة ؟ » أقول هذا وأنا أعتقد انه لباب التصح الذي يوجه علينا ديننا وإخلاصنا لأمتنا ودولتنا ومن ين لنا بالبرهان اتنا مخطئون فالتنا نرجع الى رأيه ، وإذا كان القول صواباً فعلى إخواننا المسلمين أن يتدبروه وعلى جرائدهم ان ترجع صدهاء والمتنظر من الجرائد الهندية التي تفضل دائماً بترجمة مقالات المثار أن تنقله الى لغتها ليحيط به قراؤها علماء ما كتبناه منذ عشر سنين ولم تكن سيدات عبدالحيد قد ظهرت لنا جلية بل كنا نحسن الظن فيه ونداقم عنه ظهري هذه الأيام من صدق رأينا أن التفتي بمدح عبدالحيد كان مضراً بالدولة فالتنا نرى أصحاب بعض جرائد المسلمين ومن تلقح برأيها منهم يسبون الفن اليوم بالأمة العثمانية وبمحكومة الدولة كلها ويزعمون ان العثمانيين أحرارهم وجاهلهم وعسكرهم ونوابهم كلم مخطئون كافرون للنعمة جانون على الدولة وان عبد الحيد وحده هو المصيب وان استواءه على عرش السلطنة هو الذي يحفظ الدولة والاسلام وان سقوطه عنه خطر على الدولة والاسلام ! ! فيالله وللعقول كيف كان هذا السلطان مصلحاً مرقياً للأمة والدولة وهي بعد ثلث قرن من إصلاحه لا تصلح ان تسوس البلاد وتحفظ كيان الدولة ولا تعرف قيمة من يقدر على ذلك ؟ وكيف تبقى دولة يتوقف بقاؤها على وجود شيخ هرم بلغ من الكبر عتياً ، لم يزد في الأ كبراً وعتواً

كان من سوء تأثير إطرء الجرائد المصرية لعبدالحيد قريب مما كان في الهندولما أعلن الدستور اجتمع جمهور عظيم من المصريين للاحتفال بهذا الطور الجديد للدولة العلية ومما كان في الاحتفال من السجائب أنه كان يصيح جمهور عظيم ليحي السلطان عبد الحيد ولتسقط تركيا الفتاة ! ! وما تركيا الفتاة إلا الأمة العثمانية الناهضة بالإصلاح والقائمة بأمر حكم الشورى الذي يعبر عنه بحكم الامة نفسها بنفسها . ما أضعف البشر الذين يوجد فيهم من يتخيل عبد الحيد في هذا العصر كما كان يتخيل قدماء المصريين فرعون الذين قال لهم « انا ربكم الاعلى » ثم قال لهم « ما علمت لكم من اله غيري » فأطاعوه وعبدوه كما عبد كثيرون غيره من الملوك بعد هذا التهيد العام أين للرصيفين الفاضلين غلظهما فيما كتبنا بالتفصيل الا

٣٠٨ رد شبهات جريدة وطن على حب عبد الحيد للدستور (المار ج ٤م ١٢)

ما كان من المدائح الشعرية لعبد الحيد وادعاء ان العالم الاسلامي بأسره يكيه ويحزن
خلقه وحسبنا ان عالمنا الاسلامي العثماني بذلك سرورا لم يسر بمثله في حياته . وأبدأ
بدعوى صديقي صاحب جريدة وطن ثم اذكر ما انفرد به الآخر فأقول

يقول صديقنا الشيور ان عبد الحيد أثبت للعالم حبه للدستور واخلاصه له
واستدل على ذلك بأمر (١) إعلانه الدستور عند طلبه من غيرسك دم (٢) تصريحه
بذلك عدة مرات (٣) عدم تعرضه لمجلس الأمة بسوء (٤) وضع حرسه تحت أمر
نظاره الحربية واخراج حرسه وعساكر الاستانة منها ووضعها تحت حاية عسكر الدستور
الذي جيء به من سلا نيك وغيرها (٥) أمره أخيرا لحرسه بالتسليم لعسكر الدستور
الذي دخل الاستانة عند مأرأد الاستيلاء على « يلدز » قال وكان قادرا على ان
لا يسمح بإبعاد حرسه وعلى جمع جيش عظيم لحفظ مركزه وعلى حض العسكر الذي
طنى وبنى على الجمعية على الحرب (٦) تركه طلب حماية أقوى دول أوربا وإعانة
ترك ذلك حبا في الدستور واخلاصا للمملكة والوطن ١١١

وقول انه لا يصح من هذه الادلة شي (١) فاعلانه الدستور لم يكن عن رضى
واختيار بل فاجأه هذا الطلب المقرون بإنذاره الزحف على الاستانة بالجيوش والكتائب
اذا لم يجب اليه فجمع مستشاريه وأعوانه الذين أقرر الدولة لا يغاثم وأذلها لإعزازهم
ومن يرجع اليه عند المشكلات من غيرهم وهو سعيد باشا وطفقوا يأثمرون الليل بطوله
فاجعوا أمرهم في الصباح على ان المقاومة بالقوة غير مستطاعة فان عساكر حصون الاستانة
متفقة مع عسكر سلا نيك فهي تساعدولا تقاوم بل قيل له ان دسانهم متصلة ببحرهم فصدق
ذلك وناهيك بأحياطه وحذره وجبنه واستغنى شيخ الاسلام في عصيان عسكر سلا نيك
ليحاربهم باسم الدين ويوقع الفشل فيهم فقال له شيخ الاسلام لا يمكن الاقفاء بمصائبهم
وخرجهم على انخلفة لأنهم يطلبون منه أمرا مشروعا وهو جعل الحكم بالشورى كما
أمر الله عز وجل . فلما لم يجد في قوس المقاومة منزعا أمر بالإجابة على كره وعزم على
استعمال سلاح المكر والحيلة والكيد الذي فتك به بالدستور ورجاله أول مرة كما ظهر في
الفتنة الأخيرة قواضحا جليا كالشمس ليس دونها سحاب ولعل هذا قد علم الآن عند اخواننا
الرفقاء في الهند فانهم قد كتبوا ما كتبوا عند ما علموا بنهاى الانقلاب وقيل العلم بالاسباب

(المترج ٤م ١٢) رد شبهات جريدة وطن على حب عبد الحميد للدستور ٣٠٩

٢ - وأما أقواله وتصريحاته بحجب الدستور فهي دعوى لا دليل عليها . ومثله إظهاره الرضا عن جمعية الاتحاد والترقي وكونه منها أوتيسها وقد كان يستعمل هذه المصانعة والمراوغة والدهان في أيام جبروته وعنفوان استبداده واثنا عرف عنه من ذلك مالا نود ذكره الان

٣ - وأما عدم تعرضه لمجلس الأمة فلم يفهم ماذا يعني به الكاتب . أيعني انه لم يرسل حرسه لقتل نواب الأمة أم ماذا يعني ؟ هل كان يمكن التعرض لمولاء النواب مباشرة وأقوى جند الدولة يحرسهم والاسطول معه ظهير ؟ كلا ان هذا لم يكن ليأتيه من له مسكة من عقل أو إدراك لانه على فحش قبحه في أعين الامم والدول غير مبيد للاستبداد مالم تسقط القوة الذي أوجدته فلذلك وجه عبد الحميد كيد وفكره لا يسقط جمعية الاتحاد والترقي بتغيير الأمة منها باسم الدين والى التفرق والشقاق بين الجيش ليضرب بما يستميله اليه منه ما يبقى في جانبها وجانب الدستور وإن هلكت بهذه المكيدة الأمة وسقطت الدولة

٤ - وأما مسألة تفسير حرسه واستبدال بعض عسكر الدستور بعسكر الاستانة فقد راوغ فيه مراراً ثم انفذ بالقوة ولم يكن من سبيل الى المقاومة فيه بعد ان شرعت الحرية في اعدام الذين يخالفون الاوامر العسكرية بحسب القانون مع علم الحرس وعبد الحميد ان الاسطول تابع للحكومة وعسكر الدستور لا للمابين وانه يمكنه أن يدمر يلنزع عليه وعلى حرسه تدميراً

٥ - وأما أمره بالحرس يلنزع بالتسليم عند ما وصل اليهم جيش الدستور بعد استيلائه على حصون الاستانة ومواقمها العسكرية بالقوة القاهرة فسيه قينه بأن المقاومة في هذا الوقت تنفضي الى تدمير يلنزع بالدافع بعدما كن من حصرها وقطع الماء والزاد والنور عنها ، وفي ذلك ذهاب حياته العزيزة الذي جعل الدولة والأمة حفاظاً لها مدة ثلث قرن

٦ - وأما دعواه انه كان يمكن ان يتال عبد الحميد حماية أقوى الدول الاجنبية ولكنه لم يفعل حباً في الدستور فتقول فيها ان هذا لم يكن في استطاعته لاسبابها بعد ان ينس من الفوز والظفر بمكيدته الاخيرة

و بالبت شعري كيف يتصور مصفاؤنا في الهند ان يحارب الألوف من عسكر الاستانة

إخوانهم الذين جاؤا من سلايك لتأييد الدستور اذا لم يكن السلطان هو المحرك لهم؟ خرجوا عن طاعة قائدهم وصاحوا في مواقع كثيرة : ليسقط الدستور وليعش السلطان وحاولوا قتل جميع اعضاء لجنة الاتحاد والترقي ، فعلى اي دعامة كانوا يستندون؟ وأية قوة كانوا يعززون؟ أما أنه لو لم تظهر الدلائل الحسية القاطعة بصدق ذلك على أن عبد الحميد كان هو المدير لهذه الفتنة والمنفق عليها لكان العقل وحده حاكما بذلك

وإذا كانت عبد الحميد قد رعى على إفساد الجيش الذي جاءت به الجمعية عليها ودفعه للتسكيل بها وبالدستور فكيف كان يكون اندفاعه في مكيدته لو كان الحرس الذي رباها في حجر الرفاهة والدلال بقي عنده ؟ أفلا يدل هذا على أن الصواب هو ما فعلته الجمعية من إخراج ذلك الحرس الفاسد (الذي لم يطلع نظارة الحرية إلا بالقوة) من قصر هذا السلطان الذي مرد على الاستبداد حتى امتزج بلحمه ودمه وعصبه ؟ أليس هذا الدليل أصح من دليل صديقنا على كون الرضا بإخراج ذلك الحرس كان خطأ

هذا هو القسم الأول من الكلام وهو ما يتعلق بالدفاع عن سيرة عبد الحميد في عصر الدستور وأما القسم الآخر منه وهو في سيرته قبل الدستور فيشتمل على عدة دعاوي لم يقترن شيء منها بدليل

١ — قال « انه أصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتباراً مالياً في أسواق أور باموازي لا اعتبار أقوى الدول في العالم » وتقول ان هذه الدعوى أغرب ما كتبه الرصيف الصديق واتي لا أذكر ان أحد من الذين كانوا يطرون عبد الحميد بالإكراه أو بالأجرة قال ذلك أو ما يقرب منه بل كانوا يطرونه بأمور أخرى لا تظهر مخالفتها للحس كذنه فقد أفسد عبد الحميد مالية الدولة حتى لم يعد لأحد من أوربا ولا من غيرها ذرة من الثقة بها ولم يعد أحد يقرض الدولة قرضاً ما الا بضمان يستولي به على مورد من مواردها بالفعل حتى صارت موارد الدولة الأساسية في يد إدارة الديون العمومية وغيرها وبهذا صار لبعض الأمور المالية شيء من النظام . وحسبك انه لم يكن للدولة في هذه السنين ميزانية تجري عليها الحكومة بل كان عبد الحميد يقتال الملايين من الدخل ويسلط عمال الحكومة على الاستمساكة عن مرتباتهم التي لا يصل

اليهم منها إلا القليل بسلب الأمة ونهبها بشرط أن يجعل له كبارهم كالولاية والتصرفين نصيباً مما ينهبون . وحسبك أن الحكومة قد عجزت إلى الآن عن تقديم الميزانية إلى مجلس الأمة وفر موسيو لوران المالي العظيم الذي جاءت به الحكومة من فرنسا لينظم مآليتها متعجباً من الخلل الذي وجدته معترفاً بأن إصلاحه من أشق الأمور حتى أنه يكاد يكون متعزلاً . نعم أنه عمر بخراب مالية الدولة مآلته الشخصية فكثرت الملايين في صناديق بلنزر وفي مصارف أوروبا وأمريكا وافق الملايين على الشهوات والجوايسيس وهو يعلم أن عسكر الدولة كان يموت جوعاً وعرياً حتى أنهم كانوا يقتاتون في نجد يئذ الخنظل قطع أمعاءهم والعاذ بالله

٢ - قال أنه درّب الجيش على قواعد الحرب الحديثة . وقول أن الدولة العثمانية هي دولة حرية بالطبع وكان السلطان محمود رحمه الله تعالى هو الذي بدأ بجعل نظام عسكريتها على الطراز الأوروبي وقد سارت الجندية فيها على ناموس الارتقاء ولكن اعتراضها من سوء سياسة عبد الحميد ما جعل سيرها بطيئاً وعرضة لضروب من الخلل والفساد منه ما حل بدور الصناعة البحرية والعسكرية (الترسانة ، والطوبخانة والبارودخانه) حتى رجعت القهقري ولوساوت على سنة الترقى لاستغنيانها عن شراء السلاح من أوروبا بأثمان غالية كانت من وسائل سلب الملايين للأموال المخصصة للعسكرية وكما ظهر في ذلك من الخيانات وهذا الضرب من الفساد يجعلنا عالة على أوروبا في قوتنا الحربية (ومنها) مقاومته للتعليم العسكري في الاستانة حتى أنه حاول غير مرة لإبطال المدرسة الحربية التي زعها بالجوايسيس (ومنها) ترقية الضباط بالارادة السنية من غير استحقاق (ومنها) نفيه وإذلاله للضباط المتعلمين البارعين الخ مالا محل لتفصيله هنا . ولو كان المقيمون منه جاوره على كل وسواسه في العسكرية لجعلها أترأ بمدعين ولكن نحمد الله تعالى أن مكنها من القضاء عليه قبل أن يقضي هو عليها

٣ - قال أنه سعى في انتشار التعليم وبث العلوم الحديثة . وقول أيضاً أن التعليم من ضروريات كل دولة وكل أمة في هذا العصر وكان من مقتضى سنة الارتقاء أن نكون فيه مثل اليابان ، إن لم تكن مثل الفرنسيين أو الألمان ، ولكن عبد الحميد حارب العلم في أمته ودولته أشد المحاربة حتى جعل أكثر مدارسها ملاعب أطفال (راجع ص ١١٠)

و ١١ من ثار هذه السنة) وأبطل امتحان طلاب العلوم الدينية فتركوا الطلب والاشتغال واعترفوا في جميع البلاد بعد إعلان الدستور وصدر الأمر بامتحانهم انهم عاجزون عن الامتحان فاعفاهم مجلس الأمة منه في هذا العام ليستعدوا له . وقد علم العامة كالمخاض في جميع بلاد الدولة أن العلم الديني والديني هو أكبر الجرائم في نظر السلطان عبد الحميد فصاروا يتحامونه وحدثت في السنين الأخيرة من حكمه المشؤم بدعة تفتيش الحكومة لبيوت الناس وأخذ الكتب منها ومعاينة أصحابها فصار الناس يحرقون كتبهم بأيديهم ومنهم من دقها في الأرض حتى أحرق في سورية عشرات الألوف من الاسفار القديمة والحديثة في سنة واحدة . فانظر ما أشد حرص عبد الحميد على العلم وعنايته بنشره وما كثر المجتهدين والمختبرين المكتشفين في أيامه ١١١ وقد أقيمت خطبة في رجة القشلة العسكرية ببيروت في أواخر رمضان الماضي بينت فيها كيف كان غلام الجبل ممدودا على البلاد الغبائية وكيف كان الهدم واقفا في ذلك الظلام ببناء الدولة : معارفها وقضاؤها وادارتها ومالياتها وعسكريتها ، وبناء الأمة : ثروتها وآدابها وأخلاقيها . ولعلنا نراجع الذكرة فنكتب ما تلمح علينا منه

٤ - قال انه دقضى ثلاثا وثلاثين سنة يجرد ويجتهد وراء سعادة المملكة والملة ، والصواب انه اشقى المملكة شقاء لا نظير له واخوانا مسلمو الهند الذين يقولون هذا القول لم يروا ولم يختبروا ونحن نسمع باذاننا ونرى بأعيننا بل الشقاء وقع على رءوسنا واحاط بنا من كل جانب بسوء سياسته

٥ - قال انه عمر الطرق وبنى السكك الحديدية وحضر الترع والجداول والصواب انه لم يفعل من ذلك شيئا للأمة الاسكة حديد الحجاز التي حمله على الرضا بها وسواسه الذي يخيفه من اقامة خلافة عربية بالحجاز . وما سمح به من امتيازات السكك الحديدية للاجانب فسيبه انه كان من موارد ثروته لأنه كان لا يسمح بامتياز الا اذا اخذ لنفسه مبالغ عظيمة من المال وكثيراً من سهام الشركة فقد كان يبيع مصالح المملكة بذلك يماول ذلك كان يعطي هذه الشركات من الضمانة الكيلومترية ما لا يعهد له نظير في مملكة أخرى . ونسأل صديقنا الكاتب ان يدلنا على مكان الترع والجداول التي احياها الزراعة ابن هي وما هي الثروة التي تجددت للفلاحين منها ؟؟

٦ - قال انه يحفظ الملكة من الضياع . وقول انه اضاع بسوء سياسته ثنها ولو بقي على عرش استبداده سنة أخرى لأضاع الولايات المكعبونية الثلاثة فان جمعية الاتحاد والترقي ما عجلت بهذا الاقلاب قبل ان تتم عذته الا لعلها علم اليقين أن الدول اتفقت على ذلك وانه لا عاصم منه الا الدستور . وكان كثير من السياسيين يقدرون ان الدولة لا تكاد تعيش مع ذلك الحكم اكثر من خمس سنين وأن سبب تأخر سقوطها هو تنازع الدول فيما بينهم . وقد سمعت كلمة من احمد مختار باشا الفازي اكبر مشيري الدولة وقواد جندها واعلمهم بحملها سمعتها منه مرات كثيرة في السنين الاخيرة من حكم عبدالحمد وهي اكبر شهادة نطق بها لسان وأيدتها وقائع الأحوال وقد صار قتلها عنه الان جائزاً فلعل اخواننا مسلمي الهند يستبشرون بها قل « لو اجتمعت أوربا واتفقت على أن تضر بالدولة والاسلام كما أضرت بهما عبدالحمد لعجزت » هذا ما نرين به خطأ الجريدتين بالايجاز ويزيد كلمة في الرد على ما افرد به صاحب جريدة الابرور اذ قال إن الدولة فقدت البناار والبوسنة والمهرسك على عهد الحكومة الدستورية . وقول ان هذا غلط عظيم فان هذه الولايات قد ضاعت منا بمر بنا الاخيرة لروسية وإنما كانت تلك الحرب برأي عبدالحمد ودسانسه لبشغل الامة عن الدستور ويتمكن من إبطاله وقد بئل مدحت باشا (رحمه الله تعالى) جهده في سبيل تلافيا ففجز ولا يقال انها كانت برأي مجلس الأمة الأول لما هو معلوم وقال إن أعداءه شهدوا له بالدهاء والسياسة وقول اتنا لانكر أن له دها ومراوغة في السياسة الخارجية كان يستعين عليها برشوة نساء السفراء وأهدائهن الجواهر الثمينة ولكن نطلب من الكاتب أن يأتينا بشهادة لما قيمة من الأعداء او غير الأعداء بأن عبدالحمد رقى ثروة أمته ومالية دولته أو أجرى فيها العدل أو نشر العلم أو جرى على طريقة مكذوبة اليابان وقال لا ينكر حبه للاسلام . وقول اما دين الاسلام نفسه فلم ير من ملوكه من عبث مثله بكتب الحديث والعقائد والفقه من منع بعضها وتحريف البعض الآخر ولو كان في غير عصر المطبوعات وكان جميع المسلمين تحت سلطته لما بد عليه ان يطمع في تحريف القرآن وتغيير آيات الشورى ونحوها فيه . واما أهله فقد كان الاضطهاد

(المارچ ۴) (۴۰) (المجلد الثاني عشر)

عليهم في دينهم شديداً من حيث لا يخطر على غيرهم كما كان الظلم أشد وطأة عليهم من غيرهم . نعم انه كان ولو بما حيا . لقب اخلاقه والحرص على تعظيم المسلمين الذين تحت سلطة الاجانب له لأجل ان تحترمه دولهم فلا تنقص عليه التمتع باستبداده . وأما ما ذكرنا من كثرة عمله فهو على المصلحة فيه عمل ضار في الغالب لأنه نظر في رسائل الجواسيس الذين يشون ويعملون برجال الأمة وقد قيل ان هذه الرسائل مخنونة كلها في « يلدر » ورماعيز واحد عن قرائنها في مثل المدفاتي جلس عبد الحميد على كرسي السلطنة . وأما زعمهم انه كان لا يحتفل بالذات فهو باطل فإنه كان يشرب أجود الخمر . وجمع مثلاً من الفوائد الحسان للتمتع والغناء والعزف والرقص والتبثيل وغير ذلك . ولعلم اخواننا مسلمو الهند اننا لم نقل ما قلنا الا عن علم وخبرة وتأيد لمصلحة العامة بالحق والصدق اذ لسنا من الذين يتوسلون بالشر الى الخير وبالباطل الى الحق . واننا لسنا من المتشيعين لجمعية الاتحاد والترقي التي كان لها الابرار العظيم في هذا الانقلاب الميمون قد رأوا اتناجمنا في الجزء الماضي من انقاد المتقدمين عليها ما لم يجمعه كاتب ونظم الرد بكلمة في الخطر على الدولة فان الكاتيب يخافون ان ينزل بالدولة الهلاك بعد عبد الحميد . ونحن نقول لاشك ان عبد الحميد كان يسير بالدولة الى الدمار والهلاك كما مرت الاشارة الى ذلك فان سقطت (لا قدر الله لها الا العلاء والارقاء) فانما يكون هو الذي أسقطها وان نجت فانما تنجو بالدستور الذي هو آخرهم في الكفاية

﴿ استغاثة أهل البيت الحرام • جميع بلاد الاسلام ﴾

جاءتنا الرسالة الآتية من مدينة الفيور الاستاذ السيد عبدالله بن صالح الزاوي رئيس اللجنة العليا بمكة لجمع الاعانات لتعمير عين زيدة ونشر المعارف في الحرمين الحمد لله وحده

جناب ذي القدر العالي والمنخر السني كريم الشيم علي المهم حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمدرشيد رضا المحترم محرر المنار الأغر زاده الله مجداً وعلاوا وقر بامن ملك الملوك ودنوا به دابلاغ جزيل السلام وأدام اسم التعظيم والاحترام نعرض انه لا يخفى على انظاركم السليمة ما هو معلوم لدى جميع أهل هذا الدين القويم أعني مال هذه البلدة السعيدة من خطورة

القدر وسمو المرتبة يكونها موضع بيت الله الملك الرحيم ومسقط رأس النبي عليه أنضل الصلاة والتسليم منها ظهر الدين ونما حتى برز القنن منه بأبداع الاشكال وانتشرت اتعالم وكثر العلماء حتى علوا الى أعلى ذروة الفضل والكمال كيف لا وهي تحت ملك الملوك ومقر بيته السعيد الذي يخضع نجاهه الملك والصلوك وقد اغتصبت في الأزمان الغابرة حقوقها ولم يلفت أحد من القائمين بإدارة مصالحها من المتولين عليها الى ملاحظة دوام علوها ورقبها بنشر العلم والتعلم ومساعدة المعلمين والمعلمين فلذلك قل فيها العلم وأهله وقلت الصنائع وعارفوها والآن بمحمد الله تعالى تفسير الحال وأملنا ان تعود الى أحسن مآل حيث ان القائمين بإدارة مصالحها الآن أهل همة عليّة ونجدة وأريحية عرفوا الحق لاهل ققاموا باسترداد ذلك المجد وحرصوا العلماء وودعهم بالمساعدة وأذنوا لهم بالكتابة الى إخوانهم المسلمين في استحصا كل وسيلة لترقية العلم والصنائع بإنشاء المدارس والسمي في طلب المساعدة من أولى الفيرة والحية في جيم انحاء العالم من انصف بصفة الاسلام لان هذه البلدة واجب لما الحق على جميع المسلمين انطاس منهم والعلم وهذه العلوم والمعارف هي غذاء الأرواح والسبب في جلب الطاعة والخبرات والاقنياد والفوز بجميع المسكارم والارباح كما ان الماء للسكان والحجاج وكل ذي روح هو قوام الاشباح وقد قل وجوده في هذه السنين بسبب الخراب الواقع في العين المنسوبة إلى البيدة زيدة حتى صار الناس لا يشكون سوى قلته وضاعت مصالح أكثر الفقراء بسببه بحيث لا يحملون الائمة ونيت بقية انساب المعيشة في جنب هذا التعب العظيم خصوصا والخراب في قنوات العين جسيم والحاصل ان جلب الماء وتصليح قنواته وارجاع مجد هذه البلدة وترقية سكانها بالعلوم ومعرفة الصنائع والمعارف كل ذلك يحتاج الى المال الخطير وأيدي أهل هذه البلاد خالية من القليل منه والكثير ولكن بمحمد الله تعالى بيد أهل الخير من المسلمين في بقية الاقطار كثير وقطعا لا يبخاؤون بشيء منه على هذه البلاد واصلاحها بتكثير المياه فيها وبناء مدارس لتعلم العلوم والحرف والصنائع لساكنيها حتى يموزوا نفهم الاجر حيث ان ذلك من أهم المعامل وأعظم القربات وزهادة اغنيرت والبركات وفضل ذلك عظمت وأجره

جسم والدرهم الواحد الذي يصرف في هذه البلدة قوم بمئة ألف درهم في غيرها وأفضل من نجب اعانتهم جيران بيت الله العظيم القاطنون بواد غير ذي زرع عند بيت الله الكريم وحجاج بيته القادمون اليه من كل فج عريق لاداء الغرض العظيم فساعدوا ساعدوا على اجراء الخيرات وتقرىوا الى الله زلفى بفعل المبرات لئلا هذا فليعمل العالمون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقد تشكل مجلس مخصوص لهذا المم الجليل من أهل العلم والامانة والديانة والخبرة والحماية اهالي ومجاورين في رقعة بطي هذا الكتاب مع تعليمات مجلسهم ليعلم منه تيقن حصول الامن التام ان شاء الله تعالى في صرف ما يتحصل لهم في موضعه لا يتطرق اليه يد غاصبة أصلا فسأل الله سبحانه لنا ولكم حسن التوفيق الى احراز الفضيلة والمترلة عنده من اقرب طريق انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد سيد الانام وبدر الخاتم ودمتم (المئزر) هذا هو المنشور الذي طبع وأرسل الى اصحاب الجرائد في الاقطار الاسلامية وقد زاد صديقنا رئيس اللجنة في النسخة التي أرسلها اليها بخفضه الذي نعرفه ما يأتي :

وتم المرجو من عالي همتكم وعنايتكم بالأمور العامة القيام بئذل المجدلدى العموم بالتشويقات في هذا العمل الخيري وجمع الاعانة وارسالها اليها اوالى يدوكيل هذا المجلس في اقرب محل لكم حيث ان للمجلس وكلاء في عدة من البلدان منها جده الوكيل بها حضرة الحاج زينل عبد الله علي رضا وعدن الوكيل بها محمد افندي بن حسن علي وسفين اسماء الوكلاء أيضا ونشرها في الجرائد حتى مصر والشام وقد كتبنا الى مصر عدة كتب ولخصوص الخديوي المعظم وصار إرسال كتاب الخديو من طرف الولاية الجليلة وتصدق عليه من مقامها وكذلك كتبنا عدة كتب الى الجهات خصوصاً الهند وجاوا وبخارى وقازان وبلدان العرب وأرسلت المقالة الطويلة المعنونة ببنوان (أهل الحجاز يستعصرون) وساعدنا في التحارير جملة من المربين وغيرهم المقيمين هنا وحيث ان مجلتكم الغراء لها الشيوخ في جهات كثيرة فمضى أن تفضلوا دواما بتحريض المسلمين على المساعدة في هذه الاعمال وتذكروا أمر الحجاز واحتياجه للماء والتعليم وتحسنوا لمن فيه المهمة والقدرة على المساعدة ماديا ومعنويا بئذل تلك ونفقدونا بالارشاد الى ما ينفع فاننا مقرون بالمعجز

وعندنا القابلة لتعلم وبذلك تالون عظيم الاجر والثواب ودمتم
١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧
رئيس القومسيون

(الختم)

(المثار) قد شاع وذاع على الالسنه وفي الجرائد ان الماء قد قل في حرم الله عز وجل حتى يلجأ من القرية الصغيرة من الماء عدة قروش وكاد الفقراء يموتون عطشا ومن المسائل المروقة في الشريعة انه يجب عند الضرورة بذل الماء وكذا الطعام لكل إنسان محتدم ولكل حيوان محتدم (غير مهذور الدم) وجوبه بشرع يساوي كان الانسان مؤمنا او كافرا وسواء كان الحيوان طائرا أم نجسا - فاذا قول في جبران بيت الله وعار حرمه وحجابه القيمين لشماره وحقوقهم أكد وبرهم أفضل ومساعدتهم اكبر اجرا وإعانتهم احسن ذخرا

ان المثار يذ كر اللجنة ودولة الشريف أمير مكة بالمال الكثير المتجمع من أوقاف الحرمين بمصر ولا أدري هل كتب الى الخديو بطلب المساعدة أم بطلب هذا المال . ثم ندعو كل من علم بما ذكر لبذل ما تجود به نفسه مما انعم الله عليه لإغاثة حرم الله ومن يعمره ويحبه وان ادارة المثار قبل ما يرسل اليها من المساعدات وتعطي به وصلا مطبوعا وتنشر اسم المرسل الا ان ينهاها عن التصريح به فتكتفي عنه وتكفل ارسال ذلك الى اللجنة في مكة المكرمة زادها الله تक्र بما ورخاء - وهي لجنة مؤلفة من خيار وعلماء مسلمي الاقطار المجاورين لبيت الله فهي موثوق بها وبهذا نكتفي عن ذكر اديانهم . وقد علمتم أيها المسلمون ان سلفكم قد وقفوا على الحرمين عقارا كثيرا فلا تكونوا أقل منهم غيرة وعملا للخير (٦٤ : ١٦) فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانتقوا خيرا لانفسكم من يوق شح نفسه فأوليئك المفلحون ١٧ إن قرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم

الاخبار والآراء

(خلق السلطان عبد الحميد وتولية مولانا السلطان محمد الخامس)

قد انتهت جميع الصنائع بخلق عبد الحميد وتولية هذا السلطان الدستوري

المذهب الاخلاق ما عدا اعوان الأول على نهب البلاد . ولما بشرنا البرق بذلك اجتمع جمهور من العثمانيين في بعض السمار ودعوا صاحب هذه المجلة للخطابة فخلاب فيهم مصدرا خطبته بقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك » الآية . وبين ان مشيئة الله في نزح الملك وإيثائه ، منفذة لسنه الاجتماعية في ذلك ومنها ان إرادة الأمة إذا اجتمعت لا يارضوا شي لأن يد الله على الجماعة كما ورد في الحديث . وبين ان جمهور الأمة كان يقن أو يعتقد ان عبد الحميد أعطى الدستور مختاراً وأنه كما كان يدعي مخلص له حافظ عليه فلما ظهرت الفتنة الأخيرة وعلم انه المدير لما لا يسقط الدستور اجتمع رأي السواد الأعظم من الامة على خلعهم ولا راد لرأي السواد الأعظم إذا اجتمع ثم احتفل العثمانيون في حديقة الأزبكية بذلك فخطبنا أيضاً في الموضوع فذكرنا الحاضرين بخطبتنا هناك يوم أعلن الدستور وكيف كان جمهور من المعمرين يصيحون في وجهنا بالدعاء لعبد الحميد الخ (راجع ١١٤٦ م) وكيف حصص الحق وظهر صدق قولنا . واطنا في بيان سلطة الأمة وسينات الحكم الحميدي وانطبق الدستور على الشرع . فرأينا من استحسان الناس لهذا الخطاب واطرائه به ما لم نرله نظيراً هذا وان كل ما قلنا من أقوال مولانا محمد الخامس وتصرفه وتواضعه واقتصاده يشترنا بأنه سيكون خير سلطان ، جلس على سرير آل عثمان ، حقق الله ذلك

﴿ الدولة العلية الدستورية والدين . ورأي غير العثمانيين من المسلمين ﴾

بري اتمازي في باب المناظرة من هذا الجزء رأي جريدتين من جرائد مسلمي الهند في الحكومة الدستورية وحكم عبد الحميد الاستبدادي مع الرد عليهما . وقد اجتمعنا في هذا الشهر بالأمر الإقليمي (نواب بهادر صاحب خان عبد القويوم) من كبار رجال الحكومة الخارجية في (يشاور) على حدود الهند من جهة الافغان وقد سألنا عن حال الدولة العاصرة فينا له الحقائق فاذبحرنا ان أهل الهند والافغان يجيئوننا وان الشائع في تلك البلاد بين المسلمين ان حزب تركيا الفتاة يريد ابطال الحكومة الالامية في الدولة وان يجعها حكومة امرية ليس له صبغة دينية . منهم يحسنون انظر لعبد الحميد وسميئونه في جمعية الاتحاد والترقي وقال بعد ان بينا له

الحقائق انه يحسن او يجب ان يذهب وقدم الاستانة الى الهند يطوف فيها و يظهر الحقيقة لأهلها وقد سافروا الى الاستانة ليختبر الحال بنفسه . فلتعتبر الجمعية وتذكر كثيراً ولا شك ان جمل جرائد مسلمي الهند للحقائق وتشجيع اصحابها العبد الحميد هو الذي احدث هذا الضرر الفادح وأقواه اذا صح ما يرتأيه بعضهم من كون الانكليز هم الذين يشعرون هذه الاشاعات ليوهموا المسلمين انه لم يبق في الارض حكومة إسلامية . إن أصحاب الجرائد المصرية الذين يشمون على الحكومة الدستورية الجديدة بمدون المسلمين في هذا التي ويخدمون الاجانب العاكين على الملايين من المسلمين خدمة عظيمة وهكذا يمدد الاجانب من المسلمين الجاهلين أو المستأجرين من يخدم سياستهم ويغفل المسلمين

• • •

﴿ الاحكام العرفية في الاستانة ﴾

اعلن القائد محمود شوكت باشا الأحكام العرفية في الاستانة لتطهيرها من أعران عبد الحميد على إعادة الاستبداد فأوجس الناس خيفة من ذلك . وعندي ان فائدة هذه الاحكام لا تقل عن فائدة خلع عبد الحميد وأسرهم ونفيه فان الطغور من أسفل درك الاستبداد الى أية درجة من درجات الدستور من الحالات الاجتماعية وان كان من الممكنات النظرية والقولية ولذلك عجزت الحكومة في العاصمة وفي الولايات عن ان تخطو خطوة واحدة في طريق الحكم الدستوري حتى صار الناس يلهجون في كل مكان بقولهم ان سير الحكومة لم يتغير واننا لم نستند من الدستور شيئاً . وان لكتاب هذه السطور في ذلك كلمات صارت تؤثره في الديار السورية منها « ان الحكومة الاستبدادية سقطت والحكومة الدستورية ما تكونت » ومنها « اننا أخرج الآن الى حكومة عرفية منا الى حكومة دستورية » وقد قلت لناظم باشا اذ قمته في بيروت أول مقدي اليها في آخر شعبان من السنة الماضية : ان الحكومة والأمة في حاجة شديدة الى رؤساء محنكين قادرين ينفذون فيها الدستور بشئ من الاستبداد الباطن ، المطبق على القنن في الظاهر ، يكونون كن يربي الطفل لكن على الاستقلال ، لا على التقليد والانعكاس ، (قلت) وأوجو ان تكون انت منهم لماك من التجربة والاختبار

كان من سبب عجز الحكومة عن تنفيذ الدستور الخوف من سخط الأهالي عليها إذا عاملتهم بما لم تعودوه وكان خوفاً من الموظفين أشد قد كان من سياسة عبد الحميد أن يحشرفي كل دائرة من دوائر الحكومة أضاف من يحتاج اليهم العمل فيها ورأت الحكومة الدستورية أنها مستغنية عن كثير من هؤلاء ولكنها لم تتجراً على إخراجهم لئلا يكثر سواد الناقين منها والناخبين عليها حتى قيل ان موسيو لوردان الفرنسي الذي جئ به لإصلاح خلل نظارة المالية قل ان أهم مبادي الإصلاح لإخراج البلم الفغير من هؤلاء الموظفين الذي لاعسل لم . فلم يحبه كامل باشا إلى ذلك ، وفي هذه الفرصة فرصة الاحكام العرفية يمكن تنفيذ ذلك وغيره وتكون حكومة دستورية محترمة تكون حلقة لاتصال بين الماضي والحاضر

• • • ﴿ الشريف امير مكة المكرمة والاصلاح ﴾

جاءنا من أنبا الحجاز ان أميره الشريف يبذل قصارى جهده في الإصلاح وعمران الولاية وحفظ الأمن العام فيها وقد وفق الى تأمين البلاد بدرجة لم يهدا نظير في السنين المنقطة الماضية وقد وجه همه الى نشر العلم وتأليف أعراب البادية وتأمين سكة الحديد الحجازية . وآخر ما جاءنا من أخباره في ذلك انه اخذ العهد والميثاق على مشايخ حرب ان يتوموا بحراسة الخط الحديدي بدلا من تخريبه وهو قد كفل لم ان ترض الدولة عليهم ما فاتهم من الانتفاع بنقل الحجاج وتوفيههم أجورهم وكتب الى الاساتنة بذلك فضى أن تمضي الاساتنة له عهد فأن هذه الطريقة التي سلكها في الطريقة المثل لحفظ الخط وامتداد خط الأمن ، وأما توه مقاومة الأعراب بالقوة واستغلال الجد بحفظ الخط فهو من وسوسة الفرور ونزغات الشياطين التي تجعل حرم الله تعالى في خوف دائم ، وخلل ملازم ، فستل الله ان يوفق هذا الأمير الدستوري الى سائر ما تحتاج اليه البلاد المقدسة من الإصلاح ويوفق الدولة الى تأييده في ذلك

• • • (الامير محمد أرسلان نجل الامير مصطفى الشهير)

ثلت الفتنة الباغية على الدستور هذا الأمير وكان مبهوت الاذنية فاهتز لموته صورية ولبنان ، وزناه لهما كل ذي قلم ولسان ، ونحن نشأركم في ذلك ونمزي الوطن بشريته والله منه

بسم جادى القين يستنون القول فيسبون حس
أولئك القين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بسم الحكيم من يشاؤون من وقت الحكيم قد أوتي
غيرا كثيرا وما يدعركم إلا أولو الألباب

قال طه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « مناوا » كتاب الطرق

(مصر - الجمعة ٣٠ جادى الأولى ١٣٢٧ - ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٢٨٥هـ ١٩٠٩م)

فَتَاوَى الْمَلِكِ الْمَلِكِ

هنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طاعة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور بما قدمنا متاخرا لسبب كطاعة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا ، ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفلة

استعمال الورق النشاف في الاستعفاء ، والمقوى في الحذاء

(ص ٢١ و ٢٢) من ص ٠ م ٠ في كرموس (السودان)

سيدي الفاضل

ترددت كثيرا في كتابه هذا لحضرتكم ولكنني اقدمت لملي انكم تسرون لنشر التعاليم الدينية لمداية المسلمين ووقوفهم علي خلاصة الدين الحنيف
بمعني مجلس مع لغير من اخواني الضباط وقد لاحظ احدهم اني اضع في حذائي فرشاة من الورق المقوى لان به اتساعا فائق علي قوله ان استعمال الورق مثل هذا الاستعمال مخالف للدين الذي تدبر به . وقد تناول كل منا البحث في هذا الموضوع حتى استدرجنا البحث والكلام في (١) هل الورق المخصوص الذي يوضع في البواخر ، مطهر و (٢) هل يجوز للمسلم استعماله — و (٣) ان كانت جاز للضرورة هل تعاد الصلوات التي يكون صلاحها المسلم المسافر في مثل هذه البواخر لأنه يمنع من حمل الماء للمحلات الخلاء و (٤) هل الورق (الذي يسمى ورق النشاف) مطهر لأنه يلتقط ويمتنع السوائل

ووقف بنا البحث لهذا الحد ولم نجد جوابا شافيا وانتقلنا لمواضيع آخر فاما هي عادتنا عند وجود عقبات لا نجهت في ازالها

انقض المجلس وانا مشغول في ايجاد نص صريح يحل لي هذه الألتاز ولما لم (المأرج ٥) (٤٣) (المجلد الثاني عشر)

اجد أمامي غير من أوقف نفسه لهداية العالم الاسلامي طرقت بابكم بهذا التردد الكثير — عشي ان استفيد من حضرتكم لأفيد اخواني ولكم الفضل علينا ومن الله الاجر (ج) استعمال الورق الذي يوضع في مراحيض البواخر والورق النشاف في الاستنجاء جائز ولو مع وجود الماء وإمكان استعماله فلا يتوقف جوازه على الضرورة ولا يجب إعادة صلاة من استنجى به لأنه احسن تقية من الحجارة التي ورد النص بالاستنجاء بها ومن كل ما في معناها بما ذكر في كتب الفقه وليس هذا محل خلاف يذكركم فلا يكن في صدر أحد منكم حرج منه . ثم ان ما قاله لكم صاحبكم في تحريم وضم القوى في الحذاء خطأ وفيه جرأة على الدين بتحريم ما لم يجرمه الله والاصل في الاشياء الاباحة فلا تقلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق

﴿ لب الشطرنج ﴾

(س ٢٣) من كورني (السودان) لصاحب الامضاء بنص

سيدي الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الافر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية المسلم لأخيه ، وبعد فراجيك التكرم بالرد على السؤال الآتي على صفحات جريدتكم الثراء :

هل لعبة الشطرنج المعروفة محرمة أو مكروهة في عموم المذاهب الأربعة أو بعضها يقول بالحرمه أو بالكراهة أو الاباحة مع العلم بأن الشيخ الدربري ذكر في الشرح الصغير على أقرب المسالك في باب جعل في الجزء الثاني قال في المتن (واللهو حرام) وذلك كاللعب بالترد المسى في مصر بالطاولة فيحرم كأنه بوض أو بدونه لأنه يوقع العداوة ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وكالشطرنج والشجة والطاب والمثقلة واستظهر بعض كراهة المثقلة والطاب ومحل بدون عوض وأشغال على محرم والا فيحرم اتفاقاً اهـ

ثم قال الشيخ المدوي في حاشيته على الرسالة عند قول المتن في باب جعل خلق على الافعال المحرمة (ومنه القمار) قوله ومنه القمار الخ قال في المصباح قمارته

قارأ منه باب قاتل وقرته قرأ من باب قتل انتهى أي إذ في لب الشطرنج ونحوه مثابة
 قهوه ونحوه كالرد والطالب ونحو ذلك فكل ذلك حرام والا بدونه شيء انتهى
 فيؤخذ منه ذلك كله انه هذه اللعبة محرمة في مذهب الامام مالك فإذا قلم
 بالحزمة أو بالكراهة فما هو السبب في ذلك وإذا كان السبب كونها تورث المداوة
 كما ذكر اعلاه فالمسابقة بالليل تورث المداوة أيضا مع أنها جائزة في مذهب الامام
 مالك أفيدونا على ذلك مأجورين ولكم الشكر

وفي الختام تفضل بقبول تحياتي واحتراماتي
 يوز باشي مأمور كورني
 عثمان عارف الرقاعي

(ج) صرح الامام مالك في بعض أجوبته بكراهة الشطرنج وأطلق فحمل
 أكثر أصحابه ذلك على كراهة التحريم، وقال الإمام الشافعي فيه : انه لم يشبه
 الباطل أكرهه ولا يدين لي تحريمه . فحمل أصحابه ذلك على كراهة التنزيه ،
 واشتهر بين الناس ان الشافعي أباح الشطرنج والصواب ما قلنا ، ولا نعرف نصاعن
 الشارع في تحريم الشطرنج ولا غيره مما ذكر من اللعب الا الرد (الطائفة) ولنا في ذلك
 فتوى مفصلة في المجلد السادس (راجع من ٣٧٣ - ٣٧٨ منه)

﴿ معاوية بن أبي سفيان ﴾

(س ٢٤) من سنفافوره

سأل سائل من سنفافوره عن معاوية هل ثبت موته على الايمان وهل يجوز
 لعنه . وقال ان بعض السادة الحضارة ألف كتابا ثبت فيه جواز لعنه وكبت
 وكبت الخ فظعن الناس فيه . وقول قد سألتا بعض هؤلاء الحضارة عن مسألة اللعن
 من قبل فأجبتا بما رآه . واما مسألة موته فهي مما يفرض الى الله تعالى من جهة باطن
 ونحن لنا الظاهر وهو انه مات مسلما ودفن بين المسلمين . وقد علمنا ان القوم
 مختلفون ومتعادون في ذلك فنوصيهم بترك الكلام فيه لأنه يخشى شره ولا ترجى
 منه فائدة بخلاف تحقيق بنيه على علي كرم الله وجهه فذلك من أهم مسائل تاريخنا

الانقلاب الميمون

﴿ وأثر السلطان عبد الحميد في الدولة ومقاومته للدستور ﴾

(استدراك على المنار)

صديقي الأستاذ الحكيم

نشرت في العدد الماضي رسالة الفاضل مولوي لإنشاء الله ورسالة جريدة ابز روز الهندية في الانقلاب العثماني وفيها ما يدل على ان نبأ خلع السلطان عبد الحميد أثر تأثيرا سيئا في الاقطار النائية الاسلامية وانهم يرون انه قد اقيمت عليه بانحطاط لما له من المآثر الكثيرة في الدولة وقد عدد الكاتب تلك المآثر الموهومة وعقبته عليها بربايم في الخلع وتفنيدكم لأقوال الكاتب وبسطكم الكلام بسطا وافيا إلا انه يمكن ان يستدرك عليكم في الأدلة على بيان خطأ الكاتب في الدعاوي التي استخلصتموها من مقاله ووددتم عليها فرأيت ان أكون متما لمقالكم مع زيادة في الايضاح اقتاعا لإخواننا مسلمي الهند ومن هذا حذوهم في الاعتقاد الحسن بالسلطان عبد الحميد فأقول ان النقط الست الأولى التي تتعلق بسيرة عبد الحميد بعد الدستور لا أريد أن أكتب على كل قطعة منها بمفردها زيادة عما كتبه المنار الأغربل أقول فيها كلها كلمة إجمالية وأكتب على النقط الأخرى التي تتعلق بحياته بعد الدستور كل قطعة بمفردها أما كلمتي الإجمالية فهي ان السلطان عبد الحميد لم يكن يوما قط مخلصا للدستور والدليل على ذلك انه أعطاه مكرها كما ذكر ذلك المنار الأغربل ومن طالع كتاب خواطر نيازي يتضح له ذلك وانه لم يأل وحواشيه جهدا في غضون الحركة الأولى في استنباط الوسائل التي تفت في عضد الأحرار في سلاطيك لما طالبوه بإعادة القانون الأساسي وهددوه بسوق الجيش الى الاستانة فأصر على رفض طلبهم ومقاتلتهم بقوة جنود الاناضول وفعلا استدعى عدة تواريخ من رديف أزمير وأمر بسفرهم إلى سلاطيك وقبل ان تتحرك هذه الجنود من إزمير اطلعت على كتاب ورد لبعضهم من صديق له ثمة يقول له فيه : إني أسافر متطوعا مع جنود إزمير إلى

سلانك لا قتال الجيش المطالب بالحرية بل للانضمام اليه مع جنود ازمير والتوجه الى الاستانة لاكمال ذلك الجوار على رد حرية الأمة التي سلبها إياها والضباط هنا في متعنى التحمس للوصول الى هذه الغاية فليطعن بال احرار في مصر فاستودعهم الله ولا أدري هل أراكم بعد اليوم أم لا :

ولما وصلت أقدام الجنود أرض سلانك أعلن الضباط في الحال انضمامهم بجنودهم إلى جيش الحرية وانعكس هذا الخبر بالسلك البرقي إلى الاستانة فسقط في يد السلطان واعوانه وكانوا طلبوا جنودا أخرى من جهات الأناضول فأوقف سفرها فأخر الحرية واقنع السلطان بلزوم العدول عن هذا الرأي لما فيه من الخطر فلم يسمه بعد ذلك الا التسليم بمطالب جيش الحرية لينسج له الوقت في التفكير والتدبير خصوصا في تفريق وحدة الجيش المتواطي على نصرة الدستور

أخذ بعد ذلك في تدبير المكاييد فبث جواسيسه واتباعه بين الجنود المسكرة في الاستانة يفرونهم بالمال وألف بواسطة درويش وحذني جمعية الاتحاد الحمدي وأعطاهم هو واعوانه هذا الاسم الشريف ليكون آلة للتشويه على البسطاء والتثريب بهم باسم الدين إذ ليس في الأمة فرد واحد ينقاد على الحكومة الدستورية مادامت قائمه باسم العدالة والمساواة فلا يستطيع السطوات واعوانه تعريض الجنود على الاحرار الدستوريين لمطلق انهم اعوان الدستور لذلك جاؤهم من جهة الوتر الحساس فيهم فحسوه باسم الدين وحرصوهم على المطالبة بأحكام الشرع والشرع في عرف العامة هو السلطان والسلطان هو الشرع لأنه الأمر المطلق المطاع فالنتيجة بالضرورة هي محو الدستور ومحو كل من يقول به في تركيا وإعادة السلطة الاستبدادية إلى السلطان ثبت ذلك بالبيانات القاطعة والادلة المحسوسة وهي القود الكثيرة التي وجدت

مع الجنود الثائرة ثم التقارير السرية التي وجدت في يلدز من جواسيس السطوات واعوانه وفيما يبان عن نجاح الخطة الموضوعه لاثارة خواطر الجنود كقارير علي كمال بك وبليار بك وغيرها التي نشرتها جرائد الاستانة بالحرف ونشرت بمجلة (تروت فنون) بعضها مصورة بالفوتوغراف اثباتا للحقيقة وقطعا للشبه ثم ثبت ذلك باقرار كثير من اعوان السلطان وحواشي المقبوض عليهم كجوهر اغا وحقي بك ويوسف

سكه زان باشا الذي قبض عليه وهو يحمل قمودا تبلغ الاربعين الف جنيه فأقر أنه كان يريد ان ينري بها جنود النياق الثالث وغير هؤلاء كثير من اقروا بتدير هذه المكيدة لو ثبت عليهم الاشتراك فيها بالأوراق التي وجدت معهم واهم من ذلك اقرار درويش وحدتي صاحب جريدة (ووقان) ومؤسس جمعية الاتحاد المحمدي قائمه اقر لتحرير جريدة (اعتدال) الازميرية لما قبض عليه هناك من عهد قريب اذ قال له ان السلطان هو الذي دبر هذه المكاييد وان لديه اسراوا كثيرة سيد زرها في المجلس العسكري

وزد على هذا ما ظهر من اتساع نطاق هذه المؤامرة بواسطة أشباع السلطان واتباع صاحب جريدة (ووقان) بحيث كان المراد بها تحريض المسلمين في كل الولايات على قتال بعضهم بعض ليستوجب ذلك تداخل اوربا واتباعها بدم استمداد الأمة النمانية للحكم الدستوري . بدأت هذه الحركة المشؤمة في ولاية اذنهواطراف ولاية حلب ثم ظهرت في ارضروم بين الجنود وظهرت في ديار بكر فأطقت في الحال ولم يقف دون شوب هذه النار في كل الولايات النمانية الا سرعة حركة جيش الحرية ودخوله الاستانة ثم مبادرته الى خلع السلطان عبد الحميد . ولو نجحت هذه المؤامرة الخبيثة لما بقي في تركيا حجر قائم على حجر ولدورها السلطان كما دمرت مدينة اذنه التي اصبحت اطلالا بالية ولو اردنا ان نأتي على تفصيل هذه الحوادث لاحتجنا الى مجلد من المنار فهل يقال بعد هذا ان السلطان عبد الحميد كان مخلصا للدستور وانه اعطاه برضاه؟ وهل وجد في تاريخ العالم ملك تنزع من صدره الرحمة وينزل بالنفس الامارة بالسوء الى هذا الحد من حب الانتقام لنفسه ولو بتخريب المملكة التي تأسست على دماء مئات الألوف من المسلمين ثم ياصق مثل هذه الجناية بالاسلام وشرائطه الطاهرة اذ يثير مثل هذه الفتنة باسم الدين الاسلامي ونحت ستار الشريعة؟ انا نعتقد ان اخواننا المسلمين في الهند وغيرها ارفع عقولا وابدع عن انتصديق بكل ما كان يقال في جرائم المناقبين عن مزايا هذا السلطان التي تكاد تقاثل مزايا آلهة اليونان الواردة في اساطير القوم وانه كان من انصار الدستور مع انه هو الذي قتل واضعي الدستور مدحت باشا واخوانه وعطل امانون الاسامي مدة ثلاث وثلاثين

سنة قتل في غضوننا ألوقا من شبان الامة المالمين الى الحرية منهم من ماتوا في السجون ومنهم من ماتوا في المنفى لكثرة ما عانوه من شظف العيش ومنهم من ماتوا إغراقا في البحار وآخر من كادوا يموتون تمذيا في السجن من أولئك الاحرار صديقتنا الحر الثبور حسين بك طوسون وطائفة من أهل ارضروم وفيهم مفتيا الذي مات في السجن شهيد الحرية والانسانية. وجريتهم ان حسين بك طوسون الذي قضى اكثر ايام حياته بعيدا عن وطنه مجاهدا في سبيل الحرية ذهب بصفة خفية الى ارضروم وبث في طائفة من افاضل أهلها فكرة المطالبة بالقانون الاساسي والتخلص من الاستبداد فاجابوا نداء الضمير والحقيقة وقاموا بالحركة الدستورية التي كانت في ارضروم منذ ستين قضي عليهم جميعا وجيء بهم الى الاستانة فزوج بهم في سجونها ولولا قيام جيش الحرية في سلايك وعلان الدستور لماتوا في التعذيب عن آخرهم كما مات من قبلهم

وكذلك كان مع الشاب الملهب المرحوم محمود قاز افندي (١) الذي كان يمر في جريدتا (الشورى الثمانية) وسافر الى ازمير قبل اعلان الدستور بستة شهور مضيا حياته في سبيل الحرية قبض عليه وعلى عدد غير قليل من افاضل أهل ازمير وزج بهم في السجون ولاقوا من أنواع العذاب ما لا يوصف وبعد هولا الخسة والعشرون الضباط الذين جيء بهم من سلايك وسجنوا في الاستانة قبل اعلان القانون الاساسي ببضعة عشر يوما

كل هؤلاء كانوا عرضة للموت في السجون كما مات من قبلهم لولا ان تداركهم الله بقيام الجمعية في سلايك وظهور قوتها المتحدة بقوة الجيش وارغامها السلطان عبد الحميد على اعلان القانون الاساسي وخروج هؤلاء المظلومين من غياهب السجن واسر التعذيب

(١) توفي هذا الشاب شهيد الواجب في الفتنة التي اثارها أهوان السلطان عبد الحميد منذ شهر في ادنه حيث كان يقيم موقتا فأراد ان يصلح بين المتقاتلين من الأيمن والمسلمين وينصح لهم بترك القتال فأطلق عليه أحدهم رصاصة أقتته صريحا يتخبط بدمائه ورحه الله

هذما أردت اضافته على ما كتبه المنار الأغر ردأعلى القسم الأول من كلام الكاتبين (١) وأما القسم الثاني والدعوى الست التي خلعها المنار الأغر ورد عليها فالأولى منها المالية ويكفي ان نضرب له مثلا أو مثلين على مبلغ خلعها وضمها في عهد السلطان الماضي اذ وجوه الضعف والخلل مما لا يمكن إحصاءه في هذه السجالة فمثل الأول ان الحكومة الدستورية وجدت فيما وجدت من الخلل في المالية عدة ملايين من الجنيهات دينا على الدولة لجهات متعددة لم يجدوا لها قيودا رسية فسموها الديون السائرة واضطروا ان يعلنوا في الجرائد عنها وكلفوا كل من في يده مستند من اصحابها ان يراجع الحكومة في غضون مدة محدودة وعلى هذا قس كل أحوال المالية. وما سبب هذا الخلل فيها الا استئثار السلطان بواردات الدولة مما لا تستطيع حصره نظارة المالية لتناوله تلك الواردات مباشرة بنير واسطتها ولأجل هذه الناقية كان آلف منذ بضع سنين لجنة في يلدز من حواشيه سماها اللجنة المالية لمراقبة مالية الدولة في الظاهر وسلبها في الباطن فكان أول قاعدة وضعها تلك اللجنة ان لا ينفق قرش واحد من خزائن الولايات الا بعد استئذنها حتى مرتبات المأمورين وفقات الجنود التي هي طبيعية في كل ولاية داخلية في ميزانيتها الخصوصية وكان من ذلك ان صارت هذه اللجنة كلما اجتمع مبلغ من المال في ولاية تطلب ارساله اليها في الحال وهذه تضمه تحت أمر السلطان ينفق ماشاء منه على جواسيسه ومقريه ومصالح الدولة ويستأرل نفسه بما يشاء حتى تعطلت أمور الولايات الادارية وفشت الرشوة في المأمورين لكي يتشاور بما يحل لهم منها من النقود وحتى صارت الفياق العسكرية الى حالة من الفقر والضعف وقد الحاجيات العسكرية لا يمكن ان يصورها كاتب بقلم ولا يصدقها الا من شاهدها بعينه من العثمانيين واليك مثلا منها

لما حدثت مسألة العقبة وتصدى الانكليز في مصر الى التداخل فيها ورأت الحكومة العثمانية وجوب ارسال الجنود الى العقبة واوعزت الى الفيلق الخامس الذي مركزه دمشق بارسال تابورين من المشاة وبطارية مدافع الى العقبة لم يوجد في الفيلق كله عشرون حصانا لاجل المدافع لان خيل السوارى والطوبجية الخاصة بالفيلق الخامس اقرضت عن آخرها ولم يشر غيرها فاحتج اللانيان بها من الاستانة وترتب

على ذلك تأخير الحملة الصكرية وعزل والى سورية ناظم باشا يومئذ لأن قائدا الفيلق
ألقى عليه تبعة الابطال لعدم تسجيله بدفع قود تكفي لتجيز خيول هذه الحملة ولوازمها
الأخرى مع ان خزينة الولاية كانت خالية من القود

هذامثال من الامثلة المحسوسة التي يحتاج استقصاؤها الى كتاب ضخمة بين
ماذا اصاب الدولة من الضنك المالي والاضطراب الاداري في عصر السلطان الماضي
مع تنوع الضرائب والجبايات وتوالي طلب الاعانات المستحقة ومنها اعانة التجهيزات
الصكرية التي استمرت تجي من الامة عشر سنين او ازيد وتحسرة قودها الى المايين
ولما اعلن الدستور لم يجدوا لما حسابا مضبوطة ولم يعرفوا وجوه الاتفاق التي ذهبت
فيها تلك الملايين من القود التي جيت باسم الجندية والجندية كانت في احط دركات
العوز والقص في المعدات الحربية كما اثبت ذلك العيان الذي ليس بعده بيان
(٢) كونه درب الجند على قواعد الحرب الحديثة . فانا اضيف على ما كتبه

النار رداً على هذا الزعم ان كل ما صرفه السلطان عبد الحميد من الخانة بأمر الجندية
كان طلاء ظاهره حسن وباطنه قبيح قد كان يرسل الى ألمانيا بعض الضباط لاجل
إتمام تعلم الفنون الصكرية وقفا ضم الى الأليات ضابطان هولاء عند عودته ليستفيد
الجنود من معارفه الجديده بل اكثرهم كان يضم الى المايين والدوائر الصكرية الأخرى
ليكونوا مقلولي الأيدي عن العمل . وكذلك أتى بضباط ألمانيين كونه باشا وغولس
باشا وغيرهما لاجل تنظيم الجيش وتدريبه ولكنه غل ايديهم كما غل أيدي الضباط
العثمانيين المتعلمين في ألمانيا فمنهم من كل عمل يترتب عليه حياة الجيش ونظامه
الحربي كما منع عنهم كل مادة من مواد الترفي ومن ذلك انه حظر على الجيش اجراء
الماورات الحربية منذ عشرين سنة والماورات الحربية أس النظام العملي في
جيوش الأمم بل زاد في النكابة فنع حتى ما يسمونه (ألاي تعليمي) حتى لا يجمع
اربعة تواير في مكان واحد تحت السلاح ولو كانوا في اقصى المملكة وحتى اصبح
التعليم العملي مقوداً أبته في الفياق وكما منع الجيش من التمرن على الفنون العملية
منع عنه كل المستحدثات الحربية الحديثة كالتلفون والأتوميل الحربي والبالون

كل هذا توهمنا منه ان جيشه عدو له حتى كان الجيش اشبه بألة معطلة (*) وحتى انسل منه الضباط الالمانيون راجعين الى بلادهم لا يروا ما يمكنهم من ترقية هذا الجيش المحروم من كل وسائل الترقى الادبية والمادية

وأ كبر دليل على ذلك ما بلغه رجال الدولة من الخوف والاضطراب عقب إعلان الدستور وقيام النمسا والبلغار على الدولة: الأولى لأجل البوسنة والمهرسك والثانية لأجل الاستقلال ، حتى اضطروهم ذلك الى التجهيل بحمل هاتين المشكلتين تقاديا من الوقوع في الحرب التي كانت خطرا مؤكدا على الدولة لضعف الجيش حتى لقد رأيت كتابا من أحد المشيرين الكبار يمت به لصديق له في مصر لأول عهد الدستور يقول له فيه : نسأل الله ان يمنع عنا غائلة الحرب مع البلغار في هذين الشهرين وينا فلم شعثا والا فنحن في خطر كبير اذا وقعت الحرب الآن

وأخبرني ضابط كبير برتبة لواء وكان في الفليق الثاني (فليق ادرنه) مم ناظم باشا لا تعين قائدا للفليق المذكور عقب إعلان الدستور وفي أثناء المفاوضات مع البلغار قال : ان القائد الموما اليه مع مايندل من الجهد في تنظيم الجيش وتدريبه ولم شعث ونهجهز بالمعدات اللازمة كان يقول بعد مرور شهر عليه في قيادة هذا الفليق : الآن يمكننا ان نقف اسبوعا واحدا في وجه البلغارين وبعد شهر آخر يمكننا ان نقف شهرا واحدا وبعد أربعة شهور يمكننا ان نزعف على عاصمة البلغار

فانظر الى ما كان عليه الجيش من الضعف يومئذ وكيف كان أكبر مشيري الدولة وقوادها يتشاءمون من وقوع الحرب مع البلغار حتى بات كل قواد الجيش وضباطه في هم ناصب ودأب على العمل ليل نهار في السنة الشهور الأولى لأجل استرداد ماسلبه السلطان عبد الحميد من قوة الجيش المنوية والمادية في العشرين السنة الأخيرة لحكمه المشؤوم

(٣) اما التعليم فيكفي ان قول فيه ان التلمين في تركيا أقل نسبة من

(٥) المنار : كان يعتقد ان الجيش اذا اجتمع مسلحا طلب الدستور ولذلك منع المناورات والاجتماع حتى اجتهد في منع حرب اليونان فلم يجد الى ذلك سبيلا

المعلمين في بلغاريا (٥) التي انفصلت عن الدولة في عهد السلطان عبد الحميد فسبقتها اشواطا كبيرة في ضمها المعارف والعلوم ولو اطلق السلطان عبد الحميد حرية التعليم في الثلاث والثلاثين سنة التي حكمها لا وجد الى اليوم أي في تركيا مع ان الأمن فيها الآن وما زاد عددهم عن خمسة وعشرين في المئة والمدارس الموجودة في تركيا قد صارت الى حالة من الخلل خصوصا في الخمسة عشرة سنة الاخيرة من ملك عبد الحميد لا يستطيع وصفها قلم وحسبك ان دار الفنون في الاستانة لا أريد تنظيمها بعد الدستور لم يجدوا في فرم الطبعات منها ولا آلة واحدة من آلات العلوم الطبيعية التي يطبق فيها العلم على العمل فاما انه لا يوجد كتاب رسمي يدرس في مدارس الاستانة في أي فن من الفنون بل ان المعلمين يملون دروسهم املاء وناهيك بعلم يدرس وهو يحاسب نفسه على الكلمات ويخشي من هفوات اللسان بالفاظ علمية حرمتها نظارة المعارف بأمر السلطان

اما مصادرة العلماء وتشيت الفضلاء وقتل النابذين أو ابادهم وإحراق كتب العلم فهذا مما لا يحتاج الى دليل وقد عثروا على تقارير رسمية من دائرة التبشيش في نظارة المعارف مرسلة الى المايين في كيفية احراق الكتب المصادرة في أن ألوقا من الكتب أحرقت مرة واحدة في موقد حمام شنبلي طاش على ايام متوالية تقاديا من احراقها في نفس النظارة بعد أن ظن الناس ان حريقا وقع فيها لأول يوم بدئ فيه باحراق الكتب فيها وقد نشرت جرائد الاستانة في الاسبوع الماضي هذه التقارير لتبرهن على ما نال العلم وأهله في عصر السلطان عبد الحميد وهذا قليل من كثير مما اصاب العلم وأهله من المصادرة والاضطهاد في عصره وفي كفاية للمقتبين

(٤) اما انه اسعد المملكة بكهدة مدة حكمه فهذا امر تنقيد بطول خصوصا لمن ليس هو من هذه المملكة ويعد عنها ويكفي ان يقال انه ليس في تركيا شركة وطنية من الشركات العامة الصناعية أو التجارية لان السلطان كان يمنع تأليف هذه الشركات الا اذا كانت اجنبية واعطيت اسم العناية . وكانت الرشوة متفشية في

(٥) ان ٥٠ في المئة أو نصف الاهالي في البلغار متعلمون

دوائر الحكومة الى حد سلبت منه الامنية على الاموال والارواح واصبحت السيطرة لاهل البني والفساد وارباب النفوذ. وكان المأمورون مضطرين لمباشة هؤلاء ومحاباتهم لقلة رواتبهم وعدم اخذهم لما واحتياجهم الى المال من غير طرقه المشروعة فليس ثمة عدالة ولا قانون الا هوى الانفس وارادة الحكام فكيف تكون حالة عملة هذا شأنها واية سعادة ترجى لامة تلك حكومتها ؟ ذكرك الجواب على هذا للكاتبين

القاضين قاتنها على ما نفتقد من المنصفين

(٥) اما كونه عمر الطرق وأنشأ السكك الحديدية والترح هذا لا شيء منه في تركيا فان فيها ضريبة نسي ضريبة العملة المكلفة وهي تلزم كل مقتدر على العمل ان يعمل في اصلاح الطرق بنفسه أو يدفع أجرة عامل للحكومة وهي ريال فأكثر في السنة . وقد قال لي مرة بعض الناقدين ان هذه الضريبة لو أنفقت في سبيلها منذ وضعها الى اليوم لا يمكن الدولة ان تمد بها خطوطا بدل الخطوط الحديدية من القصة على انه لم يعمل بها طريق مرسوم بالحجر صالح لمرور الجنود والمراكب الى اليوم أما السكك الحديدية فالحقيقة انها كثرت في زمانه الا انها كلها كالماتر الاخر في يد شركات اجنبية وفي مصلحتها دون مصلحة الرعية والدولة ولا يوجد في العالم شركة سكة حديد تتمتع بامتيازات تضر بالرعية والدولة كما يوجد في بلادنا ولتضرب لهم مثلا سكة حديد بغداد التي اخفتها شركة ألمانية فقد اعطيت هذه الشركة الحق بالبحث عن المعادن وتملكها على مسافة عشرين كيلو مترا من جانبي الخط أي من ساحل البحر الايض في الاسطانة الى مصب دجلة والفرات من البحر المحيط الهندي وفوق هذا قد نحتات الدولة الضمانة الكيلومترية لهذه الشركة ثلاثة عشر الف فرنك عن كل كيلومتر وذلك في نظير مبالغ زهيدة أعطيت للمقرين ورجال الدور الماضي وبعض اسهم استأجرها السلطان وقر من اعوانه . فهل توجد أمة في العالم تباع مراقبتها وتوهب اراضيها على هذه الصورة ويكون اشد العاملين على جر هذه المضار عليها سلطانها وحكومتها ؟

أن الامثلة على مثل هذا كثيرة وان صفحات الماتر لتضيق عن جزء منها فانا أكتفي من البيان بما قلتم كما أكتفي بما قاله الماتر عن النقطة السادسة لان النفس

ضائق من الاسترسال في هذا الموضوع والقواد اضطرب من اطماع الفكر في تلك الظلمة التي كشفها الله عنا بفضل منه فلم يبق في استطاعة القلم تجاوز هذا الحد من اليان لما ساورني من الآلام النفسية التي كانت ملازمة لي ولكل الاحرار الثمانيين مدة ذلك الدور المشؤم وقد حفظنا الله عنا باقضاء ذلك الدور الماضي وظهور شعلة من نور الرجاء في المستقبل كنا نأمل ان ننسيها ما قات لو لم يستنا تقني اخواننا المسلمين لهذا الانقلاب المجيد بغير ما تلقاه به الثمانيون نخلوا أذهانهم عن امثال ما ذكرناه من سيرة عهد الحميد فیدعون ذلك الى الرجوع لتلك الذكري المنقصة بما اردنا به رد الشبهة وجلاء الحقيقة لـ اخواننا المسلمين في البلاد الثائرة. على ان لا ننسى لم هذا التأثير بأحوال المملكة الثمانية واخيار دولة الخلافة وان كان تأثرا بضد الواقع فانه محمول منهم على حسن النية وعدم الوقوف على دخائل الامور في الدولة الحالية ولا ريب عندنا في ان اهتمامهم بهذا الانقلاب وذلخ السلطان عبد الحميد يدل على اهتمامهم بشؤون اخوانهم المسلمين الثمانيين ورغبتهم انخاصة في سعادة الدولة العلية ومجدها وقوتها وانا لترحوان بتحقيق هذه الرغبة لم ولنا في دور مولانا السلطان محمد الخامس بعد أن ثبت عدم تحققها في عصر السلطان الخلع اذ كل ما روي من خليفتنا الجديد الى اليوم يدل على محبة خالصة للامة وميل عظيم للاصلاح ونمساك بمبادئ الشورى والعدل جعله الله مبدأ حياة جديدة للدولة وعزم مؤكدا لمسلمين

وحسب اخواننا في الاقطار الثائرة دليلا موجبا لسرورهم مؤكدا لا ملزم في مستقبل دولة الخلافة هذا الانقلاب العظيم الذي قام به اخوانهم المسلمون في البلاد الثمانية ودعاه الجيش بقوة العظيمة. وأي دليل على ان هناك حياة عالية وقوسا نازعة الى الرقي ستنبض بالدولة الى منزلة تسر لها ان شاء الله قلوب الأمة الاسلامية اعظم من هذا الدليل لا سيما وان الثمانيين بهذا الانقلاب انما جددوا حكمهم الشورى الاسلامية التي طوى صحتها الامراء الجبارون منذ آخر عهد الخلفاء الراشدين ولم تستلعم امة من المسلمين استرداد هذا الحق المسلوب منها الى اليوم فاستطاع ذلك الثمانيون والله مع المصلحين رفيق العظم

﴿ الذكر و رابطة التشبعية ﴾

إلا أعلم السيد محمود شكري اخدي الالوسي عالم العراق المصلح الشهير على ما كسبه له رابطة التشبعية استعصم فضله على جميع ما كتب العلماء في ذلك وأرسل إلينا القصيدة الآتية وقال إنها للشيخ عثمان بن سند النجدي تزيل البصرة رحمة الله وكان من رجال أواسط القرن الثالث عشر في إبطال الرابطة التي يقول بها التصوفة

أخل القواد إذا ما كنت ذاكره	تكن قى سلاف الذكر قد سكر
الشيخ يدعو لإخلاء القواد من	أغار طراً بصفو الذكر ففقر
فكيف يدعو إلى تصوير صورته	في خاطر فيه نور الله قد سقر
فأمقل فؤادك بالذكر الذي ذكرك	ممن عن التبر في اذكاره ففقر
لم يحصل قط شهود الله في خلده	إلا إذا لم يكن فيه سواه يرى
وان يكن من أناس من يشاهدكم	مولاه يذكرك ما أنوارهم نظرا
إذ صورة المصطفى صحت بها كتب	وما بتصويرها أصحابه أنرا
لو كانت من ديننا تصوير مشيخة	لكان أجدر لكن ههنا الأترا
لحسبنا باتباع المصطفى شرفاً	ان مال نحو اتباع غيرنا وجرى
لما يريد الهدى استمسك بهروته	وقل إذا السالك استهداك متبيرا
دع التوجه إلا الذي فطرا	واسلك على الشرع وارك ماسواه ورا
فمالك لسيل المصطفى ثبت	اقدامه ومريد غيره عترا
ان الطريقة ابن عرقها عمل	بالشرع فاعمل به وانظر لنا نظرا
وبعد تخلي فاعمل بتعليه	وإن تخلي أخذ بما أنرا
من سارقه قسى السر من كدر	لا ينظر الله سراً أشرب الكدرا
واخرج عن النفس والاغيار فخط به	لم يحط بالله مملوء الحشا غيرا
ولا تظن اشتغالاً بالعلوم شقى	ان الشقاء لمن غير العلوم يرى
فالعلم يحمله من كل ما خلف	عدوه فهم من غيرهم أنرا
ينفون تعريف ذي الأبطال عهكم	مدقق ضمهم دين الهدى نصرا
لا تحقر سالكا علما فسالكة	سام وتاركه بالجهل قد حقرا
وارج الخواص من مولاك لا بشر	وان سما من مقام الصالحين ذرى

لو كان مستلباً منه الذباب ولم
 قافزع الى الخلق المبود متصفا
 واجد كأنك مولى العالمين ترى
 واحذر دسائس نفس ربما قتلت
 والذكر ركن عظيم من طريقهم
 نجد في السبر للرحمن مقتنيا
 وسكل مومة أو مؤمن فله
 واخش احتراك لعمامي لمصبة
 فكرورك لا تأمن وكن رجلا
 لا ناظرا عملا لكن لرحمة من
 ملقا منك آمالا بذيل ندى
 فاذكركه في خلوة أو جلوة ل ترى
 وبالأواجد فاعضض شرع مرسله
 ما خالف الشرع مردود وقائمه
 والدين اكله المولى فليس به
 ان الاطبا آساء الدين هم علما
 حامون حوزتها عن كل موقفك
 لا توقن نظرة يوما على عمل
 اخلاصهم عرف الرفاق زاد على
 لا مثل من حقروا اعمال غيرهم

يُذَرُّ الله اقتضاداً لما قدوا
 في كل ما حدث ان جهل او صفرا
 فان تكن لا ترى مولاك فهو يرى
 ففي الدسائس منها دقق النظرا
 وخبره ما عن المختار قد اثرا
 آثار من فات كل الخلق حين سرى
 حق عليك فأحب منها الأثرا
 قرب علمي تدمي ذنبه غفرا
 مستسكا أبداً من شره بئري
 سكل الأتام اليه دائماً فقرا
 من فضله الجمل ذرات الودي غفرا
 عماله عند أملاك سوا ذكرا
 ودع أقاويل اقوام جرت هذا
 بذارونا عن الهادي لنا خبرا
 قم فيكلمه من قصه ظهرا
 قد دققوا في معاني السنة النظرا
 مزين في طريق الله كل فرا
 ان رمت اخلاص اقوام بدوا غفرا
 ان لا يكون لا اخلاص له نظرا
 واستعظبوا كل فصل منهم صدرا

﴿ النساء والحجاب والتعليم ﴾

وردت اليها هذه القصيدة من بغداد في معارضة الشيخ محمد بن الشيخ طاهر الحلي
 قصيدة الشيخ معروف الرصافي التي نشرناها في الجزء الثاني
 ثم مؤدب الخفريات يت
 يقين به الى يوم المات

يقرن به كواكب في روج ولا يدونه متبرجات
فالك ياغيور نظمت شعرا ثرت به عقود البنات
تقرض في نساء القوم قدما وتقرض عن أوامر صادعات
قد قال الإله وقرن أمرا يردب فيه خير الامهات
فان تفهم سوى المعنى فين وان تزم له نسخا فبات
نشدتك هل قصدت بذاياها على حسن اقتدار والتفات
أو استبعت ذامن فعل خيرا ساء العالمت العالمت
فان تلك أمتا في العلم بمرا تحمل لما عليها المشكلات
قد كان المعلم خير زوج بحجرة يته لا المدرسات
وقد كان الأولى سألواعلوما بنها لا البعيد من العدا
فن تشد على القسيس كما فلم ضرب عود أو كرات
وتأنيها الرجال تال منها فتوى في منازلها وتاتي
كن أخذت عن المختار علما وعلت البنين أو البنات
قياس لا ينسم في هواه ولا ينساخ في ماء فرات
فهل هذا لعمر أليك الا كنسوة الذين مع اللواتي
وما ذكر كائن نص فيها لك اب لقول احدى العالمت
وقمصان النساء حجبى ودينا صحيح في مسانيد الروا
ألم المؤمنين اليك نشكو مصيبتا بهتك المومنات
يريد الله ان يفضضن طرفا ويدنين الجلابب سارات
ولا يدين زينتن الا لطفل ليس بعلم بالهنات
وبأن المسام وراحاب ويقين الرجال محجبات
فكيف يلق ان تقي حجابا وتبرز للميون الشاخصات
ونرضي ان تلوح بكشف وجهه ولو بين الاعفاء الابات
فلك مصيبة بأنم منها نكاد نفض بالماء الفرات

خطبة خطيبة مصرية على النساء

نشرت الجريدة سلسلة مقالات مفيدة في شؤون النساء والبيوت لكتاتبة مصرية مسلة لقت
للسا بهذا القب (باحة بالادية) ثم انها دعت بلسان الجريدة النساء الى سماع خطبة لها في شؤونهن
مع الرجال فأجاب دعوها مئات منهن فاجتمعن يوم جمعة في نادي حزب الامة وسمعن منها هذه الخطبة

أيها السيدات :

أحيكن تحية أخت شاعرة بما تشعرون ، يؤلمها ما يؤلم مجموعكن ، وتجذل بما
تجذلن به ، وأحيي فيكن كرم النفس لتفضلكن بتلبية الدعوة لسماع خطبتي . إن
أطلب بها الا الاصلاح ما استعلمت فان أصبت كان ما أرجو وان أخطأت فما أنا
إلا واحدة منكن والانسان بخطي* ويصيب فن رأيت في خطبتي رأياً مخالفاً لما
تعقد أو أحببت المناقشة في قطعة ما فلتفضل بإبداء ما بمن لها بعد انتهاء كلامي
أيها السيدات : ليس اجتماعنا اليوم لجرد التعارف أو لمرض مختلف الأزياء
ومستحسن الزينات وانما هو اجتماع جدي أقصد به تقرير رأيي لتبهمه ولأبحث فيه
عن عيوبنا فنصلحها . قد عمت الشكوى منا وكثرت كذلك شكوانا من الرجال .
فأي الفريقين محق في دعواه ؟ وهل نكتفي من الاصلاح بمجرد التذمر والشكوى ؟
لا أظن مريضاً طلوع أنينه فشاه ، يقول المثل العربي « لادخان بلا نار » ويقول
الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر « ان الآراء التي تظهر لنا خطأ لا يمكن أن
تكون خطأ محضاً بل لا بد ان يكون فيها نصيب من الصحة والصواب » اذن
فنحن والرجال متساوون في صحة الدعاوي وبطلانها ، كلنا متظلمون وكلنا على حق
مما نقول ، يتنا وبين الرجال الآن شبه خصومة وما سببها إلا قلة الوفاق يتنا
وينهم . فم يمزون هذه الحالة لنقص في تربيتنا وعوج في طريقة تفكيرنا ونحن
نمزوها لنطرسنهم وكبريانهم ، وهذا الاختلاف في إلقاء المسؤولية زادنا اختلافاً في
العيش وأوسع هوة الجفاء بين الرجال والنساء في مصر وهو أمر لا ننظر اليه بين
(الملتج ٥) (٤٥) (المجلد الثاني عشر)

الاحتياج وانما نأسف له وتوجس منه ، لم يخلق الله الرجل والمرأة ليتباغضا ويتنافرا وانما خلقهما الله ليسكن أحدهما الى الآخر فيصير الكون إذ في اختلافهما بقاؤه ، ولو انفرد الرجال في بقعة من الأرض ، انزلت النساء إلى أخرى لا تعرض الحزبان وحقت عليهما كلمة الفناء .

تدركن معنى قولي هذا من صعوبة الرد على هذا السؤال : أي الجنسين أصلح للبقاء في الدنيا النساء أم الرجال ؟ فإذا أجابت احدا كن : الرجال لانهم يقومون بشاق الاعمال من بناء واختراع وزرع وغيره . لعارضتها بقولي : ولأجل من تتجشم تلك الصعاب ولا نساء يتسلسل منهن النسل لعار هذا الكون ؟ وإذا قلنا النساء لانهن مدبرات البيوت وأمهات النشء ؟ قلت ومن أين يأتي القشء . ولا أب له ؟ هذا قياس على نظام الطبيعة الحالي ولا توسع بالافتراضات والمتوهمات فقد كان الله قادرا على خلق نظام آخر للتوالد وهو قادر على خلق مثله ولكننا لأن لم نسمع إلا بمثال واحد لهذا الشذوذ هو مثال سيدنا عيسى عليه السلام فالمرأة والرجل لكون كل منهما والماء لجسم أو الشمس والماء للزرع ولو استعاضت احدا منا بالآخر عن الماء فان الابن بالتحليل يحتوي الماء فالكتب السأوية كلها مجمعة على ان أصل البشر من آدم وحواء واقاثلون برأي دارون لم ينكروا ضرورة لزوم الذكر والأنثى للتوالد من الحيوانات الأولى التي زعموا انها ارتقت بالتدريج إلى مصاف الانسان ، كذلك الحال في كل جسم حي نام فان النباتات كلها فيها الذكورة والأنوثة والزهرة على لطافتها وصغر حجمها تحتوي شكلين مختلفين من العروق أحدهما لقاح للآخر ، كذلك جعلها الله ليتج منها الحب الذي فيه بقاء النوع وسلط عليه الريح تسفيه إلى الأرض فإذا ما جاده الفيث أولقي ربا نبت ونما وصار شجراً مما وقع منه ، فنظام التوالد هذا مطرد في كل الأجسام الحية من حيوانات ونبات لا شك فيه البتة وإذا راجعنا احصائيات العالم كله وجدنا ان عدد الذكور والأناث فيه يكاد يكون واحدا أو يفرق قليل جدا وهذا دليل على ان الله خلق رجلا لكل امرأة ، هذا بقطع النظر عن الحروب وغيرها مما قد يخل بهذا التوازن الطبيعي الدقيق ، إذن فمحاولة الاعتزال بين الرجال والنساء مستحيلة وعليه فلا فائدة من

هذه الفارات القليلة الشعراء يتناوب بينهم والا وفق ان نسى لوقوف جدنا ونزيل
سوء التفاهم والتحيز لتحل بدلها الثقة والانصاف ولتبحث أولا في قط الخلاف
يقولون انا بطلنا نزاحهم في أشغالهم وترك أعمالنا التي خلقنا الله لها . فليت
شمري ألم يكونوا هم البادئين بمزاحمتنا ، كانت المرأة في العهد السابق تغزل الخيط
وتنسج ثيابا لها ولأولادها فاخترعوا آلة الغزل والنسج فأبطلوا عملها من هذا
القبيل ، كانت المرأة المتقدمة تغربل القمح ونهرسه وتطحه على الرحي يديها ثم
تخله وتصفه قهبي منه خبزا فاستنبطوا ما يسمونه (الطابونة) واستخدموا فيها
الرجال فأراحونا من ذلك العمل الكثير ولكنهم عطلوا لنا عملا ثانيا ، كانت كل
امرأة من السافرات تحيط لنفسها ولأفراد بيتها فتفتنوا لنا آلة للخياطة يشتغل في
استخراج حديدتها وصانعها الرجال ثم جعلوا منهم خياطين يخيطون لرجالنا ولأولادنا
فأدوا لنا بذلك عملا ثالثا ، كنا نكنس حجرا أو نكنسها الخلدات بمكانس من
القش فاستنبطوا آلة الكنس التي يكفي ان يلاحظها خادم صغير فتتلف الرياش
والأثاث ، كانت القديرات والخلدات يجلبن الماء ليوتن أوليوت سادتهن فاخترع
الرجال القصب (المواسير) والحفريات تجلب الماء بلا تعب ، فهل ترى عاقلة الماء
يمجري عند جارنها في أعلى طبقات منزلها وأسفله وتذهب لتقلا من النهر وقد يكون
بعيدا ، أو هل يقل ان مدينة ترى خبز (الطابونة) نظيفا طريا لا تتكلف له سوى
ثمنه وتركه لتغربل ونسجن وقد تكون ضيقة البنية لا تتحمل تعب تجهيز القمح
وصجنه أو قبيرة لا تستطیع تأجير خدم له أو وحيدة لا مساعدتها عليه ، أظن الرجال
لو كانوا عاقلين لما فعلوا سوى ما فعلناه وما من امرأة تقوم بهذه الاعمال كلها الا
القرويات اللاتي لم يدخل قراهن القمدين ، بلى انهن يستغنين عن الرحي بوايور
الطحين وبعضهن عن الملق من البحر (بطلوبات) يضمنها داخل دورهن
ولست أريد من قولي هذا أن أذم الاختراعات المفيدة التي اخترعها الرجال
لقد كثيرا من أعمالنا أو لأقول إنها زائدة عن حاجتنا وانما كانت هذا الشرح
ضروريا لبيان ان الرجال هم البادئون بالمزاحمة فاذا ما زاحمتهم اليوم في بعض
اشغالهم فان الجزء الحق من جنس العمل

على ان مسألة المزاحمة هذه ترجع للحرية الشخصية فزيد راق له ان يكون طيبا وعمره ارتأى ان يكون تاجرا فحل يصح ان نذهب للطبيب وقول له لا تخترع هذه الصناعة بل كن تاجرا وهل يمكننا ان نجبر التاجر على ان يصير طبيا ؟ كلا . فكل له حرية يفعل ما يشاء ولا ضرر ولا ضرار ؛ أو هل يجوز ان يمنع مهندس قديم من يخترع هذه المهنة من غيره لانه كان يكتسب ربح بلد بأكمله فجاء له هؤلاء المهندسون الجدد يقسمون ارباحه ؟ ولو جاز ذلك قوة لما صح ان يجوز شرعا وحرية ولما قامت من أجله الشحنا بين الرئيس ووزلات وشركات الاختكار ، فاذا كان المخترعون والصناع أبطالوا جزءا كبيرا من أعمالنا فهل تقتل الوقت بالكل أو نبحت عن عمل يشغلنا ؟ لا غرو اننا فعلنا الثاني ، ولما كانت أشغال منزلنا قليلة لا تشغل أكثر من نصف النهار فقد نعلم ان نشغل النصف الآخر بما تميل اليه نفوسنا من طلب العلم وهو ما يريد ان بمناعته الرجال بحجة اننا نشاركهم في أعمالهم لا أريد بقولي هذا ان أحث السيدات على ترك الاشتغال بتدبير المنازل وتربية الأولاد إلى الانصراف لتعلم المحاسبة والقضاء وادارة القاطرات ، كلا ولكن اذا وجد منا من تريد الاشتغال بأحدى هذه المهن فإن الحرية الشخصية تقضي بان لا يمارضها المعارضون ، يقولون ان الحمل والولادة مما يجبرنا على ترك الشغل وينزعون بذلك الى جعلها حجة علينا ولكن من النساء من لم تتزوج قط ومنهن العقيات اللاتي لا يتناهن حمل ولا ولادة ومنهن من مات زوجها أو طلقها ولم نجد عائلا يقوم أودها ومنهن من يحتاج زوجها لموتها ، وقد لا يليق بهؤلاء ان يتخفن الحرف الدينية بل ربما يلحن الى ان يكن معطلات أو طبيبات حائزات لما يحوزه الرجال من الشهادات ، فهل من العدل ان يمنع مثل هؤلاء عن القيام بما يربته حاله لأنفسهن قائما بمماشين ؟ على ان الحمل والولادة إذا كانتا معطلين لنا عن العمل الخارجى فهما معطلان لنا عن الأعمال البيتية أيضا ، وأي رجل قوي لم يمرض ولم ينقطع عن عمله أحيانا ؟

يقول لنا الرجال ويمزمون انكن خلقتم للبيت ونحن خلقنا لطلب المعاش . فليت شعري أي فرمان صدر بذلك من عند الله ؟ من أين لهم معرفة ذلك والجزم

به ولم يصدر به كتاب ؟ نعم ان الاقتصاد السياسي يأمر بتوزيع الاعمال ولكن اشتغال أفراد قلائل منا بالعلوم لا يخل ذلك التوزيع وما أعلن أصل تقسيم العمل بين الرجال والنساء الاختياريا بمعنى أن آدم لو كان اختار الطبخ والنسل وحواء السعي وراء القوت لكان ذلك نظاما متبعا الآن ولما أمكن ان يحاجنا الرجال بأنا خلقنا الاعمال البيت فقط ولها نحن أولاء لانزال نرى بعض الاقوام كالبرابرة مثلا يخطط رجالهم الثياب لانفسهم ولا افراد بينهم ويتجشم نساؤهم مشقة الزرع والقلع حتى انهم ليسقن النخل لجنى ثمارها . وهامن نساء الفلاحين والصعايدة يساعدن رجالهن في حث الارض وزرعها وبعضهم يقمن بأكثر أشغال الفلاحين كالقسيمة والدراس وحمل المحصولات ودق السنابل والبرام (الكيزان) وسوق المواشي ورفع المياه بما يسمونه بالقطوة وغير ذلك من الاعمال التي ربما شاهدها منكن من ذهبت الى الضياع (العرب) ورأت انهن يقدرن عليه تمام القدرة كأشد الرجال ونرى مع ذلك أولادهن أشداء وأصحاء .

فسألة اختصاص كل فريق بشغل مسألة اصطلاحية لا اجبار فيها . وماضعتنا الآن عن مزاولة الاعمال الشاقة الا نتيجة قلة الممارسة لتلك الاعمال والا فان المرأة الاولى كانت تضارع الرجل شدة وبأساً . أليست المرأة القروية كالختها المدنية ؟ فلماذا تفوق الاولى الثانية في الصحة والقوة ؟ هل ترتبن في ان امرأة من المنوفية تصرع أعظم رجل من رجال القودية لو صارعت ؟ فاذا قال لنا الرجال اننا خلقنا ضميقات قلنا لا وانما أنتم أضعفتمونا بالمنهج الذي اخترتم ان نسير فيه . حدثني سيدة عالمة انها في سياحتها بأمركا رأت بينها هنودا الحمر تتحرك آذانهم من لقاء نفسها اتجاه الصوت الذي يترقبونه كاذان الخيل والحير . ذلك نتيجة استعالمها وقد توارثوه أيضا وهم في حاجة اليه لتستمع زفير السباع وعواء الوحوش التي ربما تهاجمهم في قلوبهم كذلك نجد حواس الوحشين أقوى من حواسنا بكثير فهم يشمون رائحة الوحوش من بعيد أما نحن فلا ولم يكذب من قال ان الوظيفة تكون العضو . هؤلاء العميان يتمدون كثيرا على حاسة السمع بعد فقد حاسة البصر فتقوى فيهم بالتدريج تلك الحاسة الى ان تبلغ غاية قد تعد من الخوارق عندنا فهل بعد ان استبعدنا الرجال قرونا طويلا حتى خيم على عقولنا الصدا وعلى أجسامنا الضعف يصح

ان يهتمونا بأننا خلقنا اضعف منهم اجساماً وعقولاً ؟ انهم لو انصفوا ولم يتعزبوا
لما عبرونا باننا قبيلات النبوغ وانه لم يسمع باحدانا غيرت قاعدة في الحساب
والهندسة مثلاً . وليفضل أحدهم باختبارنا عما استنبطه من تلك القواعد ؟ اولست
قواعد الحساب هي بيننا من زمن اليونان الاول الى الآن ونظريات الهندسة لم
تنزل تلك التي كان يعرفها قدماء المصريين والرومان . نحن نعرف لرجال الاختراع
والاكتشاف بعظيم اعالمهم ولكني لو كنت دكت المركب مع خريستوف كولومب
لما نذرت علي انا ايضاً ان اكتشف امبركا . وحقيقة ان النساء لم يتخرعن اختراعات
عظيمة ولكن كان منهن التابعات في العلوم والسياسة والفنون الجميلة اي فيما سمح
لهن بممارسة . وبعضهن حق الرجال في الفروسية والشجاعة كخولة بنت الأزور والكندية
قد عجب منها عمر بن الخطاب واعجب باستقلالها في قروح الشام حينما أرادت تخليص
اخيهما من امر الروم ، وجان دارك التي قادت جيش الفرنسيين بعد انكساره امام
الانكليز فشجعهم على استرداد القتال واصلت محاربي وطنها حرباً عواناً . ولن
أضرب مثلاً بالنساء اللاتي تولين الملك فأحسن سياسته ككاترينا ملكة روسيا
وايزابلا ملكة اسبانيا واليزابت ملكة انكلترا وكيلوباتره وشجرة الدر امرأة الملك
الصالح وأم طوران شاه التي حكمت مصر قد يقول معارضونا انه دبره لمن الوفاء
وهم رجال على انه لو صح هذا اتقول في عهد الدستوريين كالملكة فكتوريا مثلاً
أو ولدينا ملكة هولانده الحالية فلا يصح تطبيقه على أيام الحكم المطلق .

انا الآن في ابتداء اقيام البنات بتعليم البنات يقول بعضهم بالاقتصاد على هذا وذاك
مشبط الهممة ورجوع الى الوراء في حين انه لا خوف من مزاحمتنا لم الآن لاننا لا
نزال في الدور الاول من التعليم ولا نزال عادتنا الشرقية تثبتنا عن الاستمرار على
الدرس الكثير فليهنوا بوظائفهم وما داموا يرون مقاعد مدرسة الحقوق والهندسة
والطب والجامعة خالية منا فليقروا عيوننا وليتبعوا بالافان ما يتخوفون منه بعيد . وإذا
فرض واشتاتق احدانا لتكلمة معلوماتها في احدى تلك المدارس فانا واثقة انها لن
تقلد وظيفه أو تشتغل خارجاً وانما تفضل لاطفاء شوق النفس للعلم أو الشهرة . ولما نفضل .
فاذا كنا لم نشتغل بالحماة ولا بتقلد الوظائف الحكومية أفلا تشغلنا عن تربية النشء .

الافراة كتاب أو خط جواب؟ أظن ذلك مستحيلا . على أن الأم معا تطلت وبأي حرقة اشتغلت قلن نفسها ذلك اطفالا أو يقدها عاطفة الشفقة والأومة بل بالعكس انها كلما تورت أدركت مسؤوليتها . ألم ترين الفلاحات والجاهلات يظل يكي قتل الواحدة منهن ساعات وهي تسمعه ولا تتحرك اليه . فهل يترى كان شغل هؤلاء أيضا تحضير القضاء او الاشتغال بالتحريروا القراة

ولا يفيظي أكثر من أن يزعم الرجال أنهم يشقون علينا . اننا لسنا محلا لإشفاقهم وانما نحن اهل لاحترامهم فليستبدلوا هذا بذلك والاشفاق لا يتأتى الا من سليم لليل او من جليل لحقير فاي الصغين يتبرونا؟ تافهة اننا نأف ان نكون احد هذين قال قائلهم لا تعلموا النبات من الحساب الا القواعد الاربع لانهم لن يحسجن لا أكثر منها . فمن أين له اننا لن نودع قودنا في مصرف أو نبيع وثيقة (كيبالة) أو يتالطنا وكيل في قياس قطعة أرض؟ انه اذا ادعى بذلك تفضيل الرجال على النساء في علم التكن والرجم بالنيب أيضا قلنا لم نصح هذه الفراسة قد أظهر الواقع غير ذلك . أما ما يذهب اليه من تفضيل لغة عن لغة في العلم فذلك مالا فهمه لاني اعتبر اللغات كلها نافعة ولو وجدت من يظني البربرية أو الصينية لتعلمها . اذا كان لا داب اللغة فان الفارسية والالمانية والانكليزية وغيرها ملأى بذلك . أما تعليم تدير المنزل وتربية الاطفال فيجب ان نشكر لدد كتور نظمي اهتمامه بهما وحبه عليهما

أيتها السيدات: العلم منير للقل على أي حال سواء عمل به أولم يعمل فـ اذا يضرنا اننا لا نشغل بمسح الكرة الارضية ولا بالسياحة ولكن نعلم مواقع البلاد وأبعادها . ان الطيب يعلم الجبر في تفضته ولكنه لا يشتغل به في صناعته . كلنا نسمع بأخبار السياسة والرجال يشتغلون بها ولكنهم لا يحدثون أنفسهم بأن يولوا مكان ذلك الملك المقبول أو السلطان المعزول فهل قول لم اذا كنتم لن تتلوكوا في تلك الامم فلا يجوز لكم ان تعرفوا سياستها وأخبارها . نسمع في هذه الايام ان جيش الدستور في تركيا زحف من سلانيك الى الاسانة وان حصن اسكودار تأخر في التسليم ، ألا يحسن بنا ان نعرف من (الجغرافيا) ما يهيؤنا لفهم تلك الاخبار بعد مالا كتبها أفواه الكبار والصغار ؟ لولم يكن للعلم لغة في ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك وهم واهلون انهم لن

يكونوا مهندسين ولا بحارة ولا سائقي قاطرات . وهل تفضل السيدة التي تعرف ان
تطبخ البطاطس وتنسق الازهار فقط أم التي تعرفها ايضاً ولكنها تعلم متى يؤكل
البطاطس وهل يوافق زوجها المريض بالسكر او جسمها السمين الذي تريد تضييره
وهل وجود اصص (قصارى) الزرع في حجيرتها ليلا صالح لرتبتها الضميتين ام
مضر بهما ؟ هذه تعرف تدير المنزل وتلك تعلمه ولكن زيادة واحدة يعلم النبات تحفظ
لها صحتها وصحة عيالها من التلف فصلا عما تشعر به من السرور الناشئ عن العلم . نحن
نعلم ان قصص تربيتنا الاولى وتربية اخواتنا الشبان لاشك نتيجة جهل امهاتنا فهل نعرف
الداء ولا ندأويه وقد قال الحديث الشريف « لا يدغ اللؤم من من حجر مرتين »
ان المدارس معاجتهدت في تعيق عقول الفس وتهديبها فان المنزل له تأثير خاص
على الاطفال واذا شعر تلميذ أن امه عالة اوها نصيب من علم فانه يسعى جهده ليربها
انه اهل لحبها وتقديرها اياه فيجتهد ليحفظ سلسلة العلم لتكون العلة شديدة بينه وبينها .

فعلتنا الحالي ناقص يجب ان يزداد عليه لا ان يقتصر منه

أما ما تشكل على الرجال من علة فساداً فهو ما ينسبونه خطأ للتعليم وحقهم ان
ينسبوه للتربية . يرى كثيرون أن العلم يهذب ولكني لأعتقد ذلك بل اصرح ان
العلم والتربية منفصلان تمام الانفصال الا في علوم الدين فقط . ودليلي على ذلك ان
كثيرين من المبرزين والمبرزات في العلوم لاخلق لهم . وان الكتاب الواحد قد
يدرسه معلمان مختلفان في فرقتين كل على حدة فتعلم الفرقان الكتاب ولكن نجد
اثر الهمة وعلو النفس في واحدة ولا نراه في الثانية فهذا ناشئ من تأثير روح العلم
في تلاميذه لامن العلم والا فلو كان من العلم لتساوت الفرقان لان الكتاب واحد
والعلم لا يختلف .

يظن بعض الناس ان احسن التربية قبيل ايدي الزائرات وتكتيف الدين
خضوعاً ولكن ما ابعد هذا عن الحقيقة . التربية الحسنة هي التي تؤهل الشخص
لان يدرك نفسه من سواء وما احزم من قال « ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه » .
التربية الحسنة هي التي تعود الانسان من غيره احترام الغير اذا استحق الاحترام
حتى ولو كان عدواً . فالتعلم لم يفسد اخلاق الفتيات وانما هي التربية الناقصة . تلك التربية

في الحقيقة يجب أن تكون من أعمال البيت لا المدرسة ولما كانت يوتالم تبلغ الدرجة التي تؤهلها لإحسان تربية الأطفال فقد وجب علينا أن نضاعف مجهوداتنا لإصلاح شأن أنفسنا أولاً ثم إصلاح النساء ، ولا يتم ذلك في لحظة كما قد يتوهم ، ومن الظلم أن نلقي مسؤولية الفساد كلها على المدارس فإن المدرس لها تأثير في التربية ولكن ليس عليها كل الذنب ، بل العيب في الأسر

من عيوبنا نحن النساء أننا لا نكثر كثيراً بالنصح فإذا قامت سيدة تريد تقرير مبدأ أو إظهار حقيقة قال أكثرنا ما لها ولهذا أو أن كانت تغار فتعمل مثلنا وغير ذلك من الألفاظ

ومن عيوبنا السخرية والتهكم فكثير منا تنتقد من تعادفه وتسيب عليه لالعيب حقيقي يستدعي الانتقاد ولكن لولع بالانتقاد في ذاته فرجما انتقدت في ساعة واحدة اثنتين على خصليتين متضادتين ولا يمكن أن يكون الشيء وقبيحاً متقدداً فإذا رأت امرأة سبته قالت إنها (كالبرميل) وكيف تستطيع الحركة ، وإن بصرت بأخرى رفيعة قالت إنها كود الحديد تكسر بدنها على سابقها ، وإذا وجدت سيدة قليلة الكلام قالت إنها متكبرة وإن سمعت أخرى تتكلم كثيراً عابت عليها وقالت إنها تصنع الخلفة

ومن عيوبنا الصلف والاعتذار ، كنت وأنا طفلة أحفظ قصيدة سمعتها ولكنني كنت أخطئ فيها وألحن كثيراً غير عالة بالطبع ما كنت واقعة فيه من الخطأ وكنت زميلاتي الصغيرات لا يعرفن القصائد ولم يسمن بها فكنت إذا قلها أمامهن عددتها غريبة عليهن ووستني بالذكاء فإلثت أن اغتررت بقصيدتي وصرت أفخر بها حتى إذا أقيمت ذات يوم أمام والدي أواني خطي وحين لي أنها كانت مجموعة تنف من هنا ومن هناك لا ارتباط لأجزائها ولا قافية لها وأعطاني كتاباً فيه شعر فأدهشني أكثر لأنني كنت أحسب أن لا شعر في الدنيا إلا تلك التف التي كنت استظهرتها فإذا كان تركني ولم يبين لي خطائي فرجما كنت استرسلت في الغرور ، والإنسان مما بلغ من العلم فإنه لا يزال يقبل الزيادة فيه ومما كبر فيها يعرف فإنه

لا يزال طفلا ازاء ما يجهل كالبحر نستعظم منه ما رأيت وما لم تره أعظم ، وكيف أصلح خطي إذا كنت لا أشعر به ولا أقبل نصيحة من يراه

يشكو الرجال من تبرجنا في الطرقات وحق لم لانا خرجنا فيه عن المألوف والجاز ، نحن نزم انا نحتجب ولكننا ما بلقنا حجابا ولا بلقنا سفورا ، لا أريد ان نرجع لحجاب جداتنا ذلك الذي يصح أن يسي وأدا لا حجابا فقد كانت السيدة تقضي عمرها بين حوايط منزلها لا تسير في الطريق إلا وهي محمولة على الاعناق ولا أريد سفور الأوريات واختلاطن بالرجال فانه مضر بنا ، ان نصف ازارنا السفلي اليوم حرط (جونيله) لا يتفق مع كلمة حجاب ولا مع معناه ولا مع الحكمة منه إما نصفه العلوي فهو كالمر كلما تقدم قصر ، كان الحجاب الأول قطعة واحدة تلتف بها المرأة فلا يظهر من هبتها شيء ثم طرأ عليه تكش بسيط ولكنه كاف واسما يكفي لستر الجسم ثم قفنا فيه فصرنا نضيق وسطه وقصر رأسه وأخيرا فصل له كان وصار يلتصق بالظهور ولا يلبس الا مع المشد ويربط من أطرافه الى الوداء حتى تظهر منه الأذنان ونصف الرأس أو أكثره فبين الودود والرياحين والاشربة المزين بها الرأس ، أما البرقع فأشف من قلب الطفل ، ما الفرض من الإزار ؟ الفرض منه ستر الجسم والملابس والزينة اجتناب الزينة التي نعي الله عنها فهل يتفق هذا مع المأزر الحالي وقد أصبح (فستانا) يظهر التهدين والخصر والاعجاز فضلا عن ان بعض السيدات ابتدأن بلبسه أروق و بنيا وأحمر ، الأولى أن لا نسبه منزرا بل (فستانا بظطور) فانه في الحقيقة كذلك ، وعندي أن الخروج بدونه أحسن لانه على الأقل لا يسرع النظر ، هل ان مسألة الحجاب قد اختلف فيها الأئمة فاذا كان قنن بعضنا هذا يراد به التحيل على الخروج بلا ازار فليس علينا فيه من حرج اذا كشفن وجوهن بشرط ستر الشعر والجسم وأرى ان أوفق لباس للخارج هو تغطية الرأس بنحو وسدل رداء أشبه (بالبطو) المسى (Cache pousive) عند الفرجة على الجسم الى الكعب ويكون طويل الكين الى المصمدين وهذا اللباس مستعمل في الاستانة كما روت لي إحدى السيدات للخروج الى المحلات القريبة ، ولكن من يضمن لنا اننا لا قصره ونضيفه حتى نمسكه (فستانا)

آخر؟ وحينئذ تضيق بنا حبل الإصلاح ، لو اتنا مميزات من صغرنا على الفور ولو ان رجالنا مستعدون له لا قررت بالفور لمن نهواه ولكن مجموع الأمة غير مستعد له الآن وان كان بعض نساءنا الماقلات لا يخشى من اختلاطين بالرجال الا اننا يجب ان نتحفظ على غير الماقلات أيضا لاننا ممرحان. ماقلد وقل ان نبحت عن حقيقتنا فيه ، ألا ترى ان تيجان الماس أصلها الملكات والأميرات ، فأصبحت الآن يلبسها المقيبات والراقصات ، ولعل الشعراء يعدلون عن كتابتهم الملكات ياربة التاج قد أصبحت تلك الكناية شاملة لسواهن ،

على ان قتنا هذا في المنزر الخالي هو في ذاته تقلد لأوروپات ولكننا قتنا من في التبرج فان المرأة منهن تلبس أبسط ما عندها عند ما تكون في الطريق وتلبس ما شئت في البيت أو في السهوات ولكننا بخلاف ذلك نظل امام أزواجنا بمجلباب بسيط جدا ثم اذا خرجت احدانا عمدت لأحسن ثيابها فقيست وأهملت نفسها بالمصوغات وأفرغت عليها زجاجات العطر الطيب ، وإليها تنصرف على ذلك بل تهمل من وجهها حافظا نقشه بالدهان ، وتصبغه بمختلف الألوان ، وتكسر في مشيتها كأنها انليزبان ، فتفتن المارة أو على الاقل يتظاهرون لما بانها فتتهم ، اتي واقفة ان أغلب هؤلاء التبرجات يفضلن ما يضعن وعن خيالات الذهن من سوء القصد ولكن من أين لرائي ان يدين حسن فتنهن ومظهرهن لا يدل عليه ؟

حجابنا يجب أن لا يحرمتنا من استنشاق الهواء النقي ولا من شراء ما يلزمنا إذا لم يقدر آخر على شرائه لنا ويجب أن لا يمنعنا عن تلقي العلم ولا ان يكون مساعدا على فساد صحتنا أو سببا في تلفها ، فاذا لم أجد في يدي حذيقة واسعة أو رجة طلاقة الهواء وكنت فرغت من العمل وأحسست من نفسي بملل أو كسل فلم لا آخذ نصيبي من هواء الضواحي المنعش الذي خلقه الله لكل ولم يحبس في صناديق مكتوب عليها « خصوصي للرجال » ، وانما يجب ان نختار الاعتدال ، وان لا نخرج للزينة وحدنا اجتبابا للقليل والقال ، وان لا نغشي الهويثا وان لا نلتفت بئمة ويسرة ، واذا لم يكن أبي أو زوجي يحسن اختيار ما أشتهي من الملابس غير الموجود لها عينة يمكن جلبها للمنزل فلم لا بأخذني معه لاختيار ما يلزمي أو يدعني أشتري ما أريد ؟

وإذا لم أجد من يحسن قلبى إلا رجلا فهل أختار الجمل أم السفور املم ذلك الرجل مع اخواني من المثلمات ، على انه ليس هناك ما يجبرني على السفور بل انه يمكنني التمتع والاستفادة منه وهل نحن في اسلامنا أعرق أصلا من السيدة قيسة والسيدة سكبنة رضي الله عنهما وقد كانتا نجمتان بالعلماء والشعراء ؟ وإذا اضطرني المرض لاستشارة طبيب لا يمكن إحدى النساء القيام بصدله فهل أترك نفسي والمرض وقد يكون خفيفا فيفضل بالاهمال أم أستشفيه فيشفيني ؟

ان حبس المصرية الساقطة قفريط ، وحرية التريين الآن أفرط ، ولا أجد أصلح لان تتبس منه إلا حالة المرأة التركية الحاضرة قائما وسط بين الطرفين ولم تخرج عما يجيزه الإسلام وهي مع ذلك مثل الجد والاحتشام ،

بلقي ان بعض كبرائنا (أريد بكبراء الوطائف) يملون بناتهم الرقص الافرنجي والمثبل وهما أمران أحلاهما مر وأعدهما تطرقا محقوتا واستهانة في تقليد التريين ، لان العادة يجب ان لا تفسر إلا إذا كانت مضرة والانماط الغربية لا قبلها قوم دينهم إلا إذا رأوا ضرورتها وصلاحيها فأبى صلاح لنا من مخاصرة الرجال والنساء ورقصهم معا ؟ أو ظهور بناتنا أمام الرائيين (المتفرجين) بصدور عارية يمثالن أدوار الحب والخلاعة على (المرسخ) ؟ ان ذلك مناف للدين الإسلامي هادم لفضيلة مدخل لضرار العادات يتنافى علينا أن نحاربه ما استعظنا ونظهر احتقارنا لمن قطع من المسلمات القليلات اللاتي إذا شجنتاهن بسكوتنا فإنهن لا يلبثن ان يبدن الفيرته ، وعلى ذكر الحجاب والعادات أذكر كن بمسألة تن منها السادة وتكاد تندثر

في بيوتنا تلك هي مسألة الخطبة والزواج . يرى أكثر عتلاء الأئمة ان لا بد للخطيبين من الاجتماع والتكلم قبل الزواج وهو رأي شديد لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه يفعلون غيره وهو متبع عند جميع الام بأسرها والامة المصرية أيضا الا في طبقة واحدة هي طبقة أهل المدن اذا ائتمف العروسان عندنا فهو من محاسن الاتفاق (الصدف) . وكيف يمكن الجمع بين شخصين لم ير أحدهما الآخر ولم يختبره على ان يقضيا العمر معا ؟ ان احداثا اذا اتفق ورأت عرضا في إحدى زياراتها سيدة استقلت وبجها قائما لا تصبر على مجالستها فضلا عن النظر اليها وتسرع

بالتخلص منها فكيف تعبر على مفض الحياء اذا استقلتك ايضا بلها وهي لم يمكنها
 الصبر على ثقل الثرىة لحقة واحدة في غير بيتها ؟ يشبر قوم باتباع خطبة الفريين
 من وجوب معاشره الخطيين زمانا ليسكن كلاهما من استطلاع طلع صاحبه ولكني أصرح
 باستهجان هذه العادة واعتقد أنها مبنية على وهم لا على أساس متين . اذ من نتائج معاشره
 المشاييرين الالفه ومن الالفه الحب . واذا أحب الانسان شخصا لم ير عيوبه ولم
 يمكنه فحص أخلاقه فيزوج العروسان حينذاك على حب باطل وعلى غير هدى فلا
 يلبثان ان يتنازعا وتشتل ريجهما . انما الطريقة التي أود عرضها على مسامعكن هي ان
 يترأى العروسان ويتكلما بعد خطبة النساء المتبعة وقبل العقد ويجب ان لا تظهر
 العروس الامع أحد محارمها وتكون في أبسط لباسها . قد يعترض على هذا الاقتراح
 بأن اجتماعا واحدا أو اثنين أو أكثر قليلا لا تكفي بأن يقف الواحد على أخلاق
 الآخر ولكنها على أي حال كافية لان يشعر الواحد باجتناب دم الآخر له أولا
 على ان من صدقت فراسته يمكنه تيين الاخلاق من المينين ومن الحر كات والسكنات
 فيبين ان كان صاحبه متصنفا أو طائشا أو سكيئا وغير ذلك . أمامعرفة ماضي العروسين
 وبقية أحوالها فيجب ان يسأل عنها من المعارف والجيران والنخلم وغيرهم . وخوفا
 من ان يتخذ الشبان فاسدو الاخلاق تلك الطريقة ذريعة لرؤية بنات الناس من
 غير قصد الزواج يجب على الولي ان يحرى سلوك الخاطب ويثين الجدمن كلامه
 قبل السماح له برؤية ابنته أو موكلته . لربما تستصعبن قول هذه الفكرة والعمل بها
 ولكن كل شيء يخال لنا صعبا عند الابتداء فيه واذا مارسناه سهل وذل على اتنا اذا
 كنا نعتقد بفساد طريقتنا القديمة وتأنم منها ونهجم عن الاقدام على ما نراه مفيدا لنا
 مقللا لحوادث الشقاء في زواجنا فسا أشبه يومنا بالامس وما أشد أثمانا وما أبعدنا
 عن قول الشاعر

تأخرت أسبقني الحياء فلم أجد حياة لنفسي مثل ان أقدمنا

وما الفائدة من قلنا اذا كنا لانستطيع تغيير عادة مضرة لاهي من الدين ولا
 من الحكمة وقد رأينا رأى المين سعادتنا المائلية مزعزة تكاد تقتلها منصر تلك
 المادة العالقة . وما مثلا في ذلك الا كمثل رجل غرق واشرف على التلف فلما بهصر

بقطعة خشب يمكنه انتجاة الإتلاق بها أبى ثلاثا يكون بها مسبار فيجرح أصبعه فإتلفته
الحجة وقد كان يمكنه انتجاة أولم يقدر الخوف من المسبار وما أدرأه ان غلته ونحوه في
عليها ولذا فأنى ان يرانا خاطب بحجة انا وربما لا نجية أو ليست مضرة وغبنا
هنا أو رغبته هنا أخف بكثير من تقادنا على الزواج قبل الروية والانسان لا يفعله
في شراء دابة فكيف يفعله في اختيار قرين .

ان امتناعنا عن ان يرانا الخاطبون صرف كثيراً منهم الى الاوريات فيتحمل
احدهم ان يتزوج من خادمة أو عاملة يستقد انه سيهنأ معها على ان يقرن بنت الباشا
أو البك الحبيبة في (حلة البخت) وليندرني صديقاتي التريات على هذا القول فاني
لا أريد به اعادة لمن وانما هن يفرق قبلنا أن امرأة ذات حسب مرغوبة في شبان
قونها لا تتركهم الى قى من غير دينها وجنسها فضلاً عن ان كل بلاد لها مدينتها
الخاصة بها وقرير أحوال مدينتها لا يقتضي اننا نسيب مدينة الآخرين . قسما بالله
لوجه البارون روتشيلد أو المستر كارينجي الى ابنة كاتب عندنا مرتبة أو متجنبتات
شهر (لا يخطبها) لاورد بغير ائولية فاذا لم نسل على تدارك هذا الظلل في مجتمعنا لم نلت ان
يحتلنا نساء القرب ايضا فنقع في احتلالين احتلال الرجال واحتلال النساء . وثانيهما
شر من أولها لان الاول اذا كان حصل على غير رضا فان الثاني جلبناه بأيدينا
والنساء شدييدات التلق بالاقارب فلا يبعد ان تلم كل زوجة منهن اخاها واباها
وابن خالتها وصاحبها حولها فيسدون ما بقي لرجائنا من موارد الرزق فنخرج وإياهم
من بلدنا بخفي حنين وان يشأ يذهبكم ويأت بخلق كثير .*

بعض رجائنا يفضلون هنا الاوريات لتديروهن حقيقة ان الفقيرة منهن ترتدي
لباس نظيف مرتب وترين ياتهن على قلة ائانه نظيفاً مرتباً ، وطعامها لذيذاً متنوعاً ،
وأولادها موددين اصحاء ومع ذلك فقائنها قليلة . نرى كل يوم نساء ضابط الانكبايز
ماشيات في الطرق بلباسهن التيل الابيض البسيط وأولادهن لابسين القبعات الجليلة
والاحذية البيضاء ومنظرهم يأخذ باللب لا يقاربههم في شكلهم عندنا الا أولاد
(الذوات) الذين تخدمهم المريات (والدادات) أما سائر أطفالنا فهم في حالة برنى

*) لعلنا أرادت ان تمثل بالآية « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد »

لها من الاعمال . ولكن هل من تزوج منهن مصريا تدبر له كما كانت تفعل لو كان زوجها أوربيا ؟ كلا . والحس يؤيد ما أقول . فان اغلب رجالنا الذين تزوجوا منهن يثنون ويصرخون من تبذيرهن واتباعهن هواهن . فالمرأة الغربية تعتقد انها من جنس أدنى من المصري فاذا تزوجته ظلت رثيمة له يسمل بإشارتها وحسب انه ملزم بالصرف على ما تشتهي وطلبه لها حتى ولو كان في الصين فهي مدبرة مع الغربي مسرقة مع المصري واذن ضاعت افضليتها من هذا القيل . وبعضهم يدعي انه يفضلها لانه يمكنها الخروج معه في نزهة وروحاته وغدواته ولا أظن الرجل يحب أن تراقبه زوجته وتزعم لزوم الظل فانه داعية للبل على أنه لو كان هذا الرأي صحيحا لما تأخر اكثر عن تنفيذه وأنا أول من تفعله . ولا اجد للمرأة الغربية التي قبلت الزواج من مصري ما يفوقها علينا الا أمراً واحداً لا أراها نصحت لانا لم نغارسه ولا أريد ان نغارسه ذلك انها ماهرة في اجتذاب القلوب وفي نصب الشاب لرجال فاذا صادت بمركاها وغنة صوتهما مصريا فليعلم انها دربت على ذلك في عشرين غريبا قبله . فهل يقبل وفيه غيرة الشرقيين وانتمهم أن تطعمه طيخا حقيقة لذيذا ولكنها انفضت على نار غيره وكبح فيه قبله خلق كثير ؟

وبفرض ان الزوجة الشرقية الراقية قصت قليلا عن أخنها الغربية فلماذا لا يرشدها بملا الى مواضع خطئها بالرفق ويريهما ما يجب وما لا يجب وان أحب شي عند الزوجين المتحددين أن ينفذ أحدهما وسمه ليرضي الآخر . فانصراف شباننا لتلقي العلوم الحديثة بأوروبا يجب أن يكون خير البلاد لا لشرها فكما يتعلمون لنفع انفسهم يجب ان يقر نوا ذلك النفع بنفع مواطنيهم أيضاً والا فلواتبع كل واحد يرى عيبا في صاحبه طريقة هؤلاء الشبان لما كان لاحد خل « ومن ذا الذي يرضي سجاياه كلها » فواجبهم الوطني يقضي عليهم بأن يدخلوا كل ما يرونه صالحا في بلادهم مع الاستثناء عن الأجنبي على قدر الامكان فصانع الحرير الوطني اذا رأى معامل أوربا وسرعتها وجب أن يشترى الآلات اللازمة لسرعة انجاز العمل لا أن يدخل تلك الصناعة بعينها ويقضي على صناعته الجميلة فيكون قد اقتبس شكلا وأبطل آخر فنحن اذا اتبعنا كل شي غربي قضينا على مدينتنا والامة التي لا مدنية لها ضعيفة هالكة لا محالة . فشباننا يدهون انهم

يأتون ببناء اور بالانهم وأوهن أرق من نساء مصر اذن يجب ان يحضروا لنا تلاميذ اور بالانهم أرق من تلاميذ مصر وعمال اور بالانهم أرق من عمال مصر لان النظرية واحدة فاذا تكون الحال لو تم ذلك؟ وهل اذا سافرت زوجة مصرية لأوربا ورأت الاطفال هناك أجمل بشرة واحلى منظرا من مثلهم في مصر أصبح ان تترك اولادها وتأتي بغيرهم من الغربيين أم نتجهد لتجميلهم وتزيينهم من الشكل الذي أصبحت به؟ واذا كانت أخطأ فتاة غريبة تتزوج مصرية يتبرأ منها أهلها أقضي نحن عنها وقد شغلت محل فتاة منا ومار زوجها مثالا لغيره من الشبان؟ أنا أول من يجب بنشاط المرأة الغربية وإقدامها وأول من يحترم من تستحق الاحترام منهم ولكن يجب أن لا يفينا احترام الغير منفعة الوطن والمصلحة العامة فوق الاعجاب . وانا في كثير من أمورنا نسير وفق ما يراه الرجال فليرونا ما يحبون وكلنا مستندات لسير بمتضاه بشرط أن لا يكون ظاهرا لنا ولا اجحافا بحقوقنا .

يؤمني ان درجة احترام الرجال لنا ليست بالدرجة التي نحب واذا بحثنا وجدنا اننا نحن اللاتي وضعا أنفسنا في هذا الموضع غير الحسن لان الانسان ينزله الناس في المنزل التي يختارها هو لنفسه ويسير عليها كما قال زهير «ومن لم يكرم نفسه لا يكرم» لا يكرم المرء نفسه بأن يقول سعادتي وحضرتي أو البك والباشاعلى نفسه كعوض الجملاء الذين تصلم رتب جديدة وانما لا يستوين بذاته فيبينها ويشعر عن نفسه بالضعف فيبينه الغير أيضا فهل نحن نضع أنفسنا في الموضع اللائق بها؟ كلا . يحكي ان أحد الخلفاء يوما كان يروض نفسه في الطريق اذ سمع صوتا في خربة فاتجه نحوه فوجد فيها زبالا يقول

وأكرم نفسي اتني ان أعتبها وحقك لم تكرم على أحد عهدي
قال له وأي اكرام لنفسك وانت تحمل التراب والافذار؟ قال نعم افضل ذلك لا كفي نفسي هامة السؤال من مثلك . ان مقتداتنا وأصاكتا كانت سببا عظيما في قلة احترام الرجل ايانا . أيتبر رجل عاقل امرأة تعتقد في السحر والشعوذة وكرامة الاموات وتقبل من الدلالات والبلانات بل ومن الشياطين عليها سلطانا؟ أيجزم المرأة ولا حديث لها الا (فساتين) جارتها ومصوغات صاحبها وجواز فلانة وأخبار

علامة؟ هذا فضلا عما اطلع في ذهنه من أن المرأة أضعف منه وأقل ذكاء . ان
 هاوتنا في هذه القطعة اعتراف بأن حالتنا مرضية فهل هي كذلك ؟ واذا لم تكن فاذنا
 يرقنا في أعين الرجال ؟ يرقنا حسن التربة والتعلم الصحيح فاذنا حسنت تربيتنا
 وتعلمنا علما حقا لا تشوور بمض اللغات الاجنبية و (دوري ص فاسول) والعلم يشمل
 أيضا تدبير المنزل والصحة وتربية الاطفال . واذا تركنا الخلعة في الطريق جانبنا واذا برهنا
 لازواجنا بحسن سلوكنا وقيامنا بواجباتنا حق القيام انا آدميون نشعر وان لنا غفوسا
 لا تقل عن نفوسهم فلا نسبح لهم بحال من الاحوال بايلام شعورنا أو بالاستهانة بنا .
 اذا فضلا كل ذلك فن أين يجد الرجل العادل طريقا للاحتارة ؟ أما غير العادل فكأن
 حريا بنا ان لا قبل الزواج منه .

يرقنا أن نطرح الكسل أرضا فإن عمل أكثرنا في المنزل هو القعود على (الثلثة)
 كل الهار أو الخروج للزيارات كأن رد فعل القعود أدار لو لبأرجلتنا ونفخ في شراع
 حبرنا فلم تقو على ضبط جماحتنا . والتي تعرف اقترامة منا فقيم تقضي أوقته فراغها ؟
 في قراءة الروايات فقط فهلا قرأت قانون الصحة أو بعض الكتب المفيدة فتستمتع وتنفع ؟
 ان انغماسنا في الكسل أو التعرف أدى الى ضعف اجسامنا وشحو بنا فيجب ان نبحث
 لنا عن عمل نزاوله في منازلنا . والمتأمل يرى لأول نظرة ان الطبقات العاملة هي الاقوى
 صحة والاكثر نشاطا والأنجب نسلأ . الأتربن الى اولاد الطبقة الوسطى والسفلى
 فانهم كلهم تقريبأ أصحاب الجسم أقوىاء البنية أما اولاد (الذوات) فأكثرهم مرضى
 أو نحفاء يتأثرون لاقول العوارض مع ما يئذل له آباؤهم من الاعتناء بهم بمكس اولاد
 الطبقة الدنيا مثلا فانهم في اهمال شديد من والدهم . العمل يخرج الفضلات الزائدة
 في الدم ويقوى المضل ويمث على النشاط والطبقة أو الامة العاملة يزدد نسلها فتمتز
 بأبنائها وأن الامة الالمانية لشاعد حسي على ما أقول فان التعداد يظهر ان النسل هناك
 يزدد بسرعة هائلة حتى ضاق ركب ألمانيا بأهلها فأخذوا ييحثون عن أراض يستعمرونها
 ليصرفوا فيها الزائد من السكان والذين زاووا أوروبا أخبروا ان أهل تلك البلد مجدودن
 نشطون رجالا ونساء بعكس المرأة افرنسية فان رفقها الزائد كان سبأ في قلة نسلها فضلا عن

انصراف كبير من تلك الامة عن الزواج وقد يمج صوت الاقتصاديين والاجتماعيين في النداء على مواطنيتهم بالاعتدال واتباع الطريق القويم
لاحظت وأنا في البادية ان بين نساء البدو وجلهم كثيراً من العجائز ممن بلغوا الثمانين والمائة وقد رأى معظمهم أوبة أعقاب من ذريته مع اني لم أرى في اقاهرة ولا في المدن الاخرى ما يشبه ذلك ولا شك ان هذا نتيجة عيشتهم الطبيعية واعتدالهم فانهم كلهم مبكرون في كل شيء : في الاستيقاظ وفي النوم وفي تناول الاغذية وكلهم عاملون ولم أرى بينهم امرأة واحدة حتى من نساء أغنيائهم تقفي النار بالكلل كما قضيهن فاذا كان الفلاسفة والاطباء يبحثون عن اكبر الحياه فانا قد اكتشفته : هو العمل والاعتدال في الميشتا والبش الطبيعي ولعل في هذا القدر من المرأة كفاية اليوم بقي علينا ان نبين الطريق العملي الذي يجب أن نسير عليه ولو كان لي حق التشريع لاصدوت الامة الآتية :

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن والسنة الصحيحة
(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاولى اجبارياً في كل الطبقات

(المادة الثالثة) تعليمهن التدير المنزلي علما وعمل وقانون الصحفوتربية الاطفال والاسعافات الوقية في الطب

(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكلهوفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد

(المادة السادسة) تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل

(المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج اثنان قبل ان يجتمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاراك في الاستانة في الحجاب والخروج

(المادة التاسعة المحافظة على مصلحة الوطن والاستفاء عن الغريب من الأشياء والناس بقدر الامكان
(المادة العاشرة) على اخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا
(المثار) نرجي رأينا في هذه الخطبة الى الجزء السادس ولكن لا نرجي انتاء
على الخطبة التي كانت في هذا العصر أول مذكرة لنا بخطبات سلفنا من الصحايات
فمن دونهن

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافي ﴾

٤

بحث احاديث الآحاد وهل هي من اصول الدين

قال الفاضل حفظه الله : الكلمة الرابعة يان أسباب ان أحاديث الآحاد لا نفيده
اليقين . ونحن قول هذه دعوى قد سبقه بها كثير ممن لم يمد غوره في طلب هذه
المسئلة وكان الأجدر بهؤلاء الباحثين ان يبحثوا عن جرى الانسان النظري الطبيعي
اهو مفطور على الصدق والتصديق ام على الكذب والتكذيب ؟

ان من امعن النظر وحققه وجرب الواقع ومحصه يرى ان الانسان مجبول على
قول الصدق ومفطور على تصديق كل ماسمع . هذه هي حاله الطبيعة لبا نرى ان
الصفار الذين هم في حالة السذاجة وعلى الجرى الفطري الطبيعي الذين لم تلمسهم
الحوادث والطوارئ والاحوال المكتسبة لا يكادون يكذبون خبرا ولا يكذبون في
خبر . نعم قد نرى من بعضهم في بعض الاحيان ما يشوش هذا الخلق الطاهر
كالذهول والقسيان ، لكننا إذا اعتينا بهذه النكسة السوداء المكسرة لصفاء هذا
المجرء الطاهر المستقيم نرى ان ذلك مرض من الأمراض العارضة المختلفة باختلاف
أسبابها وباختلاف التأثير والقابل ، فالقسيان باقسامه قد يظن بعض الناس انه

لازم طبيعي للبشر وليس الأمر كذلك - وإنما هو مرض أو شبيه بالمرض -
ويصح ان يقال ان كل ما انتقش في المحافظة لا يزول ويمسى بالكلية وإنما
إذا صرفت همه الانسان وقصده الشواغل فهو يذهل عن بعض ما انتقش في
حفظه فإذا استجبل وترك التفتيش عما في هذه الخزانة المحسنة المصونة ولم يميز
ما يأخذ منها فرجما ركبت له هذه الحركة الفكرية الخفيفة الغير المنتظمة صورة
بدل صورة أو صورة مركبة مما في هذه الخزانة لما قدمنا - أولانه ضعف أخذه لما
حين حفظها لضعف قصده ونحوه وحينئذ إذا أراد ان يخبر عن ذلك وقع في
خبره الخلل . ودواء ذلك صدق القصد ابتداء واستمرارا واتهاء أي وحينما
يريد ان يحدث بذلك . وذلك يكون بالمراجعة والمذاكرة مع من يشاركه في ذلك
وعلى الأقل بالرجوع الى نحو كتاب دفا الطواريء التي تتناوبه وتشوش استمرار
شعوره بالحفظ . يوضح ذلك ان الانسان كثيراً ما يتذكر ما نسيه والوجدان
شاهد ذلك . وكما ان الذهول يكون فيما حفظه الانسان كذلك يكون فيما يتلقاه
ويشاهده في الخارج والواقع . وانتقش الاشياء في الحفظ بخلاف قوة وضغط باختلاف
الاستعداد والتوجه وقوة الاكتساب حين الأخذ . فظهر بذلك ان النسيان ليس
بوصف ذاتي لكل انسان لا ينفك عنه إذ لو كان كذلك لم نحفظ شيئاً لامتناع
قيام الشيء الذاتي وتقضيه بمحل واحد ففكرة التي نحفظ بها ليست هي قوة النسيان
ولا سببه وإنما النسيان ذهولاً عن تمييز ما حفظناه لسبب ما - مما قدمناه - وإذا
كان الصدق والتصديق هو أصل الفطرة فما يمارسه من نسيان وكذب قائما يكون
لأسباب طواريء وعوارض لمن انحرف ومال عن مقتضى الفطرة الطبيعية وقد عرفت
دواء النسيان ودواء الكذب الذي لا يضاهيه دواء هو استشعار خوف الله المطلق
على كل خفية . وعليه فلا يبعد ان قول يمكن ان يكون مضي على البشر زمان
لا يعرفون فيه غير الصدق والتصديق لعدم أسبابه أو ضعفها . وعليه فما زراه من
تصديق بعضهم بعضاً في جميع شؤونهم هو اربابا ولذا زراه يستهجنون الكذب
والكذابين حتى رسخت قبحته وصارت من الضروريات واستحسنوا الصدق
حتى صار من المستحسنات وبما قرأناه ثبت ان الاصل في أخبار الآحاد هو

إفادة العلم واليقين . الا ان فساد الأخلاق قد غير من ذلك كثيراً من خرج عن
 الفطرة وعن الدين . لكن لا يجب ان لا يبقى من ذلك شيء يفيد الصديق اذا كان
 المخبر والمخبر من تهذبت فطرتهم وقوي تمسكهم بالدين مع استعمالهم لجميع الأدوية
 المانعة لطروء مرض النسيان فليتأمل الناظر

قول الفاضل : ان أخبار الآحاد لا تفيد اليقين ، ان أراد ان بعضها لا تفيد
 ذلك لضعف حامله اما لانه عرف بالخلط والغلط في أخباره اولاً لانه كان مظنة
 لذلك فهو صحيح في بعض الحالات لا في بعضها الآخر حيث يعلم انه يشارك
 المخبر في مضرة الكذب وانه لا غرض له فيه أو انه يخاف عقاب المخبر ان كذب
 عليه ففي هذه الصورة قد يفيد خبر الواحد الفاسق الظن الراجح أو العلم لبعض
 الناس ولذلك لم يأمر الله برد خبره ولا قوله الا بعد التبين — وان أراد حضرته
 ان كل فرد فرد من أخبار الآحاد وأحاديثهم لا تفيد كل فرد فرد من المخبرين
 (يفتح الباب) العلم فالواقع والعقل يكذب هذه الدعوى . ولا عبرة بقول من تقدمه
 بهذا الاطلاق كتمان كاذب . نقول ذلك إثارة للحق والحقيقة غير طاعنين
 في ذواتهم وفضلهم

انه معاً قال من خالف مذهبنا اليه ومهاجده في التشكيك والتشويش مما
 يظن انه تحقيق وتدقيق فانه لا يستطيع ان يفسر الفطرة التي لا يكاد ان يخرج
 عنها فرد من البشر مختاراً أو ملجأً وان من خالفنا فانه لا وجود لخلقه لا في الواقع
 ونفس الأمر ولا في الاعتقاد وخالقه لا يتحقق بأكثر من الوجود في القول والعبارة .
 لأن الانسان ملجأً بالضرورة في أكثر شئونه ان لم قل في كلها الى من يستمد
 عليه في التعاون ولا واسطة لذلك قوم مقام الافهام والغايم في الأمر والاخبار
 ولا كان الانسان مدنياً بالطبع كان التصديق في الافهام والغايم طبيعياً له .
 ولا كان الارتفاق والاجتماع البشري يشتمل على كثير من العلوم أكثرها ضروري
 له فمن اشترط لهذه العلوم غير طرقها كان محصل قوله ونتيجته انكار هذه العلوم
 وامهالها الذي من لازمه تنكيت هذا الاجتماع البشري ومحو علوم هذا الارتفاق
 وهو غلط . ومنشأ هذا الغلط أخذ المتأخر قول من تقدمه أصلاً ثانياً بدون نقد

وتثبت فيه كما يقال ان العلم واحد لا يكون بعضه أقوى من بعض أو انه لا يقبل الزيادة والتقصان أو انه لا يتفاوت في جزئياته أي لا يتفاوت في من قام به من الاشخاص أو ان الطرق المؤدية اليه شرائطها واحدة وان مقدماتها لا قبل احتمال التغير حتى يفرض المانع الذي لم يتحقق وجوده ونحن لا قبل هذه الأقوال ونحوها على اطلاقها لكن بعد التفصيل والتقييد . فن اشترط في علم المعلوم تحقق علته وسببه في نفس الأمر وصفاته ولوازمه كذلك وعدم الموانع كذلك قد كلف نفسه مالا تطيقه وطمع فيما يكاد ان لا يكون للبشر فيه مطمع — والعبرة عندنا في ذلك اطمشان النفس فان كان ذلك كسبياً فلا بد من بذل الجهد في الدليل بحسب الاستطاعة . والحاصل ان المعلوم كثرة والطرق المؤدية اليها كذلك وهي مختلفة وطرقها كذلك ولكل شرائط لا يمكن التزامها في الأخرى فعلوم الاجتماع والارتفاق كالفنات ومتعلقاتها وعلوم الشرائع والأديان وملحقاتها وكذلك علوم الآثار والتاريخ والطب ونحو ذلك لا يمكن كل أحد ان يكتسبها بالعقل أو بالحواس مباشرة ودائماً فلا بد من الوساطة فتشترط فيها ان تكون مما تطمئن النفس اليها لا مطلقاً بل بعد بذل الجهد المستطاع — وبنا على ذلك فنسبناه تحديث ولم يقصر عادة ثم اطمأنت اليه نفسه قد حصل له العلم واليقين ولا عبرة باحتمالات لم تشوش جزئه واطمشان نفسه . المسلمون تطمئن أنفسهم إلى هذه الأحاديث المكتوبة عن انتقادات الضابطين والأئمة العارفين فهي تقيدهم أكثرهم العلم

وتقول لحضرة الفاضل ومن قال بقوله ما دلكم على ان احاديث الآحاد لا تفيد اليقين ؟ فاذا قل ان كل فرد من البشر يجوز منه وعليه الكذب والذهول والقسان، وكل من جاز عليه ذلك جاز ان ينسى الخبر ويكذب فيه ، واستتج ان كل فرد فرد من البشر يجوز ان ينسى خبره او يكذب فيه . فاذا ترتب على ذلك كبرى وهي وكل من كان كذلك فغيره يحتمل ان يكون منسياً او محفوفاً وكذباً او صدقاً فالنتيجة أن كل فرد فرد من البشر يحتمل ان يكون خبره منسياً أو محفوفاً وكذباً أو صدقاً . هذا غاية ما يمكن ان يقولوه في الاستدلال وهو كما تراه فيد ان خبر كل فرد فرد يحتمل الصدق والكذب . ونحن لا نعلم صحة الكبرى التي

اسس عليها واهل المنطق لم يقولوا بذلك بل قالوا القضية قول يصح ان يقال قائله انه صادق فيه أو كاذب . ولم يتعرضوا لقسبة ذلك الى الخبر ففكر وما ذكره الفاضل حفظه الله تعالى ان يكون مرادها لا تفيد اليقين في حد ذاتها أم من الواقع والذهن وإما ان يريد انها لا تفيد ذلك في أحدهما . وعلى كل تقدير فهو ترجيح لأحد الاحتمالين بلا مرجح . لأن لادليله يفيد ولا ينتج الا انه يمكن ان تفيد اليقين ويمكن ان لا تفيده فاما ان مرصحه أنه يحتمل ان تكون الاخبار صادقة ويحتمل ان تكون كاذبة — فالاعتصار على احد الاحتمالين مغالطة وهذا ان سلم قلنا يكون قبل الاختبار والنقص في المميزات الظاهرية — أما اذا نظر في ذلك وفرضناها في الخارج فهي لا تكون الا صادقة او كاذبة . فان قل مرادنا ان ما كان محتملا للصدق والكذب لا يفيدنا احدهما اليقين بذاته فصح قولنا خبر الآحاد لا يفيدنا اليقين كما انه لا يفيدنا قضيضه . قلنا هذا لا يصح الا بعد ثبوت وتسليم اشياء كثيرة فثبت ان كل فرد فرد من الخبرين (بفتح الباء) يجب ان يستشعر احتمال النسيان والذهول والكذب وجوازه في كل اخبار الخبرين (بكسر الباء) . ودون القول بوجود ذلك ووجوده في الواقع كذلك خرط القناد — لجواز ان يكون فيهم من لا يستشعر ذلك اصلا او يستشعرها لكنها تكون عنده ضعيفة بحيث لا تتمتع عن التصديق بخبر الآحاد لأن الواقع والمشهد ان اكثر الناس يحزم بخبر الآحاد ويصدقون بها . وما ذلك الا لما ذكرناه وانه دليل على صحة ما قدمناه من ان من خطرة الانسان وطبيعته الصدق والتصديق وان ما يمرض لذلك من احتمال النسيان والكذب طواري عارضة فادرة والتادرقل ان يلتفت اليه في اكثر امور العامة واكثر الناس عامة .

وأیضا هذه الطواري العارضة قد عرف الناس انها لا تكون الا لأسباب إما اعراض للكاذب او قصير في الضبط والحفظ وما لم يقو احتمال وجودها لا قوى ان تكون مائة للعزم والتصديق بالخبر الى غير ذلك . فان ابى الا المناقشة وقال لا عبرة بالعوام اذا كان التحقيق عند المحققين ان هذه الاحتمالات عارضة وامانة عن التصديق باخبار الآحاد . قلنا يلزمك اولاً ان كل ما يحزم به العوام من كل ما

ادركوه كذلك ان لا يكون علمي حتم، وثانيا انا لانلم اتفق المحققين على ما ذكرت بل اكثرهم يسلون كل خبر مما يوجد في الخارج ما يستحق وهم يملون ان بعض المخبرين صادقون وبعضهم كاذبون وكذلك اخبارهم . فان سلمنا ان بعضهم يقول ان خبر الآحاد يفيد الظن الراجح او انه لا يفيد العلم فانما يقول ان ذلك شأنه في حد ذاته لا بالنظر الى حال المخبرين والواقع في نفس الأمر . وان اراد بعضهم خبر ذلك فتقوله عندنا ركيك ولا بد ان يكون فله وعمله يكذب قوله ولا خبر في قول يكذبه فعل قائله

وقول ايضا انا لانلم الصغرى التي اسست عليها دليلك لا كلية ولا دائمة . يانه ان الكاذب لا يجب ان يكذب دائما ونحن يمكن ان نميز كذبه في بعض الأحيان . واذا كان يجوز ان نعرف ما يحتمل ان يكون كذبا وما لا يحتمل لم نصح ان تصدق الصغرى كلية دائمة . واذا كان يوجد كثير من الناس اهل كمال وفضائل لا يكذبون ونحن نعرفهم بسيماهم وبالتجربة الصحيحة بطل صدق الكذب في أخبار الآحاد كلية فالأخبار التي لا تؤخذ الا من مثل هؤلاء لا يصح ان يفرض فيها احتمال كذب الراوي فهي صادقة وسالمة عن ان يشوشها احتمال الكذب

أما احتمال الذهول والنسيان فقد قررنا انه إما ان يكون سببه مرض طارئ وحادث ومن كان مصابا بمرض في حافظته لا بد وأن يكثر ذهوله ونسيانه ومن كان كذلك حاله فهو يعرف لكل من عاشره وخاطبه، وإما ان يكون سببه تقصير في الحفظ والاضبط وهذا يعرفه من قارنه وصاحبه في الطلب والتلقي حين المذاكرة والمراجعة . وكل من عرف بما ذكرناه فحديثه مردود عند أهل الحديث الا ان الثاني قد يتقوى بالشواهد والقرائن في بعض الحالات فظهر انه مع تدور طرود هذه العوارض يمكن ان نميز من تكون هذه الاحتمالات في أخباره ومن لا

وقول اذا صح ان يوجد في البشر من يجب ان يكون صادقا لقاء وورعه وعدائه ولا فطن ان حضرة الدكتور ينكر وجود هؤلاء بالكيفية فاذا سلم قلنا له انه يمكن الاحتراز عن الذهول والنسيان بأشياء وطرق كثيرة - كالمراجعة والمذاكرة والكتابة والدروس والتدريس وكثرة الحاجة الى العمل - وهذه موانع للنسيان ومبينة

على الحفظ مع سلامة المحل وصدق القصد وهذه من الجربات التي باتت على تجربتها كل الناس وشهدوا بصحتها فمن نازعنا في ذلك ألزمناه ان يظن في جميع الجربات بل في المحسوسات بلازمات لا يحصى له عنها ان شاء الله . فظهر ظهورا لا غبار عليه ان قول المعارض الفاضل حفظه الله ان كل فرد فرد من البشر لا حاد يجوز عليه الذهول والنسيان في خبره لا يصح لادائما ولا كلية لافي المخبرين (بالكسر) ولا في المخبرين (بالتشديد) ولا في الخبر كذلك كما تقدم واذا بطل دليلهم ثبت ان بعض أخبار الآحاد تفيد بعض الناس العلم وهو المراد

وقول ان من ذهب الى ان أخبار الآحاد لا تفيد اليقين أي العلم قد خالف البرهان وخالف ما اتفق عليه الناس في جميع شئونهم . ألا ترى اعتماد كل فرد منهم واطمئنانهم الى خبر أبيه وأمه وزوجه وأخواته وخلاته ، وأقرباءه وأقربائه ، وأصدقائه وجيرانه ، وغيرهم . وتراهم يرسلون أموالهم مع هؤلاء ومع أولئك والأخوان والأولاد الصغار المميزين اعتمادا ووثوقا بأخبارهم لا فرق بين المرسل والمرسل اليه يكون ذلك مع الاطمئنان الكامل والطمأنينة لا توجد مع احتمال النقص . ان التاجر ونحوه والمرابي البخیل المقتر يعتمد على مثل ذلك في معاملاته ومراسلاته وفي مصدره ومورده من أمواله وثروته التي هي عند بعضهم أعز عليه من نفسه فلولا حصول العلم الذي تطمئن اليه نفسه لم يقدم على فعل ما فعل وترك ما ترك اعتمادا على أخبار لا يثق بها بل هي تختم الصدق والكذب ، ومثل من ذكرناهم جميع البشر في جميع شئونهم فإذا رأينا من يشكك بالقول دون الفعل يدي احتمالات قد تصدق على بعض الأخبار بعد تعيينها فهل يصح ان نقول يجب ان تكون جميع الأخبار كذلك في الواقع فتمثل ذلك أو ان نقول انه لا يوجد من يصدق بأخبار الآحاد وتفيد اليقين ؟ وهل يجوز لنا اعتماد قول هذا القائل لاسيما اذا كان قوله يخالفه فعله ؟ وهل يوجد فرد من البشر سليم العقل لا يحصل له العلم ولا يستند على خبر الآحاد في جميع حالاته

نحن لا ننكر انه يكون في بعض أخبار الآحاد ما يفيد الظن بل بعضها لا تفيد أكثر من الشك وبعضها تقطع بكذبه الا اننا لانكار الواقع وقول ان كل فرد

فرد دائما لا يفيد العلم واليقين مطلقا لما عرفت انا ان قلنا بهذا القول قد أسأتنا الظن بأفراد الانسان كلهم حتى الأمراء والعلماء ولئن جزمنا بذلك فمع مخالفتنا للعقل فانا لا يمكننا ان نميش بينهم بعيشة طيبة .

ومن الادلة على ما ذكرناه فوق ما تقدم ان الله أرسل أكثر رسله فردا فردا ولم يرسلهم دفعة الى الناس كجسم التواتر الذي يزعمه التواترية وما ذلك الا لأن خبر الآحاد الذي ذكرناه قد يفيد العلم

فان قيل ان الرسول موثيد بالمعجزة قلنا ان التأييد بالمعجزة انما يكون في بعض الاحيان . وأيضا ليست هي شرطا في الارسال لاني انما نكون اذا وجدنا الجاحد المكذب أو من حصل له الشك أو نحوه . أما على قول التواترية فذلك لا يصح ومن لازمه ان لا يحكموا بإيمان من آمن برسول من رسل الله عليهم السلام الا بعد ان يرى المعجزة أو غيره بها عدد التواتر ويتحقق انما معجزة لأن ماسوى ذلك لا يفيد العلم واليقين . ولكنه خلاف المعلوم بالضرورة من سيد الانبياء عليهم السلام وخلاف ما علمناه بالضرورة من تقبي البشر عنهم وتصديقهم والايان بهم وبشرانهم .

أفليس من المعلوم ان الرجل الواحد من البدو الاعراب وغيرهم كان يأتي الى رسول الله (ص) فيؤمن به ورسول الله (ص) يحكم بإيمانه واكثر أولئك وغالبهم لم يروا معجزة ولم يسألوا عنها غاية ان بعضهم له فراسة تدله على ان هذا الرجل (ص) صادق لأنه يدعو الى البر والعدل فبذلك حصل لا كثرهم الايمان — وبعضهم حلف النبي (ص) واكتفى بذلك حيث اطمأنت اليه نفسه وأولئك أعلى المؤمنين بعد الانبياء ايمانا حتى انهم بذلوا أنفسهم يتفنون فضلا من الله ورضوانا وتكون كلمة الله هي العليا

ان من يشترط التواتر في افادة الاخبار العلم واليقين يلزمه ان يقول ان مثل هؤلاء السادات لا يصح ايمانهم وانهم لم يحصل لهم ايمان . نحن لا نقول ان حضرة الدكتور يقول ذلك ويلزمه لا هو ولا من واقعه من العلماء الذين يقولون ان اخبار الاحاد تفيد الظن ولكننا نقول ان اختياره ذلك تبعاً لم هفوة من لازمها ما ذكرناه وما استلزم الباطل فهو مثله ويجب الرجوع عنه

وقول أيضاً لو صح ما قلتم لم يصح ان يوصف احد من افراد البشر غير المصومين بأنه صادق لان التكلم بغير الواقع في الاخبار لا يكون صادقا والقول بذلك يناقض ما دل عليه القرآن الكريم مثل قوله تعالى (وكونوا مع الصادقين) واخبر بأنه ينجي الصادقين بصدقهم فوصفهم بالصدق وانه ينجيهم بصدقهم الموجود ومدح الذي جاء بالصدق والذي صدق به وان الصدق ينفع يوم القيامة ومدح الصادقين والصادقات ودم وتوعد الذي يكذب بالصدق اذا جاءه والذي يرض عن الصدق . وبعض هذه الآيات هي وان كان سبب نزولها خاصا لكن في الدول الى الألفاظ العامة ما يؤيد ما قرر عند أهل الأصول — ان العبرة بعدم اللفظ لا بخصوص السبب . فظهر بذلك ان الصادق والصدق الذي هو العلم موجود وأما مأمورون بقبول ذلك واتباعه وما ذكره الله مما قدمناه انما هو الصادق والصدق من الأحاد ولو كان العلم واليقين والصدق لا يحصل الا من اخبار المجموع المتواترة لم يصح ان يوصف الواحد والاثنين بل ولا العدد المئين بصفة الصدق وهذا من البطلان عرفا وعادة وقلا وعقلا

لا ندري ما العذر المقبول لمن سجع قوله تعالى « كونوا مع الصادقين » اذا رد خبر الصادق الذي قد عرف صدقه وانه من الصادقين الدول ؟ فان قيل كيف نعرف انه صادق — وصدق الشخص في بعض الامور مما يصح ان يخفى علينا ؟ قلت قدما الكلام في انه هل يمكن ان نعرف الكذب والكاذب ام لا وسيأتي مزيد كلام عليه اما كون الشخص ممن عرف بالصدق فذلك بين وهو لا يسى صادقا الا بعد ان يعرف بالتجربة ويتصف بالتقوى — لان التصديق والايان قد اعتبر معرفتها بالدلائل الظاهرة وذلك من باب الاستدلال بالآثر على المؤثر وبلازم الشيء على الشيء — كما قال تعالى « فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار » الآية ونحن لا نعلم ما في القلوب لكن لا كان الايمان بالانبياء وشراهم من لوازمه اشياء ظاهرة يتبين ان لا يوجد بعضها الا بسبب الايمان ساخ ان يستدل بها على وجود الايمان فكان العلم بها علما بالايمان

وقول أيضا ان الله جلّ وعلا كما أمرنا بأن نصديق الصادقين لم يأمرنا بدم خبر

الفاسق بمجرد سماعه بل أمرنا بالتين كما قال تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية وفي ذلك من الحقائق الدقيقة والجليلة ما لا يقدر قدره الا من رزقه الله الفهم في كتابه كما قال بعضهم كأنه تعالى يملأنا ويرشدنا الى قواعد هي من أصول العدل واقع خلال الاجتماع والارتفاق وأعظم أسباب الظفر والسلامة مقوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) هو أمر بالتين والتبصر في خبر الفاسق صراحة والى ما شاركه وماتله من بعض الوجوه اشارة وما ذلك الا لان الفاسق قد يصدق فلا يليق ان يهمل خبره بالكلية بل لابد من التنبه والحزامة والاستعداد فلا تبقى في غفلة وسبات بما اضرت بنا ولا نصده فيما يضر بمن أخبر عنهم لئلا نندم على ما فرطنا ولئلا نضمر مودة اعداءنا وانصار ونحرم والتين والتأني في نحو ما ذكرناه هو كالاقتصاد في الاخذ والاطعام ونحوه من أمور التدبّر والاقتصاد

قلت ولما كان الخبر لا يخلو اما ان يكون معتبرا في الرواية وهو الثقة الضابط أولا يكون كذلك وهو الفاسق في الاخبار والرواية ولما ان يكون ين ين وهو غير المعروف حاله فالتأني صرح بحكمه في هذه الآية ولما كان مفهوم حكم الفاسق يتناول الشينين الذين ذكرناهما لم يوجب التين والتأني بل ترك ذلك الى عرفنا وما نطمئن اليه أنفسنا وهذه حكمة بالغة في تأسيس القواعد ففهم من حكم واقعة شخصية مينة في القرآن . ومن جهة أخرى نحن اذا عرفنا حكم الفاسق فكأنه نبه به على حكم مقابله وهو الضابط الثقة العدل لانه قد انقصر في الفطر والعقول ان الشيء يعطي قبض حكم مقابله وذلك مقتضى التقابل . ومفهوم الأمر بالتين اما النعي عنه كما عرفت وهو حكم التقابل ولما التذب الى عديمه وإما الاباحة واما الارشاد الى ان حكم ذلك راجع الى العرف وما نطمئن اليه النفس كما قدما ذلك وعلى كل تقدير فمفهوم هذه الآية مخالفة لما ذهب اليه حضرة الفاضل من أن أخبار الآحاد لا تنبذ اليقين أو انها قيد الظن المذموم وذلك ظاهر لا غليل بتفصيل وجوهه نحن اشرنا الى الاحتجاج بعمل رسول الله (ص) وسائر الانبياء عليهم السلام في إرسالهم الآحاد لتبليغ عنهم وتلك حجة لا مناص لمن يشترط التواتر في ذلك عنها وحضرة الدكتور الفاضل لم يجب عن ذلك ولا عن غيره بجواب شاف قاتما

قولك ان اولئك كانوا نوابا وولاية امور ولا هم الرسول (ص) فليس الامر كذلك بل فيهم من ليس كذلك . ولو سلم فليس طاعة لولاية الامور في الدينيات بآكد من طاعة العلماء . بل المعروف من دين الاسلام ان من لم يعلم شيئا قالوا يجب عليه ان يسأل أهل العلم لا فرق في ذلك بين امير ومأمور على انه قد دل القرآن الكريم على وجوب الدعوة الى دين الله وقد تواتر عن النبي (ص) الأمر بذلك وقد اجاز وامر بالتبليغ عنه اجازة عامة لكل أحد بشرط ان لا يكذب عليه وكل عالم هو في الحقيقة نائب في التبليغ عن النبي (ص) وطاعته فيما يبلغ عن الله وسوله (ص) واجبة أما قول الفاضل فوجوب طاعتهم انما هي لأنهم ولاية امور . فجوابة انا لم يكن بحثنا في وجوب الطاعة وانما البحث في التصديق بالخبر في امر ديني محض ومن المعروف شرعاً انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق على انه قد اختلف المفسرون في المراد من أولي الأمر في قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ففهم من قال هم الامراء ومنهم من قال هم العلماء

أما قوله ان الرسول يمكن أن يطله الله بالوحي فيتدارك الخطأ في أقرب وقت الى آخره فنقول هذا لا يمنع استدلالنا على وجوب العمل باخبار الأحاد ، لأنه اذا وجب التصديق على المرسل اليهم او من يلهم الحكم فاستدراك ذلك بالتكذيب والزلل ونحوه لا يضرنا في الاستدلال لأنه على كل تقدير قد وقع المخبرين (بالفتح) العلم بخبر هؤلاء وعلى الأقل وجب عليهم العمل بذلك وهو المطلوب . وقول ايضا انه لو لم يتبين بالوحي كذب هؤلاء كن مات النبي (ص) وهو على ولايته اياترى ماذا يفعل الناس ؟ اليس من لازم ذلك انك ألصقت بالدين تهمة شنيعة وهي وجوب طاعة الأمراء في كل شيء حتى الدينيات المحضة وهذا مما لم يوجهه لانفسهم الأمراء المستبدون وانما يتدخلون في هذه الأمور بتوسط فتاوى العلماء فياخية الاحرار وبالبشرى المستبدين من رواج هذا المذهب ولتكتف بالتبليغ على مثل ذلك لظهور فسادها فان دعت حاجة عدنا بالتفصيل التام لهذا المقام ان شاء الله

وقول أيضا انه قد تواتر النقل الذي لم يشذ عنه فرد من الأمة الاسلامية ان الاصحاب الكرام (رض) قد احتجوا على من بدمهم وبضهم على بعض بما رووه

عن النبي (ص) قال كان العمل لا يجب بخبر الأحاد ولا يلزم التصديق به لم يسغ لاحد منهم الاستدلال والانتكار والامم الا اذا كان معه عدد كثير يريدون خبره بأن يكونوا مثله قد سمعوا ذلك عن رسول الله (ص) وحيث لم يكن ذلك لامن الخبر ولا الخبر (بالفتح) علم أن من اشترط التواتر في وجوب العمل بالاخبار قد خالف طريقهم التي درجوا ومضوا عليها وأمرهم الله ورسوله (ص) بسلوكم في التبليغ ولو كان مازعه حضرة الدكتور الفاضل صحيحا لا نسد باب التبليغ عن الرسول (ص) قال حضرة الفاضل في الكلمة الرابعة أولا قد يكون الراوي كذوبا لكنه متافق ومتظاهر بالصالح الى آخره . وأقول ان أراد ان ذلك يكون بكثرة أو ان الرواة المشهورين يمكن ان يكونوا كذلك قوله غير صحيح ولا يلتفت اليه من أخذ من فن الرواة والحديث نصيبا . وان أراد ان ذلك قد يكون شاذاً وأندرا وان أهل الحديث يعرفون ذلك فذلك مسلم وقد وجد من هذا حاله يشكك المسلمين في الرواية وغيرها وقد أخبر بذلك النبي (ص) لكن أهل الحديث قد عرفوا هؤلاء وكشفوا عن حيلهم ومن كان بهذه الصفة هو مما بالغ في التسرف فلا يمكنه ان يروج حديثه عليهم لانه لم يعرف بعد الفحص ان أحدا من أئمة الحديث اعتمد ووثق من بان ان حاله كذلك فقل من هذا حاله انما يعتمد الى العوام حيث يكون بعيدا عن العارفين من أهل الحديث فحديثه لو وجد قائما يوجد فيما يتبعونه من الشواذ المناكير ونحوها التي اذا كتبوها يفردون لها كتباً مخصوصة لتلافتها بها أحد من العامة في العمل بها أما في الرواية المعتمدة عندهم فقل ذلك معروف تركه ومن عرف طريقة المحدثين في الاخذ والتحمل والاداء وشرائطهم في الرواية والرواة الذين يطلقون على ما رويها الصحة والتحسين يعرف انه لا يمكن الدخيل ان يدس فيه كذبا أو يروج فيه زورا ومن ذا الذي يمكنه ان يمضي كل عمره في التسرير وكتمان جميع أسرارهم حتى من أصدقائه وخلانهم الذين يمكن ان تقتل على أحدهم ساقطة من أمره . انه لا يمكنه ارضاء الناس كلهم ليستروا عليه لاسيما أهل الورع . على انه ان كان لأحد الناس القدرة على ذلك فان لاهل الحديث طرقا يعرف بها حال أمثال هؤلاء . لأن من شرط الراوي الثقة ان يكون معروف الاسم والنسب والذي لا يعرف كذلك هو مجهول عندهم . وأما ما يرى من

ان بعض الرواة غير منسوب في بعض كتب الحديثين فذلك نادروهم لا يكتبون بذلك الا فيمن عرف عندهم حاله ومن قبل ذلك عرفه

ولم طريق أخرى في معرفة المقترن المشار اليه وذلك بمعرفة بلده ومنشئه — وأخرى ان يكون ممن عرف بالطلب والأخذ عن أهل هذا الفن المشهورين قال بعضهم ادركت بالمدينة مائة كلم مأمون لا يؤخذ عنهم الحديث يقال انهم ليس من أهل — وأخرى وهي ان لا يكون ما يرويه مخالفا لما رواه المعروفون عن ذلك الشيخ — وأخرى وهي انه لا بد ان يكون الراوي ممن عرف بالفهم والمعرفة وكثرة السماع والمذاكرة — وأخرى وهي ما اذا كان لذلك الشيخ رواية فشرط ان لا يتفرد برواية شي دونهم — وأخرى ان لا تكون في مروياته نكارة . أقول والمتفق الذي يريد ان يشكك المسلمين ويشوش عليهم دينهم لا يسلم من وجود النكارة في حديثه لان ذلك غرضه الذي تظاهر بالصالح والتقوى لأجله وان لم يفعل ذلك قسره لم يمد عليه بمائدة فظهر ان ما يسمه أهل الحديث بالصحة وما يستدون عليه في الاحتجاج لا يصح ان يوجد فيه ما يروى عن المتأقين ولا ما هو مكتوب لا أصل له — وفوق كل ذلك لطف الله وعفوه عن الخطأ والنسيان « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا » وقد صح ان الله قال قد قبلت

اما فحيز كون بعض الرواة قد يخطئ المراد اذا حدث بالمعنى فجوابه انهم رحمهم الله لم يهلكوا ذلك بل اشترطوا لتحديث بالمعنى شروطا لا يمكن لأحد منهم ان يروي الحديث بالمعنى بدونها — فتنها ان يكون ممن عرف بمعرفة معاني الحديث اذا اقتدار على اختيار الألفاظ العربية الصالحة لذلك فان قيل كيف نعرف انه فعل الواجب المشروط . قلت لأنه ثقة ضابط من أهل الصدق والايمان فهو يتحرى الصواب تدينا وخوفا من الله تعالى فلا بد والحالة هذه ان يروي ما هذا حاله اما بالشك — أو انه اذا أوجس من نفسه قصورا في التعبير يصرح بان هذا قل بالمعنى كأن يقول أظن معناه كذا وحينئذ ينظر حال الراوي المذكور فان كان ممن عرف بالمعرفة مستكلا للشروط قبل حديثه والارد . وفوق كل ذلك نعرف خطأه ان اخطأ في التعبير بالمعنى بان ننظر في الأحاديث التي رواها عن شيخه غير هذا

الراوي فان وافق معناها معناه والا عد حديثه من الشواذ أو المناكير فنهذه طريقة
فوق ما تقدم تشترط عندهم في من يحدث بالمخفى وبها يعرف خطاه اذا ضعف
معرفة المشروطة بعض الضعف وبذلك يكون مطعون فان كثرك ذلك منه تركا .
فلا خوف على الحديث من الكذب ونحوه وقد قاه الأئمة الكبار والحفاظ الأبرار
وكتبوه بعد التحري وكال الفحص مطابقا لشرائعهم وبعضهم شرائط أكثر من
غيره وما ذكرناه هو المجمع عليه عندهم وهذه الكتب الذي كتبوها قد قتلها عنهم
الأمة قلا عاما وأجمع أهل العلم بعد الفحص على أكثر الصحيح ووسوا كل
حديث بسمة وينو حاله وقرىوا البعيد لمن يريد به غاية السهولة وبما ذكرناه يتدفع
كل طعن يمكن ان يقال

قال وقد ينسى شيئا مما سمع وقع في الغفلة بسبب ذلك بدون ان يشعر به . وقد
قدمنا الكلام على مسألة النسيان . وقول اولاً ان الأئمة الحفاظ الثقات والعدول
الاثبات لا يكاد مسلم يسي الظن بمحبت يتهمهم باهل ما سمعوه من حديث رسول
الله (ص) بان يمرضوه للذهول والنسيان لانا نعلم ان من اعتنى وتصدد ماسمعه
بالمذاكرة والمراجعة ونحوها كالكتابة فاذا حدث مع كمال الاحتياط والأمانة والثبات
والثبوت لا يقبل العقل عدم شعوره بالنسيان البعيد التوقع ان وقع — علنا ذلك
بالتجربة الصحيحة المطردة التي اجمع عليها البشر كلهم كما قدمنا الكلام على ذلك
ان من يقع له السهو في أمر ما فانا جازمون بانه لم يقع له ذلك الا بتقصير وقع منه
فليتهم نفسه . ولذا قلنا غير مرة ان الراوي الثقة ان وقع له سهو نادر فهو يذكر المروي
بالشك ما لم يثبت

ان من لم يكن بالحالة التي عرفت ليس هو عند اهل الحديث من الاثبات
فهم لا يأخذون بحديثه ولا يصححونه ولا يقبلون مروياته — فافرضه الفاضل انما
يكون في غير رواية الحديث الصحيح المحتج به فلا يراد ليس في محله . وليس رجال
الحديث الصحيح الا مثل من قد جربته من خلائك الذين طالت صحبتك معهم
حتى عرفتهم وعرفت صدقهم ونصحتهم . فاذا ارسلت أحدهم لآمر برسالة تقاهام منك
حتى حفظها ثم لم يزل يردد ما على لسانه وقلبه فان كان له شريك فهو يتذاكر في ذلك

معه او تصفعا في مكتوب عنده افلا يكون مطمئنا بخبره عنك من عرف حاله مثل معرفتك ؟ فاذا كان خبر مثل هذا مما تطمئن النفس اليه ، ولا قبل التشكيك فيه ، فما بالك برجال ثقات ضباط علماء اتقاء حفظوا حديث رسول الله (ص) وجعلوه شغلهم لا يرحلون ولا يقيمون الا في خدمته وحفظه وتلقيه مما يشوبه قد اقتطعوا لذلك ووقفوا انفسهم عليه بالكتابة والمراجعة والمذاكرة والدرس والتدريس والدعوة اليه والعمل به يأتمرون بأمره ، ويتبهون ويتنبهون لهيبه ، صدقوا بخبره ، ووعظوا وانضوا بعبده ، امتلأت قلوبهم رهبة وخوفا من مخافته ، والكذب عليه (ص) معتقدين انه هو الدين ، انذي هو حق اليقين .

فان قيل هذا امر وف ولكن الكتابة كانت فادوة في زمن الصحابة . قلت ان كثيرا من الصحابة كان يكتب او يستكتب والبعض الآخر مع كالمهم في الحفظ والاحتياط زيادة عن غيرهم فالذي يروى عنهم قليل بالنسبة الى الكثيرين الذين يكتبون منهم والذين تبعوم باحسان (رض) فذلك التحليل لا يمكن ان يحدثوا به مع الذبول بدون ان يشعروا بما فيه من الخلل والنسيان وليس ما تراه من الاحاديث هو مرويا عن واحد منهم وانما هو مروى عن مجموعهم . اما ما قلته الفاضل حفظه عن عمران بن حصين (رض) فهو لا يدل على مدعى الفاضل وغايته ان صح ان يكون جرحا في من عناه على انه يحتمل التأويل لانه لم يبين الجرح ولا وجه جرح معين وعمران المذكور (رض) قد حدث عن رسول الله (ص) باحاديث كثيرة

قال ان حفظ الاحاديث اذا كانت طويلة - الى قوله - صير جدا وخصوما اذا اُلقيت مرة واحدة . وأقول لم يوجد حديث واحد من الاحاديث الصحاح طويل جدا مفرط حتى انه يتدر ان يوجد فيها ما يقارب المفعول من سور القرآن في الطول والنبي (ص) لم يلق عليهم هذه الاحاديث دفعة واحدة ولا الرواة يأخذونها عن المشايخ كذلك بل كان النبي (ص) يتخولهم الموعظة وتارة قد يعيد لهم معنى ما حدثهم به في الايام الماضية فمن سمع ما كان قد سمعه تذكره وأهنته ومن سمع جديدا حفظه هو أو غيره وكان (ص) يكرر الكلمة حتى يقولوا ليت سكت وعادته المطردة انه كان يكرر الكلمة

ثلاثاً لحفظ عنه وهم رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون ويتذاكرون ما تعلموه منه (ص) وكانوا يجلسون لذلك في المسجد حقاً وكان يتناوبون الحضور لاختلافهم عنه (ص) وإذا غزا كان يأخذ من كل فرقة منهم طائفة ليخبروا اخواتهم إذا رجعوا اليهم . مع ذلك كله هم أذكى العرب وأصلحهم اذهاً وأغبر خاف ما تناز به العرب من قوة الحفظ وصفاء الالذان والذكاء المفرط حتى انهم كانوا يحفظون القصائد الطوال التي تنشر في المواسم مرة واحدة لأول وهلة فهل يستبعد احداً يحفظ الواحد من الصحابة (رض) الجملة القليلة من الاحاديث التي كان يقبها عليهم الرسول (ص) متفرقة في أيام وسنين وأعوام كثيرة وهم بالصفة التي عرفت وهم مع ذلك لا يزالون يتذكرونها تارة من نفس قائلها (ص) وتارة من اقرانهم واخوانهم وأصحابهم للعمل والارشاد وغير ذلك كما تقدم . والاحاديث انما رويت عن مجموعهم (رض) على أن المكثرين منهم قد صح انهم كانوا كتبوا واستكتبوا ما سمعوه وحفظوه عن رسول الله (ص) وبعضهم عن بعض وكاتبهم لم تكن ككتاب يصف في هذا الزمان وإنما كانوا يكتبون ذلك ومقات كلما سمعوا شيئاً كبيره وبعضها أشبه بدفاتر التجار اليوم — فاعتراضات حضرة الفاضل الثاني والخامس والسادس هي في الحقيقة ليست بواردة على ما عندنا من أحاديث النبي (ص) وإنما هي واردة على أحاديث فرضية قدروها الفاضل في ذهنه وليس الحقيقة والواقع في الرواية عندنا إلا ما عرفناك فائقه ولا تغفل هذه الاعتراضات هي أشبه شيء بما إذا رأى بعض الناس بناءً عظيماً كمنارة وقال كيف نصبت هذه ومن الذي حملها فتصباحاً واحدة، فإذا أخذ هذا العجب قائماً ذلك لعدم علمه ولو درى انها انما بنيت بالتدريج لم يكن كذلك كما يقال إذا عرف السبب زال العجب هذا وإنه ليسوا من حضرة الفاضل حفظه الله إيراد مثل هذه المغالطات مع علمه بما ذكرناه ونحن لم تكن فظن انه بهذه المثابة وكذلك عجلته على ما ذكر من انه يريد ان يطبع رسالة فيما نحن بصدد ذيل ان تم المناظرة ويثني له الصواب من الخطأ فترجو من حضرته ان لا يطبع ذلك إلا بعد انتهاء المناظرة وبعد ان يتكلم مع شيخ الاسلام السيد محمد وشيد رضا لاجل ان يصلح ماشاء ان يصلحه — على ان الدين الحق لا يعلم انصاراً والله المستعان (لها بقية)

أَنَّكَ عَالِمٌ بِرَبِّيَّةِ

التقريظ والانتقاد

﴿ كتاب دلائل التوحيد ﴾

قد منّ الله تعالى على دمشق الشام بالشيخ محمد جمال الدين القاسمي ليكون فيها واسطة من وسائط الانتقال، وحلقة من حلقات الاتصال، بين الماضي الذي قد تدهور فيه المسلمون من عدة قرون، وبين المستقبل الذي ينشده المتبصرون، ويسعى إليه المصلحون، فهو بصير في العلوم الإسلامية المتداولة في العصر، متطلع إلى ما يتجدد من المطبوعات العربية في كل عصر، مجيد في الانتقاء من رديتها والانتقاء من جيدها، حريص على الاستفادة منها والإفادة بها، وهو يدرس ويطلع، وينسخ ويصحح، ويصنف وينشر وآخر ما وصل إلينا من مؤلفاته المطبوعة كتاب (دلائل التوحيد) في الكلام ألفه في سنة ١٣٢٥ وطلع في سنة ١٣٢٦ وهو في أسلوبه ومباحثه، صدق لما قلناه آنفاً في وصف مؤلفه، لم يقلد فيه المتكلمين كالسنوسي وواضي الشروح والخواشي لقائده ومن حاكهم من المتأخرين الذين حارت كتبهم كالتعبد بتلاوتها، على علاقتها وعدم كفايتها، ولم يستقل بجميع مسائله بنفسه، ويجعله خلا من كلام غيره، بل أورد فيه زبدة مما طالع في كتب أساطين المتقدمين من الفلاسفة والمتكلمين كابن مسكويه والتعصير الطوسي والفارابي وابن رشد والراغب والقرطبي والعز بن عبد السلام وابن حزم وابن تيمية وابن القيم والقاضي عياض والموردي وجمال الدين الخوارزمي والمرغني البجائي صاحب إنباء الحق، والمتأخرين كالاستاذ الامام ولكنه لا يذكره باسمه ولا بهذا القالب الذي اشتهر به وإنما يشير إليه بكلمة «حكيم» أو حكيم من المتأخرين. وقد قل أيضاً عن المنار ولم يسمه ولا ذكر اسم صاحبه بل يشير إليه ببعض الألقاب

كما فعل في الهامش بعد سوق الدليل العشرين . وما ذلك الا لأف اسم الشيخ محمد عبده أو محمد رشيد رضا أو المنار كانت في زمن السلطان عبد الحميد تخرب الديار ، وتسوق الى البوار ، أما مقاصد الكتاب بالاجمال فهي كما كتب المؤلف في طرته « الخلطة في فضل إقامة البراهين لتأييد أصول الدين ثم تمهيدات في سر معرفة التوحيد وما يتقاضاه الايمان من الايقان وفي تمثيل انحاء الباطل لظهور آية الحق ، وفي ان النظر قانون الاستدلال وفي غير ذلك » ثم مطالب الكتاب وهي أربعة : المطلب الأول في الأدلة الواضحة على « وجود الله تعالى » وهي خمسة وعشرون دليلاً وفي طيها فرائد جمة ، المطلب الثاني في تحقيق مسائل من العلم الإلهي كاستحالة اكتناه ذات الخالق تعالى وبطلان الحلول والانحداد وغيرها ، المطلب الثالث في المادة وشبه الماديين وإبطالها جميعاً بالحجج القاطعة وفي مقالات من الطيبيين قرب من الثلاثين ، المطلب الرابع في مسائل من علم النبوات كآيات النبوة واثبات الخوارق علماً وبيان المنة على العالمين يعضة ختم النبيين وكون القرآن أعظم الخوارق وبيان خصائصه عليه السلام وفضائله وشرف أخلاقه وشماله المؤيدة لنبوته والبرهنة على عموم رسالته ثم الخلطة في فائدتين « اهـ .

وصفحات الكتاب مثنان بل تزيد ، ولم يتيسر لنا الا مطالعة القليل منه ، فمسي ان يكون مرزواً لتقليد المقلدين ، ومراقبة لاستقلال المستعدين ، وعن النسخة منه ثمانية قروش

﴿ العقائد الدينية . للناتشة الاسلامية ﴾

كتب وجيز للشيخ محمد عبد الطيف خضير من علماء دمياط طبعه في هذا العام واهدانا نسخة منه ورغب الينا بان رأينا فيه عند ما تسمح لنا الفرصة بمطالعة شيء منه فنقول اننا رأينا فيه شيئاً من المعنى الذي أشرنا اليه في تهریط الكتاب الذي قبله من حيث عدم التزام أسلوب وترتيب العقائد المتداولة كسرد الصفات العشرين (التي جعل السنوسي مدار عقيدته عليها) ونحو ذلك ولكنه على عدم التزام ذلك لم يخرج منه بالمرّة . ولعل السهولة فيما استقل فيه فيد تدقارب وجاء يعض مسائل ودلائل

نظرية تناول على افهام الناشئين الذين نوضه لم ولولا رجوعه في ذلك الى بعض الكتب المتداولة لكان يسهل عليه ان يأتي بما هو اسهل منها واقنع أوليت اقتباسه من كتب المتقدمين كان كله كآتباسه من رسالة التوحيد . وبهجة القول انه من احسن ما كتب لتعليم المبتدئين وعن القسمة منه قرش واحد وهو يطلب من المكتبة العمومية بدمياط فسي ان ينال ما يستحقه من الرواج والانتشار

﴿ تحفة الانام . في مختصر تاريخ الاسلام ﴾

ألف هذا التاريخ في أواخر حياته الشيخ عبد الباسط الفانخودي مقني بيروت رحمه الله تعالى وهو يشتمل على مقدمة وجيزة في أصل العرب وجزيرتها وظهور النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أربعة أبواب في الخلفاء الراشدين وفي الامويين والعباسيين والعثمانيين . وفي الكلام على سلطنة محمود الثاني يذكر حادثة ابراهيم باشا المصري وغيرها من الحوادث الكيرة ومسألة الوهاية كما يذكر في أخبار سلطنة عبد المجيد حرب القرم وحادثة جده وحادثة لبنان . وهو مختصر ليس في الايدي مثله ولا ما يقني عنه فسي ان يتم نشره . ويباع في مصر بمكتبة المناج مجلداً تجليداً يروتيا بثمانية قروش مصرية . ومن أراد عدداً كثيراً منه فليطلبه من المكتبة الاهلية ببيروت وانا ننقل هنا كلامه في الوهاية قال رحمه الله تعالى ما نصه :

« ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهاية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق وهم قوم كثيرون من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب (؟) وهو رجل ولد في الدرعية بارض العرب من بلاد الحجاز طلب اولا العلم على مذهب ابي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان واخذ من علمائها حتى اتست معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم عاد الى بلاده سنة (١١٧٠) ثم ادته الحمية الى الاجتهاد فانشأ مذهباً مستقلاً وقرره لتلامذته وشاع أمره في «نجد» و«الاحساء» و«القطيف» و«عمان» و«نفي عتبه» من ارض «اليمن» ولم يزل أمرهم شامخاً ومذهبهم متزايداً

وجاعهم تكثر الى أن صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عز مصر بقتال وردع هذه الطائفة خرقا من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية قاطعا سراجمهم ويدر شملهم واخفى ذكهم وقد توفي زعيمهم سمود سنة (١٢٢٩) فساد الأمان في طريق الحج وبهذه السنة حج محمد علي باشا بعد ان لم يكن احد يتمكن من اداء هذه الفريضة وهاك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم واعتقادهم :

اعطوا رحمكم الله أن الحنيفية ملة ابراهيم أن نعيد الله مخلصا له الدين وبذلك امر الله جميع الناس وخلقهم له كما قل تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فإذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة كما قال تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) . فمن دعا غير الله طالبا منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب خير أو دفع ضرر فقد اشرك في العبادة كما قال تعالى : (ومن اضل ممن يدعو من دون من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطير) ان تدعواهم لا يسمعون ادعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم اقامة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل خير) فاعبر ببارك وتعالى أن دعاء غير الله شرك ، فمن قال يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر زاعما أنه ياب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الى أن يتوب من ذلك وكذلك الذين يحلفون بغير الله . أو الذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجئ الى غير الله أو يستعين بغير الله فبما لا يقدر عليه إلا الله فهو ايضا مشرك وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه وامرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصح ذلك أي التشيع عليهم بعمرة اربع قواعد ذكرها الله في كتابه

(أولها) ان يعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون ان الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت المدير لجميع الأمور والدليل على ذلك قوله تعالى : قل من يرزقكم من

(المآرج ٥ م ١٢) قول مقبي يروت من قبل في دعوة الوهاية ٣٩١

السماء والأرض أمن علك السم والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله قل افلا تتقون » وقوله تعالى « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون » سيقولون لله قل افلا تذكرون » قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم » سيقولون الله افلا تتقون » قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون » سيقولون الله قل فأتى تسحرون » اذا عرفت هذه القاعدة واشكل عليك الأمر فاعلم انهم بهذا اقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فأشركوا

(القاعدة الثانية) انهم يقولون ما نرجوهم إلا لطلب الشفاعة عند الله نريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم . وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال الله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فبما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الثالثة) وهي ان منهم من طلب الشفاعة من الأصنام ومنهم من تبرأ من الأصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوفاً » ورسول الله لم يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله . واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الرابعة) وهي انهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون والدليل عليه قوله تعالى : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله ، فاذا عرفت هذا فاعرف أن المشركين في زمان النبي أخف شركاً من هؤلاء مشركي

زماناً لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد وهو لا يدعون مشايخهم في الشدائد والرخاء والله أعلم بالصواب ، اهـ

وهذه الرسالة والقواعد التي أسسها ذلك الشيخ لا شبهة فيها لأن هذا هو الدين الذي جاء به النبي والآنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة ، واتبه قومه من بعده فأفراطوا وفراطوا وقصروا حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تقيص وتقصير ما عظمه الله وأمرنا بتعظيمه ومحبة وتوقيره وقاسوا المسلمين المتخلصين في التوحيد بالمشركين حتى قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع واستحلوا دماءهم وأموالهم كما وإن أكثر العوام من جهالة المسلمين قد نغالوا وأفراطوا وابتدعوا بدعاً تخالف المشروع في الدين القويم فصاروا يمتدنون على الأولياء الأحياء منهم والأموال معتدين أن لهم التصرف وبأيديهم النعم والضرر ويخطبونهم بخطاب الربوية وهذا غلو في الدين القويم وخروج عن الصراط المستقيم وقد ورد في الحديث المرفوع: (دين الله تعالى بين المغالي والمغصّر) وهنا شيء لا بد لك من معرفته وهو أن الحب لله وفي الله والحب مع الله ينهما فرق من أم الفروق وعنه تلم جهل وخطأ الوهاية وشيخهم فإن الحب لله وفي الله هو من كمال الإيمان في الله والحب مع الله هو الشرك المنهي عنه وقتلهم عليه النبي صلوات الله وسلامه عليه ، والفرق بينهما أن الحب في الله والله تابع لما يجهه الله كحب الرسل والملائكة والأولياء والعلماء والكعبة والمدينة وبيت المقدس لأن الله يحبهم ويحب من يحبهم ويعظمهم ، والحب مع الله على نوعين نوع يقدر في أصل التوحيد وهو شرك كعبادة الأصنام والأوثان والانداد من المشركين لانهم عظموا وأحبوا مع الله ما يفضيه الله ، والنوع الثاني يقدر في كمال الاخلاص والتوحيد ومحبة الله ولا يخرج عن الاسلام كحبة مازينه الله للنفوس في النساء والبنين والذهب والفضة والخليل المسومة والأنعام والحراث فإن محبتها طيبة ومحبة شهوة كحبة الجائع للطعام والظمان للماء فإن أحباها الله ليوصل بها اليه واستعانة على مرضاته وطاقته كانت من قسم الحب لله وفي الحديث : « حبب الى من دنياكم النساء والطيب ، وإن أحباها لمواقعة طبعه وشهوته وهواه كانت من المباحات لكن يقص من

كأن محبة لله والمحبة فيه وإن كان جبه لها سراده ومقصوده . وتقدمها على ما يحبه الله ورضاه منه كان ظالماً لنفسه متبها لمواه فالأول محبة السابقين والثانية محبة المتصدين والثالثة محبة الظالمين فأبلى ذلك وما فيه . فانه معترك النفس الامارة والمنطشة والله تعالى يوفقنا وإياك والسلام . اهـ ولم يذكرنا الله مع الله وكأنه كفى بما عزا منه الى أكثر عوام المسلمين من الغلو في الصالحين وحبهم لمحب الله وهو عين ما ينكره الرواية ، والغلن انهم كانوا يهتمون بذلك جميع أفراد المسلمين ، والا كانوا مجانين

• رسالة المحبوب . من باب الانتقاد على المارح •

أرسل الينا بعض علماء تونس رسالة كان كتبها رجل اسمه السيد عمر المحبوب التونسي في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب التجدي في زمة وطلب منا ان نبين رأينا فيها ، فنصفحتها هي وما ألحق بها في نحو من نصف ساعة فلم نجد فيها شيئاً يزيد على ما تلوه العامة في هذه المسائل وعلنا من الذيل الذي ألحق بها انها طبعت معه بعد الحادثة التي وقعت معنا بدمشق في آخر رمضان من السنة الماضية لتكون دها علينا فيما شاع من أن سبب تلك الفتنة تأييدنا لمذهب الرواية . فيارحنا لمولاه الجلاء المساكين الضعفاء الذين نهيجهم الأكاذيب الى إظهار جهلهم وطاعة انفعالهم الصداية لمن هو لم صديق غير عدو وإن كانوا لا يميزون

قد علم الخاص والعام ان حادثة الشام لم تكن مقاومة لمذهب الرواية ولا انتصارا للسنة السنية وإنما كانت انتصارا للاستبداد على الدستور ، وإثارة للظلمات على النور ، وإن خطبتي فتتها الشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي قد حاولا مع رؤسائهما من مدبري تلك الفتنة إثارة فتنة اعظم منها باسم الاسلام اذ نشرتا تلك الجمعية الضادية التي اطلق عليها (توحيها وخذاعا) اسم الجمعية المحمدية ، لذلك اختبأ عن الانظار ، ووليا الأديار ، لما نصراه الدستور ، وخذل الضرور ، وأنشأت الدولة الطيبة كما كرمها الفتنة ، الذين كانوا يعرضون على الثورة ، ثم ظهر الخطيب فاستنطق ورفع أمره الى الامانة . وسلم ان صالحا التونسي من دعة ابي الهدى دجال عبد الحميد الذين كفى الله المسلمين شرهما (والعاقبة للمتقين) واتنا ندعو صاحب الذيل الطويل لتلك الرسالة هو جميع من على رأيه من

علماء تونس الى المناظرة نجرا فيما يزعمون ان النار أخطأ فيه بأن يذكروا المسألة التي يزعمون انها خطأ والدليل من الكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس على ذلك مع التصريح بأسمائهم ونحن نجيب عن اقوالهم ونجمل اهل العلم والفهم في المشرق والمغرب حكما بيتا وبيتهم . وانما نشترط ان يصرحوا بأسمائهم لتعلم قيمة الحق منهم والمبطل في الحال ، وبحفظ التاريخ ذلك لاعتابهم في الاستقبال ،

على ان صاحب الذيل المشار اليه لم يذكر مسألة الاجتهاد من خطأ النار الامسالة مطارة العطر الافرنجي والكحول وكذا ما ساء تحليل مقتولة العنق والمضروبة على الرأس وليس التبعة الافرنجية - المسائل الثلاث التي كانت موضوع فتوى الاستاذ الامام متذنين فان فرضنا ان ما كتبه النار فيها كان خطأ فليدلوها على كتاب من كتب الحق او الحديث أو التفسير ليس فيه مسائل كثيرة متقدمة لحلفتها للكتاب أو السنة أو لما رجحه العلماء الآخرون المحققون لأنك الموثقين لما في اجتهادهم او فهمهم

اذا كان صالح التونسي وهذا قادر الخطيب الدمشقي قد تصديا الفتنة بدمشق باحث السياسة وهما يعلنان انهما باخيان محملتان فيحتل ان يكون احمد جمال الدين صاحب ذيل هذا الرسالة حسن النية لهشيء من العذر بجهله . وهل يرجى من مثله ان يفهم دقائق مباحث النار الاجتهادية وهو الى اليوم لم يفهم معنى العبادة بل اتبع فيها الشيخ المحجوب الذي لم يعرف كيف كان اساس دعوة الاسلام النهي عن عبادة غير الله تعالى الى عبادته وحده كما نينه قريبا ؟ فكيف يتكلم في مثل شيخ الاسلام ابن تيمية الذي لم يسمح الزمان له بنظائر . اما رسالة الشيخ المحجوب فليس فيها شيء الا وقد سبق لنا نحريره في النار

ولا يفهم العامة وروؤسائهم من أصحاب المأثم من اعادة القول في يات مواضع الخطأ فيها الا ان النار يتصر لوهاية ، على ذلك الشيخ الذي ينسب الى مالا يفهمه من السنة السنية ، وما كان النار ليتصر للذهب من المذاهب او يتص لفتنة الفئات . إنما يؤيد الكتاب والسنة ويحكمهما في اقوال المتقدمين والمتأخرين . وأما أمثال هذا المعترض المسكين فإن قصارى علمه ان يحفظ كلمات من بعض شيوخه المعاصرين او الموثقين المتأخرين الذين ليس لا كثرهم من العلم الا نسخ كتب القدماء ، مع زبادات يستميلون ببعضها العامة وبعضها الآخر الملوك والامراء ،

يظهر ان الشيخ المحبوب كان ممن يبرهنهم بالأدباء ، ولم يكن من العلماء ، فقد ظهر في رسالته تشميره في المجاء والشم ، وقصوره في مسائل الدين والعلم ، وهو لم يذكر في رسالته كلام خصمه ، فيوازن بينهما رده ، فنكتفي إذا بالإشارة إلى بعض خطاه وضعفه ، ليعلم انه لا يوتق بجله ، مع عدم التعرض لخطأ خصمه وصوابه ، قال في (ص ٤) في رد انكار خصمه ما نقله العامة عند قبور الأولياء والصالحين من الاستفانة والتوسل والتعظيم « معاذ الله ان يعبد مسلم تلك المشاهد ، أو أن يأتي إليها معظما لما تعظيم العابد ، أو أن يخضع لها خضوع الجاهلية للاصنام ، وان يعبدها بركوع أو سجود أو صيام . » وقول ان هذا القول يدل على ان المحبوب لم يكن يعرف الواقع الذي عليه الجمل الصغير من العامة أو انه يعرفه ويقول غير ما يعلم ، وانه لا يفهم معنى العبادة بل يتوهم انها عبارة عن الصلاة والصيام وسائر التكاليف الشرعية فقط كما قال مقلده صاحب الذيل في (ص ١٩) في قوة رده : « وما دري (أي ابن عبد الوهاب) ان العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة سواء كانت معقولة المعنى أو تعبدية » وقد جهل صاحب الذيل كصاحب الاصل ان أول شيء دعا اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ان يعبد الله وحده وان لا يعبد سواه . دعا إلى ذلك قبل ان تشرع التكاليف العملية من الصلاة والزكاة والصيام . فهل يصح ان يقال ان المراد بالشيء عن عبادة غير الله تعالى هو ان تكون التكاليف التي تشرع بالتدريج خاصة بالله تعالى ؟ هل يصح ان يكون معنى العبادة شيئا لم يكن معروفا ولا مشروعا ؟ يا حشرة على المسلمين ، الذين ابتلوا بأمثال هؤلاء المؤلفين على ان أمثال هؤلاء الضعفاء يذرون إذا جهلوا معنى العبادة لأن من كانوا يستطيعون تحديد الحقائق من العلماء عدوا معنى العبادة من البديهيات فلم يهتموا ببيانها ولذلك لم يشترع منهم قل في تحديده . وأما الأقوال المشهورة فيه عن الفقيين وغيرهم فليست حدودا بل لا يباين بعضها ان تكون رسوما تامة أو ناقصة وقدينا ذلك مرات كثيرة ومنه ان أعظم مظاهر العبادة الدعاء وفي حديث البراء عند أحمد وابن أبي شبة وأصحاب السنن « الدعاء هو العبادة » وفي رواية ضعيفة لقرطبي من حديث أنس « الدعاء » مع العبادة ، وهل يكابر أحد في دعاء الالوف والملايين من عامتنا الموتى من

الصالحين إلا إذا كان لا ينجل من إنكار المحسوسات؛ ألا أنهم لا ينكرونه ولكنهم يؤثرونه لم بانهم لا يقصدون به العبادة وإنما يقصدون التوسل !! ألفاظ يلوكونها ولا يفهمونها ، الرسول صلى الله عليه وسلم قول «الدعاء هو العبادة» أي هو الفرد الأعظم من أفرادها ، والركن الأول من أركانها ، كقوله «الحج عرفة» فتجوز دعاء غير الله كتجوز الصلاة لغير الله بدعوى عدم قصد العبادة ونسبتها توسلاً أو ما يشاء أهل التأويل من الأسماء قال المحجوب (ص ٤) «وإما ما جئنا إليه» وعولت في التفكير عليه ، من التوجه إلى الموتى ، وسواء ألم النصر على العداء وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها إلا رب الأرضين والسماوات ، إلى آخر ما ذكرته موقداً به نيران الفرقة والشقاق ، قد أخطأت فيه خطأ مبيناً ، وابتغيت فيه غير الإسلام ديناً ، فإن التوسل بالمخلوق مشروع ، ووارد في السنة القويمة ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشاريع الحديث الشريف بذلك مفعمة ، وأدلته كثيرة محكمة ، نضيق المارقي عن استقصائها ويكل البراع إذا كلف بإحصائها ، ثم ذكر أثر استسقاء عمر بالعباس (رضي الله عنهما) وحديث طلب عمر الدعاء من أويس القرني ، ومسألة الشفاعة ، والوفاية لا ينكرون أثر الاستسقاء ولا الدعاء ولا الشفاعة ، وكتب ابن تيمية التي هي عمدتهم في هذا الباب مثبتة لهذه المسائل مينة لما أتم يان وهم يحتجون بها على الذين يدعون أصحاب القبور فيقولون أن عمر والصحاب لم يدعوا العباس أن يقيمهم القيث كما يدعو جمهور عانتنا الاموات ان يقضوا لهم حاجاتهم . وإنما كان توسلهم بالعباس هو جملة ما ما لم في الاستسقاء فصلى بهم ودعواهم آمنوا على دعائه . ويقولون انه ورد فيه ان عمر رضي الله عنه قال « اللهم انا كنا نتوسل اليك ببينا وانا نتوسل اليك بعم نينا فاسقنا » وهذا دليل على ان الميت لا يتوسل به وان كان حياً عند الله تعالى . وأقول ان المسألة ليست من باب ما يسمونه اليوم بالتوسل وهو ان يدعى غير الله تعالى ويطلب منه شيء . وإنما هو استسقاء كما تقدم . ويحتجون به من وجه آخر وهو دعاء العباس الذي ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وهو اللهم انه لم يزل يلا الا يذنب ولم يكتف الا بتوبة » وهو نص في ان كشف الضر لا يكون بسبب الأشخاص وإنما يكون بالتوبة إلى الله والرجوع إليه وحده . وفي الحديث ووايات لا تصح (لها بقية)

باب الاخبار والآراء

(جمعية الاتحاد والترقي)

استحسن القلاء في سورية ما كتبناه في الجزء الثالث من مجل ما يتقدم الناس على هذه الجمعية وكتب الينا غير واحد يقول ان المتدين من أعضاء الجمعية أنفسهم استحسنوه وعدوه من النصح الخالص . وقد استنكره آخرون مع ما عهدوا من تأييدنا للجمعية في المظاهرات والخطب زيادة عما يكتب في المنار . وقد يهذر المستنكر لذلك اذ لم يكذب يصل ذلك الجزء الى سورية الا وقد ظهرت خفايا ثورة الاساتذة وعلم الناس انها دبرت في « يلدز » لمحو آية الدستور وإعادة استبداد عبد الحميد الى شر مما كان عليه ، وفر أعضاء الجمعية الى سلايك مستصرخين مستصرخين ينفضون غيرة الموت قتلا وغيلة عن رؤوسهم

نعم اننا كتبنا ما كتبنا قبل ظهور تلك المكيدة ولكننا قبل طبع الكراسة الاخيرة من ذلك الجزء علنا ببعض بوادر الفتنة فاشرنا اليها ، هو صريح في الميل الى الجمعية والدعاء لها بالانتماء . ومع هذا كله نرى ان التعريف بما ينكر الناس عليها وما يقولون فيها ضروري لاسيما من يحمدهم سعيها ولا ينكر فضلها

اننا لخصنا الكلمات التي يرجع اليها انتقاد المتقدين من غير موازنة على كل ما يتقدونه وسكتنا عن بعض الجزئيات النقطية التي هي من قبيل تعيين بعض الاشخاص والأعمال المنكرة . وهل تؤمن عاقبة اشخاص يعملون بقوة في مملكة واقعة في اشد الحرج وهم لا يستطيعون ولا يتقنون ؟ وقد كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم في بعض رأيه في السياسة والحرب حتى يرجع عنه ، فهل كانت الجمعية اجدر بالتقديس منه ؟

لانا قد صرحنا هناك بفضل الجمعية علنا في الانقلاب ولانما ذلك الفضل لأفراد ربما كان العمل الآن في أيدي غيرهم ممن لم يكن لهم عمل قط في الانقلاب وقد دخل في الجمعية خلق كثير منهم من لا خلاق لهم ولكنهم أصحاب دهاء أو حظ — على ما يقال — وقد ينتخب بعضهم للجنة العليا العاملة . كما ان اللجان المركزية في

بعض البلاد فيها من عرف ومن لا عرف بمن لا خلق لم ولا عرفان ولا إخلاص فهل يقول عاقل ان مصلحة الامة أو مصلحة الجمعية أن تعد الجمعية مقدسة في جميع أعمالها؟ وقد أيدناها أيضاً في ذلك المقال من حيث الحاجة الى بقائها وتأييد الجيش لها إذا حدث ما يخشى منه على الدستور مع اعتزاله للسياسة في عامة أحواله فهل فوق هذا التأييد من تأييد؟ على انه تين ان الجيش حام للدستور على كل حال انه وأهم الحق قد راعنا عندما عدنا من سورية الى مصر ما سمعناه من أحرار الترك وسائر العثمانيين من الانكار على الجمعية في تصرفها وعلنا ان الانكار والاستياء في الاستانة أشد تخشينا ان ينتج ذلك مما لا نحمد عاقبته إذا لم تداركه الجمعية ، فكان ذلك هو الباعث لنا على كتابة ما كتبنا وما كنا إلا ناصحين

(طعن المؤيد في الدولة العلية الدستورية)

ظهر المؤيد بمظهر الساخط الماقت للحكومة الدستورية في الدولة العلية وقد كادت تقضي السنة الاولى لها وهو يكتب عنها قلعه وأقلام بعض محرريه ومكاتبه ثم ما يسمع وما يقرأ ، وشر ما يتخيل ويتصور ، وقد أرضى بذلك بعض الاغرار من المصريين الخدوعين بما كانوا يقرءون في الجرائد من إطراء عبد الحميد ، ولكنه أسخط العقلاء وخواص الأمة المصرية حتى اتنا سمعنا بعض الكبراء الذين يعرف صاحب المؤيد صدقهم واستقلالهم يقول انني لم أر أحدا من الخواص يندر المؤيد على خطته هذه وقد اختلف رأي أهل التعليل في سبب اختيار صاحب المؤيد لهذه الخطة فقال بعضهم إنه قد أسخط في سنته الأخيرة جمهور أهل بلاده من جميع الطبقات حتى الأزهريين وهو يعلم ان حسن الظن بعبد الحميد خان غالب فيهم فأنشأ يدافع عنه ويعلمن في الحكومة الجديدة ليستميل بذلك الجمهور الساخط ومن هؤلاء من يقول ان الجمهور سخط على المؤيد لتذبذبه واتباعه لهواه دون مصلحة الامة ومنهم من يقول بل لا اعتداله في الكلام عن الحكومة والمختبين وهذا هو الأقل ويقول آخرون ان سبب اختيار المؤيد لهذه الخطة هو اتفاقه مع عزت باشا العبد وغيره من اعوان عبد الحميد على اسقاط الحكومة الدستورية واعادة الحكم

الحجدي السابق ولا خلع عبد الحميد وأخرج من عاصمة السلطنة كان الاصرار على الانتصار له من دعوى الثبات على الرأي

ومن الناس من يقول ان المواطاة ين عزت العابد وحزبه انما هي على تأسيس دولة عربية وخلافة جديدة . وقد تتصل المؤيد من هذا ولعن من يسعى اليه

ومنهم من يظن أن صاحب المؤيد يخدم بذلك انكلترا التي تحب ان تمحو نفوذ الدولة الدينية من مصر والهند وان جامتها في أوربا وان لمايدا في تحريك سخط مسلمي الهند على الحكومة العثمانية الجديدة ، وهذا لغراق في سوء الظن

ومنهم من يرى ان صاحب المؤيد لما كان يعلم ان جمعية الاتحاد والترقي تعتقد انه من جواسيس الحكومة الحميدية وشيعة عزت العابد لاسيا بعد ان أظهر ضلعه في أول الهد بالانقلاب وميله الى الماضي وانما لا بد ان تتخذة خصما وعدوا . حاجبا هي وحكومتها بقوة لعلها تخافه فتسعى الى استمالته فلا يحرم من الكرامة في الاستانة وسورية في كل مصيف

ومنهم من يرى انه لما كان من فلك عبد الحميد خان بالدولة والامة اعتقد منذ حدث الانقلاب أن الدولة لم يبق فيها رفق فتنهض بحكومة دستورية فإما ان يعود عبد الحميد الى استبداده وإما ان يسقط الدولة بتدميره الماضي ويكده الحاضر فصار يكتب ما يكتب وهو يظن ان الايام ستصدقه بغسل الدولة وسقوط الدستور أو ما هو أعظم من ذلك فيظهر بمظهر السياسي الخبير والمحجب الثيور . ويظن أنه لا يبعد ان يكون سمع من كبار الاجانب أو عنهم بنفسه أو بواسطة عزت العابد شيئا من هذا المعنى لان الاجانب شعروا بالهزات التي كان يدبرها عبد الحميد واصوانه واعتقد الكثيرون منهم ان قوة الدولة ستكون قسرين يتصادمان فيتساقطان وقد أعدوا لذلك عدته . ويحمد الله ان كذب هذا القشاورم

لماذا تضاربت الظنون واختلفت الآراء في إنحاء المؤيد على الحكومة الدستورية في الدولة العلية ؟ أليس لانه كان في زمن عبد الحميد يدافع عنها بالحق وبالباطل فيخفي عيوبها ويجميل سيئاتها حسنا ؟ نعم ومن العجب ان يعكس الأمر الآن فينفي عليها بالحق وبالباطل ويجميل حسناتها سيئات

يقول انه يستند حقيقة ما يكتب . وقول لماذا لم يختر من الحق الا ما يحوه
و يضر نشره ، ومنى كان السياسي سوفيا صريحا فقرر العقائد كما هي معترتب عليها أليس
عند هؤلاء الصديقين من الاسرار الباطنة ما لا يجوزون نشره ، لانهم يخشون ضرره ؟
يقول انه يقصد بهذه الشدة النفع بإرجاع جبهة الاتحاد والترقي عن غرورها الذي
يراه ضارا . قول لماذا يخفى عليه غروره في هذه الدعوى فيقوم ان هذه الجمعية
تنتظر جريده العريية لترجها وتسل بضاعتها وهي لم تفعل بما قام في وجهها من
الاحزاب والكتائب الذين هم أبلغ منه قلا وأعلم بمكان الانتقاد ولماذا خفي عنه الآن
عما كنت أعدده كثيري هذا له في دفاعه عن الحكومة الجديدة وهو ان اظهار سيئات الدولة
وعيوبها يسقط منزلتها من نفوس المصريين وغيرهم من قراء المؤيد فيكون ذلك
ضطاما على ضعف ؟ أليس إسقاط نفوذ الدولة الآن أشد ضررا من إسقاطه في
العصر الماضي عصر الظلم والتخريب والتدمير ؟ على ان خطة المؤيد الجديدة بخشي
ضررها ولولا ان الجرائد التي تناقضا في القطر المصري فنه أوسع منها انتشارا
لاضلت وأضررت الجمهور وما يرجوه صاحب المؤيد من التأثير في نفوس لجنة جمعية
الاتحاد والترقي لا يوازي هذا الضرر لو حصل على انه طعن الدولة لا الجمعية وحدها
ان خطته هذه قد سلبت أفسح حيلة كانت له في أفسح المسلمين لاسباب لمجي الدولة العلية
الذين ينهم لهم سائر مسلمي الأرض وهي انه صاحب الجريدة الاسلامية العربية الكبرى
التي تدافع عن الخلافة والسلطنة وتؤيد نفوذها والآن ترى الجرائد الثمانية في عاصمة
الدولة ولا ياتها تطعن بلسان واحد سائبة ان المؤيد عدو الدولة والخلافة عدو الدين
والملة ، وقد احرقه جماهير الناس في بلاد كثيرة حتى بلاد الحرمين وقادوا بإسقاطه
وما كان أغناه عن التصدي لهذه العاقبة التي لم تكن في حسابه

فم ان صاحب المؤيد صار من عدة سنين على غير ما كنا نسميته : صار لا يبالى برأي
احد ولا بنصحه ولا يحسب للمعزب حسابا ويرى ان الدنيا كلها اذا قامت عليه اليوم
فانه يسئل عليه ان يستجلبها اليه غدا ، ولكننا رأينا هذه الشاكلة قد أضرت ولم تنفعه ،
هذه امور رأينا ان كان يقبله وهو يعلم اننا لا نقول الا ما نعتقد ونتمنى لو يقدر بالفضل على استمالة
الدولة العلية والامة العثمانية بما يكتبه بمدف يرجع عن اجتهاده ذلك الى ضد موافق الموفق

المجاهد

١٣١٥

فجر جادى القين يستنزل القتل فيبصر أخته
أولئك القين مداهم أمة وأولئك هم أولو الألباب

بؤنى الحكمة من يشاؤون يوت المنة هذا رثي
شبرا كثيرا وما يدكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و ه منارا ه كنار الطريق

﴿ مصر - السبت سلخ جادى الآخرة ١٣٢٧ - ١٧ يوليو (تموز) سنة ١٢٨٥هـ ١٩٠٩م ﴾

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طاعة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه وتلقبه ويذكر موله (وظيفته) وله بهذا ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وورعنا قد منّا متاخراً لسبب كثرة الناس الى بيان موضوعه وورعنا أحيانا غير مشترك لثقل هذا . ولما مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فإلّا لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الهجرة وحكم مسلمي البوسنة فيها ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في البوسنة *

بعد السلام عليكم يا فضيلة الأستاذ الأكرم ، والعلامة الفهامة المهام الاوحد ، حجة الاسلام ، وامام أهل الحق وغير الأئمة ، العالم العامل الفاضل الكامل المحقق ، والبحر التحرير الفيلسوف الحكيم المدقق ، الاديب اللبيب ، فريد العصر ، ووحيد الدهر ، سيدنا ومولانا ومرشدنا ، الشيخ محمد رشيد رضا ، عمره الله وحياء بأحسن الحياة ،
أقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ذي العظمة والكبرياء ، والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا وقرّة أعيننا رسوله الداعي الى سبيل الهدى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين المهتدين بهداه والذين اتبعوهم بإحسان الى يوم الحشر والجزاء ،

أما بعد فقد أخبرني بعض المصاحيين بأن واحداً من علماء الاساتذة قد اتفق ان أتى وعظا في جامع بمدينة عندنا ، فمن جعلته ان قال فيه بوجوب الهجرة علينا وعدم صحة التكاح ونحوه بعد ما ألحقت النمسا وضمت (ولاية البوسنة وهرسك)

(*) ان السائل من المغالين في حب النار وصاحبه فهو يطربنا بالأقارب والنموت التي فضّل من ذكرها وإنما نشرها عملاً بما جريتنا عليه أخبرنا من نشر الاسئلة بتوصوها كما جرى عليه علمونا من قبل الا من أذن لنا بتصحيح بعض اغلاطه اللغوية

إلى أملاكها وملوكها . وشدد أيضاً فقال بعدم صحة أركان الإسلام تحت حكمها مطلق الصلوة فالجمعة داخلة في ذلك ونحو الصيام والحج والزكاة ، فاضطرب منه أكثر من سبع مآقال اضطراباً شديداً ، فلنا منهم بأن حقيقة الأمر كما قال :

فيا سيدي ومولاي وقرّة عيني ويا ذا صر الحق والسنة ، ويا قاصم البدع الدينية الذليلة الشنيعة ، ويا كاشف النمة عن هذه الامة المرحومة ، ويا مقتدى الامة ، وقُدوة الامة ، ويا رحمة الله لهذه الملة الخفيفة ، أرجو من حضرتكم ، ان تتدخلوا بالجواب الواضح الشافي عن قول ذلك العالم ، على نحو ما اهتمتكم بالكتاب والسنة السنية ، مع البراهين والادلة الشرعية المرضية القوية ، كما هو دأب جنابكم على صفحات المنار المنيرة ، أدام الله ضياءه الى يوم الحشر والقرار ، وبك في عرس سعادة صاحبه وعامه ونحو ما عامل القاريين من عباده المثمين ، وجزاهم بنحو الجزى المحسنين من عباده المخلصين ، انه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، الداعي والمستدعي

قاري المنار المنير وصديقكم المطيع الخالص وصديق أصدقاء المنار

المنير وصاحبه ومحبيه وعدو عدوهم ومبغضهم العبد الضعيف التحيف

الحقير الفقير الى رحمة ربه العلي القدير تراب اقدام انصار الحق محمد

ز . ه . د . دار الجار من طلبة المدرسة الفيضية بمدينة تراونيك (بوسنة)

(ج) لاشك ان ذلك التركي قد اخطأ في جملة ما قاله والصواب انه لا يجب

الهجرة وجوبا عينيا على من كان متمكنا من إقامة دينه آمنا من الفتنة فيه وهي الإكراه

على تركه او المنع من إقامة شعائره والعمل به وهو نحو مما قاله عائشة فهي البخاري

انها سئلت عن الهجرة فقالت « لا هجرة اليوم كان المؤمن يربدينه الى الله ورسوله

مخافة ان يفتن فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام والمؤمن يعبد ربه حيث شاء » والأصل

في المسألة آية ٤٧: ٤٨ ان الذين توفاهم الملائكة « وستأتي ، وفيها أحاديث وآراء العلماء

نذكر اهمها : فاصح ما ورد فيها حديث ابن عباس عند احمد والشيخين وأصحاب

السنن الثلاثة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا هجرة بعد الفتح

ولكن جهاد ونية واذا استغفرتم فافروا » وروي مثله عن عائشة في الصحيحين

وروي احمد والسناني وابن ماجه والطبراني وغيرهم عن عبدالله بن السدي ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال « لا تقطع الهجرة ما قوتل العدو » وهو يوافق حديث ابن عباس في وجوب الفرار على من استنفر للجهاد الشرعي وترك وطنه لاجل ذلك وهذا لا وجود له الآن

وأما حديث جرير بن عدي عن أبي داود والترمذي « أنا بري من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » وتعليقه ذلك بقوله « لا تترامى نارهما » قد صح البخاري وأبو حاتم ومخرجاه وغيرهم لإرساله إلى قيس بن أبي حازم وفي الاحتجاج بالمراسيل اختلاف المروفي في الأصول ورواه الطبراني موصولا . وهو لا ينطبق على أهل بوسنه لأنهم ليسوا بين أظهر المشركين . وقد كان للإسلام سياسة خاصة في مشركي العرب . وفي الباب حديث عن معاوية رواه أحمد وأبو داود والنسائي وقد اشرفنا إليه في الجزء الماضي وهو أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تقطع الهجرة بقطع التوبة ولا تقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » وهذا الحديث قال الخطابي « استاده فيه مقال »

أما أقوال العلماء في أحكام هذه الأحاديث فنذكر منها ما أورده الشوكاني في شرح المتحفي في الجمع بينها قال : وقد اختلف في الجمع بين أحاديث الباب فقال الخطابي وغيره كانت الهجرة فرضا في أول الإسلام على من أسلم قلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو ، انتهى قال الحافظ (ابن حجر) وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى من يؤذيه من الكفار فاتهم كانوا يهذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه وفيهم نزلت « أن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » الآية . وهذه الآية باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقد عثر على الخروج منها . وقال الماوردي إذا قد عثر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام فالإقامة فيها أنضل من الرحلة عنها لا يترجى من دخول غيره في الإسلام . ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الإقامة في

دار الكفر . وقال الخطابي أيضا ان الهجرة اقترضت لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة الى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر قال (٨ : ٧٣) والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فلما فتحت مكة ودخل الناس في الاسلام من جميع القبائل اقطعت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال النووي في شرح السنة بمحمل الجمع بطريق أخرى قوله « لا هجرة بعد الفتح » أي من مكة الى المدينة ، وقوله « لا تنقطع » أي من دار الكفر في حق من أسلم الى دار الاسلام ، قال ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله « لا هجرة » أي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان بنية عدم الرجوع الى الوطن المهاجر منه الا بإذن ، قوله « لا تنقطع » أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الاعراب ونحوهم . وقد أنصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الامام علي بلفظ اقطعت الهجرة بعد الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي ما دام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي ان يتن على دينه . ومفهومه انه لو قدر ان لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لاقطاع موجبا . وأطلق ابن التين ان الهجرة من مكة الى المدينة كانت واجبة وان من أقام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة بغير عذر كان كافرا . قال الخافظ وهو إطلاق مردود . وقال ابن العربي الهجرة هي الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام وكانت فرضا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي اقطعت أصلا هي القصد الى حيث كان . وقد حكى في البحر ان الهجرة عن دار الكفر واجبة اجماعا حيث حمل على ممصية فل أوترك أو طلبها الامام بقوته لسلطانه وقد ذهب جعفر بن مبشر وبعض الهادية الى وجوب الهجرة عن دار الفسق قياسا على دار الكفر وهو قياس مع الفارق والحق عدم وجوبها من دار الفسق لانها دار اسلام وإلحاق دار الاسلام بدار الكفر بمجرد وقوع المعاصي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعم الرواية ولان العلم الدراية ولتفتها . في تفاصيل الدور والاعذار الموسوعة ترك الهجرة مباحث ليس هذا محل بسطها . اهـ

ما أورده الشوكاني وهو زبدة ما قيل في شرح الاحاديث من علمائه
أقول انك تجدهم قد اختلفوا في كل وجه من وجوه المسألة الا اثنين احدهما
عدم التمكن من اقامة الدين بالفتنة وهي حمل المسلم على الكفر أو مخالفة دينه في
فعل أو ترك أو بالجهل ، وثانيهما الجهاد الديني أي المتعلق بحماية دعوة الاسلام وأمن
أهله على دينهم وحقيقتهم ففي هاتين الحالتين تجب الهجرة بلاخلاف . أي على من
عجز عن اقامة دينه سواء كان واحداً أو جماعاً وعلى من احتجج الى جهاده وكان قومه بما يميز
المسلمين ويقدم في الدفاع المطلوب شرعاً . فأما هذا الوجه فنالين الظاهر انه لا يتحقق
في أهل بوسنة الآن فاقدم وما أظن ان الوجه الأول متحقق فيهم أيضاً وهم اعلم بأنفسهم
ويدخل في باب الوجه الأول الهجرة الى طلب العلم الواجب عند الحاجة الى
ذلك فان لم يهاجر من يتعلم ويعود ليعلم ثم جميع المسلمين الذين قدوا هذا العلم في
وطنهم . وكذلك الهجرة من المكان الذي نشأ فيه الفسق والجاهرة بالمنكرات
وصارت التربة على التقوى والصلاح متعذرة فيه . وقد روى ابن وهب عن مالك أنه قال:
تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهاراً ولا يستقر فيها . واحتج بصنيع أبي الدرداء
في خروجه من أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من
وزنها ، رواه أهل الصحيح . وقال مالك في موضع آخر اذا ظهر الباطل على الحق
كان الفساد في الأرض . وقال لا تنبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها غير الحق . اهـ
أقول وإنما يكون هذا من الأفراد الذين يتعذر عليهم إزالة المنكر فان وجد جم

يقدر على إزالة المنكر وجب ذلك عليه دون الهجرة

ومن قال انه لا يظهر له دخول هذا في الوجه الأول قلنا ان تعدد
وجهاً آخر وهو ظاهر . ولا حاجة الى قياس الفسق على الكفر ليصح ما ذكر من الهجرة
من حيث يشق الفسق ويتعذر الصلاح أو يتعسر الى حيث الصلاح والخير

وجملة القول ان المسلم يجب عليه ان يقوم بالحق والخير كما يرشده دينه فان مجزعه من
ذلك في بلاد وجب ان يهاجر منها الى حيث يقدر عليه والا كان ظالماً لنفسه وقيل
له يوم الحساب اذا اعتذر باستضعاف الكفار والفساق له ومنعه من العمل بدينه ألم
تكن أرض الله واسعة قهلهجر فيها ؟

اما مازعه ذلك الواعظ التركي من عدم صحة النكاح وأركان الاسلام في
يوسنه بعد إلحاقها بالنفسا فهو باطل ، لا يصدر مثله الا من جاهل ، ولولا إباحة ما حرم
الله على المسلمين من التقليد لما كان لهذا الجاهل من سبيل لتشكيك أولئك المسلمين
الذين سمعوا وعظه في عبادتهم وعقود زوجيتهم اذ الوعظ يبين كتاب الله وسنة
رسوله لا يأتي فيه شيء من هذه المزاعم والأباطيل . فتي تستير بصائر جماهير المسلمين
ويتصمون بجمل الله حتى اذا حاول ان يثبت بدينهم عاثب طالبيه بما عنده من
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا جاءهم بهديهما قبلوه ، والاردوا
ما جاء به ورفضوه ؟؟

لا فرق في العبادة والنكاح بين المسلم في دار الكفر والمسلم في دار الاسلام وإنما
هناك احكام تتعلق بالمعاملات السياسية والمدنية والحرية وأدخل بعضهم في السياسية
صلاة الجمعة ، ومن البديهي ان الهجرة لم تكن حبا لازما في زمن كثر من الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم لنصره والاخذ عنه ولما كان من اشتداد المشركين في اذى المسلمين
قبل فتح مكة ومع ذلك لم يرد في السنة من التشديد على من لم يهاجر شيء مما زعم
هذا الواعظ الجاهل قد روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من حديث
بريدة انه قال قال رسول الله (ص) « اذا قمت عدوك من المشركين فادعهم الى
ثلاث خصال — أو خلال — قاتين ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم
الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم
الى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا فلهم ماله المهاجرين وعليهم ما على المهاجرين
فان أبوا ان يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم
الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفتيمة والقي شيء الا ان يجاهدوا
مع المسلمين ، فان هم أبوا فسلمهم الجزية فانهم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » الخ
واما ما قالوه في دار الكفر ودار الاسلام فلا حاجة الى بسطه هنا وقد سبق
لنا بحث فيه من قبل فليراجعه من شاء

﴿ خطبة جمعة في سوء حال المسلمين في هذا الزمان ﴾

(س ٢٦) من م ١٠ ص في سنن ترمذي

سنن ترمذي في ٧ جاد الاول ٣٢٧

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنيرة بمصر
قد اتى على المسلمين بهذه الاصقاع حين من الدهر وهم لا يسمعون الخطبة في
مساجدهم غير خطب ابن تباتة او نحوها فتعودوا سماع فضائل الشهور ويان قرب
الساعة والحث على ترك الدنيا الى غير ذلك ولما كان الزمان في قلب دائم حصلت
الفرصة في الجمعة الماضية للفيروز الاديبي الشاب المحبوب عباس بن محمد طه فأنشأ
خطبة تناسب الأحوال المخاضرة بهذه الجهات تمام المناسبة ثم رقي المنبر بالجامع الكبير
المسمى (مسجد سلطان) فخطب خطبة تؤثر في نفوس الفيروزين وان خطيب المسجد
لم يخطب في ذلك اليوم نظراً لما كان عليه من العذر ثم طفق الجامدون بعد فراغ الصلاة
يشيعون ان الخطبة لا تليق ان تكون خطبة للجمعة لان فيها تكفير المسلمين وذمهم
ومدح الكفار مع ان خطبة الجمعة دينية محضة وما في هذه الخطبة من أمور الدنيا وتوبيخ
احوال المسلمين ورفع شأن الكافرين غل لنظر الدين ولذلك قال هؤلاء انهم لا
يريدون ان يصلوا الجمعة في هذا الجامع اذا اعيدت تلك الخطبة حتى بالغ بعض الناس
في سب ذلك الخطيب وسمعت ذلك انا والشيخ عبد القادر وغيره فقلنا ان كره
المخالفين هذه الخطبة قد بلغ الغاية وانا قد اطلعنا على الخطبة عند بعض معارفنا فقلت
منها عدة نسخ نسخة منها لتقديمها الى مجلتكم المنيرة وهذه هي الخطبة :

« الحمد لله الذي جعل الجمعة من اسباب الاجتماع . قرأ فيه المواعظ التي تزيق غشاء
الاسهام . فتأثر منها القلوب والطباع . وفتح بذلك ابواب الخير والانتفاع . احمده
سبحانه وتعالى على جزيل الفضل والاحسان . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له المنان . واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالبيان . اللهم صلى
وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه في كل وقت وأوان . أما بعد فيا عباد الله: ان

ما حل بنا من ضعف وهوان . وفساد في الاعمال وخسران . من سوء تربية في
الصغر تولد منه في الكبر فساد وطنيان . وتهاون بالصلاة وتجاهر بالعصيان وموت
شعور عند سماع أوامر ونواهي القرآن . وكثرت الخرافات والالهام . ادخلها الجاهلون
وصبغوها بصبغة دين الاسلام . ومعظم أهل زماننا هذا هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للاليمان . والمصيبة في الاعمال والاديان . اعظم منها في الاموال والابدان . ونحن نعلم
كل ذلك علم اليقين . وأحملنا شأنا الدين . فوقنا في شدائد متراكمة . ونظرت الينا
الاجانب نظر تحقير وملامه . وان التباعذ عن الاحداث بهدي الشرع الكريم . وعلم
التمسك بعروة الدين القويم . قد أدنى بنا ذلك الى الاعمال . والأنحطاط وشر الآمال
ودينا يأمر بالتعاون والاتفاق . ونحن نسعى الى التنافر والافتراق . حتى ذهبت اعمالنا
ادراج الرياح . وضاعت اوقاتنا بين الجد والمزاح . ولا تقدر على القيام بمهام الاعمال
ولا على مثابة الاشغال . فأكت امورنا الى اسوء الحال . وخابت الآمال . وانا لو
أتحدث كلماتنا . وصرنا حزبا متعاون . ساعيا في مصالح امورنا . في ديننا ودنيانا .
لكان اكبر الاعمال هينا . ونجح نجاحا مينا ، واذا نظرنا الى حال الامة العربية ،
ذات السعادة والرفاهية ، وجدنا انها تدرجت على اصول الاسلام ، وبذلت الجهد
في التعاون والاتحاد والائتام ، كان اكبر المشروحات عندها من اسهل الممكنات ،
وان كان عندنا يعد الناس نجاحه من المستحيلات ، وهم يقننون الشركت ،
ويفشئون الجمعيات ، ليعود ذلك على ابناء ملتهم بالنعم والفضائل ، ونحن نشي .
الجمعيات للتلاوث بادران الحول والردائل ، ويعود ذلك علينا بضعف الدبابة ، وقصيم
الصيانة ، كانت المواعظ عندهم داعية الى التقدم السريع ، وعندنا قد صارت سلما الى تأخرنا
الشيخ ، فياذوي الابصار ، ابن التبصر والاعتبار ، وما هذه النفلة والاعتبار ، فليت شعري
ما اعتذاركم بعد الانذار ، اما علمتم ان الله لم يخلق الدنيا عبثا ، بل جعلها دار سعي
واختبار ، يقبها بدوا جزاء وقرار ، وجعل لنا القول لغيرها بين النعم والاضرار ، وامرنا
بفعل الخير وتبنا عن الاوزار ، ومن اطاعه ادخل الجنة ومن عصاه ادخل النار ،
وليس لنا عليه بعد ذلك حجة ولا اعتذار ، عباد الله صلونا واتقوا ، واعتصموا بعجل

الله جميعا ولا تفرقوا ، (الحديث) قال (من) اعلم لدياك كأنك تبيض أبدا
واعمل لأخراك كأنك تموت غدا » الى آخر الخطبة ،
وما دعائي الى افادتكم بهذه الواقعة الا لنصرة الحق وحضرتكم أهل لذلك
(المنار) وجاءنا سؤال آخر عن خطبة هناك الظاهر انها هذه وبينها وهذا نصه

سنافورا ١٣ جاد الاول (٢) سنة ١٣٢٧

(م ٢٧) من م . ح م .

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار بمصر

لا يخفى ان من طيبة الانسان حب الفخر والشهرة ويوجه كل قوته الى الوصول
اليه بأي وجه كان ولا يجهل بمخاطره انه امام الملا من الاكابر كالذبابة لولا ذلك
لما تجرأ بعض الناس على تلاعب بعض أمور العبادة قلب الخطبة على غير وجهها
التي شرعت لاجلها فخطب على منبر أكبر الجوامع هنا خطبة تشعرون سماعها الابدان
يكفر فيها المسلمين ويقبح اعمالهم ويستحسن اعمال الكافرين وذلك بمسمع من العباد
والعلماء فلان من ان ذلك مما يوجب فخره ولا يدري ان الامر بالمعكس وقد اقي العلماء
يمنع ان نخطب خطبة الجمعة مثل تلك الخطبة ولذلك جئتمكم بهذه الرقعة سائلا عن
رأيكم الصائب في ذلك

(ج) ان المصريين يعجبون من استنكار بعض مسلمي سنافورة لهذه الخطبة
التي يسمعون كل جمعة في مساجدهم ما هو أشد منها انكارا لخال المسلمين وتركهم لهداية
دينهم وإضاعتهم لمصالح دينهم وتقدم سائر الامم عليهم ، ومن ذلك عبارة يكررها في
الخطبة الثانية الشيخ خالد النقشبندي خطيب مسجد الست الشامية المشهور بالصالح
وحسن الخطبة وهي « اتقوا الله فقد قدم الاجانب وتأخرنا ، اتقوا الله فقد نشطوا
وكسلنا ، ألج وهو نحو ما قاله خطيب سنافورة فلماذا استنكر هناك ولم يستنكر هنا ؟ لاسبب
لذلك الا أن العلماء والعمام هنا اعلم ممن هناك بالاسلام والمسلمين وما يحتاجون اليه
وهذه هي الخطب التي يسمونها هنا الخطب المصرية ويرجون فائدتها ونفعها

وينتقدون الخطيب القديمة التي معظمها مدح للشهور والمواسم الباطل وذم للدنيا وتزهد فيها . على ان تلك الخطيب القديمة المشهورة في جميع البلاد الاسلامية لا تخلو من وصف المسلمين بترك الاسلام وإضاعة الكتاب والسنة والفساد بالمعاصي والمنكرات ونهايتك بتلك العبرة المشهورة التي حفظناها من الخطباء لأول عهدنا بالصلاة في صغرنا وهي « لم يبق من الاسلام الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه » ومهما أكرر المكثرون من الانكار على المسلمين ووصفهم بإضاعة الدين فهم لا يأتون بأبلغ من هذه العبارة ولا يكتفون الا شارحين لما

ماذا ينتظر السائلون من هذه الخطبة من النار وهو الذي نه منذ سنته الأولى الى وجوب إصلاح الخطبة في المساجد الجامعة وترك تلك الخطب المحشوة بالباطل الميتة لهم ، وقد كتبت قبل إنشاء المتأخر فصولاً طويلة في الخطابة وأودعته كتابي « الحكمة الشرعية » فهل ينتظرون مني أن أجيز تلك الخطب السخيفة المألوفة وما فيها من الاحاديث الموضوعة وأنكر ما يجيىء به أذكاء الخطباء من المنبهات التي تزلزل ذلك الجمود القديم ؟ يظهر أن أنكر ما استكروه من هذه الخطبة هو اقتباس الخطيب قوله تعالى « هم الكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان » يريد أن الذين تلبسوا بتلك المنكرات التي نهى عنها هم يوم إذا دخلت عليهم انقراقت والاهام وتلبسوا بها أقرب الى الكفر منهم الى الإيمان . وليس هذا تكفيراً صريحاً ولا هو في قوم معينين بقواتهم وإنما هو في قوم يأتون ما نهى عنه الاسلام ويتركون ما أمر به فإذا يريدون أن يقول الواعظ فيهم اخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن أبي داود وابن أبي حاتم عن مقاتل أن الصحابة أخذوا في شيء من المزاح فانزل الله تعالى فيهم (١٦: ٥٧) ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ففعل عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومن المعروف عند أهل القرآن أن الفسق والظلم والكفر كثير ما ترد فيه على مورد واحد كما يثناه في تفسير « ٢: ٢٥٤ » والكافرون هم الظالمون « وروى مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن ابن مسعود قال : ما كان بين اسلامنا وبين أن عابتنا الله بهذه الآية « ألم يأن » إلخ الا اربع سنين . وعنه قال لما نزلت هذه الآية اقبل بضمنا

على بعض : أي شيء أحدثنا أي شيء أضعنا ؟ فإذا كان رب العزة يخط أفضل المؤمنين من السابقين الأولين بمثل هذه الآية فهل يستنكر في مسلمي زماننا مثل تلك الخطبة ؟ ما هذا الغرور الذي أصابنا ؟ نفسي ومطلب الشكر على إساءتنا ؛ وليراجع السائلون تفسير (٢ : ٢١٤) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم (ص ٣٠٢ - ٣١١) وينظروا ما هي النسبة بين أولئك المخاطبين بالآية عند نزولها وبين أهل عصرنا هذا وهم مخاطبون بها أيضا . ومثلها كثير ننبه دائما في التفسير عليه ونحث مسلمي زماننا على وزن أنفسهم بميزان القرآن ثم سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أصحابه عليهم الرضوان . ولو شئنا أن نعرض ذلك بالأحاديث والآثار لفتنا ولكن المصنف يكتفي بما ذكرناه ، والغرور أو صاحب الهوى لا يقنعه شيء بخلاف هواه ، أما إذا كان السائل الثاني يعني بما ذكره خطبة غير التي أرسلها السائل الأول منها وفيها تكفير للمسلمين صريح وتحسين لأعمال الكفار التي هي من كفرهم فلا مندوحة لنا عن إنكار ذلك بشدة . أما الأعمال التي ليست من كفرهم ففيها الحسن والقبیح قال تعالى في اليهود (٥ : ٦٦) منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

* * *

هو أم كلثوم بنت النبي (ص) ﴿

(ص ٢٨) من خليل رشدي افندي ملخص التليذ بمكتب نابلس الاعدادي

الحمد لله وحده

حضرة الفيلسوف العظيم والأستاذ الحكيم الامام العلامة بحر فهامه سيدي
المرشد السيد محمد رشيد رضا منشي مجلة (المنار) الاسلامي نور الله قلبه وأدام
مجده على مدى الدوران آمين

بعد اهداء ما يليق بحضرتكم من التحيات الزاكية أعرض لجنايبكم بأن تتكرموا
على هذا العاجز بفشر سؤالي الآتي على صفحات مجلتكم « المنار » الأغر وسرد
جوابه بما يترأى لكم ولحضرة فضيلتكم الشكر والمنة سلفا :

لا يبغي على جنابكم أحوال تلامذة المدارس من جهة المباحة مع بعضهم البعض ،
فيوم من الأيام اجتمعت أنا وبعض رفقائي للمباحة وصرنا نقابحث الى ان وصل بحثنا
عن السؤال الآتي :

(١) ما هو أصل اسم بنت النبي (ص) الملقبة به (أم كلثوم)

(٢) لاني سبب لقبته به (أم كلثوم)

وطال بنا الجدل في هذا الموضوع واقسمت أفكارنا الى آراء كثيرة وحيث
انه لم نوفق لمعرفة السؤالين المرقومين أعلاه قربنا القرار بالتفسير من فضيلتكم
واخذ رأيكم في هذا الموضوع فكلفوا هذا العاجز بالسؤال من جنابكم
ولأجل ذلك حررت لفضيلتكم هذا التحرير راجيا لإرشادنا في هذا البحث والله
الملم الى الحق والصواب ولكم الأجر والثواب والسلام على من اتبع الهدى ودين
الحق ودينهم

(ج) لأدري كيف وجدتم ذلك المجال الواسع الغلاف واقسام الأفكار في هذه
المسألة وهي لا تحتمل عندنا خلافا فالعرب كانت تسمي أئمن وأم أئمن وسلمة وأم سلمة
والمعروف أن بنت النبي صلى الله عليه وسلم سميت ام كلثوم ابتداء ولم يكن كنية
كنيت بها بعد ان سميت باسم آخر وفي الصحايات كثيرات سمين بهذا الاسم .
وكلثوم من الكثرة وهي استدارة الوجه

* * *

﴿ عهد (موضوع) زعموا انه من النبي (ص) للنصارى ﴾

(ص ٢٩) من احد العلماء في حمص

ان مجلة (روضة المعارف) التي تصدر في بيروت أدرجت في عددها الثالث
عشر من هذه السنة صورة عهد النبي صلى الله عليه وسلم زعم انه أملاء على سيدنا
معاوية رضي الله عنه لأهل الذمة ولدى البحث في كتب الحديث والسير والتاريخ
ما وجدت هذا العهد بهذا اللفظ الطويل الذي قلته هذه المجلة وقتله عنها جريدة
لان الحال فأرجوك ايها الفاضل ان تفيديني عن درجة هذا العهد من الصحة والحسن

وعمن خرج منه المحدثين وفي أي كتاب هو وهل هذا اللفظ المتقول كله مروي محفوظ عن أئمة هذا الشأن الموثوق بهم الذين يعول على قلمهم فيكون حجة في العمل قد رأيت في هذا العهد طولا كبيرا وألفاظا لا تشبه ألفاظ صاحب الرسالة في عهده ورأيت بعض الصحابة المدرجة اسماءهم بصفة شهود كان قدماء قبل هذا التاريخ وبعضهم لم يكن اسلم فأرجو إيضاح الجواب على كل جملة ليكون الانسان على بصيرة لا زلت مرجعا لحل الاشكالات وتحقيق المسائل وليكن الجواب على صفحات مجلتكم ليطالع عليه القراء الكرام

(ج) قد اطلعت في مجلة روضة المعارف على هذا العهد الملقق الموضوع فسانا اندفاع قوما في تيار المجاملة الى هذا الحد الذي يتهجم فيه على نشر هذه الأكاذيب الموضوعية على النبي (ص) على حين نحن في غنى عنها بما عندنا من الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف المعروفة

ان هذا العهد المكتوب لم يروه أحد من المحدثين ولا يحتاج من له ادنى شمة من علوم الدين الى اطلاق واسع ليعرف انه مصنوع موضوع فذلك واضح من عبارته في اغلاطها واسلوبه في ركاكته ومافيه من الاصطلاحات الحادثة ومن المبالغة والتكرار ومن مسأله التي توهم ان الاسلام وجد في الارض لأجل تعزيز النصرانية وخدمة أهلها والدفاع عنهم والمضوع والذلل لهم وإعانتهم على المعاصي والجنايات اذا ارتكبوها فان مما جاء فيه « وان جراحا من النصارى جريرة او جني جناية فعلى المسلمين نصره ومنه (أي حمايته) والذنب عنه والفرم عن جريرته » فهل يعقل من شم رائحة الاسلام ان النبي الذي يقول كما في صحيح البخاري « لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » يأخذ العهد على أمته بأن ينصروا مرتكبي الجرائم والجنايات من النصارى ويحموم ويدفعوا عنهم ؟ وهل يتفق هذا مع قوله تعالى في الآية التي أذن فيها للمسلمين بالجهاد والدفاع عن أنفسهم « ٢٢: ٤١ الذين ان مكثهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامنوا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وفي هذا العهد كثير من امثال هذه المسائل الباطلة بالاجماع التي لا يبيحها الاسلام لأحد بل يمد استباحتها كفرا وردة عن الاسلام

اما ما يدل على كذب هذا العهد مما يتوقف العلم به على الإلمام بالتاريخ فربما
يعتد ناشروه بمجهلهم له ولكنهم لا يعذرون بجمل المسائل المعلومة من الدين بالضرورة
ثم ان هنا مسألة تاريخية تكاد تكون معروفة عند العامة وقد جعلها ناشرو هذا العهد
وهي مسألة التاريخ بالهجرة فيه « كتبه معاوية بن ابي سفيان بإملاء رسول الله يوم
الاثنين في ختام أربعة أشهر من السنة الرابعة من الهجرة بالمدينة » فمن المشهور أن
هذا التاريخ قد حدث في خلافة عمر بن الخطاب بمشاوره الصحابة (رض) ولم ينقله
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبو بكر (رض) وما ذكر غخلق العهد هذا التاريخ
الا ل يظهر كذبه علم التاريخ فالروى في صحيح البخاري ان معاوية اسلم في عام الفتح
أي في السنة التاسعة للهجرة فكيف كان يكتب للنبي في السنة الرابعة، ثم ان ختام
الشهر الرابع للهجرة وهو شهر جادى الآخرة لم يكن يوم الاثنين وانما كان يوم الجمعة .
وذلك ان الهجرة كانت في شهر ربيع الأول ولما اراد الصحابة في عهد عمر التاريخ
بالهجرة جعلوه من أول السنة القمرية التي حدثت فيها فكان في ذلك زيادة شهرين
كما هو مشهور . ثم انه اكثر من الشهود ل يظهر كذبه أيضا وهالك البيان بالايجاز
في ذكر هؤلاء الشهود أربعة أنواع النقط احدها واهونها الاسماء المحرفة والمصحفة
كالفضيل بن العباس صوابه الفضل وحسن بن ثابت صوابه حسان وابو درداء صوابه
الدرداء ويزيد بن ثابت صوابه يزيد . والثاني من لم يكن اسلم كماوية . والثالث من
كان قدماء او استشهد كحمزة . والرابع من لا وجود لهم في الصحابة كداود بن
جبير والعاصي ابو حنيفة واساف بن يزيد وكعب بن كعب . ولو استقمينا كل
ما في هذا العهد المكذوب من الخطأ لأفضي بنا ذلك الى تطويل نحن في غنى
عنه بهذا القول الوجيز

• • •

﴿ رسم المصحف ﴾

(س ٢٨) من صاحب الامضاء في قرآن (روسيا) في ٦ جادى الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا حفظه الله ومتعاون سائر المسلمين بعلومه الشريفة

اما بعد فان من المسائل التي تدور بيننا الآن مسألة رسم المصاحف المطبوعة في بلدة قزان ، حيث ان العلماء صرحوا بأن رسم المصاحف يجب فيه الاتباع لرسم المصاحف التي كتبت بامر سيدنا عثمان رضي الله عنه وفي رسم المصاحف القزانية مخالفة كثيرة لرسم تلك المصاحف فشككت قزان لجنة من العلماء والقراء للتحقيق في رسم هذه المصاحف ونصوص العلماء فيه وتكلموا في وجوب الاتباع وعدمه فذهب كثير منهم الى انه ينبغي اتباع رسم المصاحف العثمانية وان الرسم سنة متبعة ، على ما نص عليه ابو عمرو الداني والشاطبي والجزري والسيوطي والزنجشيري وغيرهم . وبعضهم قالوا انه لا يجب اتباع الرسم محتجين بقول شيخ الاسلام العز بن عبد السلام حيث قال : « اما الآن فلا يجوز كتابة المصاحف على الرسوم الاولى خشية الالتباس ولئلا يقع في تغيير من الجهال » ويجب الفريق الاول عن هذا بان المواضع التي يتوهم فيها الالتباس يمكن التخلص منها بالنقط والاشكال . ثم قشوا المصاحف المطبوعة في الديار الاسلامية من الاسكندرية ومصر وهدند وغيرها فوجدوا فيها ايضا مخالفة كثيرة لرسم المصاحف العثمانية ، فما ندري ما سبب عدم اعتنائهم في هذا الباب ؟ أهملوا في رسم كتابنا المقدس ، ام لا يقولون بلزوم الاتباع . واذا كان الاتباع واجبا كما يقول به اكثر الائمة فما ينبغي ان نصنع لتقرأ برواية حفص المرووفة في بلادنا في مثل كلمة « آتآن » في سورة النمل آية ٣٦ فانه كتب في مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه كلها بشير ياء بعد التون والحال ان حفصا يقرأه آتاني ياء مفتوحة بعد التون فكيف يكون زيادة ياء بعد التون في مثل هذه المواضع تخلصا من الالتباس والتلفيق في القراءة . وهل يجوز مخالفة الرسم لاجل الضرورة في مثل تلك الضرورة وما نصنع في الكلمات التي حذفت فيها الالفات في بعض المصاحف المطبوعة والمكتوبة القديمة مثل كلمة الاعلام والاحلام والاقلام والازلام والاولاد ، وتلك الكلمات كتبت في بعض المصاحف « العلم والاحلم والاقلم » بحذف الالف بعد اللام والحال ان قاعدة الخط العربي تقتضي اثبات الالف في مثلها : وليس فيها نص صريح من علماء الرسم في حق الحذف أو الاثبات . هل ينبغي فيها اتباع قاعدة رسم الخط العربي واثبات الالفات ام قول « انهم كانوا يعتبرون الظهور وعدم الالتباس ولهذا كانوا

يحذفون الالفات فيماظهر المراد(منه)مثل الكلمات المذكورة» فنحذف الالفات فيهن .
ورسم المصاحف المطبوعة هنا ليس على نسق واحد ، في بعضها تلك الكلمات
مكتوبة بألفات بعد اللام وفي بعضها بحذف الالفات . وان المصحف الذي يحفظ
في بلدة بترسبورغ عاصمة الروسية في المكتبة الامبراطورية ويظن كونه واحدا من
مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه قد حذف فيه الالفات في مثل هذه المواضع .
والعلامة شهاب الدين المرجاني القرطبي الذي اثنى عمره في خدمة العلم وصنف كتابا
مفيدا في رسم المصحف وكان مأمورا بتصحيح المصاحف المطبوعة من جهة الحكومة
قد حذف الالفات قصدا في مثل هذه الكلمات ولزيادة الاطمئنان ولكون
المسألة عامة مهمة ومتعلقة بمسوم اهل الاسلام اتفقنا على المراجعة الى (؟) جنابكم المحترم
بالاستفسار في تلك المسئلة رجاء ان تفضلوا بابداء ملاحظاتكم العالية في صفحات
المناج . والسلام والا كرام

ورئيس اللجنة المشككة لتفتيش رسم المصاحف المطبوعة ببلدة قران

ملا صادق الايماقولى القرطبي

(ج) ان ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول فالذين
تلقوا القرآن عن جاء به من عند الله (ص) حفظوه وكتبوه وتلقاه عنهم الالوف من
المؤمنين وتسلسل ذلك جيلاً بعد جيل . وقد أحسن التابعون وتابعوهم وأئمة العلم
في اتباع الصحابة في رسم المصحف وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فن الرسم
وان كان أدق مما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم لأنه صنعة ترقى بارتقاء المدنية
إذ لو ضلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها وجل أصلها .
فالاتباع في رسم المصحف يفيدون دقة واطمئنان في حفظه كما هو وبد الشبهات ان
نحوتم حوله ، وفيه فائدة أخرى وهي حفظ شيء من تاريخ الملة وسلف الامة كما هو
نم ان تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب
خاصة بمن يتلقاه عن القراء ولذلك أحدثوا فيه القطع والشكل وهي زيادة لا تمنع
معرفة الأصل على ما كان عليه في عهد الصحابة . ثم إنه يجعل تعليم الصغار عسرا

ولذلك اتفق الامام مالك بجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المعتاد كما نقل:
 قال علم الدين السخاوي في شرحه لعقيلة الشاطبي قال أشهب رحمه الله سئل
 مالك رضي الله عنه أرايت من استكتبه مصحفا أترى أن يكتب على ما أحدث
 الناس من المعجاء اليوم؟ فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الاولى . قال
 مالك ولا يزال الانسان يسألني عن قطع القرآن فأقول له أما الامام من المصاحف
 فلا أرى أن يقطع ولا يزداد في المصاحف ما لم يكن فيها وأما المصاحف الصغار التي
 يتلم فيها الصبيان وألواحهم فلا أرى بذلك بأسا . ثم قال « أشهب » والذي ذهب
 اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحلال الأولى الى أن يعلمها الآخر وفي خلاف ذلك
 نجيب الناس بأوليئهم . وقال أبو عمر الداني (في كتابه المسمى المحكم في النقط) عقيب
 قول مالك هذا ولا تخالف لمالك في ذلك من علماء الامة اهـ

فالذي أراه هو الصواب أن تطبع المصاحف التي تتخذ لأجل التلاوة برسم
 المصحف الامام الذي كتبه الصحابة عليهم الرضوان حفظا لهذا الأثر التاريخي العظيم الذي
 هو أصل ديننا كما هو لكن مع النقط والشكل للضبط . ولو كان مثل الأمة الانكليزية هذا
 الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقيصرو ولا أسطول الامان الجديد الذي هو شغلها
 الشاغل اليوم . واما الألواح والأجزاء وكذا المصاحف التي تطبع لأجل تعليم الصغار بها
 في الكتاتيب فلتطبع بالرسم المصطلح عليه اليوم من كل وجه تسهيلات للتعليم ومتى كبر الصغير
 وكان متعلما للقرآن بالرسم المشهور لا يخلط إذا هو قرأ في المصاحف المطبوعة برسم الصحابة
 مع زيادة النقط والشكل . وكذلك يكتب القرآن في اثناء كتب التفسير وغيرها
 بالرسم الاصطلاحي ليقراء كل أحد على وجه الصواب . وبهذا نجتمع بين حفظ أهم شيء
 في تاريخ ديننا وبين تسهيل التعليم وعدم اشتباه القارئين

اما ما احتج به العزيز بن عبد السلام على رأيه فليس بشيء لأن الاتباع إذا لم
 يكن واجبا من الاصل فلا فرق بين الآن الذي قال فيه ما قال وبين ما قبله وما
 بعده بل يكتب الناس القرآن في كل زمن بما يتعارفون عليه من الرسم وإذا كان
 واجبا في الاصل وهو ما لا ينكره فترك الناس له لا يجعله حراما أو غير جائز لما ذكره
 من الالتباس بل يزال هذا الالتباس على انه لا يسلم له

واما ما طبعه المسلمون من المصاحف في الاسنانة وقزان ومصر وغيرها من البلاد غير متبعين فيه رسم المصحف الإمام في كل الكلمات فسيبهاون والجمل والاعتماد على بعض المصاحف الخطية التي كتبت قبل عهد الطابعة فرسم فيها بالرسم المتاد الكلمات التي يظن انه يقع الاشتباه فيها إذا هم كتبوها كما كتبها الصحابة كلفظ «الكتاب» بالألف بعد التاء وهو في المصحف الإمام بغير ألف ليوافق في بعض الآيات قراءة الجمع فكتبوه بالألف . ولم أر مصحفا كتب أو طبع كله بالرسم المتاد ونحمد الله تعالى ان وفق بعض الناس الى طبع ألوف من المصاحف برسم الصحابة المتبع وأحسن المصاحف التي طبعت في أيامنا هذه ضبطا وموافقة للمصحف الإمام المتبع هو المصحف المطبوع في مطبعة محمد أبي زيد بمصر سنة ١٣٠٨ إذ وقف على تصحيحه وضبطه الشيخ رضوان بن محمد الحفلاوي أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه . وقد وضع له مقدمة بين فيها ما يحتاج اليه في ذلك . فالذي أراه انه ينبغي للجنة القرآنية ان تراجع هذا المصحف فانها تجد فيه حل عقد المشكلات كلها ان شاء الله تعالى ككلمة الاقلام وأمثالها وهي بغير ألف وكلته «هائي» التي رسمت في المصحف الامام «آن» فيرون ان هذا المصحف وضع فوق التون ياه صغيرة مفتوحة هي من قبيل الشكل لتوافق قراءة حفص فهي هكذا «هائي» وجملة القول إننا نرى أن الصواب الذي ينبغي ان يتبع ولا يعدل عنه هو أن تطبع الاجزاء والمصاحف التي يعلم فيها المبتدئون بالرسم الاصطلاحي لتسهيل التعليم وهو ما جرت عليه الجمعية الخيرية الاسلامية هنا باذن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فهي تطبع اجزاء القرآن كل جزء على حدة بالرسم الاصطلاحي وتوزعها على التلاميذ في مدارسها . واما سائر المصاحف فيتبع في طبعها رسم المصحف الامام كالمصحف الذي ذكرناه آفنا . واذا جرى المسلمون على هذا في الاسنانة ومصر وقزان والقرم وسائر البلاد الاسلامية فلا يمضي جيل أو جيلان الا وتقرض المصاحف التي طبع بعض كلماتها بالرسم الاصطلاحي وبعضها برسم الصحابة . ولا ضرر من وجودها الآن اذ هي مضبوطة بالشكل كثيرها فلا اشتباه والخطأ مأموران في جميع المصاحف والله الحمد

بحث

﴿ في خطبة العقيلة المصرية « باحثة بالبادية » ﴾

نشرنا في الجزء الخامس هذه الخطبة ووعدنا بأن نين رأينا فيها في هذا الجزء وكنا نريد أن نطيل القول فيه فكثرت علينا المواد العارضة فسامتنا الاختصار فكان مالا بد منه ان الخطبة تساهم ببارتها وأفكارها كتاب الطبقة الثانية من الرجال بمصر ولكي رأيت عبارة مقالاتها النسائيات في الجريدة أصبح من عبارة الخطبة فيظهر أنها لم تكن بتحرير الخطبة عنايتها بتحرير المقالات كما يفضل الذين يكتبون الخطب قبل إلقائها ولا بد لذلك من سبب ينهض عندها

أودع في الخطبة من الحكم ، ما هو جدير بأن يحفظ ويضرب به المثل ، ولا تخفى من الملح والالافا كيه التي تستلح في الخطب ، لما فيها من تجديد النشاط وذود الملل ، ولم أر فيها على طولها شيئا تمنيت لو لم يكتب — وان نطق به — الا كلمة واحدة في نساء الافرنج . ورأيت مسائلها المستمدة من الصحف ، اكثر من مسائلها المستمدة من الكتب ، فليت نساءنا يكثرن من قراءة الصحف فانها دروس تكرر فتثبت مباحثها في الذهن

يتقدم بعض الناس من الخطبة كثرة المباحث النظرية والمسائل البديهيّة ككون الزوجين الذكور والانثى خلقا للمودة لا للباغضة وكون العالم لا يعمر بدونها ، وكونهما سواء في القوة والاستعداد أو متفاوتين ، وغير ذلك من المسائل الفلسفية والاجتماعية كمسألة تعليم احد الصنفين كل ما يتعلمه الآخر أو عدم تعليم البنات ، ومسألة خلق النساء لليوت والعمل فيها والرجال لكسب المعاش ومسألة الحجاب ويرى هؤلاء المتقدمون ان القسم الأول من الخطبة لو كان كالقسم الثاني في الأمور العملية الواقعة من العادات والمعاملات بين الرجال والنساء لكان خيرا وأقيم

وقول ان ما ذكرته الخطية من هذه المباحث نافع ولا بد منه وان كان بعضه خطائي نظرا وبعضه يملأ نفوس كثيرات من حاضرات الخطبة، وانما نفعه أنه يحرك اذهانهم وينبه أفكارهم فتخرج به عقول بعض من مضيق ليس فيه الاصور الزينة والاثاث والرياش الى قضاء واسع فيه كل شيء، وفقى فكرت الواحدة منهم في مسألة من تلك المسائل يكون لها فيها رأي خاص قد يخالف رأي الخطبة وقد يوافق ذلك ضرب من ضروب ترقية الفكر التي يطلبها الرجال المحبون لإصلاح الامة

فم ان القسم الآخر الذي يبحث فيه عن العادات والاخلاق والآداب التي هي مناط السعادة بين الصنفين هو أنفع وأولى بالناية وقد أجادت الخطبة وأفادت بما ألفتته على المستمعات لما من النصلح والمباحث وذكرتهن بما يفضل عنه أكثرهن من أمر الصلة بينهما وبين الرجال وما يجب ان تكون عليه . ولكنه قلما يفيد الرجال فائدة جديدة لأنهم يعرفونه في الغالب لما سبق لكتابهم من الخوض فيه وهم يتفكرون ان يستفيدوا من كتابة المرأة في النساء أكثر مما يستفيدون من كتابة الرجال عنهن . وعسى أن تكثر الفوائد لكل منهما فيما تجود به الخطبة من الخطب والمقالات من بعد ، فإن أول الفيت قطر ، وقليلها لا يقال له قليل

لقد قربت الخطبة مسافة التفاوت بين الرجال والنساء في العقل والفهم كما قربت مسافة التفاوت بين المرأة المصرية والمرأة الغربية . وما قاله أشبه بكلام السياسيين الذين يراعون المصلحة فقط منه بكلام الفلاسفة الذين يتحرون الحقيقة فقط أرادت أن ترفع من شأن صنفها في أنفسهن وأنفس الرجال وان ترغب رجال وطنها في الوطنيات وتفرهن عن الاجنبيات فجاءت من الخطبايات في هذا المقام بما يناسبه وزجروا ان تعيد الكرة فتبحث في مسألة التفاوت بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالبيوت والخطبة والزواج والحياة الزوجية بحث المؤرخ الحكيم ، والاجتماعي الخبير ، وان تكون مستقلة في ذلك غير مقلدة لمن كتب من الرجال في هذه المسائل ولا مستمدة منهم شيئا ، بل من البحث في العادات والاختيار للأحوال ، لعلها تستطيع ان ترشدن الى ما يرقق حجاب جهلن ، فيجمله كبارهم وجوهن ، فيصرن ما بين الرجال وبينهن ، مما يحول دون ما يجب من الألفة والود بينهم وبينهن ،

إذا كانت المشاكلة في الاخلاق والعادات ، والمساهمة في الأهواء والريجات ، معياراً للسواة بين النساء والرجال ، فلما ندوحة لنا عن اقول معاً بأن السواد الاعظم من أهل هذه البلاد لا يزال ذكراً منهم وانهم في مستوى واحد ولذلك يرضى جاهلهم الرجال بما يقتصره نساؤهم كل يوم من بدع التبرج والتهتك ، قد مسن الرجال وفنكت النساء ، فصار جمهور الفريقين في المجانة سواء ، ولذلك نرى الزواج لا يزال كثيراً وإذا نظرنا في المسألة من وجه آخر نرى ان الرجال مهما فسدت أخلاقهم أرقى من النساء عقولاً وأفكاراً وأن المتعلمين والمهذبين منهم أكثر وانه يوجد عدد كثير ينمو عاماً بعد عام قد تفرغ رأيتهم ووجدانهم في الزواج فهم يطلبون فيه حياة إنسانية عالية لا تحصل بمجرد دواعي النسل ومقدماته ولا بالنسل نفسه وهو الغاية الطبيعية الشرعية له وإنما هي عبارة عن حاسة زائدة على الحواس الخمس يدرك بها كل من الزوجين من الانس وسكون النفس وشعور الود والرحمة والاخلاص ما لم يكن يدرك حقيقة قبل الزواج وإنما يشعر كل واحد باضطراب في نفسه يصاحبه علم ضروري بانه لا يزول الا بالسكون الذي يكون بالزواج بعد احكام عقد الزوجية (كما ينال ذلك في مقالات الحياة الزوجية من المجلد الثامن) ولكن المرقين يعرفون من أدرك ذلك وشروطه ومن قيمته ما لا يعرفه من دونهم يعلم هؤلاء المرقون في مراتب الانسانية ان تلك الحياة التي تلمسها فطرتهم لا تنال الا اذا اقترنوا بمن هن على مقربة منهم في الفهم والخلق ومعرفة قيمة الحياة الزوجية فهل يوجد كثيرات من هذا الطراز في نساتنا ؟

ان الشاب من هؤلاء ليبحث السنين الطوال عن فتاة مهذبة الاخلاق ، ذكية الفؤاد ، وان لم تكن ذات جمال بارع ، ولا رزق واسع ، بل منهم من يشترط عدم ذلك ثم هو لا يظفر بمطلبه ، على ان المعراضات (أي للخطبة والزواج) كثيرات في البيوت وفي الشوارع والأسواق ، وقد تعرف الفتاة هي وأهلها الخاطب فيرضون مقامه وعيشته ودينه وأخلاقه ثم يصددهم عن قبول خطبته عادة من اسخف العادات وإن كانوا يظنون انهم لا يكادون لا يجدون صهراً مثله ، ومنهم من يرد خطبته لأن الفتاة لا يعجبها زي ثيابه

ومن هؤلاء من تزوج بعد التحري الطويل في السنين الطوال فلم يكن في

زواجه الاشقياء. أعرف شابا من هولاء رغب عن الزواج زمانا طويلا عرض له في بعض روثائه الاغنياء في الحكومة برغبتهم في مصاهرته فتجاهل ذلك وسعى في الخروج من دائره رياستهم ، فخلجه من العمل فيها مع رد رغبتهم فلم تعاونت عليه الفطرة والعفة ، فلم يربدا من طاعتهما في طلب الزوجة ، فكان من رأيه أن يقرن بنتا متعلمة تكون دونه جمالا ، ومثله أو دونه مالا ، حتي لا ينجبها الا لدلال عليه بجمالها ومالها عن معرفة قيمته ، والنبطة بالاقتران به ، وماذا كان ، بعد الفطر بهذا القران

كان ان تلك الدمية عاملته بالصف والزهو ، وحاولت استعباده لهاها ، وألحت في ذلك الحماة ، ولجت في عتو وفور ، حتى عيل صبره ، ولم ينجم فيها وعظ ولا هجره ، ولم يلق من أهلها الا انصارا لها عليه ، ومفريا لها بسوء معاملته ، والتهم بصلاته وديانته ، فأنشأ يستشيرني في طلاقها وأنا اقول له (٢٧:٣٣) اتق الله وامسك عليك زوجك . ١٩:٤ فان كرهتموهن فسي ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ثم طلقها ولو شاء ان لا يعطيها شيئا لفعل فانها راضية بأن تبرئ من حقها ولكنه أعطى الحق وزيادة لست أحكم على المرأة وأهلها بقول أحد الخصمين فاني كنت واقفا على جميع وقائم القضية اذ كان الرجل يستشيرني في كل شيء فأمره بالحلم والصبر وحسن الخلق مع الثبات على مطالبه الشرعية كستر الرأس والصدر والساعدين والعضدين في حضرة غير المحارم من الاقارب الذين اعتادوا زيارتهم امتثالا للشرع لا اتباعا للفتنة . ولو شئت لذكرت غير هذه الواقعة من أمثالها

أليس عجيبا ان يجهل قدر أمثال هولاء الرجال مم حرص زوجاتهم على تحبيب أنفسهن اليهم والاستئانة على ذلك بالمرأثم والطلسمات ، والبخور والتاجيس والتولات ، وهم يقولون لمن ، غير هذا أولى لكن ، وأدنى الى حفظ تكن ، تبذل بعض عنايتكن ، في تدير أمر بيتكن ، لتكون العيشة فيها راضية ، والحياة ممكن هنيئة ، واعلم ان الخرافات التي جبر عنها بالروحانيات ، لاسلطان لها على نفوس العقلاء ، فاستألتها كاستألتنا بالاسراف في الزينة مما عجز أذواقنا ، وتشتت من نفوسنا . وأنتي لمن يفهم هذا الكلام وتصدقينه ؟ انهن لا يفهمن منه الا انه احتقار لمن ، وميل عنهن الى غيرهن ، ليس النرض من هذا إثبات كون الرجال كلهم مظلومين مع النساء كلان منهن

من لا ترى بعلمها الا محولا في السحر من حانات الأربكة ومواخيرها الى بينها فيق
فيه كأنه ميت لا يمي ولا يتحرك ، الا ان يقول هجرا ، أو يأتي نكرا ، وإنما الغرض منه
بيان ان المهذين لا يكادون يجدون مذبذبات يعرفن قيمتهم وان خيرا النساء عطف وأدبا
ليفضلن في الغالب الجان الفاسقين من الرجال لتصميم إياهن بالطرز والطرس
والتورن (١) على ان حظن منهم بعد الزواج يكون في الاكثر دون حظ فواجر
الاجنيات والوطنيات لانهم في الغالب من الذواقين

ليس بين الرجال والنساء عندنا الآن خلاف كبير في مسألة توسعهم في العلوم ولا في
مسألة مزاحمتهم لهم في الاعمال فاذا كرت الخطيئة في ذلك جاء قبل أوانه وانما اكبر الخلاف
في كون جمهور عظيم من المتعلمين يطلبون حياة جديدة في البيوت فلا يجدونها لذلك
قل الزوج في هذا الصنف وأكثر المتزوجون من أفراد الأغنياء من استخدام
الأوريات ولذلك يتزوج بعض المتفرجين بهن حتى صار في مصر احتلالا لاجنبيات
- فأكالت الخطيئة - أحدهما في المواقع العسكرية وثانيهما وهو أشأهما في البيوت
قالت ان الرجال يخطئون في إناطة فساد النساء بالتعلم وحتم ان يفيطوه بالترية
وقالت انه لاصلة بين التعليم والترية الا في تعلم الدين . قد أحسنت في جعلها أمر
الترية أهم من أمر التعلم ولكنها افتأت علينا بما نسبته اليها فاننا نشكو من فساد
الترية أكثر مما نشكو من فساد التعلم وقلته . وليس الاضمال بين الترية والتعليم
بالمقدار الذي ادعته فان التعليم الصالح يمد الترية الصالحة ويغذيها وهي الاصل في
الصالح فيمكن ان يكون الامي صالحا بحسن الترية ولكنه لا يبلغ مرتبة من ربي
وتعلم . وأما من تعلم ولم يترب على الاعمال الصالحة فيكون شرا من الجاهل الذي لم
يؤخذ بالترية لانه يكون أعلم بوجوه الشر وأجرأ على العمل بها

إذا لا بد من تربية البنات وتعليمهن ليحسن ادارة بيوتهن ويكن قرة عين لأزواجهن
في انفسهن وأولادهن (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

(١) تطرز الرجل وطرس تنوق في اللباس فلم يلبس الا فاخرا . ويقال أيضا

طرس في الطعام إذا تنوق فيه . وتورن أكثر من التدهن والتعم

الجزية وتجنيد أهل الذمة

جرى الصحابة في فتوحاتهم على جل الجزية التي يفرضونها على أهل الذمة جزاء على حمايتهم والدفاع عنهم وهدم تكليفهم منع أنفسهم وبلادهم أي حمايتهم والدفاع عنها ولذلك كانوا يفرضونها على من هم أهل للدفاع دون غيرهم كالشيوخ والنساء فكان ذلك منهم تفسيراً ويناها لمراد الكتاب العزيز منها . وكان العثمانيون سموها لأجل ذلك بدل عسكرية

ولما كان من مقتضى الدستور العثماني تجنيد جميع العثمانيين وتكليفهم تعلم الفنون العسكرية وأعمالها لأجل الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وبلادهم التي هي بلاد جميع العثمانيين كان من لوازم ذلك وضع الجزية أو بدل العسكرية عنهم وهنا مسألتان يظن الجاهل بحقيقة الشريعة الإسلامية وأصولها أن الدستور مخالف لما فيها إحداهما أنه لا يجوز تكليف أهل الذمة الدفاع عن أنفسهم ولا عن البلاد التي يقيمون فيها مادام للمسلمين ولاية عليها . والثانية أن الجزية فرض لازم لا يجوز وضعه بحال

فاما المسألة الأولى فيصح أن يقال فيها أننا لا نعلم أنه لا يجوز تجنيد أهل الذمة إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك برأي أهل الشورى فإن المصلحة العامة هي الأصل والأساس للحكومة لا تترك لتغيرها وإنما يترك غيرها لما وقد سبق لنا تقرير هذا الأصل وإثباته غير مرة . على أننا إذا سلمنا جدلاً أنه لا يجوز إكراههم على مساعدتنا على الدفاع عن أنفسنا وأنفسهم وبلادنا وبلادهم قلنا أن قول ابن أمير التجنيد لا ينفذ إلا بعد أن يقرره مجلس النواب العام الذي اشتركت فيه وإياهم في انتخاب أعضائه وجعلناهم وكلاء عنا ليقروا ويضعوا القوانين التي تقوم بها مصلحة الجميع وهذا ينافي كون التجنيد بالإكراه وإن كره بعض رؤساء الدين المتصين منهم فإن هؤلاء الرؤساء ليسوا نواباً عن أهل دينهم في وضع القوانين

وأما المسألة الثانية فيدل على الحق فيها هذه النصوص التي نقلها عن رسالة الشيخ شبلي النعماني العالم الشهير نشرت في أواخر السنة الأولى من المارح حق فيها ما ذكرناه من كون الجزية جزء الحماية والدفاع وأورد في الاستدلال على ذلك هذه النصوص المروية قال :

ولمك تطالبني بإثبات بعض القضايا المنطوية في هذا البيان أي إثبات أن الجزية ما كانت تؤخذ من الذميين إلا للقيام بحمايتهم والمدافعة عنهم وإن الذميين لو أدخلوا في الجند أو تكفلوا أمر الدفاع لغوا عن الجزية فإن صدق ظني فاصنع إلى الروايات التي تعطيك الثلج في هذا الباب وتحسم مادة القيل والقال .

(فنها) ما كتب خالد بن الوليد لصوبا ابن نسطونا حينما دخل الفرات وأغل فيها وهذا نصه : « هذا كتاب من خالد بن الوليد لصوبا ابن نسطونا وقومه أي عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة وامنناكم (أي حميناكم) فلكا الجزية والأفلا . كتب سنة ثلثي عشرة في صفر » (ومنها) ما كتب نواب العراق لأهل الذمة وهالك نصه « براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليه خالد والمسلمون . لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقرتم بالجزية وكنتم . أمانكم وأمان وصلحكم صلح ونحن لكم على الوفاء » . (ومنها) ما كتب أهل ذمة العراق لأمراء المسلمين وهذا نصه « انا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد على أن يجمعونا وأميرهم البني من المسلمين وغيرهم » (ومنها) المفاولة التي كانت بين المسلمين وبين يزيد بن مكرم فارس حينما وفدوا على يزيد بن مكرم وعرضوا عليه الاسلام وكان هذا في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان من جملة كلام نعمان الذي كان رئيس الوفد « وان اتقيتمونا بالجزء قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم » . (ومنها) المفاولة التي كانت بين حذيفة بن عاص وبين رستم قائد الفرس وحذيفة هو الذي أرسله سعد بن أبي وقاص وافدا على رستم في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان في جملة كلامه « أو الجزاء ونمنعكم ان اجتمعتم إلى ذلك » فانظر إلى هذا الروايات الموثوق بها كيف تآلفوا بها بين الجزية والمنعة وكيف صرح خالد في كتابه بأننا لا نأخذ منكم الجزية إلا اذا منعتكم ودفعنا عنكم وإن عجزنا عن ذلك فلا يجوز لنا أخذها

وهذه المقاولات والكتب بما ارتضاها عمر وجعل الصحابة فكان سبيلها سبيل المسائل المجمع عليها - قال الامام الشامي وهو أحد الائمة الكبار أخذ « أي سواد العراق » ضوة وكذلك كل ارض الا الحصون فجلا أهلها فدعوا الى الصلح والذمة فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء ولم المنعة وذلك هو السنة كذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة »

ولا نظن أن شرط المنعة في الجزية انما كان يقصد به مجرد تطيب نفوس أهل الذمة واسكان غيظهم ولم يقع به العمل قط فان من أمر النظر في سير الصحابة واطلع على مجاري أحوالهم عرف من غير شك انهم لم يكتبوا عهدا ولا ذكروا شرطا الا وقد عضوا عليها بالتواجد وافرغوا الجهد في الوفاء بها وكذلك فعلهم في الجزية التي يدور رحي الكلام عليها - فقد روى القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج عن المكحول انه لما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وحيونا للمسلمين على اعدائهم فبعث أهل كل مدينة ورسلم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعا لم ير مثله فأتى رؤساء أهل كل مدينة الامير الذي خلفه أبو عبيدة عليهم فأخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن خلفه أبو عبيدة الى ابي عبيدة يخبره بذلك وتتابعت الاخبار على ابي عبيدة فاشتد ذلك عليه وحل المسلمين فكتب أبو عبيدة الى كل وال من خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما يجبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم أن يقولوا لم انما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع وانكم قد اشرطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كان يتنا وينكم ان نصرنا الله عليهم فلما قالوا ذلك لم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا « ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شيء بقي حتى لا يدعوا شيئا »

وقال العلامة البلاذري في كتابه فتوح البلدان - حدثني أبو جعفر الدمشقي قل - حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجوع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة البرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من

الخراج وقالوا « قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم » فقال أهل حمص « لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والفسم ولندفن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود وقالوا والترواة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد فأغلقوا الأبواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا إن ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد

وقال الصلاة الأزدي في كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين وسير أبي عبيدة بن حمص « فلما أراد أن يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينبغي لنا إذ لا نغضبهم ان نأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ولا نرجع عنه إلا أن نرجعوا عنه وانما رددنا عليكم أموالكم لأننا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم » فلما أصبح أمر الناس ان يرتحلوا الى دمشق ودعا حبيب ابن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرد عليهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون « ردكم الله الينا ولعن الله الذين كانوا يملكونا من الروم ولكن والله لو كانوا هم ماردوا الينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا » وقال أيضا يذكر دخول أبي عبيدة دمشق « فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين وأمر سويد بن كثوم القرشي ان يرد على أهل دمشق ما كان اجبي منهم الذين كانوا آمنوا وصالحوا فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم المسلمون نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم ونحن معيدون لكم أمانا » ،

اما ما ادعينا من ان أهل الذمة اذا لم يشترطوا علينا المنعة وأشاركونا في الذب عن حريم الملك لا يطالبون بالجزية أصلا فمعدتنا في ذلك أيضا صنيع الصحابة وطريق علمهم فانهم أولى الناس بالتنبه لغرض الشارع وأحقهم بأدراك سر الشريعة « والروايات في ذلك وان كانت جمة ولكن نكتفي هنا بقدر يسير يقتضي عن كثير (فنها) كتاب العهد الذي كتبه سويد بن مقرن أحد قوادعمر بن الخطاب لرزبان وأهل دهستان وهاك نصه بيته « هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان حول ابن رزبان وأهل

دهستان وسائر أهل جرجان ان لكم الذمة وعلينا المنعة على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معوته عوضا عن جزائه ولم الاثمان على انفسهم وأموالهم ومالهم وشرائعهم ولا يغير شي . من ذلك شهد سواد بن قطب و هند بن عمر وسماك بن عكرمة وعتيبة بن النحاس وكتب في سنة ١٠٨ هـ « طبري » ص ٢٦٥٨

ومنها الكتاب الذي كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب وهذا نصه :
« هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشها وشفارها وأهل ملها كلهم الا ما نف على انفسهم وأموالهم ومالهم وشرائعهم على ان يؤثروا الجزية على قدر طاقتهم ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك اه (طبري صحيفة ٢٦٦٢)

ومنها العهد الذي كان بين سراقه عامل عمر بن الخطاب وبين شهر براز كتب به سراقه الى عمر فأجازته وحسنه وهلك نصه :
« هذا ما أعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الاثمان أصناما ما لا انفسهم وأموالهم وملكهم أن لا يضاروا ولا ينقضوا وعلى أرمينية والأبواب الطراء منهم والتناء (١) ومن حولهم فدخل معهم أن يغفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر نائب أولم ينف وآه الوالي صلاحا على أن توضع الجزاء عن أجاب الى ذلك ومن استغنى عنه منهم وقصد فلي مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء فان حشروا وضع ذلك عنهم ، شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضي بن مرقن و شهد اه (طبري صحيفة ٢٦٦٥ و ٢٦٦٦)

ومنها ما كان من أمر الجراجة وقد أتى العلامة البلاذري على جملة من تفاصيل أحوالهم فقال حدثني مشايخ من أهل انطاكية ان الجراجة من مدينة على جبل لكاه عند مدمن الزاج فيما بين يامس و بوقا يقال لها الجرجومة وان أمرهم كان في

(١) الطراء الغرباء الذين يملكون جمع طارئ والتناء المقيمون

استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية وواليها فلما قدم أبو عبيدة انطاكية وقتلوا مدينتهم وهوا بالحق بالروم إذ خافوا على أنفسهم فلم يتنبه المسلمون ولم ولم ينهبوا عليهم ثم ان أهل انطاكية قضا وغدوا فوجه اليهم أبو عبيدة من قضا ثانية وولاهما بعد قضا حبيب بن مسلم الفهري فنز الجرجومة فلم يقاتله أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وعبودا وسالحو في جبل الكام وان لا يؤخذوا بالجزية ، ثم ان الجرجومة مع انهم لم يوفوا وقضا العهد غير مرة لم يؤخذوا بالجزية قط حتى ان بعض العمال في عهد الواثق بالله العباسي ألزمهم جزية ودوسهم فرضوا ذلك الى الواثق فأمر باسقاطها عنهم اه

(المنار) فقط المنع في هذه الكتب واليهود معناه الحماية كما اشرنا الى ذلك في

رواية منها

التعصب الديني في أوربا

تهم أوربا أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة بالغلو في التعصب الديني الذي يفضي الى إيذاء الخالف في الدين او المذهب وغمط حقوقه . وقد كتبنا في المجلد الأول من الماتريقات بينا فيها ان مهد التعصب هو أوربا وان الشرقين عامة والمسلمين خاصة لا يلبثون من أوربا ولا صاعها ولا يردوها ولا مترها في التعصب . وحسبك انما اكرهت جميع من كان فيها من الوثنيين ثم من المسلمين على التصراية الا من هاجر وترك أرضه وماله من حيث بقيت جميع الاديان في الشرق لا سيما الممالك الاسلامية منه . ثم لئلا سفكت من الدماء الغزيرة لاجل الخلاف في المذاهب التصراية نفسها ما لم يعرف له نظير في الشرق . وقد اقبلت فيها طبيعة الاجتماع بالعلوم والأعمال الدنيوية وكثير الملاحدون واعطت أكثر الحكومات الاوربية الحرية كلها في كل شيء ولم يقو ذلك كله على محو التعصب الديني لامن مثل روسية التي لا تزال حكومتها نفسها متعصبة فقط بل من مثل انكلترا العريضة في

الحرية . وقد قتل الينا البرق والبريد في هذا العام ان الحكومة الانكليزية لم تمكن الكاثوليك من القيام بتقاليدهم الدينية في عيد الفصح - وجاء البرق في هذه الايام بأن تلاميذ المدارس البروتستانت والكاثوليك في ليفربول قد تناجروا فيها تاشجرا ادى الى إقتال الحكومة خمسين مدرسة منها وان مهاتهم شاركهم في هذا الجهاد الديني . وقد نشر في جريدة الاخبار أحد الكتاب مقالة في ذلك فكهة هذا نصها :

﴿ التعصب الديني الانكليزي ﴾

« هل السر غير السكار »

جاء في نيا برقي من لندن انه أقفلت خمسون مدرسة في ليربول لوقوف مشاجرات بين أولاد البروتستانت والكاثوليك اشتركت أهمتهم فيها فاذا فرضنا ان في كل مدرسة من هذه المدارس ١٠٠ تلميذ نصفهم مناهلون والنصف متعصبون فيكون عدد الذين اشتركوا في هذه المعركة - على أقل تقدير - ألفي تلميذ من صميم الناشئة الانكلوسا كسوية . أما أسلحتهم فألها « البوكس » الانكليزي وثانيها « الرفس » بالجزم الانكليزية وثالثها المضاربة بأدوات المدارس من ألواح الوردواز والبراجل والمقاشط والمساطر وغيرها مما لا نغز منها جعبة تلميذ ولا بد ان حضرات الأمهات المتدينات المتعبدات المتقيات من طائفة البروتستانت حملن معهن الى هذه المعركة ما وجدنه امامهن من أحذية قديمة وأرجل كرامسي ومقشاة وزجاجات فارغة . كما حملت بعض الكاثوليكيات الايقونات والصلبان تبركا وذخيرة لهذه الحرب الدينية المقدسة

ومع ان النبا البرقي لم يأتي بتفصيل واف عن أسباب هذه الحركة الصيانية الملية التعصبية فانه لا شبهة في انها نشأت إما عن تفار مذهبي أو عن جدال ديني احتدم بين هؤلاء الصغار فازدري به المدرسون لما هو مشهور عن أكثرهم من التباعد عن التداخل في كل أمر غير الغرض المدرسي

أما الأمهات المصونات فالراجح انهن أتبن لمساعدة أولادهن واقادهن من خطر الملاكمة ثم وأبن الحاجة داعية الى المداخلة الفعلية فتضاربن

ولو لم يكن الخطب جللا لما أقفلت ٥٠ مدرسة دفعة واحدة حتى لا يعود التلاميذ الى الخاصة فالقاتلة . وربما كانت العودة داعية الى اشتغال نيران الحقد الديني بين غيرهم من تلاميذ المدارس التجهيزية فالجامعة الذي يبلغ عدد طلبتها ٧٩٠ طالبا لان الككل مقسمون الى بروتستانت وكاثوليك وما أثر في التلاميذ الصغار يؤثر فيهم . وبذلك يعيد الانكليز أيام الحروب الدينية ويرهنون لنا على ان ذاك الرقي المدني المائل وحفظ أثمارا كسير وامتلاك المستعمرات التي لاتغيب عنها شمس لم ينفع في تربية الاخلاق وان دعوى اللورد كرومر بأن بلاد الشرق عامة ومصر خاصة مهبط التعصب الديني دعوى يكذبها اليوم فعل أبناء لفربول الذين نجحهم الجامعة الوطنية ونضمهم مدرسة واحدة ولم يحضر منهم أحد الى مصر ليتلقى دروس التعصب من المسلمين والاقباط

واذا كان صغار الامة عنوان كبارها وصورة لآخلاقهم فلا حراء في ان هؤلاء الانكليز يحملون لبعضهم من الاحقاد الدينية اثقالا مثقلة . لان تربيتهم اليتية والمدروسة متشابهة وما يتعلمونه مع شاي ليتون ووسكي بوكاتان هاو هناك مساوئاما لما يتقنه صغار لفربول الذين لم يكادوا يشبون عن الطوق حتى عرفوا كيف يتعصب فريق منهم للوثير وفريق للقدس بطرس والفضل في ذلك راجع الى السيدات المذهبات اللاتي لا يكتفين بحقوقهن بل يطالبن بأن يكن مساويات للرجال في حق الانتخابات السياسية

ولا يقتصر التعصب على هؤلاء الانكليز من الامم التي فطنتها أرقى مناطبات وأفضل اخلاقا بل يشترك فيها الفرنسي والايطالي والالمانى والرومي -- بنوع أخص -- فاذا دوست أخلاق أحدهم نجده يقطر تعصبا دينيا جنسيا وان لم يكن متدينا وذلك بحكم المعاشرة والروابط الاجتماعية واليتية

فالتعصب صفة من صفات الانسانية لم يقو العلم ولا التربية على استئصال شأقتها من النفوس . وربما متاومات أبنائنا واحفادنا قبل ان نصل الى درجة ننسى فيها التعصب

(أحد التعصبين)

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لياضي ﴾

٥

بقية بحث احاديث الاحاد وكونها من اصول الدين

قال في الاعتراض الثالث من هذه الكلمة فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات مما لا يخفى على احد فساد ذلك - الى قوله - وربما اذا نأ ذلك الى التسلسل أو الدور في البرهان

واقول ان هذه مخالطة من الفاضل ايضا اذ لا يلزم ذلك الا اهم الا اذا كان المعدل والجرح لغيره هو المعدل لنفسه اما اذا كان المعدل والجرح قد عرفت عدالته بالاجماع ونقل هذا الاجماع بالاجماع او بما يقاربه كالتواتر بل لو قلت عدالته باسناد آخر فلا فساد ولا يلزم شيء مما ذكره الفاضل

وقوله ان اكثر هذه الروايات مقتضبة الى آخره . فجوابه انهم (رح) يروون ما تلقوه على نحو ما يسمعون فما كان له سبب ذكره وهو كثير انما قد يترك بعضهم ذلك لسبب ومناسبة حيث لم ير لذلك ضرورة . ولذلك تراه في موضع آخر يترك السبب والمناسبة وقل ان يملوا ذلك . واما ما كان يلقيه عليهم (ص) بما يشبه التعليم والتشريع العام فلا يلزم ان يطلب له سبب واكثر الاحاديث وآيات الاحكام كذلك فلا محذور

أما قوله وقد ايدنا فيه الاستاذ الكبير العلامة المحقق صاحب المنار الاغرف نقول فيه ان كان يعني ما كتبه شيخ الاسلام المذكور على اثر ما كتبه اخونا العلامة خاتمة المحققين رفيق بك المظف حفظها الله . فنحن قد رأينا ذلك ولم نر فيه تأييدا للحضرة

الدكتور الفاضل وغايته ان يكون رجح ان ما كتبه المجهيون لم يدغم الشبهة تماماعلى ان حضرة العلامة المحقق رفيق بك العظم حفظه الله انما ذكر تاريخ الكتابة عند العرب وبين بعض حالاتها في الاسلام وذلك في خطبة ألقاها وانطلب لا نحتمل الاستقصاء في الاستدلال او ان يغاس فيها وواء عو يصات المسائل .

وقول أيضا قد عرفت مما كُتِبَ سابقا وما قدمناه حال الصحابة (رض) في الرواية عن رسول الله (ص) وانهم كيف يروون عنه (ص) وعرفت انه كيف كان بين لم وعرفت ان حفظهم لما رويوا عنهم ليس بالمستبعد وأن الكثيرين منهم وغير الكثيرين قد كتبوا في حياته أو استكتبوا وهم لم يزالوا يكتبون بعد وفاته ما فات بعضهم عن البعض الآخر . والفاضل الدكتور هو ان قدر ان يثبت كراهية بعضهم فبولا يستطيع بين علة منصوصة لذلك غير ما ذكرناها عنهم في رسالتنا السابقة . وقلنا ان من كره ذلك قائما كره ان يكتب رأييه اما احاديث النبي (ص) قد كتبها كثير منهم بجرأى ومسمع منه (ص) ومنهم (رض) فلم ينكر (ص) ذلك ولاهم انكروا ذلك . ولم يثب بعضهم ما عند البعض الآخر بالاحراق وغايته ان بعضهم اتلف مکتوبات نفسه ورأييه وهذا بخلاف فلهم باقرآن الذي كان عند بعضهم غير ما اجمعوا عليه . وبذلك يظهر ظهورا لا غبار عليه ان كتابة الحديث لم تكن في مقدمتهم مكروهة مطلقا وحاشاهم من ذلك — قد كان الخلفاء الاربعة (رض) وغيرهم من كبار الصحابة (رض) اذا وقعت واقعة ووجدوا فيها حديثا عن رسول الله (ص) لا يبدلون به سواء بل يحكون بمقتضاه ويحفظونه ويكتبونه في رسائلهم الى عسالم فكتابة الحديث بالصفة التي ذكرناها كانت من علمهم ومما أجمعوا عليه فعلا وقديرا وغاية ما يثبت عن بعضهم انه كره كتابته في كتاب واحد لا يرجع الى سواء ويكون مربنا كما كتب القرآن يعمل به الناس ويتركوا ما لم يكن فيه . — على انهم قد عزموا على ذلك وكان ميل أكثرهم الى الفعل ومن كره ذلك قائما كرهه رجوعا بعد المراجعة على الكتابة ومع ذلك هو لم يكرها ويتركها لأجل ان الحديث شرعية موقفة ولم يستدل على الترك بما يدل على انه فهم ان الأحاديث شرعية موقفة كما بينا ذلك في رسالتنا السابقة — وهم قد صرحوا بانهم لم يتركوا كتابة الحديث بالصفة

المذكورة الا خوف الالتباس بالمصحف وبعضهم لم يقل الاجردوا القرآن
فالأصل الذي بني عليه الفاضل الدكتور مذهبه انما هو احتمال من عنده
وغلن توهمه لم يسبقه الى تخيله أحد من اتباع محمد (ص) بل قولهم وعلمهم وأمرهم
يتناقضه مناقضة التقيض وتناقضه وما هذا حاله لا يصح فرضه — على انه لو لم يوجد
عنده ما يتناقضه فلا يصح ان يجعل مثل ما هذا حاله أصلاً لخالفته نصوص القرآن —
بل لو لم يوجد في القرآن ما يتناقضه فلا يصح كذلك لخالفته ما يوجب العقل للرسل
صلوات الله وسلامه عليهم — ولو تناقضنا عن ذلك كله فغاية ان يكون احتمالاً من
جلة احتمالات قاله غير معصوم خالف اجماع المسلمين والله جل شأنه قد ذم من
يتبع غير سبيلهم وتهدهد — فإرايك باحتمال هذا حاله كيف يقول عليه أم كيف
يسوغ للصنفين الاعتماد عليه والمفاضلة دونه وهو على كل تقدير ومهما فرض فاسد
مدفوع . فهذا بعض ما قوله في شبهة الفاضل في عدم كتابة الحديث وقد ذكرنا
بعض أدلته في رسالتنا السابقة والمقام جدير بالاطالة ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن
يريد الله له الهداية

اما من بعد الصحابة من رجال الأسانيد والأئمة المحدثين الذين رووا عن
الصحابة (رض) وروى عنهم من بعدهم من الأئمة كذلك فهم الذين كتبوا
الأحاديث واجمعوا على كتابتها وكانوا كلهم رحمهم الله يكتبون وكان المحدثون (رح)
يكتبون كل مروي عنهم عن الشيخ حين الدرس يكتب ذلك الطلبة كلهم ويقابلون
ويصححون على الشيخ أو من كتابه كل ذلك يكون بنائية الاحتياط مع كمال
الفتح والتقيق عن كل راو وعن كل ما يحدث به

فان قيل اذا كان الامر كذلك لم تكن جميع الاحاديث بقول الجوع والتواتر —
قلنا ان الاحاديث الصحاح هي هكذا في نفس الامر ودليله تقيهم ذلك
بالقبول — وسبب كونها آحاداً انما هو لان أهل الكتب المعتبرة لا يشترطون الا ما يرويه
الاثبات الضابطون ومن سواهم لا يروون عنه ثلاً يفتقر به من لم يعرف حاله قائداً
لمن روى عنه — ولانهم يختارون الاختصار فلذا وذلك كانوا يختارون في مصنفاتهم
الأمثل من الأسانيد ويتركون ما سواه — ونحن قد قلنا انهم لو اختلفوا طريقة

التواترية لكان كل حديث أو أكثر الأحاديث متواترة في أكثر الطبقات فليتأمل الناظر . وإن أراد مصداق ما ذكرنا فليقرض أي حديث مما اتفقوا على صحته ثم ليقيم طريقة في كتبهم فلا نشك أنه حينئذ يوافقنا على ما قلناه - على أنه إن وجد في أثناء سنده تفرد واو فذلك الراوي لا بد وإن يكون ممن أجمع على حفظه واعتباره وكاله وضبطه بالكتابة ورب رجل يعدل رجلا فذكر

قال حضرة الفاضل في الكلمة الخامسة ما مؤداه ان المسلمين خالفوا القرآن بإيجابهم العمل بالأحاديث الى آخره - واستدل ببعض آيات في ذم الظن الذي أجبنا عنها في رسالتنا السابقة وزيادة على ذلك قول قد قدمنا في هذه الجملة المختصرة الأدلة القطعية على ان أخبار الآحاد ليست مما تفيد الظن قطع بل هي تفيد اليقين أيضا - فلا بد للفاضل ان يتقضى ذلك أولا بأدلة أصح مما سقناها - ثم لا بد له من أدلة جديدة تدل على ان جميع أحاديث الآحاد الثقات الضابطون الذين تطبق عليهم شرائط أهل الحديث لا تفيد العلم ولو لبعض الناس - ثم لا بد له من دليل يدل على ان المراد بالظن في هذه الآيات ما يرى أنه الظن الراجح - وبدون ذلك لا يصح ولا يتم له الاستدلال بهذه الآيات على رد العمل بالأحاديث - نحن لا نرى ان هذه الآيات مما تدل على ذم العمل بالأحاديث ومن أراد ذلك منها قد حملها مالا تحمله - لأن من تفكر في هذه الآيات وامن النظر فيها اشتملت عليه مما سماه الله ظنا فيها براه لا محالة إنما هو مما يسميه الناس في زماننا هذا بالشك فالقرآن إنما ينم ما يكون بمرتبة الشك بل بمرتبة الوهم والغرض قوله تعالى «سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءونا ولا حرمانا من دونه من شيء» هو استدلال منهم بالمشية والقضاء والقدر الذي لم يعرفوا سره ولا ماهو ولا آمنوا به على رد وانكار دين الله وشرعه وعلى تكذيب رسوله (ص) فكأنهم يقولون ان كل ما فعلناه هو حسن ودين مقبول عند الله حتى الغصب والسرقه وقتل النفس التي حرم الله الى غير ذلك مما يقوله اخوانهم الجبرية اليوم فهل يصح هذا الاستدلال؟ وهل هو ظن راجح؟ وما المرجح؟ وهل أخبار

الفتات الضابطين مثل ما ذمه الله عن المشركين في هذه الآيات ؟ وما لم تحد
علة ويعلم انتفاء المانع لا يصح القياس

والفاضل حفظه الله كثيراً ما يستدل بهذه الآية ونحوها على رد وزم العمل
بالاحاديث الصحاح في زعمه . وقد سبقه الى الاستدلال بها على ذلك الخوارج .
واستدل بها بعض العلماء على رد القياس المساوي والاوولي وبضمهم على رد وجوب
الاخذ بالصومات القرآنية مطلقاً أو الذي قد وقع فيها تخصيص أو احتمال وعلى رد
الاخذ بالاستصحاب وعلى رد الاجتهاد بنرجيع احد الاحتمالين الراجح . واستدلالم
على ذلك اظهر من استدلال الفاضل على ما نحن بصده فليسلم بما هو اولى من
استدلاله . فان سلم لزمه القول بان ما سوى المنصوص في القرآن ليس من الدين
مطلقاً ولا يجوز العمل به . وعليه فلا ندرى ماذا يقول في الوقائع التي لم ينص عليها
القرآن . انه مما يريد ان يقول فيها فالحديث اولى من قوله ورأيه . واقرب الى العلم
واليقين منه . والا لزمه ان الدين ناقص غير كاف لفصل كل ما وقع

وقول ان ما استدلل به هؤلاء المشركون قد سماه الله ظناً وذهم عليه . واذا
كان الفطن يطلق على الراجح من الاحتمالين وعلى المتردد بينهما على السواء وهو
الشك وعلى ما هو دون ذلك كالوهم والحزر والحرص ونحوه فهو مشترك لفظي
اتماً يدل على ما يراد منه بقرينة على الراجح ولما كانت هذه المعاني متفاوتة
ومختلفة الحقائق فلا يصح ان يقاس هذا منها على ذاك الا اذا استكملت شروط القياس
كاتحاد العلة وان لا يكون في المقيس او المقيس عليه وصف يصلح ان يناط به حكم
غير الحكم الذي يراد ان يطرد فيها مع عدم المانع كذلك . ومن صحح النظر فيها
ذمته هذه الآية يرى انه لا يصح قياس الاحاديث الصحيحة عليه بوجه من الوجوه
مطلقاً وكذلك الصومات والقياس والاستصحاب ونحوه كل ذلك لا تدل الآية على
ذمه . وهذه لا تملأ بل هي مرتبة واعلاها نص القرآن ثم نص الحديث وهذا
الثاني مقدم على العموم مطلقاً وقيل على العموم الذي قد تفرقة الاحتمال وليس
شيء من هذه الاشياء من الفطن المذموم حتى عند من يجعل كل ذلك من الفطن
لان كل ما ذمه الله تعالى من الفطن في غير هذه الآية من كتابه قائما هو شقيق ما

ذمه في هذه الآية ولئلا يدخل في ذلك الظن الراجح كالتباس وما ذكرناه بعده ونحو ذلك ايضا قوله تعالى « ان بعض الظن اثم » أي بعض الظن الذي هو بمثابة ظن المشركين غير المستند الى حجة ترجحه فهو اثم لانه من ظن ضعفاء المقول الذين ليس لديهم علم وبصيرة وانما هم يغرصون بالحزر والوهم الكاذب ومفهوم الآية ان البعض الآخر أي كالظن الراجح ونحوه ليس كذلك وجنح قول إما ان يجعل الظن مراتبلا يتناول حكم احداها الاخرى وذلك مثل ما قلنا سابقا أو يجعل كالمتراطي في افراده وهذا مع ضعفه فالظن الراجح مستثنى كما عرفت ايضا ، وإما ان نجعل كل ما هو نظير ومثيل ما ذمهم عليه هو الظن وكل ما كان مدركه أقوى عما ذكره الله عن المشركين وذمهم عليه هو من العلم وعلى كل تقدير فاستدلال الفاضل الدكتور بهذه الآية ونحوها على ذم الصل بالأحاديث الصحاح قاسد فاذمه الله عن المشركين في واد الأحاديث في واد آخر . وبما ذكرناه تتحل عقدة الاشكال التي كثيرا ما تورد مثل هذه المسائل فتأمل ذلك واشكر الله على افضاله

قال اخونا الفاضل وقد أقر الاستاذ الفاضل الشيخ الياضي بان الظن انما يلزم اذا عارضه به الامر القطعي . ثم رد علي بأني ومن علي مذهبي كثيرا ما اعارض نصوص القرآن الشريف الصريحة واخالفها لاجل الأحاديث الأحاد . الى قوله واليك بعض الامثلة على ذلك .

وأقول في الجواب قد قدمنا الكلام على آية الوصية للوالدين والاقربين الوارثين . وهنا قول للاخ المكرم حفظه الله ان تجوز معارضة نص القرآن بالحديث الصحيح لم يقل احد من المسلمين به فيما اعلم والحقير لا يقول به أيضا هذا فصل (الثاني) ان من جوز نسخ القرآن بالسنة متواترة كانت او مشهورة او آحادية لا يلزمه ان يقول بوقوع ذلك فضلا (الثالث) ان من يجوز نسخ القرآن بالحديث الصحيح هو لم يعارض به نص القرآن وانما اذا صح حديث عن رسول الله (ص) متأخر عن نزول آية ولم يمكن التوفيق بينهما فالمعارضة انما هي بين الحديث واستمرار الحكم أي بقائه او عومله واملاقه وقد اختلف في الاول كبار العلماء (روح) وقد قدمنا بعض الكلام على ذلك اما الثاني واثالث قد قل بجهلنا ووقوعه الجمهور لكن قال شيخنا

ابن القيم رحمه الله مع تجوز التسخ بجميع اقسامه ما معناه ان كل ما يظنه الناس معارضة بين السنة والقرآن فليس الامر كما يظنون بل لا بد ان تكون السنة مينة لآية من القرآن هي في الحقيقة ناسخة او مخصصة لما يظن منه أن السنة خصصته او قبلته وعلى كل تقدير فهل العلم كلهم متفقون هؤلاء وهؤلاء على انه لا يجوز اجمال وإلقاء شيء مما صح عن النبي (ص) سيان من جوز وقوع المعارضة ومن التمس لها موافقة من آيات الكتاب العزيز لان المرمى والمخط واحد

قال الاخ الفاضل حرموا اكل الحر الاهلية للحديث مع ان الله يقول « قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآفة » ويقول « انما حرم عليكم الميتة والدم » الآية الخ واقول ان الحصر في هاتين الآيتين قد عارضته آيات أخرى في القرآن نفسه (« واذا اخذوا الطعام المحرم اعم من لحم الحيوان فالمعارض اكثر ») وحينئذ إما ان يقال الحصر منسوخ او مخصوص بوقت نزولها وكلا التقديرين مخالف للمذهب الفاضل لعدم تجوز التسخ أي وقوعه ، ولقوله ان الخصوص بوقت دون وقت لا يكون في القرآن وانما يكون في الحديث لانه أي الحديث شريعة موقفة بزعمه وهو هنا لا يحصى له من التزام أحد الاحتمالين رضي ام ابي

ثم قول اذا كان الحصر منسوخا أو مقيدا بمجن النزول فلا يكون الحديث المذكور معارضا لنص القرآن المحكم بلا خلاف وانما هو من باب الزيادة على ما في القرآن او ما سكنت عنه ومن لا يجوز ذلك فقول غير مؤيد بحجة ولا شبه حجة على أنا نقول ان الله حرم الخبائث والخبث في القرآن كما حرم الاتفاق منه فلم لا يجوز ان يكون لحم الحر الاهلية من ذلك والحديث ميين لما اجملت تلك الآيات وبذلك يندفع الاعتراض من اصله

قال الفاضل قالوا بحرمة الذهب والفضة والحرير للاحاديث التي رووها والقرآن يقول « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » الآية قلت وليس الامر كما أطلق وأهل الحق (رح) لم يحرموا الا الاكل والشرب في آية الذهب والفضة وعلى الرجال ليس الذهب في غير السلاح والحرير الخالص لتغير الضرورة

والآية ليست نصاً في تحليل ذلك بل لم يذكر فيها شيء من ذلك بخصوصه وكان سبب نزولها في زينة مخصوصة حرماً المشركون وهي سترانودة فكانوا لا يميزون بل يحرمون سترها عند الطواف وكانوا يحرمون بعض الرزق الطيب فأمر الله عباده المؤمنين أن يأخذوا زيتهم عند كل مسجد وأن يأكلوا ويشربوا من الطيبات من الرزق ونهاهم عن الاسراف في الامرين أي اللباس والاكل والشرب ورد على المشركين بأن قال لئيه (ص) قل لم أي أسئتم من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية فالآية لا يمارضها الحديث لما عرفت ان ما أحل لنا من ذلك هو مقيد بلم الاسراف وأيضاً قوله « من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » المراد بالزينة فيه الزينة التي أمرهم بأخذها عند كل مسجد وتلك معلومة لدى المخاطبين (رض) لم تكن هي ذهباً وفضة ولا حريراً ، على ان ماسوى الاكل والشرب في آية التقدين من كل استعمال لما ذكره جائز للنساء ومن ممن يدخل في الخطاب وأيضاً كل ما يطلق عليه لفظ الزينة لا يمكن الدكتور ان يجوز له لكل أحد بلا قيد ولا نفعه يجوز للرجال لبس النساء ولا العكس مطلقاً واذا كان الامر كذلك فكان الاولى به ان لا يعترض علينا بهذه الآية في الاحاديث لاسيما وقد عرفت ان آخر الآية انما هو مبني على ما ذكره في اولها

ان من يمارض الاحاديث ويحل كل ما يطلق عليه لفظ الزينة بهذه الآية قوله أشبه شيء بقول من يجوز أكل وشرب وتناول واستعمال كل ما على الارض وكل ما يخرج منها بقوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً » الآية فكما ان هذا لا يصح تحليل استعمال كل زينة بكل صفة لا يجوز مثله والآية لا تدل عليه قال حرموا ان تتكح المرأة على عمتها وخالتها وخالفوا قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » الى قوله بعد ان ذكر سائر المحرمات وليس من ينهن المرأة على عمتها أو خالتها . وأقول هذه الآية قد دندن حولها الخوارج وأطالوا بما لا طائل نفعه وقد خالفوا اجماع من تقدم عليهم علماً وفضلاً وخالفوا نصوص رسول الله (ص) والنبى (ص) قد حذر منهم وذمهم وقال انهم يعرقون من الدين استدلوا بنصوص قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » وهو غير مراد على اطلاقه لوجود نصوص

القرآن بتحريم محرمات لم تذكر في هذه الآية كالمشركة وزواج الأمة لمن يقدر على زواج الحرة والزانية والملاعنة والمطقة ثلاثا حتى تنكح زوجا غيره - والعقد بالريية قبل ان يطلق أمها ويدخل بها على خلاف في ذلك بين العلماء كما اختلفوا في المشارية في قوله « ما وراء ذلك » وقد اختلفت طرق أهل العلم في الرد عليهم . ونحن إذا ناقشناهم الحساب قلنا لم ان الله ذكر ما ذكر من المحرمات منها بها على ما لم يذكره مما أئحدت فيه علة التحريم - وليس المراد الحصر بالعد ، ولا اقامته مقام الرسم والحد ، وبناء على ذلك قول ان الله لم يذكر الجدات ولا بنات الاولاد ولا أم المرضعة ولا بنات الأخت والأخ من الرضاة ولا سائر من يحرم من الرضاة فكما انه لم يصرح بذكر من ذكرناهن وهن محرمات غير داخلات في قوله « وأهل لكم ما وراء ذلك » فكذلك نحریم ان تنكح المرأة على عمتها أو خالتها من كل امرأة لو فرضت ذكرا حرمت على الأخرى - لا يحل ان تنكح عليها - فقوله « وان تجمعا بين الأختين » لا يأتي دخول الجمع بين أحدهما وبنت أخيها وأخيها في المنع والنهي بل دخولها ظاهر لاهل العلم بالقرآن لاسيما وقد دل الحديث الصحيح أو المتواتر عند بعضهم على ذلك

ولو سلمنا بالمعارضة فهي ليست لنص الآية . وانما هي بين عمومها أو استمرار الحكم وتأنيده وهو ظني كما قدم والحديث أقل حالته ان يكون أرجح واذا وقعت المعارضة فالجمع بين الدليلين هو الواجب اذا أمكن والا لزم اهما أحدهما بلا موجب وهو لا يجوز . هذا على قول من يقول ان الاحاديث الصحاح انما تفيد الظن اما على ما اعتدناه من انها قد تفيدنا العلم فالمر واضح ظاهر ولا قباحة فيه

قال الفاضل حفظه الله أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث والقرآن يقول « لا اكراه في الدين » فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقا ليس بصحيح على إطلاقه - بل لو منع الامام عن قتل المرتد لمصلحة كهادة ومعاودة وأمانة بشروط ألجئ اليها لا يجوز قتله وقتل المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات وهذا الاختلاف الذي قد يرى انه تسهيل في

بعض الاوقات والاحوال - انما يستناد من الاحاديث والسنن لا من القرآن ومن
تفكر فيما اشتمل عليه صلح الحديبية من الاحكام عرف ذلك فلنكتف بالاشارة اليه
أما ما ذكره حضرة الفاضل فهو ليس في حكم المرتد وانما الآية الاولى في
شأن الكفار من أهل الكتاب هل يجبرون على الاسلام أم لا وأما الآية الثانية فليس
فيها تمجيز للكفر لم ولا حكم الاكراه لم منابله هو مسكوت عنه كله انما هو في
الكافر الاصلي فالأيراد ليس في محله .

ونحن نسأل حضرة الفاضل هل يقول باقامة الحدود والتعزيرات على فعل
بعض الواجبات والفرائض الذي اجمع عليه المسلمون ودل عليه الكتاب والسنة كما
قال « تعالى فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » الى غير ذلك مما
يدل على ان المسلم يجبر على الدين والخضوع لاحكام الدين ؟ ام هو يقول
بعدم جواز اقامة الحدود ونحوها ؟ فان قال بالاول وهو ظنا به قد واهنا وقص
اعتراضه بنفسه والا كان مخالفا وواقفا في أقبح مما ظن وزعم ان غيره واقع فيه
(لما بقية)

الاتقلاب العثماني الميسون

﴿ ورأي صاحب جريدة وطن الهندية فيه وفي عبد الحميد خان ﴾

أرسل الينا صديقنا الفيور مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة «وطن» الهندية
ما يأتي فنشره مع تصحيح قليل لبعض الالفاظ من جهة اللغة والنحو ونحبه عنه وهو
حضرة الصديق الفاضل :

استلمت كتابكم المخصوصي مع العدد الرابع من مجلة المنار وشكرت فضلكم وقد
وصلني في نفس ذلك البريد اعداد من جريدة اللواء ايضا خلاف المهود وقد
نشرة هذه الجريدة كتابي في أحد اعدادها وردت عليه في العدد الآخر حسب
ما رأيت فاشكره على لطفه ايضا

وجنايكم تعلمون اني اظن حضرتكم محبا مخلصا للاسلام والمسلمين فلذلك اكلفكم في بعض الاحيان تكليفا ما - واطالع مقالاتكم وكل ما تسطرون في امر الاسلام والمسلمين بمزيد العناية والتبجيل بل واسى في اشاعته جهد طاقتي وحسب استطاعتي ليستفيد العالم الاسلامي الهندي من آرائكم الحكيمة - وكذلك لا اشك في كون حضرة علي فهمي كامل بك ايضا محبا لغيره وللملة والوطن - ولكن اعذروني ياسيدي بانني لا ارى بدا من ان اقول لكم كلمة صادقة - وهي انني كنت دائما لا ارى وايكم صحيحا في امر السلطان المخلوع وان ما كتبتم في العدد الاخير من مجلة المنار قد قرأته بكال الاسف والحيرة - ولكن في علم حضرتكم اني لا اظن عبد الحميد ملكا معسوما - بل ارى فيه من حيث انسان من التقصيرات ومواقع الضعف البشري ما يجب ان يؤخذ عليها - ولا يخفى عليكم وعلى الذين طالعوا كتابا تاريخ مشروع السكة الحجازية بانني اول من كتب بالصرحة التامة في ذم عبد الحميد وعدم كفايتهم حين لم تكن في استطاعة أي جريدة من جرائد مصر وسوريا ان تكتب في هذا الباب بمثل تلك الصراحة لاني كتبت ذلك في شهر يناير سنة ١٩٠٨ واظنكم غير ناسين ما جريات مشروع السكة الحجازية فانه لما شاع اقتراح في هذا اول مرة خالفه السلطان عبد الحميد اشد الخلاف وكتب جريدته الرسمية «المعلومات» ان هذا المشروع يكون اشد ضررا للدولة العلية ولكن يغفر الله للمشيرين المرحومين شاكر باشا وعثمان باشا غازي فانما بعد ان تأثرا من مكتوباتي المتوالية ايدا المشروع حق تأييده وكانت قبيحة ما كان

ان حضرتكم وحضرة محرم جريدة الاله قولان ان مخلصكم هذا (محرم جريدة وطن) ومسلمي الهند لا يعلمون من الحالات الاعلية للدولة شيئا - فاقول بكل الادب ان قياسكما هذا ليس بصحيح فان سوء ادارة ولاية الحجاز والحالة السقيمة التي كانت لا حقة للجيش العثماني الرابط في الولايات البعيدة - والمظالم التي كانت تجلبها يد الجاسوسية على البلاد والعباد كانت حديث كل ناد من اندية القوم في الهند والسند وأفغانستان ولم يكن الفرق غير اننا كنا خيرين بذلك والعثمانيون هم واقعون تحت نير هذا الاستبداد عملا يذوق بعضهم من طبعها المرويتاؤه من شدة هذا المظالم

والآلام — وتعلمون حضرتكم حق العلم ان مسلمي الهند لم يكونوا بوجه ما منما عليهم من السلطان الخلوع ولا مرهوتين بهمة من الامة التركية . ان الاثراك أو الخليفة لم تقط ولا درهما واحدا في اعانة مسلمي المندحين ما ابتلوا بلاء او اتائبهم نائبة مع ان مسلمي الهند لم يقصروا قط في مديد الاعانة لعمانيين — حتى أن محرر جريدة وطن غير كونه مقترحا لمشروع السكة الحجازية والبغدادية جمع لها من اموال الاعانة زهاء مليون قرش وارسلها الى اللجنة العليا في الاستانة ولم تستطع جريدة من جرائد العالم الاسلامي ان ترسل مثل هذا المال لاعانة ذلك المشروع العظيم من الاكتاب العام وكذلك ارسلت في اعانة منكوبي جزيرة اكريطش آلافا من الرويات — احتسابا وخالصا لوجه الله — ما اردت أن أمن بها على احد ولما تشفع لي دولته ذهني باشا في حضرة السلطان بعملاء امتياز (؟) مندستين وصدرت الارادة باعطائي الوسام العثماني من الدرجة الرابعة كتبت الى حضرة الباشا المشار اليه اتني لم ار من المناسب أن ارد عطاء كم مع اتني لا احسبه شيئا بمقابلة الاجر الذي يحصل لي من الله الكريم لان تلك الصلة الدنيوية لا يمكن أن تغنيني فائدة ما . ولا يفوتكم ان هذا الامتياز لم يكن ليعتد به لان الذين زاووا الأستانة العلية من الاجانب من أي صنف وطبقة كانوا تحصلوا على امتيازات اجل وافضل من ذلك الامتياز وغير ذلك فاني لم اكن اخدم هذا المشروع رغبة في صله

يظنون بان السلطان عبد الحميد هو الباني والحرك لفكرة اتحاد الاسلام ولكني أعلم حق العلم انه لم يسع قط لاشاعة هذه الفكرة في مسلمي الهند ولا احد من اعوانه ولو كان كذلك لكان لا بد ان اكون اول من يعلم به وكيف كان من الممكن السعي في نشر افكار اتحاد الاسلام بين مسلمي الهند حينما لم يكن قنصل الدولة العلية في ثمر بيجي عالما باسماء الجرائد الاسلامية التي كانت مشغولة في جمع الاعانات للسكة الحجازية ايضا — واني اعلم واكثر مسلمي الهند مثلي في العلم بان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد الى حد يجب ان نفتخر به حتى قلت بنفسني في تأليفي كتاب « تاريخ خاندان عثمانية » الصادر في سنة ١٨٩٧ ما مفهومه دليلى اولى بمنجب الجامع الحميدي وحبيدية خسته خانة وامثال ذلك من المشروعات

ترعة او سكة حديدية ايضا فتخر بها العصر الحيدى الى الابد ، ولعلكم تتعجبون من سماع هذا الامر ان جريدتي « وطن » كانت ممنوعة الدخول فى الاستانة وبعض الممالك المحروسة كجريدة « وطن » المصرية وان كانت جريدتي لا يكون فيها غير مدح عبد الحميد وتأيد الخلافة العثمانية شيئا — بل هى مخصوصة لذلك الامر ولكن مع ذلك كله اعتقد انا وجميع مسلمي الهند بوثوق تام ان تركيا الفتاة أو الامة العثمانية قد ارتكبت خطأ جسيما فى عزل عبد الحميد بل كثرت نعمة الله تعالى وقد علمتم من صاحبزاده عبد القيوم عظيم الأفغان ان الصدمة التى احس بها مسلمو أفغانستان والهند من عزل عبد الحميد كيف كانت شديدة عليهم وكل يوم يرد على من الكتب من اقطار الهند مالا يستطيع نشره فى الجريدة وفيها ما فيها من اظهار التألم والتأثر فى النفس — وأخاف لو نشرت افكار المآر والواء فى جريدتي أن تأني غالبا بما هو عكس المقصود — واسمحوا لي ان اقول لكم بكل الاسف ان ما كتبتم حضرتكم تليقا على مقالتي أو فى مكان آخر من مجلتكم هو خارج عن حد الاعتدال يشف عن ميلكم الى الاتحاديين ولذلك ترموني وجميع مسلمي الهند بالجهل بأحوال الدولة العلية — ان حضرتكم أو حزب تركيا الفتاة أو الرجعيين من العثمانيين الذين يرومون عود عصر الاستبداد — كلكم من المناظرين او فريق من المتخاصمين لا تستطيعون ان تبدوا او تقيموا رأيا صحيحا واما نحن معاشر المسلمين فى الهند ففي وسعنا ان نقيم الرأي الصحيح لا تنا لسا من فريق ولا واسطة لنا بهم غير الاخوة الاسلامية والتعاقى الادبى الذى هو روح الاسلام — وانكم مثل الجندي الذى يكافح ويناطح الاعداء فى ميدان القتال لا يرى غير ما يكون حواله ولا يكون هم الا قتل مبارزيه ونحن كالمفرجين من بعيد نرى كل ما يجري بين الفريقين المتحاربين — وانكم من الذين آدامهم العصر الحيدى حتى اضطر والترك الاهل والوطن فلا بد انكم تسرون بزوال السبب الذى جر عليكم هذه البلاد وان يكن هو السبب البعيد والقرىب غيره والا فلم يكن يلىق بمحضرتكم ان تصوبوا سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذى لم يبق له (شيء من) الحول ولا الطول وهو الآن تحت مرحة أعدائه الذين لا تشفى غلهم الا بشرب دمه

ان ما فعلوا ببدا الحيد هو ليس غير عزله من سرير السلطنة ولكن ترون مثل من الملوك والخلفاء والقواد العظام الذين دالت دولتهم قد صار مصيرهم اسوء من عبدالحيد : ايش معنى على ناوليون ؟ وما جرى على مدحت باشا ؟ قد قتل السلطان عبدالعزيز وعزل السلطان مراد - بل الفاروق (رض) وذو النورين (رض) والامام علي (رض) كلهم قازوا بالشهادة ان لم ينزلوا من دست الخلافة وأراد القاتل اغتيال معاوية (رض) وقتل الحسين (رض) مع رفاقه رضوان الله عليهم في اشد المصيبة ولقد نجد التاريخ ملوئاً من أمثال هذه الحوادث الجسام فلاننا ان نخص مفهوم الآيات القرآنية بعبد الحيد وحده بل يجب علينا ان نحتزم من مثل ذلك الخطاء

واعلموا ان ظنكم وظن جريدة اللواء بان الانكليز في الهند يسمون في إلقاء بذور الشقاق بين مسلمي تلك الاقطار والعثمانيين للقضاء على الاتحاد الاسلامي والخلافة فأقول لكم بكل الاحترام ان ظنكم هذا ليس في محله بل أسأتم حيث ظننتم هذا لأن الأمة الانكليزية أمة حرة عادلة عاقلة لا تتدخل أبداً في مثل تلك الأمور . ان مسلمي الهند كانوا يحلون عبد الحيد لكونه سلطان المملكة العثمانية وأجوه لأنه في رأيهم كان حافظ هذه السلطنة من المخاطر الجسيمة لا غير فكان تبجيلهم له ومحبتهم منه لأجل خدماته الجليلة التي خدم بها السلطنة والخلافة الاسلامية - وان كان عطل الحكومة الدستورية السابقة فلا نه يحسبها مضرة أشد الضرر في حق الدولة والملة

ان المسلمين الهنديين يعلمون بانه ليس من أحد في هذه الدنيا غير فان وباقي غير الله الواحد القهار : ان الحجز على بسمارك ما صار سبباً لخرب ألمانيا وعزل عمر بن الخطاب خالدا (رض) عن القيادة العامة لجند المجاهدين لئلا يحسبه المسلمون سبباً للفروجات ويتركوا الاتكال على الله تعالى وعلى شجاعتهم وقد هلك آلاف من الصحابة الكرام بطاعون عمواس وفازوا بالشهادة في ميدان القتال ومع ذلك لم تقطع سلسلة الفتح الاسلامي كذا لك عبد الحيد أيضاً لم يكن ليعمر الى الأبد ان كان يموت فكان لا بد من مشي الأمور كما كانت تمشي قبل أيامه وفي عصره ولكن مع كل هذه المسلمات لم تصور نحن معاشر المسلمين الهنديين عزله طاعة كبرى للدولة ؟ لأن في

أرأنا أن الدولة العلية قدت بهذا الامر إحدى يديها وعينها وصارت ذات يد واحدة وعين واحد فقط بعد ان كانت ذات يدين وعينين

نحن نقول ان عبد الحميد لما أخذ كل أمور المملكة في قبضة يده قد أحسن نظرا الى الحالة الطارئة على البلاد في تلك الايام لانه لو كان القوم كلهم أو جزء قوي من أجزائهم يرى مثل رأي مدحت باشا لكان من الحال سقوط ذلك الرجل المصلح . ولا يذهب من خاطرهم ما فعله القواد العثمانيون العظام في حرب الروسية الاخيرة من أخذ الرشوة وكيف كان حال المال في ذلك العهد فكان كل تبعة الجور والاستبداد على الوزراء والولاة

هذا هو حلمي باشا الصدر الاعظم الحالي لما كان واليا في البن أي شيء فعل في تلك البلاد التمس ؟ لذلك رأى السلطان عبد الحميد ان العافية ان يأخذ كل أمور المملكة في يده ويقبض عليها يد من حديد ومن الظاهر ان رقية القوم الذين قد خيم الادبار بهجرائهم لا يكون ممكنا الا بالحكم المطلق كان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا وكان حكم الصديق (رض) والفاروق (رض) أيضا كذلك

لا تنكر ان اجتماع الاختيارات في يد رجل واحد أعني عبد الحميد قد صار في آخر الامر موجبا للخراب أيضا لان الرجل الواحد لا يستطيع أبدا ان يحكم على بلاد واسعة الارحاء مترامية الاطراف وقد اندكت قواه بكثرة الأشغال فظهر عليه ضعف الكهولة والشيوخة حتى صارت أكثر الامور في يد رجال المايين وهم يرمون كما يشاؤون ولكن نية عبد الحميد لم تكن سيئة قط لذلك لما رأى ان جزءا كبيرا من القوم صار أهلا للحكم الدستوري اعاده عليه وأعطاه حقه والظاهر ان هيئة الادارة التي تشكلت في سنة ١٩٠٨ هي من أحسن ما يكون

ولا يسعكم إنكار ان المتعلمين المتورين الآن في بلاد العثمانية قليلون جدا والجزء الاعظم من تركية آسيا مملوءة من المسلمين الذين يميلون الى بقاء تقديم على قدمه أكثر من الذين يرون الدستور حياة البلاد وخلص العباد من شرك الظلم والفساد ومحبوا التقدم هم يقدرون اقتدار جلالة السلطان حق قدره ولا يفتنون ان يكون السلطان مسلوب الاختيار

فان بقاء السلطان عبد الحميد على سرير الملك وقيام مجلس المبعوثان على العمل باصلاح الحكومة والبلاد هما الامران اللذان كانا يمثان الطمأنينة في نفوس الفريقين وهذه الطريقة كان من الممكن ان يأخذ الدستور مجراه الطبيعي على سبيل التدرج والترقي ولا تقع السلطنة في اخطار الحرب الاهلية والفتن الداخلية ومن الجانب الآخر لا يكون بوسع الاعداء الخارجية ان يتلاعبوا مع الدولة العلية لخوفهم من سياسة عبد الحميد ودهائه المشهور والمعلوم ولكن الاقلاب الأخير (المثلثون) قد فتح الدور الجديد قبل أوانه وزلزلت. أركان حالة البلاد زلزالا شديدا

ان محمود شوكت باشا قد يستطيع ان يدمم كل جبال الاسنانة وصوفاتها ولكنه لا يستطيع أبدا ان يمحو من الوجود الملايين من المسلمين القاطنين في بلاد العراق وكردستان وجزيرة العرب والاضول وغيرها الذين هم من محبي الحالة القديمة والحكم المطلق لا شك في أنهم ساحتون وصامتون الآن وسيستكون الى بقاء الادارة العرفية والسيادة العسكرية ولكن متى وجدوا انفراجا من هذا الضغط ولو قليلا فلا بد من انفجار المادة المشتعلة الكامنة الآن تحت هذا الضغط الشديد (لا قدر الله)

انكم تقولون ان الخليفة والسلطان هو موجود وجالس على عرش السلطنة ولكن حجتكم هذه غير نافعة لان جلالة السلطان محمد الخامس هو كالة سما في يد فريق ليس له وجهة خصوصية وقوة ذاتية . وقول بعبارة أخرى ان يدا وعينا واحدة من يدي وعيني الدولة فعملان الآن واليد والعين الاخرين معطلتان بل تريد اليد العاملة والعين المستعملة في ذلك الوقت قطع اليد الأخرى وقطع العين الثانية من جسم الدولة وصلاح الدولة منوط باتحادهما في العمل اعني كان من الواجب ان يكون الفريقان من انصار عهد القديم والدور الجديد متحدين في ترقية شأن الدولة وصلاح المملكة مثل اليمين والعينين ويكون الصدر أو الرأس عبد الحميد فيعملان حسب إشارته وينجحان في أعمالهما

انكم تقولون ان الحركة الجديدة في الدولة العثمانية هي عين التوحيد والاسلام ولكن التاريخ يقضي بخلاف ذلك . ان الفتان من الاراك (تركيا الفتاة) ينبعون

أثر اقدام فرنسا التي اسقطت الملك أولا والعلماء الروحانيين ثانيا وقطعت علاقة بمديانته تعالى أخيرا فصاروا بذلك من الماديين الدهريين . ان صبغة تماثيل الاسلام لتجدون في انكلترا البتة (كذا) ولعل تركيا الفتاة ان لم يكن بوسعها ان تقلد الخلفاء الراشدين فكان اللازم عليها قراءة تاريخ انكلترا . لا ريب انه قبل قرون من هذا العهد قد فعل كرامول في انكلترا كما فعل شوكت الآن في الاستانة ولكن ايش صارت نتيجة ذلك الفعل القبيح غير اراقة الدماء اعواما متوالية وأخيرا قد حلت الملكية محلها وثبت ان محوها محال

قولون ان عبد الحميد كان منبع جميع الشرور والمظالم ولكن ما تقولون في أمر تركيا الفتاة والمشير شوكت باشا قائلهم أنفسهم من الذين رباهم العهد الحميدي الزاهر هل تسبونهم على نية مثل تلك النابتة النابتة ؟

نقلتم أقوالا للغازي مختار باشا في ذم عبد الحميد وكأنكم ليس لكم علم بان عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل وامياله العدائية نحوه ولكن لم يتعرض قط لشأنه بل كان ينعم عليه ويكرمه كما كان يسعى في جلب التين الثاثرين عليه من أوربا بالشفقة الابوية والعفو السلطاني ليس هذا سماحا وكرامته لا يوجد له نظير الآن ان جمعية الاتحاد والقائد شوكت باشا يستطيع ان يأسر عبد الحميد ورجال الدور السابق ويعدم من يشاء من معانديه ، أفلم يكن يستطيع عبد الحميد ان يذل المختار في زمان اقتداره ؟ ولكن التاريخ يشهد له بأجلى بيان انه لم ينتقم من أحد لنفسه قط بل كان يشدد ويقي القبض على الذين يعدم أعداء الدولة والملة . ان مراد بك وغيرهم من رفاقه يساقون الآن الى السجن المؤبد أو المشانق ومن الذي لا يعلم انهم كانوا من أشد أعداء عبد الحميد فعفا عنهم وطلبهم الى الاستانة وأنعم عليهم - وعلى كل حال إن المسلمين الهنديين متألمون ومتأسفون جدا من جراء هذا الانقلاب لظنهم انه يضر بالدولة والملة العثمانية ضرراً بليغا ولكنهم اذا وجدوه مفيدا بحقها وثبت لهم ذلك من كرايالي والايام فلا بد من أن ينعم به بالهم وقر به أعينهم ويقولون « الخير فيما وقع » وإلا فقد أفتى العالم الخارجي كله بأن « لا خير فيما وقع »

انكم تنسبون تألم المسلمين الهنديين الى دسائس الاجانب . وأكثرت العقلاء يرون ان تركيا الفتاة مغرورة من جهة الاغيار في ارتكاب ذلك الخطأ الجسيم ان عبد الحميد لم يكن قط بانيا لتحريك اتحاد الاسلام ولكن قد وجدت هذه بالحركة في عصره بين المسلمين بناموس الارتقاء البشري وأيقنت أوربا مثل يقينه بعدم تنامي كنوز يلدزوان الثلاثمائة مليون من المسلمين كلهم في قبضة عبد الحميد وكان ذلك اليقين كظن ثروة عبد الحميدية الغير متناهية (بزعمها) مباوكة في حق الدولة والاسف كل الاسف على ضياع هذه الاعتقاد بزل عبد الحميد وتحريرات ثروته !!! ان اتهام عبد الحميد بالجن كالبصق على السماء ينزل على وجه الرجل نفسه لقد قال له الوزراء حين قدوم جنود الروسية في سان استافانوس ان يهرب الى بروصه لكنه لم ينزعزع من مكانه ولم يرض بترك دار الخلافة ولما طلب الروس الاسطول قال عبد الحميد اني أركب في السفائن وأدبرهم يدي وأغرقهم ولكن لا أقبل ان أسلمها للعدو أبداً هل يمكن طمس الحقيقة التاريخية التي تظهر بذكر ثبات عبد الحميد وقوة جاشه عند وقوع الزلزلة في القصر وفرقة الديناميت على بضعة أقدام من مركبته حيث لم يكثر ذلك الطود العظيم بهذه الحوادث ابداً !!! وأكبر من ذلك ان يتهمه فاضل مثلكم بمقر الخور (استغفر الله) لأن وجود الخرفي قصره من لوازم ضيافات الاورباويين الذين كثيرا ما كانوا يدعون كل يوم على مائدته ولاجل ذلك لم يكن يشترك عبد الحميد قط في الطعام معهم ويقول جريدة اللواء « ان انصار العهد القديم والرجعين يمدون الجرائد الخارجية بالمال ويأخذونها وسيلة لنشر افكارهم » - يمكن ان يكون في مصر جريدة مثل ماقالته - ولكن لا يوجد في المند عثمانى واحد يحض جرائدها يبذل المال على تقيص تركيا الفتاة والحكومة الدستورية - ومع ذلك فرصيفتنا اللواء تقول كذلك وتظهر خطأها القياسي كالواقعة الحقيقية فيمكن لنا ان نستدل بيقية بياناتها بأنها قياسات لا أصل لها -

ان جريدة المقطم وغيرها من الجرائد التركية لقد تجاوزت حد الآداب في ذم عبد الحميد ولم تكن تفضل واحدة منهم هكذا في عصره - ومن العجب ان أكثر جرائد العرب والشام وغيرها يقولون مقالات المقطم في أنهر صحفهم - وهن يملن

(المارچ ۶ م ۱۲) الانقلاب العثماني . جواب المنار لجريدة وطن ۴۵۹

ان آراء هذه الجريدة كانت دائما مخالفة للحقوق التركية والمصرية في معاملة مصر..
وفرحها وسرورها بعزل عبد الحيد يكشف النطاء عن نيتها ويظهر لنا جلياً انها ترى
هذا العزل حسب مرادها -

ان كان عبد الحيد ليس له عون ولا نصير فلم يعدمون الآلات المؤلفة من
النفوس في الاسنانة وسائر الجهات ؟ لاشك في انه فضل حقن الدماء ولم يرض ان
يكون مثل شاه العجم . انه كان محباً للمة وخادماً مخلصاً للوطن لاطالب الجاه - وكان
يحب الحياة لكن لا للتنم والالتذاذ بنعمات الدنيا الفانية بل لخدمة الوطن والملة ووطنه
ن حياته رحمة الهية لصالح العباد والبلاد -

ان خير ما كتب في ذلك الشأن هو قول رصيفتنا اللواء دان عزل عبد الحيد
عن عرش الخلافة ليس قتله بل احياءه لانه خلص من متاعب الحكومة ، ولكن أقول
ان عزله وان يكن في حقه احياء فلا يكون في حق الدولة الامواتاً ونكلاً - لا يوجد
رجل في جميع المملكة محنكاً مثله بل وأقل منه أيضاً في السياسة الخارجية لذلك
أرى من الواجب على الامة ان تكرم مقامه وتستشير في الامور المتعلقة بالسياسة
الخارجية ويكون العمل منوطاً بالا كثرية لاعلى اشارته

ولقد طال المقال رغم ارادتي الاختصار لذلك اختم رسالتي بتقديم فائق الاخترام
لحضرتكم وأرجو منكم نشرها كاترون مناسباً والرد عليها سالكين مسلك الانصاف
والحق وترك المجادلة بالباطل والسلام

وقد ارسلت نقولاً من ذلك الى بعض جرائد أخرى أيضاً عسى ان يتكرموا بنشره

في ۱۲ يونيو سنة ۹۰۹

كاتبه المخلص محمد انشاء الله

محرر ومدير جريدة « وطن »

لاهور (بنجاب) الهند

﴿ جواب المنار ﴾

مقدمات ومسائل حول المقصد

(۱) كان لنا ان نلنشر رسالة صديقنا هذه لانه لم ينشر مقالاتنا في الرد على رسالته

الأولى لأن الفائدة في نشر أمثال هذه المناظرات في الصحف هي بيان جميع ما يجب بيانه لقراءتها في المسائل المتناظرة فيها لاجل ان يكون حكم أولئك القراء صحيحا لبنائهم على العلم بالمقدمات التي يبنى عليها الحكم . ولكن صديقنا خشي من نشر ردنا عليه أن يأتي بضد مايراد منه كما قال فكأن قراء جريدته لا يرضون منها الا ان تكتب لهم ما يوافق ميلهم وهو يوافقهم على ذلك وهي خطة فيها من التقدير المالحل لشرحه هنا . أما نحن فانا ننشر ما هو مخالف لرأينا ولشرب جمهور قراء النار لأنه ان كان حقا قبلناه ، وان كان باطلا دحضناه ، وفي اعتقادنا ان الحق يدمغ الباطل فاذا هو زاهق

(٢) لانسلم لرصيفنا وصديقنا المناظر لنا ما يدعيه من أن رأيه في عبد الحميد والدولة هو رأي جميع مسلمي الهند فانه يتعذر عليه ان يعرف آراء أولئك الملايين وهو لا يعرف أكثرهم ولا هم يعرفونه وانما قصارى ما يمكن ان يظن هو أن جمهور قراء جريدته موافقون له في رأيه وميله وما هم الا عدد قليل في أولئك الملايين . وقد اعتاد مثل هذه الدعوى بعض الجرائد المصرية وما زلنا نتكرها عليها . واننا نرى بعض جرائد اخواننا مسلمي الهند تنشر من الرأي ضد ما ينشر صاحب « وطن » بل ترد عليه فيما يكتبه كجريدة « دوكيل » التي تصدر في (أمريسر) وبلغنا عن مسلمي عليكده انهم مسرورون راضون عن هذا الانقلاب العثماني وتاهيك بمن هناك ، انهم أنور مسلمي الهند عقولا وأرجاهم لخدمة العلم والملة

(٣) ان صديقنا المناظر احتج برأي عبد القيوم عظيم الافغان وان هذا الرجل العاقل المنصف لم يمارقنا الا وهو مقتنع بأن تشاؤم الكثيرين من مسلمي الهند والافغان وخوفهم من عاقبة هذا الانقلاب انما سببه الجهل بالحقائق وان لبعض الجرائد تأثيرا تأثيرا سيئا في ذلك وانه يجب السعي في إزالة هذا الجهل حتى انه اقترح إرسال وفد تركي يجوب البلاد الهندية والافغانية لإزالة سوء الفهم والجهل بالحققة . وقد كان هذا من المعقول في أول العهد بالانقلاب أما وقد طال العهد ونشرت الحقائق في الجرائد فقد رأينا المنصفين من اخواننا مسلمي الهند مقتنعين بما ظهر لهم من الحق ولذلك كان إصرار صديقنا صاحب جريدة « وطن » علي ما كان عليه غريبا هندا بصعب تأويله

(٤) قرأنا رسالته هذه قبل نشرها على بعض أهل الرأي والاستقلال من مسلمين وغير مسلمين فمجبوا واستغروا وقالوا ما نذكره مم إنكاره على إطلاقه وإجلال صديقنا وتبرئته من سوء النية : انه لا يعقل ان تكون هذه كتابة عارف مخلص... وليس في هؤلاء من هو من جمعية الاتحاد والترقي ولا من المنتصرين لها بل هم من يعرفون لها وينكرون عليها .

حقائقه يصعب على العقل المجرد من الهوى ان يتصور ان إنسانا يعرف حقيقة حال الدولة العثمانية وحقيقة ما فعله عبد الحميد من الأفاعيل الضارة بها وبالأمة ثم يكتب كلمة في مدحه والدفاع عنه ويكون مخلصا محبا للصالح العامة ولذلك بنينا ردنا السابق على قاعدة جهل جرائد مسلمي الهند بمفاسد عبد الحميد ومضار حكمه اذ لا وجه يتضح لاتهمهم بسوء النية وعدم الإخلاص . ولكن صديقنا ومناظرنا ينكر ذلك في رسالته هذه ويدعي انه هو وغيره من مسلمي الهند واقفون على جميع سيئات الحكم الحميدي وانهم اعلم بها وأقدر على الحكم فيها من العثمانيين الذين ذاقوها وقلبوا فيها . وبينى دفاعه عن عبد الحميد ومدحه على ادعاء حسنات له لا دليل عليها ولا يستطيع ان يزيد فيها على الدعاوي والمدائح الشرعية كما يننا ذلك في ردنا الاول عليه وزاده يا نا صديقنا وفق بك العظم في مقالته التي نشرناها في الجزء الماضي ونزيده نحن يانا في هذا الجزء . (٥) ان كتابة صديقنا لهذه الرسالة بمد اطلاعه على ما اطلع عليه من كلامنا وكلام غيرنا في الانقلاب لم نجد لها من تأويل مع ما نظن من اخلاصه الا ان جريانه على مدح عبد الحميد سنين طويلة جعل حسن اعتقاده فيه أمرا وجدانيا كدين المجاز لا يقبل بحثا ولا استدلالا بخلافه أرجو منه العفو والسماح عن ابداء رأي هذا فاننا لم نر وجها آخر نفهم معنى إصراره وتناقضه وتهافته فيما يكتبه أولا وآخر

(٦) إننا لا نتقد صدق ما يظنه بعض الناس هنا من ان الانكليز هم الذين أحدثوا في الهند فكرة سوء الظن بالدولة العثمانية في طورها الدستوري وان كانت قد انهم يحبون ان تنشر هذه الفكرة ليضعف تعلق المسلمين الديني بهذه الدولة وأن كل من يبطل ثقة المسلمين بالدولة العلية في البلاد التي للانكليز فيها نفوذ يكون خادما لهم في الواقع ونفس الامر وان لم يكلفوه ذلك ويفروه به

(٧) اننا لا نفتقد أيضا ان السلطان عبد الحميد هو الذي سعى في بث نفوذ الدولة الدينية في سلمي الاقطار أو في دعوتهم الى التآخي والاتحاد مع سائر المسلمين . هو أقل وأصغر من ذلك فثله لا يسعى في عمل كبير كهذا . واني موافق لصديقي المتأطر في كون هذه الفكرة المثبتة في المسلمين من روح التعارف والوحدة المعنوية ليست الا أثرًا من آثار سنة انترو في البشر . وقد كان شيخنا الاستاذ الإمام يقول ان الحرب الروسية العثمانية هي مبدأ هذه الحركة والصوت المحدث لهذه الیقظة الاسلامية العامة . وقد كان هو وشيخه السيد جمال الدين يكتبان في أثناء تلك الحرب المقالات المنبهة والموقظة . وقد رأيا قبل ذلك ان انكثرا حاربت الافغان فلم يكن أحد من المسلمين في مصر والاستانة وغيرها يحفل بذلك

(٨) انني لا أنجب من منع جريدة «وطن» الهندية من دخول البلاد العثمانية في عهد عبد الحميد وان كان لا يخشى ان ينتشر بدخولها من الافكار المألوفة لجهل العثمانيين بلغتها ، ولا منع جريدة «وطن» المصرية - ان صح انها أرسلت ومنعت على كونها قطعية لا يطعم صاحبها بنشرها في غير مصر - لان العاقل انما يعجب بمما جاء على خلاف المهود ومثل هذا المنع هو المهود في أيام عبد الحميد لان سياسته كلها وما يتعلق منها بمنع الصحف والكتب خاصة هي سياسة جنون وهل يتعجب العاقل من المجنون اذا أدى من يحسن اليه ؟؟

(٩) ان ما ذكره من سيئات عبد الحميد يناقض من وجوه ما ذكره في الرسالة الماضية التي نشرناها في الجزء الرابع التي ادعى فيها انه أصلح مالية الدولة ورق عسكريتها ومعارفها وعمرها وخليتها بل يناقض بعض ما جزم به في رسالته هذه كاسيأتي (١٠) اننا يناله خطأ فيما أطرى به عبد الحميد من الاعمال التي نسبها اليه وكان يعمل ضدها فلم يستطع ان ينفي شيئا مما أثبتناه وهو مع ذلك يصر على إطراره ببيانات شرعية ودعوى ظهر بطلانها لكل أحد كدعواه انه منع الدستور لاعتقاده ان الأمة لم تكن أهلا له ثم أهلا له ومنحها إياه

(١١) لانسله انه أول من كتب بالصرامة في ذم عمال عبد الحميد فان جرائد المشرق والمغرب قد قاضت بذم عماله وبذمه هو أيضا قبل سنة ١٩٠٨ التي كتب

صديقنا فيها ولم يشذ عن ذلك الا الجرائد التي كانت تحت سيطرة ظله وجبروته أو المستأجرة بماله لمحده أو الجاهلة بحال الدولة العثمانية والتي لا يهمل شأنها كبعض جرائد أمريكا واسبانيا مثلا (وعسى ان لا يعود صاحبنا الى دعوى مثل هذه الاولى التي يسخر العقلاء من اتحال بعض الجرائد المصرية مثلا)

(۱۲) ان ما ذكره عن جريدة معلومات غير صحيح فهي لم تكن جريدة رسمية ولم يكتب ما كتب فيها عن مشروعات عسكة الحديد الذي كان اقترحه الكاتب بأمر خفي أو ظاهر من السلطان عبد الحميد وانما كان ذلك رأي محررها في ذلك الوقت وهو صديقنا السيد عبد الحميد افندي الزهراوي الشهير وهو الذي حدثنا بذلك عن نفسه وانما ذكرنا هذا الامر مع كونه ليس من موضوعنا انخلص لفرضين أحدهما كونه مثلا لعدم الثقة بمعلومات صديقنا صاحب وطن عن الدولة العلية وثانيهما معارضته في قوله ان خطأ اللواء في بعض ما ذكره عن المنود يقتضي عدم الثقة بكل ما يكتبه

(۱۳) دعواه اننا نحن السياسيين والمؤرخين العثمانيين لا نستطيع ان نحكم في قضية الانقلاب العثماني حكما صحيحا لاننا من قبيل الخضم يحكم كل لنفسه وأن مسلمي الهند هم الذين يستطيعون ذلك — هي دعوى غير مسلمة لأن التشبيه في غير محله والافتنا انه لا ثقة بما كتب مؤرخو فرنسا وساستها عن ثورتهم وحكومتهم — ولان اخواننا مسلمي الهند غير واقفين على حقائق الاحوال فيكون حكمهم فيها أجدر بالصحة

(۱۴) اننا نقصد اخلاص مسلمي الهند في حبهم للدولة ونعد صديقنا وناظرنا من أشدهم غيرة واخلاصا بل قول ان خطأه جاء من شدة غيرة

المصد وقية مسائل

(۱) اعترف صاحبنا « بأن الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد » الخ واعترف بأن أخذ أزمة الملكة بيده « صار في آخر الأمر موجبا للخراب » وهذا ما قوض رسالته الاولى برمتها ولبعض مسائل رسالته هذه كما أشرنا الى ذلك في التمهيد والمقدمات

(٢) ادعى مع ذلك الاعتراف ان عبد الحميد كان محسنا في إبطال الدستور الأول واستبداده بالحكم المطلق واستدل على ذلك بدليلين أحدهما سوء حال الدولة وعدم استعدادها للحكم الدستوري بدليل ما حصل من سقوط مدحت باشا المصلح ومن اخذ القواد العثمانيين الرشوة في الحرب الروسية وسوء حال العمال في ذلك العهد وعجز حلي باشا عن اصلاح البين . وثانيهما كون حكم الاسلام هو الحكم المطلق فيجب عن دليله الأول من وجهين أحدهما إنما يصح كونه محسنا في ذلك لو كان عدل في حكمه المطلق وأصلح وهو لم يكن الا غلوما مفسدا زادت الرشوة في زمنه أضاعا مضاغة . وثانيهما انه كان يمكنه ان ينفذ الدستور مع الرجال المستعدين لذلك الذين وضعوه كمدحت باشا وإخوانه كما فعل ميكادو اليابان فيكون في أول الامر دستورا في الصورة وحكما بين المطلق والشوري في الحقيقة وبذلك يقوى استعداد الأمة بسرعة . هذا ما قوله مؤرخا في الدليل فنه لا نأنا لا ننتكر كون الأمة العثمانية لم تكن في عهد مدحت باشا مستعدة للدستور بنفسها بل صرحنا بذلك مرارا في خطبنا ومقالاتنا المنشورة في النار . أما الجزئيات التي أيد بها ذلك فهي مجال للبحث فان عبد الحميد اغتال مدحت باشا بالحيلة الخفية بعد ما قله من ولاية الى ولاية والأمة لم تقطن لكيد . وان حسين حلي باشا عجز عن اصلاح البين لان كل اصلاح مع استبداد عبد الحميد وخرقه كان محالا على ان حلي باشا كان حسن الادارة في البين لا ينكر أهلها ولا غيرهم ذلك

ونجيب عن دليله الثاني بمنع زعمه ان حكومة الاسلام حكومة فردية مطلقة . وقد أساء جدا في قوله ان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم الصديق والفاروق رضي الله عنهما كان حكما مطلقا برأى الله مما قال وانما ذلك هو حكم الشورى الكامل ، وحكم التقييد بالشرع في الظاهر والباطن ، وقد بينا ذلك في النار غير مرة مؤيدا بآراء ابن الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الأربعة . فليراجع صاحبنا تفسير « وشاورهم في الامر » من المجلد الحادي عشر ومباحث الحكومة الاسلامية في المجلد الرابع وغيرهما من المجلدات وليستغفر الله تعالى مما قال

(٣) أذكر بعد زعمه ان حكومة الاسلام التي قام بها النبي (ص) والخلفاء

الراشدون كانت حكومة مطلقة زعمه اتني قلت ان الحركة الجديدة في الدولة العلية هي عين التوحيد والاسلام ورده ذلك بزعمه ان قتيان الترك القائمين بهذه الحركة يتبعون خطوات فرنسا باسقاط الملك فعلاء الدين ثم يقطع العلاقة بين الناس وربههم واختيار مذهب الماديين الدهريين

وقول في جوابه ان زعمه هذا من سوء الفطن المتعلق بمكنونات الصدور ومخبات الغيب للمستقبل . واذا كان صاحبنا ومناظرنا لا يعرف حقيقة الدولة الخاضرة وحال القائمين بها فكيف يعرف ماخبيها في الغيب . بل كيف يمكنه أن يدعي الاستدلال بالحاضر على الغائب . ان الاحرار الذين بأيديهم حدثت الحركة هم التابعون من العثمانيين العرب (كاققواد محمود شوكت باشا وهادي باشا وعلي رضا باشا) والترك (كأتوريك من الضباط وغيره) والألبان (كنيازي بك من الضباط وغيره) ولم يعرف عن أحد منهم الكفر واتحال مذهب الماديين وكذلك التابعون من المبعوثين والاعيان لم يعرف عنهم ذلك الا ما قل عن رضا نور مبعوث أدركه من ذلك القول الذي اعتذر عنه وهو لم ينقل على وجهه . ولم يعرف عنهم انهم يفضلون الحكومة الجمهورية على الملكية

نم اتني لأنكرانه يوجد في متفرنجي الترك - وكذا غيرهم من العثمانيين - كثير من الملاحدة لفساد التربية في البلاد والتعليم في مدارس الحكومة ولا يبعد ان يوجد منهم أفراد في مجلس المبعوثان وفي لجان جمعية الاتحاد والترقي ولكن يوجد في هؤلاء الملاحدة من هم أحرص على جعل الدولة إسلامية من جميع المنتظمين في الدين لانهم يعرفون من فائدة ذلك مالا يعرفه المنتظمون . فالملحد العالي الذي يخشى من غلوه على شكل الحكومة الاسلامي قليل . واختلاف الآراء والاهواء في الحكومة طبيعي في كل أمة فقد كان في عصر الاسلام الأول من يميل الى جعل الحكومة حكومة أشراف كشعبة علي كرم الله وجهه ؛ ومن قال منا أمير ومنكم أمير ، ومن يميل الى الديمقراطية المعتدلة وهم الأكثر . ووجد في ذلك العصر الخوارج وناهيك بمذاهبهم في الحكومة

وقول من وجه آخر إذا كان ما ذكره عن فتیان الترك أو العثمانيين ونابتهم المتعلمة صحيحا وكانوا هم المدينين لإدارة المملكة بمقتضى طبيعة الحال ألا يكون من سوء إدارة عبد الحميد أنه لم يرب في ثلث قرن من يصلح لإدارة دولة إسلامية كدولته ؟

ان مناظرنا الصديق يحتج علينا قائل بأن عبد الحميد رقى التربية والتعليم في الدولة حتى صارت اهلا للدستور فكرم وتفضل بالانعام عليها به مختارا مسرورا ، وتارة يحتج علينا بأن هؤلاء المسلمين ملاحدة لا ينتظر منهم الا الإلحاد والافساد ؛ وليت شعري ماذا يفيد بقاء عبد الحميد في الملك مع التعليم والتربية التي تنتج مثل هذه النتيجة ؟ أكانت كل رغبة مناظرنا وغرامه من التمتع بالحكم الاسلامي الحميدي هو ان يعق لعبد الحميد استبداده الى ان يموت على فراشه ؟ أليس مظهر من عدل الله فيه بما يزيد الذين آمنوا إيمانا ؟

اما ما اشار اليه الصديق المناظر من استحسان الاعتبار بحال الانكليز والاقباس من سيرتهم وتاريخهم وكونهم أقرب الى الحكومة الاسلامية الصحيحة من غيرهم فهو مقارب لرأي اخيه ومحبه هذا وقد نبهت الى هذا في خطب وأقوال كثيرة وكتبته في المناظر ايضا في بعض المقالات ولعل الصديق رآه وسنعود اليه بالبيان الكافي ان شاء الله تعالى

(٤) يقول صديقنا ان المشير احمد مختار باشا الغازي سيء النية وعدو للسلطان عبد الحميد أي فلا يحتج بقوله فيه . ويقول لي « كأنكم ليس لكم علم بأن عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل واماله العدائية نحوه »

وأقول أولا — كيف كان يعلم هو في الهند من العلاقة بين مختار وعبد الحميد مالا أعلمه وانا في مصر اسهر الليالي الطوال مع مختار باشا وتحدث في احوال الدولة بالحرية التامة ويند كر لي كثيرا من الاسرار وهو يعلم اني أمين عليها ، ومنها رأي في السلطان ورأي السلطان فيه . وثانيا — لماذا يكون مثل احمد مختار باشا سيء النية لعبد الحميد وشديد العداوة له مع ما ذكر صديقنا المناظر من إنعامه عليه وإكرامه له ؟ هل يعقل ان يكون لذلك سبب الا اعتماد هذا المشير الذي بذل في سبيل الدولة

دمه غير مرة أن عبد الحميد جان عليها وخرّب لها وهو الذنب الذي لا يفره عند هذا الرجل العظيم الإتمام ولا الإكرام الشخصي . وثالثا ليراجع صديقنا ص ٧٦ من مثار هذه السنة يجد فيها ان السلطان عبد الحميد كان يتهم مختار باشا بأنه يساعد جريدتي المثار والقانون الاساسي لانهما أنشئتا لمقاومته نفسه . ولو شئت لذكرت له كثيرا من أمثال هذه الوقائع والحوادث والمكاتبات الرسمية السرية ليعلم انني اذا قلت فيه إنه لا يعرف حقيقة ما كان عليه عبد الحميد في دولته ورجالها قائما أقول عن علم واختبار لا يمكن مثله ان يصل الى ذرة منهما لان قصارى ما يصل اليه تنف معاوضة في الجرائد

وما قيل في احمد مختار باشا يقال في محمود شوكت باشا وأمثاله من المشيرين وقواد الجيش وغيرهم من العقلاء الذين لم يصب أشخاصهم شر عبد الحميد وبغية . فاذا كان مثلي في غيرته على الدولة والملة متهما عند الصديق (ساحه الله) لأن بغية عبد الحميد وحكومته أصابنا في أنفسنا وأموالنا وأهلينا فيما ذابتهم هؤلاء ؟ على أنه لو فكر قليلا لعد اضطهاد الحكومة الحميدية لمثلي من أسباب التعديل لان أسباب الجرح ذلولا الصدق والاخلاص لسهل عليّ أن أكون مطوقا بذهب عبد الحميد دون سلاسل غضبه ولا يعقل ان يكون بين أمثالا وبينه عداوات شخصية

(٥) نرى آخر ما استقر عليه رأي صديقنا انه كان يجب إبقاء عبد الحميد على عرشه ومشاركة جماعة الدستور له واستعانتهم بتجاربه على إقامة الحكومة الجديدة ولكنهم لم يفعلوا ذلك إثارا للانتقام منه

وقول ان أكثر العقلاء من الاجانب والعثمانيين العارفين بالتاريخ يرون انه كان يجب قتله عند الاقلاب الأول وإراحة الأمة من شره وان جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تدبر القوة غلبت العفو والرحمة على الشدة والانتقام وظنت أنها تستطيع ان تنسخ سنة من سنن الاجماع البشري فتحدث اقلابا في الحكم ، غير ما طلع بالدم ، وقد كنت أنا ممن حذر من التعدي على شخص السلطان ودعا الى الاستفادة من تجاربه في الامور الخارجية في أول مقالة كتبها بعد إعلان الدستور ولكن أبى الله ذلك فأبى عبد الحميد ان يعيش مع حكومة الشورى والدستور يرضى

القتيل وليس يرضى القاتل ، فأخذ يكيد لما كاد كاد لسابقتها ، فوقع في البئر التي حفرها ،
أما آن لك أيها العاشق لعبد الحميد ان تعرف الحقيقة التي عرقها الارض والسماء
ولم يبق مغذ للشك فيها

(٦) يقول ان محبي الحكم المطلق من مسلمي العراق وكردستان وجزيرة العرب
والاناطول سبهون الى مقاومة الدستور بعد اقتضاء مدة الاحكام العرفية . يعني ان
من خطر الحكومة الدستورية على الدولة أنها مضادة لما عليه السواد الاعظم من المسلمين
وستكون سببا للثورات والفتن الداخلية

وقول ان البلاد التي ذكرها ان كانت جديدة بعدم فهم منافع الدستور لعموم
الجهل فيها كما يننا ذلك في الكلام على تفاوت البلاد العثمانية في الاستعداد والعلم فهي
أيضا لا تشق الحكم المطلق تفضيلا له على المقيد بحجة دينية أو عقلية وإنما يخشى من الفتن
فيها لان الزعماء الذين كانوا يتحكمون فيها بالدماء والاعراض والاموال شعروا بأن
ايديهم ستغل وسلطتهم ستزول فهم لاجل هذا احبوا ويحبون مقاومة الحكومة الدستورية
كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ولكن الحكومة ستطهر البلاد من شرهم في مدة أقصر
من المدة التي دنسها بهم عبد الحميد ان شاء الله تعالى

(٧) يقول اذا لم يكن لعبد الحميد أنصار محبون فمن هؤلاء الذين تشتمهم الحكومة
العرفية كل يوم

وقول ان أعوان عبد الحميد على تخريبهم الملكية لتدمير بيوتهم وإذلال أهلها
لأجل تفنجهم وتماطلهم لا يقل ان يكونوا غير محبين له ولتنتع بنعم سلطته فهم
كأولئك الزعماء الذين ذكرناهم في المسألة السادسة

(٨) انني لأقول شيئا في طعنه بمولانا السلطان محمد الخامس الادعوتة الى التوبة
والاستغفار من هذه المصيبة فان لم يجب الآن فانه سيجيب بعد زمن بعيد أو قريب
يعلم فيه أن محمدا الخامس في بني عثمان كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، كما ان عبد
الحميد ، شر من يزيد ، فسلطانا الآن ليس آلة في يد أحد كما أن الشرع والدستور
ليس آلة في يده يستعملها بهواه كذلك السلطان بالبغي الذي أدال الله لنا منه .

ومن التناقض ان يطلب صاحبنا الجمع بين الدستور واستبداد السلطان واعجب من ذا ان يعد هذا من الاسلام

(٩) قال ان المقطم تجاوز الحد في ذم عبد الحميد وان جرائد بيروت تنقل عنه الخ ويقول ان المقطم كان دائما يظعن في عبد الحميد وحكمه ولكن يتحاشى الظعن الشخصي الصريح الذي يخشى أن يعاقب عليه القانون المصري الذي يبدد السلطان سلطانا له وبعد سقوطه زال هذا المانع . أما كونه كان « مخالفا للحقوق التركية والمصرية » وسيئ النية فنطلب من صديقنا المناظر الجمع بينه وبين مامدح هو به الانكليز من العدل وحسن النية وارادة الخير فانه لا يختلف اثنان في كون المقطم كان ولا يزال مويدا لسياسة الاحتلال لأن مذهبه في حسن نية الانكليز كذهب صاحبنا . وأما كون جرائد سورية لم تكن تذم عبد الحميد في عهده فهذا من البديهيات التي لا حاجة الى الكلام فيها . على ان أكثر هذه الجرائد السورية جديدة حدثت بعد الدستور

(١٠) قال انني اتهمت عبد الحميد بشرب الخمر واستغفره الله من هذه التهمة بالنيا بعتني وقال ان وجود الخمر في قصره كان لأجل ضيوفه الاوربيين « الذين كثيرا ما كانوا يدعون كل يوم على المائدة » يريدان يرى كل من كان في القصر من الشرب واقول لصديقي ومناظري الفاضل انني اعجب لقلبه الشريف الذي يملأه الحب حتى لا يدع فيه مجالاً لشيء يزاحمه وأتنبئ لو افوز بدوام حبه وصداقته . ثم أؤكد له اقول بأنني لم استدل على شرب عبد الحميد للخمر بما نقلت الجرائد من وجود طائفة من الخمر في بلدز كما فعل اللواء فائتي أعلم منذ سنين انه يشرب الخمر وان أكثر من في بلدز كان يشربها بلا نكير وانها هناك من المؤونة الضرورية . أعرف هذا من الثقات الذين أكلوا فيها وخالطوا أهلها . وكثيراً ما كان يذكر في البرقيات العمومية والجرائد شرب عبد الحميد للخمر في سياق الكلام عن صحته ومرضه ومنها أنه في اوائل العهد بالانقلاب كان يتغذى بالروم المصق . . .

(١١) قال ان عبد الحميد لم ينتقم لنفسه من مختار باشا وأمثاله من أحرار الترك لإيثاره الحلم والعفو

وأقول انه لم يكن قادراً على ان يعامل مختار باشا بأكثر مما عامله به وصديقنا

لا يعرف من معاملته له شيئا قط ولا حاجة الى إعلامه به . وأما انتقامه من الآخر فلم يذخر فيه وسما قد قتل رئيسهم مدحت باشا وكثيرين غيره وسجن وفي خلقا كثيرا . وعوالم المدنية كلها تعرف ذلك حتى ان الافرنج يلقبونه بالسفاح و بالسلطان الاحمر . ولا أحب أن أناقشه فيما ذكره من مدح أخلاقه فانها شعريات لا يؤبه لها وما أحييت له ذلك التشبيه الذي ذكره عند الكلام في شجاعته لان ادبه في نفسي اعلى من ذلك . والذي عليه المحققون ان جود عبد الحميد في موضعه يوم الزلزلة قد كان من شدة الخوف واضطراب الاعصاب . وما قاله في مسألة الاسطول كلام في الهواء لا عمل يستدل به . وليكن عبد الحميد شجاعا فاذا جنيتا من شجاعته التي لم تر احدا قال بها الا صاحب الوطن اوجبه الذي يضرب به المثل غير الخنظل والزقوم

(١٢) اعاد صاحبنا صدى قول المؤيد ان من ضرر الانقلاب الاخير اظهار كنوز «يلدز» وغبايتها اذ علم من ذلك أنها ليست كما يظن الأوربيون وكان توهمهم ان فيها ما يلحصى من الملايين قوة خفية للدولة تخفيهم من الاقدام على مناوتها فهي كتوهمهم تعلق جميع المسلمين به

وقول ان هذا القول لا يصدر عن سياسي عارف الا اذا أراد به الغلابة والحادعة لفساده من وجوه (منها) ان الوهم الين الواضح هو ما تخفله صاحبنا المؤيد ووطن من انه يمكن ان يوجد عشرات من الملايين من القداذهبي لا يعرف مكانه الأوربيون الذين يدبرون ثروة العالم . ومن الشواهد الصغيرة على ذلك ما ذكرته جرائد الاستانة من أن مدير البنك العثماني فيها لاحظ ان عددا يؤبه له من قرايطسه لا يعود اليه في دورة التعامل فجزم بأنه في «يلدز» وهو ما وجد فيها (ومنها) انهم يعرفون موارد الدولة أكثر مما كانت تعرفها نظارة مالياتها (ومنها) انهم كانوا يعلمون ان عبد الحميد يودع في كل سنة ما يزيد على نفقاته والمال الاحتياطي لها في يوتهم المالية (البنوك) وهم يعرفون مقدار ما أودعه في تلك البيوت (ومنها) ان الاعتماد على الوهم في صيانة الدولة وحفظها مما لا ينجح اليه عاقل ، لانه عرض زائل ، فان أفاد عبد الحميد مدة وجوده ، فهو لا يفيد ما بمدموته ، (ومنها) اننا ما رأينا آية ولا علامة لخوف دولة من الدول من ثروة عبد الحميد وخلافته عند حدوث الحوادث ،

ونزول الكوارث ، وإنما كانوا يطلبون منه الامر الشائن المذل له ولدوته فاذا راوغ وهددوه أجاب صاغرا ، وخنع متضائلا ، ولم يفس أحد تهديد فرنسا له في مسألة الارصفة وانكلترا في مسألة العقبة وايطاليا في مسألة البريد ، وما كان يساورنا من الذل والمهانة من سياسته معهم . ثم إنهم انتزعوا في أيامه معظم الولايات الاوربية من الدولة حتى انه لو بقي سلطانا سنة أخرى لذهبت الولايات المكدونية التي هي سياج العاصمة بلا نكير . فآهوا الله أيها المتصرون لذلك المدمر المحرّب قد وضع الحق في ذلك لكل أحد

(١٣) بقي ما اتفقده الصديق عليّ من ابراد آيات الإيثار من القرآن في المقالة التي كتبها للعبارة بالاقلاب الاخير قال انه لم يكن يليق بي ان أصوّب سهام آيات الايثار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له شيء من الحول والطول وإن ما جرى له ليس أمراً كبيراً بالنسبة الى ما جرى لغيره من الخلفاء والملوك والكبراء وذ كر بعض من قتل وعزل من المتقدمين والمتأخرين

وأقول ان الصديق نعمنا الله بمودته قد حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء أهمها ان الكلام في تلك المقالة ليس من باب إظهار الشجاعة بمقاومة عبد الحميد بعد ان صار مثلي ليس له سلطة ولا خطر في بالي ان عبد الحميد يقرأها أو يعلم بها وإنما هي تذكير لقراء المنار بعواقب الظلم والإفساد والبغي والفرور بالقوة والفني والملك والسلطان ، ومحاولة الفرد لإذلال الامة وقهرها لينالها التمتع بالسيادة ولوازمها فيها : ولو قتل عبد الحميد غيلة كما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن العبارة التي شرحناها تامة في شأنه

ان صديقنا نظر في المسألة من الجهة الشخصية فمدسقوط سلطة عبد الحميد كقتل عمر وعثمان والحسين (رض) واسر نابليون وعزل بسمارك وقتل مدحت باشا . وما أبعد الفرق بين هذه الحوادث وأشد اختلاف وجوه العبارة فيها . لو صح ما روي اليه لما كان لنا فائدة فيما ذكره الله تعالى من العبر في هلاك المفسدين والظالمين كفرعون وآله ومن عينهم ومن أبهم قصصهم من السابقين بل لكان ذكرها في كتاب الله تعالى من اللغو الذي يتنزه كلام الله عنه

قتل عمر لم يكن الا كوته فما خاب به سعيه ولا حبط عمله بل لا يزال يضرب المثل بعده . وفي قتل عثمان من وجوه العبرة ما ليس في قتل عمر لان لينه لبني أمية الطامعين أوجد في الأمة مقدمات الاستبداد ، وولد فيها جرائم الفساد ، فأتى ذلك من الشر ما أتى . وفي قتل الحسين عبرة أخرى من حيث إنه لم يعد للظالمين العدة الكافية بحسب سنن الله تعالى ولم يكن تأثير ظلمهم قد بلغ الحد الذي يوجب سقوط دولتهم . واما نابليون فلم يكن الا مفسدا في الارض مغرى بسفك الدماء فالعبرة في خذلانه بعد من باب العبرة في خذلان عبد الحميد

والحاصل اننا نذكر صاحبنا بأن العبرة بالحوادث العامة غير مسألة الشهادة بقتل الافراد أو عزلم وذلك مما لا يخفى عن علمه وفهمه لولا انه متألم مما جرى لعبد الحميد تألما ملأ جوانحه لحسن اعتقاده بسياسة وهو مخطئ معذور في ذلك فعسى ان يكون قد استبان له الحق فصار من انصاره ، كما يليق بفضله وإخلاصه ،

﴿ رسالة المحجوب . من باب الانتقاد على المنار ﴾

٢

وقد ادعى المحجوب ان الاحاديث التي تدل على جواز دعاء غير الله تعالى كما يفعلها العوام كثيرة مشارعا ، مفعمة نضيق المهارق عن استقصائها ، ولم يأت منها بشيء قط فان أثر الاشفاق ليس حديثا مرفوعا وطلب الدعاء من أويس ليس محلا للنزاع فان الدعاء يطلب من الاعلى للأدنى اذ لا خلاف في فضل عمر على أويس . وكل ما ورد في الشفاعة خاص بالدار الآخرة والوفاية يترفون به كله ويفرقون بينه وبين الشفاعة التي انكرها الله تعالى على المشركين كما فرق ابن تيمية بينهما في كتبه المتداولة وقد بينا ذلك في التفسير وغيره مرات

قال المحجوب : « واما ما جنحت اليه من هدم ما بيني على مشاهد الأولياء من القباب ، من غير تفرقة بين العار والخراب ، فهي الداهية الدهيا ، والبلية العظي »

من الظلم ، الذي أضلك الله فيه على علم ، ثم انه بعد سرد جمل واسجاع من هذا السباب أول الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر بقوله « ان محل ذلك الزجر » ومطلع ذلك الفجر ، في البناء على مقابر المسلمين ، المدة لدفن عاتهم لا على التمين ، لما فيه من الحجر على بقية المستحقين ، ونبس عظام السابقين ، « ثم جعل محل الإباحة كون البناء في ملك الباني وأنه لا حرج فيه ، ثم ذكر ان المسألة محل خلاف بين النظار وان هذا المنكر ليس متققا عليه ١١١

أقول ما أفسد الدين في أمة من الأمم الا مثل هذا التحريف للنصوص من يلبسون على الجهل لباس العلماء فتبهم العامة على تحريمهم فضل عن دينها ومثل هذه الغاية الرديئة ممنوا العلم بالكتاب والسنة زاعمين بجهلهم انه لا يفهمها أحد بعد قرن كذا . ألا يكفي لمن له أدنى إلمام بالعريية وان كان عاميا أن يضرب بتأويل المحجوب وتحريمه عرض الحائط اذا سمع الاحاديث الشريفة الواردة في ذلك وقد ذكرناها مراراً ونشير هنا الى بعضها

فنها حديث أنس في الصحيحين وغيرهما وحديث عائشة وابن عباس عند أحمد والشيخين وغيرهم وحديث أسامة عند أحمد في لمن أهل الكتاب لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة « يحذر ما صنعوا » أي يحذر النبي (ص) أمته من مثل ذلك وفي رواية لأحمد والشيخين والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فأتوا بنوا على قبره مسجداً الحديث . وفي رواية لابن سعد « ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انها كم عن ذلك » والروايات في ذلك كثيرة وهي تدل في جملتها وتقصيها على ان مدار النهي والحظر تعظيم قبور الصالحين وجعلها في مواضع العبادة كراهة أن يحدث ما حدث فينا حيث اتهم الجماهير منا سنن أولئك الذين لعنهم الرسول (ص) شبرا بشبر وذراعا بذراع فظلموا أصحاب القبور تعظما وصل الى حد العبادة إذ صاروا يخشعون ويضرعون اليهم بالدعاء وطلب الحاجات ، اما ان العلماء لو كانوا يظنون الأمة بهذه الاحاديث لما بنت على قبور الصالحين

٤٧٤ احاديث حظر البناء على القبور وتعظيمها (المترج ١٢م ١٢)

القباب والمساجد وتعرضت للعتة الله ورسوله ولكن قصر الكثيرون من المطلعين على هذه الأحاديث ثم خلف من بعدهم خلف لا يعرفون الحديث ولا يفهمونه فصاروا يحرفون ما يسمعون ويؤثرون للعوام والخواص ما يعملون حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه مع وجود الأحاديث بنصوصها وتفسير المحققين لها

أورد ابن حجر الفقيه جملة من هذه الأحاديث في بيان الكبيرة ٩٣١-٩٨ من كتابه (الزواجر) وهي «اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها واتخاذها أو ثأنا والطواف بها واستلامها والصلاة إليها» ثم قال

«عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث . ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منها واضح لأنه لمن من فعل ذلك قبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك قبور صلواته شر الخلق عند الله يوم القيامة فيه تحذير لنا كما في رواية «يحذروا صنعوا» أي يحذروا أمته بقوله لم ذلك من ان يصنعوا كصنع أولئك فيلنوا كما لنوا . واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ قوله (أي قول ذلك الإمام الذي نقل ابن حجر قوله في كون هذه الأمور الستة من الكبائر) مكرر الا ان يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط ، نعم إنما يتجه هذا الأخذ اذا كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت إليه رواية «إذا كان فيهم الرجل الصالح» ومن ثم قال أصحابنا يحرم الصلاة إلى قبور الانبياء والأولياء تبركا واعظاما ، فاشتراطوا شيئين ان يكون قبر معظم وان يقصد بالصلاة إليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام . وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الأحاديث المذكورة لما علت . وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور آثنا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك على ماذا لم يقصد به تعظيما أو تبركا بذئ القبر (١)

(١) أي ان وضع السراج والتعديل على القبر له حالان حال كراهة اذا كان القبر غير معظم ولم يوضع السراج عليه بقصد تعظيم وحال حرمة من الكبائر اذا كان قبر معظم كقبور الاولياء

(قال) « واما اتخاذها اوثانا فجاء النبي عنه بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا قبوري وثنا يعبد بعدي » أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأنهم بالسجود له وأنحوه (١) فان اراد ذلك الامام بقوله « واتخاذها اوثانا » هذا المعنى اتجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان اراد ان مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة فبها بعد . نعم قال بعض الخنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر تبركا بها عين المحادة لله ورسوله وإبداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد اوثانوها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن ظان بالعلماء تجوز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لمن صاحبه وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضرم من مسجد الضرار لأنها اسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ذلك وامر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرقة ونجس إزالة كل قنديل او سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى »

(المنار) ذكرنا هنا ما قاله ابن حجر قلا وتفقها لا لأن ما جاء به أظهر من الاحاديث الشريفة بل ليعلم من لم يطلع عليه وعلى أمثاله من أقوال العلماء المدققين ان التحريف الذي جاء به ذلك المحجوب تنبؤ عنه التصوص النبوية الشريفة وبخلافه كلام العلماء المحققين في شرحها وان خصمه ماضل في هذه المسألة — كما زعم — على علم ، ولكنه هو ضل على تحريف وجهل ، وهكذا كل كلامه مني بجمله أو تعمد التحريف . ولعل من طبع هذه الرسالة لو استشار كبار علماء تونس كالشيخ سالم أبي حاجب لا اشاروا عليه بعدم طبعها لانهم يرون من العار نسبتها الى واحد منهم

ثم ذكر المحجوب مسألة زيارة القبور فجاء فيها بما هو مشهور على السنة العامة وخصمه لا ينكر الرخصة في زيارة القبور ولكنه ينكر ان تزار لغير ما صرح به في الحديث من سبب الزيارة وهو العبرة وتذكر الآخرة وما غلط به الغزالي من مسألة

(١) اي كالدهام عنده والطواف به وتقبيله والتسبح به . وهو ما يفعل بقبور الصالحين

في المساجد والزوايا والقباب كل يوم .

الاستمداد لا يقوم حجة عليه لانه لا يدخل في مفهوم الحديث بل يخالفه على ان القزالي لا يبيح تعظيم القبور ودعاء من دفن فيها وغير ذلك مما نهي عنه النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك حرف حديث « لا تشد الرحال » فألحق به قيد نذر الصلاة فيها ولو جاز لنا ان قيد الآيات والحديث بما لا تدل عليه عبارتها لما سلم لنا من ديننا شيء ومن جهله بالحديث أنه جعل غاية الاحتجاج وعدة البراهين على زيارة قبر النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » (كما في ص ١١) وأهون ما قال المحدثون في هذا الحديث انه ضعيف كما ترى في الجامع الصغير للسيوطي ، وكأن المحجوب قد حجب والعاذ بالله تعالى عن جميع كتب السنة حتى مثل الجامع الصغير

ثم احتج (في ص ١٢) بيناء سليمان لقبر الخليل عليها السلام وبعض روايات حديث المراج ان جبريل أمر النبي (ص) ان ينزل عند قبر جده ابراهيم (ص) فيصلي ركعتين ففعل وزعم أن هذا حديث صححه المحدثون الثقات وهو كاذب في ذلك بل قال شيخ الاسلام في تفسير سورة الاخلاص انه موضوع ولم يكن لابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قبر مبني قبل الاسلام ولا في العصر الأول له . على انه إذا صح لا يكون حجة على خلاف ما قلناه لانه لا يعارض الأحاديث الصحيحة التي أشرنا اليها إذ لا يدل على ان القبر كان عليه مسجد ولا على انه (ص) صلى إليه أو عليه معظما له بل به تصدق كلمة « عنده » بالصلاة في مكان هناك وان بعد عن القبر . فان فرضنا انه هذا الحديث يعارضها والجمع بينه وبينها متعذر وجب القول بنسخه دونها لأن أحاديث المراج كانت في أول الاسلام وأحاديث النهي عن القبور كانت قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى انه كان يقولها قبل الموت بخمس ليل ويقول « اللهم اني بلغت » ثلاث مرات ثم قال « اللهم اشهد » ٣ مرات كما في حديث كعب بن مالك عند الطبراني . وأنى للمحجوب أن يطلع على هذا ؟

وحرف أيضا النهي عن وضع السرج على القبور فقال (في ص ١٣) « بحمله على تقدير صحته على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن انتفاع الزائرین (قال) واما اذا كان القصد به انتفاع اللاتذنين والقيمين ، فهو جائز بلا مین » وهذا من التحكم في حديث الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم بالمهوى وقد علم مما مر عن ابن حجر فساد تحريفه . و بناؤه التحريف على فرض صحة الحديث من دلائل جهله بالرواية وحرف أيضاً وأول النذور والذبايح لأصحاب القبور وزعم ان تلك النذور لا تفعل على انها من باب الديانات . و بطلان هذا بديهي لكل مختبر الا انه يجوز ان يكون لم يعلم على ما اطلع عليه غيره . من تلك البدع فأطلق النفي كعادة أمثاله من الذين يكيلون جزافاً

وحرف أيضاً الاحاديث الواردة بطمس القبور وتسويتها زاعماً ان المراد طمس ما كان من ذلك للجاهلية وانه لا بأس باتباع المسلمين لسننهم بل زعم ان المسلمين انما يحفرون القبور تحت البناء وهذا لا دليل على منعه والجاهلية يبنون على القبور (انظر ص ١٥) وهذه سخافة لا يكاد يرضاها لعقل عاقل فاذا كانت الأحاديث صريحة في منع تعظيم القبور بالبناء عليها فهل يسل ان يكون هناك فرق بين تقدم بناء المسجد على القبر أو تأخره عنه ؟؟ على ان المسلمين يضلون الامرين مما كما هو مشاهد في مصر وغيرها

اما صاحب الذيل لتلك الرسالة (أحمد جمال الدين) فهو أجهل من المحجوب واكف حجاباً فلا يستحق ان يقام له وزن فيرد عليه وبماذا يخاطب من يرمي شيخ الاسلام ابن تيمية بالانحراف عن السنة وتحقير السلف وهو الذي امتاز على جميع علماء الاسلام بنصر السنة وخذل البدعة والدعوة الى اتباع السلف و اظهار خطأ من خالفهم من المتكلمين والصوفية والعقهاء بالحجج والينات الثقلية والعقلية ولولا هذا لما تكلم فيه أحد كما علم مما نشرناه من ترجمته في المجلد الماضي ، وان له رحمه الله كتاباً في المسألة التي يعبرون عنها بالتوسل جمع فأوعى سيطبع ، ينشر قري ما يقول عباد القبور فيه

أرسل الينا هذا الكتاب لأجل طبعه ونحن نكتب هذا الرد على المحجوب فاختصرنا فيه لأن البيان المطول في مسألة التوسل التي هي أم هذه المسائل سيظهر في هذا الكتاب عن قريب ان شاء الله تعالى

بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الاحتفال بعيد الدستور العثماني

قرر مجلس الأمة العثمانية المؤلف من المبعوثين والاعيان أن يكون مثل اليوم الذي أعلن فيه الدستور من كل عام عيداً وطنياً للعثمانيين تحتفل فيه الحكومة رسمياً . وصدرت لإرادة السلطان الدستوري الأول مولانا محمد الخامس بذلك ، وقد علم من صحف عاصمة السلطنة أن الاحتفال الأول فيها سيكون ذا بهجة ونخامة لم يهد لها نظير ، يشترك فيه الأهالي مع الحكومة بمحض أريحيته واختيارهم راضين مسرورين لا كاحتفالات عيد الجلوس الجديد التي كان عبد الحميد ينفق على الرسمي منها وغير الرسمي حتى أنه كان يرسل مقدار الزينة من يلدز إلى دور الكبراء لعله أنه لا يكاد يوجد فيهم من يرتاح نفسه إلى إلقاء شيء مما ملكته يده على ذلك وإن كان مما يهيه بجاه عبد الحميد من مال الأمة أو مما يباعه للأجانب من مصالحها

سبق لنا بحث في فلسفة هذه الاحتفالات في المجلد الرابع من المئزر في مقالة عنوانها (الشعور والوجدان ، وشعائر الام والاديان) (في ص ٦٤١) وفي استدراك عليها (في ص ٦٧٥) وقد يتنا هناك أن الاعياد من الشعائر التي تحيي شعور الام بالمعنى الذي وضع العيد لاجله سواء كان دينياً أو اجتماعياً ومما قتناه في المقالة :

« إن أهل الغرب اتخذوا الملوكهم أعياداً لإحياء الشعور الوطني الذي يمثل رئيس الدولة في الملكية ، وللدول الجمهورية منهم اعياد باسم الحكومة التي يعترف بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون في الاحتفال بأعياد ملوكهم وأمرائهم لإرضائهم إذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بحكومتها قوية ، ولا شك أن هذه الأعياد شعائر تبعث الشعور بحب السلطان أو الامير في نفوس الذين يعتقدون

النع في الدولة والامة . فينتفع بهذا السبقون ، ويفتر به المغفرون ، حتى يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون »

وقد مزجنا في هذابين ماهو مقصود من هذه الاحتفالات بأعياد الملوك والامراء الفا وما كان ينبغي ان يقصد ثم استدركنا على ذلك في الجزء الذي نشرت فيه المقالة بعد ذكر الاحتفال بقدم الأمير من أوروبا فينا ان الشرقين لم يتبعوا الغربيين في ذلك وإنما يحتفلون بالملوك والامراء لدوائهم لالمنى وطني عام . قلنا « والصواب ان الشرقين اشد الناس تعظيما للوكرم منذ القدم وحسبك انهم عيدوم من دون الله ، وأنهم لا يزالون يقدسونهم بقدر ما لهم من السلطة والاستبداد . وأما مسألة إحياء الشعور قري بعض الجرائد تنوه بضدها ذابة الى ان هذه الاحتفالات متبعة عن الشعور بظلمة من احتفل لأجله وجهه . وربما يصح هذا من بعض المحتفلين الذين لم فيه منافع تولد هذا الشعور وإنما الظلم في إسناده الى الأمة مع ان القائمين به أفراد معدودون معروفون » اه المراد منه هنا

وأقول الآن إن الاحتفال لذ كرى جلوس السلطان عبد الحميد قد كانت من أسباب انتشار الشعور بظلمته في نفوس من لم يدوقوا غلله ونفوس من ذاقوه من حيث لا يعلمون انه منه وكذا من عرفوا ولكن شعور هؤلاء بظلمته في انهم كان يزيد شعورا بمقته وبفضه ، ولم يحل دون ذلك الشعور كله كون الثقة على الاحتفال الرسمي منه كانت من مال الحكومة وعلى غير الرسمي من اموال المرائين في الغالب ان قووة الشعور بظلمة الامراء والسلطين في نفوس الامة يضعف فيها الشعور باستحقاقها للسلطة واهليتها للحكم الدستوري فتبقى ذليلة مهينة . ويقابل هذا كون الاحتفال بعيد الدستور قروي في الامة الشعور بكرامتها واستحقاقها للحكم الذاتي . واذا كان سلطانها راضيا لها بذلك مشتركها فيها — كما هو شأن سلطاننا محمد الخامس ايده الله تعالى — كان ذلك بما يحبه اليها ويرفع مكانته في نفوسها مع العلم بأن عزته بعزتها وعظمتها بظلمتها دون العكس

لهذا المعنى وضع عيد الدستور للأمة العثمانية ، وتسلقت به الإرادة السلطانية ،

ولهذا المعنى يحتفل العثمانيون بهذا العيد الوطني حينما كانوا ، وايضا حلوا ، وستكون عنايتهم بذلك على قدر فهمهم لقيمة الدستور وشعورهم بقادته

أفئدنا نحن العثمانيين المقيمين بمصر لجنة لجمع المال ، والقيام بما يحسن من الاحتفال ، وشاركنا في ذلك اخواننا المصريون ، وما هم الا مثلنا عثمانيون ، واذنا قبول الخالص بالعام ، يراد بالعام ما وراء الخالص ، ، وسيكون احتفالنا في حديقة الازبكية ، بكيفية لم يصد لها نظير في الاعياد القومية ولا الرسمية ، تتجلى فيها الحديقة متلاثة بالانوار الكهربائية ، وأبدعها ما يمثل منها الشارات العثمانية ، وتألف فيها اصوات اشهر المطربين ، بنغمات احسن آلات الموسيقيين ، وتعرض فيها الصور المتحركة البديعة ، لا سيما صور حوادث الأستانة الاخيرة ، وغير ذلك من أسباب الانس التي تتوخى في هذه المواسم

وقد ألف أهل الاسكندرية لجنة لإقامة احتفال عمومي أيضا وسيكون هنا وهناك زينات خاصة يقيمها الافراد على بيوتهم أو امكنة أعمالهم فتجلى بهذه الاختلافات عثمانية المصريين واخلاصهم للدولة العلية كما تجلى فيها جهمهم للدستور ومعرفتهم لقيمتهم يذهب بعض رجال الدين الى ان هذه الأعياد الوطنية والسياسية محظورة في الاسلام لأنه لم يأت الا بعيدين فقط هما عيد الفطر وعيد النحر فالزيادة عليها بدعة . وقد سمعنا هذا القول من أحد العلماء فقلنا له ان البدعة الدينية انما هي فيما يعمل على انه من الدين . قولك هذا إنما يصدق على الموالد التي صبغت بصبغة الدين دون هذه المواسم المشتركة بين أهل الأديان المختلفة التي لا صبغة للدين فيها . نعم يتجه ان يقال ان الدين يحظر من المواسم الدنيوية ما وضع منها لمقصد ضار كعظيم الملوك الظالمين وتقوية سلطتهم دون ما وضع لمقصد نافع كتميز الأئمة ورفعة شأنها

حجج المشتركون الماطلون .

بعض الماطلين في القطر المصري معذور بما أصابه من العسرة المالية وبعضهم يعتذر بها بغير حق ولكن ما بال أهل سنغافوره وجاوه وروسيا الذين كنا نعدهم أحسن المسلمين وفاة كادوا يكونون كأهل تونس معللا وهضمًا

المنها

١٣١٥

بإثبات الحكمة من يشاء من يؤمن بالحكمة فقد أتى
غير كثير وما يذكر إلا أول الأيل

فيلج جادى الذين يشتمون القول فينبور أحسنه
أولئك الذين مداهم الله وأولئك هم أول الأيل

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر - الاثنين ٣٠ رجب ١٣٢٧ - ١٦ اغسطس (آب) سنة ١٢٨٥ ١٩٠٩م)

التعصب الديني عند الافرنج

كتبنا في الجزء الماضي نبذة في التعصب الديني عند الافرنج بينما فيها ان هذا الغلو فيه أور بالآسيا وقبل ان ينشر الجزء ظهر في الجرائد الافرنجية المصرية ما يؤيد رأينا ويثبت اشاعت هذه الجرائد انه وقع خلاف في لجنة الاحتفال بعيد الدستور العثماني سببه الاختلاف في الدين وان صاحب المارقال في اللجنة انه لا يقبل ان يكون رئيسها نصرانيا . وطفق محررو تلك الصحف يشنعون على هذا التعصب الاسلامي الشرقي الذي تخيلوه فخالوه فشنعوا عليه كدأبهم وعادتهم وقياسهم على انفسهم

ويقال ان بعض محرري تلك الصحف من السوريين وكأنهم لما تلقوا لغات الافرنج وآدابهم ففرنجوا فأخذوا منهم محضاء التعصب بحر كون به ناره كلما سحت السوانخ أو عنت البوارح ، وهالك ما قاله في ذلك جريدة (التوفل) قلا عن عن ترجمة الاخبار لما «قلنا في عدد سائف ان الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المثار ارتأى انه يجب ان لا برأس نصراني جمعة الاحتفال بالدستور العثماني . والشيخ رشيد هذا كان الى اليوم بعد حرا مريدا للدستور عدوا لحكم السلطان عبد الحميد وقد حارب الخليفة السابق بصفته مسلما باذلا جهده في سبيل قويض حكمه المبني على الظلم والاعتداء . والتهب والسلب والفتك ببياد الله وقد كان شديد اللهجة في كتاباته الى حد أنه أُلزم أن يفر من تركيا ويلجأ الى القطر المصري

«والآن قد تغيرت الاحوال واعتقل عبد الحميد في سجنه الحالي في سالونيك محجوبا بنظره عن الاشراف على ما يجري في البلاد وأصبح تحول بينه وبين الحياة وبينه وبين الطبيعة سيوف الحراس . فقد هذا الظالم الذي طرده العالم من بينهم قوته ولكن أولا هل سقط مع عبد الحميد كل ما كان قائما في أيامه ؟ انا لنشك في ذلك لانه اذا كان مثل الشيخ رشيد رضا يجعل بين المسلم والنصراني فارقا فاذا يفضل غيره : أفلا يجوز ان نعتقد ان أحرار الأتراك ما كادوا يستولون على كرسي السلطة حتي تأسوا مطالبهم القديمة بأقامة العدل وتأليه الحرية

ان الشيخ وشيدا سيندم على ما جاهر به غير ان ندمه لا ينفي انه قال ما قال
وقد أصبح الآن يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكروا في اخلاص اخوانهم المسلمين اه
(المار) لما اطلع اعضاء لجنة الاحتفال بعيد الدستور على هذه الكتابة كتبت
اللجنة الى هذه الجريدة وسائر الجرائد التي ذكرت الخبر المختلق تكذيبا له . ونحن
نزيد على هذا التكذيب كلمة قولها لكاتب تلك النبذة في جريدة النوفل وهي
قلم إنه يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكروا في إخلاص المسلمين لهم بعد
ان قلت لهم صفحكم تلك الكلمة عن صاحب المار دون صفتهم العربية وكان من
مقتضى التساهل الذي تدعونه ان لا يصدقوها عنه لما يعلمون بالاخبار الطويل من تساهله
وكتابه في الدعوة الى الوفاق اثني عشرة سنة حتى باسم الاسلام وسعيه مع بعض
اصدقائه المسلمين في تأليف جمعية سياسية سرية مؤلفة من جميع العناصر العثمانية لأجل
جمع كلمتهم وتوحيد مصلحتهم - او كان ينبغي لهم مع تصديقها ان يحملوها على غرض
صحيح غير التعصب كأن يكون مراده - لو صح الخبر - ان جعل الرئيس من
كبراء المسلمين كأمراء البيت الخديوي مثلا يجعل للجنة من النفوذ والاحترام وقبول
الدعوة الى الاكتاب ما لا يرجى مثله لو كان الرئيس نصرانيا لانه ليس في نصارى
العثمانيين من له مثل هذا النفوذ . هكذا شأن المساهل يتروى ويتثبت في الخبر الذي
يثير الخلاف وينافي الائتلاف فان ايمن بصدقه التمس له مخرجا صحيحا

فاذا كان النصارى يعذرون على رأيكم بعدم الثقة باخلاص أحد من المسلمين لخبر يحتمل
الصدق والكذب والقرائن تدل على كذبه ويحتمل على تقدير صدقه ان يكون قبل
لفرض صحيح لا للتعصب أقل يعذر المسلمون بالاولى اذا كانوا يرون الرجل من علماء
دينهم وسلالة نبيهم والدعاة الى الاصلاح الديني فيهم يقضي السنين الطوال وهو يدعوم
الى التسامح والائتلاف مع النصارى وغيرهم بالقول ويجعل نفسه قدوة في ذلك بالعمل
ثم يرميه النصارى بالتعصب ويجعلونه حجة على عدم تفهم بأحد من المسلمين ؟؟
بلى ولكن محمد الله تعالى أن كان أهل الشرق من المسلمين والنصارى لم يصلوا الى هذا
الخدم من التعصب الذي يفتنه فيهم كتاب الافرنج والمفرنجين منهم ولذلك رأينا الفرقيين
قد هزموا بما كتب في تلك الجرائد الافرنجية عن صاحب المار حتى قبل تكذيب اللجنة له

الجنسيات العثمانية

● واللتان العربية والتركية ●

ان من شؤون مدينة هذا العصر المحافظة على أجناس الموجودات حسية كانت أو معنوية قبرى الثريين أئمة هذه المدينة اذا رأوا نوعا من الحيوانات الارضية أو الجوية أو المائية أخذ في القصد حتى خيف من اقراضه حرموا صيدها ان كان مما يوكل وقتله ان كان مما لا يوكل وان كان ضارًا كما يحافظون على العاديات والا تار القديمة جميعا ، وزراهم أيضا يرغبون في بقاء نموذج من الأديان والمذاهب الدينية وغير الدينية واللغات المستعملة وغير المستعملة حتى انهم أحيوا بعض اللغات التي ماتت وبقي أثرها وجعلوا يتدارسونها ويتنافسون في معرفتها

ماكن لهذه المدينة أن تحافظ على أجناس الحيوان والجماد وتسمح باقراض بعض أجناس الناس (١) بل هي أشد محافظة على أجناس الناس ومقومات جنسيتهم من اللغة وغيرها واعتبر ذلك بالا جناس المكونة لمملكة النمسا (الامبراطورية) تلقه واضحا جليا ،

كان الجنس في العصور الماضية يقرض باقراض أفرادهم أو جملهم بالموتان والأوبئة أو بالحرب وما يعقب الغلب فيها من العبودية والنذل الذي يقلل النسل رويدا رويدا حتى لا يبقى منهم أحد أو يبقى منهم خثالة ممزقة في الأرض لا تسمى شعبا ولا تعد قبيلة ،

وهناك ضرب من ضروب اقراض الجنس يتحقق بأحلال رابطة الجنسية

(١) نستعمل لفظ الجنس والاجناس هنا بمعناه اللغوي والعرفي لا المنطقي فالمنطقي يسمى جنس الترك أو الروم مثلا صنفا من نوع الانسان الذي هو من جنس الحيوان على ان الاجناس مراتب عند المناطقة منها العالي والمتوسط والسافل فتدخل فيها الانواع والاصناف

وزوالها لا باقراض الاشخاص واقطاع الأنسال وهو أن يدخل الجنس في دين جنس آخر أو لته فيمتزج به ويلبسه في تقاليده وعاداته حتى يذوب فيه ويصير من عناصره المكوّنة لذاته كما امتزجت الاجناس السورية في الجنس العربي باللغة في جميع الافراد والدين في أكثرهم ونسيت جنسيتهم النفسية وزالت جنسيتهم القنوية وصاروا كلم عربا

هذا النوع من زوال الجنس أو الجنسية هو من الترقى والكمال في الانسانية لا من التقص أو المرض الذي يمرض لها لان الانسان عالم اجتماعي فكما اتسع نطاق الاجتماع وقل التفرق والاقسام فيه زادت الانسانية كالا ولمذا يرى حكماء الاجتماع ان متهى الكمال البشري في هذه الحياة ان يكون الناس كلم أمة واحدة لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا وطن ولا دين ، ويستحيل ان يتحولوا الى هذا دفعة واحدة وانما يكون مثل هذا باندغام بعض الاجناس في بعض بالتدريج البطي . وان الامم الكبرى التي تجتهد بشهر لتاتها وآدابها في ارجاء العالم تطعم كل واحدة منها في ان تكون لغتها هي لغة البشر كلم في المستقبل البعيد لكي يكون لها الامامة وقاء التاريخ والذكر في الزمن المستقبل على ما يكون لها من السبق الى الاستفادة من توسيع دائرة جنسيتها في الحال . ولا ينافي هذا ما نشاهد عليه الانكليز — وهم أطعم الامم في هذه الغاية — من شدة محافظتهم على جنسيتهم وغلوهم في أثرهم لما عليه الانسان من الحرص والبخل بمميزاتة وخصائصه سواء كانت شخصية أو قومية ، وان هذا البحث ليس تفصيل ليس هذا المقال بموضعه وانما ذكرناه فيه تمهيدا ومقدمة لا مقصدا . وعندني ان الاسلام يرمي الى هذه الجامعة العامة (١) ومن فروع هذا البحث اني لا مندوحة عن ذكرها في باب التمهيد ان هذا النوع الكالبي من زوال الجنسيات أو تحول بعضها الى بعض لا يكاد يرضى شئ من الشعوب بأن يكون هو المدغم في غيره لاجل تحقيقه فضلا عن ان يرضى بذلك اثارا لمقومات جنس آخر على مقومات جنسيته ، وسبب ذلك ما ذكرنا آفا من حرص الانسان على خصائصه ومميزاتة وان كانت ضارة ببعض اثاره واليدواعادات وانما لمطر يقان

أحدهما القبط والآخر وطبيعة المدنية المخاضرة تأبى له ذكرناه في قائمة الكلام ، وثانيهما التحالف والاتحاد في المصالح والمنافع بحيث يأخذ كل جنس من الآخر أمثله ما عنده بمقتضى سنة الانتخاب الطبيعي الى ان قلب مقومات جنسية أحدهما في مجموعها على مقومات جنسية الآخر ويصيران جنسا واحدا وهو ما يطعم فيه بعض الفريين في مستعمراتهم كفرنسا في الجزائر والشعوب العثمانية اخرج اليه ولن يكونوا امقا واحدة بدونه ينتج ما تقدم من المقدمات ان الدولة العثمانية لا تستطيع في هذا العصر ان تحل رابطة جنس من الاجناس التي تتكون منها أمتها بالقهر والإكراه ، ولا بالخلافة والاتفاق ، بل سبيلها الاحب أن توثق بينها في المنافع والمرافق ، والمصالح والوظائف ، وتوحدتها بجنسية الشريعة والقانون ، دون جنسية اللغة والدين ، حتى يتأزج منها ما هو مستمد للزيج ، وينبذ مزاج وحدتها الجديدة من لا يقبل ذلك من الاجناس كما ينبذ مزاج الجسم المعتدل ما عساه يدخل فيه من الاجسام النورية

أعني بهذا البنسوا القريب ففهم - ما تقتضيه طبيعة الاجتماع من ذلك لان الدولة نفسها تنفي من بلادها الآن بعض الاجناس - ذلك ان الجنس الذي لا يقبل طبيعته الوحدة العثمانية التي ذكرناها (كجنس الروم فيما يظهر) لجذب جنسية أخرى هي أقوى منها في حقه يتسلل ا كثر أفرادها في بلادها بالهجرة أو سبب آخر ويتصلون بجنسهم الذي تربطهم به عدة روابط لكونه أقوى على جذبهم من الجنس الذي يرتبطون فيه برابطة واحدة

أما تنازع البقاء بين الجنسيات اللغوية في الشعوب العثمانية الذي ينتهي باستيفاء طوره الاجتماعي الى قلب الامثل فيكون على أشده بين العربية والتركية لانهما اللتان الحيتان للشعوب الكيرين في الأمة والاولى منهما لغة الدين الذي يكفله منصب الخلافة والثانية لغة السلطنة الرسمية وليس لغات سائر الشعوب شركة في هذه المزايا ان الارمن شعب صغير وعمره قريب بتدوين لغته وجعلها لغة عليا ولا يطعم أحد من عقلائه بنشر هذه اللغة في شعب آخر فهي لغة قاصرة محصورة غير قابلة لحياة النشر والامتداد لعدم الحاجة اليها عند غير أهلها واللغة التركية مزاجها فيهم أنفسهم فهي امك لا تسقمهم من لغتهم

وأما الالبان والاكراد فهم حتى اليوم لم يدونوا لغتهم وبجملها لغة علم ولا يطعمون في نشرها وتحويل أحد من الشعوب الاخرى اليها والتركية مزاحة لها في الشعين وكذا العربية لاسباب في بعض بلاد الاكراد كالسليمانية وغيرها . ثم ان الدين يحجبهم الى هذه والادارة يحجبهم الى تلك فزيادة عناية كل شعب من هذين الشعين بلغته ومحاولة إحياءها تقليدا لما ذكرناه من طبيعة المدينة الفرية . لهذا الهد لا يفيد الا أفتالا تقومه عن تحصيل العلوم ومجاراة غيره بالترقي فيها لأنه ان ترك العربية قصر في دينه الذي هو أعز شيء عليه وان ترك التركية قصر في عثمانية وما يترتب عليها من الفوائد فلم يبق الا انه يضع بعض زمن التحصيل في دراسة لغته القومية ولا يرى القلاء منهم يطعمون في تأسيس دولة لأنهم يطعمون انه لا فرق في ذلك بين شعبيما وبين الشعب الارمني من حيث انه طمع في غير مطمع يضر الطامع ويضر الدولة فيقوى عليهما الطامعون فيهما ، ولضرر الشعب الصغير من ذلك أكبر من ضرر الأمة الكبيرة . على ان محاولة تمزيق السلطة محرم في الاسلام فالشعب الاسلامي الذي يشارك الجماعة يعني على دينه وعلى دينه - فالتنازع الحقيقي في لغات الشعوب العثمانية إنما هو بين العربية والتركية

يرى بعض الترك الغالبين في عصبية الجنس انه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة التركية وحدها لغة التعليم وتلزم جميع العثمانيين بتعلمها وتجعلها اللغة الرسمية في جميع معاملات الحكومة حتى التقاضي والمرافعة في المحاكم الى ان تحول العرب فن دونهم من العثمانيين الى الجنسية التركية . ويقولون ان هذا أمر ممكن حتى في عصر الدستور ، وما غلظهم هذا الا اثم وغرور

ويرى بعض العرب بنزعة دينية وبعضهم بنزعة جنسية انه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة العربية هي لغة العلم ثم تجعلها بعد انتشارها اللغة الرسمية لانها لغة الشعب الأكبر من الشعوب العثمانية ولغة الدين لجميع مسلميها ومسلمي سائر الآفاق الذين يرتبطون معها برابطة الخلافة ، وينفعلون عما ينافيها في القسم التهديدي من هذا المقال من شأن المحافظة على الجنسية لاسباب في شعب يرى لنفسه حق السيادة فان تنازل

عنها بالدستور فإنه يصعب عليه أن يترك من مميزاتة ما حفظ لنفسه الحق في استبقائه
بنص القانون الاساسي وهي جعل لفته هي اللغة الرسمية للدولة

ان غوائل اختلاف اللغة في الدولة لا تنكر ، وان فوائد توحيدها ووحدة الامة
بها لا تبطل ، وان رجحان العربية في الدين والعلم والسياسة لهو اوضح وأظهر ، فانها هي
التي تتوفر الدواعي على تميمها لان الناطقين بها أكثر من الناطقين بغيرها ، وإرجاع
القليل الى الكثير أسهل من عكسه ، ولأن للترك والكرد والالبان باعثا نفسيا يبعثهم على نيلها
وهو الحاجة الى فهم كلام دينهم (عز وجل) وحديث نبيهم (صلى الله عليه وسلم)
وحكم سلفهم الصالح (رضي الله عنهم) وكتب آئمتهم في التفسير والحديث والفقه
وغيرها من علوم الدين (رحمهم الله) والوقوف على تاريخ دينهم . ومن الجبل ان
يقال انهم يستغنون عن ذلك كله بالترجمة لاسيما في فرصة أخرى . ولأن جعلها اللغة
الرسمية هو الذي يزيل خطر تفرق الاجناس فاذا اتفق عليها المسلمون الذين يشاركون فيها
غيرهم من الملل في البلاد العربية لا يبقى للروم والارمن سبيل لطلب تعليم لغتهم
في مدارس الدولة ولا يكون لتعليمهم لها في مدارسهم خاصة تأثير في اضعاف الوحدة
ـ ولأنها لغة حضارة سابقة وعلوم وفنون ـ ولأنها اللغة المشتركة بين جميع المسلمين
ولأنه يمكن ان توسع دائرة نفوذ الدولة بنشرها في الممالك الشرقية التي يكثر فيها
المسلمون (كالصين وجاوه والهند) من غير نفقة توازي عشر معشار ما تنفقه الامم الغربية
لنشر لغاتها وتوسيع دائرة نفوذها وتجارتها في الشرق ـ ولأن الدولة تأمن بذلك من
قيام دولة عربية تدعي الخلافة وتنازعها النفوذ في العالم الاسلامي بنفسها او بمساعدة بعض
دول أوربا ـ ولأن في ذلك تحقيقا لمقصد من مقاصد الاسلام العالي وهو محو العصبية
الجنسية وتوسيع دائرة الاخوة الانسانية

هذه المآرجات لا تعرب عن علم اذكاء المفكرين من الترك ولو كان أمر
الأقوام والشعوب مما يتبع فيه البرهان اذا ظهر لكأن حل هذه المسألة من أهون
الأمر ولكن الأقوام والجماعات تتبع الشعور والوجدان دون العقل والبرهان فلا
يقول الفيلسوف الاجتماعي جوستاف لبون انها لا تعقل ولا تطبق مباح الدليل فلا
(المآرج ٧) (٦٤) (المجلد الثاني عشر)

مقطع إذاً في رضا الشعب التركي بجعل العربية لغة العلم والحكومة في الدولة كلها بما كان في ذلك من الفوائد وأمن النوازل لا سيما في هذا العصر الذي اشتدت فيه المصائب الجنسية في أوروبا من عهد نابليون إلى اليوم وسرت عدواها إلى البلاد المجاورة لها

إذا كنا لا نجد سبيلاً إلى توحيد اللغة لاجتناء فوائده فكيف السبيل إلى اتقاء غوائل التنازع بين اللغتين السائدتين، وما يقبضه من تحريك عصبية الجنسيتين، الذي هو أشد الاخطار على الدولة في العهد الذي يجب الاتفاق فيه على تميزها وإعلاء شأنها والتأليف بين اجناسها وعناصرها جهد المستطاع ؟

يقول أكثر الباحثين المستقلين من الأجانب والعثمانيين إن حل هذا المشكل طريقاً معبداً ومثالاً متبعاً لا يحتاج معه إلى النظر والاستدلال وهو ما عليه سلطنة المسافين أن يكون العرب والترك في الدولة العثمانية كشعبين النساء والمجر وأن يكون سائر العناصر العثمانية كسائر العناصر في تلك الامبراطورية

أراني بهذا قد وصلت إلى بحث لم أكن أرمي إليه، وطرقت باباً لا غرض لي الآن بالدخول فيه، باب البحث في المسألة التي يعبرون عنها بالمركية واللامركزية التي هي موضوع اختلاف بين الحزبين السياسيين الطبعيين فينا وهما حزب الاتحاديين وحزب الاحرار فلندع تنازعهما للزمان يبرم فيه حكمه ولنعد إلى موضوع اللغتين فنختم الكلام فيه برأيتين احدهما نراه يرضي المفكرين ودعاة العلم والسياسة من العرب والآخر لأحد المفكرين والخبراء من الترك ولا ندرى ابرضهم أم لا

(الرأي الأول) هو أن يكون تعليم كل من الشمين في المدارس الابتدائية الرسمية بلسنته وأن يكون تعلم اللغتين إلزامياً في جميع مدارس الحكومة الثانوية والعالية وأن يكون تعليم العلوم في بلاد العرب بالعربية وفي بلاد الترك بالتركية وأن تكون جميع معاملات الحكومة كل ولاية من ولاياتها بلغتها ويكون في الولايات العربية قلم ترجمة لأجل مخاطبة العاصمة وتلقي الخطابات منها بالتركية. وأما سائر الاجناس فيعلمون العلوم بالتركية لأن أكثرهم يعرفها الا من كان منهم في الولايات العربية فإنه يكون تابعا لاهل ولايته. فإن لم يتيسر تنفيذ هذا الرأي في مدة هذا الدور الاول لمجلس الامة فالرجاء فيما بعده قوي إذا

كان الترك كما نظروا يحبون الوقا . وقد ينالون قبل حاجة الترك الى تعلم العربية في الجزء الثاني (راجع ص ١١١ م ١٢)

(الرأي الثاني) وهو لعبدالله افندي مبعوث أزمير أودعه في مقالات له في التعليم نشرها في جريدة « تصوير افكار » وترجمته بمض صحف بيروت ومصر وهذه خلاصته نقلها عن جريدة الاتحاد العثماني البيروتية قال :

أرى خير حل لمشكلة لغة العلم هو ان يتخذ الاتراك التركية لساناً علمياً لهم وان تؤسس بحماية الحكومة وتحت مراقبتها مراكز علمية عربية في قواعد الاقطار العربية مثل دمشق وأم القرى ودار السلام تسمى في انحاء علوم الحضارة العربية التي أخذت تنحط وتضحل منذ اقرضت السلطنة العربية

وبذلك تنتشر العلوم والفنون بين الاتراك بلسانهم ويحفظ الحضارة العربية وترقى بلسانها الخاص من جهة وبما ينقل منها الى التركية من جهة أخرى وينجو الاتراك من الجهل بالدين وينهضون من هوة التعصب الاعى التي لا يزالون ساقطين فيها الى اليوم . وان الحكومة تقدر الخلافة حينئذ حق قدرها وتقوم بأعباء واجباتها . ولو ان الدولة أدركت هذا الحل من قبل وعملت به لكثير سواد الترك الذين يعرفون العربية والعرب الذين يتكلمون بالتركية ولتحول لسان جميع العناصر العثمانية كالروم والارمن والارمن وغيرهم بقوة العلم منذ ثلاثة قرون أو أربعة الى لسان الترك لسان المعارف والحضارة (١)

اضطرتني الى استطراد هذه المسألة مع انها خارجة عن مبحث المدارس ما أراه من لزوم تبيين الاذهان الى ان من الممكن بل من الواجب اتخاذ التدابير التي سردها واني لست أرى واسطة أحسن من هذه قطع ألسنة الذين أصبح دينهم في هذه الايام الضرب على نفحات الخلافة

وإن منع دخول المؤيد وغيره من الاوراق المضرة الى الولايات العربية لا فائدة له بل وبما زاد اقبال الناس الى مطالعته

(١) ان لسان الترك لم يكن لسان علوم وحضارة وانما كان يمكن تنفيذ ذلك وقتئذ بالعربية كما حاول السلطان سليم

ليس نشر العلم في الولايات العربية باللغة التركية من الممكن كما انه ليس بالمعقول بل بالعربية قطعاً يمكن اشاعة العلم بمقدور من الواجب حماية اللغة التي تريد تعميم العلم بها بين أمة (العرب) وحماية الافاضل أيضاً من أهلها . وان اصلاح مدارس القسطنطينية لا يمد حماية للغة العربية لان اصلاح هذه وتعليم الطلبة من أقرب طريق لا يكون الا بتأسيس مدارس علمية في القطر العراقي والقطر السوري والقطر الحجازي وانشاء مجامع علمية عربية هنالك اعضاءها من العرب وموظفون بصورة رسمية

ومنى تم ذلك نبي تلك الاقطار في القريب العاجل فحول العلم وارهاط الفضل وزحف اليهم أصحاب المزايا في الشرق والغرب وفي مصر والسودان . فلا يمتني الزمن اليسير حتي تنقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بكل فروعها وسوف تندم الخلافة العثمانية اذا لم تكن هي المتوسطة لهذا النقل والقائدة لهذه الحركة

وفضلاً عن ذلك فان دولة كاخلافة الاسلاميه وسلطنته كاسلطنته العثمانية تحكم بلاد العرب الذين لا تزال فستثير بأنوار علمهم وفضلهم لا يمكنها الاكتفاء بالقسطنطينية وحدها مركزاً علمياً لهذا الملك الطويل الريض ، فان مكة عاصمة المسلمين اجمعين وبغداد دار الخلفاء ومنشأ العلوم الاسلاميه ودمشق عاصمة الخلافة الاموية وأكبر مدن السوريين الذين نهضوا بمعارف مصر ومطبوعاتهما وصحافتها في هذا العصر الاخير هذه المدن الثلاث يجب ان تكون مراكز عالية مهمة في هذه السلطنة وعندئذ يخلف الأئمة البصريين والكوفيين القدماء بضع سنين أئمة واسانذة عراقيون وسوريون وجهازيون يحملون دولتنا مدنية نصيرة للعلم واللغات حتى اذا ما امتد لسان الى الخلافة يسبقها العلم اه بعبارة الاتحاد

(الملتاح) كنا ننمى لو اطلعنا على رأيه في المدارس عامة . وانا تمسب بعد هذا مقالة تاريخية في الموضوع من مجلة المقتبس الشهيرة فيها رأي ثالث في المسألة وهذا نصها

﴿ العربية والتركية ﴾

أصبت الأمة بعد سقوط دولة بني العباس بتطور غريب في العلم والآراء لما عاينته من أهويل الحروب والفتن ، ولما قامت الدولة العثمانية فخدمت تحت لوائها

الاقطار المختلفة نظرت الى الاقطار العربية من الوجهة السياسية ولم تكن بها ولا بغيرها من الوجهة العلمية الاجتماعية شأنها في عامة أدوارها وأقطارها ولم يشذ عن ذلك الا مصر فكانت أشبه بمملكة مستقلة حتى بعد استيلاء العثمانيين عليها ، وبعد ان قامت الدولة تأسس لها مدارس في العاصمة والولايات لتعلم العلوم الحديثة وتستبدل النور بالظلمة والعلم بالجهل قام محمد علي والي مصر فنزع القطر المصري من الممالك في الظاهر ومن الدولة في الباطن وانشأ فيه مدارس عربية وتوفر بدلالة جماعة من مستشاري الفرنسيين النبهاء على ترجمة الكتب العلمية من اللغات الأوروبية فانتعشت اللغة العربية في مصر فقط وظلت كهف العرب عنها يأخذون علومهم وموطن الطباعة والكتب والصحف وبأنوارها يستضيئون وذلك لفناها العظيم وتاريخها المجيد القديم ، بقي الامل في نهوض العربية محصورا في مصر لان الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن ونجد وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش أمست في قفور ، وقد أشئت في تونس وسورية بعض المدارس والمطابع تدرس بالعربية وتطبع اللازم من الكتب العربية لكنها لم يمس على تأسيسها بضع سنين حتى أطفئت شعلتها بما أصاب سورية من بلاء المراقبة وما أصاب تونس من الاحتلال الفرنسي ، والمراقبة واحتلال الغريب مما يقتل روح المسلم وينزع حياة النهضة القومية ، وقد أوشكت مصر ان تصاب بضعف لغتها لما احتلها الانكليز لولا ان قامت الامة وطلبت جمل العربية لغة المدارس الابتدائية والثانوية فلم تر الحكومة بدا من اجابة طلبها ،

اما هذه الديار فكان أول ما انصرفت اليه الوجوه (١) بعد إعادة القانون الاساسي العثماني مسائل التعليم فالتركية لسان الدولة الرسمي تريد ان تعلمه جميع العناصر العثمانية ليجي منهم في المستقبل مزيج واحد وتقوى وحدتهم السياسية ، وقد نشرت نظارة المعارف برنامجها ولم تشهد فيه ذكرا للعربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية بل قالت ان تعليم العلوم بالتركية للذكور والأنثى وللصغار والكبار وللعرب والترك والروم والأرمن والبلغار والأرناؤود حتى ان 'المبادي' البسيطة التي سمحت بتعلمها من العربية تدرس في كتب ألفها أتراك باللغة التركية ، فدرك بعض الباحثين في

أحوال البلاد والعناصر ان غرض الحكومة من هذه الخطة (تريك) العرب وغيرهم ، وهو عمل اذا كان نافعا من حيث السياسة فلا نفع فيه من حيث الاجتماع والعلم خصوصا بعد ان رأينا أصغر الشعوب الأوربية تحافظ على لغتها الأصلية بحفاظتها على اعراضها وأموالها وأرواحها ،

لا بد للحكومة ان تجعل التعليم اجباريا في المملكة فاذا جعلته باللغة التركية ولم تراع حالة كل قطر ولغة أهله تسوء العاقبة ولا تأتي الشجرة التي تريد غرسها الآن بثمرة جنية بل يكون شأن البلاد العمى في العلم والفكر ومن لم يتعلم العلوم بلغته مبهات ان يأتي منه عضو فيد أمته وبلاده ، واذا فعلت الدولة ذلك الآن فتكون في عهدنا الدستوري أعظم منها في عهدنا الاستبدادي وتكون حكومة مصر أرقى بأهل مصر من حكومتنا بنا لانها منا فينتظر عن يدها الكثير وتلك ليست منهم وكل شي تأتي به يعد كبيرا ،

وبعد فان كانت الحكومة العثمانية لم تنشط للغة العربية في الماضي مع انها لغة الدين والآداب والحضارة فهي لم تضع العقاب في سبيلها مباشرة ولكن الغلظة الفظيعة التي ارتكبتها ولا يفرها لها التاريخ هو ان القائمين بإعمالها منذ البدء جعلوا اللغة التركية لغة الدولة الرسمية خلافا لما جرت عليه دول الاسلام السالفة كدولة المصامدة البربر في الغرب الاقصى والأدنى ودولة الجزائر كسنة في مصر والشام ودولة آل سلجوق التركية في العراق والجزيرة ودولة بني بويه الفارسية ودولة آل أيوب الكردية في مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها من الدول التي طرحت لغاتها وعمدت الى اتخاذ اللغة العربية لغة الحكومة والدولة فكان الجزائر كسنة والبربر والفرس والاكراد والأتراك يتخلون عن لغاتهم يختارين ولا يستعملون في الرسمية غير العربية لغة البيان والعلوم أما الترك فجروا على غير سنة الدول السالفة فلم يروا من المصلحة تعلم لغة عامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واكتفوا بأنهم بدوية ما يرحوا يتوفرون منذ قرون على اصلاحها ومبهات ن تكون كما يحبون ،

يلا جاء السلطان سليم ففتح مصر والشام وكان على شي من المعرفة بحسن

العربية كما يحسن الفارسية والتركية أحب ان يتلافى الغلط الذي سارت عليه دولته وان يجعل اللغة العربية لغتها الرسمية أسوة بالدول الاسلامية البائدة فقام عليه بعض ضعاف العقول من أهل دولته وأرادوه على العدول عن رأيه مخافة ان تدثر لغتهم بل تخلصا من ان يتعلموا لغة غيرها فكان عملهم هذا من جملة السدود التي حالت دون آكل عثمان وبسط أيديهم على الممالك الاسلامية المجاورة لهم واللغة العربية أعظم رابطة بين المسلمين ،

وقد كانت الدولة ولا تزال تعلم في مدارسها الرسمية العربية كما تعلم الفارسية وذلك لأن التركية مزيج من هاتين اللغتين وبدون معرفة قليل من اللغتين لا يتأني تركي ان يكتب كتابة صحيحة في لغته فكان شأنها من بعض الوجوه شأن المدارس في أوروبا لا تزال الى اليوم تعلم اللاتينية واليونانية لانها أصل لغات أوروبا وان كانتا بادتا أو كادت ، ولكن مدارس أوروبا أخرجت كتابا بهذين اللغتين ولم تفد من مدارس الحكومة العثمانية كتابا بالعربية أو الفارسية ، هذا والتركية ليست لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد أهل الارض بأجداد أهلها وحضاراتهم ، ومن الغريب انه لم ينبغ في الدولة العثمانية كاتب عربي من أصل تركي على حين نبغ وينبغ من الفرس والاكراد وغيرهم أناس يؤلفون بالعربية فتحسنهم عربا خلصا ، وانك لتقرأ العجبة في كلام ابن كمال باشا وكاتب جلبي وطاشكو بريلي وغيرهم من الاركاء الذين عانوا القلم العربي وعدوا في المصنفين الا قراء في كلام الراغب الاصفهاني وأبي بكر الخوارزمي وحجة الاسلام الغزالي بل ان هؤلاء على منشاأهم الفارسي كانوا أمه الانشاء العربي ،

إذا تعلم أبناءنا اليوم على الطريقة التركية لا يلبثون ان يمجثوا أتركا ويتقنون التركية كأرق أبنائها وبذلك لا يخدمون أبناء لغتهم أدنى خدمة وقد رأينا معظم الذين تعلموا من أبناء سورية والعراق في المدارس الرسمية لا يحسنون التكلم بالعربية العامية فضلا عن ان يكتبوا سطرين صحيحين بلغتهم بل ربما رأيتهم يمزجون المصطلحات التركية وبعض الالفاظ التركية ينتمون يكلونك بالعربية فكان شأنهم في هذا شأن أكثر التوانسة والجزائريين من سكان المدن يتكلمون

بصرية تكاد تكون أقرب الى الانجليزية لما خالطها من الالفاظ الافرسيه والاسبانيه والطليانيه ،

وقد رأى بعض العقلاء أن أحسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية وأسلمه عاقبة على اجيال الدولة المختلفة هو أن يجعل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب وان يجعل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع وبذلك لا يقع حيف على العرب وهم نصف الدولة أو يزيدون ولغتهم أفضل لثلاث سائر العناصر العثمانية ، والمستقبل كفيل بحل هذه المعضلة العلمية ،

(١) تقرير

عن امتحان مدرسة المعلمين الناصرية

في العام الدراسي سنة ١٩٠٨ الداخل في سنة ١٩٠٩

صاحب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف العمومية حضرتني

قبل كل شيء أقدم الى سعادتك أكل الشكر والامتنان على ان جلتوني موضع الثقة فاخترتموني لرئاسة امتحان هذه المدرسة التي هي في نظري من أهم المدارس وأفيدها لهذا القطر ولهذا قد دقت البحث واخبرت كل شيء في الامتحان بنفسني واني عارض ما علمته بالتفصيل

(١) رأيت ان وقت الامتحان الذي حدد لهذه المدرسة غير ملائم لحالتها

(١) ننشر هذا التقرير لما فيه من الفوائد الدقيقة المتعلقة بفن التعلم وحاله في مدرسة من أرقى المدارس المصرية وأهمها عندنا بيان سوء أثر تعليم الأزهر في نفوس طلابه من حيث إدراك المسائل ومن حيث بيانها وهو ما شرحه صاحب التقرير الشيخ عبد الكريم سلمان الشهير العضو في المحكمة الشرعية العليا ، في مسألة (ج) فسي ان يكون فيه عبرة لمديري نظام الأزهر كما نحب له ونرضى

لانه قد زاحمه قبله امتحان الشهادة الثانوية وشاركه في زمنه امتحان مدرسة الحقوق الخديوية ونشأ عن ذلك تعطيل في العمل لأن من انتقمهم النظارة للامتحان فيها كان أكثرهم مشتتلا بامتحان الشهادة وتلاوة أوراقه واضطرونا لتأجيل الامتحان في التربية العملية عن وقته المعين في الجدول وهو أول مايو سنة ١٩٠٩ إلى ما بعد ١٦ منه واجهد المتحنون أنفسهم في أول النهار وبعد الظهر حتى أنما عملهم بمشقة عظيمة في أوقات هذا الحر الشديد

فلهذا وقلة العمال الذين يوثق بعملهم أرى ان يجعل موعد امتحان هذه المدرسة في الاعوام المقبلة من أول مايو كما وقع ذلك في بعض السنين

(ب) لاحظت ان كون الامتحان بنمر سرية قد أوجب زيادة العمل على العمال واستدعى لإيجاد عمال في حين الاحتياج الى عملهم في موضع آخر لتزام الامتحانات في وقت واحد ولو كانت الفائدة من جعله سرياً توازي هذه الانماط وتلك المضايقة في إيجاد العمال لما انخلط ولكنني وزنت النفع والنسبة في ذلك فوجدت الثاني أكثر بكثير وغاية ما يقال في النفع ان كون الامتحان بالنمر السرية يجعل النظارة في اطمئنان من عدم وجود الغرض فيه إذ يقرأ المتحن ورقة لا يعرف كاتبها فيقدر لها درجتها بالضبط وهذا النعم وان كان يكون حقيقياً في بعض الأوقات ليس بمعزول لانه ليس كل ممنحن يعمل فيه الغرض وفضلاً عن ذلك قد يوجد شيء من التساهل مع الامتحان بالنمر السرية يقوم مقام الغرض أو يفوقه لأن المتحن كلما قرأ ورقة ووجدها غير صالحة سأل عن الثمرة التي يمكن ان يربها الطالب ولا يكون ساقطاً فيعطىها للورقة وهو جازم بانه لا يستحقها لأجل ان ينجو الطالب من السقوط وذلك استعمالاً للشفقة واذا أسأنا الفن قلنا ان المتحن تحت نظره أشخاص يجب ان يبروا فيخاف ان يكون صاحب الورقة الساقطة منهم فيمرر الكل حتى يمر صاحبه بسلام وهذا أكبر في الضرر من استعمال الغرض لشخص مخصوص بالرجاء المتداد في هذه البلاد وبين أوراق الامتحان في كل علم أوراق منقطة جداً وضع لها المتحنون الدرجات التي تقتضي مرور كاتبها

(المترج ٧) (٦٥) (المجلد الثاني عشر)

قط كنمرة (عشرين) فيما نمرته الحقيقة (٤٠) و (٢٥) فيما نمرته (٥٠) و (١٥) فيما نمرته (٣٠) وهكذا ولما دتكم ان تأخذوا نموذجاً من تلك الأوراق المكتوب عليها مثل هذه النمر فتجدوها على ما وصفناه وأيضاً فإن الامتحان بالنمر السرية في هذه المدرسة وهي من المدارس المحصورة العالية تفرقة بينها وبين أختها مدرسة الحقوق الخديوية ولا فرق بينهما في الواقع ونفس الأمر فلم يكون الامتحان في الحقوق جبرياً وفي المظنين سرى على اننا لم نسمع بأن طالباً في الحقوق مع الامتحان الجبري نجح للفرض ولا بأن طالباً تأخر بقصد الإضرار به

ولهذا فاني أرى ان يكون الامتحان في هذه المدرسة أيضاً جبرياً بفعل الشعب وتزول تلك الاضرار ويسهل وجود المال ويعرفون انهم موضع الثقة فعملون على ما يزيدونها وانهم ليسوا موضعاً للريرة فيتادون النزاهة والتخلي عن الفرض وهذا من حسن الثرية واعلاء النفوس بمكان عظيم

(ج) لاحظت اثناء تأدية الامتحان الشفهي في علوم النحو والصرف والطبيعات وقويم البلدان ما لا يكاد يصدق وذلك ان الشخص الواحد يكون شخصين متباينين الصفات والادراك في وقتين مختلفين امام متحنيين في علمين وهذا وان كان وجد في قليل من الاشخاص ولكنه مما يستدعي النظر والالتفات والبحث عن الاسباب رأيت بنفسي أحد الطلبة يؤدي الامتحان الشفهي امام الشيخ حمزه فتح الله فاذا سأل عن تطبيق قاعدة أو اعراب جملة أو تعيين محل اسم من الاعراب أو عن أصل الكلمة وما صارت اليه بعد القلب أو الابدال بحث عن الجواب في جوانب الساعات وشاسع الآفاق، فاذا نه الى ان الجواب قريب منه اعتراه ذهول حتى صار لا يدرك البديهي من القول، ورأيت بينه وهو امام علي بك بهجت يؤدي الامتحان في قويم البلدان فوجدته رجلاً ثابت الجنان منطلق اللسان بمرعاً يريد بقوة ولا يمتريه انزعاج رأيت هذا في أكثر من واحد ومن اثبتين واني أحتق بعد ان أطلت الأخذ والرد والبحث ان هذا الداء كان متأصلاً في بعض أولئك الاشخاص من أصل التعليم لأن قاعدته في الأزهر كثرة الاحتمالات في العبارة الواحدة واستعمال الملم للتشكيك والاكثر من الاعتراضات

اللفظية وقد تعودوا ان لا يرضوا فكرهم على أحد سواهم فإذا سئل هذا المعلم على هذه الطريقة حار في أمره فلا يدري أي الاحتمالات يذكر وأيها يكون موافقا لذوق السائل فيرتبك كما قدمناه وأما العلوم الأخرى فانها خلو من هذه العلة الثقيلة علة الاحتمالات والشكوك فإذا سئل فيها قال ما يملئه منها جازما بما يقول والجزم في العلم هو قاعدة كل خبر وهو الأساس المتين في نجاح التعليم

ولا يقال ان هذا الفرق بين هذا الطالب وهو امام الشيخ حمزة وبينه وهو امام بهجت بك جاء من عوارض أخرى مثل وجود من يباه زائدا على من يمتحنه فإني كنت موجودا مع هذا الطالب امام الاثنين وإذا قيل ان الفرق جاء من كيفية توجيه الأسئلة فإني كنت أبسط السؤال له وهو عند الشيخ حمزة بطريقة هي غاية في السهولة والوضوح وقد لاحظ حضرة الشيخ حمزة فتح الله هذا المعنى من بعض الطلبة فأشار اليه في تقريره المقدم إليّ منه حيث قال « لذلك لا أجد بدا من سرد نموذج مما طغى به من كثير منهم بنائه ويانه وبراعه ولسانه مما لا تغفل نسبتة لأمثالم الا لفرط ذهول استحك فاما في الشفوي فكما سمعتم من البعض حتي عذرتهمو بمحصنة الهية في معترك الامتحان ولذا أقصر على ما خطه يانهم في الأوراق التي صححتها » اهـ

ظهر ما تقدم ان السبب في هذا الموضوع اما هو في كيفية التعليم وفي بعض الكتب لافي شخص المعلم . والنظارة مسؤولة عن اصلاح هذا السبب والطريقة التي اراها نافعة في هذا الباب هي انتقاء الطلاب حين الدخول انتقاء كاملا في نباهم ومعلوماتهم وسيرتهم وليس من الضروري ان توسع في المدد فبدلا عن ان نأخذ ستين منهم أو يمون ناقصون نأخذ عشرين كاملين اذا تخرجوا تخرجوا رجالا ذوي قدرة على العمل وقوة للمتعلمين في كمال الاخلاق . أما اذا تخرج من الستين خسون وكان منهم ثلاثون ناقصين فقد أدخلنا في عداد المعلمين اشخاصا غير صالحين وكانت النتيجة مساواة الصالح بالطالح والخطأ بين الضار والنافع وعندي ان يقال إننا لأنخرج كل سنة الا عشرين كاملين خبر من ان يقال اننا نخرج كل سنة طائفة كبيرة لا يمكنها في مجموعها القيام بوظيفتها حق القيام على انه قد مضى وقت الاحتياج الى

الإكثار من المعلمين بقطع النظر عن الكامل والناقص وجاء الوقت الذي يجب فيه التقليل من المعلمين حتى نصادف الخبيرين منهم

ويمكن أن نجتمع النظارة لجنة لتقرر مقدار الحاجة الى المعلمين في كل سنة وتقرر بناء على ذلك انتقاء الطلبة وشروط الدخول وارى ان يكون في اول ما تنظر اليه اللجنة ان الطالب لا يكون قد امضى زمنا طويلا في الازهر بين تلك الاحتمالات والشكوك (١) ولا بد حينئذ اي اذا تهرت هذه القاعدة ان تطيل النظارة زمن وجودهم في المدرسة حتى يتغير وضعهم بالمرّة ويسبكوا سبكاً جديداً فيكون التخرج منهم مفكراً مستنقجاً تربت فيه ملكة القيام بالنفس فيمكنه العمل بما تعلم وان يفيد المعلمين ويث فيهم روح العلم الحقيقي وروح التربية الحقة فان الذي يتقص المعلمين اليوم هو التفكير والاستنتاج فاذا اخذنا الطلبة من الآن فصاعداً ممن لم يمضوا مدة طويلة في الازهر وعوضنا عليهم تلك المدة في المدرسة وصلنا الى نتيجة حسنة قطعاً ونخرج من هذه المدرسة العدد الجيد لعمله وان كان قليلاً فهو خير من عدد كبير جله ممن لا يجيد العمل ولا يحسن التعليم

على ذكر هذا الذي تقدم اقول اني امتحنت طلاب السنة الرابعة من مدرسة الحقوق كما امتحنت مدرسة المعلمين فاذا مدرسة الحقوق في موضوعها متقدمة وفي طلابها جرأة على القول أمام اي ممتحن وبالطبع لم تكن لهم هذه الجرأة الا من اصل التعليم فلو اصلح التعليم في مدرسة المعلمين لوجد من متخرجيها من يفوق متخرجي الحقوق لأن في مدرسة المعلمين تتوفر العلوم العربية والمنطقية وكلها مما يوجب القوة في الحجة والطلاقة في اللسان والتوسع في البيان

(د) لاحظت ان بعض العلوم كأدب اللغة والتاريخ تنفق فيها كتابات الطلبة

(١) المنار : لما عرفت الشيخ عبد العزيز جابش للاستاذ الامام سألني عن درجة تحصيله في أوربا ودار العلوم . قلت اني لم اقف على ذلك لقرب العهد بحضوره من أوربا ولم أعاشره قبلها كثيراً . فقال سله عن مدة اقامته في الأزهر فان كان أقام زمنا طويلا فيه فما أرى انه حصل شيئاً ترحى فائدته لأن طول الإقامة في الازهر تضعف الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به ، وان كانت إقامته فيه قصيرة فهو عندي محل رحا .

عند الامتحان اتفاقا يكاد يكون تاما من كثير من الوجوه فطلت من ذلك انهم لا يعتمدون على قوة الكتابة والانشاء ولو كانوا كذلك لاختلفت العبارات فان المنشئ يمكنه ان يعبر عما علم في موضوع واحد بببارات مختلفة الأسلوب وان كانت متفقة الموضوع وهذا السبب يكاد يكون عاما في المدارس التي امتحنها وان اختلف التلامذة في ذلك بعض الاختلاف ولا حطت أيضا في أمر التطبيق ما يصح ان ألفت النظارة اليه ويقول حضرات المتحدين كلم في الاعتذار عن بعض النقص الذي يوجد فيه ان علته انما هي تضيق الزمن وهذه تقاريرهم مجمعة على كثرة العلوم وقلة الزمان وبعضها يشير الى قلة الزمن المحدد للعلم بالنظر لموضوعه وفائدته كعلوم العربية وعلوم الشريعة التي هي المقصود الاصيل من تأسيس هذه المدرسة . وكأنهم يرمون الى النظر في أمر البر وجرام ولزوم تعديله على مقتضى وضع المدرسة وما يناسبها من العلوم

اني بما قدمته في فقرة (ج) من الكلام في أمر الالتقاء للدخول وشرطه والاخذ من قل زمنهم في الازهر وتعويضهم زمنا في المدرسة أستغني عن الذهاب مع حضرات الاساتذة المتحدين الى النظر في أمر البر وجرام فانه بعد ان يتقرر الامر على ما تقدم يستغنى مؤقتا عن التعديل فيه ومع ذلك فلورأت النظارة ان تنيط اللجنة التي تولت للغرض المتقدم بالنظر أيضا في تحديد العلوم على الوجه المناسب لموضوع المدرسة ومدة الدراسة وعدد الدروس في كل علم وما يبقى من العلوم وما يحذف لكان ذلك خيرا ومفيدا للعلم والتعليم

يدخل في باب التطبيق وجودته صناعة الانشاء وحيث اني كنت بمتحن فيه هذا العام أيضا فاني أقدم هذه الملاحظة بمثابة تقرير مني على انفراد في امتحان الانشاء رأيت السنة كلها وعدد طلابها (٥٦) فسا لم يحجز ولا واحد منهم الدرجة العليا ولم يزل القريب منها إلا عدد قليل اما الباقون فثمن كثير أخذ نصف الدرجات المقررة وهذا فيه ما فيه على ما قلناه ومنهم من زاد عليه زيادات تتردد بين (٢٦) و (٣٩) وقد قل لي الشيخ أحمد السكندري مدرس هذا الفن (وهو الذي كان يقرأني ما كتبوه) ان هذه الفرقة كلها كانت عندي في طول السنة متوسطة لا عالية وقوله

هذا هو قول العارف المارس ولا يؤخذ عليه انه هو المدرس لهذا الفن وربما قاله حتي لا يلحقه قصصهم لأن الرجل معروف بالعمل وبالصدق في الاقوال واني موافق على قوله هذا وأقر ان هذه السنة في الانشاء أقل من سابقاتها ولا يمكنني ان انسب ضعفهم الى صعوبة موضوع الانشاء فاني سألتهم سوآلا يكون كل منهم معه حرا في اختيار الموضوع الذي يجيد الكتابة فيه وكان عندهم من الوقت ساعتان ومضمون السؤال ان كل طالب يختار فضيلة من الفضائل ويبحث على العمل بها قوما مخصوصين فكان مقتضى هذه الحرية ان نجي كتاب كل منهم في غاية الاجادة ولا يكون هذا الا إذا كانوا يحسنون صناعة الانشاء

(هـ) يستخلص مما تقدم ان هذه المدرسة يجب ان يكون لها مقام مخصوص بين المدارس العالية لان الغرض منها كما هو ظاهر من نص المادة الأولى من قانونها هو تخرج معلمين مصريين للغة العربية وكل ما يدرس بها في المدارس التابعة لنظارة المعارف العمومية وهذا الغرض هو أعظم غرض تتوجه اليه فكرة من يريد اصلاح التعليم ولا فائدة أكبر من إيجاد هؤلاء المعلمين إيجادا حقيقيا وهو لا يكون الا باصلاح النظام الذي يخرج بقتضاه أولئك المعلمون فانا في غاية الاحتياج الى كونهم من التواضع لا ان يكونوا كثيرين فيجب انتقاء الطلاب وانتقاء الاساتذة لهم وإيجاد المناسبة بين علومها وزمانها وهذه المدرسة لا تقل في الاهمية عن أختها شقيقها مدرسة القضاء الشرعي وزمان الدراسة في هذه الاخيرة هو تسع سنوات فليس من ضرر ان تجعل مدة الدراسة في مدرسة المعلمين ست سنوات وبهذا تنصف إحدى الشقيقتين نوعا ان لم تتمكن من انصافها بالتام

(و) هذه الملاحظات لا تنافي انا نذكر لهذه المدرسة حسناتها السابقة من يوم نشأتها الى الآن وانها أفادت البلاد والتعليم واللغة العربية بما لا يحصى من الفوائد فاني شغوف بتقديم هذه المدرسة أكثر مما هي عليه وحصولها على درجة تجعلها في أعين القائمين بأمر التعليم في المقام الاول من الاعتبار ولا نغتمنا هذه الملاحظات ايضا من ان نذكر المدرسة في هذه السنة بالنتيجة الحسنة التي حصلت عليها في هذا الامتحان الأخير وهي انه لم يسقط من السنة الرابعة سوى تسعة من (٥٦)

فيكون النجاح باعتبار (٨٤) في المائة قريبا وان سبب سقوطهم كان علم الرياضة قسط في سبعة منهم وعلم الرياضة مع قص في بعض متوسطات المجموعات في الاثنين وان الساقطين في السنة الثالثة خمسة قسط والساقطين في الثانية ستة قسط ولم يسقط في السنة الاولى ولا واحد ولم يسقط في التحضيرية سوى واحد وقد ذكر حضرات المتحنيين في تقاريرهم شهادات طيبة وذكروا معاذير فيما وجدوا من بعض التقصير فنسبوا ما يوجد منه لضيق الزمن في الغالب وللإمتحان في شيء قد تركوه زمانا طويلا وهذه ملخصات تقارير حضراتهم أذكرها بناية الإيجاز مع ألفت النظر الى ما جاء في كل منها من التفصيل ولي أمل شديد في ان سعادة ناظر المعارف الذي عود المصلحة الصوبية عنايته بها يعبر هذه الملاحظات جانبا من الفاتحة فتتجه المدرسة الى السكال الأكمل المطلوب لها مني ومن أمثالي وفقه الله خير البلاد والعباد وهذه هي نموذجات التقارير

(تقرير حضرة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله ممتحن النحو والصرف في السنة الرابعة تحريريا وشفيا وتحريريا في علم المعاني وفي جميع علوم البلاغة الثانية والعروض والقافية للسنتين الثالثة والاولى) قال - د انهم احسنوا فيما عدا النحو والصرف كل الاحسان ولا اتم منهم الا وضع المميزات على ألفت الوصل - وقال - انهم أجادوا في استحضار القواعد وجمع شقيتها والتميز عنها ببارات سلسلة والتثيل بدون تعيد بما في الكتب واستحضار الشواهد ثم سرد نموذجاً من هفواتهم في علم النحو والصرف ورسم الحروف واستنتج ان حالة الجميع حسنة وقال انه يعوزهم في علمي النحو والصرف زيادة الضاية بالتمرين العملي واثى عليهم جميعا فيما يتعلق بعلوم البلاغة والعروض

(تقرير حضرة الشيخ التواميسي ممتحن السنة الرابعة في المنطق والسنة الثالثة في الفقه والاصول) قال : النتيجة في هذا العام حسنة وان كان يوجد تقصير من بعضهم في الاجابة خصوصا في علم الاصول فربما كان ذلك ناشئا من كثرة المواد التي تظفر انها عبء - الى آخر ما قاله ولغت النظر اليه (تقرير ذهني باشا ممتحن الرياضة والهيئة مع جناب المستر تويدي) قال : امتحنت

التلامذة في مسائل موازنة البروجرام ، وبين الناجحين في كل واحد من الحساب والجبر والهندسة على حدته والناجحين في الكل على العموم ومدح الطلبة على سلوكهم في الامتحان والنتيجة هي ما قلنا سابقا من ان الساقطين في الرياضة تسعة

(تقرير حضرة الشيخ الطوخي في التوحيد والتفسير والحديث) قال : أجبنا على الاستغاثات الى كثرة المقررات في العلوم بمداول التدريس وصعوبة بعض الكتب المقررة لتدريس بعض علوم المجموعة الشرعية وعدم كفاية الزمن المحدود لتدريسها . ويظهر من بين السطور في تقريره ان الطلبة كانوا يعجزون عن النجاح لولا مجهوداتهم فأوجه نظر سعادتك الى ما يريد الشيخ الطوخي

(تقارير التربية العلمية والعملية) تشير الى ان الحال محتاج الى تحسين وطلب الشيخ شريف زيادة علم النفس في المدرسة حتى يكمل نظام التربية العملية وانالوا واقعته عليه لاعتبارات كثيرة اهمها قلة عدد الراسخين في هذا العلم الذين ينتفع منهم فيه (تقريراً علي بك بهجت في التاريخ والجغرافية) مدح التلامذة في انهم اقلعوا عن عادة الكتابة من المحفوظات ومدحهم على ما حصلوه ومدح اساتذتهم على ما علموه و اشار الى ان زميله يريد لفت نظر المدرس للجغرافية الى العناية بالرسم (تقرير جعفر بك في الخط) قال ان الطلبة يتقصم كثرة التمرين خارجا عن النموذجات التي تمرنوا فيها

(تقرير ممتحن العلوم الطبيعية) قال ان اجابات الطلبة كانت جيدة في العلوم الطبيعية واحسن منها في الكيمياء فانهم لم يعرفوا ما هي الكهرباء الديناميكية واقترح تقحيح البرنامج الحالي وجعله ارقى مما هو عليه الآن

(تقرير ممتحن فن الرسم) قال ان (١٢ ونصف) تحصلوا على (٧٠) في المائة من الدرجة النهائية وقال ان عدد الفرق كان كثيرا بالنسبة لموضوع الرسم على نحت التباشير وطلب تخصيص ساعتين في الاسبوع للرسم لان زمنه الحالي قليل

(تقرير معلم الجباز) قال ان النتيجة مرضية واثبت على نشاط الطلبة وعلمهم بما

يلقى عليهم من التعاليم

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين — لليافعي ﴾

٦

بقية بحث احاديث الاحاد وكونها من اصول الدين

قال في الأحاديث ما خلاصته: انه لا يبعد ان يكون بعضها موضوعا وان ما غلب على الظن ان يكون له أصل صحيح كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الاسلام — إلى قوله — وما جاء في القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم يأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ثم قال ونهى رسول الله (ص) المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كالقرآن الشريف — إلى قوله — لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز وأقول ان ما كان موضوعا قدينا للتقاد بدور العلم ونجوم الهدى (روح) ومن سلك الطرق المؤدية عرفه والصحيح قد ينوّه على اختلاف مراتبه وهو كثير وشريعة الله ودينه هو ما في الكتاب والسنة النبوية — والعجب ان الدكتور الفاضل قد ذكر في رسالته هذه ان في الكتاب كثيرا من الاحكام الخاصة ثم هو ينكرها هاهنا ونحن نعلم ان فيه الخصوص والتقيّد والجمل والمبين . والأحاديث وان كان قد يوجد فيها بعض ذلك الا ان ما فيها من ذلك هو أقل مما في القرآن . ونبيه (ص) عن تدوينها قد قدمنا الكلام عليه والمسلمون قد أحسنوا التوفيق بين الاحاديث وآيات الكتاب وما اعترض به حضرته قد عرفت الجواب عنه

أما قوله واني لأعجب من أهل الحديث وقوله فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما يسمع أقوالا منسوبة الى الرسول (ص) ان يفتي حياته في معرفة أحوال رجالها (المنازع ٧) (٦٦) (المجلد الثاني عشر)

والوقوف على أمورهم إلى قوله فأتي حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد إلى آخره

وأقول الأمر أيسر وأسهل مما ظن الفاضل - فالتأهل للنظر قد سهل الله له الأمر بما قد صنعه العلماء من الأصول وما جمعه من الصحاح التي قد هذبت وقيمت وقربت واختصرت على أن الجهد والاجتهاد في تحصيلها هو من أفضل الطاعات وأولى ما انفتحت له فئات الأوقات « ما عندكم ينفذ وما عند الله باق » فسد الزمان وترك الأديان والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله فلتكن منكم أمة يدعون إلى الخير. اما العوام فلا حرج عليهم ولا تضيق - وقد قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » - أي اسألوهم عن دين الله لا عن آرائهم المخالفة له فمن أجاب بغير ما شرعه الله أو بما يخالف ما شرعه فليس هو من أهل الذكر الذين أحال الله عبادته إلى سؤالهم بل هو من أهل الرأي المذموم ولا ندري ما مراد الفاضل بهذا والله المستعان

قال حضرة الفاضل حفظه الله في الكلمة السابعة من رسالته - السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة إلى أن قال وهناك فرق عظيم بين لفظ السنة ولفظ الأحاديث ويجب على كل باحث أن يدرس هذا الفرق جيدا حتى لا يقع في الخلط والخلط - وقال اما تسمية الأحاديث مطلقا بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين إلى أن قال - والسنة لا تكون إلا عملية - وأقول ان الله قد أمر باتباع رسوله (ص) ولا شك ان الاتباع يدل على امتثال أمره فيما قال (ص) ونحن لا ننكر ان الاتباع لغة يكون في الفعل أكثر منه في القول - أما كون ذلك هو العرف الشرعي فلا نسلمه وإذا كانت السنة هي الخطة والطريقة كما قال حضرة فلا شك ان الخطة يكون أصلها القول - والطريق والطريقة والسبيل معناها واحد - وقد قال تعالى « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » والدعاء قول وقد سماه سبيلا - والفاروق الخليفة الثاني (رض) قال أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث ان يعرفوا وتغلت منهم ان يردوها فاستبقوا الرأي - وفي رواية واستحووا حين يسألون ان يقولوا لا نسلم

فعارضوا برأيهم فأياكم وإياهم . وفي رواية أخرى إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعينهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا - قلت وهذه الآثار سواء كانت موقوفة حقيقة أو قد سمعها من رسول الله (ص) فانه رضي الله عنه قد سمي الاحادث سنا وبذلك يظهر ان تسميه الاحاديث سنا ليس هو اصطلاح متأخر وقد روي وصح عن غيره نحو ذلك وهو كثير - على انا قول أيضا ان الله كما أمر باتباعه في سنه (ص) كذلك قد أمره و رغب وأكد بطاعته - والطاعة انما تكون في أمره القولي حقيقة وقد ذكرنا ذلك وما يقاربه ويضارعه بما لا مزيد عليه في رسالتنا السابقة

قال ولو كانت واجبة الاتباع للملأ الناس جميعا في عصره (ص) وجروا عليها في أعالمهم - وقال وهذا أدل دليل على انها لم تكن ديناعاما لجميع البشر الى آخره . وأقول لا يلزم ذلك لان جميعهم لم يملأوا القرآن أيضا ولم يجروا في فهمه على طريقة واحدة في كل مسألة مسألة واقعة وهذا الخليفة عمر (رض) من كبارهم قد خفي عليه أمر الصادق وهو موجود في القرآن فلما قرأت عليه الامراءة قوله تعالى « وَاَتَيْنَمُ لِحَدَاهِنُ قَنَاطَرًا فَلَا نَأْخُذُوهَا مِنْهُ شَيْئًا » قال « رجل أخطأ وامراءة أصابت » . فاشتراط استوائهم في العلم والعمل واتفاقهم على جميع الاحكام شرط لنمو لم يقل به أحد من المسلمين كلم ولم يكن لخصرة الدكتور حفظه الله فيه سلف لافي العمل ولا العلم بالقرآن ولا في السنة - واذا كان الامر في القرآن كما عرفت وقد امتاز بانه كلام الرب بلفظه وهم مأمورون بتبليغ لفظه للاعجاز ومتعبدون بتلاوته في الصلاة ونحوها والنبى (ص) كان يقرأ عليهم في الصلوات الجهرية ونحوها وهم كذلك . كل ذلك وهم لم يتفقوا على جميع احكامه ولا على العمل بجميعها كما عرفت فكيف يصح ان يشترط ذلك في الحديث وهو انما هو في المرتبة الثانية ؟ أفليس من الجائز ان يقول (ص) قولاً ويحدث بحديث أو يحكم بحكم فلا يسمعه ولا يحضره الا بعضهم فيخفى على الآخرين ؟ على ان بعض الاحاديث قد عمل بها واتفق عليها أهل الحل والمقد منهم (رض) وقد حدثت أمور ووقائع فرجعوا فيها الى العمل بالحديث واذا صح عندهم الحديث فلم يكونوا يتأخرون عن العمل به . وأيضاً أقول بلا مجازفة قلّ

ان يوجد حديث يصلح للاحتجاج به الا وقد عمل به منهم عدد - ومن لم يعمل به فنحن نعلم وقطع بأنه لم يبلغه أو لم يصح عنده وذلك بديهي مدة علمهم فلا لمراد ولا شبهة فيتأمل فيما قدمناه من الحجج والله أعلم

فالأحاديث الصحيحة قد جري عليها العمل بلا انقطاع الى يومنا هذا - اما الخلاف في الدلالات والترجيح وتقديم بعض الأدلة على بعض في موارد الخلاف والتعارض فهو واقع في القرآن والحديث يعرف ذلك من اختبره وعليه فلا يصلح ذلك دليلاً على ان الشرع موقت بزمان دون زمان وحال دون حال

ونحن قد قلنا في رسالتنا السابقة ان جميع الاحاديث المتفق على صحتها او التي صححها او احتج بها اهل الكتب المشهورة قد تلقتها الامة بالقبول فلا نعيد الكلام خوف الاطالة

قال الفاضل حفظه الله في الكلمة الثامنة من رسالته

(١) قال الامام احمد بن حنبل (رح) ما مناه ان الاحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها - واقول اولاً ان الدكتور الفاضل اذا أخذ هذه المقالة عن الامام احمد (رح) وضم اليها ان جميع السنن لا قبل ولا يجب الصل بها فاذا بقي بين ايدي المسلمين من بيان الدين ومجالات القرآن - وعليه فلا يبقى الا العمل بالرأي وقد عرفت ما فيه - (أنستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) قلت والذين عرفوا الامام احمد واقواله انما حملوا قوله على انه لم يصح عنده في ذلك شيء مرفوع لأن عامة ما يروى انما هي المراسيل - وقد قال غيره من الأئمة ان حكم اكثر الموقوفات في ذلك الرفع وعدم علمه لا ينفي ان يكون هناك شيء كثير مرفوع لم يبلغه - على انه قد قل عنه في الاقناع انه قال اي الامام احمد بمصر صحيفة في التفسير رواها علي ابن ابي طلحة لورجل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيراً

وما قاله الامام احمد (رح) لا يفيد الدكتور الفاضل شيئاً وفرق بين ماذهب اليه الدكتور الفاضل ومايدل عليه قول الامام احمد رحمه الله أمين ولو أردنا ان نورد عن الامام ما قال في وجوب اتباع الاحاديث لاستدعى ذلك مجلداً كبيراً وكذلك

الامام الشافعي (رح) كلاهما على قبيض مذهب الفاضل الدكتور - وقول الامام الشافعي (رح) في النسخ انما هو من نوع الكلام فيما اذا تمارضت الادلة

أما ما قل عن أهل الظاهر فليس كما قال ولم نر من نقل عنهم عدم وجوب العمل بها بكف ومذهبهم انما اشتهر بالعمل بالقرآن والحديث فقط ولذا يقال لم أهل الظاهر . انما ينقل عن بعضهم انه منع تخصيص الكتاب بالكتاب وهو مبني على اصطلاح متأخر اعتمدوه والحق خلافه . نعم نقل عن امامهم داود (رح) ان التواتر من السنة يمارض الكتاب ولا يخص احدهما الآخر أي فهو يتوقف حتى يعلم التاريخ وحينئذ يكون ذلك عنده من مسائل النسخ لا التخصيص واما آحاد السنة الصراح فلا نعرف لم خلافا منقولاً قلاماً موثقاً انهم منعوا تخصيصها للقرآن . وبذلك تعرف ان قولهم انما هو مخالف ومناقض لمذهب الاخ الفاضل الدكتور حفظه الله

قال قال جمهور الاصوليين انها غلظة - واقول قد قدمنا الكلام على ذلك وان الحق غير ذلك على انهم مجمعون على وجوب اتباعها قال وقال جمهور المسلمين انه لا يجوز الأخذ بها في المقائد . واقول كونهم الجمهور غير مسلم . بل الجمهور من عهد رسول الله (ص) الى يومنا هذا على خلاف ذلك على انه لا يجب علينا ان نتمد وتدين باقوال الرجال الا اذا وافقت الصواب من السنة والكتاب قال قال كثير من الائمة كالفاضي عياض انه لا يجب الاخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة - وأقول قد سبقهم الى ذلك سيد المرسلين (ص) فيما صح عنه لكنه لا يدل على ما زعمه حضرة الفاضل ولا يؤيد مذهب

قال وقال جميع المحدثين ان الموضوع منها كثير وتميزه عبر جدا وفي بعض الاحوال مستحيل - قلت اما ان أحداً منهم قال ان تميزه مستحيل فغير مسلم واما الكثرة فلا بأس وهم قد ميزوا ذلك وظهر امر الله

واما ما قل عن الامام ابي حنيفة فان صح ذلك كان بحسب اطلاعه لا انه في نفس الامر كذلك وامام الاحناف رحمه الله قد استفاض عنه وجوب تقديم الحديث الضعيف على الرأي فهو وأتباعه الصادقون على قبيض ما يذهب اليه الفاضل الدكتور

وما قتل عن الامام مالك (رح) فليس بما نحن بصدده وانما هو من باب ترجيح احد الدليلين اذا تعارضا وهو لا يدل على ما ذهب الفاضل الدكتور حتى ولا من باب الاشارة ومذهب الامام مالك (رح) معروف في ايجاب العمل بالاحاديث الصحاح قال اجمع المسلمون على عدم تكفير من انكر أي حديث منها . قلت ان من أنكر ذلك لانه لم يصبح لديه فالامر كذلك ونحن قول بذلك وأما من رد ما عرف ان النبي (ص) قاله بلا مسوغ فهو كافر برسالة محمد (ص)

وقوله ان تناقضها كثير الى آخره جوابه ان ذلك انما هو في نظر بعض الناس ودعوى الكثرة والاستحالة في التوفيق غير مسلم سوقوله قام الدليل الحسي الى آخره جوابه اننا لانسلم ذلك . وقوله لم يجمعها الصحابة الخ قدمنا الكلام عليه قال لم يبلغوها الى الامم بالتواتر - أقول ذلك غير لازم وهو لا يضرنا والشئ لا يكون متواترا الا اذا تواتر بل قصدت واطى وانما يكون متواترا بالاتفاق (كذا) قال انهم نهوا عن كتابتها وأحرقوا ما كتبوه منها - وأقول قدمنا الكلام على الكتابة وأما الاحراق فهو لم يكن لاحاديث النبي (ص) - وعلى المدعي اليان بما يعين ويدل على مراده

قال قد نعى بعضهم عن التحديث وكرهه - أقول ان صح ذلك فانما هو عن بعضهم وسببه كما قال خوف النط على رسول الله (ص) فيقع المكث في الكذب على رسول الله (ص) على ان من يقال انه كره ذلك هو نفسه قد حدث عن رسول الله (ص) بأحاديث كثيرة واذا كان مراده أن الذي كره ذلك عمر (رض) فقد روى عنه الجهم الغفير أحاديث كثيرة وقد قدمنا بعض قوله في الاحاديث وان غيره فعليه يانعملى ان كراهة الاكثر من التحديث لو نوماذهب اليه الدكتور والفاضل لو نآخر فلا حجة له في ذلك فتأمل

قال كان افاضلهم أقل الناس حديثا الخ وأقول ذلك غير مسلم على ان التحديث القليل الذي يسلمه هو حجة عليه بقض مذهبنا ونحن قول ان عدم الاكثر له اسباب كثيرة ليس هذا موضع بسطها .

قال من كان من الصحابة (رض) كثير الحديث ملوه وزجروه كما فعل عمر .

(المارچ ۷ م ۱۲) الاحاديث . علم الاتفاق على صحيحها وحفظها ۵۲۷

(رض) (أبي هريرة (رض) وأقول أبو هريرة من الثقات ومن الصحابة الكرام - وكلام عمر له أسباب غير ما يريده الدكتور الفاضل وقد عرفت بعض كلام عمر (رض) وهو من أكثر الصحابة أمراً باتباع الحديث والسنة وقد حدث عن رسول الله «ص» بأحاديث كثيرة

قال ان أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها . قلت بل قل اتفقوا على كثير من ذلك وهذا ان صح ان قال قائما كان قبل ان تدون أما بعد ان صنت ودونت فقد اتفق الحفاظ والأئمة المتأخرون على قبول تصحيح ما وسم بالصحة في الكتب المشهورة وما بقي فيه بعض اختلاف فهو طفيف يمكن النصف تمييزه

قال لم يمتن المسلمون بحفظها كالحفظوا القرآن أقول لا يلزم ذلك ولا يضرونهم لم قل انه يلزم لها في الحفظ اللفظي ما يلزم ويجب للقرآن على انه قد احتج بحفظها كثير من الأئمة والقادة وأهل القرائح والوقادة الذائدون عن الدين كما أخبرهم سيده للمرسلين «ص» فجزاهم الله عن هذه الامة خيرا الجزاء ورحمهم الله ورضي عنهم وارضاهم آمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين الى يوم الدين

• • •

هذا جواب ما كتبه الدكتور الفاضل بفاية الاختصار وأنا ارجو حضرة شيخ الاسلام أن يطلع ذلك في المنار الاغر ولو دفعات متفرقة فانه قد رغب فيه كثير من قراء المنار ومن ينظره بين الاعتبار - وأنفس من حضرته ان يصلح ما فيه من الخطا والزلل لأنني كتبت بجملة بعد ان كنت أردت الاعراض عن الجواب ولكن ارضاء لله ورسوله «ص» ثم للإخوان الكرام الذين رغبوا في ذلك كتبت ذلك اوفجالا وأنتمس من حضرة شيخ الاسلام أن يذكر ملخص رأيه وكذلك أنتمس من علماء الاسلام حفظهم الله وايدبهم الدين ان يتكلموا ولو بالتصويب والخطئة فان الزمان كما ترون أهله أول ما يادرون الى حب الخلاف ولو لأضعف الشبهات فنسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله وآله الى يوم الدين

قال ذلك بضمه وكتبه بقلمه

الحقير صالح بن علي بن ناصر البافعي

(المنار) انا نشكر لصديقنا الاستاذ اليافعي خبرته على السنة السنية وعنايته بالدفاع عنها في هذا الزمن الذي عاد الاسلام فيه غريبا كما بدا ونسأل الله تعالى ان يجعلنا وإياه من القراء الذين يظهرون السنن كما ورد في بعض روايات الحديث . ثم نشكر له حسن ظنه بنا ومنه أمره إيانا بإصلاح ما عساه يوجد في كلامه من خطأ وزلل وإطراؤه إيانا باللقاب والنموت التي لا نستحقها

اما رأينا في المسائل التي جرت المناظرة فيها بينه وبين صديقنا الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فلا نرى ان نبحت في جزئياتها بالتفصيل لما في ذلك من التطويل الذي يله القراء ويسر على أكثرهم ضبطه وربطه بأصله ومن كان مستغل الفهم غير مقلد في العلم قلما يوافق رأيه رأي واحد من المختلفين او المناظرين في مثل هذه المسائل بل يرى أن كل واحد خطأ في بعض المسائل وأصاب في بعضها وهذا هو رأينا في جزئيات كلام صديقنا المناظرين ،

وأما المسائل الثلاث الكلية التي هي أقطاب هذه المناظرة — وهي مسألة النسخ ومسألة العمل بالأحاديث وإفادة أخبار الآحاد العلم أو الظن — فسقول فيها قولاً مختصراً مفيداً ان شاء الله تعالى ونرجو ان يكون ذلك في الجزء السابع

باب الانتقاد على المنار

﴿ ايضاح وانتقاد ﴾

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب الامضاء فنشرها ونحجب عنها وهي :

العلامة المفضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر

(١ — تحية وسلاماً) وبعد فيظهر ان المنار في جوابه على سؤالي الانتقادي المدرج في صحيفة (١٨٩ ج ٣٣ ١٢) لم يتمكن في معرفة مقصدي من الانتقاد والسؤال وأنا بقاية الایجاز اعيد عليه تفصيل مقصدي وما انتقده عليه .
لا يخفى ان كل انسان يهيم مستقبله وان شئت قل تهيم الآخرة أكثر من

الدنيا ولا يمكن ان نجد واحدا مهما كان دينه يقول انه يريد لنفسه الشقاء اذا فهمنا هذا فالاستاذ يعلم ان جمهور المسلمين ومنهم المرحوم ابن تيمية الذي تنطق آراؤه على آرائه يقولون ان الله تعالى قبل ان يوجد الخلق قد قسمهم قسمين . فريق للجنة وفريق للسعير وإن شئت قل فريق للثناء وفريق للشقاء . أما هذه العلة المدهشة في مثل هذا التعميم فهي غير معلومة للشار أو لابن تيمية الذي يقول :

واصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الاله بطله

ترك ذلك ونؤمن معكم بهذا التقسيم الذي عمل قبل وجود الخلق موقتا (وان كنا نعتقد بضاده) وتأمل لماذا ؟؟ بقى ذلك من النتائج في الحياة الحاضرة والعمل الانساني . . . هل الاسباب الدنيوية الموصلة الى النتائج الأخروية تعتبر علة لهذه النتائج ؟ ام النتائج الأخروية المقررة نفسها علة للاسباب الدنيوية ؟ . . . أقصد اذا كان رجل كتب له السعادة في الآخرة عند الخالق . . هل يوقه الله تعالى لاسباب السعادة في هذه الحياة حتى ينيله في الآخرة ما قد تخصص اليه ؟؟ من قبل ليكون كما هو ؟؟ سعيدا ؟ . . أما جواب ابن تيمية وان شئت قل جوابكم ايضا ان العلة في ان يتوفى ؟؟ لاسباب السعادة هو كونه مكتوبا سعيدا من قبل أي ان النتيجة كانت علة للسبب وليس العكس كما يقول ابن تيمية

فمن كان من أهل السعادة أثرت أوامره فيه بتيسير صنعة

ومن كان من أهل السعادة لم ينل بأمر ولا نهي بتقدير شقوة

ومختصر المعنى ان المكتوب سعيدا عند الله قبل ان يخلق يتأثر بطبيعته بأوامر الله فينبغي ان يكون كما لا بد أن يكون . . والمكتوب من قبل للشقاء ؟؟ لاضيقه المواعظ ولا الأوامر ولا التواهي بل يسير بطبيعته الى حيث يتوصل الى قسمته القديمة ايضا . اذا علم المنار كل ما تقدم ووافق عليه قانا من جهة أخرى اقول له لا يهني الآن فرقة القدريّة ولا فرقة الجبرية الذين يقولون ان الانسان كالريشة في الهباء كما اني لا انكر ان القرآن الحكيم امر بالعمل والنظر في الاسباب ونظام الكون الخ

وكل الكلام الحل الجليل الذي ذكره المنار في تفسير معنى القدر وما ذكره

(المجلد الثاني عشر)

(٦٧)

(المنار ج ٧)

في (٨ - حكم الاسلام في عمل الانسان) مسلم به بل القرآن ما هو أكثر وأحكم وأمن (٢ - العقيدة) العقيدة من حيث هي إما تكون فاسدة ففض... وإما ان تكون صحيحة فتنتفع والقرآن الحكيم أول الكتب السماوية الذي طلب لتحكيم العقل في كل عقيدة وفند كثيراً من المعتقدات الفاسدة . فكيف واني اعتقد جازماً ان تقسيم الخلق على الشكل السالف من أول العقائد الفاسدة بل المضرة المهلكة ايضا . ولا يخافن النار من ادعائي هذا بلا برهان . فاني اجيبه عند السؤال بشرط ان لا اتعدى القرآن والعقل . فلتترك ذلك ايضا موثقاً

(٣ - اعتقاد المسلم في دينه) ماذا يعتمد المسلم في دينه من حيث كونه مسلماً آمن بالله وحده و باليوم الآخر ؟ . لا شك انه افضل الاديان - بل ايد القرآن ان من لم يكن في بواطنه « ١ » مخلصاً وخارجاً عن مبادئ الاسلام كانت له النار حتماً كالآية « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » فصف اعتقاد المسلم هذا بأن له الجنة وحده وان غيره له النار للأسباب المقدمة الى الاعتقاد السالف بان الله تعالى قسم الناس قسمين قسم للجنة وقسم للنار بلا علة نحمد منها « ٢ » ان المسلم هو الوحيد الذي كتب الله له الجنة من الازل وغيره له النار من الازل . وان المسلم موفق من الله بأعماله الى السنن التي تؤهل به الى الجنة وغيره الى السنن التي تؤهله الى ضدها او الى الشقاء .

(٤ - الكلام بحسب الواقع) ان بكلامي هذا للمناراتكم بالاغلبية العظمى « ٣ » الظاهرة عند المسلمين وما عليه اجماع حال الامة الباطني الحقيقي . فان التنويرين النواذر الذين يمكنهم ان يحولوا المعاني بسحر ينانهم وقوة عارضتهم لتحليل « ٤ » أي فرض عسر حله مثل صاحب المنار هم قليلون . وقد تواجده « ٥ » مثل الشيخ محمد عبده (رحمه الله) وصاحب المنار مثل الغزالي وابن خلدون ممن ملؤا الدنيا بفصاحتهم وقوة ينانهم مالا يطلب بعده المزيد . ولكن كل ذلك ما كان يفيد تقريباً . ولا قدم شيئاً للامة محسوساً ولا وضع الامة في صفها الحقيقي كما طلب الغزالي ويطلب صاحب المنار . ولم تزل ساقطة كما كانت تقريباً « ٦ » لو اردنا ان نعمل بينها وبين غيرها نسبة . وغرضي ان تتوصلوا لتأصل « ٧ » هذا الداء الذي هو اصل البلاء حتى يكون اصلاحكم المنشود

للامة فعال موثر «١» لا يزول . وليس كمن يكتب على الماء . لماذا ؟ . لانه اذا كانت الغاية النهائية التي يطلبها الانسان والتي هي نهاية آماله ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . فالواسعة ان حسنت او ساءت لا تهم كثيرا ما دامت الغاية الابدية الموعود عليها مقرررة ومعلومة .

(٥ - مثال عن حال تقسيم الناس في اعتقاد اغلب المسلمين) اسمع مني تكريما يا صاحب المنار مثلا : رجلان وقفا امام ادارة المنار احدهما يسمى مسلما والثاني غير مسلم والاول اعلن «١» من ادارة المنار انها ستحمله الى حديقة الازكية ليتمتع بما فيها من الجنات والسررات . والثاني اعلته انه سيكون خارجها محروما من كل شيء . ولكن اخبرتهما معا في آن واحد ان الطريق ما بين ادارة المنار والحديقة معلوم بأنواع السررات وهو لهما ما فن سار بقدميه وتأمل بهقلهولسنن الكون (٤) والنظامات الآلهية الى ما في الطريق (٤) تمتع . وتتم أي تتم ومن وقف مستظرا مركبة المنار فليس له شيء . مما في الطريق مطلقا ولا يجد في المركبة غير الحرمان ... غير انه على كل حال سيصل الى مركزه المعين . الاول سيكون داخل الحديقة والثاني خارجها بلا سبب وبلا جواب ان سأل

افكر ان المنار عرف مقصدي من هذا المثال فداخل الحديقة التي عدت «١» للمسلم هي الجنة وخارجها لغير المسلم هي النار . والطريق الموصل الى الطرفين مشترك بين الاثنين ولهما معا هي الحياة الدنيا الموجود فيها المسلم وسها مشترك الحياة بين الجميع (٦ - المسلمون في تمدنهم وانحطاطهم) سار بعض الامم الاسلامية في الطريق على السنن الطبيعية من غير ان ينتظروا مركبة الآخرة ليحملوا عليها الى مقرهم فتوصلوا على كل شيء في الطريق وتالوا كل شيء بكدهم وعملهم كما كان الامر في صدر الاسلام فقدمت الامم الاسلامية وسادت في الارض فكانت سعيدة وسيدة في الدنيا غير سعادتها المضمونة لها في الآخرة حسب اعتقادها . ثم جاء قوه مسلمون آخرون منهم وقالوا مالنا ولكد الحياة . بل مالنا ولهذا المتاع الفاني فلنترهد ونعشف في الحياة ولا نبحت على أكثر من قوت يومنا فان يقين الايمان بالآخرة ودوام التعبد كاف لاسعاد الروح بحسن المآل (ولا شك ان العقل الذي يجعل اساس السعادة

بالعقيدة من السهل عليه تمييز هذا الوهم) وقد تنابم التقاعد وعظم الاهتمام بالحياة بين الأمم الإسلامية حتى لو سألت بعض المتقربين الذين تغلب أفكارهم بين أكثر الناس عن أفكار مثل صاحب المنار لثيرة عن سبب تقدم الأمم الغربية الإسلامية الحالي والماضى . اجابوك هؤلاء لم الدنيا ولها وزيقها والعبرة بالأواخر والحياة الابدية وتقالوا لك في آن واحدا اذا كانت توجد آيات قرآنية تدل على لزوم الأخذ بالاسباب والتأمل للنتائج الطبيعية العالمية والسنن الآلهية فان كثيرا من الآيات ما يدل على الكشف وترك الدنيا (٢) وان كان صاحب المنار له في ذلك تأويلا (٣) لا يهمهم سماعه لوجود عقيدة التقسيم المذكورة أو ما يسمونه (بالقسمة)

ومن جهة أخرى إذا تأملنا لعل تأخر المسلمين الديوي وانحطاطهم نجد ان الاسباب التي ارتكنوا عليها في طبيعتها فاسدة ولذا كان الانحطاط ملازما لها . . . ولكن العقل المؤسس على العقيدة والمؤيد حتما لضرورة (وجود الاسباب الديوية للطة الاخروية) يحتم بوقوع (٤) تلك الاسباب قبل وجودها لوجوب نتائجها ولزوم وقوعها أيضا . . . فكان كلامي (في صحيفة ١٩١ ج ٣ م ١٢) عن العقل المؤسس على العقيدة ما يأتي : « وما دامت الاسباب التي هي حجة للنتائج (٥) مقدرة حتمية فالنتائج (أي الديوية بخلاف الاخروية أيضا) بالطبع تابعة لهذا الالتزام (٥) . . . وعليه فالتقاضى والحساب في الآخرة ليس الا تتميم رواية كلامية . . . واذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلومن الأمم الإسلامية الماضية وما كانت فيه من الاضمحلال ولا داعي لاستخراج (٥) نتائج فلسفية أو عمرانية للزوم الأخذ بأسباب الترقى والحرب من القديم — ولا عيب على حكومات الاستبداد . . . ولا مانع من البقاء في الجهل الخ إذ ان الداعين للزوم تغيير المناهج لتغيير معها النتائج ليسوا الا معترفون بلزوم التسلط وتجويز القدر الإلهي (٦) التفاضل على الاسباب (حسب وهمهم) بيد من حديد » وهناك إذا اعترفوا بذلك كانت العقيدة في التقسيم المذكور فاسدة ولا أصل لها » ويكون الحكم العقلي على كل ما يحدث جائزا فقط بحيث يمكن وقوع غيره بأسباب أخرى ولا يكون حتما مع الاسباب المذكورة التي وقع بها (٦)

(٧ - انتقاد المنار لكلامي) — لما أراد المنار ان ينتقد بعض كلامي المدرج

في السؤال وجدت انه لم يصب الفرض الذي أدعي اليه من حيث كون القرآن أو العقل والعلم يجوز امكن عدم وقوع حادث وقع فعلاً أم لا اما أنا قلت بالجواز وأقول به أيضا أما النار فأجاب عن وقوع الفعل من حيث كونه وقع فعلاً فقط ولم يزد . . . قري في أول صحيفة (١٩٢ ج ٣ م ١٢) « أما قولكم في مسألة اصابة « ولي عهد ألمانيا » بذلك المرض لم تكن محتمة له من الازل الخ قول ظاهر البطلان . . لان قضية مرضه جرتها الاطلاق لوقوعها بالفعل والامكان لا يتناقض الاطلاق وبمارة عامية : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . . . هذا ما قاله النار والحقيقة اني لم أقصد المسئلة بذاتها من حيث كونها مطلقة ووقعت فعلاً بل من حيث حكم العقل والقرآن والسنن الطيبية في كل ما يحدث وذلك مثلاً يقال : فلان سرق قرطاً من الذهب وجازته الحكومة لجايته . . . هل كان يمكنه ان لا يسرق قبل (١) ان تقع منه السرقة فعلاً . . . أما جوابي وجواب العلم والقرآن فتم كان يمكنه ان لا يسرق وكان في الامكان تبعاً لذلك عدم مجازاته . . . أما جواب النار السالف في مسئلة ولي العهد أشبه (٢) بقوله . . . نعم ما دامت وقعت السرقة فهو لا بد ان يسرق ولا بد ان يقع الجزاء . . . وهذا لا يعد جواباً عن المقصود . . . مع ان ما جواب به النار لم ننكره بل أيدناه في نفس السؤال لانه مفهوم وديهي لا يحتاج لأن يقول عنه النار . . . ظاهر البطلان إذ قلنا كما قال المتأرجح في (صحيفة ١٩٠ سطر ١٩) ولكن مسئلة اصابة ولي العهد بالمرض تخصصت له من الله تعالى بسبب جهله لتلك الاسباب ليس الا . . . وهي نفس الجملة التي قالها النار وهي : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . وعليه كان انتقاد النار لفوا وكان جوابه فقط دالاً على لزوم التسلك بالعقدة بالقسمة ؟ ونخلصاً بما عداها

(٨ - سبب التمهيد للاصلاح الاسلامي) - يا صاحب النار ان كنت تريد اصلاحاً فلا يجب ان يكون قليدياً فان تغلب الفكر الحالي في لزوم الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطيبية ونطابق ذلك بحسب اجتهادكم على القرآن لم يكن ولم ينتشر الا بسبب قبوله عند بعض المسلمين بما رأوه ورأيتوه من قديم الامم

الغزية التي اتبعت هذه السن وصارت أحوالها أشرف وأحسن بالأجل من حال المسلمين اليوم - وان الأخيرين «؟» من زمن بعيد آخذون في التبدل حتى صاروا الآن وراء جميع الأمم قريبا - وان اليهودات الكيرة التي يؤديها أناسكم كالشعرة البيضاء في الجسم الأسود بالنسبة لتعداد الأمة الإسلامية في العالم (وحاشا ان يكون ذلك داعيا لتثييط هتكم فان الحق لا بد ان يسود مع طول الزمن) وان تلك اليهودات تصير كالحباء مع تأصل عقيدة التقسيم وان الفضل الذي يرجع اليه يقط المسلمين الحالي راجع الى الضغط الذي يلاقونه من غيرهم لسيادتهم عليهم اسما أو فعلا لا الى الاصلاح الديني من حيث هو فانه لا يعتبر أصلا بل يساعد على انتشاره لفرض الخلاص من سوء الحال لوقوف العقيدة امام العقول المرصدة «؟؟»

(٩ - الفرق بين المسلم وغيره) اذا كنتم تقولون ان علماء اللاهوت بحثوا كثيرا في هذا الموضوع وانهم كالمسلمين للآن في بحر عميق وان ذلك من توابيع البحث في العلم والارادة وان الفرق بين المسيحيين والمسلمين مشتركين «؟» في هذا الاعتقاد . قلت لكم ان الفرقين لم يتقدموا الا من بعد ان فكوا من أعناقهم وداسوا بأرجلهم على كل عقيدة قيد عقولهم ونظامهم الفطري الطبيعي . فهم لذلك من حيث عقيدة التقسيم السافرة التي يتبعها المسلمون بوجودها «؟» بالفرض بينهم فهي «؟» ليست أصلا لعالم وإيمانهم ولا هي مرجع «؟» لمركز الاعتقاد في سعادتهم وشقايتهم في الدنيا والآخرة كما هو ظاهر في جمهورهم بخلاف المسلمين فانها ان كانت دافعة لتقدمهم سنة واحدة فانها اخترتهم وتؤخرهم سنين لماذا ؟ لان المسلمين جعلوا الاعتقاد بالقسمة أصلا لتقدمهم وتأخرهم وهم هم أنفسهم لا يتكرون وجود السنن الالهية التي يجب السير عليها والي لم يهمل الله تعالى نظام العالم بغيرها ولكنها فرعا ثانويا «؟» ممن تركه كما حصل منهم من مثلت من السنين الى الآن وهم معذورون لتسلطها على قلوبهم وكان صوت المصلحين بينهم كالتافخ «؟» في الرماد

ولكن الفرقى بالعكس صار ينظر بالتجارب العلمية والعقلية ومقاومته «؟» أكثر المتعقدات الدينية الباطلة حتى وصل الى ان عمله في هذه الحياة هو أصل سعادته وشقاوته هنا وهناك وكل ماعدا ذلك من المباحث القديمة ثانوية «؟» وصار يقدم نفسه وماله فداء

بارتياح لمقاومة كل ما يهدم شيئا من السنن الالهية الطبيعية في العالم الموافقة للعقل والشعور الانساني وكان الاصل الاول الذي اتخذ لسعادته المحسوسة هو: «الحرية» (١٠- الخوف من التقليد مع وجود الداء) ما ذكرناه الآن هو الداعي لان نقول للمنار في صحيفة (١٩٠ ج ٣ م ١٢) (اذا كان المنار وابن تيمية والمسلمون جميعا) يعتقدون ان العباد مقسومة هذا للشقاء وذلك للسعادة وان هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمة المسلمين التي تتوجه للاصلاح والتقدم «الدنيوي» ليست الا ضربا من التقليد والتشبه للأمم الحية التي لا تعرف شيئا من هذه العقيدة المقيدة لهم والعقول «من حيث كونها ليست أصلا لسعادتهم وشقايتهم لان حيث جعلهم لها بالمرّة» قزول منهم «أي همة المسلمين» اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرارية «مثل السيادة» الداعية لهذا التشبه لان الدين. «عند المسلمين وخصوصا الاعتقاد بالتقسيم» راسخ في الاذهان «كما هو ظاهر» من مبدأ وقى أثره تقليدي. اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين ثم تشبعت النفوس تدريجيا بالمبادئ الطبيعية «والسنن الالهية المعقولة» التي تسير مع تقدم الامم الخ فهناك يكون الاصلاح من نفسه طبعيا لا يهدده ولا تقاومه عقيدة

(١١- الاصلاح الطبيعي) غرضنا مما تقدم لزوم «؟» انكار هذا التقسيم الملازم لهذا الاعتقاد لان العقل والعلم لا يقبله ثم ثبوت «؟» ان الذي يسير على السنن الالهية فانه كما يكون بها في الدنيا سعيدا فهو في الآخرة أيضا والعكس «؟» وان نوم المسلمين مع اعتقادهم «ما هو مكتوب لهم بالذات ومخصصا «؟» لهم أصله باطل محض - مع تأييد امكان تنوع الحوادث وانها أصلا «؟» لما هو مكتوب عند الله عامة على «؟» جميع الناس سواء وليس ما هو مكتوب لكل شخص ومخصص له بالذات عند الله أصلا لما يتناهى من الحوادث المذكورة - لان النتيجة (الذي هو التقسيم المذكور بالعقيدة) اذا كانت لازمة من الأزل كانت أصلا للسبب «؟» - والسبب عندها يتحتم ويكون واجبا وقوعه عقلا ويكون مدلوله في العقل بشكل اجباري «؟» وان كانت البداهة تؤيد علمه أو معها تنوع فهم الاجبار المذكور بشي من دلائل الاختيار وتعريف معناه وصفته «؟» كما عرف بذلك المنار في آخر صحيفة (١٩٩ ج ٣ م ١٢) فكا

ذلك لا يفيد ولا يؤثر - بل يكون من قبل مقاومة القوة بالقوة فكل منها بلاشى الآخر وان كان لكل منها تأثيرا «؟» في نفسه ويجب أيضا ان يكون كل حادث ممكنا فقط قبل وقوعه «؟» مع ثبوت احتمال وقوع غيره ان وقع فيتبدل التقسيم المذكور تبعا لاتباع السنن المختلفة بالحرية لا تبعا لكون التقسيم هو الذي يوجب اتباع احدى السنن المينة التي تلازمه وتلتصق به إلصاقا وبذلك تنقلب العقيدة الى أصلها الحق الطبيعي «؟» .

(١٢ - حل المسئلة) اذا كان المنار يفضل بمحل المسئلة على الوجه الذي ذكرنا أفاد الأمة كثيرا في أكبر آياتها (كذا) وما كان في نصائحه الفيلسفة المبرانية التي يذكرها تباعا كن يشد الحبل من طرف فتشده الأمة بقوة العقيدة المذكورة من الطرف الآخر - فهو لم يزل واقفا مع صرف كثير من المجهودات . بل ربما تدلت الامة لا سمح الله بالرغم عنه الى الوراء زيادة وكثير من المسلمين بل أغلبهم ما زال في الطرف المضاد الى الآن

اما اذا كان لا بد للمنار من ان يصرح بلزوم عقيدة التقسيم المذكورة ويوافق ابن تيمية على مقاله فانا نقول له ان العقيدة المذكورة يمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرّة ولا يؤيدها شيء مطلقا لا العقل ولا العلم ولا الحقيقة بل انها باطلة - واذا سمح لي المنار انا العاجز بمحل على صفحاته الغراء قاني اعرض عليه ما يمكنه به حل هذه العقدة وخصوصا فيما يتعلق بالارادة والعلم وله انتقاده ما شاء فاذا احصى الحق طلبنا منه معاودتنا على تأييده والنفود عنه كما هو مبدؤه لاني لا اريد الا اصلاح كالمنازل ما استطعت وما توفيقي الا بالله العزيز الحكيم . ثم لي كلمة انتقاده على بعض ما اورده المنار في جوابه على سؤالي في صحيفة ١٨٩ ج ٣ ص ١٢ اجلتها لوقت آخر حتى ارى ما سيكون عما كتبناه الآن في المنار والسلام

سوا كن في ٤ يونيه سنة ١٩٠٩ كاتبه

احمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

﴿ جواب المنار ﴾

سبق لنا تقرير كتاب المتقدم (احمد افندي بدوي) اشرفا فيه الى رأينا في المؤلف نفسه وهو انه مستعد للمباحث الفلسفية الدينية ولكنه لعدم تمكنه من درس الدين والتوسع في اللغة العربية التي يتوقف فهمه على اتقانها يقول فيها ما لا يكاد يفهم . وكان لنا ان لا ننشر انتقاده هذا لأنه ليس على شرطنا اذ هو مبني على ما فهمه من قصيدة لابن تيمية على حكمه بأتمامه اقون لابن تيمية فيه او في كل شيء . — وكأنه أخذ ذلك من ثنائنا عليه — ولكننا نشرناه عناية به وحفظاً لمثله الى التدقيق في المباحث التي يدفعه اليها استعدادده وقد صححنا بعض أغلاطه اللفظية البديهية وتركنا الباقي على حاله الا أننا وضعنا في جانب بعض الكلمات او الجمل علامة (؟) اشارة الى بعض تلك الأغلاط اللفظية والمضوية وقد تكون الصلابة لمدة اغلاط في الجملة كما لا يخفى على العارفين

ان كان يريد الانتقاد على في شيء رآه خطأ فكان عليه ان يقول إن ما ذكره المنار في صفحة كذا غير صحيح بدليل كذا والحق في المسألة هو كذا مع إقامة الدليل عليه . وان كان يريد تقرير حقيقة جهلها المسلمون وخطأ فيها مثل ابن تيمية وعجز عن بيان الصواب فيها مثل النزالي والشيخ محمد عبده واهتدى هو الي معرفتها وأوتي القدرة على بيانها فكان الواجب عليه ان يسجل بهذا البيان حرصا على هداية هذه الامة وكراعاة لاستمرار ضلالها في أهم قواعد دينها ومدار سعادتها وشقايتها ثم له بعد ذلك ان يبين وجوه خطأ اشهر شيوخ الاسلام فيها إن كان لا يرى أن ظهور الحق كاف لدحض الباطل . هذا هو المقول وأما مسلكه فلم له نقول وجها صحيحا

قرأنا مقاله المسلط ففهمنا بعضه من العبارة وبعضه من القرائن ومنه جعل لم نفهمها بالمرّة لان تركيبها غير صحيح . وقد علمنا انه لم يفهم ما كتبناه كله وانه يني الايرادات والاعتراضات على شيء . في خه يعزوه تارة الى الدين وتارة الى بعض من كتبوا فيه حتى انه ينسب الى المنار ما يدور المنار الى ضده حتى في الجواب عن اعتراضه الاول على عبارة (المنار ج ٧) (٦٨) (المجلد الثاني عشر)

التفسير فهذا وما ذكرنا من ضعفه في اللغة هما سببان فيها ذكره من عدم فهمنا لفرضه من اعتقاده الأول وكذا الثاني، وهما السببان في عدم فهمه هولكلامتنا السابق كله ولا ندري ماذا يكون نصيب كلامنا اللاحق من فهمه . ولو لا الضرورة لما صرحنا بهذا ولكن اردنا ان يعرفه ويفكر فيه لما سذكروه في آخر الرد

قد أحسن الكاتب في تقسيم كلامه الى مسائل مطبوعة بالأرقام كما فعلنا في جوابه الذي نشرناه في الجزء الثالث واتنا نين ما لا نرى بدا من يانه في كل مسألة من كلامه مشيرين اليها بالأرقام ثم نقول كلمة مجملة في الموضوع

(١) قال ان جمهور المسلمين ومنهم ابن تيمية الذي تطبق آراؤنا على آرائه يقولون ان الله تعالى قد قسم الخلق قبل إيجادهم قسمين « فريق في الجنة وفريق في السعير » وقال انه يستمد فساد هذا التقسيم أي بطلانه ومنه صحة ثم انه يدعي مع ذلك انه يستمد علمه من القرآن والعلم الصحيح !! وتقول ان القرآن هو الذي نص على هذا التقسيم في سورة الشورى قال تعالى « ٤٢ : ٧ » وكذلك اوجبت اليك قرآنا عربيا لتتذرا ثم اقرى ومن حولها وتندري يوم الحزم لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ٨ ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة ولكن يدخل يشاء في رحمة والظالمون ما لم من ولي ولا نصير » اما قولهم ان هذا التقسيم أزلني فعمناه انه ثابت في علم الله الأزلني لا معنى له عندهم غير هذا فان كان ينكر التقسيم نفسه فذلك انكار القرآن نفسه لا يصدر من مو من به وان كان ينكر أزيله علم الله تعالى به وبغيره فحكمه عند المسلمين معروف أيضا . وأما قوله ان صاحب النار وابن تيمية لا يفهمان علمه هذا التقسيم فلا نجيجه عنه لأننا لانحب أن نضع وقتنا ووقت الناس في الجدل والدفاع الشخصي فليحكم على فهمنا وفهم ابن تيمية بما يشاء علم ذلك ام لم يطمه

« ٢ » ليس في هذه المسألة الا تأكيد ما جاء في الأولى من جزمه بفساد

عقيدة التقسيم وكونها من العقائد الضارة أي بحسب فهمه لتأثيرها في المسلمين « ٣ » اعتقاد المسلم ان دينه أفضل الأديان وان له الجنة ولنيره النار الخ فيه تفصيل يبينه في التفسير مرارا لجل عامة المفسرين له وهو ان الاسلام دين جميع الأتقياء والمسلمين وأساسه اتباع المرسلين في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح

وانت المسلم الموفق مختار في اتباعه لثبته والكافر المخذول مختار في عصيان نبيه وان علم الله الأزلي لا يتأني هذا الاختيار لأنه سبق في علمه انه يكون كذلك وأنه مختار فيه كما يتناه في المسألة التاسعة من الفتوى الثانية عشرة وهي الجواب عن سؤال المتقدم (ص ١٩٩ ج ٣)

«٤» الكلام بحسب الواقع لا يدخل فيه المستقبل فلا قول أحد من المسلمين العارفين بدينهم ان الغاية النهائية له أو لزيد من الناس هي كذا وانها لا تتغير ولا تبدل بل تقول ان الغاية بمحولة لنا وانها تكون على حسب أعمالنا الاختيارية «ان خيرا فخير وإن شرا فشر» ولكنها معلومة لله تعالى فهو وحده يعلم تلك الغاية علما لا يتغير فيه ولا تبدل ، وجهل أكثر المسلمين بدينهم ليس من المشكلات التي لا تعلم ولا يعلم علاجها فلاج الجهل هو العلم الصحيح ومنه فهم الدين على وجهه وهو ما ندعو اليه كما كان يدعو اليه الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وليس كلامنا فيه كالنقش على الماء كما زعم بل هو كالنقش في الحجر اتفق به ألوف من الناس وانبث في المدارس الدينية والرسومية وسيم بالتدريج بحسب سنة الله تعالى في الأمور الاجتماعية «

«٥» ان المثال الذي ذكره في هذه المسألة قد فهمناه بالقرينة لضعف عبارته وهو غير مطابق لاعتقاد المسلمين فهو لم يعرف اعتقاد المسلمين حق المعرفة ولم يحسن بيان ما عرفه منه فان الدين الاسلامي لم يخاطب طائفة من الناس معينين بأنهم سيكونون في الجنة وطائفة أخرى بأنهم سيكونون في النار وانما ناط دخول الجنة بأمور سعى مجموعها الاسلام وناط دخول النار بأمور يعبر عنها غالبا بالشرك والكفر وبالظلم والفسق ، ولما تفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب في ذلك أنزل الله تعالى (١٢٣: ٤) ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يُجْزَ به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ١٢٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) فناط أمر الغاية النهائية بالعمل لا بالانتساب الى دين كذا ونبي كذا ثم بين أن الاسلام هو روح الدين وصفوته فقال (١٢٥) ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم

حنيفا) الآية ، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى قال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا . وقالت النصارى مثل ذلك ، قال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم وقد أمرتم ان تتبعونا وتركوا أمركم ف نحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فأنزل الله تعالى « ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب » الآيات

فالأمر في الاسلام منوط بالعمل مع الايمان لا بجنسية الاسلام وغير الاسلام فما بال المتقدي يتزعج المشكلات من جهالات العامة ويحمل عليها بعض عبارات العلماء وغير العلماء من غير تمحيص ويوردها على الدين او على العلماء المخطئين او المصدين ؟ ألا إن الداء هو جهل جماهير المسلمين بحقيقة دينهم والدواء هو التعليم الصحيح والدرية الصحيحة وهو الذي ندعو اليه

«٦» ما ذكره في المسألة السادسة غير جلي ولا مفهوم بالتفصيل من العبارة المفسلة . وما تفلسف فيه من الاسباب والنتائج لا يكاد يخطر في بال احد من المسلمين الا ان يكون بعض المولعين بالأبحاث النظرية الفلسفية في هذه المسائل وقليل مام ولا يحكم على الملايين بحال أفراد لا يوجد منهم واحد في كل مليون فهذه المسألة عندي من القفو

(٧) ما قاله في جواب المنازع عن مسألة الحكم على الشيء قبل وقوعه وبعده وقوعه وحادثه مرض ولي عهد ألمانيا عبارته مفسلة أيضا والظاهر منها انه لم يفهم ما قلناه فيها . وقد مثل لها مثلا رجلا سرق قرطا وجازته الحكومة هل كان يمكنه قبل ان يتم لسرقته منه ان لا يسرق ام لا ؟ زعم ان مقتضى كلام المنازع انه لم يكن يمكنه ان لا يسرق وان جوابه هو وجواب العلم والقرآن انه كان يمكنه ان لا يسرق . والحق في مثل هذه المسألة اننا اذا نظرنا الى طبيعة الرجل الذي سرق وطبيعة العمل الذي هو السرقة في المثال نرى ان العمل في ذاته من الممكنات وان الرجل كان متمكنا من فعله وتركه وان الترك هو الاصل فلا يقال انه لم يكن في إمكانه ان يترك واذا

نظرا في ذلك باعتبار ان العمل وقع من الرجل علنا ان وقوع السرقة منه حتم لم يكن منه بد لا باعتبار الامكان الخاص بطبيعته كما قدم بل باعتبار الواقع ونفس الامر ، وكذلك باعتبار علم الله تعالى فانه متى وقع الشيء علنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع وإلا كان جهلا وذلك محال . فاذالم يهتم المتقدمونهمه ويضمه جميع العقلاء من كون الواقع قد انتهى الحكم فيه وانه لا يقال فيه نفسه كان يمكن أن لا يقع لأن هذا تناقض وإنما يقال ذلك باعتبار طبيعة الامكان وصرف النظر عن كون الامر قد وقع بالفعل - اذا لم يهتم هذه الدقيقة في الفرق بين الاعتبارين تنازلنا له عنها فانها مسألة عقلية محضة لا يترتب على الخلاف فيها أمر كبير

« ٨ » قد تبسنا عند قراءة قول المتقدم « يا صاحب المآر ان كنت تريد إصلاحا فلا يجب ان يكون تقليدا » فبالحق العجب من شأن الانسان أينما صاحب المآر عن التقليد بعد ان حارب وحارب أهله اثنتي عشرة سنة ١١ ومن الذي نهاه ؟ رجل يقرأ المآر ١١ أما قوله ان الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطليعية وانطبق ذلك بحسب اجتهادنا على القرآن لم يكثر ولم ينتشر عند بعض المسلمين الا بسبب ما رأوه من قدم الأئمة الفرية باتباع هذه السنن وسبب ضغط أوربا على الكثير منهم — فهو صحيح في الجملة ولا يضرنا ان تعدنا حوادث الزمان للعمل بما يرشدنا اليه القرآن وأن نعم منه ما لم نكن نعلمه نحن ولا آباؤنا الأولون فان كلام الله تعالى بمر لا تغد حكمة بل هي تفيض في كل عصر على المستعدين بما يناسبه (٤١ : ٥٢ سننهم آياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم حتى يقين لم انه الحق) على اننا لانسلم ان المتفهمين بذلك والمتفهمين به هم الواقفون على أحوال القرين دون غيرهم فالحق ان الامر ليس محصورا فيهم ، ولا أنهم مقلدون فيه بل هم مستقلون ونوضح ذلك في الكلام عن المسألة التاسعة . وأما قوله ان « المجهودات » الكثيرة التي يوجبها أمثالها هي كالشجرة البيضاء في الجسم الاسود فهو غير صحيح وليس لئله ان يحكم في ذلك وهو لم يختبر شعوب المسلمين ولا ساح في بلادهم وليس له وسائل أخرى كافية لمعرفة سير الاصلاح فيهم فالحق ان الاصلاح أوسع

انتشارا مما يظن فان كان لا يزال قليلا بالنسبة الى مجموع المسلمين فمعه في كل مكان يشير بمستقبل حسن « وصاحب الدار أدري » فزعمه ان تلك المساعي او المجهودات تصير كالماء مع عقيدة التقسيم زعم باطل غير مبني على علم ولا تجربة بل التجربة قد أبطلته ،

« ٩ » ان ما ذكره من فك التريين للقيود التي تقيد عقولهم قد سبقه اليه المنار فصرح به مرات كثيرة حتي بالتصير بلفظ كسر القيود ومن أصرحها ما كتبناه عن المؤتمر الاسلامي (ص ١٠٦٧٩ م) فلاحاجة بنا لأعادة قراءة المنار ودروسه علينا ، وما ذكره عودا على بدء من التحويل في مسألة ما سماه عقيدة التقسيم قد سبق آفا انه مخطئ فيه لأنه في محيئه أكبر مما هو في الواقع ونفس الأمر فإ هذا الإلحاح والتكرار اللهم صبرا ، نريد له القول - في مقابلة إعادته - إن ما نجله هو الاصل في سعادة التريين من جعل العمل في هذه الحياة هو الموصل الى السعادة أو الى الشقاء في الدنيا والآخرة هو عين ما جاء به الاسلام والاسلام أستاذهم الأول فيه وعقيدة التقسيم التي تمثلت لك كقول يقتل المسلمين لا تعارض هذا فان القرآن صرح بها جميعا ولكن تسرب الى دماء المسلمين من نزغات الجبرية وكسالى المتصوفة ما كان مع الجهل بحقيقة دينهم سببا من أسباب كسلكم الذي نشكونه وشرخناه في المنار مرارا والتربية والتعلم الصحيحان يكفلان لإزالة ذلك بالتدريج — ومنه النشر في الصحف الدورية — ولن يزول بنير ذلك

« ١٠ » ليس في هذه المسألة الا إعادة ما كرهه غير مرة من استحالة الجمع بين عقيدة التقسيم وبين العمل بالمبادئ الطبيعية والسنن الإلهية ، وزعمه ان كل ما يعمل به المسلمون من الاعمال الاستقلالية بدعوة المصلحين يكون مع هذه العقيدة تقليدا للتريين وانما يخرجون به من ربة التقليد اذا محبت عقيدة التقسيم من ألواح نفوسهم مع ان التقليد في هذه الحياة يكون أظهر لأنه محاكاة للقلد من كل وجه ، ورأيه هذا يشعر بأنه لا يفهم معنى التقليد أو يفهمه فمما خاصا به غير ما عليه جميع العلماء ، التقليد هو ان تأخذ برأي غيرك وتحاكمه من غير دليل قام عندك على ما تأخذه عنه أو تحاكمه فيه هو الصواب ، فاذا قام الدليل الشرعي والعقلي والتجريبي

عند المسلمين القائلين بعقيدة التقسيم على ان النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة انما ينالان بالعمل بمقتضى سنن الله تعالى في خلقته وشريعته وعملوا بذلك لا يكونون مقلدين للإمام فرنج بل مستقلين وان كان من جملة دلائلهم التجريبية ان الا فرنج نجحوا بذلك «١١» عبارة هذه المسألة أشد عسلة من سائر المسائل ليس فيما يفهم منها شيء جديد الا تقلس وقصيل قصد به ايضاح مراده فزاده خفاء ولو أنا حذفنا أمثال هذا لظن القارئون انه فانهم شيء كثير

«١٢» هي المقصد وذلك انه بعد تكرار ما تقدم في المسائل السابقة مراراً طالب النار بأحد أمرين إما ان يحمل المسألة على الوجه الذي ذكره هو وإما أن يصرح بموافقة ابن تيمية على اعتقاده في مسألة التقسيم وحينئذ يقول هولاء ان هذه العقيدة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرّة ولا يؤيدها العقل ولا العلم ولا الحقيقة وهو مستعد لبيان ذلك في المنازع ان سمحت له

وأقول قد بينت هنا في كلامي على المسألة الأولى ان لهذه العقيدة أصلاً في القرآن وذكرت آية سورة الشورى الناطقة بها وسأذكر آيات أخرى ، ولست قادراً على تصور فهمه للمسألة ولا فهم وجه الاشكال الذي كانت به أقتل أدواء المسلمين عنده فأحل له ما أحكم من المقد في خياله كما انني لست مكلفاً تفصيل قول ابن تيمية فيها ولا سبق لي ان ذكرته وايدته وإنما ألصقه بي تمهيداً لما يريد التفرد به من بيان فساد اعتقادي واعتقاده الذي هو اعتقاد جماهير المسلمين، ولا أنشر له بعد الآن في المنازع شيئاً مثل هذا الكلام الذي نشرته له لانه كلام معسوط مضطرب ربما يحدث للضعفاء اضطراباً في اعتقادهم وان لم يفهموه كله وانما ننشر في المنازع أحد شيئين : إما بيان مسألة مما يحتاج اليه الناس ويستفيدون منه بشرط ان تكون عبارتها صحيحة ففهمها ويفهمها مثلنا العارفون بلقنا العربية الفصيحة واما انتقاد مسألة معينة أوردناها في المنازع بشرط أن تذكر المسألة وموضعها ووجه الخطأ فيها والدليل عليه بعبارة فصيحة تفهم وما كتبه اخواننا المنتقدون أولاً وثانياً ليس من هذا ولا ذاك وإنما نشرناه عناية به وتنشيطاً له ولكونه يمكن أن يكون وسيلة لمعرفة قيمة رأيه وبيان له

انه انتقد علينا أولاً في مسألة لم يقرأ كلامنا فيها كله والغالب انه لم يفهم كل

ماقرأه منه ، ثم انه جعل الانتقاد موجها الى كلام الشيخ الاسلام ابن تيمية قرأه في قصيدة له ينطب على غلبي انه لم يفهمها وانه لم يطلع على تفصيل مذهب شيخ الاسلام في المسألة فهو وتلميذه ابن القيم قد اطلالا في هذه المسائل والثاني منها كتاب كبير فيها اسم « شفاء الغليل في القضاء والقدر والتعليل » على انه لم يبين ما فهمه من مذهب ابن تيمية ولا وجه خطئه الذي ادعاه ولا ما عنده من التحقيق في المسألة فهل يرضى احد من قراء المثار ان تنشر فيه مثل هذا الكلام

لاني اكتب هذا وانا متألم لاضطراري الى مفاجأة رجل محب للعلم والفلسفة والاصلاح ببيان ما أرى من ضعفه بعد ان علمت انه لم يكتف بالاشارة اللطيفة الى ذلك من قبل وما سبب ذلك الا إعجابه بما عنده ففسى ان يعتني بعد الآن باتقان اللغة العربية ليقدر على الفهم والافهام فرما كان في فلسفته شيء نافع تستفيد الأمة من ياتيه لها

فصل الخطاب في عقيدة القسمة

(١) صفوة القول في المسألة ان القرآن الحكيم بين ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد كما في سورة هود (١٠٥: ١١) وانهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » كما في سورة الشورى (٧: ٤٢) وانه بدأهم على هذا ويميدهم عليه كما قال في سورة الأعراف (٢٩: ٧) كما بدأ كم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذه القسمة ثابتة في القرآن خلافا لما زعمه المتقدم من براءة القرآن منها وكونها مخالفة له . وكل من يؤمن بالآخرة يؤمن بذلك ولا ينافية عقل ولا علم بعد اثبات حقيقة الآخرة بل هو معقول واسبابه مشاهدة في الدنيا بل قول انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم الرزق والجاه فجعل بعضهم فقيرا وبعضهم غنيا وبعضهم رفيعا وبعضهم وضعا كما قال (٣٧: ٤٣) ثم قسمهم رحمة وبك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) الآية ولكن قسمته تعالى لا تنافي ما وجهه للانسان من الاختيار والاستقلال فان هذا داخل فيها (٢) ينظر في هذه القسمة من ثلاث جهات العلم والفعل والحكمة أو العلة . فاما

علم الله تعالى هو قديم بقدمه أزلي بأزليته فالقسمة فيه قديمة أزلية أيضا .
 واما الفعل فلا تحقق قسمة الجن والنار بحسبه الا في الآخرة فهناك تكون القسمة فعلية
 ومثلها السعادة أو الشقاوة في الدنيا تحقق لكل فرد في مدق وجوده في الدنيا لا في الأزل .
 وأما العلة والحكمة فطريق معرفتهما هي معرفة الشرع ومعرفة طبيعة الانسان نفسه في اعماله
 وصفاته وقد ينذلك مرارا كثيرة منها ما كتبناه بالايجاز في جواب المتقدم (ص ١٩٩ ج ٣)
 يقول الآن كلمة وجيزة ايضا وهي ان الله خلق الانسان وأعطاه نوعا من الاستقلال في
 أعماله الاختيارية على حسب علمه ووجدانه وما تكونه التربة والمادة من الصفات
 في نفسه وبذلك يكون مصدرا لساداتها اولشقائها بسله فكل فرد من افراده يصل
 بنوع ما من الاستقلال والاختيار فيه ما يحل في القسمة مع احد الفريقين وليس علم
 الله الأزلي بالقسمة ملزما له بالسل لأن تعلق العلم تعلق انكشاف لا تعلق فصل
 والزام على أنه يتعلق بالشيء وبسله .

واما القسمة بالفعل - وهي كون الناس سعداء وأشقياء في الواقع - فالضرورة لا تكون ملزمة
 ولا مجبرة له على العمل الذي يكون به من أحد الفريقين ولا سالة لحرية واستقلاله فيه
 لانها أي القسمة بالفعل هي المحل لليلة التي تكلم عنها وهل يكون الشيء علة لنفسه ومعلولا
 لما؟ هذا دور ظاهر . وقد يتنا الدلائل العقلية والوجودية على استقلال الانسان في
 الفكر والإرادة . وهما مصدر اعماله التي يكون بها في اقيامته من أحد الفريقين في عشرات
 أومات من المواضع وبهذا الاستاذ الامام في رسالة التوحيد (ص ١٢٥ من طبعة المنار)
 (٣) ان الألوف الكثيرة من المسلمين لا يفكرون في هذه القسمة وقد تمر
 السنين ولا تخطر في بال الواحد منهم ومنهم من يقرأ أو يسمع ما يخطر ا في باله
 فخر فيه من التسليم فلا يجيل فيها قداح الفكر ومنهم عدد قليل يفكر فيها ويتللف
 بقدر استعداد . وما زعمه المتقدم كونها هي علة المل لكسل المسلمين وتقصيرهم
 في أعمال الدنيا من غيرهم من الامم فخير صحيح بل لذلك اسباب كثيرة كل منها
 علة مستقلة منها امشاج من مسائل القضاء والقدر والجبر والتوكل والزهد وقسمة
 الارزاق فهوها على غير وجهها وقد يتنا ما فيها من الفساد والخطا في التفسير والتأوى
 (المارح ٧) (٦٩) (المجلد الثاني عشر)

وغير ذلك من ابواب النار مرارا كثيرة منها بحث التوكل والاسباب في التفسير « ص ٨٠١ — ٨٠٨م١١ » الذي يتنا فيه خطأ النزالي في التزهد في الدنيا .

ويان خطأ المخطئين في فهم مسألة القسمة وحدها لا يكفي في الاصلاح بل لابد من بيان الحق الصريح في تلك الامشاج كلها . ثم ان هذا البيان ليس هو كل المطلوب وإنما هو بعضه او مقدمة له فانه بنشره المرة بعد المرة في صفح النار المنشرة ثبت في قوس الكثيرين ومنهم معلمو المدارس وهؤلاء يدخلونه في تعليمهم واني أعرف أفرادا من أساتذة المدارس في مصر كانوا يستمدون على النار في تحضير بعض الدروس الدينية وكذلك المصنفون وكتاب الجرائد يدخلون ذلك في مكتوباتهم ولومع عدم التنبه لمصدرها ومثل هذه الوسائل تم كما عمت تلك العالم الباطلة من قبل

« ٤ » ان مسألة تليل افضال الله تعالى فلها الاشاعة وقد أثبتنا ابن نجيمة وابن القيم بالدلائل والبيانات العقلية وأثبتنا ان القضاء والقدر لا ينافيان اختيار الانسان واستقلاله بالمنوحين له من خالقه ولا وجوب العمل عليه لدنياء وآخرته فتعامل المتقدم على ابن نجيمة وحده لأيات قرأها له مع عدم اطلاعه على كتبه في العقائد من جملة غرائب ذكر ابن تيمية في غير موضع من كتبه الكثيرة في العقائد وغيرها ان مذهب سلف الأمة ان البعد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة ومشيئة واختيارا وأن قدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب وأن ذلك كله ثابت شرعا وعقلا ، وأنكر على جمهور الاشعرية ما يقولونه في الكسب وقل موازنة بعض أئمتهم على ما قال انه مذهب السلف وذكر منهم أبا اسحق الاسفرائيني وإمام الحرمين . فليراجع ذلك المتقدم ان شاء في كتبه أو في شرح عقيدة السفاريني

ان المتقدم ذكر الشبهة التي أوردتها على الاصلاح وهي عقيدة القسمة وكرروها بأن كل سعي فيه يكون باطلا ما لم يثبت للسلبين بطلان هذه العقيدة . ونحن نذكر له الجواب في خاتمة الكلام بأن العقيدة ثابتة لا يمكن إبطالها وانه لا ضرر في اعتقادها وإنما الضرر في فهمها على غير وجهها كهم القدر على غير وجهه إذ يلزم من هذا النعم لوازم باطلة وانا ما زلتا نين حقيقة هذه المسائل وبطلان لوازمها وذلك هو كل المطلوب فيها

خطبة في عيد الدستور

﴿ تلاها في الاحتفال العام بطرابلس الشام ﴾

« الشيخ اسماعيل افندي الحافظ الشير »

لم يمر على الأمة العثمانية يوم هو أوفر جلالاً ، وأكثر إقبالاً ، من مثل هذا اليوم المجيد الذي أشرقت فيه كواكب سعداء ، في أفق مجدها ، باهرة الاضواء ، ساطعة الأضلاع ،

في مثل هذا اليوم هبت نسمة قدسية ، من أفق العناية الالهية ، ترنحت لها أعطاف ابطال الحرية ، من جمية الاتحاد والترقي القادية المقدية ، فنهضوا لاسترداد المفقود ، واصلاح الموجود ، بقلوب تمثل أقصى مراتب الحمية الملية ، وعزائم تناهض الدهر حرماً ، وتطالب الايام ثباتاً ، فأقذوا الأمة من رائن الظلم ، ووضعوا عنها أغلال الظلمة والقهر ، وأطلقوا العقول من قيودها ، ونشروا الافكار من لحودها :

في مثل هذا اليوم شعر العثماني انه عضو عامل في أمة حية يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها ، فهب من سبات غفلته ، وشمر يدأب في مصلحة أمته ، فرأى ان لا سبيل الى سعادته الا بالاتحاد ، وان لا تحقق للاتحاد الا بالإخاء والمساواة ، فتآخت ملل الامة وأديانها ، وتساوت شعوبها وعناصرها ، وتضامت أجزاؤها ، وتماسكت أعضاؤها ، وأقبل المسلم بإتقان المسيحي ، واليهودي بصافح الارمني ، والتركي بفندي أخاه العربي بنفسه ، والكردي يدافع عن الالباني بمهجته ، والكل موقن ان لا غنى له عن الآخر في حياته الاجتماعية ، وسعادته القومية ، في شكل يسحر الالباب بهاؤه ، ويأخذ بالقلوب بهجة ورواؤه ،

في مثل هذا اليوم فنجرت ينابيع حياة الامة فسرت في أجزائها المفرقة ، ودبت في أعضائها الممزقة ، فأجمدت أفرادها ، وتوحدت أعدادها ، وصدرت عنها أعمالها ، وأدانتها الكلية ، وحركتها الاختيارية ، فتوجهت متحدتة نحو سعادتها الحقيقية ، متصلة

٥٤٨ حرية الامة وحكمها لنفسها حق طبيعي لها أم لا (المنازع ٧٧ ١٢)

من ظلام الباطل الى نور الحق ، ناهضة من حضيض التأخر الى ضياء الترقى ، معلنة بأليب ألحان الحرية ، آيات العدل والانسانية ، تحت لواء الاخاء والمساواة :

في مثل هذا اليوم أعلن القانون الاساسي قضي للأمة بنبيل حريتها ووهبها نعمة الاستقلال وخول لافرادها ان يكون لهم رأي مقبول في ادارة شؤون مجموعها وهي نعمة تعد أساسا مكيئا لسعادة مستقبلها ، ورفي حقيقي تنهض اليه فتتال ماقدر لها من الكمال ، وما استعدت له بفطرتها من مظاهر الإقبال

نعمة دلنا الاستقراء وعلتنا التاريخ ان الامم التي تكون محرومة منها لا يكون لها اجتماع حقيقي ولا سعادة صحيحة ، وان ظفرت بالسببر من ذلك فما هو الا صورة خيالية تظهر بمظاهر وهمية ، لأسباب توجد المصادقة والاتفاق ، ثم لا تلبث ان تذهب بذهاب أسبابها ، شأن الحوادث الناشئة عن أسباب موقفة . نعمة قيضها الله لبعض الأمم فتالت بها من العز والمنعة والمجد والعظمة ما نشاهد آثاره ونسمع أخباره ، وحرما بمضاهيقت راسنة في قيود الجمل تأنه في يداء الغاوة لا يرعى لها جانب ولا يحفظ لها حق ، فلا غرو ان تحتفل جميع الامة العنانية بيومها السعيد احتفالا يتجلى في أبهج مظاهر الزينة وأهنا بجالي الفرح ، ولا غرو أن نشرئ العقول لتعرف معنى هذه النعمة ونسبها الى الهيئة الاجتماعية :

اختلف فيها أنظار الباحثين ، وتنوعت منازع الناظرين ، فذهب بعضهم الى ان حرية الامة أو حكم نفسها بنفسها ليس هو حقا طبيعيا لها بل هو حالة اجتماعية يقتضيها طور من أطوار الامة وينبذها طور آخر وان الامم لا تستحقها الا اذا بلغت مرتبة مخصوصة من مراتب الاجتماع وانها قبل ان تصل في اجتماعها الى هذه المرتبة فلا حق لها بنبيل حريتها ولا بالمطالبة بها كما انه ليس لحكامها ان يفوضوا لها شيئا من شؤون نفسها خشية ان تتصرف تصرفا يفسد حالها ويوجب طرود الخلل في ادارتها

وزعموا ان حالة الامة اذ ذاك كحالة الصبي قبل بلوغه فانه لا يجوز في نظر العقل السليم ان يطلق له التصرف في شؤون نفسه لئلا يفسد عليه أمره ويضطرب حاله ، وان ما هو الشئ ، بطبعه لا يتخلف عن ماهيته مع ان كثر ايمان الجماعات البشرية عاشت أزمنا

متطاولة وهي مملوك عليها أمراء، مسند عليها في شؤونها، فكيف يكون حكم الامة نفسها بنفسها حقاً من حقوقها الطبيعية ومميزاً من مميزات الطبيعة
 وذهب أهل البصيرة منهم الى ان حكم الامة نفسها بنفسها حق طبيعي ثبت لما يوم صرح ان يطلق عليها لفظ أمة فهو وصف لازم لذاتها غير منفك عن ماهيتها وان من عمد الى سلبها هذا الحق فرداً كان أو جملة فهو كمن عمد الى سلب انسان حقه في استنشاق الهواء وتناول الغذاء، أو كمن قيد إنساناً عن حركته الطبيعية التي بهم بها إرادته ويأشرها بقدرته

واستدلوا على ذلك بأن العقول السليمة متفقة على ان كل فرد من بني الانسان هو بحسب فطرته حر مستقل في حركته وسكونه واقدامه وإحجامه وأخذنه وتركه وان الشرائع السماوية والقوانين الوضعية قد حكمت بأن له حقاً طبيعياً في ان يتصرف بشؤون نفسه كيفما شاعت إرادته ومال اليه اختياره وان الباحثين في تعريف ماهيات الاشياء وتحديد طبائعها قد عرفوا الانسان بأن الحيوان الناطق بطبيعته المتحرك بإرادته

وان الأمة لما كانت عبارة عن جملة أفراد مجتمعة بروابط من المصالح المشتركة والصفات الشاملة فقد وجب ان يثبت لمجموعهم من الحق ما ثبت للفرد الواحد منهم إذا كان العدوان على حرية شخص واحد يعد شذوذاً عن قواعد العدل وقسوة عن أوامر الله وخروجاً عن حدود الانسانية وهو لم يعد ان اضر فرداً بعينه لا تتوقف عليه سعادة ولا يئاط به شقاء فإل العدوان على حرية أمة كبيرة قد تكون مؤلفة من ملايين من مثل ذلك الفرد لا يعد شذوذاً عن منهج العدل ؟ بل كيف يعد ذلك من نتائج الصواب ، وحكمة أولي الالباب ، لعمري ليس هذا المذهب الا من وساوس المستبدن الذين لا يروق لهم الا الاثرة بمقوق الضعفاء ، والتلاعب بعقول الاغبياء ، وان الحكم على أمة مجتمعة بأنها غير جديرة ان تحكم نفسها بنفسها لأبعد عن الصواب من الحكم على الرجل العاقل انه غير أهل للتصرف بشؤونه الخاصة هل يبلغ الجهل والقصور بمجموع يستقل أفراده بشؤون أنفسهم ان يعجزوا جميعاً عن تدبير شؤون مجتمعتهم ؟

ان حد التميز والرشد في الأمة هو ان تكون بحيث يتبناها الاجتماع بأبسط معانيه فانها متى بلغت هذه المرتبة حكم لها بأنها بالغة رشدها قادرة على ادارة نفسها وكل جمعية بشرية فعلى بالغة هذه المنزلة لا محالة ضرورة أن الانسان خلق على أن يعيش مجتمعاً فهو لا ينفك عن الاجتماع والأمة المجتمعة لا تنفك ان تكون مستعدة للاستقلال بطبعا وانما تحول دون ذلك اطماع المستبدين احيانا فاذا اتفق لأمة أن صرفت همه المستبدين من رجالها عن البث باستقلالها فقد قضى لها ان تبشر السير الى كمالها

لا يشترط في نيل الأمة حريتها واستحقاقها لذلك بطبعا ان تبلغ في اجتماعها مبلغ الامم الراقية كما لا يشترط في بلوغ الرجل رشده ان يكون كأصوب الرجال وأيا وأكلم رشداً لأن الرقي والرشد يقالان بالتشكيك فيكونان في بعض الاشخاص وفي بعض الأمم أرقى منها في غيرها ولا يوجب ذلك قصصا بالمقصر عن درجة المتقدم يؤدي الى حرمانه من حقوقه الطبيعية

اذا نالت الأمة حقها في حكم نفسها افسح لافرادها مسرح الفكر، واتسع لمجال العمل، ودبت فيهم حياة جديدة شعروا بها ان لاراداتهم وميولهم تأثيراً في رقي مجتمعهم، قترفت بذلك نفوسهم عن الدنيا ونهضت الى معالي الامور وانصرفت من هنا الى الشعور بأن الفوز بالمصلحة الخاصة متوقف على تأييد المصلحة العامة فاندفعوا بسائق محبة الذات الى التماس مصلحة افرادهم في ضمن مصلحة مجموعهم ومن ثم تخرج العقول من مضائق اشخاصها الى متسع الأمة وتنصرف الافكار عن البحث في الكليات فتسمر على الاستنتاج الصحيح من المقدمات البقية فتستقيم الافكار وتصلح الاعمال عن الخلل

ويتبع ذلك صحة في العزائم ونهوض في المهم ومسايرة الى الاعمال الشريفة وتنافس في اصابة المفيد منها للأمة . هكذا ينشئ للام ان ترتقي في مدارج اجتماعها مبتدئة بالفكر المصحيح ومتعلقة من ذلك الى الصالح لها الموافق لمصلحتها ثم تندرج من هناك في مراتب الكمال مرتبة بعد مرتبة ١ ومن أين للأمم التي ليس لها حظ من الحرية ان تنال هذه المزية ؟

اذا قرر هذا علم ان نيل هيئة اجتماعية لحريتها يد مياً لرقبها ومقدمة لتقدمها
او مرتبه اولى من مراتب كلها فاذا توقفت نيل حريتها على بلوغها مرتبة القدرة الثامنة
على ارادة شوئونها قد كلفناها ان تأتي النهاية في البداية ، وتصل في مبدأ سيرها الى
الغاية ، وهو باطل في نظر العقل ، ومحال بحكم الواقع

(يرد هنا نبوغ الأمة الاسلامية بعد انخلاء الراشدين الى زمن المعتصم وورقيها
وفيا من المستبدين مثل يزيد وعبد الملك والمنصور والرشد ونبوغها ايضا في دولة
بني عثمان من زمن مؤسسها الى زمن السلطان سليمان القانوني والجواب عن هذه
يستغرق بحثاً طويلاً لا يتسع الوقت له الآن فترجعه لفرصة أخرى)

وهي يمكن الامر فلامراء في أن حرية الأمة هي مبدأ حياتها الاجتماعية وان
التاهضين في كل أمة لإبصارها الى هذا الحق هم صفة رجالها ، والنوادير من اباطلها
بل هم القليل الذين رآهم الا قدمون فحسبوا انهم يمتارون عن البشر فاقاموا لم
التمثيل وشيدوا لم الهياكل وافردوهم بالظلمة والكرامة حتى وضعوهم بمصاف الالهة
فلا عجب ان تحتل الامة العثمانية اليوم بنيل حريتها وتترنم بأيات الثناء لاولئك
الابطال العظام من جمعية الاتحاد والترقي فلتحي الجمعية فليحي السلطان الدستوري
فليحي المنقذ الثاني لوطن محمود شوكت باشا فليحي الجيش المظفر

عيد الدستور بمصر

انشدنا محمد حافظ افندي إبراهيم لنفسه في ليلة الاحتفال بهذا الموسم في حديقة
الازبكية بمصر هذه القصيدة

أجل هذه أعلامه ومواكبه	هنيئاً لم فليسحب الذيل ساحبه
هنيئاً لم فالكون في يوم عيدهم	مشاركه وضاعة ومقاربه
وعى الله شعباً جمع العدل شمله	وتعت على عهد الرشاد رغبته
تحالف في ظل الهلال إمامه	وحاخامه بعد انخلاف وراهبه
خذوا بيد الإصلاح والامر قبل	فاني أرى الإصلاح قد طرّ شاربه

وردوا على الملك الشاب الذي ذوى
فن يطلب الدستور بالسوء بعد ما
اذا شوكت الفاروق قام متدياً
ثلاثة آساد يجانبها الردى
يصارعها صرف المتون فتلقى
روت قول بشار فثارت وأقسمت
« اذا الملك الجبار صغر خده
وسار على أعقابها كل ساج
يصيح به « لاري » أو بلغ النى
هناك قاتل وانخذ ثم مربطاً
رجال من الایمان ملأى نفوسهم
صوالجه سر القنا وكراته
اذا ثار دكت اجبل وتمشعت
وثلك عروش واستقرت بمالك

• • •

فن لم يشاهد يلدزاً بعد ربها
واسلمه أحبابه لقضائه
وقلت الاقدار اظفار بطشه
فما شهد الدنيا تزول ولا رأى
ايح حاما وانطوى مجدرها
ولم يفن عن عبد الحميد دهاؤه
ولم يحصه حصن ولم ترم دونه
ولم يحفه عن اعين الحق مخدع
أقام عليه مهلكا عند مهلك
تحاماه حتى الوهم خوف اغتياله

وقد زال عنه الملك واندك جانبه
وفر ولم يحش المرة كتابه
ودل على ماتجمل الجن حاجبه
بلاء قضاء الله في من بحاربه
وقامت على البيت الحميدي نواده
ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
دانيره والامر بالامر حازبه
ولا نفق في الارض جم مساربه
يمر به روح الصبا فبوابه
قلو منه طيف لدارت لوالبه

وأسرف في حب الحياة فحاطها
 فني سكل قتل للنبة مكن
 وفي كل ركن صورة لو تكلمت
 تمثيل لإيهام أنيت وأقعدت
 تمثله في نومه وجلوسه
 أقام عليه ألف موت محجب
 سلوه أأخت عنه في يوم خله
 وقد نزل القدر بالأمر صادعا
 وأخرجه من يلدز رب يلدز
 وأصبح في مثله والجيش دونه
 يناديه صوت الحق ذق ما أذقتهم
 هم منحوك اليوم ما أنت مشتر
 ودع عنك ما أملت ان كنت حازما
 مضي عهد الاستبداد وانك صرحه
 لك الله يا تموز إنك بلم
 فكم رعت جبارا وأرعت ظالما
 فدينك من شهر أغر محجل
 تقابله الاعياد في الأرض كلها
 ففي الغرب عيد ينظم الغرب حسنه
 وفي الشرق عيد لم ير الشرق مثله
 يطيفون بالعرش الكريم وربه
 لتني أمير المؤمنين محمدا
 ستملك أمواج البحار سفينه
 ممالكه محروسة وثغوره
 بسور من الاهوال لم ينبج راجه
 وفي كل مفتاح قضاء يراقبه
 لما شك في عبد الجيد مخاطبه
 تراهي بها اعطافه ومناكه
 وتخدع فيه الموت حين يقاربه
 لينب موتا واحدا عز غلبه
 عجبته أو أحرته غرائبه
 وضاعت على شيخ الملوك مذاهبه
 وجرده من سيف عثمان واهبه
 ينال ذكرى ملاسكه وتغالبه
 فكل امرئ رهن بما هو كاسبه
 فرد لم ما أنت بالأمس سالبه
 فلم يبق للأمال فضل نجاذبه
 وولت ألقاه وماتت عقابيه
 لجرى الأمي والدهر تعدو نوابيه
 وانصفت مظلوما توات مصائبه
 أوائله ميسرة وعواقبه
 تجلي هلال الشهر أو لاج حاجبه
 قهت من وقع السرور جوابه
 تدفق في دار السلاح مواكبه
 نطيف بهم آلاؤه ومناقبه
 خلأته فالعرش سعد كواكبه
 كما ملكت شم الجبال كتائبه
 وكاتبه منصوره ومراكبه

وأرسل إلينا اسماعيل بك عاصم الخامي المصري هذه القصيدة من الاستانة
 عيد عز الدستور بالامن أنفر نوره للأنام الله أكبر
 آل عتاف هاكم اليوم يوم هلل اقلب فيه بشرا وكبر
 يوم عيد الحرية التي كم به لنا زمانا لبعدها تحسر
 كل حرية بغير حاقو لا يراعي زمامها من تجير
 ولهذا جاء الرشاد لبحر هافكانت لصره خير مظهر
 يا أميرا للمؤمنين وسلطان جميع الشعوب لافرق يذكر
 كل هندي الاقوام ترجوك في ته حويض ماقت أنت بالعدل أقدر
 انت أدري يا صاحب الملك بالما ضي قادوك بحزمك الملك تشكر

يا رجال الوزارة الصيد هذا وقت في هوله كيوم المحشر
 دققوا في الحساب باقسط ترتاح البرايا فطالما الظلم كدتر
 فالملك المجهوب رأس وأتم منه اعضاؤه به تأثر
 والعكرام التواب أوردت الجدم وما الحياة منها قفجر

آل عثمان انت سلطانا أعظم ملك بنوره تبصر
 هو حامي الدستور حامي الرعايا حافظ الهد للعدالة أظهر
 فتناونا في حبه فهو بالألاء لاص منا وبالجنة أجدر

أبها التائبون عن هذه الأثم ة أتم لما العاد الأبحر
 أتم عارفو البلاد وحاجا ت الأهالي وما به تعمر
 أعين الناس نحوكم ناظرات فاطهروا للورى بأشرف منظر
 لا تريد استرداد ما وراح لكن حفظ ما عندنا فلا تقهر
 ثلث قرن مضى ونحن من الار هاق كانت أعصابنا تتخدر
 ثلث قرن ونحن في ظلمات بعضها فوق بعضها تكرر

فجلا تلکم الدياجي نور
أقدونا وكادت الروح تدنو
فسجدنا لربنا وشكرنا
يا ليوث الوغى ويا خير من أم
يا أسود الشرى ويا خير من قو
قد جلوتم لنا عروساً نجلت
وهي حُريرة أضاءت ودستو
فعلبك السلام يا شوكتة مُسما تليه نجمة تنعطر
انت ادركت ذي الخيانة قاقض
وعلى الفرقدين اذكرى سلام
لا تقولوا قد وراح مدحت عسا
فاتركوا ماضى وجدوا لما يأ
واستمينوا بالحق دوماً وميعو
خير ما ينفع الشعوب ثبات
فهنياً يا آل عثمان هذا
دام سلطاننا ونوابنا والجيش

من سنا قادة الجيش مظفر
للتراقي وصائح الموت زبحر
هولاء الابطال والحر يشكر
يا نفوساً كادت من الظلم هب
م ملكا قد كاد أن يتدمر
كتجلي بدر السماء وأزهر
رُب يحفظ الحقوق في الملك بشر
يت حتى ظفرت والملك عمر
بطلي تركيا نيازي وأنور
كلکم مدحت اذا ما تدبر
تي مجزم النعى وعزم الضمير
ثانكم فالتجاح في ذاك اكثر
واتحاد بعزمه تتحرر
يوم عيد للناس عيد مُكبر
والشعب في الهناء الأوفر

هذه عادة من النيل وافت
غادة زانها حلي المعاني
أقبلت في بشارت أرختها
سنة ١٣٢٧

بساها وذلها تبختر
ومن اللفظ عقد دُر وجوهر
عيد عز الدستور بالأمن أسفر
٨٤ ٧٧ ٧٠١ ١٢٤ ٣٤١

ضاق هذا الجزء عن باب الفتاوى وفيه بيان معنى كون الدستور مواثلاً لشرع
وغير ذلك من المسائل فأرجأناه الى الجزء الآتي

بَابُ الْإِحْسَابِ فِي الْأَلْأَلِ

الهرج والقتل في أطنه

أشرفنا في آخر الجزء الثالث الى هذه الحوادث وكانت في بدايتها وقتلناه لاقعة
بإخبار شركه ورتان الترك هنالك تصدوا لدمج الأرمن عدوانا. ثم ان الجرائد في الاسبانية
وسورية ومصر جاءت بتفصيل لتلك الحوادث جاء في بعضها ان الأرمن كانت هي
المضرة لثار الفتنة وأن مبدأ ذلك تمثيل الأرمن قصة سياسية في أدنه يصفون فيها
ظلم الترك لهم وقيام ملك منهم بتقديم من ظلمهم وقيم لهم دولة جديدة . ثم لانهم لم
يكتفوا بهذا بل طلقوا يستحضرون السلاح الجديد فتكرهم المسلمون الى ان اغتبر
البركان ، وفاض الطوفان ، واقتل الفريقان ، وروي ان أول واقعة من وقائع
الاعتداء كانت من الأرمن . ومن الناس من لا يصدق هذه الروايات بل يرجح
ان المسلمين هم المعتدون ، ومنهم من يقول ويكتب غير ما يمتد وللهوى سلطان
على القلب وعلى القلم واللسان . ومن رأينا ان يرجأ الحكم في الاسباب والمبادي الى
ان يتم تحقيق الحكومة في ذلك وينشروسيما

مهما كانت الاسباب والمبادي ، وإيأما كان المعتدي والبادي ، فلا شك في
كون الفريقين قد عملا مالا يبيحه الدين الذي يتسبان اليه ، ولا يتفق مع مصلحة
الوطن الذي يقيم فيه ، قد هدمت الدور ، وأحرقت الاسواق ، وقتل النساء
والاطفال ، وحملت الامة عبئا من العار ، ولحق الحكومة ما لحقها من الخسار ، وتأملت
الانسانية الفاضلة في جميع الاقطار

قد أكره أهل الاهواء وافرط مقالة التفرنج من القول بأن سبب ذلك هو
التعصب الديني ولو كان مازعموا لما كان الهرج بين الترك والارمن دون سائر
المسلمين والنصارى قد ثبت ان أبناء العرب هناك كانوا يحملون الأرمن ويواسونهم

وأن الأرمّن لم يمتدوا على غير الترك والترك لم يمتدوا على غيرهم فالمسألة اذا أمر من آمار الاتحاد الجنسية ومن جعل سببها التعصب الديني فهو ان لم يكن جاهلاً متعصب او متافق يتزلف للمترغيبين، وان ادعى انه من الأحرار او المسلمين

دعابض فضلاء العنانيين الناس الى الاجتماع في حديقه الأزبكية لسباع الخطب والقصائد في شكوى الانسانية من ذبح أبنائها بعضهم لبعض والحث على مواساة المتكربين وإعانة اليتامى والأامل من الفريين — المسلمين والأمرن — قلبى الدعوة جاهبر أهل الخير من جميع الطوائف ماعدا الأمرن . وخطب صاحب هذه المجلة — على انه كان مريضاً والحريديدا خطبة أرنجالية بناها على بيان التناوت العظيم بين الانسانية الراقية والانسانية السافلة التي يكون أصحابها شرا من الوحوش الضارية والحشرات السامة، وكون هذا الاجتماع احتجاجاً من أهل الأولى على أهل الثانية وإرشاداً ونهياً . وينت فيها مشروعية البر والاحسان في الاسلام بجميع البشر مؤمنهم وكافهم بل بجميع الأحياء « في كل كبد حري أجر » ورمى بعض الخطباء الى كون المسلمين هم المعتدين الباغين باسم الاسلام فرددت عليه بلطف وقلت ان المقام مقام استعطاف لا محاكمة ولا تاريخ وان التحقيق الرسمي سيظهر الحقيقة ان المسألة جنسية لا دينية ذلك ما كتبه للجزء الماضي من المآرج فليقتنع له ثم قرأنا في جريدة لسان الحال اليروتية المؤرخة في ١٥ الشهر (رجب) ملخص تقرير المجلس العربي فنحن ننشره بنص هذه الجريدة وهو

﴿ تقرير المجلس العربي في أطنه ﴾

وضع المجلس العربي في أطنه تقريراً مفصلاً بحوادث أطنه ولكن جرائد دار السعادة العليا لم تنشر الا خلاصة منه وهو يذكر ان الحوادث التي جرت هناك انما يصعد تاريخها الى أيام بحري باشا الوالي الذي كان قبل جواد باشا فانه ظلم الناس ظلاماً فاحشاً وأوقع بهم خسفاً وجوراً وهم لا يبدون ولا يعبدون بل كانوا كالموتى لا يتحركون ولا يشكون وكان رجال الوالي كثيرين وهم يستفنون من توسيع نطاق تلك الاختلالات ويتمنون الى الله ان تدوم لان أكثر تلك المظالم التي تشتمز منها

التفوس الالية كانت واقعة على الارمن وكان هولاء بها واضين صابرين حتى بمن الله بالفرج ولما قتل الوطاء وشعروا بشدة الشكية فضلوا الموت على الحياة ولكن الذين كانوا يعلون التفوس بأمل الانفصال في الاستقبال كانوا يسكنون ووعصم ويحضونهم على الصبر وقد أتوا بكثيرين من هولاء المظلومين من انحاء الولاية وأقاموهم في مركز الولاية وقالوا ان هذا المركز يتبر ثغرا بحرا وقد استجبوا له كثير من الاسلحة لاسيما بعد اعلان الدستور فانها كانت ترد اليهم من يبروت كيات عظيمة بالسفن والبواخر وكانت توزع عليهم في اطنه وضواحيها حتى زادوا طمعا بالانفصال عن الحكومة

وبعد اعلان الدستور كان المسلمون يقربون من جميع ابناء الطوائف ويظهرون لهم المودة والمسالمة ولكنهم ما كانوا يخفون احتقارهم للجمعيات الارمنية الموجودة في البلاد لاعتقادهم بان اعضاها يسعون في الانفصال والاستقلال وقد زادهم ثقة بذلك كونهم رأوهم يقيمون الشعب والفروع لمجتمعاتهم في كل الجهات ولا تنكران الحكومة أظهرت ضعفا شديدا في كل الاحوال التي مرت بالبلاد فانها لم تسع في قمع الفتن ولا في اتحاد المشايخ حتى انه بلغ مسامحا ان الارمن يسعون سعيًا متواصلًا في الوصول الى الاستقلال الاداري وان رفاقهم في أوربا يكتبونهم بذلك ولكن الحكومة لم تلتفت الى هذه المسألة واعتبرتها كأنها لم تكن

وقد اتصل بالحكومة ان الجمعيات الارمنية وزعت رسوما وجرائد وشارات مخصومة على الارمن وجعلت لكل منهم علامة فارقة يعرف بها ومع ذلك فانها لم تهتم للامر ولا سمعت في إيقاف تياره حتى ان المطران موشاخ الذي هرب كانت له يد سوداء في كل هذه الاعمال المغايرة وما زال الامر يزداد استفحالا وفضلا بخلاف يزداد اتساعا بين المسلمين والارمن حتى صارت الحوادث تتوالى من مدة الى أخرى وكثيرا ما كانت تتعاقب وتتجسم حتى امتلأت القلوب بالضغائن ووقع مواقف بين الفريقين من أسباب القتل الذي قضى بذهاب الانفس ووقائع الحرق والنهب وغيرها (١)

وكانت الحكومة تنظر الى هذه الاحوال بين لا بخارها كل وفكر لا يتنبه به

(١) حذفنا من هذا الموضع كلاما في (احسان فكري) صاحب جريدة اعتدال

وما كان من ارتكابه ومكايده للوالي وما في ذلك من ضعف الحكومة الماضية

وجل ولا حسان لشيء. وكان الخطب يتلقم ويتعاطل بين المسلمين والارمن وفي كل يوم يطلق الرصاص هنا وهناك من الفريقين والحكومة لا تكثر له خني جنت بذلك جنابة لا تقتفر ولما قبضت على بعض المشاغبين من الارمن توسط البعض في أمرهم فتركهم وشأنهم اما المسلمون فاجتهدوا في الحبس فكثرت اذ ذلك الاشاعات وتراكت الخواوف والترهات فراج السلاح رواجاً عظيماً وكان تجاره وبعته يندرون الفريقين قرب اشتباك اقاتل وان الواقعة ستكون عظيمة يتخللها مذابح هائلة حتى بلغ ما دخل اطلته من الاسلحة بطريق بيروت واسكندرون وموسين أكثر من ١٣ ألف بندقية عدا البنادق والمسدسات وغيرها مما لم يطم به أحد. وافق ان قتل رجل من الارمن مسلماً فحقت الحكومة ولكن الارمن خباؤه واخفوه عنها ولما اقروا به قالوا انهم لا يسلمونه ما لم تقص الحكومة من مسلم ادعوا عليه بكونه كان قتل ارمينيا وفي ١٣ نيسان اطلق رجل اسمه محمود طلقاً نارياً في محلة من البلدة فقبضت عليه الضابطة ولكن اجتمع أكثر من خمسمائة نفس من المسلمين واخذوه منها بحجة انها لم تقبض على الارمن الذين اطلقوا النار وليس ذلك فقط بل انهم اجتمعوا ثاني يوم مع رفاقهم وحضروا الى السراي وبالامتناع مع مدير البوليس اطلقوا مسراح كل اخوانهم المحاييس ومنذ ذلك اليوم أخذ المسلمون يطوفون في المدينة شاكي السلاح ويبدون مظاهرات تدل على انهم لا يسيأون بالحكومة ولا يأمرون بأمرها وفي اثناء ذلك قتل ارميني مسلماً فاضاه المسلمون فخرج الارمن عليهم متحسين شاكي السلاح حتى ملأوا الشوارع والطرق فاستدعت الحكومة رجال الرديف فحضرهم وطافوا في الاسواق بلايسهم المدنية فكانوا كسائر الاهائي لا فرق بينهم في اللباس قمام عليهم الارمن ولكنهم اشاعوا فيما بينهم ان الحكومة هدرت لهم دماء الارمن ورخصت لهم بالفتك بهم وعند ذلك هجموا على المستودعات العسكرية واخذوا الاسلحة وما يلزمهم من الذخيرة وقبضوا ما فعلوه مما اوجب على اعضاء ديوان الحرب ان ينكروه ويندفعوا من اجله الدموع ولما حصى الوطيس أخذ رجال الحكومة يفوزون بانفسهم فهربوا وتواروا عن العيان ثم سجن عدد كبير من الارمن ولما عقد الديوان الحربي حكم على ١٥ نفساً من الارمن والمسلمين بالاعدام

فاعدوا ويوجد الآن من ٧٠٠ الى ٨٠٠ نفس كلهم مجرمون مذنبون كالذين شتقوا واذا أردنا محاكمة كل الذين دخلوا في هذه الحوادث كان هناك من ١٠ الى ١٥ ألف نفس واذا كان لا بد من عقاب كل الذين ارتكبوا المخالفات والجرائم كان لا بد من عقاب كل سكان الولاية

وقد طلب في ذلك التقرير العفو عن مرتكبي الجرائم والصفح عما مضى اه (المار) ذكر اللسان بعد هذا ان بطرك الارمن اعترض على هذا التقرير وزيف اكثر كلامه . وقد ذكر مثل هذا في بعض جرائد مصر . وانا نعلم أكثر من ذلك نعم ان الارمن اجتمعوا في الكنيسة في الاستانة فشنهم البطرك على الثبات على طلب الاستقلال وقرروا هناك وفي كل مكان عدم مشاركة العثمانيين بالاحتلال بعيد الدستور ولا تزال جمعية الاستقلال الارمني العليا في الروسية مجدة في عملها وساسة الروس يفرونها وسيكشف لهم الزمان ان اتحادهم بالعثمانيين خير لهم وأبقى

﴿ فريد العلم والصحافة الشيخ حسين الجسر ﴾

نمت البناجراند طرابلس الشام و بيروت عالم الديار السورية بل أحد أفراد علماء المسلمين في هذا العصر ، استاذنا الشيخ حسين افندي الجسر ، صاحب الرسالة الحميدية التي طار بها ذكره في الاقطار ، واشتهر اشتهاه الشمس في رابعة النهار ، ولما كانت مواد هذا الجزء قد تمت أرجأنا ترجمته الى الجزء الثامن سائلين الله عز وجل ان يحسن عزاء أجبالة وعزاء الوطن عنه ، وان يتغمده برحمته ووضوائه آمين

﴿ الدستور في فارس ﴾

ثبت الشعب الفارسي في محاربة الاستبداد كما ثبت الشاه الجاهل محمد علي على رفض الدستور حتي نصر الله الحق على الباطل فدخل المجاهدون طهران فأنجبين وخلصوا الشاه وجعلوا ولده وولي عهده مكانه وهو ابن إحدى عشرة ولذلك جعلوا له نائباً من كبار رجال الدولة

المسحاة

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يصدر إلا أولو الألباب

فبشر جادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

« قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام سوى و « منارا » كتار الطريق »

« مصر - الثلاثاء سلخ شعبان ١٣٢٧ - ١٤ سبتمبر (أيلول) سنة ١٢٨٥هـ ١٩٠٩م »

البلاغ المبين

« الذي بلغ من قبل المشيخة الاسلامية الى التواب والقضاة »
« والعلماء الراسخين والمشايخ العارفين » ١

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه
أجمعين ، وبعد فلما قضت ارادة الله تعالى في الازل ان تصلح الارض للعمران
استخلف في مهابطها الانسان القادر على تدبير اموره الشخصية والاجتماعية بعقله الذي

« المنار : نشر هذا البلاغ بالتركية والعربية والفارسية كما بلغنا ونشرنا هنا نص
الترجمة العربية التي وردت من الاستانة وزدنا فيها عدد الآيات والسور فيها جاء
فيها من الآيات وخرجنا الاحاديث في الخامس

وهه اياه كما دل عليه قوله تعالى (٣٥: ٣٩) هو الذي جعلكم خلائف في الارض) الآية وجعل
ما منحويه ارضه التي قلله وساوؤه التي تظله خاضعا لمنافه كما قال جل من قائل
(٤٥: ١٣) وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) الآية وجعله مكلفا لانه ذو عقل
وارادة هما قوتان فصالتان يقدر بهما ان يستعمل القوى الطبيعية لقضاء حاجاته وتحسين
اعماله في حياته الدنيا ولكن اعماله مرتبطة باعمال غيره لا يستطيع ان يأتي بنظمها ما
لم يتحد الآمال وتبادل المنافع فقد علم الله تعالى ان الانسان ألعوبة لهوى نفسه الأمانة
لا يتخلص من اشراكه التي نصبت له بالسهل وان العقل الابتدائي قاصر عن استنباط
الشرائع الكافلة لسعادة البشر فارسل بفضله انبياءه يوضحون له احكام المصالح العامة
وقواعدها التي يصير العقل الابتدائي وحده عن استنباطها ويطعون ان السعادة كل
كل السعادة في الايمان واتباع طريق العقل وقد تمت حجة الله البالغة وظهرت حكمة
التكليف فالخائفون بعد ذلك عن المنهاج المستقيم الذي أضاه لهم الهادي الامين
مطرودون من رحمة ومبعدون عن دائرة الهدى كما وصفهم تعالى بقوله (٢: ٧١) صم
بكم عي فهم لا يسمعون) الآية نعم قد تمت حجة الله بخلقه العقول فينا وارساله الانبياء
المهادين البنا فان ضللتنا بعد ذلك كنا من الظالمين ومن هنا يعلم السر في اتفاق الائمة
على ان اصلاح العالم ليس بواجب على الله (١) وقريرهم ان نصب الامام واجب
على الامة

ولما كانت المطالب الاجتماعية مما لا يكفلها الواحد المعين بل الجماعات كما دلت
عليه صدور بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى (يا أيها الناس * يا أيها الذين آمنوا)
الآية فلا تصح الامامة التي هي من اهمها الا بالبيعة الشرعية العامة وبيعة الناس
لرئيس حكومتهم بالطوع والرضا مشروط بصحتها بتسلك ذلك الرئيس بحبل الله المتين
واتباع شرائعه وقوانين عبادته المرعية مما يدل على ان كل أحد من المسلمين مكلف

(١) النار : هذا ما عليه اهل السنة خلافا للمعتزلة وعدم وجوب الصلاح عليه
تعالى لا يتافي كون افعاله وشرعه صلاحا وخيرا وحكمة فالصلاح والاصلاح من لوازم
افعاله واحكامه وهي واجبة له لا عليه اذ لا سلطان فوق سلطانه

مراقبه ما يأتيه ومستول عن حكومته يجب عليه أن يشرب الى استطلاع اعمال رجالها ويراقبهم حتى اذا رأى معروفاً قد غفلوا عنه ذكرهم به أو منكراً كاستعمال نفوذهم خلاف الشرائع الربانية ومنافع العباد نهى عنه وفق وصفه تعالى في قوله (١١٠:٣) كنتم خيرة أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الآية وحديث نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن وعيته » الحديث (١)

كان الخليفة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام هو الصديق الأكبر باجماع الأمة وبمده باتفاقاً على العمل بوصية الصديق هو الفاروق الأعظم وأحبال الفاروق امر نصب الخليفة على الشورى فوق اختيار أهل الشورى على ذي النورين عثمان رضي الله عنهم وبعد شهادته اتفق جمهور الصحابة في المدينة على استخلاف علي كرم الله وجهه فبايعوه وقد امتدت الفتوح الاسلامية في زمن هؤلاء الاربعة الموسومين لطهارة سيرتهم بالخلفاء الراشدين الى مشارق الارض ومقاربها ولكن الاغراض المتصادمة واختلاط الاقوام العربية بالطوائف الاعجمية بهم بدل الطوع والرضا في أمر البيعة بالكره والجبر فلم تنتخب رؤساء الحكومة على النحو الذي أمرت به الشريعة المطهرة الا لشواذ منهم حتى ظهرت سلاطين آل عثمان

فلما ظهرت شجرة آل عثمان التي يصدق عليها قوله تعالى (١٤: ٢٤) أصلها ثابت وفرعها في السماء) وجعلت هذه نحى في وارف ظلها عرش السلطنة والخلافة اقتنى سلاطينها في حكومتهم خطوات الخلفاء الراشدين ومشوا على آثارهم يهدمون صروح الظلم ويحبون ما انطلس من معالم الدين وكانوا والحق وضاح يستحبون الرضا فلم يكرهوا الناس على بيعتهم وقد أرسوا الى البلاد قضاء من العلماء ففرقوا بين القضاء والتنفيذ ورعوا معاهد العلم حتى نبغ فيها عدد كبير من الاعلام وسعوا بإشاراتهم قضية الفتوى لفصل المصالح حسب ما تقتضيه الاحوال المصرية مطبقين بذلك قوى الحكومة الثلاث على حكي الشرع والعقل ليكون حملة القدرة التشريعية ناساً من أهل العلم والقوى المالكيين لمراقبة الحكومة

التي هي نتيجة هذا التألف المشروع والطبيعية وأحالوا التنفيذ والاجراء على الوزراء والامراء وحل الخصومات وفصلها بالحكم والقضاء على القضاة والثواب الفضلاء والمراقبة والافتاء على المفتين من فطاحل العلماء المظهرين قابلية الاستقلال في شعب الاجتهاد قويت حكومتهم واستحكمت عراها حتى اتحدت لها طوعا عناصر الأمة العثمانية المختلفة كافة هذا ما كانت عليه الحكومة العثمانية في عصورها النابذة ولكن الدهر قلب وقان وضع دولتنا الجغرافي وسعة بلادها وظهور المفسدين من الطوائف الجلالية واطماع الدول المجاورة كلها أسباب ولدت في سني حكومتنا الاخيرة محاربات دامية واختلافات داخلية شاع من جرائها الفقر وعم الوهن فوق ما أوردت الامراض الوبائية المتعاقبة من قنور العزم حتى انطمست معاهد العلم شيئا فشيئا وانطفأ سراج الوهاج وشاع مكانه الجهل الاسود والضلال المين وكادت دولتنا تقرض المرة بعد الاخرى لاسمح الله تين بما قدمناه من وجوب نصب الامام شرعا على الامة وكون الخطاب الي باقي عاما لكل الناس وكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مكلفا بهما كل أحد من المسلمين ان الامة هي الحاكمة (١) وان صنوفها الموثقة لها متضامنة بالتسلسل بحيث يجب على كل صنف منها ان يرقب غيره من الصنوف واذا تكاسل صنف عن اداء وظيفته الخاصة به قومت الصنوف الأخر المعوج لانها هي المكلفة بما هو نتيجة الارتباط التسلسل الشرعي ولذلك قال الشارع «لا طاعة للمخلوق عند معصية الخالق» (٢) وقال (انما الطاعة في المروء) الحديث (٣) ومما يؤيد وجوب ذلك التضامن أمره تعالى العام في قوله (٢٥:٨) واقروا قننة لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة (الآية وعليه فاذا أبدينا أقل غفلة عن الاتمار بأمره هذا اختل نظام الادارة وانحلت روابطها

(١) المنازع قد بين الاستاذ الامام هو المعنى في تفسير قوله تعالى (٣: ١٠٤) ولكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) أجل يان فراجعه في المنازع وسياقي في هذا البلاغ التصريح به

(٢) رواه احمد والحاكم من حديث عمران بلفظ لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق

(٣) رواه الشيخان وابو داود والتسائي بلفظ لا طاعة لأحد في معصية الله إنما

الطاعة في المعروف

ولا يستعجل أحد مما أوردناه ان لكل صنف من الناس أن يتدخل في مصالح الحكومة فذلك غير صحيح بل الواجب أن تكون الحكومة الدستورية التي تراقب أعمالها من قبل جماعة مصطفاه من عموم الأمة مصونة من كل يد تمتد للدخول فيها إذا أمرت الناس وجب عليهم أن يلبوا فيحيوها بقولهم سمعنا وأطعنا

ولما كانت الدولة العثمانية التي بنت قوانينها على أساس الشرع الرصين وركبت قوى حكومتها من سياسة التوفيق بين الحكمة الشرعية والعقلاء لا يتطرق الى أصلها الزلزال بسهولة حافظت حتى في أزمنة الجمل المطبق على شكلها بفضل رجال من أهل العلم والتقوى راقبوها ولم يبطأ ثوران خشية الله ربهم لسلطان الجبارة الظالمين فهي وإن كانت في كل زمن معرضة للاضمحلال الذي نبهنا الله تعالى لاجتناب أسبابه بقوله (١٣ : ١١) ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (الآية سنقبى مدى الدهور مضمونة بالاستقامة التي هي جزء من الضمان الإلهي حسب قوله تعالى (٦٠: ٧٢) وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً (الآية

كان لعمر الحق عهد الاستبداد المنصمة أيامه السود قد شوه وجهي الدولة الأصلي والفرعي مدة ثلث قرن حتى افل من كل آفاقها العدل وأنحل ما أبرمه الشرع واختل النظام وشاع الظلم والجور والفوضى وتفتت قلوب الرعايا من الحكومة ونجم الشقاق والتفارق بين العناصر المختلفة واستحالت الادواء الاجانب أعداء يعملون للإيقاع بها ويضيقون عليها يريدون بذلك تخزيها وكادت جامعتا العثمانية تهوّر بسرعة في حفرة اضمحلالها . هنالك هبت من مكامن حفظ الرحمن فئة هم الفرقة الناجية حزب الله القالبون استقلوا في سبيل الحرية وقوفاً في وجوه الجبارة الماندين يكبرون ويجاهدون وفي أيديهم راية (٤٧: ٧) ان تقصروا الله ينصركم (الآية فاقصدوا بما أتوه من السعي المحمود ذكره الملكة من الخطر الملق الذي كان يهددها والوطن من الخراب المدمم فكوا اغلال الحيف من أيدي (١) الأمة وكسروا قيود الاستعباد وسلاسلهم أرجلها ومروا فؤادها بيشارة قوله تعالى (١٠: ٤٨) إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (الآية مثبتين بأعمالهم هذه التي سيحمدوها التاريخ وتنتي بنشائدها (١) المار : انما وضع الاغلال الاعناق ولعل التحريف من الترجمة أو سبق قلم

الاحقاد صدق حديث الخبر الصادق (لا تجتمع أمتي على الضلالة) (١) شكر الله سبحانه والحمد لله على دين الاسلام ولم يكن عفو الامة العنانية المتبعة لحكم قوله تعالى (٩٥:٥) عفا الله عما سلف) وقول نبيه الكريم «العفو ذكوة الظفر» (٢) عن طواغي الاستبداد أولي الصحف السود ليثبطهم في مواقفهم بل جرأهم على ابداء ما افعلوا عليه من الفطرة السيئة كلما وجدوا فرصة تساعدهم حتى تمكنوا بما شره من الدسائس وزينوه من الحيل ان يورطوا الملكية في ورطة هي والباذ بالله أعظم من كل الورطات الفائرة فكانوا مصداقاً لقوله تعالى (١٣١:٣٣) ومن يضلل الله فله من هاد) الآية ولكن ابطال الحرية أولياء الله المفسدين بكتاب الله المين على نصر شريعته واحياء سنن سيد رسله والمحافظة على قوانين عبادته ثاروا كالأسود من مرايضهم يستصحبون في زحفهم الشرعي اليقين المنصور بن الثاني والثالث مدججين بسلاح الجهاد ومقدمين أمام صدقهم أمراء الحامسة يأموت مقر الخلافة بسرعة محيرة حتى قهروا بسيوف بساتهم جماعة الفتنة الباغية مقاومهم وردوا كيدهم في نحورهم وحفظوا بيضة الاسلام من ان تعبت بها أيدي الآخمين فاستحقوا بذلك ان يسما بمؤسسي الدولة ثانية كما استحققت الفتنة الباغية ان تلقى جزاءها حتى صح فيهم قوله تعالى (٣٣:٥) انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) الآية وحينئذ اجتمعت أساطين الامة الذين اصطفتهم عنها نوابا يترجون عن آمالها وقرت آراؤهم الحرية على ان يطلبوا الى المشيخة الاسلامية تذكيرهم بما ينطق به الشرع في مثل هذه الاحوال قمع الفساد الساري في جسم الدولة فجمع شيخ الاسلام السالف علماء العاصمة الاعلام واصدر باتفاق أصواتهم فتوى شرعية خلع بها السلطان السابق

(١) المثار : الحديث متداول بهذا اللفظ ولكن بتكرير لفظ ضلالة وقد رواه أحمد والطبراني في الكبير بلفظه سألت ربي ان لا تجتمع أمتي على ضلالة واعطانيها» والحال بلفظ « لا تجتمع هذه الامة على ضلالة ويد الله مع الجماعة »

(٢) لا أعرف هذا الحديث ولا أذكر اني رويته ولا رأيته في كتاب ومولانا شيخ الاسلام أوسع اطلاعا وأجود حفظا

واستخلف مكانه بالبيعة الصحيحة العامة جلالة السلطان الحاضر محمد خان الخامس
أيده الله تعالى فكانت البيعة المقبولة الشرعية التي قضت الأزمان الغابرة ان تكون
نسيا منسيا قد أوجدت بذلك مكانها

(٤٣:٧) الحمد لله الذي هدانا لهذا . وانا كنا لنتهدي لولا ان هدانا الله (أما سيئات
العهد السابق التي يعجز القلم عن احصائها فهي معلومة لكل أحد نستقي عن
تفصيلها بحمد الله تعالى على زوالها واما عهد الدستور الجديد فهو عهد المحاسن
والارتقاء ذلك لانه احيا ركنا من أركان الشرع المبين كان الطاغون المتسيطرون
قد هدموه وهذا حسن ابتداء لنا فيه خير قال

ولا ينبغي ان حصول الراحة والسعادة في الملك لا يتيسران الا باتباع الرعايا
لقوانين المرعية هنالك تماما والقوانين المرعية إذا لم توزع الحقوق والوظائف بين
سكنة المملكة على التساوي المطلق لا تضمن الراحة والسعادة المطلوبتين ولكن
القوانين الصادلة والادارية في دولتنا العثمانية مبنية والحمد لله على أساس الشرع
الرصين فالسواة المطلوبة بين الرعية مكفولة اذا به لا يعدل عنها لاختلاف الدين
كيف والأخبار الماثورة تسطع كنور الهدى مصرحة بذلك في كتبنا الدينية كقوله صلى
الله عليه وسلم (لم نالتوا عليهم ماعلينا) الحديث (١) وكل وظيفة في نظر الشرع مقابل
(١) المنار : ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة فيمن دعوا الى الاسلام فأجابوا منها

حديث بريدة المشهور فيمن أسلموا وهاجروا ان لهم ماله هاجرين وعليهم ما عليهم
وحديث سلمان في قتال الفرس عند ابن ابي شيبة قال « فان اسلمتم فان لكم مثل
ماتنا وعليكم مثل ماعلينا » وفي كتاب الهداية وأصلها وشرحها من كتب الخفية اجراء
ذلك على من قبل الجزية قال : « فان بذلوا فاهلهم بالمسلمين وعليهم ما على المسلمين » بقول
علي رضي الله عنه انما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا واموالهم كأموالنا اه قال
في فتح القدير بعد ذكر قول علي كرم الله وجهه والاحاديث في هذا كثيرة بل هو
من الضروريات . ومعنى حديث علي رواه الشافعي في مسنده - وذكر سنده الى
أبي الجنوب - قال قال علي من كانت له ذمتنا قدمه كدمننا ودينه كديننا . قال
الكمال وضعف الدارقطني أبا الجنوب

حق فلا يجوز ان يحمل أحد وظيفة ويحرم من حقه لان ذلك ظلم محض يجب ان ينزه الله تعالى عنه وهل يتصور ان ينطق دين الله بحكم فيه أقل حيف؟ ألم تذكر كتب السير ان نحر الرسل صلوات الله عليه قد استشار كثيرا ممن لم يكونوا مسلمين حتى ولا داخلين في ذمة المسلمين واستعان بهم في حروبه وغزواته (١)

وقد نص الله تعالى في كتابه المبين بقوله (٣ : ١٠٤) وتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية على وجوب مراقبة الحكومة من قبل متخذي الأمانة كما قدمناه ولما كانت الطوائف غير المسلمة بعض عناصر الدولة كان اشترأ بهم في هذه المراقبة موافقا للصالح المملكة وعليه فان مجلس المبعوثين اليوم أصبح مثال لمقتضى الشرع والمشرعية وأوضح مثال (٢) للخلافة الكبرى الاسلامية قد حصص لعمرى الحق ووضع الصبح لذي عينين فاعلى الحكومة بعد اليوم الا أن توزع الحقوق بالمساواة بين الرعايا وتقلد الوظائف كل من رأت فيه أهلية منهم ولا على الرعايا الا أن يحسنوا معايشة وطينتهم من سائر الطوائف ويراعوا حقوقهم من كل وجه كما يأمرهم به الدين وقد نطق الكتاب بنجاة الصلحاء من النصارى وشهد بمودتهم للمسلمين وهو قوله تعالى (٥ : ٨٣) وتجدن أفرهم مودة الآية (٣) وصرحت الكتب الفقهية بلزوم صيانة دينهم وأرواحهم

(١) المنار : قد استعنا عن هذا وأجبتنا عنه في هذا الجزء فراجع باب الفتاوى (٢) يوشك ان يكون الاصل « وأوضح مثال » غرف في الطبع (٣) في الكلام لاجال والمفسرين في الآية قولان أحدهما انها فيمن أسلم من نصارى الحبشة وهم ناجون حتما فان أراد الشيخ هذا القول كانت فائدته هنا ان حسن معاملة المسلمين لغیرهم من شأنها ان تقضي الى مثل هذه العاقبة المحمودة . والقول الثاني انها عامة في جميع النصارى وان كان سببها خاصا وقوله تعالى في الآية التي بعدها (٨٤) واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآية مستأنف وهو الخاص بنصارى الحبشة وعلى هذا يكون مراده بنجاتهم هو نجاتهم من السيف والاعتداء والظلم ، ويوشك ان تكون عبارته التركية أظهر في مراده

وأموالهم من التعرض أقعد هذا يضطهدهم المضطهدون؟ كلا فان في ذلك خزيا في الدنيا ونكالا في الآخرة قال الله تعالى (٣٣: ٢١) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الآية وقال سيد الرسل المبعوث لإتمام مكارم الاخلاق « تخفوا باخلاق الله » (١) الحديث ومن أخلاق الله تعالى العدل والإحسان الى خلقه كافة بدون استثناء فلا يجوز بعد ذلك معاملة المسلمين لوطيئهم من الامم السائرة بالفظاظة والظلمة لان في ذلك مخالفة صريحة لرضى الله وسنة رسوله الكريم والمخالفون داخلون في زمرة الظالمين الذين قال الله تعالى في حقهم (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية (٢) فحقن نية المسلمين على ان عقاب مثل أولئك المخالفين المعتدين مقرر عند الحكومة ونوصي الناس بحسن المعاشرة فيما بينهم واجتناب ما يليق بهم الاشرار أولو النيات الفاسدة من دواهي التفرقة والخلاف شيخ الاسلام

كتبه الفقير سرى زاده

محمد صاحب عنى عنهما

(تنييه) اثبت توقيع الشيخ في النسخ المطبوعة منقولا عن خطه بالزنگراف

(١) المنار : قد اشتهر على الالسنه ان هذا حديث ولم أره في شيء من كتب السنة

(٢) ظاهر هذه العبارة ان كل مسلم يعامل احدا من غير المسلمين بالظلمة والفظاظة يكون ممن نزلت فيهم هذه الآية ولذلك انكر الناس هذه العبارة لان الآية نزلت في البغاة الذين يزيلون الامن بالقتل والنهب وقطع الطريق . ولا شك ان شيخ الاسلام ايد الله به الشرع المين لا يريد بعبارة أن من يعامل الذي او المسلم بالظلمة والفظاظة يكون محاربا لله ورسوله ومفسدا في الارض ويعاقب بأحد العقوبات المذكورة في الآية الحكيمه وانما يريد أولئك الذين يقدمون على القتل والنهب واحراق الدور ومعاهد التجارة والعلم كما وقع في ادنه (أطلنه) ولعل الخلط جاء من الترجمة بالعرية والمراد ظاهر توثيد الحكم الشرعي المراد منه القرائن الحالية ويشير اليه ما ختم به الكلام من دسائس الاشرار أولي النيات الفاسدة

﴿ اعتبار المصلحين • بهذا البلاغ المبين ﴾

ان في هذا البلاغ من آيات العلم الصحيح ، وهداية الدين القيم ، والاعتصام بالكتاب والسنة دون التقليد الاعى ما تشرح له صدور المؤمنين ، وتشتد به عزائم المصلحين ، لصدوره من أرفع مقام في علماء الاسلام الرسميين
ما أضع الاسلام إلا ترك الكتاب العزيز والسنة السنية الى كتب جماعة من مقلدة المذاهب المختلفة تعيد بها علماء الرنوم من القضاة والمفتين وغيرهم من احوان الحكام الجاهلين الطالبين وقيدوا بها الأمة حتى حل بها ما نعلم وقد شرحتاه مرارا وفصلنا القول فيه تفصيلا

قد بحث الله في القرون الخالية علماء أصفاء يمددون لهذه الامة أمر دينها فكانوا فيها كأنبياء، بني إسرائيل منهم من اهتمدى بدعوته النفر والرهط والجماعة ومنهم من حال الاضطهاد وضعف الاستمداد دون الاهتمام به ، وكانت العامة المسكينة تغتر بمقاومة علماء الرسوم وساداتهم الحكام لأولئك المصلحين المجددين وتبعمهم في تضليلهم لأن الناس على دين ملوكهم ، حتى ان صوت شيخ الاسلام أحمد بن تيمية قد خفت في هذه الامة المسكينة وهو أندى أصوات المصلحين ، وكتبه خفيت فيهم عدة قرون وهي أقوى وأظهر حجة من سائر كتب المسلمين ،

هذاما كان من الجهاد بين الحق والقوة ، وهكذا كان يعادي الكتاب والسنة كل من له بالحكام علاقة رسمية ، فلعلماء الرسميين نفوذ عظيم إذا أيدوا به الاصلاح ينتشر بسرعة عظيمة ولكن الحكام المستبدين لا يمكنونهم من ذلك فالعالم الرسمي في الحكومة المستبدة لا يوثق بما يقول ولا بما يكتب إلقاء ولا تصنيفاً بل اذا اشتد الاستبداد في بلاد كان لها اقل ان لا يعتد بكلام أحد من علمائها وزعمائها في الامور العامة الا من كان مضطهدا من حكومتها . تقول هذا بصرف النظر عن تحكيم الدليل في الكلام لمن كان من أهله

طال الزمان على قوة الباطل وضعف الحق لان أهل الحق منهم الاستبداد

من إظهار حقهم وإنما يطلب الحق الباطل إذا وجدا معا فلا معارض ، ولهذا غلب الجود ودخل جماهير المشتغلين بالعلوم الدينية جحر الضبوط طالب لم المقام فيمضي صاروا يغفرون من فضاء الخيفية السمحة المضيئة بنور الكتاب والسنة ، فوصلوا الى ذلك الدرك الاسفل من الضلال الذي عبر عنه بعض شيوخ الازهر في ملأ منهم فقال : من قال اتقي أعمل بالكتاب والسنة فهو زنديق

نحمد الله تعالى أنه لم يسلب جميع المشتغلين بعلوم الاسلام نور كتابه وسنة رسوله بل صدق رسوله بأنه لا يزال طاقة منهم قائمين على الحق حتى تقوم الساعة (١) ولكن حرية الامم وبحر وجها من رق الاستبداد هي التي تظهر علم هؤلاء وهدايتهم . فلما لاح شعاع الحرية في مصر ظهر فيها المصلح العظيم الشيخ محمد عبده (رحمه الله تعالى) وكان صوته ضعيفا إلى أن صار له صفة رسمية بتقلده افتاء الديار المصرية فنجتد علا صوته حتى صار شرق البلاد الاسلامية وغربها يلججان بلقبه الذي اشتهر به «الاستاذ الامام» وتعلقت به آمال طلاب الاصلاح الاسلامي في كل مكان

ثم أشرقت شمس الحرية في المملكة العثمانية فظهر من أعلى مقام علي فيها — وهو مقام مشيخة الاسلام — كلمتان كبيرتان في الاصلاح (احدهما) الفتوى بخلم السلطان عبد الحميد فانها قوى بنيت على أساس من كتاب الله عز وجل ، لا على شفا جرف من آراء زيد أو عمرو ، فهي أقوى وأصح فتوى صدرت في هذا العصر ، كما يتناذلك من قبل ، وقد زادنا سرورا بها ما جاء في هذا البلاغ من جمع شيخ الاسلام الذي اصدوها للعلماء الاعلام واستشارتهم في المسألة واصداره الفتوى باتفاقهم

(الكلمة الثانية) هذا البلاغ المين ، المتألق نوره بالاقباس من القرآن الحكيم ، والاستنباط منه ومن الحديث الشريف ، قد قرأت عيوننا بما رأينا فيه من الفهم الثاقب ، وتطبيق الآيات والاحاديث على الوقائع والحوادث ، ناهيك باستنباط وجوب سيطرة الامة على الحكومة من آية وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ايد به الحكومة الدستورية ، واستنباطه من آيات واحاديث أخرى مشروعية الجمع بين

(١) اشارة الى حديث صحيح رواه الحاكم من حديث عمر وابن ماجه من

حديث أبي هريرة

الدين والعقل ، والاتفاق بما خلق الله في السموات والارض ، وجوب التضامن والتكافل العام في الامة ، وبيان سنة الاجتماع في تغيير احوال الامم ، والتصريح بكون الحكم انما يجب طاعتهم في المعروف لافي المنكر والمحرم وغير ذلك من الاحكام والحكم ان شيخ الاسلام لم يقل هذه المعاني من كتب التفسير قلا ، وانما فهمها من كتاب الله تعالى فيها ، وان فهمه (حفظه الله) للآيات من قبيل فهم الاستاذ الامام (رحمه الله) لها ، فهذا الاجمال موافق لما سبق تفصيله في المنار في التفسير وغير التفسير مرارا ، وهو لم يكن قبل هذا العام ممن يرون المنار ، وانما هو الاستقلال وعدم التقليد يتفق اصحابه في كل ما تتوفر الدواعي على العلم به

فحمد الله أن وجد فينا مثل هذا الامام الجليل وأن كان شيخا للإسلام في هذا العصر المنير ، ونسأل الله تعالى ان ينفعنا وسائر المسلمين بعلمه وهديه ، ويوفق جميع العثمانيين بارشاده الى التعاون والاتفاق على ما به عمران البلاد وتعزيز الدولة آمين

(فصل — أو — وصل) اننا نذكر في هذا المقام للشيخ سليم البشري شيخ الازهر ورئيس لجنة الدعوة الى المؤتمر الاسلامي اجازته لقانون المؤتمر الذي فيه ان المباحث الدينية في المؤتمر تكون اجتهادية تبنى على الكتاب والسنة والاجماع والقياس لاعلى نصوص المذاهب . نذكر له هذا ونثني عليه عودا على بدء . ونتنصر بتقريره هذا وبالبلغ الذي نشرناه في هذا الجزء — وهما من أكبر شيوخ الاسلام الرسميين في أكبر عواصم المسلمين — على الجامدين البداء الذين كانوا يتكبرون علينا من بضع سنين دعوتنا الى الاهتداء بالكتاب والسنة وجمع كلمة المسلمين عليها والله خير الناصرين

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتريين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وبعامدتها ما تفرحنا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولن مضي على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكره مرة واحدة قل لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الدستور والحرية والدين الاسلامي ﴾

(من ٢٩ و ٣٠) من صاحب الامضاء في سواكن (السودان)

حضرة الاستاذ المرشد السيد محمد رشيد رضا دام فضله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد ألتأني ففهي القاصر وذهنى الفائر لرفع هذه الأسئلة لجنايبكم متمسكاً حلها وشرحها شرحاً وافياً يفهمه الخاص والعالم لأن ظروف الاحوال تقتضي ذلك بالنسبة لما هو حاصل الآن في دار الخلافة الاسلامية صانها رب البرية . وهي :
الأول — ما هو الدستور وما حقيقة وهل هو موافق للدين الاسلامي نعمام الموافقة . وما الدليل عليه من الكتاب والسنة ؟

الثاني — ما هي الحرية - القولية والفعلية — وما حقيقتها وهل هي موافقة للشريعة الاسلامية وما الدليل عليها شرعاً وعقلاً ؟

وهل هي كما علق باذهان العامة بانها الفوصوية التامة التي لا رادع لما كان تذهب المرأة من بعلمها وتفعل ما تشاء وهو لا يقدر على منها . ويذهب الولد خارجاً من طاعة الوالد ولا يقدر على تأديبه ومنه من ارتكب المخطو أم هي بخلاف ذلك ؟
نرجو من حضرة الأستاذ إجابتنا على صفحات النار الاغر في أول عدد منه

لا زال خضم علمه زائراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كنهه عبد القادر ملاقلندر البخاري

الدستور والدين الاسلامي

(ج) تنقسم الحكومة في عرف أهل مصر إلى قسمين أصليين حكومة مطلقة وتسمى شخصية واستبدادية وحكومة مقيدة أو دستورية ويمبر عنها الترك والفرس بالمشروطة أي المشروط فيها العمل بالدستور

فالحكومة الشخصية المطلقة هي التي يكون فيها حق التشريع والتنفيذ للحاكم العام والرئيس الأكبر الذي يقب بالملك أو السلطان أو غير ذلك من الألقاب فهو الذي يضع لبلاده من القوانين ما يشاء متى شاء وينسخ منها ما شاء متى شاء غير مقيد برأي أحد ولا مكلفا ان يستشير أحدا ، وهو الذي ينفذ الاحكام التي يحكم بها في بلاده بأوامره أي تنفذ باسمه على ان له ان يوقف تنفيذ ما يشاء منها ويعفو عن من يشاء سواء كان الحكم من نوع القانوني الوضعي أو من نوع الديني الشرعي فهو فوق الشريعة والقانون لا يجوز محاكمته اذا خالفها . ومثال هذه الحكومة ما كنا فيه قبل سنة وشهرين من حكم عبد الحميد فقد كان بما له من السلطة المطلقة يمنع من الاحكام الشرعية ما يشاء كمنعه شهادة التوار والحكم بمقتضاها والحكم بالحجر على المجانين وتنفيذ أحكام الاعدام الشرعية وغير ذلك كما كان يمنع من كتب الدين والعلم ما شاء ويصادر منها ما شاء بمحض الهوى والوسواس

فهذا النوع من الحكم يحرمه الدين الاسلامي بل تحكم الشريعة الاسلامية بكفر مستحله لأن من استحل الحرام المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كما يبطال الاحكام الشرعية ومصادرة الناس في أموالهم ودمائهم كان مرتدا

واما الحكومة الأخرى أي المقيدة أو المشروطة أو الدستورية فهي التي يكون فيها الحاكم العام ومن دونه من الحكام والمال مقيدين كلهم بالدستور والدستور عبارة عن شريعة البلاد وقوانينها التي يضمنها أهل الرأي الذين تعهد اليهم الأمة ذلك بالتشاور بينهم ليس للحاكم العام فيها ان يستبد بشيء بل عليه ان يتقيد بالشريعة والقانون الذي رضيه وقرره أهل الشورى . فهذه الحكومة مواهقة للدين الاسلامي في أساسها وأصلها هذا لأن أحكام الاسلام قسمان أحكام دنيئة جاء بها الوحي

وأحكام دنيوية جاء بعضها الوحي ارشادا وتعليلًا ووكّل سائرهما إلى أهل الشورى من أولي المكانة والرأي الذين عبر عنهم القرآن العزيز بأولي الأمر فهم الذين يضعون برأيهم واجتهادهم ما تحتاج إليه الأمة لاقامة المصالح ودفع المفاسد التي تختلف باختلاف الزمان والمكان . ودليل ذلك قوله تعالى في المؤمنين (٤٢ : ٣٨) وأمرهم شورى بينهم) وقوله عز وجل (٤ : ٨٣) وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لمعدهم لعلهم يستنبطونه منهم) وقد ينما معنى هاتين الآيتين أكثر من مرة وليراجع السائل تفسير قوله تعالى (٣ : ١٦٠) وشاورهم في الأمر — ص ٧٢٦ م ١١) وعلي هذا جرى النبي (ص) في أمور الدنيا والخلفاء الراشدون من بعده

هذا هو معنى مواقة الدستور للشرع الاسلامي في أصله وأساسه بالأجمال . وأما التفصيل فهو موكول في دولتنا الآن إلى أولي الأمر الذي انتخبهم الأمة لوضع القوانين التي يطلق على مجموعها لفظ (الدستور) فإذا كانت مسائل هذه القوانين مطابقة لمصوّر الكاتب وللأصول والقواعد الشرعية المستنبطة منها كالعدل ورفع المضار وجلب المنافع وغير ذلك من القواعد والاحكام كان الدستور مواقا للدين الاسلامي في جزئياته التفصيلية وان كان بعض تلك المسائل مخالفا لها يكون الدستور مخطئا فيما خالف فيه كما اخطأ كثير من الفقهاء في بعض الاحكام في كتبهم . وللأمة حينئذ ان تنبّه مجلس نوابها على ذلك ليتداركه اذا تيسر له

ويردها عن اعتراضان يحدث بهما الناس أحدهما مستمد من التفسير وهو ان اولي الامر الذين فوض كتاب الله تعالى اليهم استنباط الاحكام والقوانين يجب ان يكونوا من المسلمين ، ومجلس النواب العثماني الذي يضع القوانين الدستورية مؤلف من المسلمين وغيرهم . والجواب عن هذا ان استشارة المسلمين لغيرهم ومشاركتهم في الرأي غير ممنوعة وقد تكون مطلوبة اذا كان ذلك من مصلحة الأمة لأن المصلحة هي الاصل في جميع الاحكام الدنيوية حتى قال بعض علمائنا انها تقدم على النص اذا عارضته كما قلناه عن الطوخي في المجلد التاسع (ص ٧٤٥) على ان المسلمين هم

الأكثر في مجلس الأمة المكون من المبشرين والاعيان وهم العارفون بمصالح
الأمة ومنافعها فلا ينفذ الا ما قرروه

والاعتراض الثاني مستمد من أصول الفقه وهو ان الذين يستنبطون للسلمين ما يحتاجون
اليه من الاحكام غير المنصوصة في الكتاب والسنة يجب ان يكونوا من أهل الاجتهاد الذين
استوفوا شروطه التي ذكرها الاصوليون . وقد يجيب المشتغلون بالسياسة عن هذا بان
الاحكام الشرعية المحضة لا تعرض لما المجلس بل هي لازال تؤخذ من كتب الفقه بالتقليد
وانما يضع المجلس القوانين المتعلقة بأمور الدنيا كجباية الأموال وطرق إنفاقها ونظام
الحكم وغيرها من مصالح الحكومة وهي لا تحتاج الى ما ذكره من الشروط المجتهد .
ولكن هذا الجواب لا يقيم المتقنة فانهم يقولون ان جميع الأحكام المالية والسياسية
والحرية والإدارية يجب ان تكون مستمدة من الشرع وموافقة له

واتي أجيب بجواب آخر وهو ان ما ذكره الاصوليون من شروط المجتهدين ليست
نصوصاً تعبدنا الله تعالى بها فيما أوحاه الى نبيه وإنما هي آراء وأولئك الأصوليون .
وقد بينا الحق في ذلك وما يجب من الإصلاح من الأمور الدينية والدنيوية بالتفصيل
في مقالات محاورات المصلح والمقلد فليرجع اليها السائل ومن شاء في المجلد الثالث
والرابع من الملتج (١)

وقول هنا أيضا ان الله تعالى قد جعل لجماعة أولي الأمر من الأمة أن
يستنبطوا برأيهم واجتهادهم من الاحكام ما تمس حاجتها اليه وأطلق ذلك فان كان
هناك أدلة تدل على انه يشترط فيهم ما قاله علماء أصول الفقه في المجتهدين فليكن تلك
الشروط كالشروط التي اشترطوها في الخليفة وفي القاضي من حيث انه يجب تحصيلها
ويقدم من توفرت فيه على غيره ولكن لا تعطل الاحكام بقدها . فكما أجازوا
خلافه الخليفة من غير استيفاء جميع شروطه للضرورة وأجازوا ان يكون القاضي غير
مجتهد للضرورة يجب ان يميزوا استنباط الاحكام المالية والسياسية والادارية
(١) جمت تلك المقالات في كتاب مستقل منه خمسة قروش واجرة البريد

مضمونا قرش ونصف

والقضائية لمن لم تتوفر فيهم شروط المجتهد لاجل الضرورة إذ لا فرق بين هؤلاء المستشارين والمستنيطين وبين الحاكمين والمنفذين

لا بد للأمة في كل وقت من الحكم ولا بد ان يكون هؤلاء الحكماء مقيدين بالشورى ولا بد ان يكون أهل الشورى من أولي الرأي والمكانة لتثق بهم الأمة فليها في كل زمن ان تختار أمثل أهل للقيام بذلك الركن الشرعي فان لم يوجد في زمن ما من هم متصفون بصفات الكمال التي تدل عليها الدلائل الشرعية فلي الأمة مع اختيار الامثل للضرورة أن تعد أناسا منها بالتربية والتعليم للكمال المطلوب

يقول حملة الفقه انا نستقي بما استنبطه المجتهدون السابقون من استنباط أحكام جديدة فيجب أن نعمل بما دون في كتب الحنفية أو غيرهم من فقهاء المذاهب الأربعة ولا نزيد على ذلك شيئا ، ويحييهم الحكم وغيرهم من العارفين بحال العصر (أولا) ان مادون وقتل عن الأئمة الأربعة لم يكن الأمة في زمن ما ولذلك زاد عليه أتباعهم غير المجتهدين اضعاف اضعافه حتى صار العمل بكتب هؤلاء المقلدين، وقد أكثر كتب الأئمة المجتهدين، وما عساه يوجد منها لا يقرأ ولا يقي به ولا يرجع اليه . واتباع المقلد وتقليده باطل بحسب أصولكم ، واعذاركم عن ذلك غير مسموعة (ثانيا) ان الزمان قد تغير وتغير العرف الذي بني عليه كثير من الاحكام وحدثت للدولة والأمة مصالح وحاجات كثيرة لم تكن في زمن الأئمة ولا زمن مدوني الفقه المنسوب إلى أصولهم ومذاهبهم في الاستنباط وصارت عرضة لمضار ومفاسد لم تكن في زمنهم فعرف من كتبهم طرق درثها فاضطرونا الى احكام تناسب حال زمننا . واتانا ما صرنا أضغف الامم ببدان كنا أقواها الا بعلوم جريتنا في درء المفاسد وجلب المصالح في هذه الأزمنة الأخيرة بحسبها

هذا وان أساس هذا الدستور هو ان تنتخب الأمة نوابا عنها يكونون هم أصحاب الشأن في الاحكام التي تناس بها فليها ان تختار أمثلهم وأعلمهم بالشرع احكامه ومقاصده ، والرأي الراجح في مجلس الأمة للمسلمين كما قلنا آنفا فاذا قرروا ما يخالف الشرع القطعي ولم تستقبل الأمة بهم من يموذيه كان الإنهم عليها وعليهم ولم يكن الدستور مانعا لما ولهم من إقامة شرعهم ، واما في زمن الحكومة المطلقة فلم يكن لها

ان تقول ولا ان تفعل وان ضاع دينها كله وضاعت دنيائها معه
وجملة القول ان الأمة يمكنها بهذا الدستور ان تحيي دينها ودنيائها فان لم تفعل
كان الائم عليها . نعم انها لا تستطيع ذلك إلا بالتدريج كما نشأ الاسلام وترقى
بالتدريج فكان شأنه إلى عهد صلح الحديبية سنة ست غير شأنه بعد فتح مكة سنة
ثمان فلا ينبغي ان ننسى هذا

الحرية والدين الاسلامي

الحرية تطلق على عدة معانٍ بحسب الدرف والاصطلاح ولعل ما تسألون عنه هو
ماقرره القانون الاساسي الذي هو أصل الدستور وأساسه في المادتين ٩ و ١٠ والمراد
منها انه ليس للحكومة — ولا لغيرها بالاولى — ان تعدي على أحد قول يقوله
أو عمل يصعله أو تكلفه شيئاً من ذلك إلا ما يعينه القانون لحفظ الحقوق العامة والخاصة
فمن كان في بلد حكومته دستورية يكون حراً غير مستعبد لحكومتها ولا لأصحاب
النفوذ والجاه فيها آمناً على نفسه من الاعتداء ما دام محافظاً على القانون الذي يحظر
عليه الاعتداء في حريته على حرية غيره وحقوقه . فحياة الناس من التعدي عليهم موافق
للشريعة الاسلامية كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن العاص لما علم ان
ولده ضرب غلاماً قبطياً « منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » فإذا
ادخل معنى في الحرية ترك بعض الحدود أو التعزيرات المجمع عليها كانت الحرية
حينئذ غير شرعية بجميع جزئيات منهاها بل بعضها شرعي وبعضها غير شرعي وإن
كان سليماً وليس في القانون الاساسي تصريح بذلك ولكن قد يكون هذا النقص ما
يقصر فيه مجلس الامة عند وضع قانون الجزاء والذنب عليه وللأمة ان تطالب به
اما ماعلق بالأذهان من كون الحرية القانونية تبيح نشوز النساء عن رجالهن
وعقوق الاولاد لوالديهم فغير صحيح

• • •

(سؤال آخر) ورد علينا استفتاء آخر في المسألة من دمشق الشام يحيلنا فيه
السائل على مقالة نشرها المقتبس فيها لم نطلع عليها فإذا كان في جوابنا مقنع له فيها
والا فليعد السؤال وليرسل معه المقالة التي سأل عن موضوعها

• • •

﴿ استشارة غير المسلمين والاستعانة بهم في الحرب ﴾

« س ٣١ » من صاحب الامضاء في بيروت

سيدي الاستاذ الشيخ محمد رشيد افندي رضا الحسيني منشي مجلة المنار المحترم
بعد التحية اليكم انه قد اطلعت في عدد « ٢٦٣ » من جريدة الاتحاد العثماني
الاغرفرأيت في طليعته منشوراً لشيخ الاسلام كان من ضمنه هذه الجملة « وقد
استشار نينا في ظروف عديدة خطيرة اناسا لم يكونوا يدينون بالاسلام وطلب (ص)
في الحروب معاوتهم ومساعدتهم » فارجو ان تبينوا لنا من هم المشاورون ؟ وما
هي تلك الحوادث التي وقعت فيها الاستشارة كما ارجو بيان من هم الذين طلب
النبي (ص) معاوتهم ومساعدتهم في الحروب ؟ أخذاً للحكمة ويانا لمن اتحل نفسه
التمصّب الذميم فظهر بذلك نفسه واتباعا للحق مولاي . خادم العلم الشريف
راغب قباني

(ج) خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف في اول الاسلام وطلب
من رؤساء أهلها حمايته من قريش ليبلغ دعوة ربه فردوه . وكان يخرج في المواسم
الى اسواق العرب يعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يبلغ دعوة ربه فكان بعضهم
يرد ردا حسنا وبعضهم يرد ردا سيئا . ثم انه بعد ان قوي الاسلام استعان في الحديبية
بعضينة الخزاعي فاتخذ عينا على المشركين وكان يومئذ مشركا ومن المعروف ان
قصة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وكان مع النبي (ص) من
المؤمنين الف وأربع مئة - وأوخمس مئة - واستعان بصفوان بن امية يوم حنين .
واخذ في خير برأي عزال اليهودي ققطع مشرب القوم ليخرجوا من حصنهم لمناجزته
وفي مراسيل ابي داود عن الزهري أن النبي (ص) استعان بناس من اليهود
في خير فأسهم لهم وهو ضعيف . وفي حديث ذي مخبر (رض) عند احمد وابي
داود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ستصالحون الروم صلحا
وتغزون انتم وهم قوما من ورائكم » وكان النبي (ص) محالفا لخزاعة وكانت

(المتارج ٨ ١٢) استشارة غير المسلمين والاستعانة بهم في الحرب ٦١٣

قريش محالفة ليكر فاعتدى بنو بكر على بني خزاعة وساعدتهم قريش بعد عهد الحديبية فانقض عهدهم وحاربهم النبي (ص) باصحابه لأجل ذلك حتى فتح مكة غزوة فخرجت خزاعة معه على قريش

لكن ورد في حديث عائشة عند احمد ومسلم أن النبي (ص) خرج قبل بدر فلما كان بحجرة الوريه ادركه رجل قد كانت تذكر منه جرأة ونجدة قال جئت لاتبك فاصيب معك ، فقال رسول الله (ص) « توأمن بالله ورسوله؟ » قال لا ، قال « فارجع فلن استعين بمشرك » ثم ذكرت انه عاد مرتين بعد ذلك فقال له مثل ما قال في المرة الاولى . وفي حديث خبيب بن عبد الرحمن عن ابيه عن جده انه استأذن النبي هو ورجل آخر من قومه في الغزوة معه فقال « أسلمتما؟ » قال لا فقال « إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين » رواه الشافعي واحمد والنسائي وغيرهم

ومن هنا جاء الخلاف بين العلماء في جواز الاستعانة وعدمه فنقل الجواز عن الحنفية وعن الشافعي منع الاستعانة بهم على المسلمين وجواز الاستعانة بهم على امثالهم اما الجمع بين الروايات المختلفة فقد قال الحافظ ابن حجر في التلخيص ان اقرب ما قيل فيه ان الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها قال وعليه نص الشافعي . وانت ترى ان جميع ما نقلناه من روايات الاستعانة كان بعد غزوة بدر التي قال فيها دلن استعين بمشرك ، والعمدة في مثل هذه المسألة اتباع ما فيه المصلحة وهي تختلف باختلاف الاحوال واما استشارة النبي (ص) لغير المسلمين فلعل شيخ الاسلام نفعا الله بعلومه يريد بها ما كان في اول الاسلام من استشارته (ص) لعمه ابي طالب ومن استشارة المنافقين بعد الهجرة كاستشارة عبد الله ابن ابي في غزوة احد ومراجعته لحلفائه من اليهود في بعض المسائل المتعلقة بالمحاربة ان صح ان يسمى هذا استشارة . أما كونه (ص) كان اذا عرض امر يستشير فيه المشركين أو أهل الكتاب ليستبين بمشاورتهم الرأي فهو لا اعرفه ولا اظن ان شيخ الاسلام يريد . وقد علمت مما تقدم في الكلام على الدستور انه لا مانع من المشاورة واز مصلحة الامة هي الحكمة في مثل هذه المسألة . ولا شك ان مصلحة دولتنا في هذا العصر تقتضي إشراك جميع شعوبها في المشاورة ووضع جميع القوانين لاقوم المصلحة بدون ذلك وهذا وحده كف للجوارح عرا

﴿ انصار البدع والتقاليد وكتبهم ﴾

(س ٣٢) من صاحب الامضاء في بتاوى (جاوه)

مولاي الاستاذ المصلح فضيلتو أقدم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت والمسئول منكم ابناء لما
التزمتم به من النصيح لله ولكتابه ورسوله وللمؤمنين ان تقيدونا عن أسلتنا هذه
قد عرفنا منكم الصدق وقوة الحجة وقطع السنة أئمة البدعة أدامكم الله وزادكم
توفيقا : انها قد نبغت في هذه السنين رجال يدعون الى الكتاب والسنة ويؤثرون
ما كان عليه السلف الصالح على كثير من المقول عن المتأخرين وقد كثر أصحابهم
وعلت أصواتهم وزرى على أقوالهم جلالة الحق ومسحة الصدق ،

وقد غاظ أمرهم هذا أناسا عاشوا بنرويج الرابطة والتوجه . وآخرين جحدوا
على ما قاله بعض مصنفي المتأخرين كابن حجر المكي فأنخذوهم أربابا من دون الله
يحلون ما أحلوا ويحرمون ما حرموا ويقدمون أقوالهم على قول الله تعالى وقول
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال كبار أصحابه ورجالات التابعين بإحسان مع
صحة النقل واتقاء المعارض ، وقد زعموا أن الواجب علينا هو الاخذ بما قاله أولئك
المصنفون وانه لا يجوز لنا مخالفتهم ولا نسبة السهو والغفلة اليهم فضلا عن الغلط وان
خلاف ما قالوه بدعة وضلالة وفسوق مما قويت صحته وكذا القائلون به من سلف
الامة وخلفها وان شيخ الاسلام ابن تيمية كبير الفسقة وان من يسميه شيخ الاسلام
فاسق أيضا بل حرموا الاستدلال من الكتاب والسنة مطلقا ، وقالوا لا يقرأها
أحد إلا بنية التبرك أو نحو الاستسقاء والا فهو ضال مجرم !!!

والى سيدي نبذة طبعها مصنفها حديثا . عكف عليها عباده وفيها همز ولز
لا نأل عنها ولكن نرجوكم عدم غض النظر عما فيها من انتغير والتضليل
واطلاق المقيد وتعميم الخصاص وإيراد الأحاديث الموضوعات والتحكم في الدين والافتراء

على الله بالقول هذا حلال وهذا حرام بدون حجة ليكون ما تكتبونه زاجرا له ولا مثاله من الجهال المتعصين ومنفذ لمن يقع في جالته من العوام والسذج من المؤمنين وتعلموا ان قصده من الكتابة الرد لما جاء في المنار من نحو الفتيا في الفتاه ومن المدح لشيخ الاسلام ومن الانحاء على البدع والتقليد ثم لتبركم بعد من الرسالة فصولا أخرى ولربما سكت عن الجواب لعذره ولا عذر لجنابكم ومع تلك الرسالة نمزوج من فتاوي ذلك البعض في منع الترجمة للقرآن لم يأت على ما قاله فيها يرهان فترجوكم بيان الحق في حكم الترجمة والتفصيل بين ما يترجم لبيان معناه للاستدلال به على من لا يفهم العربية وما يترجم لقرأ به العاجز عن القراءة بالعربية وما يترجم ليكون كالتفسير وما يشترط لذلك وان تشبهوا بمن كتبت ترجمة يان آي القرآن في كتبه بالفارسية وغيرها كالغزالي واليهودي واليهودي وغيرهم ، ولكم منا جزيل الشكر ومن الله وافر الاجر والسلام

(سائل خائف يحب إظهار الحق ويخشي السجن)

٢٠٢

(المنار) قد أرسل الينا صاحب هذا السؤال رسالتين مطبوعتين في جاوه مؤلفهما عثمان بن عبد الله بن عقيل المستشار الديني لحكومة هولندا في جاوه . احدهما في النعي عن ترجمة القرآن والثانية في مسائل المجتهدين والمقلدين والصوفية والاولياء والصحابه والنصيحة والحب والبغض في الله والورع وحفظ اللسان يكلفنا هذا السائل كما كلفنا غيره ان نقرأ هاتين الرسالتين ونبين ما فيها من الخطأ ومخالفة الشريعة كما كلفنا غيرهم من قبل مطالعة بعض كتب النبهاني والرد عليها . وان الكتب الحديثة وكذا القديمة المحشوة بالأباطيل والقول في دين الله بغير علم كتب النبهاني وأمثلة أكثر من أن نحصى فهل يكلف مثلي ان اقرأها وبين ما فيها من الخطأ والباطل معا كثر ذلك وتكرر ؟ ان هذا من تكليف ما لا يطاق نحسبنا ان نبين الحق في مسائل الدين ومنه يعلم ان كل ما خلفه باطل . وان أكثر المسائل التي نستل عنها من هاتين الرسالتين وكتب النبهاني قد بينا الحق فيها بالدلائل الواضحة فهل نكلف ان نعيد كل ما كتبناه كلما تكرر السؤال عنه ؟

على ان الرد على هؤلاء المقلدين المتهوِّكين مشكل لكثرة تناقضهم ولضعفة البرهان عندهم كما قال الشاعر

أقلّد وجددي فليبرهن منندي فما أضحى البرهان عند المقلد
فتراهم يحرمون الاهتداء بالكتاب والسنة والاستدلال بهما على المطالب ويدعون
أن الله تعالى ما كلّفنا الا العمل باقوال بعض الفقهاء المتأخرين كابن حجر الميمني
والسبكي في دين عثمان بن عقيّل مؤلف هاتين الرسالتين ثم انهم يستدلون بعد ذلك
بالكتاب والسنة ويخالفون امامهم ومقلدهم في الاشرطه في قلّ الاحاديث بله الاستدلال
بها . فقد ذكر ابن حجر في (ص ٣٢) من فتواه الحديثية انه لا يجوز لغير المحدث
رواية الاحاديث ونقلها بمجرد رؤيتها في الكتب بل لا بد من نقلها من كتب اهل
الحديث الذين يميزون بين الصحيح وغيره وابن عقيّل هذا يقل في رسالته احاديث
من غير الكتب المتمددة ولا يترزوها الى احد من الحفاظ ولا الى كتبهم وفيها
الموضوع والواهي الذي لا يحتاج به والمحرف وهو لا يعرف اصلاً . ومن غرائب
التهافت انه عقد في رسالته فصلاً للاحاديث الموضوعه وذكر انها أشد الاشياء خطراً
على الدين

ومن يعدهم عمدة وحجة في الدين الفزالي وقد شنع في الاحياء وما بعده من
كتبه على التقليد والفقهاء الذين أعلى من ابن حجر مرتبة فهل يأخذ برأيه في ذلك
وهو يحمّد اتباع السلف ويأمر بعد ذلك بالبدع التي تخالف سنتهم ويعتمد على أقوال
الخلف وأعمالهم التي لم تكن في زمنهم

كذلك تراه يعظم الصوفية ويأمر باتباعهم والصوفية كلهم يتبرؤون من التقليد
ويقولون انهم لا يأخذون دينهم الا من عين الشريعة وهو كتاب الله وسنة رسوله
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد قل في رسالته شيئاً من أقوالهم في ذلك ، ولم في
ذلك ما هو أصرح مما نقله وأوضح . فهاذا يحتاج على مثل هذا المؤلف وهو ليس من
أهل الحجة والدليل لأن هؤلاء هم الذين يسميهم هو وأمثاله المجتهدين ويقولون
انهم قد اقرضوا ولا يأتي الله بمثلهم يقولون هذا اقتيا على الله وعلى الوجود بما لا يعلمون ؟
ومن غريب تناقضهم انهم على تبرؤهم من الاستدلال الذي هو الاجتهاد تراه

يحكمون في المسائل والوقائع حكم المجتهدين بمحض الجهل والهوى فيقولون هذا حلال وهذا حرام ، وهذا كفر وهذا إيمان ، وهذا العالم على هدى فيؤخذ بقوله وهذا على ضلال فيرد قوله ، فالأئمة المجتهدون لم يكونوا يميزون لا أنفسهم ان يقولوا مثل هذا الا بدليل فكيف صار هؤلاء المتأخرون الجاهلون فوق الأئمة يقولون في دين الله تعالى بغير دليل حتى كأن الله تعالى أذن لهم ان يشرعوا للناس من الدين ماشاءوا ان مناقشة هؤلاء عبت والرد عليهم قليل الجدوى في الغالب ولا يمنع إضلالهم العامة التي تثق بهم لمواقفتهم لأهوائها في البدع والعادات الخاكة عليها وانما السبيل الى ذلك ان يذكر العلماء الراسخون العارفون بدين الله تعالى ويقولون أمر التعليم والارشاد فمن أراد ان يسعى في اتقاذ المسلمين عما هم فيه من الجهل والبدع ويردهم الى أصل دينهم فليسع في هذا وهو ما يهتم به بعض أصحاب الغيرة المصلحين اليوم وسيظهر أثره ان شاء الله تعالى عن قريب

على ان المؤمنين الذين يفسدون بمصنفاتهم ولا يصلحون قسمان : قسم طبع الله على قلوبهم وجحدوا على ما اعتادوه وألقوه باسم الدين وصار لهم به حظ من المال والجاه حتى تودع منهم ووقع اليأس من رجوعهم الى الحق . وقسم آخر لا يزال على شيء من نور الفطرة وسلامة القلب فهو هؤلاء وان سدوا على أنفسهم باب الاستدلال لا يزالون محل رجاء فهم يعودون الى الحق اذا ظهر لهم نوره . فلهؤلاء أقول :

اننا ندعوكم الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى عليه وآله وسلم فان الله تعالى لم ينزل عليكم غير هذا القرآن ولم يرسل اليكم غير هذا الرسول (ص) وقد قال في كتابه انه أكل لكم دينكم فكل من زاد في الدين شيئا فهو غير مدعن بقوله تعالى (٦: ٣) اليوم أكملت لكم دينكم (ولا قول نبيه (ص) في حديث أبي ثعلبة الذي حسنه النووي في الاربعين وصححه ابن الصلاح دان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تمتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها ، ندعوكم الى معرفة الكتاب والسنة والاهتداء بهما وان تستعينوا على فهمهما بما كتبه خدماهما من أئمة الفقه والحديث والتفسير واللغة لانتهاكم عن الاستهداء

والاستعانة بكلام هؤلاء الأئمة بل ندعوك اليه ولكن لا تجعلوا كلام هؤلاء العلماء شرعا مقصودا لذاته وتركوا الاصل الذي كتبوا ما كتبوا لاجل خدمته وبيانه حتى يصير نسبنا منسبا فيصدق عليكم ما فاه القرآن على من قبلكم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم

أجمع سلف الأمة ومنهم الأئمة الاربعة على تحريم التقليد ونصوبهم في ذلك مشهورة ذكرنا كثيرا منها في (محاورات المصلح والمقلد) ثم جاء المصنفون المقلدون فقالوا بوجوب التقليد للعاجز عن الاجتهاد ولكنهم اجمعوا على انه لا يجوز تقليد المقلد وانما يجب تقليد الأئمة المجتهدين ثم جاء المتأخرون يقولون بوجوب اتباع مثل ابن حجر وغيره من المقلدين فاذا كان قول مثل ابن حجر بوجوب التقليد ليس حجة عند أحد فهل يكون كلام مقلديه مما يمتد به وهو كلام مقلد المقلد الذي لا يفهم الكتاب والسنة ولا يعرف كلام من يقول انهم هم الذين فهموها وينوها وهم الأئمة المجتهدون؟؟ يدعي الشيخ عثمان بن عقيل وأمثاله في جاوه وحضرموت انهم متبعون للامام الشافعي رضي الله عنه ولكن الشافعي نص في كتبه على منع التقليد فكيف يكون المقلد متبعا له ؟!

طبع في هذه الأيام كتاب الأئمة له مع رسالته في الاصول وطبع على هامشه مختصر صاحبه اسماعيل بن يحيى المزني فلينظروا كيف بدأ المزني مختصره بقوله بعد البسملة « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ومن معني قوله لأقر به على من أراده مع إعلامه نبيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحاط في نفسه وبالله التوفيق »

فالأئمة رضي الله عنهم ما تصدوا لبيان الكتاب والسنة الا ليعينوا الناس على فهمها ولم يقصدوا أن يكون كلامهم شرعا يعمل به ويترك الكتاب والسنة استغناء به عنها فهم معلومون للكتاب والسنة لا شارعون فينبغي أن نستعين بكلامهم على الفهم ونفعل بما فهمنا

ذكر الشيخ عثمان في الفصل الثالث أن الأئمة أهل الاجتهاد المطلق مبدون للكتاب والسنة والعلماء أهل الاجتهاد في مذاهب الأئمة مبدون لكلام الأئمة

كالغزالي وأهل الترجيح والفتوى كابن حجر مبنون لكلام أهل الاجتهاد في المذهب ، فهو يعرف بأن أصل الدين وأساسه كتاب الله وأن السنة مبنية لما أجعل فيه وإن الأئمة مبنون للسنة الخ ويرى هو وأمثاله أن الواجب على جميع المسلمين الآن اتباع أصحاب الطبقة الأخيرة من الميئين كابن حجر فلنا مع هؤلاء أسئلة :
(١) أن علماء الأصول قالوا أن الوجوب هو حكم الله المقتضي للفعل اقتضاء جازما فمن أين أخذتم هذا الحكم الإلهي باتباع طبقة ابن حجر وهذه الطبقة لم توجد إلا بعد اقتراض الأئمة الذين فهموا الكتاب والسنة والطبقة التي فهمت كلامهم ؟

(٢) أن بعض العلماء جعلوا الطبقات ستة والأخيرة التي يعتمد عليها هي طبقة الناقلين الذين لا يفتد بهمهم ولا يبعثهم كما بينه ابن عابدين في رسم المقي فاذا أراد بعض العقلاء المستقلين من الأفرنج أن يدخل في دينكم فكيف قنعونه بوجوب اتباع الطبقة الثالثة أو السادسة مع اقراركم بأنها لا تقيم أصل الدين وإنما تقيم عبارات طبقة فوقها أو تنقلها وتلك الطبقة لا تقيم أيضا بنفسها أصل الدين الخ ؟

(٣) اذا سلمنا لكم ما تقولون في هذه الدرجات من البيان وانكم أهل لان توجبوا على الامة حكما شرعيا لم يوجهه الله ولا رسوله ولا الصحابة والأئمة الذين فهموا كلامهما وهو ايجاب اتباع هذه الطبقة من مقلدي المقلدين فيما سميتموه بيانا لبيان بيان أصل الدين أفلا يجب أن يكون بين هذه الطبقات من البيان وبين الأصل المين اتصال يعلم منه أنه بيان له ويزداد الأصل اتصاحا وجلاء ؟ أليس بهذا الاتصال يعقل أن يكون كلامهم بيانا ولا يمكن أن يعقل ذلك بدون ؟

(٤) هل يعقل أن يحتاج كلام الله الذي سماه بيانا وتبيانا مع زيادة بيان الرسول (ص) له بأفعاله وأقواله الى كل هذه الطبقات من الميئين ؟ ألا ينافي هذا الاحتياج كونه بيانا وتبيانا وكون الدين قد كل قبل وفاة رسول الله (ص)

(٥) اذا وأينا في كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة الثابتة عندنا حكما فهمناه وعقلناه وأينا في كلام مثل ابن حجر ما يخالفه فهل يفرض الله علينا أن نترك كلامه وسنة رسوله الى كلام مثل ابن حجر لانه مبن لكلام مثل السبكي المين لكلام مثل الشافعي المين للكتاب والسنة ؟ فنترك الأصل الصريح الواضح الى كلام يخالفه

بناء على انه مبين له في الدرجة الرابعة من البيان ؟؟ هل يقول عاقل أو مجنون ان بيان الشيء يكون بخلافه وقيضه . لو كان هذا السؤال مبنيًا على شيء مفروض لصح أن يكون ناقضا لقاعدتهم فكيف وهو مبني على اساس ثابت وهو أن في كلام الفقهاء كثيرا من المسائل المتخالفة لنصوص الدين لا سيما الاحاديث الصحيحة اخذوها من قواعدهم او من ترجيح حديث ضعيف على صحيح أو العمل به ابتداء فاختاروا وما كانوا معصومين . وقد اورد ابن القيم في (اعلام الموقعين) اكثر من سبعين شاهدا على ذلك قتراجع فيه او في المجلد السادس من المنار . ومن هذه المخالفات ما هو للشافعية — وهو أقلها — ومنها ما هو لغيرهم

وليس هذا بالامر بالغريب فان الائمة انفسهم كانوا يقولون القول ثم يظهر لهم خطؤه فيرجعون عنه كما رجع الشافعي عن مذهبه القديم الى مذهبه الجديد وكما رجع علماء مذهبه الى بعض المسائل من مذهبه القديم فأقتوا بها ترجيحها لما على الجديد لظهور دلائل توثيقها وكما رجحوا بعض مسائل مخالفة للمذهب مطلقا بقول النووي في شرح صحيح مسلم ان الراجح من حيث الدليل ان نجاسة الخنزير كثيرها من النجاسات في الغسل وكفتوى الغزالي بعدم تنجس الماء القليل لا بتغير احدا واصله من النجاسة وكما صرح الامام مالك عند موته بأنه كان يرى الرأي في المسألة ثم يظهر له خطؤه فيه فيرجع عنه وبكى لاجل ذلك حين بلغه أن الناس اخذوا بقوله وقلده فيه وكما رجع بعض الصحابة عن خطأهم وهم اعظم من هؤلاء الائمة وأعلم كرجوع عمر (رض) في مسألة المهور الى قول المرأة التي ردت عليه وهو يخطب في المسجد . فكل أحد من العلماء عرضة للخطأ فيما يقوله لأنه غير معصوم فيه إما لنسيان الدليل كما نسي عمر قوله تعالى (وآتيتهم احداهن قنطارا) فلا تأخذوا منه شيئا (فأراد أن يحدد المهر بمثل مهور بنات النبي (ص) واما لعدم علمه به لأنه لم يكن كل صحابي حافظا لكل القرآن ، وإما لعدم فهمه له كما اخطأ بعض الصحابة في فهم المراد من الخيط الأبيض والخيط الأسود في فهم كيفية تيمم الجنب ، وغيرهم أولى بمثل هذا الخطأ في الفهم

فاذا كان كل أحد من علماء الامة عرضة للخطأ فيما يقوله لما ذكرنا وما لم نذكر من الاسباب والشواهد فلا جرم ان كل من يأخذ بقوله من غير ان يعرف اصله من

الكتاب والسنة هو عرضة لهذا الخطأ ولهذا قال ابو حنيفة وغيره لا يجوز لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من ابن قلناه .

ونتيجة هذا كله أن كلام الأئمة يستعان به على فهم الكتاب والسنة ولا يترك الكتاب والسنة له بل يجعل فهمها هو المقصود بالذات والعمدة في الاهتداء ولا تترك الامة تعلمها والفتى فيها قط ولا تهمل كلام أئمة العلماء والاتفاق بما فتح الله عليهم من الفهم فيها مع البصيرة التي هي شأن المؤمنين

فنطلب من هؤلاء المعارضين لنا في الدعوة الى الاهتداء بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم التي جرى عليها سلف الامة ان يحييونا عن هذه الاستلثة .

أما طمن السيد عثمان بن عقيل في شيخ الاسلام ابن تيمية لأن مثل ابن حجر الهيتمي طمن فيه فنقول فيه كلمات تكفي لرجوعه عنه وتوبته ان كان قال ذلك عن سوء فهم لآعن سوء قصد كما نظن فيه ترجيحاً للخبر على الشر وهي :

(١) إذا كنتم تقبلون طمن العلماء بعضهم في بعض مطلقاً وتضلون كل من طمن فيه فإنه لا يسلم لكم أحد من أئمتكم لا في الفقه كالتشافعي ولا في الحديث كالبخاري ولا في الكلام كالأشعري ولا في التصوف كالشاذلي وابن عربي ولا من المتفنيين كالغزالي كاهوميين في كتب التاريخ والتراجم وقوله معتمدكم الشراني في أول كتاب البواقيت والجواهر وغيره من كتبه وذكر التاج السبكي طائفة منه في طبقاته ومنها انهم طمنوا في والده التقي السبكي الذي هو عمدتكم في نخطه ابن تيمية (٢) إذا كنتم تسلمون معنا بأنه لا يجوز أن يضل كل من طمنوا فيه ولا ان يتبع كل طاعن في طعنه فإما ان تسكتوا عن الطمن في العلماء ولا تخوضوا فيه وهو الاسلام لأمثالكم وإما أن تبحثوا عن سبب الطمن وتحكموا فيه الدليل وأتم لا تدعون أهلية الحكم بين مثل ابن تيمية والتقي السبكي

(٣) إذا كنتم ترون أنفسكم أهلاً لهذه المحاكاة فلا يكون حكمكم عادلاً كما أمر الله من يحكم بين الناس ان يحكم بالدل الا اذا اطلعتم على ما كتبه ابن تيمية في

المسائل التي أنكرها عليه السبكي وغيره من المعاصرين له (دع مانسبه اليه من بعدم زورا وبهتاناً) ورأينم أدلته ثم اطلعم على كلام خصمه وأدلته . واما الحكم على شخص بمجرد سماع كلام خصمه فهو ظلم ين كما هو بيدي

(٤) ان ما عزاه ابن حجر الهيثمي الى ابن تيمية من القول بان الرب تعالى محل للحوادث وان القرآن محدث وان العالم قديم بالنوع ومن القول بالجسمية والجهة وبان الرسول (ص) لا جاء له — كل ذلك مكذوب على ابن تيمية وكتبه الكثيرة مصرخة بخلاف ذلك ولم نر في كتب أحد من علماء الاسلام مثل ما رأينا في كتبه من الدلائل والبراهين على نفي هذه الاباطيل وتفنيدها . فاما ان يكون ابن حجر قد سمع تلك المطاعن من بعض الكاذبين فصدقها — وهو المرجح عندنا — وإما ان يكون هو الذي اقتجر ذلك عليه وهو ما لا نظنه في مثله ، واما ان يكون ذلك مدسوسا على ابن حجر وقد دس المفسدون كثيرا في الكتب كما يتن ذلك معتمدكم الشرافي . ومما كان سبب تلك المطاعن فهي لا قيمة لها مع استفاضة كتب الرجل بخلافها وقد طبع الكثير منها والله الحمد — ومنه رسالة التوسل والوسيلة التي قلنا منها نبذة في تفسير الجزء الماضي فيها إثبات الجاهلني (ص) ونقل في هذا الجزء نموذجا آخر منها — فليكم ان تظلموا على هذه الكتب ان كنتم للاحق تطلبون

(٥) ان كلام مثل ابن حجر في ابن تيمية معاوض بكلام من هو أعلم منه بالرجال وبما قيل فيهم كسميته الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو شيخ شيوخه وأعلمهم بالرجال فانظروا ما إذا قال في ابن تيمية في كتابه طبقات الحفاظ وغيره من كتبه . ويمثل قوله فيه وثنائه عليه واعترافه له بمشيخة الاسلام قال واثني واعترف أكبر الحفاظ في عصره وبعد عصره وشهدوا له بالاجتهاد المطلق

(٦) ان كتب ابن تيمية أكبر شهادة من كل أولئك العلماء على كون الرجل وصل إلى رتبة الاجتهاد المطلق وقصارى ابن حجر انه في رتبة المرجحين في فقه الشافعية

فاين الثريا وأين الثرى واين معاوية من علي هذا مانسبه اليه السيد عثمان صاحب رسالة فصل الخطاب التي أرسلت الينا حديثا

وقول اننا نمحسن الظن فيه وان جاءنا فيه مطاعن كثيرة من علماء بلاده قالوا فيها انه عون الظالمين ونصير المستبدین واتابما يغلب علينا من حسن الظن فيه نرى اذا تدبر كلامنا هذا رضيه واذعن له ان وآه حقا كما نرى ونعتقد وان رأى فيه شيئا باطلا بينه لنا بالدليل عملا بوجوب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفرق بيننا وبين المنكرين علينا اننا لا نقول شيئا بغير دليل واننا نصرح على رموس الاشهاد بأننا نرجع الى الحق اذا ظهر لنا دليله . وانهم يقولون بغير دليل واذا قامت عليهم الحجة أعرضوا وادبروا ، وولوا واستكبروا ، الا من كان منهم مخلصا في إنكاره فانه يرجع الى الحق اذا ظهر وكان الله للأوابين غفورا

ثم قول لصاحب السؤال ولأمثاله الذين يكلفونا المرة بعد المرة الرد على الطاعنين في شيخ الاسلام ابن تيمية بالتفصيل عليكم بالكتاب الجديد الذي استعصي ذلك وطبع في هذا العام المسمى (غاية الأمان في الرد على النباهي) وهو مجلدان كبيران لاحد علماء العراق الأعلام

هذا - وأما ترجمة القرآن فلنا فيها فتوى طويلة نشرت في المجلد الحادي عشر قراجع فيه (ص ٢٦٨) فلنا نفي عن قراءتنا للرسالة التي كتبها الشيخ عثمان وبيان خطاياها من صوابها

﴿ تفیه للمستفتین ﴾

ان من أسباب اغفال بعض الاسئلة أو تأخيرها زمنا طويلا لايجاب عنها وضع السائل رايها في ضمن خطاب يتكلم فيه عن أمور أخرى كالاشتراك في المنار أو طلب بعض الكتب . فأمثال هذه الخطابات نحفظ في أوراق حسابات المنار أو حساب المكتبة ولا نجد في الغالب وقتا لنسخ السؤال منها . واما الاسئلة التي تكتب في ورقة مستقلة فانها نحفظ في ظرف وحدها ثم تعطى للطبعة عند ارادة الجواب عنها فلا تكلفنا ان ننسخها . فلي المستفتين ان يكتبوا أسئلتهم في ورقة على حدة إذا أحبوا ان لا تغفل ولا تؤخر كثيرا

نموذج

﴿ من كتاب التوسل والوسيلة ﴾

لشيخ الاسلام ابن تيمية الذي طبع في هذه الايام قال بعد بحث وتحقيق ما نصه:

اذا عرف هذا فقد تبين ان لفظ الوسيلة والتوسل فيه اجمال واشتباه يجب ان تُعرف معانيه ويعطى كل ذي حق حقه فيعرف ماورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه وما كان يتكلم به الصحابة يفعلونه ومعنى ذلك ويعرف ماأحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه فان كثير من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ماوقع من الاجمال والاشتراك في الالفاظ ومعانيها حتى تجدوا كثرة لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب، فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وفي قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يمكنون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) فالوسيلة التي أمر الله ان تبتغى اليه واخبر عن ملائكته وانبيائه أنهم يبتغونها اليه هي مايتقرب به اليه من الواجبات والمستحبات فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تناول كل واجب ومستحب وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرما أو مكروها أو مباحا فالواجب والمستحب هو ماشرعه الرسول فأمر به

أمر انجاب أو استحباب ، وأصل ذلك الايمان بما جاء به الرسول فجاء الوسيلة التي أمر الله الخلق باتباعها هو التوسل اليه باتباع ما جاء به الرسول لا وسيلة لا أحد الى الله الا ذلك

والثاني لفظ الوسيلة في الاحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم «سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة» وقوله «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محموداً الذي وعدته انك لا تخلف الميعاد حلت له الشفاعة» فهذه الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقد أمرنا ان نسأل الله له هذه الوسيلة واخبر انها لا تكون الا لعبد من عباد الله وهو يرجو أن يكون ذلك العبد وهذه الوسيلة أمرنا ان نسألها للرسول واخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لان الجزاء من جنس العمل فلما دعوا للنبي صلى الله عليه وسلم استحقوا أن يدعوا هو لهم فان الشفاعة نوع من الدعاء كما قل انه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرة

واما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته . والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الاقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الانبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح

وحينئذ فقط التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد به معنى

ثالث لم ترد به سنة * فاما المعنيان الاولان الصحيحان باتفاق العلماء فأحدهما هو أصل الايمان والاعلام وهو التوسل بالايمان به وبطاعته والثاني دعاؤه وشفاعته كما تقدم فهذا جائز ان باجماع المسلمين ومن هذا قول عمر بن الخطاب : اللهم انا كنا اذا أجبنا توسلنا اليك ببينا فقسقينا واننا توسل اليك بيم نبينا فاسقنا أي بدعائه وشفاعته * وقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) أي القرية اليه بطاعته وطاعة رسوله طاعته قال تعالى (من يعلم الرسول فقد اطاع الله) فهذا التوسل الاول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين

واما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر فانه توسل بدعائه لا بذاته ولهذا عدلوا عن التوسل به الى التوسل بعمه العباس ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس فلما عدلوا عن التوسل به الى التوسل بالعباس علم ان ما يفعل في حياته قد تعمز بموته بخلاف التوسل الذي هو الايمان به والطاعة له فانه مشروع دائما

فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان أحدها التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الايمان الا به والثاني التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ويكون يوم القيمة يتوسلون بشفاعته والثالث التوسل به بمعنى الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في شيء من الادعية المشهورة بينهم * وانما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك ان شاء الله تعالى وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لا يجوز ونهوا عنه حيث قالوا لا يسأل

بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك . قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة . وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة * قال بشر بن الوليد : حدثنا أبو يوسف قال قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول بمعاقد الزم من عرشك أو بحق خالقك . وهو قول أبي يوسف قال أبو يوسف بمعاقد الزم من عرشه هو الله فلا أكره هذا وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام . قال القدوري المسئلة بمخلوقه لا تجوز لانه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وقافاً * وهذا الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه من أن الله لا يستل بمخلوق له معنيان أحدهما هو . وافق لسائر الأئمة الذين يمنعون أن يقسم أحد بالمخلوق فانه إذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق فلأن يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق أولى وأحرى . وهذا بخلاف أقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل إذا يمشى والنهار إذا تجلّى والشمس وضحاها والنازعات غرقاً والصفاء صفاء فان أقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته البرالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه أقسامه بخلاف المخلوق فان أقسامه بالمخلوقات شرك بخالقتها كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «من حلف بغير الله فقد اضرأ» وقد صححه الترمذي وغيره وفي لفظ «فقد كفر» وقد صححه الحاكم وقد ثبت عنه في الصحيحين انه قال «من كان حالفاً فليحلف بالله» وقال «لا تحلفوا بآبائكم فان الله بهاكم أن تحلفوا بآبائكم» وفي الصحيحين عنه انه قال «من حلف باللات والعزى فليقل لا إله الا الله» وقد اتفق المسلمون على انه من حلف بالمخلوقات

المحترمة أو بما يتقد هو حرته كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الانبياء والصالحين وإيمان السديق ومراديل القوة وغير ذلك لا ينمقده بينه ولا كفارة في الحلف بذلك والحلف بالخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد الفوليني في مذهب الشافعي وأحمد وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك . وقيل هي مكروهة كراهة تنزيه والأول أصح حتى قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليّ أن أحلف بنير الله صادقا . وذلك لأن الحلف بنير الله شرك والشرك أعظم من الكذب . وإنما نعرف النزاع في الحلف بالانبياء فمن أحمد في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتان أحدهما لا ينمقده اليمين به كقول الجمهور مالك وأبي حنيفة والشافعي والثانية ينمقده اليمين به واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضي وأتباعه . وابن المنذر وافق هؤلاء . وقصر أ كثر هؤلاء النزاع في ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وعدى ابن عقيل هذا الحكم إلى سائر الانبياء . وإيجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وإن كان نبيا قول ضيف في الناية بخالف للأصول والنصوص فالانقسام به على الله والسؤال به بمعنى الانقسام هو من هذا الجنس ،

(المنازع) ثم حقق المصنف مسألة سؤال الله بما ليس سببا للإجابة كسؤاله بخلقه وسؤاله بما هو سبب شرعي للإجابة كالإيمان والطاعة . وقد أودعنا بمض كلامه في تفسير الجزء الماضي (السابع) ثم قال من فتوى أفتاها بعصر مانعه :

فاما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته أو بغيره من الانبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن ابي سفيان ومن بحضرتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان لما اجدوا استسقوا ونوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس وكيزيد ابن الاسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا الى البديل كالعباس وكيزيد بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال: عمر اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بم نبينا فاسقنا. فجعلوا هذا بدلا عن ذلك لما تمذران يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن ان يأتوا الى قبره ويتوسلوا هناك ويقولوا في دعائهم بالجاء ونحو ذلك من الالفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به فيقولون نسألك أو نقسم عليك بنبيك أو بجاه نبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس

وروى بعض الجهال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: اذا سأأتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عظيم، وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث مع ان جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الانبياء والمرسلين وقد أخبرنا سبحانه عن موسى وعيسى عليهما السلام انهما وجيهان عند الله فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)

وقال تعالى (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيبا في الدنيا والآخرة ومن المقربين) فاذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد آدم صاحب المقام المحمود الذي ينطه به الاولون والآخرين، وصاحب الكوثر والخوض المورد الذي آنته عدد نجوم السماء وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل ومن شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبداً، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولوا العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويتقدم هو إليها، وهو صاحب اللواء آدم ومن دونه تحت لوائه، وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل، وهو امام الانبياء اذا اجتمعوا وخطيبهم اذا وفدوا ذو الجاه العظيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله

ولكن جاء المخلوق عند الخالق تعالى ليس كجاء المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه (إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدم عدا) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً * فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً)

والمخلوق يشفع عند المخلوق بمير اذنه فهو شريك له في حصول المطلوب والله تعالى لا شريك له كما قال سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من

شرك وما له منهم من ظهور * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له
وقد استفاضت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى
عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك ونهى عن اتخاذ قبره عيداً
وذلك لأن أول ما حدث الشرك في بني آدم كان في قوم نوح قال ابن
عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نوحاً أول رسول بعثه الله إلى
أهل الأرض وقد قال تعالى عن قومه أنهم قالوا (لَا تَدْعُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا
تَذَرُنَّ وُدَّآ وَلَا سِوَاكَ * وَلَا يَفُوتَ وَبَعُوقٌ وَفَسْرٌ أَقْدَامُ) كثيرًا قال
غير واحد من السلف هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا
على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم . وقد ذكر البخاري في صحيحه
هذا عن ابن عباس وذكر أن هذه الآلهة صارت إلى العرب وسمى قبائل
العرب الذين كانت فيهم هذه الأصنام

فلما علمت الصحابة رضوان الله عليهم أن النبي صلى الله عليه وسلم حسم مادة
الشرك بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد وأن كان المصلي يصلي لله عز وجل كما
نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس لئلا يشابه المصلين للشمس وأن كان المصلي
إنما يصلي لله تعالى وكان الذي يقصد الدعاء بالميت أو عند قبره أقرب إلى
الشرك من الذي لا يقصد إلا الصلاة لله عز وجل لم يكونوا يفعلون ذلك
وكذلك علم الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته
ومحبته وموالاته والتوسل بدعائه وشفاعته فلماذا لم يكونوا يتوسلون
بذاته مجردة عن هذا وهذا فلما لم يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئاً

من ذلك ولا دعوا بخل هذه الادعية وهم اعلم منا^(١) واعلم بما يحب الله
ورسوله واعلم بما امر الله به رسوله من الادعية وما هو اقرب الى الاجابة
منا بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي صلى الله عليه وسلم - دل
عدولهم^(٢) عن التوسل بالافضل الى التوسل بالمفضول ان التوسل المشروع
بالافضل لم يكن ممكنا الخ

باب المناظرة والمراسلة

❖ الدكتور شبلي افندي شميل ❖

اطلعت في مجلة الهلال شهر حزيران سنة ١٩٠٩ على مقالة للدكتور المومنا الى
بحث بها بحثا فلسفيا يخال للعظام من أول وهلة ان الدكتور قصد به محاربة الاديان
السموية على الاطلاق بما توخاه من نفي الخلق واثبات النشوء وقد عجت بعد
اطالته لتأييد هذا المذهب الجديد من قوله : « لاهياء في الدين » وهذا مما يدل ان
للدكتور ديناً فما هو دينه يا ترى ؟

سعى اخوان الدكتور المومنا الى لاختد توقيع بعض الناس لانتخابه عضوا في
مجلس الاعيان العثماني بصفة انه عالم مسيحي والمالية والمسيحية صفتان مرتبطتان
بنواميس وقواعد توجب السلامة لكل بني البشر باعتبار ان للمسلم اصولا تقضي
بإحقاق الحق كما ان الدين قانون لمكارم الاخلاق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
وكنت أستغرب عدم تعيين المومنا الى بعد ذلك الانتخاب ولعل الذين رفضوا

(١) يحتمل ان يكون ههنا شيء محذوف وهو ما يأتي نظيره في لاحق الكلام
ويحتمل ان يكون المراد انهم أوسع علما منا على الاطلاق ثم عذف ابقير على المطابق
(٢) هذا جواب قوله فلما علمت الصحابة الخ

قبول نعيته عضوا في المجلس الآف الذكر عرفوا ان الدكتور على مذهب دارون وانه ليس بمذهب معقول ولا مشروع ولا له اتباع في البلاد العثمانية ليكون نائبا عنهم لان اصحاب الاديان المعروفة هم المسلمون والنصارى واليهود .

كنت أقف مبهورا كلما نظرت إلى مصوّر الانسان «أطلس رسوم هياكله على اختلاف أشكالها» وما احتوت عليه من تراكيب الكلية والجزيئة الظاهرة والخفية التي لا تدون ولن تدون لأنطواء كل شيء في العالم الكبير العظيم ضمن هذا الجرم الصغير وكنت أكرر تعجيد قدرة الخالق سبحانه كلما تأملت في الأوعية والأوردة والأدوات والمصانع وأسبجه وأقدسه لأعطائه كل شيء خلقه وهدايته إلى استعمال وظيفته واشدد قول الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في توجيه الخطاب إلى الانسان

وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأقول في نفسي ان الأطباء يلزم ان يكونوا أكثر الناس اعتقادا بتوحيد الخالق سبحانه لوقوفهم على حقائق ودقائق ولطائف في تركيب الانسان لا يعرفها غيرهم كما انه لا زلنا نسمع عن أساطين الأطباء انهم كلما اكتشفوا شيئا جديدا يقولون ان الطب لم يزل طفلا « وما أوتيت من العلم إلا قليلا »

وبالنظر الى الدقائق واللطائف والرقائق المنطوية في العالم الانساني قال بعض علماء الصوفية « من عرف نفسه فقد عرف ربه »

واذا قلنا - وهو الواقع - ان الأطباء أكثر الناس علما بنظام العالم الانساني فهل يسلّم العقل انهم ينسبون الى الطبيعة الجامدة غير المتصفة بالعلم والقدرة والارادة انها أوجدت هذا الانسان العاقل بالنشوء « سبحانه هذا بهتان عظيم »

الكون موجب للحيرة أو هو بمعانيه محل الحيرة ولذلك قال بعض شيوخ علماء التصوف « المعجز عن درك الادراك إدراك »

واذا كانت علوم مدينة اور بابواث قف تأدبا عن ابرادها قد احتوت على الاحاد فقد احتوت ايضا على علوم ذات فوائد عظيمة اجتماعية واخلاقية واقتصادية

وسياسية الى غير ذلك والشرق بحاجة اليها وخصوصا بدورنا الدستوري ذلك الدور السعيد الذي يقضي بتوحيد مشارب عناصر الوطن وتماشكهم لكي يسمدوا بالوطن ويسعد بهم وذلك يستلزم ان ينقل الى الوطن من علوم مدينة اوربا ما يعود عليه وعلى ابناءه باخبر واسبى المطالب وخصوصا بلجهة البحث عن احوال بلاد النمسا والمجر المشابهة من حيث تعدد العناصر للبلاد العثمانية و بيان البواغث التي قضت بوحدة تلك العناصر واتفاقها وقيامها شعبا واحدا يروئيد مصلحة الوطن ويعزز قوته

ألم يكن البحث بمثل ذلك خيرا واعم ففما من تأييد مذهب دارون ذلك المذهب الذي قضاه نخبات افتراضية صورها الوهم وقربها الاعتقاد بها وهي لا يمكن ان تحل في محل دين من الاديان مطلقا . نعم ان من يميل اليها يكون حجر عثرة في سبيل العفاف والاإنسانية والعدالة تأخذ بيد من مال معها الى الاهواء وتجرسه على فك ارتباطه من قيود الدين الادبية فتسوء عاقبته ويحمل صاحب هذه البدعة مثل وزر ذلك المسكين الذي مرق من الدين بالاغواء وزخرف القول الموه

ومن المؤكد ان الاعتقادات الفاسدة التي تناقض الدين فضلا عن انها تبعد الانسان عن خالقه فهي توجب شرورا تؤخر الوطن بأدياته ومادياته فترجو من أفاضل الشرقيين الذين وهبوا العلم أو تحصّلوا عليه بجدهم ان يتحفظوا الشرق بغرر فوائد أوربا وحسناتها ويدعونا من إلحاد الملحدين لأن الحسن في نفسه حسن وبوجب حسن الاحدثة والسيء في نفسه سيء ويوجب سوء العاقبة اجارنا الله من ذلك وان يهينا الصدق في القول والاخلاص في العمل

بيروت عبد القادر قباني

(المنار) صاحب هذه الرسالة يعرفه كثير من قراء المنار ومنهم من لا يعرفه . هو شيخ رجال الصحافة وكبيرهم عبد القادر افندي القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون التي عاشت أكثر من ثلث قرن وأوقفت في العام الماضي وكانت مديراً للمعارف ببيروت الى ذلك العام . وقد جرى في دفاعه عن الدين في رسالته هذه على ما تعود فجزاه الله عن نفسه ودينه خيرا ،

ولكنه جاء بشيء من المبالغة في الكلام عن مذهب دارون ومخالفته للدين

وافضائه الى الشرور حتى جوز ان يكون هو الذي منع جعل الدكتور شميل عضوا في مجلس الاعيان كما طلب الكثيرون من السوريين : . وعجيب من مثل القباني ان يخطر هذا في باله ! وهل يظن انه لا يوجد في رجال المجلس العمومي من المعوثين والاعيان من يقول بصحة رأي دارون في تباين الأنواع ؟ وهل كان الكاتب نفسه يمنع كتب دارون وكتب من على رأيه من المدارس وغير المدارس لو بقي مديرا للمعارف بعد الدستور أو صار ناظرا للمعارف العمومية ؟

أؤكد لصديقي الكاتب ان مذهب دارون لا يقض — ان صحح وصار يقيناً — قاعدة من قواعد الاسلام ، ولا يناقض آية من آيات القرآن ، وأعرف من الاطباء وغيرهم من يقولون بمثل قول دارون وهم مؤمنون بإيمان صحيحا ومسلمون إسلاما صادقا يحافظون على صلواتهم وسائر فرائضهم ويتركون الفواحش والاثم والبنى التي حرم الله تعالى عملا بدينهم . على ان هذا المذهب علمي ليس من موضوع الدين في شيء .

ثم انني أعلم ان الدكتور شميل لم يكتب ما كتب ردا على صاحب مجلة الهلال الا إنكارا لبعض ما قاله في الاستدلال على صحة الدين من طريق العلم ولم يقصد بذلك التعرض لإبطال الدين نفسه ، أعني ان بحثه كان في الدليل لا في المدلول . وهو وان كان غير متدين لا يستجيز الكتابة في إبطال الدين والتغيير عنه بل انكر قولاً وكتابة على جماعة من ايطاليا انشأوا مدرسة في الاسكندرية ظهروا فيها بمقاومة الدين . ولو كانت كتابته للهلال في الاعتراض على الدين لكننا ممن عني بالرد عليه لا فرق بين الدكتور شميل وبين الكثيرين من اهل بلادنا الذين يرون رأيه في الدين وأكثرهم من النصارى المتعلمين (أي من النصارى جنسية لا اعتقادا) الا أنه هو يصرح برأيه لأن ظاهره وباطنه سواء لا اتفاق عنده ولا جبن ولا مصانعة . والذين يجلون علمه واختباره لم يسعوا الى جعله عضوا في مجلس الاعيان للدفاع عن مذهب دارون فانهم يعلمون ان مجلس الاعيان لا يرض عليه هذا المذهب ليدي رأيه فيه وانما أحبوا ان يكون في ذلك المجلس عضو عربي سوري هو من أوسع العثمانيين

٦٣٦ سبب الكفر في علماء الكون . الاسلام والعلم والمسلمون (المار ج ٨ م ١٢)

علماء واختباراً ، وأشدهم حرية واستقلالاً ، وحرصاً على عمران البلاد ، وارتقاء أهلها في العلوم والآداب ،

اما قول الكتاب الغيور ان الأطباء يلزم ان يكونوا أكثر الناس اعتقاداً بتوحيد الخالق فهو صحيح وهو يعني انهم جذبرون بأن يكونوا اشد اعتقاداً واقتوى توحيداً وما ارى الا ان المؤمنين منهم بالله تعالى موحدون لا شرك في ايمانهم ولا وثنية كما في ايمان أكثر الناس (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) وليس للكتاب أن يعجب من حرمان بعضهم من الايمان وهو قد صرح بأن الكون موجب للحيرة أو هو بمجانبته محل الحيرة . والكلمة التي عزاهما في هذا المقام لبعض شيوخ الصوفية يوزنها الى الصديق الأكبر وهل يظن ان احداً من علماء الكون - الطب وغيره - الكافرين موقن في كفره ؟ كلا ان هم لإحارون ولكن الحائرين فريقان فريق نشأ على دين وتربى عليه فظل لا بسا له ، وفريق نشأ وتربى في مهد الحرية والاستقلال كلافرنج ومن تلا تلوهم فهم في حيرتهم هذه لا يلبسون لباس الدين

اما سبب فشو الكفر في هؤلاء الناس فهو أنهم يتعلمون العلوم الكونية باحسن الاساليب واقرب الطرق الى الازدهار ولا يتعلمون معها ديناً يتفق معها وبرون فيما عليه اهل الاديان كلها أباطيل يقضها العلم نقضاً ويهدمها هدماً . ولا يوجد الآن في الارض دين يتفق مع العلم الا دين الاسلام الذي هو دين القرآن لا دين جماهير المسلمين الذين يتلمسون اغلبيات والحسنات ، ويدفعون الشرور والسيئات ، بالاستغاثة بالالوف من الاموات ، والعلواف بقبورهم والتسبح بما ينسب اليهم من قبر حجري او خشبي ، وقصص من نحاس او حديد ، وباب من الخشب ، وعود من الرخام ، وشجرة من الاشجار ، وحجر من الاحجار ، وبئر من الآبار ، وجلد من الثعالب ، وخرقة من القماش ، - الذين يضيق دينهم عن قلنسوة أو كفة تلبس للوقاية من الشمس ، فما بالك بما لا يحصى من مكتشفات العلم وتأنج العقل !

فلم ايها الكتاب الغيور تتعاون على جهاد البدع والخرافات ، والتقاليد والمعادن ، التي الصقت بهذا الدين فجعلته كغيره أو أشوه من غيره في نظر العالمين ، ونجاهد أنصار هذه الضلالات من ارباب المأثم ، الذين هم اضر على الدين من مذهب

دارون ، لعله يتيسر لنا اقاذا الاسلام من هؤلاء الجاهلين واخرجه من جحر الضب الذي وضعوه فيه ، ونين لاهل العلوم والعرفان انه بريء من هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكونوا شيئا ، واتخذوه هزوا ولما ، وانه هو الحنيفية السمحة وهم المائلون المضيقون ، وانه فطرة الله التي فطر الناس عليها هم عن الفطرة تاكون ، وانه موافق لمصالح البشر في كل زمان ومكان وهم لا يوافقون ، فاذا نجحنا في هذا فانا الضامن لك على الاطباء والكياويين ، والطبيين والفلكيين ، والاجتماعيين والاشتراكيين ، والقانونيين والسياسيين ، أن يفضاوه على جميع الاديان ، ويرجعوا جعله دين المدنية في هذا الزمان أرايتك هذا الدكتور شميل الذي ترد عليه ، انه يقول في كل نادوسامره ، وعلى مسمع من المؤمنين والكافر ، انه لا يوجد دين اجتماعي إلا دين القرآن ، فهو بهذا القول يدعو إلى نصف الاسلام وهو النصف الديني منه ولكن يوجد فينا كثير من أصحاب العلم ينفر عنه بقسميه الديني والأخروي !!

واما ما أشار اليه الكاتب النور من حث امثال الدكتور شميل على وضع الوثائق في الفنون والعلوم المصرية النافعة للامة في هذا العصر فهو أفضل ما ينبغي الحظ عليه والرغيب فيه لتكون لغة البلاد غنية بعلومها ، وسيكون هذا على قدر عناية الأمة والحكومة بالعلم والله الموفق وبه المستعان

﴿ المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت ﴾

(مقدمة رسالة) قد كان من ميثاق الحكومة الاستبدادية لاسما الحيدية منها ان يذل المسلمون لكل خسف ينالهم حتى العتب بدينهم لأن السلطان عبد الحيد كان قد منع المسلمين من جميع أنواع الاجتماع ومن الحديث والكتابة فيما يتعلق بالأمور العامة ومن تقديم الشكاوى للحكومة في المظالم العمومية دينية كانت أو دنيوية فلم يكن للأمة ان تقدم محضرا وانما كانت الشكاوى خاصة بالافراد . ولما سقطت سلطته لاسقى الله عهدا - كان مما شكاه التلاميذ المسلمون في المدرسة الكلية الامريكانية بيروت وشابهم عليه الرأي العام إلزام المدرسة إياهم بتعلم الديانة النصرانية وحضور عبادتها في الكنيسة كما علم مما نشرناه في العام الماضي . وقد انتهى

الامر الآن بما يعلم ويعلم مقدار السخط منه من الكتاب الآتي :
 سيدي وجل الاسلام والمسلمين السيد رشيد افندي رضا حفظه الله
 عرقم بالتفصيل ما صار اليه امر الاعتصاب الاسلامي في الكلية وكيف ان
 العمدة تلافى الخطر المحقق بها باعنائها التلامذة من حضور الكنيسة موقتا والآن
 وقد أوشكت السنة المدرسية ان تنتهي لم نسمع إلا والرئيس يستقدم التلامذة من
 مسلمين ويهود لفرقة طالبا منهم التوقيع على صك تعهدا منهم بالقيام بالواجبات
 الدينية في السنة المقبلة من دخول كنيسة ودرس تورااة وانجيل حسب الشروح
 والتعليق البروتستانتية التي ينفر منها المسلم ويشك في صحتها كل من له مسكة
 من العقل واذا آنس من أحدهم رفضا أو ترددا يقبه بصدمة قبوله في السنة الثانية
 حتى ولو لم يبق له إلا سنة أو سنتان لنيل الشهادة وقد وقع هذا فعلا مع أحد
 العثمانيين الاسرائيليين .

فيا ركن الاسلام المتبن أطلب منك ان تحمل بقلبك وعملك وقاويك الحملة
 الشواء على خطة الكلية وتظهر للملأ سوء نيتها وتصدد لم الأضرار الناتجة عن
 تساهل المسلمين في أمور دينهم حتى لا يبقى عنذر للآباء ولا حجة للابناء ، وإن الكلية
 فهي خوف من المسلمين ولا سيما إذا وجد من يحركهم تحريكا لا تعمله القوة الكهر بائية
 ليفسد ما بنوه من الاوهام منذ اثنتين وأربعين سنة

عرفتك فيما مضى تحض المسلمين على إيجاد مدونة للاستعاضة عن الكلية قبل
 مناقشتها الحساب أو قبل الرغبة بها بإصلاح نظاماتها فنعم الرأي وأيك والنصيحة
 نصيحتك وقد عرف كل مسلم مالک من التقدم الراسخة وبعد النظر في الامور العقلية
 والعقلية ولكن باسيدي ما عسانا فعل وقد دفع المسلمون الى الاعتصاب بتأثير من القوى
 الطبيعية وقوانينها التي سنها الله واهم تلك القواعد هي أن كثرة الضغط تستوجب الانفجار
 فيامن اتخذك الكبير اخا والصغير اباً متى يد المساعدة الى مسلمي الكلية وحرض
 المصريين بمجرائهم اليومية ومجلاهم للاعتراض على الكلية فقد عرفنا أن
 ليس للمدرسة من حجة تستند عليها ولقد أقرّ كاتب العمدة امامي بان المدرسة عثمانية
 تتبع كل أمر مصدوره الاستانة ، وذكرم ان ما علينا الا أن نصب الشكوى من جميع

الجهات واعلم أن كل ما فعله الكلية لتأييد مركزها هو من باب السياسة وليس له
غل من الحقيقة واعلم أن ليس كل كلام يصدر عن كاتب له تأثير ككلامك
فكأنني بالاسد الآن وقد ثار من مرصنه مدافعا عن الاشبال خيفة ان يصيبهم
اذى من الاغرار ليظهر ان للاسلام صوى «ومنا» يستضاء بنوره اذا اشتد حالك
الظلام فلا زلت للاسلام عضدا والمسلمين مرشدا

مقر بفضلك

عبد القادر القندور

بيروت

(المارح) هذا الذي عمله المدرسة الآن هو الذي كنا نحسبه فان هؤلاء الافرنج
أشد خلق الله تعصبا للدين وهم الذين نفخوا روح التعصب الذميمة في الشرق كما
يتنا ذلك مرارا ولكنهم هم ومن ربه على تعصبهم يشعرون في بلادنا أن الشرق
هو مهد التعصب « رمتي بدائها وانسلت » حتى راج تزييفهم هذا على الجمهور وزنا.
ولا يبعد ان يعدوا كراهتنا كراههم إيانا على دينهم تعصبا منا وتساهلا منهم !!!
لأنهم علموا ان الحكومة العثمانية الآن تمنعهم من اكرام غير النصراني على التعامل
والأعمال النصرانية ولا يمكنهم أن يعيشوا بها كما كانوا يعيشون في زمن عبد الحميد
فلجأوا الى هذه الحيلة التي ليس أمامهم سواها ولا يرجعون عنها بحملة الجرائد عليهم
لأن بث دينهم هو الغرض الأول لهم من مدارسهم لاسيا في الشرق فلا يثنيهم عنه
شيء الا ان يكون قوة الحكومة والحكومة لا تمنع الا الاكرام

فالرأي إمارك للتلاميذ المسلمين لهذه المدرسة ان كانوا يستغنون عنها بغيرها، وإما البقاء
فيها مع تلاقي ضرر والتعاليم المخالفة لدينهم وجعل ذلك ذريعة الى منافع أخرى دينية ودنيوية
أما الاستغناء عن المدرسة بمثلها أو خير منها فلا سبيل اليه اذ لا يوجد في بلادنا
مثلا في تعليمها وزيتها وأما الثاني فهو ميسور والذي ننبه اليه منه أمور (١) مطالعة
الكتب الاسلامية التي تبين حقيقة الاسلام ككتب الاستاذ الامام وأقواله في
التوحيد والتفسير والنسبة بين الاسلام والنصرانية وكتاب روح الاسلام للقاضي أمير
علي (٢) مطالعة الكتب التي تعارض كتبهم التعليمية الدينية ككتاب اضرار تعليم
التوراة والانجيل لأحد علماء الانكليز وهو يوجد بالعربية والانكليزية وغيره من
الكتب الانكليزية التي يمكن ان يرشدوا اليها سلم افندي التبر (٣) المواظبة على

الصلوات الخمس لا سيما مع الجماعة اذا امكن وغير ذلك من الاعمال الاسلامية كالصيام في هذه الايام (٤) ما أمر الله به من التواصي بالحق والتواصي بالصبر، ومنه التواصي باعداد النفوس لمساواة القوم الى مثل عملهم في الجمع بين العلم والدين وانشاء مثل هذه المدرسة في بيروت وغيرها من البلاد فان عملهم هذا بما يحمده قد بنا فيما كتبناه عن مسألة هذه المدرسة في اعوام الماضي ان المسلم لا يكون نصرانيا كما قال السيد جمال الدين وغيره من العارفين ، وقتنا هناك أيضا ان هذا الثمص من هؤلاء الافرنج لا سيما القائمين بأمر هذه المدرسة هو الذي يحجى الشعور الديني في فوس غير النصارى من التلاميذ في هذه المدرسة فعمل رجال المدرسة يأتي بنقيض ما يريدون منه ويصدق فيه على المسلمين قوله تعالى (٢: ٢١٦) وعسى ان تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

ان المسلم البصير بدينه لا يمنع من النظر في كتب أي دين من الاديان، ولا من سماعها ولكن علماء الاسلام متفقون على انه لا يجوز للمسلم ان يتلبس بعبادة أهل دين آخر ويعدون تلبسه بها الذي يكون به كأهلها لا يميزه الرأي عنهم من الردة فاذا ثبت عند القاضي ذلك في دعوى ارث مثلا فانه يحكم بأن من هذا شأنه لا يرث من أيه المسلم . وما أظن ان تعصب عمدة المدرسة يصل الى هذا الحد فان هم وصلوا اليه ورفع الامر الى الحكومة فانها تمنعهم منه بلا شك سواء تهددوا بالتليذ به أم لا ، نعم ما كل ما يحكم به في الظاهر يوافق الباطن ، وما كل ما يسميه النصارى صلاة دعاء) مزوع عندنا ولكن التشبه بهم فيها هو خاص بهم من أمر الدين ممنوع قطعا

﴿ غلط فاحش يجب اصلاحه بالقلم ﴾

في السطر ٢٣ من صفحة ٥٧٨ وفي السطرين ٣ و ٤ من صفحة ٥٧٩ من مجلد المنار الحادي عشر : ﴿ والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ أي فضل خاص لا يشاركهم فيه غيرهم وهو عناية بهم وتوفيقهم . وصوابه هكذا : ﴿ ان الله غفور حلیم ﴾ لا يسجل بتحيت المقاب ومن آياته مغفرته لم وحله بهم وتوفيقهم وفي السطر الاول من صفحة ٥٢٨ من الجزء الماضي : كلمة « السابع » وصوابها التاسع

يقول الحكيم من يشاهد من يؤت الحكمة قصارى
شيرا كثيرا وما يلهو سكر الا اولو الالباب

المجلد الثاني

١٣١٥

يقول عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر - الخميس ٣٠ رمضان ١٣٢٧ - ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٢٨٥ م ١٩٠٥ م)

ابو حامد الغزالي (*)

٦

﴿ رأيه في اثبات مذهب أهل الحق من المسلمين ﴾

« وفي مذهب الباطنية أهل التعاليم »

(وفيه رأيه في آياته النبوة وفي خروج المسلمين من الخلاف)

(تمجيد) كان الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين
دينا واحدا والمسلمون أمة واحدة لا فرق فيهم ولا مذاهب ثم حدثت المذاهب في
الاصول والفروع ووقع المسلمون فيما ناهى الله تعالى عنه من الاختلاف والتفرق
شيع متعددة كل شيعا تقتل مذهبها ولم يضر المسلمين في دينهم ودينام شيء
كهذا التفرق ولذلك لم يشدد القرآن في النهي عن شيء كما شدد في النهي عن
الخلاف والتفرق كما بينا ذلك في تفسير القرآن الحكيم وفي مواضع كثيرة من المنار
وكان شر المذاهب وأشأمها في هذه الأمة مذهب الباطنية الذين ذهبوا الى ان
للدين ظاهرا وباطنا وان الباطن منه هو الحق المراد لله تعالى وانه لا يمكن ان يعرف

(*) تالاه لنا نشر في (٦٠١) من المجلد الحادي عشر

٢٧٢ دين الباطنية ونسبته الى الشيعة والصوفية ومقلدة المذاهب (الماراج ٩ م ١٢)

من النظر في الكتاب والسنة بطرق النظر المعروفة في الاصول وقوانين اللغة التي للألفاظ والمعاني بل لا بد في كل عصر من إمام معصوم يؤخذ عنه الدين بالتسليم الأعمى حتى إذا قل إن الشمس والقمر في القرآن لا يراد بهما هذان الكوكبان المعروفان وإنما يراد بهما فلان وفلان وجب تصديقه فلا يمارض شيء من تعليمه بخلافه اللغة ولا العقل ولا النص ١١١

وان لهذا المذهب بل الدين الذي ظهر بمظهر المذهب درجات في الاعتقاد ودرجات في الدعوة ليس هذا المكان بمحل لياتها . والدرجة الاخيرة منها هي اعتقاد أن إمامهم هو الله الذي خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب (تعالى الله عما يقولون) وقد ظهروا في أطوار وتسوا بأسماء أشهرها في زمن الغزالي الاسماعيلية وكان رئيسهم يومئذ حسن بن الصباح الشيرازي . وآخر فرقهم المشهورة في زماننا هذا فرقة الباطية أو البهائية من الباطية

ما ظهرت بدعة ولا ضلالة قام بها أهل مذهب إلا ووصل الى غيرها من المذاهب شرها ، وسرى الى أهلها ضررها ، وكان أقرب الفرق الى الباطنية فرقة الشيعة لقولهم بمصصة الاثمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم الرضوان والسلام) بل كانت الباطنية في الزمن الماضي والحاضر من الشيعة كالبيديين بمصر والباطية في فارس ، وهم ليسوا في الحقيقة من الشيعة ولا من المسلمين والشيعة يقول بكفرهم كغيرها كذلك يشبهه مذهبهم بمذهب الصوفية الذين يقولون ان للقرآن ظاهراً وباطناً . وان للدين أسراراً لا يفهمها الا الخواص ، ولكن فرقا عظيماً بين الصوفية والباطنية فالغزالي الذي كان أشد العلماء على الباطنية حتى انه صنف الكتب في الرد عليهم كان صوفياً يقول ان للدين اسراراً كما سيأتي عنه في هذه الترجمة مع بيان الفصل فيه بين الصوفية والباطنية

بل ان مقلدة المذاهب الاربعة في الفقه والمذهبيين الاشعري والماتريدي في الكلام وهم من اتباع أئمة أهل السنة قد سرت اليهم دعوة الباطنية الاولى فصلاوا بها في الغالب . فجعلوا أنفسهم معصومين وان لم يسموهم معصومين فبدأ التقليد عند أكثرهم ان الواجب اتباع ما ثبت في المذهب من غير بحث ولا دليل وانه لا يجوز رد شيء من

المذهب لما يظهر انه يخالف له من آية قرآنية وستة نبوية ، بناء على ان امام المذهب وعلماءه اعلم بالكتاب والسنة فاقول ما يقولونه وهو الذين الواجب اتباعه على كل أحد! والفرق بينهم وبين الباطنية أن الباطنية قول بامام واحد يتبع في كل شيء من الاصول والفروع وهم يقولون بامامين في العقائدها الاشعري والماتريدي وأربعة في فروع الاعمال كل من خالفهم يكون ضالاً خارجاً عن هداية الاسلام إما إلى الكفر أو البدعة وإما إلى الفسق ، بل اوجبوا اتباع من لا يحصى عددهم من علماء هذه المذاهب وان لم يسموهم كلم أئمة فهو لاء مقلدة ستغافورة وجاوه بقدرسون أحمد بن حجر الهيتمي ويوجبون اتباعه ديناً في كل مادونه في كتبه وان خالف نص الشافعي الذي هو امامه دولكل قوم ابن حجر ،

اذا تم هذا فاعلم ان أبا حامد الغزالي قد أبطل في رده على الباطنية مذهبهم والتزعزعات التي سرت منه الى غيرهم من أهل المذاهب الاسلامية أو ما واقع منها وان لم يكن بالسريان ، وأبطل التقليد مطلقاً كما أبطله كتاب الله وسلف الامم حتى أئمة الفقه الاربعة ومن اخذ عنهم ، وأثبت انه ليس في البشر امام معصوم يجب اتباعه غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني منذ بعثته الى آخر الزمان

أحسن ما وصل اليانا من كتب أبي حامد في ابطال مذهب الباطنية ويسمى مذهب التعليم كتاب (القسطاس المستقيم) وهو يشرح فيه مناظرة دارت بينه وبين أحد دعاة الباطنية وسماه بهذا الاسم لأن الباطني لما سأله بماذا يزن معرفته بالرأي والقياس الذي جرى عليه المسلمون في الاستنباط من النصوص وهو مثار الخلاف بين الناس ، لما فيه من التعاض والالتباس ، أم يميزان التعليم باتباع الامام المعصوم؟ اجابه أبو حامد بأنه يزنهما بالقسطاس المستقيم كما أمر الله في كتابه . ثم استنبط له من القرآن خمسة موازين يعرف بها الحق من الباطل في كل علم . ثم بين له ان الشيطان له موازين تضلل الناس وهي طرق الوسواس والاوهام ومسارب خطأ الناس في الفهم والعلم ، ثم شرح له المقصد الذي أشرنا اليه فقال

« القول في الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وسلم ويطاء أمته عن امام معصوم آخر »
 « وبيان معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم بطريق أوضح من النظر في المعجزات »
 « وأوفق منه وهو طريق البارقين »

قال (أي الباطني) : قد أكلت الشفاء وكشفت الغطاء وأتيت باليد البيضاء لكن
 بنيت قصراً وهدمت مصراً فاني الى الآن كنت أتوقع ان أعلم منك الوزن بالميزان
 واستفتي بك وباقرآن عن الامام المعصوم فالآن اذ ذكرت هذه الدقائق في
 مداخل الفلظ قد أيست من الاستقلال به فاني لا آمن ان أغلط لو اشتقت
 بالوزن وقد عرفت الآن لم اختلف الناس في هذه المذاهب وذلك لانهم لم ينطقوا
 لهذه الدقائق كما فطنت فغلط بعضهم وأصاب بعضهم فاذا أقرب الطرق لي ان
 أعول على الامام المعصوم حتى أتخلص من هذه الدقائق

قلت : يأسكين معرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية فهي اما أن
 تكون تقليدا للوالدين أو موزونة بشي من هذه الموازين فان كل علم ليس أوليا
 فالضرورة يكون حاصلها عند صاحبه قيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو
 لا يشعر به فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الأصلين في ذهنك التجريبي
 والحسي وكذلك سائر الناس وهم لا يشعرون به ومن يعرف مثلا ان هذا الحيوان
 غير حامل لأنه بطل عرفة بانتظام الأصلين الذين ذكرناهما في صدر الكتاب وان
 كان لا يشعر بمصدر علمه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك
 فانت ان أخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم
 تقليدا للوالدين والرفقاء لم تتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا
 وان أخذته من الوزن بشي من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقائقه
 فيبغني على زعمك ان لا تتق به

قال : صدقت فأين الطريق فلقد سددت على طريق التعليم والوزن جميعا
 قلت : هيهات راجع القرآن فلقد علمك الطريق إذ قال تعالى « إن الذين اتقوا
 إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » ولم يقل سافروا الى
 الامام المعصوم فإذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو ابتدأت في كل

مشكلة سفرنا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل عليك لكن طريقك أن تعلم مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان أشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتفكرت في شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر . وهذا كما لوحبت ما للبقال عليك أولك عليه أو قسمت في مسئلة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة والخطأ فيطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطعا انك ما غلطت في دققة من دقائقها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فينتهي به التذكر والفكر والمادة مرة بعد أخرى الى اليقين الضروري بانه ما غلط ، فان لم تسلك هذه الطريق لم تغلح قط وصرت تشكك بلبل وعسى ولعلك قد غلطت في تقليدك لاماك بل للبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية (أي ليست بديهية معلومة بالضرورة)

فقال : لقد ساعدتني على ان التعلم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بان كل واحد لا يمكنه أن يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان إلا منك فكأنك ادعت الامامة لنفسك خاصة فإبرهانك ومعجزتك فان امامي اما أن يقيم معجزة واما ان يخرج بالنص المتعاقب من آياته اليه فأين نصك وأين معجزتك ؟

فقلت : اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فإني ارجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يتعلم منه كما يتعلم مني فلا أجل للتعليم وقفا على نفسي . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فأعلم أن الامام قد فنى به الذي يتعلم من الله بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسي وقد نفى به الذي يتعلم من الله بنير جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي علي رضي الله عنه اماما فإنه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسي . أما برهاني عليه فواضح من النص وبما تعتقده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن فقلت ما برهانكم فقال أحدهم برهاني انه نص علي الكسائي استاذ المقرئين اذ نص على استاذي واستاذي نص علي فكأن الكسائي نص علي

وقال الثاني اني ألقب العصاحية قلب العصاحية ، وقال : الثالث برهاني اني أقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شمري أي هذه البراهين أوضح عندك وقلبك بايها أشد تصديقاً؟ قال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يخالفني فيه ريب ، أما نص استاذة عليه ونص الكسائي على استاذة فيتصور ان تقع فيه اغاليط لا سيما عند طول الاسفار ، وأما قلب العصاحية فلمه فعل ذلك بحيلة وتليس وان لم يكن تليسا فغايتة انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن

قلت : فبرهاني اذا أيضاً اني كما عرفت هذه الموازين قد عرفت وأفهمت وازلت الشك عن قلبك في صحته فيلزمك الايمان بامامي كما انك اذا تعلمت الحساب وعلمته من استاذ فانه اذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بأن استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك قد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضاً في انه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب العصاحية بمجرد ما فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصاحية يكثر بخوار المعجل ، فان التعارض في عالم الحس والشهادة كثير جداً لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتيفت ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فكانت معرفتي بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة كعرفتك اذا رأيت رجلاً عرياً يناظر في مسألة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فإنك لا تتأري في انه قبيح وقبيحك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بقبه لو قلب الف عصا تبعاً لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتليس والطمس وغيرها ولا يحصل العلم بالقرآن بينها وبين هذه الاشياء وكونها معجزة الا بعد بحث مطول. ونظر دقيق ويحصل به ايمان ضعيف هو ايمان العوام والمتكلمين فإما ايمان

ارباب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوية فلا يكون كذلك
 فقال : فانا أيضا اشتعي أن أعرف النبي صلى الله عليه وسلم كما عرفته وقد ذكرت
 ان ذلك لا يعرف إلا بأن توزن جميع المعارف الالهية بهذا الميزان وما اتضح عندي
 ان جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فبم اعلم ذلك ؟
 قلت : هيهات لا أدعي اني ازن بها المعارف الدينية فقط بل ازن بها العلوم
 الحسائية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غبروضي فاني أميز
 حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم والميزان الذي هو
 رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى : « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
 والميزان ليقوم الناس بالقسط » وأما معرفتك بقدرتي على هذا فلا تحصل لابنص ولا قلب
 المعصائبانا ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك نجربة وامتحانا فدعي الفروسية لا ينكشف
 صدقه حتى يركب فرسا ويركض ميدانا فلسفي عما شئت من العلوم الدينية لاكتشف
 لك النطاء عن الحق فيه واحدا واحدا وازنه بهذا الميزان وزنا يحصل لك علم
 ضروري بأن الوزن صحيح وان العلم المستفاد منه مستيقن ومن لم يجرب لم يعرف .
 فقال : وهل يمكنك ان تعرف جميع الحقائق والمعارف الالهية جميع الخلق
 قدر رفع الاختلافات الواقعة بينهم ؟ قلت : هيهات لا أقدر عليه وكان امامك المصوم
 الى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وازال الاشكالات عن القلوب بل
 الانبياء متى رفعوا الاختلاف ومنى قد روا عليه ؟ بل اختلاف الخلق حكم ضروري
 أزلي « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك »
 أفأدعي أن أرد قضاء الله الذي قضى به في الارل ؟ أو يقدر امامك ان يدعي
 ذلك ؟ فان كان يدعيه فلم ادخره الى الآف والدنيا طالعة بالاختلافات ؟
 وليت شعري أرييس الامة علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان سبب رفع الاختلافات
 بين الخلق اوسبب تأسيس اختلافات لا تنقطع أبدا الدهر ؟

« القول في طريق نجات الخلق من ظلمات الاختلافات »

قول : كيف نجات الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : إن اصغوا إلي رفعت
 لاختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في إصغائهم فانهم لم يصغوا بأجمعهم

الى الأنبياء ولا الى امامك فكيف يصنون الى وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم في الازل بانهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم .
وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب « جواب مفصل الخلاف » وهو
الفصول الاثني عشر .

قال : فلو أصغروا كيف كنت تفعل ؟ قلت : كنت أعلمهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى إذ قال « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد » الآية وانما أنزل هذه الثلاث لأن الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم .

قال : فن هم وكيف علاجهم ؟ قلت الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة البدن وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فينبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة : أما الخواص فإنني أعلمهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال إحداها القريحة النافذة والفتنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها ، والثانية خلو باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث ومسموع فان القلدا لا يصنى والبلبد وان أصنى فلا يفهم ، الثالثة أن يعتقد فيّ اني من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلمه منك

والصنف الثاني البدن وهم جميع العوام وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطالب بل شغفهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضا داعية الجدل بخلاف المتكاسين في العلم مع قصور الفهم عنه فهؤلاء لا يختلفون ولكن يتخبرون بين الاثمة المختلفين فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما أدعو أهل البصيرة بالحكمة وأدعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك أولاً فأقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فلم يرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أهلا لذلك فقال « وماذا علمت في رأس العلم » أي

الايان والتقوى والاستعداد للآخرة » اذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعمالك من غرائب » فأقول للعلمي ليس الخوض في الاختلافات من عشك قادرج فأياك أن تخوض فيه أو تصفى اليه قهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من أهل العلم (١) ومن أهل الخوض فيه فأياك ثم إياك أنت تهلك نفسك فكل كبيرة تجري على العامي أهون من أن يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري .

فان قال : لا بد من دين أعقده واعمل به لاصل به الى المغفرة والناس مختلفون في الأديان فبأي دين تأمرني أن آخذ أو أهول عليه ؟ فأقول له للدين أصول وفروع والاختلاف انما يقع فيها أما الأصول فليس عليك أن لاتعتقد فيها إلا ما في القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماؤه فطيك أن تعتقد أن لا إله إلا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كئله شيء الى جميع ما ورد في القرآن وافق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء قل آمنا به كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات وفيها على غاية التعظيم والتعديس مسح في الماثلة واعتقاد انه ليس كئله شيء وبعد هذا لا تلتفت الى القليل والقال فانك غير مأمو به ولا هو على حد طاقتك . فان آخذ يتحدثق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لأعلم انه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الأشعرية والمعتزلة قد خرج بهذا عن حد العوام إذ العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوما الا يوثيهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فساد ذكر علاجهم .

هذا ما أعظ به في الأصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله أنزل الكتاب والميزان والحديد وهو لاء أهل الحوالة على الكتاب

وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتقت الامة على ان زاد الآخرة هو التقوى والورع واب السكب

الحرام والمال الحرام والنية والنية والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة فان فرغت من جميعها علمت طريق اخلاص من الخلاف . فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جدلي وليس بعلمي ومتى تفرغ العلمي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رفقائك قد فرغوا من جميع هذا ثم أخذوا إشكال الخلاف بمحققهم ؟ هيئات ما أشبه ضعف عقولهم في خلافهم إلا بعقل مريض به مرض أشرف على الموت وله علاج متفق عليه بين الأطباء وهو يقول قد اختلفت الأطباء في بعض الادوية انها حارة أو باردة وربما افترقت اليه يوما فأنا لا أعالج نفسي حتى أجد من يعطيني رفع الخلاف فيه

فمن لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود القوى كلها . وقال : ها أنا ذا تشكل عليّ مسائل فاني لا أدري اتوضأ من اللبس والقيء والرعاف وانوي الصوم بالليل في رمضان أو بالتهار الى غير ذلك . فأقول له ان كنت تطلب الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فوضأ من كل ما فيه خلاف فان كل من لا يوجبه يستحبه وأنو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجبه يستحبه . فان قال هو ذا يثقل علي الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات وقال لا أدري أنفت في الصبح ام لا وأجر بالتسمية ام لا فأقول الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه أغلب على قلبك كما لو كنت مريضا وفي البلد اطباء فانك تختار بعض اطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد في أمر دينك فمن غلب على ظنك انه الأفضل فاتبعه (١) فمن أصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان أخطأ فله عند الله في ذلك اجر واحد وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فأصاب فله اجران ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد » ورد الله تعالى الأمر الى أهل الاجتهاد وقال تعالى « لعلهم الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لأهله اذ قال رسول الله صلى

(١) ليس هذا امرا بالتقليد الذي ابطله سابقا ولا حقا وانما هو امر بنوع من الاجتهاد اشخص لا يكاد يوجد على فرض وجوده فقد امره اولاً ان يجتهد في نفسه ثم في الائمة الذين اشتبه في أي اقوالهم في تلك المسائل ليرجح وان يأخذ بقول من رأى قوله اصوب ولا يكون ذلك الا بعد النظر في دليله . غاية الامر ان اجتهاده لا يكون مطلقا بل منتسبا الى من وجع دليله

الله عليه وسلم لما ذ « بم تحمك ؟ » قال بكتاب الله قال « فان لم تجد ؟ » قال بستر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فان لم تجد ؟ » قال أجتهد رأيي . قال ذلك قبل ان أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله » فهم من ذلك انه مرضي به من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذ وغيره كما قال الاعرابي اني هلكت واهلكت واقمت اهلي في نهار رمضان فقال « أعتق رقبة » فهم ان التركي أو الهندي لو جامع أيضا لزمه الإعتاق وهذا لأن الخلق ما كفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كفوا ما يظنون صوابا كما لم يكفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في اثناء الصلاة لما انبأ جبريل أن عليه قدرا ولم يعد الصلاة ولم يستأنف وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد ولم يكفوا أداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه ولم يكلف القضاء في سفك الدماء واباحة الفروج طلب شهود يعلمون صدقهم بل من يظنون صدقهم واذا جاز سفك دم يظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد !

وليت شعري ماذا يقول وقاؤك في هذا ؟ أقولون اذا اشتبهت عليه القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله أو يكلفه الاصابة التي لا يطيقها أو يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح ؟ قال لا شك في انه يأذن له في الاجتهاد ثم لا يؤتمه اذا بذل كنه مجهوده وان اخطأ أو صلى الى غير القبلة

قلت فاذا كان من جبل القبلة خلفه معذور مأجورا فلا يمد ان يكون من اخطأ في سائر الاجتهادات معذورا فالمجنهون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد الاجرين فناصرهم مقاربة وليس لهم (المارچ ۹) (۸۶) (المجلد الثاني عشر)

ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لا سيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبله فاختلغا في الاجتهاد فحقها ان يصلي كل واحد الى الجهة التي غلبت على ظنه وان يكف انكاره واعراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف إلا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبله عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن يجتهد لاعلى اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على انه ان اخطأ كان معذورا وهذا لان الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من قبضه بعد كونه مغفلونا في سر الاستبصار واما ما لا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن وأما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فاني ادعوم بالتلطف الى الحق واعني التلطف أن لا اتعصب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادلم بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان آخذ الاصول التي يسلمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي اورده في كتاب الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقنع ذلك لتشوفه بفطته الى مزيد كشف رقيقته الى تعليم الموازين فان لم يقنعه بلادته واصرارها على تعصبه ولجاجة وعناده عاجلته بالحديد فإن الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليفهم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالقسط إلا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخوارج والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يتبعون ما نشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم دون أهل الجدل واعني باهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم ان يعقروه وفي آذانهم وقراكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فان الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاء بكثير وفي الخبر « ان أكثر أهل الجنة البله وان عليم لذوي الالباب » (١) ويخرج من جملة

الفرقيين الذين يجادلون في آيات الله وأولئك أصحاب النار ويزعم الله بالسلطان ما لا يزعم بالقرآن وهو لا ينبغي ان يمتنعوا من الجدال بالسيف واللسان كما فعل عمر رضي الله عنه برجل اذ سألته عن آيتين متشابهتين في كتاب الله تعالى فعلاه بالدرة وكأقال مالك رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء على العرش فقال : الاستواء حق والامان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة وحسم بذلك باب الجدال وكذلك فعل السلف كلهم . وفي فتح باب الجدال ضرر عظيم على عباد الله تعالى

فهذا مذهبي في دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بأن دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير أعيان لانهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم فعه الحكمة التي من أوتىها قد أوتي خيراً كثيراً لانهاية له ولولا اشتغال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نورا لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهونت الميزان ولما صدق قوله «ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين» فان جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لانهاية لها فهذا ادعو الخواص . ودعوت الدوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاختصار على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى . ودعوت أهل الجدال بالمجادلة التي هي أحسن فن أبي أعرضت عن مخاطبته وكففت شره بياس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

فليت شعري الآن يا رفيقي بمّ يعالج أمامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ؟ أيعلم العوام فيكلفهم ما لا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرج الجدال من أدمغة المجادلين بالحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة حاجة الله تعالى في القرآن مع الكفار ؟ فما أعظم قدرة أمامك اذ صار أقدر من الله تعالى ومن رسوله !! أو يدعو أهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثبانا بل يقولون هو فعل غريب ولكن من أين يلزم منه صدق فاعله وفي العالم من غرائب السحر

والطلسمات ماتجبر فيه القول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجملة أنواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة ومن الذي يقوي على ذلك ؟ بل أهل البصيرة يريدون من المعجزة ان يملوا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق أستاذة في قوله اني حاسب فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يقنع أولوالالباب وأهل البصائر ولا يقنعون بغيره البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فمن أين يحتاجون الى امامك المعصوم؟ وما الذي حل من اشكالات الدين؟ وماذا كشف عن غوامضه؟ قال الله تعالى وهذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ءوقد سمعت الآن منهاجي في موازين العلوم فأروني ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وماذا الذي تعلمون منه؟ وليت شعري ما الذي تعلمت من امامك المعصوم أروني ما رأيتها :

ما يسدي بي رتسدي أوف خر ابن وقلب يارفوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها واني اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب لا امامك بعد الاستجابة على جهل الذي كان قبله لم يحل له الامام عقدا بل ربما عقد له حلا ولم تقده استجابته انه حقا بل ربما زاد به طغيانا وجهلا

قال : قد طالت صحبتي مع رفقائي ولكن ما تعلمت منهم شيئا الا انهم يقولون عليك بذهب التعليم واياك والرأي والقياس فانه متعارض مختلف . قلت : فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لا يشتهلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتوني الى التعليم فاستجيب فعملوني ما عندكم فقال : ما اراهم يزيدوني على هذا شيئا . قلت : فاني قائل ايضا بالتعليم و بالامام وببطلان الرأي والقياس وأنا أزيدك على هذا لو أنطقت ترك التقليد تعاليم غرائب العلوم وأسرار القرآن فأستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما أشرت الى كيفية انشعاب العلوم كلها منه في كذاب

جواهر القرآن لكني لست أدعو الى امام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب
سوى القرآن فمنه أستخرج جميع أسرار العلوم و برهاني على ذلك لساني وبياني، وعليك
إن شككت تجريبي وامتحانني، أقراني أولى بأن تعلمني من رقائك أم لا؟ اه المراد منه

باب المناظرة والمراسلة

﴿ النسخ وأخبار الآحاد ﴾

وعدنا في الجزء السابع بأن نين رأينا في المناظرة التي دارت في المنارين الدكتور محمد توفيق افندي صدقي والشيخ صالح اليافعي ورجونا أن يكون ذلك في الجزء التاسع (وكتب « السابع » غلطا وصححناه في الجزء الثامن على انه غلط بديهي إذ هو في الجزء السابع) . وقد عرض لنا من كثرة المواد ومن الشواغل ما حال دون تحقق الرجا بالتفصيل الذي كنا نريده فأينا ان نقول الآن كلمة مجملّة وزججّ التفصيل المراد الى جزء آخر فتكون كلمتنا هذه كحكم المحكمة بدون ذكر الأسباب التي يسمونها الحثيات وكلمتنا الموعود بها كيان حثيات الحكم فنقول :

النسخ

قد سبق لنا القول بأن النسخ المصطلح عليه الذي هو محل النزاع لم يرد به نص في القرآن ولا في الحديث المرفوع يعلم منه ان آية كذا أو حديث كذا قد نسخ وبطل معناه أو ترك لفظه أو اللفظ والمعنى جميعا وما أورده اليافعي في تفسير « ما نسخ من آية » ليس نصا ولا ظاهرا فيها بل الظاهر ما قاله الاستاذ الامام وجرى عليه الدكتور صدقي ولكن الاستاذ كان يرى ان الظاهر في قوله تعالى (١٦ : ١٠٠) وإذا بدلنا آية مكان آية) في آيات القرآن خلافا لما قاله الدكتور فيها وهي ليست نصا قاطعا في هذا ولذلك وقد ورد في كلام الصحابة والتابعين وأئمة الفقه ما يدل على ان النسخ الاصطلاحي أصلا ولكنه كما قال اليافعي في بعض المواضع انه أعم من النسخ الذي عليه الأصوليون

وان نسخ حكم في الشريعة بحكم آخر هو كنسخ شريعة بشرية أخرى معقول المعنى موافق لحكمة التشريع في انطباقها على مصالح الناس التي تختلف

باختلاف الزمان والاحوال لا شبهة فيه على أصل الدين . وان أكثر ما قاله العلماء في نسخ احكام القرآن بديهي البطلان وما هو محل نظر منها قد جعله السيوطي عشرين وغيره سبعا والصواب انه لا يوجد في القرآن آيتان لا يتفق معنى إحداهما مع معنى الاخرى بحيث يقطع بالتعارض الذي لا يمكن التفصي منه الا بحمل إحداهما على النسخ المعروف عند الاصوليين . أما النسخ بالمعنى الذي يتم التخصيص والتقييد و بيان المجلد فهو واقم في القرآن وقول به

واما نسخ التلاوة فلم تظهر لنا حكمته ولم يأت اليافعي ولا من قبله من العلماء الذين اطلعنا على أقوالهم بحكمة مقنعة لمن كان مستقلا في فهمه غير مقلد فيه لا سيما نسخ اللفظ مع بقاء حكمه

وأما الدليل على وقوع ذلك فهو بعض الروايات عن الصحابة وهي وان صحح مثل البخاري أسانيدها محل إشكال في منها كأحاديث أخرى في الصحيحين وغيرها منها نص علماء هذا الشأن على عدها مشكلات وعدم الاهتداء الى حل معقول لها إلا الجزم بلفظ الرواة فيها كحديث شريك في المعراج عند البخاري وحديث « خلق الله التربة يوم السبت » الذي رفعه مسلم وغيرها . وسنشير الى غير هذين الحديثين بما هو مشكل في الصحيحين قريبا

أحاديث الآحاد والدين

ان كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قول أو فعل أو تقرير يتعلق بأمر الدين على انه منه فهو حجة على من ثبت عنده يجب عليه الاذعان لما يدل عليه ، ولا يقال ان شيئا منه خاص بوقت دون وقت أو قوم دون قوم أو شخص دون شخص من المكلفين إلا بدليل يثبت ذلك . فان عارض هذا الحديث بعد ثبوته آية من القرآن أو حديث آخر أو دليل حسي أو عقلي كان الحكم في ذلك لما تتضمنه قواعد التعادل والترجيح والجمع والتأويل وهي مروفة في مواضعها . وقد قال المحدثون إن من سلامة كون الحديث موضوعا لمخالفته لنص القرآن والمسائل القطعية في الدين واليقينات الحسبة والعقلية ، هذا إذا كان الجمع بينه وبين القطعي والتأويل متعذرا

ولم يقل احد من سلف الامة وائمة الفقه ان معرفة الدين تتوقف على الاحاطة بجميع ما رواه المحدثون من الاحاديث ولا بأكثرها ولم يكن الائمة الاربعة الذين يقبهم اكثر المسلمين في الاحكام العملية مطلعين على ذلك كله لا سيما الامام ابو حنيفة الذي لم يرحل في طلب الحديث لقاء الرواة المنتشرين في بلاد الاسلام ولم يكن الحديث مدونا في الاسفار فيأخذه منها . وهو مع ذلك معترف بامامته واجتهاده عند اتباعه وغيرهم من أهل السنة . فما جرى عليه سلف الأمة وخلفها هو أن من بلغه حديث وثبت عنده وجب عليه العمل به ومن خالف بعض الاحاديث لعدم ثبوتها عنده او لعدم العلم بها فهو معذور فالعمدة في الدين كتاب الله تعالى في المرتبة الأولى والسنة العملية المتفق عليها في المرتبة الثانية ، وما ثبت من السنن وأحاديث الآحاد المختلف فيها رواية أو دلالة في الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجيا في الآخرة مقربا عند الله تعالى كما ترى يان ذلك في ترجمة الامام الغزالي من هذا الجزء

احاديث الآحاد تقيد اليقين أم الظن

ذكرت هذه المسألة أكثر من مرة في المأرج وقد حققنا في تفسير قوله تعالى ١٧٣: ٣٥ فزادهم إيماناً ان للظن اطلاقين أحدهما اعتقاد ان هذا الشيء ثابت وأنه يحتمل احتمالا ضعيفا ان لا يكون ثابتا وهذا هو الظن الذي جاء في القرآن انه لا يفتي من الحق شيئا . ثانيهما اعتقاد ان هذا الشيء ثابت مع عدم ملاحظة الطرف المخالف ولكن من غير برهان على منع الطرف المخالف وهذا قد يسمى في اللغة والشرع يقينا وعلما ولكنه لا يسمى يقينا عند علماء المنطق والكلام والفلسفة لأنهم يطلقون اليقين على مرتبة اعلا من هذه المرتبة في العلم وهي ثبوت الشيء بالبرهان وثبوت امتناع مقابله . وراجع التفصيل في التفسير (ص ٨٩٨ م ١١)

فيعلم مما حققناه ان بعض أخبار الآحاد يفيد العلم واليقين لغة وشرعا وعادة وبعضها لا يفيد ذلك ولكن لا يفيد شيء منها العلم البرهاني واليقين المنطقي . والدكتور توفيق صدقي لا ينكر ان له من الاصحاب من لو أخبره بشيء .

يصدق ويطمئن قلبه بخبره فلا يشك ولا يتردد فيه كما انه يصدق المؤذن في دخول وقت الصلاة والفطر في هذه الايام لا يشك فيه ولا يترث في العمل به . فهل هو في هذا عامل بالظن الذي ذمه القرآن ؟ لا لا . وقد صرح الاستاذ الامام في الدرس بأن الصحابة والتابعين كانوا موقنين بصدق الاحاديث التي عملوا بها عند ماسمعوها ممن رفعها الى النبي (ص) وانه لا يقل ان يحدث مثل الصديق أحدا عن النبي (ص) ويتردد السامع في صدقه

ولا شك في ان كثيرا من الاحاديث المروية في دواوين المحدثين المشهورة تفيد هذا النوع من العلم واليقين ولا يقل ان يكون كل ما رواه المسلمون عن النبي (ص) غير موثوق به لا يقل ان تكون أكثر روايات التاريخ التي اتفق عليها المؤرخون كاذبة ، فكيف يكون أكثر ما رواه المحدثون واتفقوا على تصحيحه كاذبا وهم أشد تحريما وضبطا من المؤرخين . واحتمال خطأ بعض الرواة العلول ووقوع ذلك من بعضهم لا يجمع الثقة بكل ما يروونه . كما ان مجرد تعديل المحدثين لهم لا يقتضي قبول كل ما رووه بغير بحث ولا تمحيص

فالجامعان الصحيحان البخاري ومسلم هما أصح كتب الحديث متنا وسندا لشدة تحري الشيخين فيها (رضي الله عنهما وجزاهما خيرا) ومع هذا لم يتلقها المحدثون بالقبول تقليدا لها وثقة مجردة بها بل بحثوا وعحصوا وجرحوا بعض رواياتها وبينوا غلط بعض متونها . كتفليط مسلم وغيره لرواية شريك عند البخاري في حديث المراج ، وتفليطهم لمسلم في حديث خلق الله التربة يوم السبت (وتقدم ذكرهما) وفي حديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وثلاث سجودات . وفي حديث طلب أبي سفيان بعد إسلامه أن يتزوج النبي (ص) أم حبيبة ويتخذ معاوية كتابا .

ومن دقق النظر في تاريخ رجال الصحيحين ورواية الشيخين عن المجروحين منهم يرى أكثرها في المتابعات التي يراد بها التقوية دون الأصول التي هي العدة في الاحتجاج . ثم اذا دقق النظر فيما أنكره عليهما معاصروهما من الاحاديث يجد ان أقوالها في الغالب أرجح من أقوال المنازعين لها لا سيما البخاري فانه أدق المحدثين في التصحيح ولكنه ليس معصوما من الغلط والخطأ في الجرح والتعديل

وجلة القول في الصحيحين ان أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدھا والقليل منها يختلف فيه وما من امام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها . فاذا جازرد الرواية التي صح سندھا في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل ، وجازرد رواية خلق الله التربة يوم السبت لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والأرض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك فأولى وأظهر أن يجوزرد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كالروايات في نسخ التلاوة) لا سيما لمن لم يجد لها تخرجاً يدفع الشبهة كالذكر محمد توفيق صدقي وأمثلة كثيرون . ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ردها الاستاذ الامام ولم يمجبه شيء مما قالوه في تأويلها لأن نفس النبي (ص) أعلى وأقوى من ان يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥ : ٨) وقال الظالمون ان تقبوا الارجلا مسحورا) وهو ما كذبهم الله فيه قوله بعده (٩) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضالوا فلا يستطيعون سبيلا) .

ومثل هذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بانها تذهب فتسجد تحت العرش ونستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألت عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لاننا لم نجد جواباً مقنعاً للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة على قطعياً لا شبهة فيه . فاذا قلنا انها يصدق عليها مع ذلك انها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشيئة الله تعالى ولان كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — ان لم تكن التحتية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لاحقية فهي معنوية — إذا قلنا هذا أو انه تمثيل لخصوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقاً ظاهراً لا مراءى فيه؟ اللهم لا . ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم والانبيا . لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم

يقل أئمة الدين انهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأييد النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه

اما الاحاديث المخالفة للقرآن في خبره او معناه او اي نوع من انواع المخالفة الحقيقية فلا يمكن ان تكون صحيحة في الواقع وان وثق المحدثون رجال اسانيدها ولكن يجب التدقيق في ذلك قبل الحكم به فآراء الدكتور محمد توفيق صدقي من أن تحريم الاسكل والشرب في اواني القدين مخالف لآية اباحة الزينة والطيات هو في غير محله فان النبي (ص) استنبط ذلك من قوله تعالى في الآية التي قبل آية الزينة (٣١: ٧) كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) فلا كل والشرب في

اواني القدين اسراف عظيم لا سببا بالنسبة الى المسلمين في ذلك الزمان وكذلك تحريم الجمع بين المرأة وعمتها او خالتها أخذه صلى الله عليه وسلم من تحريم الجمع بين الاختين لان العلة فيهما واحدة وكما ان تحريم الخمر التي كانت في زمن التنزيل يتضمن تحريم كل مسكر يستحدثه الناس الى يوم القيامة كذلك يتضمن تحريم الجمع بين الاختين تحريم ما في معناه كالجمع بين العمة وبنت أخيها بقوله تعالى (٢٣ : ٤) واحل لكم ما وراء ذلكم) لا يتناول الجمع بينهما على هذا فالحديث ليس مخالفا له . ولكن الجمهور يعدونه مخصصا للآية ونخصيص السنة للقرآن جائز وواقع فإن سماه بعضهم نسخا فلا نعارضه في التسمية ونحن موافقون له في المعنى

النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بقوله وفعله ويدخل في البيان التفصيل والتخصيص والتقييد ولكن لا يدخل فيه ابطال حكم من احكامه او قض خبر من اخباره ولذلك كان التحقيق ان السنة لا تنسخ القرآن . ثم انه (ص) شارب باذن الله ولذلك قال عند ما سئل عن بعض المسائل « لو قلت نعم لوجبت » ومن ذلك انه حرم ما بين لاني المدينة لجعلها كحرم مكة لا يحل صيدها ولا يقطع شجرها ولا ولا يبخلي خلاها والحديث في الصحيحين وغيرهما وليس ناقضاً لشي من القرآن ولا مخالفا له . وما يدل على انه حرم المدينة من قبل نفسه أي بغير وحي خاص ان العباس قال له « إلا الإذخر » فقال « الا الإذخر » فاستثنى الاذخر من قوله لا يبخلي خلاها وهو نبات عطر لحاجتهم الى قطعه بمجرد طلب العباس . ولكن هذا النوع من التشرع قليل جدا وهو

(المنار ج ١٢، ١٢٩٩، الانقلاب العثماني . رد ثالث على صاحب جريدة وطن الهندية ٦٩٩)

مختلف فيه قيل ان الله أعطاه ذلك وقيل لا وليس هذا القول المجمل بما يتسع لتحقيق ذلك هذا وان للاسلام اصولا ومقاصد لا بد لكل مسلم منها كالتوحيد وarkan الايمان وهي الايمان بالله وملائكته ورسوله وكتبه واليوم الآخر والقدر وهي اعتقادات ، وarkan الاسلام الخمسة ، وهي اعمال بدنية ، وarkan الأدب التي تجمعها كلمة التقوى واجتناب الفواحش مظهر منها وما بطن والاثم والبني بغير الحق ، وكل ذلك مبین في القرآن والسنة العملية . فهذا ما يجب على كل مسلم ان يعلمه ويعمل به وأما الاحاديث التي لم يجر عليها عمل جماعة المسلمين والسواد الاعظم من أهل الصدر الأول ولا كتبها الراشدون ولا غيرهم من الصحابة ولا دعوا اليها وانما انفرد بها بعض الذين صرفوا همهم إلى جمع الروايات وحفظ الاخبار والآثار فيها تفصيل ملخصه أنه لا يجب على كل مكلف البحث عنها ولكن في معرفتها مزيد علم ومن عرف شيئاً منها وصح عنده متناوِسداً بلا معارض أقوى منه وجب عليه ان يقبله ويهتدي به فكنتي بهذه المعجالة الآن بل هي قد جات أطول مما كنا نبغي ومتى سنعت الفرصة نفرد الى بعض هذه المسائل بالبيان والتفصيل والى غيرها مما دار عليه كلام المتناظرين ما لم يدرك عليه مما يخلق بالمقام ككراهة النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة السؤال لثلاث تكثير التكاليف واستنزاف ذلك لكراهة ان يعلم جميع الناس بما يجاب به بعض السائلين ويكلفوا العمل به كما كلف السائل ذلك لحاجته اليه ، أو عدم استزاه . وما جرى عليه الصحابة في السكوت على ما يعلمون من ذلك حتى يستلوا عنه وانفراد الكثيرين منهم بالحديث الواحد وقلة ما رواه الجمل الفقير . ولا تضرب لذلك موعداً معيناً لثلاث نصد عن الوفاء به والله الموفق

الانقلاب العثماني الميمون

لاهور في ١٩ أغسطس سنة ١٩٠٩ م

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا أدام الله فضلكم ونفعنا بعلومكم آمين
أما بعد السلام والاحترام ، لا أستطيع ان أفي بحق شكركم على ما أبدت

من اللطف في نشر مقالتي والرد عليها ردا مسبيا ، وسأنشر ترجمة ردكم هذا في جريدتي تماما ان شاء الله تعالى

ولا أكتب بعد ذلك في هذا الأمر شيئا بقصد استطلاع الآراء ، بل ترك للدهر يقضي كيف يشاء ، فانه خير قاض ، ولكنني أرى بنفسني ان الذين هم اليوم اعداء لعبد الحميد مثل شوكت باشا والغازي مختار باشا وغيرهم يحسون عاجلا بضرورة رجوعهم إلى عبد الحميد — ان لم تأخذهم الحمية حمية الجاهلية وسلوكوا مسلك الانصاف والساداد —

وأما أمر التحاشي من نشر ردكم الأول فكنت على الصواب فيه لانه صدق ظني حين نشرته جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » ، فاستاء منه العالم الاسلامي الهندي أشد الاستياء حتى اضطر محرر هذه الجريدة لتقديم الاستقالة من خدمته في أواخر شهر يونيو اخلاي — وسأت سمعة بمجلة المنار أيضا — فرأيت ان أدافع عن المجلة ونشرت ردكم في جريدتي مع جوابي الذي أرسلته اليكم بعد التعريب كما نشرتموه في العدد السادس من مجلة المنار الاغر — ولقد أثر ذلك الامر تأثيرا حسنا في تسكين نائرة نفوس المسلمين الهنديين واطفاء نائرة غيظهم على « المنار » ولكن في علم حضرتكم ان الجرائد التي وافقت آراءكم من مائة جريدة إسلامية في الهند لا يربو عددها على اثنين فقط — إحداهما جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » والأخرى جريدة « وكيل » (أمرنسر) فما الذي جرى للاولى ؟ هو ان النواب وقار الملك ناظر الكلية الإسلامية في علي كده طلب من المحرر ان يصاح آراءه ويكتب ردا لأقوال مجلة المنار — ولكنه أبى الرد واستقال من وظيفته -- ورد أقواله حضرة النواب المشار اليه في الاعداد التالية من الجريدة وانظر الى التسليم بان عبد الحميد هو « عبد الحميد الاعظم » لاجالة -- وفا ندمت جريدة « وكيل » أيضا من سلوكها ذلك المسالك الصعب الخائف لرأي العام مسلمي الهند واعتذرت عما فرط منها —

وظنكم أن آراء جريدة « وطن » موافقة لآرائها وهم عدد قليل في الملايين من مسلمي الهند فليس في محال لان شعب هذه الجريدة في الاصل هو المسلمون

واشاعتها أكثر بكثير من جميع الجرائد الاسلامية الهندية ، فان جريدة علي كده
جميع اشاعتها خمسمائة في الاسبوع ، وجريدة « وكيل » اشاعتها ألف وخمسمائة -
وقبة الجرائد الاسلامية لاتزيد اشاعتها عن الالف البتة - ولكن جريدة « وطن »
اشاعتها الآن خمسة آلاف وثلاثمائة في كل أسبوع - ولا ريب في ان قراءه
لا يكونون أقل من خمسين أو ستين ألف رجل من المسلمين - بل ربما يكونون
مائة ألف أو يزيدون - ولا يخفى على حضرتكم ان جريدة « وطن » تجد
مشتريين معاوين لها في كل مكان فيه عدد ولو قليل من المسلمين الذين
يعلمون لسان « الاردو » مثل إفريقيا الجنوبية والشرقية - وأمريكا الشمالية
والجنوبية - وجزائر غرب الهند - والصين ، وأستراليا ، وزنجبار ، وتونس ،
وطرابلس الغرب ، وفانيجريا ، وملايا ، وسومترا ، وتركستان ، وعرب (؟) ، وبغداد ،
وغيرها من البلاد النائية الاطراف من العالم الاسلامي فان جريدة « وطن » لتصل
الى كل هذه البلاد دائما وانكم تعلمون ان وظيفة الجريدة ليست هي هداية قرائها الى
جادة الصواب فقط بل انها يجب ان تكون مرآة ترى فيها آراء الامة والقراء جميعا
وتكون مظهرة ليلالهم (؟) - واني أقول بكل الثقة ان آراء جريدة « وطن » في هذه
المعاملة مطابقة لآراء قرائها وآراء الجمهور من المسلمين ولا عبرة للشواذ -

وأما قولكم بجهل مسلي الهند بالحقائق في أول الأمر واقتناع منصفهم بعد ما ظهر
لهم من الحق بواسطة نشر الحقائق في الجرائد التركية والعربية حتى تمسحبون من
اصراري على ما كنت عليه فالملوب من حضرتكم إسماعيل النظر في مكالمة مراسل
جريدة « باونير » الانكليزية (التي تصدر في بلدة إله آباد بالهند) مع محمود شوكت باشا
وقد أدرجت هذه المقالة بعددها الصادر في ١٣ أغسطس سنة ١٩٠٩ فاعترف
شوكت باشا بأنه ليس عنده الرجال الاكفاء ذوو سطوة واقتدار حتي يقدر على
حفظ السلطنة من التورط في الهلاك والخراب ،

واننا مسلي الهند مع وقوفنا على كون العهد الحيدري مخفوقا بالاختار ومملوءا
من السيئات ، لانقي تبعه هذه المفاقد على عهد الحميد وحده كما تقولون حضرتكم : بل

نسبها الى جهل الملة وخولها ونظم ان عبد الحميد سعى جهد طاقته في تخفيف ذلك
الجهل والخول (١١١)

واني لا ادعي الاولى في كتابة ذم عبد الحميد وعماله على جميع جرائد العالم
بل قصدي انه ان اول من كتب بهذه الصراحة في الجرائد الاسلامية الهندية لا غير
وهذا صحيح لا ريب فيه وقلم ان الاختلاف في مشروع السكة الحجازية لم يكن
من جهة السلطان السابق فاني لا اسلمه لان عندي كتابا خصوصية من اصدقائي
في الاستانة وهم يكتبون ان الجرائد التركية حظرت عليهن الحكومة ذكر مشروع
سكة بغداد والحجاز ونسب نشر آرائي في جريدة المعلومات العربية هوقلة انتشارها
في المملكة العثمانية وان لم انس فاذا ذكر ان الذي كتبوا منهم صديقكم وصديقي السيد
عبد الحميد الزهراوي ايضا

والمؤرخون الذين ينحازون الى احد الطرفين لا يبد قولهم صحيحا بل العبارة
بما قاله مؤرخة اولي الدراية في الازمنة التالية وكذلك الذين ليس لهم علاقة باحد من
الفرقتين المتخاصمين وانا كما تملدون ليس لي واسطة بعبد الحميد ، ولا تتركيا الفتاة
بل كل ما أقصده هو خير الدولة العلية وسلامتها حفظها الله ووقاها من جميع الآفات
والمهايكات آمين

وعجبت من احتجاجكم باعترافي ان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم
توجد في عهد عبد الحميد الخ « فاقول لكم بكل ادب ان فيلسوفا مثلكم لا يلزم
ان يكون ناسيا لفرق بين الترقية وبين حفظ مركز السلطنة وسد الخلل ومقصودي
هو ان عبد الحميد لا يجب ان نأخذ بهجيرة اسلافه ونترك ما اصلحه هو ولا ننكره
عليه فان العقل لا يسلم لاحداث لا يكون فيه حسنة غير السيئات ولذلك لا يتخلو
عبد الحميد ايضا من حسنات ويشهد على حسناته ما كتبه جرائد مصر العربية وجرائد
اوربا في اكثر الاوقات في اعمدتهن من مدائحهم واصلاحات عصره بالصراحة التامة
والتاريخ يحفظ ذكرها

واما مدحت باشا فانه عزل من منصب الصدارة في سنة ١٨٢٢ ونفي ولكن
القوم لم يكتفوا بحالته وبعد ذلك لما عين واليا على عدة ولايات فلم يكن سببه خوف

(المارچ ۱۲۴۹) الشبهات على كون حكم النبي والراشدين من نوع المطلق ۷۰۳

عبد الحميد منه أو من جماعته بل رأى ذلك السلطان العظيم أن يستفيد من اهلية الرجل وكفائته في اصلاح شؤون المملكة - وما كان سبب العزل والنفي لمدهت باشا الا قلة مواليه ومشاركه في حب الدستور (۱)

انكرتم علي قولي ان حكم النبي (ص) والصدیق والفاروق (رض) وغيرهم من الخلفاء الراشدين كان مطلقا وواجبم علي ان استغفر الله من هفوتي هذه فاعوذ بالله واستغفره من كل ذنب واتوب اليه وبعد ذلك اسالكم ان ضمير « هم » في قوله تعالى (وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ) هل مرجه جميع افراد الملة الاسلامية او بعض سراتها وذوي الرأي منها؟ ان كان المقصود منه ذوي الرأي من سادات القوم ووجهاتهم فلم تنسون مجلس شورى الدولة الذي كان موجودا في عهد عبد الحميد الى آخر ايامه واعضاؤه من اهل الخبرة والجاه والسياسة وسراة الامة؟ وان كان الضمير راجعا الى كل فرد من افراد الامة فتى حصلت الاستشارة لجميعهم وكيف السبيل الى حصولها ايضا؟

هل كان صلح موقع الحديبية في زمن النبي (ص) وقتل اهل الردة والمتنعين من اداء الصدقات ونزحيف جيش أسامة (رض) وعدم مؤاخذه خالد بن الوليد (رض) من اعمال الصدیق (رض) كل هذه الامور بمشورة القوم وغير مناقض لآراء الجمهور من الصحابة (رض)؟ ومنى اظهر المسلمون رضاهم من عزل خالد (رض) حينما عزله الفاروق (رض) لان الجمهور كانوا يحبونه ويفضلون ان يكون هو قائدا عليهم؟ - وان كانت هذه الامور بالاستشارة فالمرجو من كرمكم ان افيدوني باعلامها واذكروا لي اسماء الصحابة الذين استشيروا في تلك الامور وعلمت اطلاع عبد الحميد على التوايا السديحة للنفازي مختار باشا اليه من نشر تقارير الجواسيس في جرائد الاستانة في هذه الايام . وظهر انه كان عالما بسوء نية الرجل وإلغائه عليه واکرامه كان بسبب لطفه الطبعي وحسن سياسته في تأليف قلوب النافرين منه بواسطة المال والاكرام (۱)

انكم تقولون اني عاشق لبعد الحميد - ولا اعرف الحقيقة التي عرقها الارض والسماء من انه كان السفاك المبيح للدماء وقاتل الابرياء وغيره ، قولكم هذا لا يعتد

به من غير يئنه . وان الجرائد التركية مع كونهن تجاوزن حد الآداب في ذم عبدالحيد لم تستطعن ان تثبتن شيئا حقيقيا من التهم الموجهة اليه في أمر افساد الدستور وشركته في الحركة الانجماية يوم ١٣ ابريل الماضي . غير الظنون والشكوك فان العاقل لا يعبأ بها . ومن الذي لا يعلم ان جرائد اوروبا لم تكن لتقصر في اذاعة سيئات عبدالحيد ومظالمه لو وجدن اليه سيلا . والحمد لله خابت آمالهن من هذا القيل ولم تستطع جريدة من جرائد أوروبا ان تكتب كلمة واحدة تدل دلالة صريحة على شركة عبدالحيد في الحادثة الانجماية ولكنكم تضربون على هذه النغمة عبثا وتحاولون اقتاعي بمثل هذه الخزعبلات (١)

ومعصيتي الكبيرة التي جنيتها في زعمكم هي قولتي الحق في شأن مولانا السلطان محمد خان انطامس ادام الله ملكه وسلطته « انه كآلة صماء في يد جماعة » ودعوتوني الى التوبة من هذه المعصية ولكن ما تقولون في اشاعات جمعية الاتحاد والترقي واقوال شوكت باشا نفسه بانه لم يترك حول جلالة احداً من انصار عهد القديم لا من رجال المعية ولا من الخدم والحشم حتى لم يتركوا حوله من خدامه اقدماء احدا . وقد قاله شوكت باشا في مكالته مع مراسل جريدة باونير المذكور سابقا في هذا المکتوب

وبالمجلة فاني أنصحب من شدتكم في أمر عبد الحيد وسبكم له مع كونكم من العلماء الاعلام وحكام الاسلام . ينفر الله زلتكم هذه ويهديكم سبيل الرشاد لان السب والشتم ليس من شيم الكرام . والسلام

ولا ابني نشر مكتوبي هذا في المجلة ولا اكلفكم الرد عليه بغير رضاكم لاني علمت من الرديين ما قد كفاني . واني عرضت عليكم بعض ما جال في خاطري عند قراءة ردكم . وخفت ان لو اكتب في جوابه شيئا فيطول الكلام لذلك اكتفيت ببعض الامور التي يجب اطلاع قرائكم عليه فان رأيتم من المناسب نشره فنشرته والا فلا . فاطلب منكم العفو من تكليفكم مرتين

كانه المخلص

محمد انشاء الله محرر ومدير جريدة « وطن »

بمدينة لا هور (بنجاب - الهند)

﴿ جواب المآر ﴾

ان هذه الرسالة تشر باخلاص صديقنا فيما كنبه أولا وآخرا في مسألة الانقلاب في الدولة لتشره بعض ودنا ووعده بنشر الباقي وهذا هو غلطا فيه الذي يئنا في ودنا عليه من قبل خلافا للجراند التركية والعربية التي جعلته من صف (الانجائين) الذين يقعون الهوى في نصر عبد الحميد حبا في ماله ورتبه واوسمته . وقد اوسمته تلك الجرائد ذماوتو يئنا ونهكما وهي مخطئة في ذلك كما انه هو مخطئ في اجتهاده ، ولذلك لم تنوه بشيء مما كتبوا وان أثنت علينا الجرائد التركية فيه وارسل بنا بعضه من الاساتذة معلما عليه بالخبر الازرق . وقول لأولئك الكتاب ان صاحب جريدة الوطن ربما كان اشد اخلاصا للدولة من أكثر الجرائد الثمانية التي تلحن اليوم الاستبداد وسلطانها ، وتطري الدستور واعوانه ، وسيرون ان شاء الله من محمد انشاء الله خير نصير للدولة الدستورية ، لا سيما بعد الاقتناع القريب بسوء عاقبة السياسة الحميدية ، ثم اننا نجيب مناظرنا عن شبهاته في هذه الرسالة بما يأتي بالاختصار :

(١) ان قراء الجرائد في الهند معذرون في إساءة الظن في المآر لما كنب ما يخالف آراءهم واهواءهم وجرائدهم التي استمدوا منها تلك الآراء والاهواء في السياسة الحميدية . وقد علمت ان أكثر المستأئين يظنون اننا كنا نمدح عبد الحميد وسياسته في عهده فلما خلع اقلنا عليه ذامين قاذبين ، وظنهم هذا من الإثم ، والحكم علينا بغير علم ، ولذلك نفن ان قراء المآر لم يئموا بمثل ما اتهمنا به غيرهم لأنهم يطمون اننا لم نكن نحسن الظن في السلطان عبد الحميد بعض الشيء ، ونلتبس له بعض العذر الا في السنة الأولى من سني المآر لأن استبداده لم يكن قد بلغ غايته وقرب عهدنا يومئذ يلاذنا المحجوبة عنها الحقائق ، والميلولة بالتفاق والمدح الكاذب ، وقد كان المآر بعد ذلك يتميز غيظا من سوء تلك الحال ، ويشكو منها بالاساليب المختلفة من الأقوال ، ومن أوضحا مقالة (حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين) وما يتبعها من المقالات التي نشرناها في المجلد التاسع ودعونا (المآر ج ٩) (٨٩) (المجلد الثاني عشر)

فيها علماء الاسلام في مصر والهند وتونس الى مطالبة السلطان عبد الحميد بالعدل والإصلاح ، ولولا اننا أنشأنا جمعية سياسية سرية لمجاهدة استبداد عبد الحميد وجعلنا لها جريدة خاصة سميتها باسمها (الشورى العثمانية) وكنا نغز الجريدة بمفشورات سرية يوزعها عمال مخصوصون في الاستانة والرومل والاناطول بثقة من الجمعية لما رضينا بذلك التتديد الاجالي في المنار . وقد نوهنا بذلك في فاتحة هذه السنة ومن كان في شك من مجاهدتنا لعبد الحميد في عهد استبداده بأشد مما كتبناه في المنار بعد خله — وهو نفسه يعلم ذلك ولا يشك فيه — فليطلب منا بعض اعداد جريدة جمعيتنا ليعلم اننا لسنا كأصحاب تلك الجرائد العثمانية التي كانت تسبح اسم عبد الحميد بكرة وأصيلاراضية أو كازمة ثم صارت قلعة كذلك . ولو كان المنار كذلك الجرائد وصاحبه كأصحابها لما خربت الحكومة بيت آيه ، ونكلت بأهله ومحبيه ، ولولا انه مخلص في مجاده الاستبداد الحميدي لما احتمل ذلك العذاب ، والبلاء في الاموال والأففس والأوقاف ، ورغب عن العاليا والرتب التي عرضت عليه ليكون من المادحين لعبد الحميد . واننا ننشر في هذا الجزء ما نشرته الحكومة الحميدية في جريدة يروت الرسمية من اتهامنا واتهام بعض اخوتنا وأصحابنا بالجنابة والأمر بالقبض علينا احياء أو ميتين . ونرجو من صديقنا ان يترجمه ويفشره مع هذا الرد في جريدته ليقراء من لا يعرف العربية من إخواننا مسلمي الهند

(٢) اننا نحب لظن صديقنا المناظر لنا بعد ان بينا له الحقائق ان مثل مختار باشا وشوكت باشا سيظهر لما على عداوتها لعبد الحميد ضرورة الرجوع اليه ١١ بالله العجب الأظن صاحبنا أنه أعلم بعبد الحميد منها ومن على رأيها من خيال رجال الدولة حتى يظهر لهم انهم هم المخطئون فيكون هو المصيب في غلوه في إطرء عبد الحميد ١١ أيسمح لي صديقي الفاضل ان أسمي هذا الظن غروراً ميتنا مع احترامه وحفظ مقامه ١ هل أعيد له القول البديعي انهم يعرفون جميع عجره وبجره الخفية والجلية وجميع أعماله السرية والجمرية وصديقنا لا يعرف منها الا بعض الظواهر التي برز أكثرها في غير صورته الحقيقية . وهل تكون حجة مختار باشا على عبد الحميد حجة مجاهلة وهو أكبر قواد الدولة الذي بذل دمه مرات كثيرة في سبيلها ؟ وتكون حجة

صاحب جريدة الوطن هي الحمية الصادقة التي يثيرها الانصاف ؟ أي حظ لختار
باشا من عداوة عبد الحميد ؟ ان مرتبه الآن لا يبلغ عشر مرتبه من عبد الحميد وان
ولده كان بمحابة عبد الحميد فريقا من الدرجة الاولى وقد أزل بعد الدستور الى
رتبة أميرالاي ، وختار باشا راض مسرور من خلم عبد الحميد ، أليس هذا برهانا
قاطعا على إخلاصه ؟ فالتنا أيها الصديق يبرهان مثله ثبت انك أشد إخلاصا
للدولة وأعلم بمصالحها منه ؟ ما كان ينبغي لك ان تبعد مثل هذه الاقوال التي
لا يكاد يقل صدورها من عالم مخلص مثلك إلا بذلك التأويل الذي حملت عليه
كلامك من قبل وهو كون اعتقادك حسن حال عبد الحميد صار وجدانا لا يقبل
البحث كدين العاجز ، ومنك يرجى السماح والعفو

(٣) اذا كان قولك ذاك عجا فاعجب منه استدلالك على كونك مصيبا
في اصرارك على رأيتك في عبد الحميد وحكومة الدستور بقول شوكت باشا انه ليس
عنده من الرجال الاكفاء من يكفي لحفظ السلطنة !! ان هذا اكبر حجة لنا عليك
واظهر مبطل لقولك ان عبد الحميد كان يسعى جهد طاقته في تخفيف الجهل والجهل
السائد في السلطنة . لو كان حقا ما تقول لك ان كانت مدة سلطنته كافية لتعقيم الترية
الملية والتعليم النافع وتخريج رجال لا عداد لهم يصلحون للنهوض بجميع أعباء السلطنة .
فان ثلث قرن كاف تربية ثلاث طبقات أو أجيال من الامة . ولكن عبد الحميد
كان والله مفسدا في المملكة عدوا للعلم والتربية نصبرا للجهل والضلالة . وان من
البراهين القاطعة على افساده وتخريبه للدولة وإتيانه لإيها من قواعدها وآساسها ما
قامت به الحكومة الدستورية من تصفية الرتب العسكرية قندين به صدق ما كان عليه
بالاجمال وقوله بالاختصار من ترقية عبد الحميد للضباط والقواد بمحض ارادته محابة
لم لثلا يستخطوا على هدمه لاسر قواعد السلطنة . فالعسكرية التي احدثت الانقلاب
و يدها زمام الأمر هي التي اختارت إزال الجلم النغير من قوادها وأمراتها وضباطها
عن مراتبهم غير على الدولة ومنعنا لهذا الخلل الذي يقضي على الدولة اذا هي وقعت في
حرب مع دولة قوية منظمة . قد خاع عبد الحميد والدولة عاجزة عن محاربة البغار
التي هي قطعة منها ولكن حكومة الدستور أمكنها ان تتلافى الامر بسرعة حتي

استعدت للطوارئ في اقل من سنة وان كان الاصلاح التام لما افسده عبد الحميد لا يتم الا بسنين ، وناهيك باصلاح الاسطول وتعزيزه وقد ظهر للوجود بعد خفائه يا سبحان الله ! البلاد بلادنا والمكاتب والمدارس ومدارسنا ومكتابنا بنيت بأموالنا وهي تحت مواقع ابصارنا والمعلمون والمتعلمون فيها اخوتنا وأولادنا ، ونحن الذين نقول ان عبد الحميد ابطال كثيرا منها وجعل بعضها تحت مراقبة الجواسيس ومنع منها باشاراتهم بعض العلوم وبعض الكتب ثم بعض الآلات والمواد التي تترن فيها التلاميذ على الاعمال في العلوم الطبيعية ، كما منع اكثر الكتب النافعة في الدين والأدب والتاريخ والتربية وغير ذلك واحرقته ألوفا كثيرة من هذه الكتب وحملت الناس بضغطها وظلمها على احراق أكثر مما احرقته هي . وبعد هذا كله يقول صاحب جريدة الوطن ان السلطان عبد الحميد كان باذلا جهده في ازالة الجهل واصلاح حال الأمة بالعلم . ثم هو يعترف معنا بعد ذلك بأن الامة العثمانية ليس فيها (بعد هذا الجهد في تعليمها بزعمه) أناس قادرين على القيام باعباء الحكومة . كيف يفهم هذا ويحم يفسر ؟ ؟ ؟

يعترف صاحب « وطن » بأنه هو وقومه واقفون على ما كان في العهد الحميدي من السيئات ولكنهم لا يلقون عليه التبعة وحده مثلنا كما يدعي بل يقولون إن سبها جهل الامة نعم ان جهل الأمة هو الذي مكن مخالفه من مقاتلها ولذلك كان يكره ان تتعلم وينكل بكل من ينه افكارها والا فليدلوها على ذنب المنار حتي تقي واهله ما لقوا منه ؟ اما اعماله واعوانه على الافساد فانهم كانوا على شاكلة

ومن يربط الكلب العقور يابه فكل بلاء الناس من رباط الكلب ولماذا لا تحرق الكتب الآن ولا يحذف بعض المسائل من نسخها الطالبون كما حذفوا طائفة من كتاب المواقف الذي طبع في عهده بالاستانة ومن كتاب شرح المسيرة في العقائد الذي طبع في مصر فجعلت بعض نسخه كاملة صحيحة وهي ما يباع بمصر وسائر بلاد الدنيا ماعدا البلاد العثمانية وأما بقية النسخ التي ترسل إلى الاستانة وغيرها من الولايات العثمانية فقد حذف منها بعض المباحث لئلا يجمل وقودا للار (٤) تنازل صديقنا من دعوى ترقية عبد الحميد للسلطنة أو اجتهاده في ترقية

في بعض كلامه (وان تناقض مع بعضه الآخر) وجعل حسنة العليا حفظ مركز السلطة وسد الخلل وقول ان هذه الدعوى ممنوعة أيضا فان سد الخلل إنما يكون قبل كل شيء بإصلاح المالية فالدولة التي ليس عندها مال لا تقدر ان تدفع خطرا داخليا ولا خارجيا وهو قد دمر مالية الدولة تدميرا كما هو بدعي لا يقبل المراء . ثم ان الركن الآخر لحفظ المركز هو العسكرية وقد قلنا آفأانه اشتغل في آخر عهده بإفسادها وإن تصفية الرتب العسكرية أقوى برهان على ذلك . فم ان كل ما كان يعمل به عبد الحميد في المشكلات الخارجية هو الحيلة والمواربة والتسويق والترضية للدول بعد ذلك والغرض من هذا كله تأخير سقوط الدولة الى ما بعد موته ليبقى طول حياته متمتعا بنعيمها وان كان أكثره وهما مشوبا بالمنقصات التي لا قبل له بدفعها لأن وسواسه هي مآرأها ومعهدها . ولو طال الهد على تلك السياسة الخرقاء التي لم ينل منها بعض ما يريد الا باختلاف الدول وتنازعها غربت المملكة قد تداخلت أوروبا في ولايات مقدونية وكان ذلك مقدمة لسلخها من الدولة ولولا الدستور الذي أراحنا من سياسته لذهبت تلك الولايات وما ثبتت الاستانة بعدها إلا قليلا . واما مدح الجرائدله فكان بعضه بالثمن وبعضه بسوء النعم وبعضه بالاكراه (٥) قال انه لم يثبت ان عبد الحميد هو مدير الفتنة الأخيرة التي خلعت بها ، ومع هذا نصفه بسفك الدماء ، وقول ان هذا وصف قديم له معروف عند الافرنج الذين يسمونه السلطان الأحمر ، وان الحكومة الدستورية قررت عدم محاكته ولذلك لم تظهر كل ظهرا من دسائسه في الفتنة وغيرها

(٦) سمى صديقي ما عبت به عبد الحميد في سياسته وإدارته ، وما كتبه من وجه العبارة بخلفه ، سبا وشما وقال انه ما كان يليق ذلك بمثلي . وهي غفلة من الصديق ، سبها الغلو في حب عبد الحميد ، فان السب عبارة عن ألفاظ بذية توجه الى شخص لأجل تحقيره وإهائته فقط . وما ذكرناه في عبد الحميد لم يكن كذلك وإنما كان بيانا لحقيقة رجل آذى دولة عظيمة وأمة كبيرة وتقيها لوجه العبارة في سقوطه فهو من قبيل ما في الكتاب والسنة من ذم فرعون وملأه والعبارة بهلاكهم ، ومن قبيل جرح المحدثين لرواة الحديث ، ومن قبيل ما أذن الله به من قول السوء لمن ظلم

بيان ظلم ظالمه وسوء عمله، وبعد الحميد لم يكن ظالماً لي ولا أهلي فقط بل كان ظالماً لنا ولجميع الأمة ما عدا اعوانه على الظلم منها . هذا ما أقوله فيما يتعلق ببدا الحميد وأثبت له حسنة السكة الخبازية وحسنة عدم التصيب لجنسه وكرامته ان يقال ترك وعرب، واما المسائل العامة التي أنكرها علينا صديقنا وأسأل عنها فهذا جوابها بالاجمال الذي يسهل المقام نذكره تابعا بالعدد لما قبله

(٧) من البديهي ان الذين نجب استشارتهم في الامور العامة هم اهل الرأي والمكانة في الامة العارفون بمصالحها والمخبرون رأيهم عند جمهورها المبرعون في القرآن باولي الامر لاجمع افراد الامة . ولم يكن مجلس شورى الدولة مؤديا في عهد عبد الحميد لوظيفة المشاورة الشرعية ولا أعضاؤه من أهل المكانة في الامة ولا من المعروفين عندها وانما يعرفهم من كان يثقه ويثمنهم صلة جواد أو نسب أو عمل . ذلك مجلس قديم العهد في الدولة وقد أفسده عبد الحميد كما أفسد غيره حتى جعله مستودعا لمن يسترضيهم ممن يخشى اشتغالهم بالسياسة وكان أكثرهم لا عمل لهم ولم يكونوا مرجعا له في الامور العامة ولا مستشارين على ان يكون رأيهم معمولاً به قطعا بل كان المجلس ولا يزال ثلاث دوائر احدها للملكية والثانية للتنظيات والثالثة للمعاشات يحاكم فيها كبار الموظفين وكانت الاشارة من اقل رجال المايين او جواسيسه تكفي لإدانة البريء والحكم عليه بأشد العقوبة وعضو السلطان فوق حكم هؤلاء كما انه فوق جميع المحاكم الشرعية والنظامية أهذه هي الشورى المطلوبة في القرآن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل رأي رجالها وان خالف رأيه كإفصل في غزوة أحد التي أنزل عليه فيها (وشاورهم في الامر) ؟ ؟ ياسبحان الله ألمهذا الحد وصلتم في الاتصاف لعبد الحميد ؟ (٨) ذكر صديقنا عدة شبه على قولنا ان حكومة الاسلام حكومة شورى مقيدة ، لا استبداد مطلقة ، وان الخلفاء الراشدين ، لم يكونوا في احكامهم مستبدين ، ونجيب عنها واحدة بعد أخرى :

(الشبهة الأولى) ان صلح الحديبية لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم برأي الصحابة بل كانوا له كارهين في أول الامر وانما قبلوه تدينا لا اقتناعا بقائده كما هو معروف في السير مع انه وقع بعد غزوة أحد التي أمر فيها بالاستشارة . والجواب عنه من وجهين

(التلوج م ١٢) صلح الحديبية بالوحي . أحكام الصديق كلها مقيدة بالشرع ٧١١

(الوجه الأول) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل بعض الاعمال بأمر من الله تعالى فلا يستشير فيها أحداً إذ لا مجال لرأي أحد مع أمر الله تعالى ويجب ان يكون صلح الحديبية من هذا القبيل والا لزم مخالفة النبي (ص) لأمر الله تعالى لإياه بمشاورتهم وذلك غير جائز ، وقد يدل على ذلك قوله تعالى في الرد على كراهة الصحابة لذلك الصلح « فلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » ونسبة ذلك فتحا مينا في أول السورة أيضا ، ولم ياتبه تعالى عليه كما عاتبه على أخذ الفداء من الأسرى يدبر

(الوجه الثاني) قيل ان المشاورة لم تكن واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم وان أمره الله بها للتدب فهو يفعله إذا لم يرغبه أرجح منه . ولأراك تطيب نفسك للقول بأنه (ص) يخالف الأمر الإلهي وان كان للتدب كما تطيب نفسك للقول بأنه فعله بروحي إلهي كما تدل عليه سورة الفتح

(الشبهة الثانية) بعض اعمال الصديق كقتاله لأهل الردة ومانعي الزكاة ، وافتاده لجيش أسامة ، وعدم مواخذة خالد بن الوليد على قتل مالك بن نويرة والقسري بزوجه . وانا نجيب عنها كلها جوابا عاما ثم نجيب عن كل منها بالتفصيل اما الاول فهو ان الحكومة المطلقة هي ما كان الامر فيها للحاكم العام في التشريع والتنفيذ والحكومة المقيدة هي ما كان الحاكم العام فيها مقيدا بشرعية ليس هو الواضع لها إما منزلة وإما موضوعة برأي الأمة ، وإما بعض احكامها منزل وبعضه موكول الى استنباط أولي الأمر من الأمة يضعونه بالمشاورة بينهم — كالشرعية الاسلامية — والتنفيذ في هذه الحكومة لا يحتاج فيه الى الاستشارة متى كان الحكم معروفا عند الحاكم . وكذلك كانت حكومة الراشدين : كانوا اذا وجدوا الحكم في كتاب الله حكوا به او في السنة كذلك فان لم يجدوا جمعوا أهل الرأي من الصحابة واستشاروهم كما روينا ذلك بالاسانيد المتصلة ووردنا بعض ذلك في المنا من قبل وعلى هذا تجري الحكومات الدستورية الآن في اوربا وغيرها : يحكم الحاكم بالقانون فلا تراجع مجلس النواب في كل قضية وإنما يرجعون اليه في المشكلات وما كان غير منصوص في القانون . وقد كان الحكم الشرعي في المسائل المذكورة معروفا

٧١٢ محاربة الصديق لماني الزكاة وافاذه لجيش اسامة (المارح ١٢٩ م)

عند ابي بكر فجاز له ان ينفذها من غير استشارة بل وجب عليه ذلك في اعتقاده
واما التفصيل فقد تأول في قتال ماني الزكاة حديث « امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » فانه جعل من حقها ان ماني الزكاة الهادمين
لركن من اركان الاسلام يقاتلون عليه حتى يذعروا له . وان الفقهاء صرحوا بأن الذين
يمنعون شيئا من شعائر الاسلام ولو مسنونا كالأذان يقاتلون عليه . فهو قد تصدى
لقتال ماني الزكاة عملا بحكم مقرر عنده بالنص ولما راجعه عمر في ذلك وذكر الحديث
قال له « ألم يقل الا بحقها ؟ فالزكاة من حقها » الخ ما قال وهو مشهور فاقنع عمر
بقوله . وهذه المراجعة تدل على انهم كانوا يعارضون الامام اذا تصدى لشيء لم يظهر
لم دليله الشرعي فيه او ظهر لم مخالفته فيه للنص الشرعي

والناس يغلطون في هذا المقام فيخطئون بين محاربة المرتدين وهو بنو حنيفة
اتباع مسيلة الكذاب الذي ادعى النبوة وبين ماني الزكاة وهم غيرهم فحاربة
بني حنيفة كانت باتفاق الصحابة لم يمرض لأحد فيها لإشكال ومحاربة ماني الزكاة
عرض فيها الاشكال لمبرقائه ابو بكر

الحديث الذي دار الكلام عليه بين الشيخين مروى في الصحيحين وقد اخرجاه
بزيادة هي نص في فهم ابي بكر الذي رجع إليه عمر اذ قال « فوالله ما هو الا ان رأيت الله
قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعلت انه الحق » وهذه الزيادة هي « وقيموا الصلاة
ويؤتوا الزكاة » فالخاصل ان أبا بكر عمل بما علم من حديث الرسول في المسألة وذلك
بما لا يحتاج فيه الى الاستشارة وقد اقره الصحابة كلهم على ذلك بعد مراجعة عمر واقتناعه
ولما انفذ أبا بكر لجيش اسامة فهو ايضا تنفيذ لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد
اشار عليه بعض الصحابة أن يرد الجيش فلم يفعل وقال « لأحل راية عقدها رسول
الله صلى الله عليه وسلم » فاحتج بأنه متخذ لأمر الرسول (ص) وكانت المصلحة
فيما فعل . وما يدل على انه لم يكن يرى ان له الحق في رد الجيش طلبه من أسامة
أن يأذن لعمر في البقاء في المدينة لينتفع المسلمون برأيه ولم يمك عمر عنده بما له من
السلطة العامة لأن سلطته في الامور المنصوصة لا تعدو تنفيذ النص الا ان يظهر له

في اتباع النص ما ينافي المصلحة العامة لا مور عرضت تقتضي ذلك فينتد يستشير اولي الامر في العمل بما فيه المصلحة كما فعل عمر في الطلاق الثلاث باللفظ الواحد اذ كان على عهد النبي (ص) وابي بكر (رض) يد طقة واحدة . فرأى عمر بدمضي زمن من خلافة اكار الناس من هذا الطلاق المخالف للسته ومقصود الشريعة فاستشار الصحابة في افاده عليهم عسى ان يتركوه وأنفذه برضاهم والحديث في الصحيح وتقدم الكلام عليه في التفسير وغير التفسير

وأما عدم مواخذة ابي بكر لخالد بن الوليد ابي مقاصته على قتل مالك بن نويرة فهي لا تدل على ان حكومته كانت مطلقة استبدادية اذ ليس في الشريعة نص يوجب القصاص في مثل تلك الحادثة وهي القتل بالتأول في الحرب بل فيها ما يقتضي عدم القصاص فان خالداً نفسه قتل طائفة من بني جذيمة متأولاً فغضب النبي (ص) حتى قال « اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد » كما في الحديث الصحيح ولكنه لم يقتله ولم يوجب عليه دية . وكذلك قتل اسامة رجلاً قال لا إله إلا الله فأنكر النبي (ص) عليه ذلك وقال « يا اسامة أقتله بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قلها ثلاث مرات كما في الصحيحين ولم يقتله به ولا اوجب عليه قوداً ولا دية لانه متأول . وما روي من ان عمر اشار عليه بقتله غاية ما يفيد كما قال ابن تيمية ان المسألة اجتهدية اختلف فيها اجتهد الشيخين ولم يأت عمر بدليل يوجب على ابي بكر الرجوع الى رأيه . والظاهر ان عدم الدية والقود خاص بما يكون من مثل هذا في ايام الحرب واما من قتل معصوماً في أيام السلم متأولاً فتأوله قد ينافي التصد الذي يقتل به ولكنه لا يمنع ايجاب الدية ولا التعزير بحبس او غيره . ولمؤرخي الشيعة وغيرهم اقوال غير صحيحة في مسألة قتل خالد لماك ومنها تسريه بزوجهم غير اعتداد ولا استبراء وليس لهم في ذلك رواية يحتج بمثلاً شرعاً ، على ان قهواء الامة مختلفون في اعتداد مثلاً وليس هذا المقام مما يتسع للغرض في ذلك

(الشبهة الثالثة) عزل الفاروق لخالد من قيادة الجيش في الشام . وتقول إن ذلك حقه وقد بلغه من الاخبار ما أراه ان المصلحة في ذلك . وهذا ما يفعله كل رئيس للمساكر

اولاد ادارة في الحكومات الدستورية ولا يتبعون في اختيار القواد هوى الجند ورضاء قط بل كثيرا ما تقضي السياسة بابعاد القائد عن الجند الذي يشقه ويقتن به لئلا يحدته نفسه بالخروج به على الحكومة وتأسيس دولة جديدة . و يروى ما يدل على ان هذا هو السبب في عزل عمر له وهوانه لما سألته خالد عن ذلك قال خفت أن يبديك أهل الشام . ألم يكن السبب في سفك نابلين لدماء الملايين من البشر هو اقتتان جنوده به حتى انهم عصوا بحكومتهم عند ما أمرتهم بمحاربته بعد رجوعه من جزيرة « ألبا » وكانوا عازمين على ذلك فلما اقبل عليهم بوجهه ودهام الي قتله خروا امامه خاضعين وله . تبين ؟ ؟

(٩) ومن المسائل العامة التي غلط فيها صديقنا صاحب « وطن » ما ذكره في المؤرخين الذين يعتد بأقوالهم والذين لا يمتد بأقوالهم وتعليقهم ذلك على أقوالنا وأقواله في الاقلاب العثماني . والصواب ان المؤرخ الصادق العدل يعتد بروايته عما رآه أو أخبره بنفسه ، وأما ما روي به عن غيره فالعبرة فيه بصحة السند ومتى كان الراوي عدلا قبل قوله ولو فيما يؤيد رأيه ومذهبه كما قبل المحدثون من أهل السنة رواية العدول من المعتزلة والخوارج والشيعه . ثم انه ليس هنا فريقان مختصان بتصيب نحن لاحدما على الآخر وإنما يظهر التصيب من صديقنا لأنه يفضل الحكومة الحميدية الاستبدادية التي سقطت على الحكومة الدستورية التي قامت وبطري عبد الحميد وبنم خلفه وأعوانه فهذا هو التحيز الى فئة . وقد اتهمته (بني غزنه) وغيرها من الجرائد التركية بأنه كان يرجو من عبد الحميد فوق ما ناله من وسام وأنوط وأنه وجد منه كتابة الى المايين يطلب فيها ان يدعى الى احتفال سكة حديد الحجاز ويعطى نفقة سفره الى الحجاز ، وهي معالم في المال والجلاء

أما نحن فاننا رأينا ظلم عبد الحميد في أنفسنا و بلادنا وأمتنا ودولتنا : رأينا المالية منهوبة ، والارض موطوبة ، والاملاك مفضوبة ، والمعارف مفضوبة ، والكتب ممنوعة ، واقتضاء آله سياسية ، والإدارة مدبرة الاستبداد ، والعسكرية قد سرى اليها الوهن والفساد ، والاجانب ينتمصون الارض من اطرافها ، ويسري نفوذهم فيها ، فجاهدنا على قدر صجزنا وضعفنا ، وجاهد غيرنا من الاحرار كل على قدره ، حتى اذا اذن الله بسقوط تلك

الحكومة الجديدة المفسدة ، حمدناه وأظهرنا سرورنا بنصره ، وشكرنا العاملين على الانقلاب مع شكره ، عملاً بمحدث «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» ، ولكننا لم نقدر الحكومة الجديدة ولم نتمصب لها في عمل من الاعمال بل نرشدنا وننتقدنا على خطاياها ومنه ما يرى خبره في هذا الجزء عن قرن الشام ، وعلى قصيرها ومنه انما نقول انها عمل الرجاء وكنا التي سلبها الاستبداد منا ، فلا نقول اننا بلغنا بها أعلى عليين ، وانما نقول انها عمل الرجاء وكنا مما قبلها يا ناسين . فهل من العدل ان يقول صديقنا ان كلامنا لا يعتد به لاننا متحيزون متمصبون ، وان كلامه هو الذي يعتد به لانه يشهد لنفسه انه أوسع علماً وأشد إخلاصاً ؟ قلت من قبل انني أحسن الظن فيه وأقول الآن ان ظني فيه لم يتغير وان أصر على مدح عبد الحميد بعد البيان ، كما يحكم عليه الوجدان ، ولأعد ما ذكرته الجرائد التركية قادحا في إخلاصه ، ولكنني أوقن بأنه لا يعرف من حال الحكومة الجديدة عشر معشار ما أعرف أنا وأمثالي اذ ليس عنده الا سمعيات قليلة يصدق بعضها ويكذب بعضها بحسب فكره ووجدانه ، وأما معلوماتنا فتدخل من ابواب اليقنيات الستة وهي كثيرة جداً . واذا كانت الغيرة على الدولة والاخلاص لما تعذر الموازنة بينهما في أنفسهما فدلناهما فينا أقوى من دلائلها عنده لاننا نحملنا الايذاء والبلاء في أنفسنا وأهلينا وأموالنا وآثرنا ذلك على الاموال والرتب والوسمة ، فهل عنده شيء من مثل هذه الدلائل على حب الدولة والاخلاص لها وهما عمالانكرهما عليه ؟

(٩) احتج مناظرنا على كلمته الشيعة في مولانا وخليفتنا السلطان محمد الخامس ايده الله بروح منه بقول جمعة الأنحاد وشوكت باشا انه لم يترك حوله احد من انصار العهد القديم لا من رجال الملية ولا من الخدم والحشم !!!

انني على كثرة ما انكرت على صاحبي من اقواله وآرائه وحبجه في موضوع مناظرتنا لم ار أغرب من قوله هذا وما كان يحظر في بالي ان يقوله مثله وهو من أهل العلم والسياسة . ان مولانا السلطان محمداً لم تكن له حاشية عظيمة من أهل السياسة الذين يعتمد عليهم فيقال ان إبعاد شوكت باشا أو غيره إياهم عنه واستبدال غيرهم بهم جملة غير قادر على التصرف حتى يصح ان نقول فيه تلك الكلمة المنكرة ، وانما كان حوله جواسيس بعد الحميد اسوأ من أهل السياسة ، بل من أهل الفساد والسعاية ، ولم يكن بثق بأحد

منهم ، وهو الآن يرى جميع الوكلاء وأركان الدولة ومن شاء من غيرهم ويكشفهم بما يريد وكذلك كان جميع السلاطين قبل عبد الحيد لا عمل لهم الا بواسطة حكومتهم ولم تكن حاشيتهم إلا حاشية خدمة ولكن عبد الحيد اسس حكومة الماين ليحارب بها الدولة والامة وقد فعل وظفر زمتهم كان عاقبة امره خسرا

• • •

﴿ ذيل الرد يدخل في باب الاخبار والاراء ﴾

فيما نشر في عدد ٨٦٦ من جريدة بيروت الرسمية التي صدرت في ٢٨ المحرم سنة ١٣٢٤ بالتركية والعربية في اتهامنا بالجناية وجلبنا بالقوة احياء أو ميتين لحكمة الجزاء بطرابلس كما هو معنى « اخذ وكرفت » وهو

(طرابلس شام بدايت محكمه سي جزا)

« دائره سندن »

مصره فرار والمثار هذيائنا منه سنده نشرات خائثانه وملتكتارانه به اجلسار ايتك ماده سندنطولايني مظنون وفرارده بولتان طرابلس شام سنجاغنه تابع قلمون قريه سي اهاليسندن وهذيائنا منه مذكوره صاحب ومحروى محمد رشيد رضا ايله هذيائنا منه مذكوره به دخالت ونشرات وملتكتارانه به اشتراك ايلد كزى ادعاسيله مظنون ومرقوم رشيدك برادوى اولوب موقوف بولتان ابراهيم ادهم وبته مصره فرار وأر باب فسادہ التحاق ايدن ديكر برادرلى أحمد حمدى وحسين وصفي اياه طرابلس شاملى عبد القادر مغرينك حركات خائثانه وملتكتارانه لوندن طولايني اصول محاكمات جزائيه نك مواد مخصوصه سي احكامنه توفيقا طرابلس شام جنائيت محكمه سنده محاكمه لرى اجرا قلنق اوزره جزا قانوننامه هايه نك الى سنجار مجري ماده سي موجبنجه بيروت ولايتى هيئت اتهاميه سمنجه جنائيله اتهام يته قوا ويرلديكندن متهمون مرقومونك هر نره ده كور بولور ايسه طولايني شككه مذكوره توقيفخانه سته تسليملى لازم كله جكي بالمله ضابطه عدليه امور اريئت معلومى اولق اوزره اشبوخذ وكرفت مذكوره ستنك خلاصه سي بيروت سندن غزبه سته درج واعلان اولتمه اوزره تنظيم اولندى .

(من دائرة جزاء محكمة البداية)

د في طرابلس الشام

بما ان محمد رشيد رضا من أهالي قرية اقلون التابعة لواء طرابلس الشام القار
إلى مصر وصاحب ومحرر جريدة المنار الهداية والمظنون عليه بالتجاسر على نشر
مواد الخيانة والمصلحة في الورقة المذكورة وكلا من أخيه ابراهيم آدم الموقوف والمظنون
عليه باشتراكه في تلك القسريات اللعينة وأخويه أحمد حمدي وحسين وصفي وعبد
القادر المغربي من أهالي طرابلس الشام القارين الى مصر أيضا والمتحقيقين بأمر باب
الفساد قد اتهمتهم الميعة الانهامية في ولاية بيروت بالجناية توفيقا للمادة ٥٨ من
قانون الجزاء الهايوني ليحاكوا في محكمة الجناية في طرابلس الشام توفيقا لاحكام
المواد المخصوصة من أصول المحاكمات الجزائية وذلك بالنظر لحركاتهم الجنائية اللعينة
فعلى جميع مأموري ضابطة العدلية ان يلقوا القبض عليهم أينما وجدوا ويسلموهم
لحل توقيف المحكمة المذكورة ولأجل ان يكون ذلك معلوماً عند المأمورين
المذكورين جرى تنظيم هذه المذكرة (اخذ وكرفت) لتنشر خلاصتها في جريدة
بيروت الرسمية .

(الطيب محمد اسماعيل الأجبري الهندي)

زارنا في أوائل هذا الشهر المبارك هذا الطيب فعلمنا منه انه جاء من القدس الشريف وانه
جاء في العام الماضي مع أهله الحجاز فدوا التريفة وأقاموا في مكة المكرمة ثم في المدينة المنورة
عدة أشهر ثم سافروا الى القدس فأقاموا فيها مدة ثم عادوا منها في أواخر الشهر الماضي محرمين
بالعمرة ويسعودون بعدها الى بمبي وهي موطنهم وبلد اقامتهم . وقد كان هذا الطيب يبالغ في جميع
المرضى في البلاد المقدسة بنسب أجره ابتغاء مرضاة الله تعالى وقد كتبوا له شهادات في الحرمين
ختما الجيم الفخري من العلماء والشرفاء وغيرهم وصدقت عليها الحكومة لاسيما في المدينة المنورة
فقال الله تعالى ان يجزيه خير الجزاء ويجهله قدوة صالحة للأطباء

وقد علمنا منه انه ماجاء القاهرة الا لاجل زيارتنا فتشكره ذلك وقد سأناه عن افكار مسلمي
الهند في الانقلاب الهندي وهل يصح ما قيل ان أكثرهم يدينون الآن بالدولة الآن لحسن ظنهم
في السلطان عبد الحميد الخلع . فقال ان في الهند كذا مليوناً من المسلمين أكثرهم لا يعرف السياسة
ولا يهمهم من أمرها شيء قط ولكن الذين يقرؤون الجرائد وقليل ما هم يبقون رأي جرائدهم في ذلك

❖ كتاب التوسل والوسيلة ❖

طبعنا الآن في هذه الايام كتابا خاصا في مسألة التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام وهو الذي قلنا نؤخذ جازا منه في الجزء الثامن ونبذة وجيزة منه في تفسير الجزء السابع، طبعنا اكثره على نفقة السيد محمد حسين نصيف وكيل امانة مكة في جده ومطابقة منه على نفقتنا، ليكون سلاحا في أيدي أنصار السنة، يفرون به ضلالة أهل البدعة، واتنا ندعو أولياء البدعة المنكرين على شيخ الاسلام (كاشيخ النباهي) الى قراءته والرد عليه ان استطاعوا وندعو جمهور الامة الذين يحبون السنة ولكن يخفون عن بعضها من الجاهلون، ويكرهون البدعة ولكن يزينها لأعينهم المتبدعون، أن يقرؤا هذا الكتاب ويوازنوا بين ما اطلعوا عليه من كتب المتبدعين ثم ليدعوا ما ربه وما اتفقوا عليه من كتبهم عز وجل، وستة نفيهم صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة سلفهم الصالحين، وأئمتهم المجتهدين، بين شيخ الاسلام في كتابه هذا معنى الوسيلة في القرآن ومعنى التوسل في لغة الصحابة وعرفهم ومعناه في عرف المتأخرين الذين ادخلوا فيه معنى البدعة، وما هو مشروع منه وما هو مبتدع، وما هو نافع وما هو ضار، وحقق مسألة السؤل ومسألة الدعاء وما يشرع منه وما لا يشرع مع الدلائل من الكتاب والسنة وأقوال السلف وحكمة التشريع - وبين ما يشرع في زيارة القبور وما يمنع، ومسألة الكرامات وشرطها والخوارق التي ينخدع بها الناس فيملكونها كرامة وما هي كرامة - وتكلم عن الاحاديث الواردة في زيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام وفي النهي عن اتخاذ ثنائه وعن اتخاذ عبدا وعن اتخاذ المساجد على القبور وحقق مسألة رواية الحديث الضعيف والعمل به في الفضائل والمناقب وتكلم عن الشفاعة والاستشفاع والاستغاثة والاستعانة بشير الله وبين ما يصح من ذلك وما لا يصح،

ولما كان حديث الاعمى الذي استشفع بالنبي (ص) فشفع له ودعا الله ان يرد عليه بصره فاستجاب دعاءه هو الحديث الوحيد الذي صح سنده في هذا الباب تكلم عنه في عدة ورقات فجمع طرقه وبين جميع رواياته وما صح منها وما لم يصح وحقق ان الصحيح لا يبدل الا على ما هو ثابت مشروع من التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله

عليه وسلم في حياته بطلب الدعاء منه وبين في هذا المقام وفي مواضع أخرى أن ما كان يطلب من النبي (ص) في حياته لا يطلب منه بعد موته وإن كان حياً عند الله تعالى في عالم النيب كما أنه لا يطلب منه غير ذلك مما كان يطلب منه في حال حياته كالدعاء والاستسقاء والعلم واستدلل على ذلك بعدم طلب الصحابة ذلك عند قبره أو مع البعد عنه وبدولهم عن التوسل به في الاستسقاء إلى التوسل بالعباس وغيره وذكر مسألة الاستسقاء في عدة مواضع واجتهاد الصحابة وما انفرد به بعضهم وخالف الجمهور وكوته خطأ لا يؤخذ به

وتكلم عن مسائل الشياطين واضلالها للناس ونشلها لهم وخدمتها لهم واشتباها ذلك بالكرامات وكذا عن الاستغاثة والتعوذ بهم والرقية والعزائم باسمائهم وعن وسوستهم وإغوائهم وسلطانهم على غير المؤمنين

وان القاري يجد في هذا الكتاب من دقائق التفسير ومعاني الاحاديث وأسرار التشريع ما لا يجده في غير كلام المؤلف من العلماء ويجزم بأن ما انفرد به من البيان والتحقيق فيها هو الحق

مثال ذلك كلامه في الدعاء والسؤال والخلف وكيفياتها والفرق بينها وحكمها وحكمة ما يجوز منها وما لا يجوز ومن ذلك معنى كون الدعاء عبادة فلا يدعى غير الله ، والسؤال بالخلق وسؤاله والسؤال بما هو سبب للإجابة كالرحم والعمل الذي يقتضي الإجابة والسؤال بما ليس كذلك كالأمور الأجنبية التي ليست أسباباً وكالدعوات والأشخاص التي لا تدخل لها في السببية وسؤال الله بحق بعض خلقه وهل لأحد حق عليه أم لا ، وبجاه الأنبياء وهل الجاه الذي منحه الله لبعضهم يكون سبباً للإجابة غيرهم اذا ذكره أم لا ، والفرق بين حلفنا وإقسامنا بالخلقوات وبين إقسامه تعالى بها في القرآن وذكر أنواع هذه الاقسام وحكمها الخ

وفي الكتاب تكرر لبعض المسائل يذكر المسألة ثم يعيدها بالمناسبة والمصنف يعتمد لذلك لعله أن هذه المسائل التي أخطأ فيها كثير من الناس حتى أدى ببعضهم إلى الشرك الأصغر أو الأكبر لا تنجلي وتستقر في الأذهان الا بذلك

صفحات الكتاب مثنان وثمسة مئة قروش صحيحة وأجرة البريد قرش صحيح

﴿ قن ومضان ، في دمشق الشام ﴾

يقول أحد الدمشقيين البارزين ان لاهل دمشق في كل رمضان فتنة يلحون بها فذا أوثك الشهر ان ينقضي بنير فتنة حاص مجبو الفتى ثم يسمون في اثاره فتنة صغيرة أو كبيرة بقدر الامكان وتقول ان كبري فتنتهم الرمضانية ثلاث متشابهة في ثلاث : في تدبير أكابر الحشوية المستبدين لها ، وفي جبل مبدأها الانتقام من بعض الاحرار طلاب الاصلاح ، وفي كون الغاية منها التشكيل بمجاعة مروفة ذنها عند أولئك الاكابر انها تكره الاستبداد وأهله ، ونجب الاصلاح وتعمل له (الفتنة الأولى) هي التي آثاروها على السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من بصر ستين لانه ألف رسالته المشهورة (الفقه والتصوف) وكانوا يريدون قتله وقتل من أشرنا اليهم من محبي الاصلاح ولكن الحكومة الحميدية سبقت وعينها المخلصة الى الانتقام منه وامره مشهور (الفتنة الثانية) هي التي آثاروها على كاتب هذه السطور في أواخر رمضان السنة الماضية وهي مشهورة ، وقد ضمنت الحكومة الدستورية عن مداركتها بما يربى متيري الفتن ، ولذلك نشرها بعدها جمية « ولقان » التي قامت على الدستور ولو نجحت تلك الجمية في الاستانة لكانت دمشق استانة ثانية لها بتدبير أكابر المجرمين في الباطن وأصاغهم في الظاهر كالشيخ صالح المغربي والشيخ عبد القادر الخطيب اللذين كانا يقولان اقتلوا هؤلاء الدستوريين أو الواهية فاتهم ٥٠ رجلا (الفتنة الثالثة) ما آثاروه في هذا العام على محمد افندي كرد علي صاحب جريدة المقتبس أولا ثم على سائر أعدائهم الذين أشرنا اليهم ، وقد علمنا انهم ألفوا جمية للانتقام من الاحرار والمصلحين وانهم بدأوا بصاحب المقتبس لانه شدد التكبر في جريدته على أعداء الدستور ومتيري فتنة رمضان الماضي فاتهم أولا بمشايمة جمية « ولقان » على الدستور ففتشت الحكومة مطبعته وادارته ولم تثبت عليه في التحقيق شيء فعلموا ان هذه التهمة لا تسمع في مثله فتهوم وسائر الاحرار ومحبي الاصلاح اللذين كانوا يضطهدونهم في زمن الاستبداد بالسي الى « الخلافة الربية » وهي الكلمة التي كانوا هم واضراهم ينتقمون بها ممن شاؤا في العصر الحميدي

أما كرد علي فرجل كان وما زال يكره الاستبداد وقد أصابه شره ففر الى مصر وكان فيها يبدأ عن السياسة وأهلها وقد دعواته أكثر من مرة للدخول في جمية البثوري الثمانية فأبى وهو لا يخلو من غرارة وسذاجة فأما هو والله بأهل للسياسة ولذلك يسقط من قلمه وينشر لغيره ما يمكن ان يمدد الدود شبهة على سوء قصده وما هو بالسيء القصد ، ومن ذلك انه كتب عن بلاغ شيخ الاسلام عبارة فيها من بعض الناس تشع بأن الدولة الثمانية ليست دولة خلافة فأخطأ بذلك واعترف بخطئه في اليوم الثاني ولكن الحكومة بادرت الى الحكم عليه بالجنابة وبإبطال جريدته ومطبعته فجرأ ذلك متيري الفتى في كل زمن على سائر الاحرار فوشوا بهم واتهموه المتهمون الآن بالخلافة الربية الوهمية هم أخلص المخلصين للدولة والملة في الشام فتهم أهمل العلماء كاليطار والتاسمي وأشهر الاحرار كعبد الرحمن بيك اليوسف وكرد علي ومنهم جمية النهضة السورية وهم احدث لا يرفعون السياسة. فذا كانت حكومة الدستور نهينا مثال هؤلاء باغراء الرجيين متيري الفتى أقلنا تكون الحكومة الحميدية خيرا منها وأعدل اذ كانت تعلم انهم أعداؤها ولم ينلهم منها الا المراقبة وتفتيش الكتب؟ اعقلوا أيها الحكماء وتبصروا وأقيموا الدستور بالقسط والا كانت العاقبة خطرا على الدولة والامة وقد قال الرسول (ص) « اذا اجتبي الأمير الربية في الناس أقدمهم » رواه أبو داود

المسحاة

١٣١٥

يُهرى حادى القين يستون القول فيسوداً حة
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتى الحكمة من يشاء من يؤتى الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يملك إلا أن يحوّل الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام سوى و « منارا » كنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الجمعة سلخ شوال ١٣٢٧ - ١٢ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩٨٥م ١٩٠٩م ﴾

الصوفية والفقراء (*)

﴿ فتوى لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ﴾

مسئلة عن الصوفية وأنهم أقسام والقراء أقسام فاصفة كل قسم وما يجب عليه ويستحب له ان يسلكه ؟

الجواب : الحمد لله أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد قل التكلم به عن غير واحد من الائمة والشيخ كالامام احمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما وقد روى عن سفيان الثوري انه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري وتنازعو في المعنى الذي أضيف اليه الصوفي فانه من اسماء النسب كالقرشي والمدني وأمثال ذلك قيل انه نسبة الى أهل الصفة وهو غلط لانه لو كان كذلك قيل صَفِيٌّ وقيل نسبة الى الصف المقدم بين يدي الله وهو أيضا غلط فانه لو كان كذلك قيل صَفِيٌّ وقيل نسبة الى الصفة من خلق الله وهو غلط لانه لو كان كذلك قيل صفوي وقيل نسبة الى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم بنسب اليهم النسك وهذا وان كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ فانه ضعيف أيضاً لان هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر الناسك ولانه لو نسب الناسك الى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى ان يكون مضافاً الى قبيلة في الباطنية لوجودها في الاسلام وقيل وهو المعروف انه نسبة الى لبس الصوف فانه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بين دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة

﴿ المنار : نشر هذه الفتوى ليملم الذين يقلدون ابن حجر وغيره في قولهم ان ابن تيمية كان يتكلم على الصوفية حق هذا القول من باطله ومنها يعلمون ان الرجل يؤذ كل شيء بميزان الترمح وسيرة السلف الصالح

والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الامصار ولهذا كان يقال لله كوفي وعبادة بصرية وقد روى ابو الشيخ الاصمغاني باستاده عن محمد بن سيرين انه بلغه ان قوما يفضلون لباس الصوف فقال ان قوما يتخبرون الصوف يقولون انهم متشبهون بالمسيح بن مريم وهدى بنينا أحب الينا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره أو كلاماً نحو من هذا ولهذا غالب ما يحكي من المبالغة في هذا الباب انما هو عن عبادة أهل البصرة مثل حكاية من مات أو غشي عليه في سماع القرآن ونحوه كقصّة زرارّة بن أدّ في قاضي البصرة فانه قرأ في صلاة الفجر « فاذا قرئ في الناقور » فخرميتا وكقصّة ابي جبير الاعمى الذي قرأ عليه صالح المري فات وكذلك غيره ممن روي انهم ماتوا باسماع قرائته وكان فيهم طوائف يصمقون عند سماع القرآن ولم يكن في الصحابة من هذا حاله فلما ظهر ذلك انكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبدالله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم والمنكرون لم يأخذوا منهم من ظن ذلك تكلفاً وتصنعاً: يذكر عن محمد بن سيرين انه قال ما يتأتون بين هؤلاء الذين يصمقون عند سماع القرآن ان يقرأ على أحدهم وهو على حائط فان خر فهو صادق ومنهم من أنكر ذلك لانه رآه بدعة مخالفاً لما عرف من هدي الصحابة كما قل عن أسماء وابنها عبدالله والذي عليه جمهور العلماء ان الواجد من هؤلاء اذا كان مغلوباً عليه لم ينكر عليه وان كان حاله الثابت أكل منه ولهذا لما سئل الامام أحمد عن هذا قال قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القحطاني فغشي عليه ولو قدر أحد ان يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد فما رأيت أعقل منه ونحو هذا وقد قل عن الشافعي انه أصابه ذلك وعلى بن الفضل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه لكن الاحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن وهي وجل القلوب ودموع العين واقشعار الجلود كما قال تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلى عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » وقال تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تالين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال تعالى « اذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبُكياً » وقال « واذا سمعوا ما نزل الى الرسول نرى أعينهم

تفيض من الدمع بما عرفوا من الحق » وقال « ويخرون للاذقان يكون ويزيدهم خشوعا » وقد يذم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والربن عليها والجفاء عن الدين ما هو مذموم وقد فعلوا، ومنهم من يظن ان حالم هذا كل الاحوال وأتمها وأعلاها وكلا طرفي هذه الامور ذميم

بل المراتب ثلاث احدا حال الظالم لنفسه الذي هو قاسي القلب لا يلين للسماع والذكر وهؤلاء فيهم شبه من اليهود قال الله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » وقال تعالى « ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد قست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »

والثانية حال المؤمن التقي الذي فيه ضعف عن حمل ما برد على قلبه فهذا الذي يصعق صعق موت أو صعق غشي فإن ذلك انما يكون لقوة الوارد وضعف القلب عن حمله وقد يوجد مثل هذا فين يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية يقتله ذلك أو يمرضه أو يذهب بقله . ومن عباد الصور من أمرضه العشق أو قتله أو جنته وكذلك في غيره ولا يكون هذا الا لمن ورد عليه أمر ضعفت نفسه عن دفعه بمنزلة ما برد على البدن من الاسباب اني تمرضه أو قتله أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك فاذا كان لم يصدر منه تعريض ولا عدوان لم يكن فيه ذنب فيما أصابه فلا وجه للرية كما سمع القرآن السماع الشرعي ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك وكذلك ما برد على القلوب بما يسمونه السكر والنشأ ونحو ذلك من الامور التي تنيب العقل بغير اختيار صاحبها فانه اذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا فان السكران بلا عيب وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الحمر والحشيشة فانه يحرم بلا نزاع بين المسلمين ومن استحل السكر من هذه الامور فهو كافر وقد يحصل بسبب محبة الصور وعشقها كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران

(التأرجح ١٢١٠) السكر عند الصوفية وحكم زوال العقل بسبب مباح أو محرم ٧٤٩

وهذا مذموم لأن سببه محظور وقد يحصل بسبب سماع الاصوات المطر بالتالي توتر مثل هذا السكر وهذا أيضا مذموم فإنه ليس للرجل ان يسمع من الاصوات التي لم يؤمر بسماعها ما يزيل عقله اذ ازالة العقل محرم ومتى أفضى اليه سبب غير شرعي كان محرما وما يحصل في ضمن ذلك من لثة قلبية أو روحية ولو بأمر في أنواع من الايمان فهي ممنوعة بما يحصل منها من زوال العقل ولم يأذن لنا الله ان نمنع قلوبنا ولا أرواحنا من لذات الايمان ولا غيرها مما يوجب زوال عقولنا بخلاف من زال عقله بسبب مشروع أو بأمر صادفه لاجلته له في دفعه وقد يحصل السكر بسبب لافضل للبعد فيه كسجاع لم يقصده بهيج قاطنه ويمررك ساكنه ونحو ذلك وهذا لا ملام عليه فيه وما صدر عنه في حال زوال عقله فهو فيه معذور لأن العلم مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم كالمنفى عليه والمجنون ونحوهما ومن زال عقله بالخرق فهل هو مكلف حال زوال عقله ؟ فيه قولان مشهوران وفي طلاق من هذه حاله نزاع مشهور ومن زال عقله بالبنج يلحق به كما يقوله من يقوله من أصحاب الشافعي واحمد وقيل يفرق بينه وبين الخمر لأن هذا يشتهي وهذا لا يشتهي ولهذا اوجب الحد في هذا دون هذا وهذا هو المنصوص عن احمد ومذهب ابي حنيفة

ومن هؤلاء من يقوى عليه الوارد حتى يصير مجنوناً إما بسبب خلط يغلب عليه وإما بغير ذلك ومن هؤلاء عقلاء المجانين الذين يمدون في التناك وقد يسمون المولجين قال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم الهم وأسقطوا بقى أحوالهم فلهذا الحال التي يتفرق بها الفتنى أو الموت أو الجنون أو السكر أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك اذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقا عاجزا عن دفعها كان محموداً على ما فعله من الخير وما ناله من الايمان معذورا فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره وهم كل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص ايمانهم وقسوة قلوبهم ونحو ذلك من الاسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله وأفعلى ما يكرهه الله ولكن من لم يزل عقله مع انه قد حصل له من الايمان ما حصل لهم أو مثله أو كل منه فهو افضل منهم (*) وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم وهو حال نبينا صلى الله

عليه وسلم فانه أسري به الى السماء وأراه الله مأواه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله فخاله أفضل من حال موسى صلى الله عليه وسلم الذي خر صقلا لما تجلى له به للجبل وحال موسى حال جليلة عليّة فاضلة لكن حال محمد صلى الله عليه وسلم اكل واعلا وافضل . والمقصود ان هذه الامور التي فيها زيادة في العبادة والاحوال خرجت من البصرة وذلك لشدة الخوف فأت الذي ذكرته من خوف عتبة الغلام وعطاء السليبي وامثالهما امر عظيم ولا ريب ان حلهم اكل وافضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم او تفضل عليهم ومن خاف الله خوفا مقصدا يدعو الى فعل ما يحبه الله وترك ما يكره الله من غير هذه الزيادة فخاله أكل وافضل من حال هؤلاء . وهو حال الصحابة رضي الله عنهم وقد روي ان عطاء السليبي رضي الله عنه رومي بعد موته قيل له ما فعل الله بك ؟ فقال قال لي يعطاء ، أما استجيت مني أن تخافني كل هذا أما بلفك اني غفور رحيم .

وذلك ما يذكر عن أمثال هؤلاء من الاحوال من الزهد والورع والعبادة وأمثال ذلك قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة رضي الله عنهم وعلى ماسنة الرسول أموراً توجب ان يصير الناس طرفين قوم يذمون هؤلاء وينقصونهم وربما أسرفوا في ذلك وقوم يغلون فيهم ويجعلون هذا الطريق من اكل الطرق وأعلاها والتحقيق انهم في هذه العبادات والاحوال مجتهدون كما كان جيرانهم من اهل الكوفة مجتهدين في مسائل القضاء والامارة ونحو ذلك وخرج فيهم الرأي الذي فيه من مخالفة السنة ما انكره جمهور الناس وخيار الناس من اهل الفقه والرأي في اولئك الكوفيين على طرفين قوم يذمونهم ويسرفون في ذمهم وقوم يغلون في تمظيمهم ويجعلونهم اعلم بالفقه من غيرهم وربما فضلوهم على الصحابة كما ان الغلاة في اولئك العباد قد فضلوهم على الصحابة وهذا باب يترق فيه الناس

وانصواب للمسلم ان يعلم ان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وخير القرون القرن الذي بعث فيه وان افضل الطرق والسبل الى الله ما كان عليه هو واصحابه ويعلم من ذلك ان على المؤمنين ان يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسمهم كما قال الله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا

(المنازع ١٢١٠) بيان ان الصلابة اكمل المسلمين . للتصوف حقائق واحوال ٧٥١

أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقال « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وإن كثيرا من المؤمنين المتقين اولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والايمان ما حصل للصلابة فيجني الله ما استطاع ويعطيه بحسب اجتهاده فلا بد ان يصدر منه خطأ اما في علومه واقواله واما في اعماله واحواله ويثابون على طاعتهم وينفرد لهم خطاياهم فان الله تعالى قال « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير — الى قوله — ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا » قال الله تعالى قد فعلت . فمن جعل طريق احد من العلماء والعقلاء أو طريق احد من العباد والناسك افضل من طريق الصلابة فهو مخطي . ضال مبتدع ومن جعل كل مجتهد في طاعة اخطأ في بعض الامور مذموما ميامم قوتا فهو مخطي . ضال مبتدع .

ثم الناس في الحب والبغض والموالاة والمعاداة هم ايضا مجتهدون يصيرون تارة ويخطئون تارة وكثير من الناس اذا علم من الرجل ما يجبه احب الرجل مطلقا واعرض عن سيئاته واذا علم منه ما يفضيه أبفضه مطلقا واعرض عن حسناته محاطا (٩) وحال من يقول بالتحافظ (١٠) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع وهو ان المؤمن يستحق بوعده الله وفضله الثواب على حسناته ويستحق العقاب على سيئاته وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه وما يحمده عليه وما يذم عليه وما يحب منه وما يفيض منه فهذا هذا .

واذا عرف ان منشأ التصوف كان من البصرة وانه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم مما له فيه اجتهاد وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف قليل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به لكن أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال

ثم التصوف عندهم له حقائق واحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر ، واستوى

عنده الذهب والحجر، التصوف كتمان المعاني ، وترك الدعاوي، واشباه ذلك. وهم يسبرون بالصوفي الى معنى الصديق وأفضل انطلق بعد الانبياء الصديقون كما قال الله تعالى ء أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ولهذا ليس عندهم بعد الانبياء أفضل من الصوفي لكن هو في الحقيقة انواع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي جتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذا الطريق كما يقال صديقو العلماء وصديقو الأشراف فهو أنخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فاذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين انهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة انهم صديقون أيضا كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم فعم من أكل صديقي زمانهم وان الصديق في العصر الاول أكل. منهم والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الاحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وان كان غيره في غير ذلك الصنف أكل منه وأفضل منه .

ولاجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا انهم مبتدعون خارجون عن السنة وتقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام ، وطائفة غلت فيهم وادعوا انهم أفضل انطلقوا كلهم بعد الانبياء وكلا طرفي قصد الامور ذميم والصواب انهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله فبعض السابق السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أولا يتوب ومن المنتسبين اليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد اتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا فان أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد محمد سيد الطائفة وغيره كما ذكر ذلك الشيخ ابو عبد الرحمن

السلمي في طبقات الصوفية وذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد .
فهذا أصل التصوف ثم انه بعد ذلك تشعب وتنوع وصارت الصوفية ثلاثة أصناف
صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسم فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم وأما
صوفية الارزاق فهم الذين وقف عليهم الوقوف كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن
يكونوا من أهل الحقائق فان هذا عزيز واكبر أهل الحقائق لا يتصدون بلوازم الخوانك
ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط احدها العدالة الشرعية بحيث يؤمنون بالفرائض
ويجتنبون المحارم والثاني التأدب بأدب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية في غالب
الاقوات واما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت اليها ، والثالث ان لا يكون احدهم
متمسكا بفضول الدنيا فاما من كان جماعا للمال أو كان غير متخلق بالاخلاق الحمودة
ولا يتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقا فانه لا يستحق ذلك . وأما صوفية الرسم فهم
المقصرون على النسبة فهمهم في اللباس والاداب الوضعية ونحو ذلك فهو لا في الصوفية
بنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من اقوالهم واعمالهم بحيث
يظن الجاهل حقيقة أمره انه منهم وليس منهم

واما اسم الفقير فانه موجود في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكن
المراد به من الكتاب والسنة الفقير المعادل للفتي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (؟)
والفقراء والفقراء فنه المسوخ لاخذ الزكاة وضده الفتي المانع المحرم لاخذ الزكاة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تحمل الصدقة لفتي ولا تقوي مكنسب » والفتي
الموجب للزكاة غير هذا عند جمهور العلماء كمالك والشافعي واحمد وهو ملك التصاب
وعندهم قد يجب على الرجل الزكاة ويباح له اخذ الزكاة خلافا لابي حنيفة والله
سبحانه قد ذكر الفقراء في مواضع لكن ذكر الله الفقراء المستحقين للزكاة في آية
والفقراء المستحقين للفتي في آية فقال في الأولى « ان تبدوا الصدقات فنعمنا هي
وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم » الى قوله — الفقراء المهاجرين الذين
احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف تصرفهم بسبهم لا يسألون الناس إلحافا » وقال في الثانية « ما افاء الله على

(المناج ١٠) (٩٥) (المجلد الثاني عشر)

رسوله من اهل القرى - الآية الى قوله - للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون ، وهؤلاء الفقراء قد يكون فيهم من هو افضل من افضل من كثير من الاغنياء، وقد يكون من الاغنياء من هو افضل من كثير منهم وقد تنازع الناس ايما افضل الفقير الصابر او النبي الشاكر والصحيح ان افضلها اتقاهما فان استويا في التقوى استويا في الدرجة كما قد بيناه في غير هذا الموضع فان الفقراء يسبقون الاغنياء الى الجنة لا حساب عليهم ثم الاغنياء يحاسبون فمن كانت حسناته ارجح من حسناته فقير كانت درجته في الجنة اعلى وان تأخر عنه في الدخول ومن كانت حسناته دون حسناته كانت درجته دونه لكن لما كان جنس الزهد في الفقر اغلب صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد وهو من جنس التصوف فاذا قيل هذا فيه فقر او مافيه فقر لم يرد به عدم المال ولكن يرد به ما يراد باسم الصوفي من المعارف والاحوال والاخلاق والآداب ونحو ذلك وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعا ايما افضل الفقير او الصوفي فذهب طائفة الى ترجيح الصوفي كابني جعفر السهروردي ونحوه وذهب طائفة الى ترجيح الفقير كطوائف كثيرين وربما يختص هؤلاء بالزوايا وهؤلاء بالخوانك ونحو ذلك واكثر الناس قد رجحوا الفقير والتحقيق ان افضلها اتقاهما فان كان الصوفي اتقى الله كان افضل منه وهو ان يكون أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه فهو افضل من الفقير وان كان الفقير أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه كان افضل منه، فان استويا في فعل المحبوب وترك غير المحبوب استويا في الدرجة ، واولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمي احدهم فقيرا او صوفيا او قبيحا او عالما او تاجرا او جنديا او صائغا او اميرا او حاكما او غير ذلك

قال الله تعالى «ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل ما قترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتي أحبه فاذا أحبته كنت مقربا اليه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي

بها، في يسم وبي يعصروبي يطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطيته ولئن استأذ بي لأعيزته وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددني عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه، وهذا الحديث قديين فيه أولياء الله المقتصدين أصحاب اليمين المقرين والسابقين ، فالصنف الاول الذي قرءوا الى الله بالفرائض والصنف الثاني الذي قرءوا اليه بالتوافل بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يقرءون اليه بالتوافل حتى أحبهم كما قال تعالى وهذان الصنفان قد ذكركم الله في غير موضع من كتابه كما قال « ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » وكما قال الله تعالى « ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون » نعرف في وجوههم نضرة النعيم » يسقون من رحيق مخموم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقرءون » قال ابن عباس يشرب بها المقرءون صرفا ونمزج لاصحاب اليمين مزجا قال تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلا » عينا فيها تسمى سلسيلا » وقال تعالى « وأصحاب المينة ما أصحاب المينة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقرءون » وقال تعالى « فلما ان كان من المقرئين فروح وريحان وجنة نعيم » واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين »

وهذا الجواب فيه جل يحتاج الى تفصيل طويل لم يتسع له هذا الموضع والله اعلم

﴿ الشعة والمسلمون ﴾

سئلنا عن قولنا في الباية انهم ليسوا من الشعة ولا من المسلمين ألا يفيد هذا القول ان الشعة أيضاً ليسوا بمسلمين ؟ قلنا : لا بل هذا من باب المقابلة بين العام والخاص لما هو معلوم عند قراء النار وغيرهم من كون الشعة مسلمين والقاعدة انه اذا قيل الخاص بالعام يراد بالعام ما وراء الخاص فاذا قلت ان فلانا ليس بسوري ولا عثماني كان المراد بلفظ العثماني ما يشمل غير السوريين من العثمانيين ولا يدل على ان السوري ليس بعماني . فلما كانت الشعة فرقة من المسلمين وثقينا ان تكون طائفة الباية منهم وان ظهرت فيهم كان لظان ان يظن ان الباية ربما خرجت من مذهب الشعة بخالفته في المسائل التي كان بها مذهبا خاصا فقط وبقوا على اصل عقائد الاسلام التي لا خلاف فيها بين الشعة وغيرهم قبينا ان ذلك ايضا غير صحيح وانهم ليسوا من المسلمين مطلقا

مكة المكرمة (*)

﴿ والجرائد العربية ﴾

ان لدينا اليوم حكومة مهمة مالمكة لجميع حقوقها المدنية ومركزنا السياسي وموقعنا الجغرافي لا يضاهيه مركز ولا يضارعه موقع وفي يدنا نعمة عظيمة تقدر بنم الدنيا كلها وهي نعمة « الخلافة » على الأمم الاسلامية كلها نحن أرقى الجميع في العلم والعرفان فلماذا لا تتأثر من النذل الذي يلحق اخواننا في بخارى ؟ لماذا نظل فاقدى الشعور امام المصائب التي تنزل باخواننا في مراكش ؟ ألم يكننا أننا نسفلنا إلى درجة كدنا نفضحل فيها بالتعلل بلفظ « لا بصير » و « ما بيننا » ؟

ألم يكف باننا قد جعلنا تحت الارض قيد النذل والاسر مئآت الملايين من اخواننا في الدين بسبب عدم التفاهم ؟

هل نحن واقفون على الحالة السياسية والضعفية الموجودة فيها إخواننا المسلمون في أستراليا وفي جاوة ؟ هل نحن مطلعون على طرز ادارة المسلمين في الصين وأحوالهم المعاشية ؟ لا نذهب بعيداً ، هل نحن على علم تام بمصائب متاخينا ومجاورينا الايرانيين ؟ أو على الملم بذل القفقاسيين ؟ أو سفالة القرميين ؟ أو سياسة الصربيين ؟ أو سائر أحوال غيرهم من المسلمين ؟

لنترك هؤلاء أيضاً . هل نذرنا لاقاذ جزيرة العرب التي تبلغ ثلاثة اضعاف بلاد البقار من الجمل الحجم عليها منذ قرون ؟

أليس ذلك عاراً علينا ؟ ان امهاتنا لهذه الدرجة بما تحمار له عقول ذوي العقول ؟ أيها المؤمنون ما هذه الغفلة ؟ أيها المسلمون ما هذا الاهمال ؟ لماذا بقينا متخاذلين متشتتين ؟ لماذا وصلنا الى هذه الدرجة من الخيرة ؟

* / مقال محمد عالم افندي من كتاب التذك وعلمئيه نشر في مجلة « حراط مستقيم » التي تصدر في الاساتنة وقد نشر مترجماً في مجلة التراس وخمس جريدة شديد وعنها أخذنا

ان سكوتنا هذا يجعله الجاهلون على المسكنة المتأصلة بفطرتنا والمفسدة الموجودة في ديننا « حاشا ثم حاشا »

قد وصلنا الى درجة من الجهل أصبحنا بها نسمع ألقاظ العداء من لسان الوداء، لا من لسان الاعداء ، حتى أصبحنا عرضة لامثال هذه الاقوال اللثيمة : « أي شيء رقاء المسلمون ؟ بل أي شيء أمكن للمسلمين ان يرتقوا به ؟ »

هنا يتهاافت اخواننا وبنو قومنا بدون ان يصلوا فكرتهم الى القول بان أوربا تحارب الدين غير عالين كيف تحارب أوربا الدين وأي دين تحارب ! فيعقون بأشراك الشبهات والاضاليل غير متفكرين بمرامي كلامهم وما يجره من الرزايا والكوارث ومتخيلين ان الترقى الحاضر لم ينشأ الا عن محاربة الدين !

أليس القول : بأي شيء ارتقى المسلمون ؟ يرمي الى ان الاسلام مانع من التمدن ؟ ؟ تالله ان البلاءه الموجودة عندنا هي من الغرابه بمكان ، ان قائل هذا القول يعلم يقينا ان الاندلس وبنداد كانتا منبعا للتمدن الأوروبي الحالي ، ومصدرا للعلم الحاضر ، فهل كان الدين الاسلامي في ذلك الحين غير الدين الاسلامي اليوم ؟ فما هذا التناقض !

كيف يمكن ان تكون شريعتنا الاسلامية وهي جامعة لقواعد الارتقاء والتمدن حاجزا في طريق الترقى ؟

ان نظرة سطحية الى احكام الدين الاسلامي تكفي لأن يبين منها بانها أساس متين للارتقاء ونظام مكيّن للعلاء

نعم نحن نفتخر بان المسلمين لهذا العهد قد وصلوا الى درجة من الامتنان والازدراء بحيث لو ادعوا وهم على حالتهم الحاضرة بانهم مرقون لاصبحوا سخرية ، لكن في هذه الحالة لا يجب ان نقى الذنب عليهم لكونهم مسلمين ، بل يجب ان نقى الذنب عليهم لكونهم غير مسلمين حقيقة ، وما ذاك إلا لانهم لم يصلوا بالاحكام الاسلامية على وجوها ، بل خالفوا الشرع ونبذوا الامور الإلهية وراء ظهورهم ، والا فان الاندفاع الى إنكار سماحة الدين الاسلامي وتساوله مع العلم

والارتقاء استنادا على جل بنه هو أشبه بالاستدلال على حسن رجل أو قبحه من
خيوط شعره الموجودة في اليد

إن الدين الاسلامي يأمرنا بالاجتماع في محل واحد خمس مرات في النهار ولا
ريب ان هذا الاجتماع يرمي الى كثير من المعاني الدقيقة والاشارات الرقيقة شأن
الاورام والنواهي الاسلامية كلها

أيها القوم ! يجب علينا ان نجتمع ، يجب علينا ان يرى بعضنا بعضا ، يجب على
كل منا ان يبحث عن الآخر ، يجب علينا ان نسأل عن المتخلف عن الحضور يجب ان
نعلم ما هي حالته ، أو ما الذي دعاه الى التخلف ، فإذا كان ثمة من كرب أو كارثة
فلنجهد بآزالة كرب ، فانا بهذا العمل نكون متعاونين على البر ، بل نكون جددا
أفحادنا واثقانا في كل وقت ، والا فلو كانت الغاية من الصلاة جماعة هي نفس
الصلاة لكانت صلاة الانسان في أي محل يستسهل ممدوحة ومباحة عملاً بقوله
تعالى « ما جعل عليكم في الدين من حرج »

إن صلاة الجماعة كما تكون وسيلة حسنة لاجتماع أهالي محلة واحدة وسببا
لتعارفهم واثقافهم في كل يوم خمس مرات تكون لاهل البلدة كلها في جامع واحد في
الاجتماع لصلاة الجمعة ولذلك اختلف في جواز صلاة الجمعة في جامعين في بلدة واحدة
واجتماع الناس في صعيد واحد يتسنى به للخطيب ان يلقي عليهم المواعظ
والنصح ويطلمهم على الشؤون الاسلامية بصورة إجمالية

نم ان الدين الاسلامي قد أمر باجتماع آخر أعم وأشمل وأكثر تأثيرا وهو
اجتماع أغنياء المسلمين في العالم في صعيد واحد كل سنة

وعليه فان أغنياء المسلمين النافذي الكلمة من كل مملكة وكل بلدة يجتمع
بعضهم ببعض مرة في العمر على الأقل في محل عينه الشارع وجعل شد الرحال اليه
فرضا وهناك يتفاوضون مع سفراء اخوانهم في الدين ويتسارفون ويتعرفون شئون
اخوانهم انثائين ومن الحكمة في هذا الفرض انه جعل فرضا على الآباء والابناء على
السواء فاذا حج الوالد فلا يسقط عن الولد

يجتمع المسلمون في هذا الموقف في الوقت المبين فيمتزجون ويقبأحون فيما

يعود عليهم بالنفع ويفكرون في الوسائل التي تجعلهم جسدا واحدا إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بل يجعلهم يقرون على خطة يسرون عليها سعيًا وراء كل ما يرمون اليه من الآمال الكيرة

الاجتماع في الحج واقتداء مئات الالوف بإمام واحد وقت الصلاة يصور للمسلمين الاتحاد مجسما . الاجتماع في الحج يجعل المسلمين مطلعين على شئون مجموعهم في كل حين . الاجتماع في الحج يجعل أمل المسلم في طنبه هو نفس أمل المسلم في كثير ويجعل ما يشعر به « أحمد » في القرآن يشعر به « محمد » في الترغيبات أيها القوم ! أليس من الأسف ان تكون أوامر ديننا بهذه الدرجة العالية من الحكمة ونحن نداء الصلوات الخمس فضلا عن اداء فريضة الجمعة والحج أشبه بعمل زائد ؟

من منا يهتم بشأن الصلاة ؟ على انا وان صلينا فانا نعد الذهاب الى الحامع عملا لا لزوم له !

أيها القوم ! لنفكر بانصاف : اذا كنا نحن لانهم بأمر الاجتماع الذي يأمر به الدين فهل يكون الذنب على الدين أم على أهل الدين ؟ ؟ نعم ان دور الاستبداد كان يمنعنا عن التصريح بأمثال هذا الكلام بل كان يمنعنا عن التفكير به . اما اليوم فانه لا يقف بوجهنا حاجز عن التصريح بكل حقيقة ، كلنا نتمنى ان نرى الدولة العثمانية دولة عزيزة الحمية ، منيرة الجانب مرهوبة الشبا ، لكن يا ترى لماذا لا تذرع بالوسائل التي هوي النصر الاصيلي للاسلام « وهو النصر العربي » بل لماذا لا تقوي الاسلام نفسه ؟ أول عمل يجب الشروع به في رأي هذا العاجز هو توثيق روابط الاتحاد وتحكيمها كما نحن مأمورون شرعا ، والاتحاد لا يؤيد ولا يؤتى إلا بإنشاء جرائد عربية خاصة تنشر وتعم

اللسان الفرنسي يمدد الاوربيون اللسان الرسمي العمومي بينهم ، واللسان العربي يمدد المسلمون اللسان الرسمي الديني العمومي بينهم - اية بلدة أو مملكة إسلامية تعد اللسان العربي غريبا ؟ اية جمعية إسلامية تعد الكتاب العربي اجنيا ؟ - وعليه فأني شأن من الشؤون النافلة تقصر الجرائد المرية عن القيام بادائه

انا وابيم الله لتأسف كل الاسف لانا لم نتدفع حتى الآن بشي من هذا القليل بل اني أعد عدم تذرعنا بذلك عاراً نعم يجب علينا تحويل حركة الرأي العام الى هذه الجهة ان نفقد المجتمعات والمؤتمرات ولكن في أي مكان فقدناها؟ انه يوجد لهذه الغاية الشريفة محل مبارك هو أهم من الاستانة ومصر ويمكن ان يتخذ مركزا وهو مكة المكرمة كرمها الله الى يوم القيامة

اذا كان صوت الشريعة الفراء يجمع كل سنة مئات الالوف من الحجاج واذا كان كثير من ذوي الثروة والكلمة النافذة من كل ارجاء الارض مكلفين أن يعرفوا هذه الجهة المقدسة أفلا نستفيد نحن شيئا؟ انا مع الاسف لم نفعل شيئا حتى الآن لكن مادامت غايتنا الآن العمل على ترقية الامة الاسلامية فان تلك الخطوة هي احسن وسيلة للوصول الى ما نرعى اليه

وأأسفاه ! ان حجاجنا الذين يجتمعون في تلك الارجام نراهم بسبب درزية جهلهم وسبب عدم وجود مرشد لم يكتفون بمواجهة بعضهم لبعض فقط فلا يتطرقون الى البحث في احوالنا لا الديني منها ولا الدنيوي

عقد في الايام الاخيرة في مدينة «موسكو» مؤتمر مؤلف من جميع ارجاء بلاد السلاف ان تصور هذا المؤتمر وحده كاف لان يصور لنا مقدار الفوائد العظيمة التي نالها اصحابه منه وما نتج لنا من الضرر الذي لحقنا منذ زمن قريب بسببه

ان هذا المؤتمر لا يمكن ان يجتمع به أكثر من مئة أو مئتي شخص واذا بلغ الغاية فانه يجمع الف نفس ليس الا . ومع ذلك فانهم قد حلوا بواسطته عدة مشاكل وتالوا ما كانوا يطمحون اليه

اما نحن فما الذي صنعناه؟ نعم ما الذي صنعناه نحن؟ انا الى الآن لم تقدر ان نعدن ما حو الي مكة . بل انا نحن الي الآن لم تقدر ان نفهمهم باننا مسلمون مثلهم العربان في تلك الارجام لم يزالوا حتى اليوم يعدون قتل المسلم الحاج حلالا مباحا طعنا بسلب ثلاث أو خمس ليرات منه !

العربان في تلك الارجام لم يزالوا حتى اليوم يعدون كل من لا يحسن التكلم بالعربية من حجاج بيت الله الحرام مشركا

فم ان التأسف على الماضي لا يجدي يد ان الذي يجدي هو أن نجد ونجهد لكي نأجل الآتي كالماضي لكي نجعله ماضيا وبعبارة أوضح هو ان نجد ونجهد لكي لا نأجل الآتي كالماضي
اقول بكل صراحة اننا اذا اردنا ان نهض بالامة الاسلامية يجب علينا ان
نوجه كل اهتمامنا الى مكة . . . لان . . . الوسائل التي تهض بالدولة العثمانية
ونجعلها في عداد الدول القوية التي تأتي ان تغلب انما تنالها بتلك الاراء
يجب علينا ان نأجل تلك الاراء اهمية سياسية كاهمية العاصمة نفسها لانها منبع
علومنا المدنية ومقر سياستنا الاسلامية

يجب ان ننشر بتلك الاراء جميع الجرائد والكتب التي تطبع باللغات الاسلامية
يجب ان نُلقى الخطب الاجتماعية بتلك الاراء . يجب ان تفتح اهم مكاتبنا
(المدارس) في تلك الاراء

يجب ان توزع من تلك الاراء بذور الاتحاد على جميع انحاء العالم
يجب ان نأجل تلك الاراء بدرجة اذا رأى بها احد مكة المكرمة يظن انه
رأى الممالك الاسلامية ويعتقد بانه اطلع على زيادة آمال الامة
يجب ان يقتنع المسلم الذي يحب الوقوف على الشئون الاسلامية بانه اذا رأى
مكة المكرمة اصبح واقفا على النموذج احوال الامة لدرجة كافية
يجب علينا ان نأجل هدايتنا « اهالي مكة » يتخرجون من كلية علمية منظمة .
يجب ان يدخل اهالي مكتنا المكرمة في دور عمراني مهم . ان هذا المقام مقدس
وكل يوم نوجه وجوها اليه خمس مرات . اذا كانت الاساتذة وجهتنا في المعاملات
فمكة وجهتنا في العبادات اذا كانت الاساتذة مركز خلافتنا فمكة مركز ديارتنا
اني اعتقد ان المسلمين لا يستفيدون استفادة حقيقية من المدينة الاسلامية التي
هي المدينة الحقيقية الانحاء مكة المكرمة مركز العلم والحضارة

ربما يتخيل بعض الناس ان انحاء مكة المكرمة مركز العلم والحضارة يضر بالاساتذة
نفسها ، لكن انظر أن المدينة الاسلامية والعلوم الحقيقية اذا نشرت في مكة على
وجهها الحقيقي لا تنتج أقل ضرر فيجب ان نجعلها مثابة للعلم ، ومهبطا ومركزا للتقسيم
(المنار ج ١٠) (٩٦) (المجلد الثاني عشر)

والتوزيع ، لان موقعها اشرف المواقع بلا استثناء ، وقد اختارها رب الارباب من بين البلدان كافة وجعلها مقر بيته الحرام . وقبلة المسلمين في جميع ارجاء الارض وعليه فان مكة أنفع للحكومة العنانية من كل جهة ، بل ومن كل وجهة ، واذا فكر أولياء الامور واولو الشأن وارباب الاقلام منا بهذه النقطة الدقيقة فلاشك في انهم يجزمون بالفوائد الكثيرة التي نلناها

ليس الواجب ان تشمل تلك الارجاء السياحات النافعة المفيدة التي يجربها امثال اسماعيل غصبرنسكي وغيره من النيورين المتفانين باعلاء كلمة الدولة والامة ؛ ليس من الواجب ان لا يحرم الحجاج المسلمون من ارشادات هؤلاء الافاضل ايها القوم ؛ علينا بالعمل . يجب أن يبدأ بالارشاد من مكة . يجب ان ترسل اوراق الدعوة الى افاضل الامة وانا على يقين بانه لا تمضي مدة الا والعالم الاسلامي قد انتقل من طور الى طور

ايها القوم ؛ ان العرب ، والمصريين ، والمراكشيين ، والزيديين ، واليرانيين والافغانيين ، والهنديين ، والصينيين ، والجاويين ، والبخاريين ، والاراك ، والاكراد واللازيين ، والابانيين ، والجرا كسة — كلهم قد دلوا وجوههم نحونا ينتظرون كلمة (الدعوة) لتصدر منهم كلمة (الاجابة) حالا

ايها القوم ؛ ان الالمانيين والمجريين والسكسونيين والسلافيين والاغريقين كلهم باذولن قصارى جهدهم وراء الاتحاد والاتفاق

ايها القوم ؛ ان بقاءنا مهملين أمر المحافظة على كياننا وحقوقنا أمام الامم اجمع هو من الجرائم الكبيرة التي لا تقدر بوجه من الوجوه ايها القوم ؛ لماذا القاعس ؟ لماذا لا نبحث عن الوسائل التي تمدن المسلمين كافة وتجعلهم متقدمين ؟ أسنا من بني الانسان ؟

ايها القوم ؛ يجب ان نزيل الاقذاء المغشية على صباخ آذاننا لعلنا نسمع بها كيف ان الامم تمجد ويتجهد لتكون في مركز يهدد كيان غيرها

ايها القوم ؛ اتنا نسمع الذين يلقيون بلقب (لورد) او (موسيو) بأسفوف اوجود قسم من بني الانسان يسمى المسلمون ؛ فما هذا النل ؟ وما هذا العار ؟ افلا

يجب علينا ان نجد ونجتهد لنقدر ان نطبق علينا (حقوق الدول)
ايها المسلمون ! يجب ان تنهوا فان القافلة قد شدت الرحال وغدت في المسير
والسلام على من اتبع الهدى اهـ

(المتار) طرقتا باب هذا البحث : بحث جعل مكة مهد الاصلاح الاسلامي ،
في السنة الاولى من المتار وفصلنا القول فيما يجب منه تفصيلا ، ووجعنا الخطاب في
ذلك الى مقام اخلافة في الاستانة لا لاننا كنا نرجو من ذلك المقام اقيام بالاصلاح
المطلوب فانا كنا على قلة ما نعلم من سينات الحكم الحميدي في ذلك العهد لم نكن
معترين بذلك السلطان ومن ذوي الرجاء فيه بل كتبنا ذلك ليفكر فيه المفكرون
فيقوى الاستعداد له ، اما وقد صار شكل حكومتنا دستوريا فان لنا رجاء في كل
اصلاح ولكن يوزنا الرجال المنفذون ، يوزنا الرجال القادرون ، يوزنا الرجال ،
الرجال ، الرجال ، فهل من وسيلة لايجاد الرجال ؟



باب المناظرة والمراسلة

ايضاح وانتقاد

العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

(١٣ - السلام عليكم ورحمة الله) وبعد فقد اطلعت على جوابكم بالمنار (صحيفة ٥٣٧ ج ٧ م ١٢) واني اشكركم على كل حال وارجو ان تفسحوا للضعيف مجالا في صدر حلمكم فان الكمال لله وحده . وان خوفي من التطويل مع رقة جسم المنار هو الذي جعلني اقصر عن زيادة الايضاح في أول الامر بل كثرة اشتغالي بمصالح الحكومة تجعلني اخلس القليل من وقت راخلي لا اكتب ما ارى ذممي تطالبني ببيان اجمالا مع اعترافي بالعجز وان كان فيما اكتب شيئا من السلطة فازلت اقول « رب زدني علما » حتى تتمكنوا من فهم قصدي الحسن واني باسم الله الاكبر ابتدىء في بيان المقصود فاقول :

(١٤ - القسمة في الآخرة) ذكرتم في صحيفة ٥٤٤ ج ٧ م ١٢ ان الناس يتقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد وأنهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » فهذا لا اخالفكم فيه في شيء .

(١٥ - مساواة الناس في بدء الخلقة) قلتم في صحيفة ٥٤٤ « وانه بدأهم على هذا ويميدهم عليه » فهمت من ذلك ان الله تعالى بدأ خلق الناس قسمين شقيا وسعيدا وانه تعالى اخرجهم في هذه الحياة على هذه القسمة وانه سيعيدهم في الآخرة على نفس هذه القسمة بلا تغيير ولا تبديل حيث ايدتم ذلك بقولكم « انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم » الخ ... وهذا ما اخالفكم فيه ولا اوافقكم عليه من بعض الوجوه للاسباب الآتية :

اولا : خلق الله الناس في بدء خلقهم متساوين (١) لغرض واحد فلا شقي بينهم ولا سعيدا ثم اخرجهم في الحياة الدنيا لعبادته كالآية « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فخصر الغرض من الخلقة في العبادة وحدها يدل على تساوي أصل الناس في بدء النشأة

ثانيا : قال تعالى : « كان الناس امة واحدة » وهذا يدل صريحا على ان الناس كانوا كواحدا في بدء الخلقة لا يتميز بين انسان وآخر ولا وجود لشقي بينهم ولا سعيد ثالثا : قال تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ... » فهذه الآية تدل على ان ذرية بني آدم بلا استثناء وهم في ظهور آبائهم كانوا مطبوعين على تأليه الخلق وتوحيده بلا شرك فيدخل في ذلك بالطبع ذرية اليهودي والمجوسي والبوذي والبرهمي والمسيحي والمسلم والمادي والدهري والكافر والمؤمن مما ثبتت توحيد الناس ومساواتهم في بدء الخلقة وقد ولدوا من بطون أمهاتهم بالبداهة على هذه الطهارة فكيف يقولون انه بدأهم قسمين ويعيدهم عليهما ؟

رابعا : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة » والولادة على الفطرة كما لا يخفى عليكم هي الولادة على الأصل الطاهر الخالي من نزغات الشرك وخلافه فلا يوجد إذا في بدء الخلقة تقسيم

(١٦ — سير الناس على نظام ذو (٢) وجهين) لعلكم تتساءلون بعد ذلك وتقولون إذا سلمنا بان الناس متساوون في بدأ الخلقة لاشقيا ولا سعيدا فكيف ينقسمون في الآخرة اليها .. وكيف يتفق علم الله الأزلي الثابت على ذلك في الحياتين ؟

فأقول لكم إن الله تعالى أخرج الناس إلى الحياة الدنيا على النطة طاهرين وجعل لهم بارادته نظاما يسبرون عليه بمد ان منحهم الاستقلال الذاتي والحرية غير ان هذا النظام ذو وجهين متضادين كما قال تعالى « وهديناه النجدين » أي الطريقين المتضادين : طريق الخير وطريق الشر في آن واحد ولما كانت الطبيعة الانسانية متربة بكيفية تلائم الطريقين المذكورين غير انها لا يمكنها ان تسير الا في طريق واحد فقط منهما ولو بالتناوب مرة هنا ومرة هناك تبعا لحرية

الانسان واستقلاله كالآية « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » فكان ذلك داعيا لاقتسامهم أنفسهم مع ان الله تعالى لم يقسمهم من قبل ذلك . فتجد واحدا يسير في طريق الخير دفعة واحدة وآخر في طريق الشر دفعة واحدة وثالث (٢) ينتقل بين طريق الخير والشر مع العلم انهم جميعا في امكانهم ان يسيروا من طريق واحد دون ان يروا الثاني ولا يعلمون به فتقسيمهم في الاصل غير موجود بالمرءة ولكن النظام الموضوع امام حريتهم هو المقسوم فقط و فرق بين قسمة النظام وقسمة النفوس التي تسير بحريتها على أي شكل كان مما في هذا النظام المعلوم لله من قبل خلق الناس أجمعين

(١٧) — علم الله الازلي وسير الناس في الطريق) ربما يقولون مما ذكرته آتفا انه مادام الناس غير مقسمين من قبل سيرهم في احد الطريقين . وانهم يمكنهم جميعا ان يسيروا في طريق واحد من غير ان يروا الثاني ان علم الله تعالى الازلي فيما يختص بسيرهم هذا غير ثابت من جهة الواقع منهم ونفس الامر وانه تعالى لا يعلم من من هؤلاء الناس سيكون في الطريق الايمن أو من منهم سيكون في الطريق الايسر ، وجوابي على ذلك : ان كل ما يحدث مهما كان من عمل الانسان الحركان معلوما لله اذلا قبل وقوعه فضلا بصفة عامة لا تخصيص فيها لزيد من الناس وانه تعالى خلق الناس ليسيروا في أحد طريقين متضادين أو في كل منهما على التناوب « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » مع كونه يراقبهم بنفسه كل المراقبة « أفمن هو ظالم على كل نفس بما كسبت » فالمراقبة هي أساس العلم بالتخصيص بأحد الطريقين أو الاختار منهما في أي وقت بواسطة أي انسان بتمام حريته . ومن هذه المراقبة يعلم الله تعالى في أول وهلة ما يخص كل فرد لنفسه من أحدهما . مع كونهما وكل ما فيهما من أنواع الاعمال المختلفة معلومين لله تعالى من الازل كالمعروف . وكل هذا بالبداية لا يزيد علم الله تعالى شيئا ولا ينقصه شيئا وغاية ما في الامر ان الله تعالى خلق الناس في الاصل طاهرين وأخرجهم في هذه الحياة الدنيا لغرض هو : ليعلم منهم من يسير في الطريق الايمن بحريته ومن منهم يسير في الطريق الايسر ولذا كانت المراقبة لازمة كالآية « ان الله كان عليكم رقيبا » ويؤيد ذلك ما يأتي

أولاً : ماذا كره الله تعالى في الكتاب العزيز من أمر الفتنة أو الامتحان لاختبار كل من يؤمن به تعالى حتى يعلم منه اما الثبات نهائياً على الايمان أو الزعزعة عنه عند الامتحان أو الفتنة المذكورة كالأية : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون » ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » قاله تعالى يصرح في القرآن بنفسه بأنه تعالى لا يعلم الصادق من الكاذب في الايمان الا بعد ان يفتنه ويحجر به ويمتحنه ليعلم منه قوة الخيار للايمان والثبات عليه أو الزعزعة عنه بمطلق حريته الممنوحة له منه . أما قولكم ان ذلك علم انكشف فهو مردود لانه لا يوجد لله علم مكشوف لان المدوم والموجود في علم الله سواء

ثانياً : قال تعالى عن الشيطان : « وما كان له عليهم من سلطان الا نعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها ووربك على كل شيء حفيظ » أي انه تعالى لم يجعل للشيطان على الانسان سلطة مما ليحور (۹) إرادته الحرة المخصوصة من الايمان الى الكفر بل هي وسوسة ضعيفة « ان كيد الشيطان كان ضعيفاً » أمرها بسيط ولا تأثير منها ويمكن لكل انسان بحريته ان يتجنبها بما خلق الله تعالى فيه من عقل وجعل له من الهام والله تعالى لم يمنع الشيطان عن تلك الوسوسة لان الانسان الا ليجعلها في ضمن الفتنة أو اللزوم المقرر في نظام الله ليعلم منها من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها وان هذا العلم لا يكون الا بالمراقبة المذكورة . اذ بغير ذلك لا يكون معنى للمراقبة التي مدلوها التأمل لا تتظار وقوع فعل من شخص معلوم في احد (۹) جهتين متضادتين

ثالثاً : قال تعالى « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » فهو تعالى يصرح هنا انه لا يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه منهم قبل الفتنة بالاقطاب عن القبلية بيت المقدس الى الكعبة الا بعد حصولها . وهنا لا يتوهم القارئ ان الله تعالى كان يجهل شيئاً أو يربب شيء عن علمه . كلا بل هو بكل شيء عليم لان الله تعالى كان يعلم أن ما خلقهم عليه من نفس كاملة وعقل يمكنهم بها ان يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بمطلق حريتهم التي منحها لهم بلا أي مانع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بحسب الوضع الذي شكل

به الخلقة الانسانية كان يعلم عنهم في آن واحد انهم يمكنهم جميعا ان لا يتبعوه (ص) بمطلق حريتهم وفي الوقت نفسه كان يعلم بالنتيجة التي سيجازيهم بها وتصيهم في الحياة الدنيا والآخرة ان لم يتبعوه . ويعلم من قبل ايضا بالنتيجة التي سيجازيهم بها في الحياتين ان لم يتبعوه . غير ان هذا العلم المطلوب ليس انكشاف الفعل الواقع المطابق وحده للعلم السابق دون غيره كما يقول المنار . كلا . كلا بل هو علم تنقل ارادة كل منهم الى اي جهة يرغب السير بحريته في احد الطريقين المتضادين المعلومين لله من قبل وهما مفتوحان معا في كل وقت أمام كل انسان حتى يمدد الله بعد ذلك بحجاء ما اراد . وهذا العلم بالطبع لا يكون الا بالمراقبة كالآية : « افن موقائم على كل نفس بما كسبت » رايها : ان خلق الناس مقساوين (١) في بدأ الخلقة وخروجه الى الدنيا للتنافس في عبادة الخالق بحريتهم هو كل الحق الذي كان الغرض منه وجود العالم كالآية : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا » وكالآية : « اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض الا بالحق » . . . فهل يعرف المنار ما هو هذا الحق ؟ هذا الحق هو منح المخلوقات ومنها الانسان « الحرية » الكاملة في عبادة الله والسير في أحد الطريقين المتضادين متحملا نتائج احدها او كل منهما بالتناوب على عاقته بما وهبه الله من عقل وشعور والهام مع تمام الاستقلال في الارادة « وما تكسب كل نفس الا عليها »

فاذا كان الناس مقسومين كما قلتم من الاصل وفي الدنيا وانهم سيعودون على هذا التقسيم نفسه في الآخرة . . فان الحياة الدنيا والخلق في الاصل والمبدأ يصبران بذلك عملا من الله باطلا كل البطلان لا علة ولا حكمة منه اصلا . . بل يكون اشبه بتسخير القادر للعاجز ورحمة اناس وتغذيب آخرين بالاستبداد والقوة دون غيرها مع ان الكل « انسان » ومن نفس واحدة يشعر الواحد ويحس كما يشعر الآخر وهذا لم يعمل ولن يعمله الرحمن الرحيم . ولا يشير اليه في كتابه الكريم وانما يشير الى ان الكل مكرمون « ولقد كرمتا بني آدم » ومخاطبون بالآية « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فلا قسمة في اصل الخلقة ولا تقسيم الا في الآخرة فانها ستكون طبقا لما اكتسبناه بحريتنا من احد النجدين المتضادين « وهديناه النجدين » لا طبقا

للمقسوم المحموم « اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب »

خامسا : قال تعالى في بعض الآيات « ولما يعلم الله الذين آمنوا » فهذا العلم بالآيمان يدل على وقوعه في المستقبل دون الماضي . فهو لا يؤيد على الله الجمل او انه علم انكشاف للواقع دون غيره . كلا بل يدل على تنفيذ ما اراد الخالق ان يكون من نظام وضعه للانسان بصفته مخلوقا سيفعل الخير أو الشر في آن واحد . والمطلوب علمه هو قييد ما يختاره الانسان على نفسه من كل المعلوم لله اذ لا من كلا الطريقين . فاذا فعل انسان خيرا من بدء حياته الى مماته ووقع ذلك فلا قد كان هذا الواقع معلوما لله اذ لا بصفته معلوما لا بصفته واقعا لا محالة . ولكن بجانبه ايضا ان الله يعلم للشخص نفسه انه سيفعل الشر على نوع ما من بدء حياته الى مماته بصفته معلوما لا بصفته واقعا غير ان هذا الانسان اختار بحريته الاول وترك بحريته الثاني فصار هذا الاخير من المعلوم لله غيا لا يظهره للشخص ولا لاحد في العالم « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا »

وبهذا وبغيره ثبت لكم ان الله تعالى لم يخص من الازل اناسا للآيمان معلومين من قبل وجودهم وسينكشفون بالواقع . كلا بل كل موجود في الحياة امامه طريقان متضادان تحت حريته يراقبه الله تعالى حتى يعلم منه في اي جهة عزم بنفسه الثبات عليها فكان تعلق العلم الالهي عن كل انسان دائما هو من جهتين متضادتين في آن واحد لا من جهة الواقع وحده كما قلتم ولما كان الانسان لا يمكنه الجمع بينهما في وقت واحد فعلم الله تعالى المطلوب هو تخصيص أحدهما للانسان بارادته وحريته الذاتية . . . إذ ان هذا هو الغرض الوحيد من الحلقة

(١٨) — تعلق العلم الالهي — علم الله بالواقع وبضده في وقت واحد) قلتم في صحيفة (٥٤١ ج ٧ م ١٢) انه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع والا كان جهلا . . . وذلك محال ،

أما أنا فأقول لكم ان علم الله تعالى يتعلق بوقوع الاشياء قبل حصولها في أحوال مخصوصة يريد بها الله تعالى بحق كالأية : « انما أمرنا شيء » إذا أردناه ان نقول له كن فيكون » ومثال ذلك وجود العالم قبل ان يوجد . . . ولكن بالنسبة للنظام الذي خلق الانسان عليه وأراد ان يسير بمقتضاه في هذه الحياة بصفة عامة فلا تعلق لوقوع الافعال الانسانية من قبل وقوعها غير أنها معلومة بشكلها التي وقعت عليه ان وقعت مثل ضدها تماماً بالنسبة لمن وقعت منهم بالذات وان كان الضد الذي لم يقع صار في حيز العدم ولكنه ما زال معلوماً لله تعالى في الغيب الذي لا ندركه ولا يريد الله ان ندركه لأن هذا التعلق الذي قصدونه معناه تحديد ما وقع فعلاهما كان من أي عمل إنساني انه كان في العلم الالهي واقعا لا محالة قبل وقوعه دون غيره . . . وهذا هو الخطأ المحض بل هذا هو الخلاف الذي بيني وبينكم في الغالب ومنه أيدتم عدم فهمكم لكثير مما ذكرت آخفا (وسأشرح فيما بعد ان هذه النقطة نفسها هي التي فرقت الامة الاسلامية احزابا وكانت أصلا لسقوط الامة الاسلامية في أيامها المتأخرة المظلمة) إذ الحقيقة هي :

أولا إن الواقع كان معلوماً لله تعالى مثل كثير من أنواعه واضداده بالنسبة لمن وقع منه الشيء نفسه في وقت واحد وغاية ما في الامر ان الواقع نخصص لفاعل الشيء من ضمن أنواع كثيرة كانت مفتوحة امام حريته لتنفيذ واحد منها في وقت واحد وان هذا التخصيص هو الذي كان يراقبه الخالق ليطلع (راجع ١٧ علم الله الأزلي وسير الناس في الطريقين) لانه تعالى أراد ان يكون هكذا النظام الانساني في العالم كما قال تعالى « وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » فاذا كان علم الله تعالى معقفا من الازل بمن يؤمن انه سيؤمن في وقت كذا قبل وقوعه ومن يكفر انه سيكفر في وقت كذا فما الداعي لقوله تعالى : « وليعلم الله الذين آمنوا » ؟ وأيضا — لماذا يتخذ منا شهداء أي شاهدين على من كفر به بحريته للمحاكمة في الآخرة ؟ • اللهم الا لان الناس كلهم في نظر الله سواء • وانه تعالى فتح امام كل انسان طريقين متضادين فلا يعلم الله

تعالى أنه آمن الا في حال إيمانه ولا يعلم الله تعالى انه كفّر الا في حال كفره . وان حكم الواقع عند الله في العلم هو تحكم المعلوم سواء بلا فرق وان كان ذلك يعجز عنه عقل الانسان « ليس كئله شيء »

ثانيا : عثرت في المكتبة الخديوية على رسالة في التوحيد بخط نسخ للامام أبي حنيفة رضي الله عنه (مجموعة نمرة ١٢٧ ن ع ٢٣٧٢) يقول فيها ما يأتي : « لم يبحر الله تعالى أحداً على الكفر ولا على الايمان ولا خلقهم مؤمناً ولا كافراً ولكن خلقهم أشخاصاً والايمان والكفر فعل العباد . يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافراً . فاذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأحبه من غير ان يتغير علمه وصفته وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة اه » فافكر ان مدلول ذلك وان كان مجملاً ولم اطلم على تفصيل له في كتاب آخر فهو يطابق في الغالب لتلك المبادئ التي أذكرها الآن وأؤيدها .

ثالثا : ما يدلكم على ان علم الله تعالى بالنسبة للعمل الانساني لا يتعلق بالواقع وحده ، بل يعلم به وبضده في آن واحد بلا فرق - مخاطبة الله تعالى للكافرين يوم القيامة أو ذكر أحوالهم التي سبقولونها بأنفسهم بعد ان يصيروا كل شيء على حقيقته كالآية : « ولو نرى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » - فهذا يدل على ان الحال الذي كانوا فيه في الدنيا وقد كفروا بالله كان ممكناً لهم أن يؤمنوا فيه بدل الكفر بلا أي مانع حتي يكون الكفر بعيداً عنهم في العدم كما صار الايمان الذي يمتنوا (؟) ان لو ردوا الى الحياة لا اعتنوه (؟) ، ولا يخفى ان ذكر الله تعالى لمثل هذه الامثال لم يكن عبثاً ، بل لغرض ان نعلم أن علمه تعالى لم يكن معلقاً بالكفر الذي كفروه فضلاً ويعذبون لاجله في الآخرة ، لان معنى اتباعك يدل على ارادته الذاتية في لزوم الكفر منهم ولو باختبارهم الذي تفرضونه مع وجود هذا التعلق ، مع ان الله تعالى يتبرأ من ذلك « ولا يرضى لعباده الكفر » ، وانما كان يعلم عنهم الايمان كما يعلم عنهم الكفر في آن واحد بكيفيتهما المتضادة ثم استمر الله تعالى في مراقبته لهم حتى دلم منهم انهم اختاروا الكفر بمحرمتهم

بدل الايمان نهائيا فجازاهم بالنار حقا والرد الى الحياة الدنيا من الآخرة مستحيل لان هذه الحياة الدنيا حق أيضا وان ما فعلوه فيها صار حقا حتى طبعوا أنفسهم عليه بحريتهم لا من أصل خلقتهم الاولى كما ان النار في الآخرة هي الجزاء الوحيد ، « وما ربك بظلام للعبيد »

وابدا : ما هو أظهر من الآية السالفة قوله تعالى : « فهل لثامن شفعا فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » فان العمل الذي علموه من الكفر والفساد صار واقعا في الدنيا حتى عندهم الله عنه في الآخرة وان هذا الواقع نفسه علموا عنه في الآخرة « فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد » انهم كانوا قادرين على عمل غيره أو ضده في الوقت الذي علموه فيه حتى كان يمكنهم ان يجهلوا الذي علموه في الدم والضد فعولا . وكل ذلك يؤخذ منه ان علم الله تعالى لم يكن مطلقا بما فعلوه وحده بل كان يعلمه تعالى كما يعلم بضده عنهم في آن واحد وبمراقبة الله تعالى لهم علم ما اختاروه بتمام حريتهم من الكفر فكان لهم الجزاء حقا بتعذيبهم في النار « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

ولو أردنا ان نحصر كل الآيات القرآنية التي تدل على ما ذكرناه لآخذنا وقتا طويلا غير اني أذكر من أشهر هذه الآيات قوله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ومنها : « واقفوا عما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يقول يا ليتني قدمت لحياتي » ومنها قوله تعالى : « قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فإني تركت » ومنها أيضا : « ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » ومن ذلك أيضا : « ربنا أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك وتبيع الرسل » الخ الخ

(١٩ - مثالان عن علم الله الازلي وعمل الانسان) أخشى ان تقولوا ان ما ذكرته معسلا (؟) يصعب فهمه فاحتياطا لزيادة الايضاح أذكر لكم مثالين :
الاول : افرض يا صاحب المتار أنك أصبحت غنيا ومالكك الحبل « ستين »

الشهير الموجود بالموسكي بمصر وهذا المحل كان فيه من أنواع البضاعة ما يبلغ عدده المليون من الأصناف ثم وضعت هذه البضاعة في دواليب بترتيب منظم وكل صنف عليه نمرة مكتوبة . فالبضاعة المكتوب عليها نمر فردية من ١ و ٣ و ٥ الخ الى المليون مكتوب عليها أيضا انها بضاعة جيدة والمكتوب عليها نمر زوجية من ٢ و ٤ و ٦ الخ بضاعة رديئة . ثم أحضرت أربعة رجال من رجال ادارة المتار وقلت لأولهم ان لك في هذا المحل عشر نمر من ١ الى ١٠ والى الثاني من ١١ الى ٢٠ والى الثالث من ٢١ الى ٣٠ والى الرابع من ٣١ الى ٤٠ ثم دخل الاربعة رجال في المحل متسعين بحريتهم وأخذ كل منهم نمره المقررة له منكم من قبل . فكذا يقولون أتم عن علم الله الاولي بازاء عمل الانسان في الدنيا حال وقوعه . فانكم قبل ان يأخذ الاول نمره من ١ الى ١٠ كنتم تعلمون بذلك ولما أخذها صار الواقع منه مطابقا لما كنتم تعلمون من قبل . وحاشا ان يكون فعل الله مشابها لذلك

الثاني : قلب هذا المثال بشكل آخر مع ثبوت النمر التي تعلمها من أولا الى آخرها وثبوت الرجال أنفسهم وافرض انك أعلنت هؤلاء الاربعة بأن لكل منهم عشر نمر في كل النمر الموجودة بالمحل من غير ان تخصص لهم نمر محددة كما فعلت في المثال الاول بل اشترطت أن لكل منهم ان يقلب في المليون نمره الموجودة ويأخذ عشرةا منها كلها . فهل يمكنك بعد ان أدخلتهم في هذا المحل على هذا الشرط ان تخبرني إن كنت تعلم ما هي العشر نمر التي سيأخذها الاول أو الثاني أو الثالث أو الرابع قبل ان يضع يده بالفعل على واحدة منها . الجواب : لا تعلم ذلك الا بعد ان يضع كل منهم يده على كل منها ؟ . ولكن هل ذلك غير شئ في النمر المعلومة لك كلها أو غير الرجال أو اقتص شيئا من معلوماتك بخصوصها ؟

الجواب كلا . فكذا اقول عن الخالق سبحانه انه اخرجنا في هذه الحياة على مثل هذا الغرض وفتح للجميع طريقين متضادين فيهما من انواع الافعال ما يعجز عنه الحصر والكل يعرفها ويميزها العقل الانساني وكان هذا سر قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » ثم خاطب الجميع بقوله : « هو الذي خلقكم ما في الارض

جميعا » فلا عين شقيا ولا قيد سعيدا وهو تعالى لذلك لا يعلم المؤمن الا في حال إيمانه ولا الكافر الا في حال كفره والكل امام الوهية في الاصل « انسان » وهنا لا يقال ان الله تعالى جهل شيئا لان العلم المطلوب لله هو تخصيص المعلوم ازلا لمن يختاره عوضا عن تعيينه الذي كان عليه قبل هذا الاختيار وكان ذلك بناء عن ارادة الله الذاتية في وضع الانسان على هذا النظام من الازل - وكل ذلك بالدهشة للمتأمل المدقق لا يزيد علم الله شيئا ولم ينقصه ما دام الله تعالى قائما بالمراقبة ولذا كان الله من الازل الى الابد بكل شيء عليم (٤)

(٢٠ - ادوار الخلق الانسانية أمام العلم الالهي) يقسم الانسان الى ثلاثة ادوار امام العلم الالهي : الدور الاول ويتبدأ من بدء الكون الى وقت الولادة . وفيه جميع الناس سواء فلا شقي ولا سعيد

الدور الثاني : الحياة الدنيا وفيها كل انسان بين السعادة والشقاء فلا شقي ولا سعيدا الا عند الوفاة . والدور الثالث الآخرة وفيها الناس فريقان : « فريق في الجنة وفريق في السعير »

فاذا فرضنا ان الآخرة تجسمت امامنا ونظرننا بالعين اشخاص كل فريق ووجدنا الشخص (ج) من فريق الجنة والشخص (س) من فريق السعير . فاقول ان كلا منهما صار كذلك طبقا لما سير نفسه فيه بحريته في الحياة الدنيا وليس لكونه كان مكتوبا من الازل شقيا او سعيدا فلا يوجد في علم الله الازلي ان (ج) هذا سيكون بالذات والواقع سعيدا ليس الا ولا ان (س) هذا سيكون شقيا ليس الا وان العلم الازلي هو ان كلام (ج) و (س) شخص طاهر مكرم لاشقاء له ولا سعادة الا بعد ان يولد في الحياة الدنيا سيسير فيها بحريته على نظام ذو (٤) وجهين متضادين فيها السعادة والاشقاء يراقبه الله تعالى عند اختيار واحد منهما فيعلم له تعالى وقتها من فعل (ج) انه سيكون في الآخرة سعيدا ومن فعل (س) بحريته انه سيكون في الآخرة شقيا وان الطريق الذي سار فيه (ج) في الدنيا وبه صار سعيدا في الآخرة كان مفتوحا في الوقت نفسه امام (س) أيضا وانه كان يمكنه ان يسير بم (ج) فيه جنبا الى جنب وان

يجتمعا في الآخرة في الجنة . وبالعكس فان الطريق الذي سار فيه (س) في الدنيا بحريته وبه صار في الآخرة في السعير كان مفتوحا ايضا في الوقت نفسه امام (ج) في الدنيا وان الاخير كان يمكنه السير فيه مثل (س) وان يكون معه جنبا الى جنب حتى يجتمعا (٩) مما في السعير وكل ذلك لا يغير شيئا من علم الآله الازلي

(٢١ — الله اول ملك دستوري في العالم) . قال تعالى في الكتاب العزيز : « قل اعوذ برب الناس ملك الناس آله الناس » فصرح تعالى في هذه الآية انه ملك الناس والمهتم . وهنا اسأل صاحب المنار ما هي نوع الحكومة التي يحكم الله تعالى بها النوع الانساني بصفته ملكا عليهم كما صرح في هذه الآية الكريمة ؟ فاذا كانت نوع الحكومة الالهية مجعولة لصاحب المنار فاني اقول له انها هي الحكومة التي نصنعها وتكلف على وجودها الآن جميع الامم ويسفكون لاجلها دماءهم واموالهم للحصول عليها الا وهي « الحكومة الدستورية » فان الله تعالى يحكمنا بالدستور الازلي لا بغيره وهو جل شأنه مع مطلق قدرته واوسم علمه لم يشأ ان يحكم الناس الأحكام الدستورية عادلا لتعلم من ذلك وما هو مسطور في القرآن الحكيم عن هذا الحكم ما نجعله اساسا في اعمالنا واحكامنا الدنيوية حتى يقام العدل ونجبي الامم على اساس رصين وكفى الانسان شرفا ان يكون هو الوحيد خليفة الله في الارض ليعمل في حكمه كعمل الله كالاية « اني جاعل في الارض خليفة »

ولما كان الله تعالى هو الخالق لكل شيء ، والعالم بكل شيء ، علماتا ما كان هو وحده الذي اسس هذا الدستور دون غيره وهو الذي يرتاح لمداته كل مخلوق في الارض والسما اوتياها تاما لانه صدر هذا القانون بالرحمة وفيه « كتب على نفسه الرحمة » وكان الاساس الثاني لهذا الدستور هو منح المخلوقات « الحرية » الكاملة بمد وجودها في الدنيا لتعمل بها كل ما في وسعها « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وانه تعالى لا يس هذه الحرية في هذه الحياة مهما فصلت تلك المخلوقات من صالح او اساءة الا أن يمدحها بجزء ما تفعل بالرغم عنها جزءا عادلا ليس الا طبقا لما في القانون المذكور الموافق لتقلب الطبيعة الإنسانية « وما نجزون الا ما كنتم تعملون » وبمقتضاء

صار « من عمل صالحا فلتنفسه ومن اساء فليها » ولهذا تنزه عن الحكم الاستبدادي المجهول نظامه وتحلى بالكمال المطلق والعدل والرحمة لان كل ما يحدث في الارض والسماء كتب في هذا القانون « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها (اي تخلقها) ان ذلك على الله يسير » وبه يصيبننا في الحياة الدنيا والآخرة بجزاء الخير أو الشر طبقا لاعمالنا وما يناسبها من بنوده العادلة

فان فرضنا مثلا ان المادة ٣٥ من قانون ما في حكومة السودان ان من يسرق كذا بالطريقة كذا فانه يجازى بكذا وبكذا . فطبقا هذه المادة تسري على جميع الناس الذين يشملهم هذا القانون بلا استثناء وما على الحكومة الا ان تراعيهم وتراقبهم حتى اذا وقع واحد منهم ارتكبا ذنبا تنطبق عليه هاته المادة تجازى (؟) بما فيها تماما . وهكذا نقول عن النظام الذي كتبه الخالق على الناس بصفته ملكا دستوريا عادلا عليهم فقد كتب قانونا لمجازاتهم بالغدير أو الشر في الحياتين تبعال ارتكابهم خطأ أو علمهم خيرا طبقا لبنوده العامة العادلة ولذا كان رقيقا على كل نفس لتنفذه « ان الله كان عليكم رقيقا »

(٢٢ — الفرق بين فهمي وفهم صاحب المنار في القسمة) صاحب المنار فهم من المثل الاخير السالف عن المادة ٣٥ من قانون الحكومة ان الشخص (ج) مثلا اذا ارتكب جناية السرقة بكيفية تنطبق عليها قال : ان الحكومة السودانية عند ما سنت قانونها كتبت فيه هذا الشخص وانه سيسرق في وقت كذا . وسيجازى بكذا قبل ان يحصل منه ذلك وقبل ان يقبض عليه بسنتين عديدة : ولما وقعت منه السرقة قال ان ما حصل فعلا منه كان مطابقا لعلم الحكومة لان الواقع دائما يكون مطابقا للعلم . وبمثل ذلك القسمة وعلم الله اما أنا فأقول يا صاحب المنار ان علم الحكومة ليس كما تزعم ان علم الله تعالى وان كان يحيط بكل شيء ولكن ليس كما تزعم لان الحقيقة هي غير ذلك . لان الحكومة كتبت في قانونها ما يناسب أخلاق كل الناس وأعمالها من غير ان تخصص عملا فالتخصص معلوم . وانها لا تعلم ان هذا السارق بالذات سيسرق

في هذا اليوم ولا تعلم انه سيأخذ هذا الجزاء . لان ذلك ليس هو القانون المعلوم عند الحكومة . بل قانون الحكومة عام على الجميع وان أخلاق الناس تتقلب بين الخيث والطيب بحريتها . وان القانون مذكور فيه كيفية السرقة وأنواعها التي يمكن ان تحصل منه كما تحصل من خلافه . وأمام ذلك الجزاء على كل نوع منها وليس على الحكومة الا مراقبة الرعية لتنفيذ ما هو معلوم لها من قبل في بنود هذا القانون فاذا كان الشخص (ج) ارتكب جريمة السرقة وكانت تنطبق على المادة ٣٥ تجازى (٩) بمنطوقها ايضا بالعكس اذا عمل عملا صالحا ذكرته الحكومة في القانون ايضا وكانت له مكافئة كافاة بها . وبديهي للمطلع ان الفرق بين القصبدين كالفرق بين السماء والارض أو هو كالفرق بين حكومة الدستور وحكومة الاستبداد . ولكن صاحب النار يقول في (صحيفة ٥٤٣) «لست قادرا على تصور فهمه للسألة ولا فهم وجه الاشكال التي كانت به اقتل ادواء المسلمين عنده فاحل له ما أحكم من العقدي في خياله » فاذا كان صاحب النار للآن لم يفهم وجه الاشكال فليتصور الان الفرق بين المقالين السابقين ولعلم بما ذكرناه وما سنذكره على هذا الاشكال على وجه الحق : فان الحق والباطل لا يجتمعان «ان الباطل كان زهوقا»

(٢٣ - لاقسمه معينة لشخص معين في الازل) يقول صاحب النار صحيفة ٥٤٥ : أما علم الله تعالى فهو قديم قدمه ازلي بأزليته - فالقسمه فيه أزليه أيضا وأقول: أما علم الله تعالى بكل ما كان وما سيكون فأمر بديهي مسلم به ولكن قسمه الاشخاص من أن هذا الشخص بالذات شقي في العلم الازلي وذاك بالذات سعيد أزلا أمر لم يفعله الخالق ويتبرأ منه القرآن . نعم نظام الشقاء الانساني أو السعادة الانسانية معلوم لله تعالى أزلا ولكن هذا النظام سينفذ على نبي الانسان الذين أراد لهم الخالق أزلا ان يكونوا خفاء في الارض بلا فرق بين انسان وآخر فيطبق الله هذا النظام العام على أعمالهم الحرة المألومة له من قبل ان يكونوا بصفة عامة فبعضهم سيكون بهذا النظام شقيا تبعا لحرية والبعض سيكون به سعيدا بحريته أيضا طبقا لبنوده المكتوبة قبل المالمين « وما ربك بظلام للعبيد »

قال تعالى : « يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا بما أتاكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم » فهذه الآية الكريمة تؤيد ان خبر الله تعالى المطلوب أعطاه لمؤلا الأسرى متوقف على تغيير ما في قلوبهم وان المعلوم لله تعالى وقت نزول هذه الآية من قلوبهم هو عدم الخبر أو ضعف الايمان به أو الكفر فاذا غيروا به بغيرهم الي لا يحسبها الخالق في هذه الحياة الى خير أو ايمان أصابهم الله تعالى بعد ذلك بتغيير احسن مما أخذ منهم وقت الحرب من مال أو أبناء - وان علم الله تعالى بتغيير قلوبهم هذا متوقف على ارادتهم الحرة لانه هكذا أراد الله تعالى ان يكونوا بتمام الاستقلال في ارادتهم ليغيروا ما في قلوبهم كالأية « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وهذا دليل كاف على ان الله تعالى بتفجزاه أو قسمته طبقا لادوات الحرة في اختيار نوع من الاعمال - وليس طبقا لكونها هي والافعال كانت مقسومة في الازل بالذات حتى يكون الواقع مطابقا للعلم دون غير - كلا - بل الواقع وضد الواقع في العلم عند الله سواء - ولذا قال تعالى « وان عدتم عدنا » فان قول الله تعالى للكافرين « وان عدتم » دليل على عدم المانعة لهم من الله في الاعادة لفعل ما كانوا عليه من الفساد والكفر ثم قوله تعالى : « عدنا » أي عدنا بعد ذلك بالانتقام بما لما ستملوه (٢) ان وقع منكم في نظير كفركم كما انتم بمثل ذلك قبلا فاذا كانت لهم قسمة من الازل معلومة ما كان هذا التعميم البين الذي يدل كما قلنا على عدم كتابته شي - مخصوص أو منح قسمة مخصوصة لاحد من الناس في الازل وبمثل ذلك قوله تعالى : « وان تعودوا فلند » وهذا يشبه بلا تمثيل الى ان اش شخصا من أفراد الحكومة ارتكب جريمة تناسب مادة (٩٥) مثلا من قانون العقوبات فكلا يرتكب جناية تناسب هذه المادة عاقبته الحكومة بمضمونها فاذا عاد وارتكب نفس الجناية اعادت معاملته بالمادة نفسها وهكذا يقول الله تعالى : « وان تعودوا فلند » أي ان تعودوا لفعلكم الذي به مجازيتهم (٢) بمقتضى القانون الإلهي - ند لئلا هذا الجزاء عليكم (٢) بالتالي - فأنتم أحرار فيما تفعلون - فبذلك وبغيره قلنا « ان الله تعالى أول ملك دستوري في العالم » لشحن القرآن الحكيم من أمثال هذه الآيات الواضحة كالأية : « فن

أظلم ممن اقرى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ،
أي ان كل من يكذب على الله من نبي الانسان يناله الجزاء المناسب لكذبه بما في
الكتاب الذي هو قانون الله العادل ، وبالطبع يختلف الجزاء باختلاف درجة
الكذب أو التكذيب وكل ذلك يدل على عدم قسمة النفوس في السلم الازلي بل
النظام هو المقسوم والله بكل شيء عليم

كاتبه

أحمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

﴿ جواب المنار ﴾

الآن قد جاء هذا الكاتب الفاسفي بما لم يأت به من قبل ولا يفهم
من سؤاله عن القضاء واقدر ولا من رسالته في إنكار عقيدة قسمة الخلق الى
سعداء وأشقياء وهذا الشيء الجديد هو اعتقاده ان الله تعالى لا يعلم ما يكون من
أعمال عباده الا بعد وقوعها ، فلا أدري أكان على هذا الاعتقاد من قبل وكان
هو الذي يريد من كلامه السابق فقصرت عبارته عن يانه أم حملته الحرص على
الآتيان بشيء جديد في الدين على هذا المركب الصعب بعد ان سدنا في وجهه
باب الاعتراض على عقيدة القدر وعقيدة القسمة ؟

لا أناقشه في كل ما اخطأ به في هذه الرسالة لئلا يتشعب الكلام ويطول بل
أخص الكلام في مسألة العلم الإلهي بعد أن أبين له بالابحاز فقرة لم يفهم مرادي
منها وبنى على فهمه خلافا طفق يحتاج لرأيه فيه بالآيات وغير الآيات. تلك الفقرة
هي التي تكلم عنها في المسألة ١٥ وهي قولنا « وأنه بدأهم على هذا وبعيدهم عليه »
ففهم من هذا انني أعني بهذا انه تعالى خلق كل فرد من أفراد البشر إما شقياً غير
مستمد في فطرته لعمل الخير الذي يكون به سعيداً وإما سعيداً مطبوعاً على الخير في
أصل فطرته لا يستطيع غيره هذا رأي يمكن لمن يقول به ان يستدل عليه بالمشاهدة

و يعض النصوص كما يمكن لمواضع ان يستدل ولكنه لم يكن هو الذي عينته تلك
الفترة بل عينت بها حال جميع البشر (لا كل فرد منهم) في الحياة الدنيا من أولها
الى آخرها وحالم في الحياة الآخرة وهما الحالان اللتان يبرع عنها علماؤنا بالمبدأ
والمعاد . وقد قال تعالى (٧ : ٣٠) كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق
عليهم الضلالة) فهذا ما أعنيه وهو مشاهد في أمر الدنيا وأمر الآخرة مرتب على
أمر الدنيا فلا خلاف بيننا في هذا والله الحمد

ان الضابط أحمد افندي بدوي النقاش يريد ان يثبت ان الانسان خلق حرا
مختارا مستقلا في أعماله تام الاستقلال وانه مالك لا سبب سعادته وشقائه ملكا تاما
وان هذه الحرية والاستقلال والملك لا يعارضها شيء من سنن الفطرة وليس للخالق
فيها فعل ولا لإرادته عليها سلطان ولا لعلمه بها تعلق الا ان الله تعالى يعلم ما عمل
الانسان بمذوقه . وهذا مذهب لم يقل به فيما نعلم أحد من البشر الملمين ولا غير
الملمين . بل الذي عليه المحققون من فلاسفة هذا العصر أقرب الى مذهب الجبرية
من الملمين كما يتنا ذلك من قبل

إن العلم الإلهي يتعلق بالمعلومات تعلق انكشاف لا تعلق خلق وإيجاد وإلزام
وإجبار فهو لا يعارض مذهب صاحبنا الجديد أو فلسفته الغريبة فما الذي حمله على
إنكار علمه تعالى للغيب وتمحله لإثبات ذلك بالآيات الناطقة بإتلاء الله الناس
وتعليه ذلك بقوله « لتعلم » وقوله « يعلم » (*) وقد فسرنا أمثال هذه الآيات بما
يطابق الدلائل العقلية على إحاطة علم الله تعالى والآيات الكثيرة الناطقة بعلمه
للهيب ومنه أعمال البشر قبل وقوعها والآيات الكثيرة المينة لبعض تلك الاعمال
قبل وقوعها

ورد وصفه تعالى بعالم الغيب والشهادة في الانعام والتوبة والرعده والمؤمنين والم
السجدة والحشر والتائبين ، ووصف بعلم الغيب قط في سور أخرى ، فبأي سلطان
يتحكم أحمد افندي بدوي في علمه تعالى للغيب فيستثني منه أعمال الناس وهو تعالى

يقول (٢: ٢٥٥) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) أي يعلم ما يكون امامهم من مستقبل أمرهم وما كان من ماضيهم فهو محيط بكل شيء من أمرهم وهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء لانه هو واهب العلم للانسان وواهب كل شيء يتمتع به ، وقال أيضا بعد ذكر خبر القيامة وهي من علم الغيب (٢٠: ١١٠) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) فهل أحاط أحمد بدوي به علما فحدد ما يتطرق به علمه وما لا يتطرق به ؟؟

ألم يخبر الله تعالى نبيه ببعض أقوال الناس وأعمالهم قبل وقوعها كقوله عز وجل (٢: ١٤٢) سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم (وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٦: ١٤٨) سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا) الآية وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨: ١١) سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨: ١٥) سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مقام لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون ان يدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدونا ، بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) وقد صدق الله عز وجل فقالوا ذلك وكانوا يريدون به ما اخبر تعالى انهم يريدونه

ومن اخباره جل جلاله باعمال الناس قبل وقوعها في الدنيا قوله وسع كل شيء علمه بعد الآية الاخيرة التي ذكرناها آفنا من سورة الفتح (قل للمخلفين من الاعراب استدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقد كان ذلك — وقوله تعالى مبشرا في هذه السورة بفتح مكة وكان النبي (ص) رأى ذلك في منامه (٤٨: ٢٧) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) الآية وكان ذلك كما قال عز وجل وقوله (٣٠) الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعدهم سيفلون في بضم سين، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوى العزيز * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقد

صلق خبر الله تعالى ووعدته في الموضعين فقلب الروم في بضع سنين وفرح المؤمنون يومئذ بنصر الله لإيهم على المشركين كما هو مبين في محله . ويدخل في هذا الباب ما بشر الله به زكريا يحيى وما بشر به مريم وذكره من وصف ولدها وإعماله قبل ولادته ، ومن أخباره تعالى شأنه بأعمال الناس وأقوالهم في الآخرة قوله (٧ : ٣٨) قال ادخلوا في أم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار، كلما دخلت أمة لعنت اختها ، حتى اذا اذركوا فيها جميعا قالت اولام لا خرام ربنا هؤلاء أضلونا) الى الاية ٥٠ منها وليتدبر احمد افندي البدوي قوله تعالى بعد ذلك (٥١) وقد جتاهم بكتاب فصلناه على علم ، ومن قيل آيات سورة الأعراف في تحاور أهل الجنة وأهل النار وتخاصمهم آيات سورة الصافات كقوله (٣٧ : ٢٧) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الخ وهي في تخاصم أهل النار ، وقوله في حوار أهل الجنة بينهم ثم اطلعهم على أهل النار ومخاطبتهم لإيهم (٥٠) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ٥١ قال قائل منهم اني كان لي قرين ٥٢ يقول أثنتك لمن المصدقين) الخ الايات وفي سورة (ص) شيء من تخاصم أهل النار ، وفي سورة الحديد نبأ عما يكون من التحاور في الآخرة بين المناقين والمؤمنين

أفقيست ايها المتكبر لم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها هذه الايات كلها أم تجد لها تفسيراً برأيك تحرفها به عن مواضعها كما حرفت غيرها بسوء الفهم لا بسوء القصد كما هو الظن فيك ، ولولا ما نشرنا رسالتك ، ولما طعمنا في هدايتك ، فراجع نفسك ، واستغفر ربك ، ولا تنفر بعد برأيك ، واعلم ان هذه الزلة التي زلت لا تتفق مع الايمان الصحيح الذي يعتد به المسلمون ، ومن فضل الله عليك ان كنت على هذا الشذوذ الفاحش مؤمناً باقرآن متأولاً له وهذا هو محل الرجاء فيك ، والطمع في رجوعك الى الحق ، اذا كنت غير مغرور بنفسك

وهناك نوع آخر من أخباره تعالى عن مستقبل بعض الناس ، منه الاخبار بعدم إيمان اناس مخصوصين كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على إيمانهم والحجة فيه مزدوجة فهو حجة على علمه تعالى بغيب الناس وحجة على ان من الناس من يختم الله على قلبه فيفقد الاستعداد للإيمان والحق والخير . ومن ذلك قوله تعالى (٢ : ٦) ان

الذین کفروا سواء علیہم اآفندتہم أم لم تذریہم لا یؤمنون ۷ ختم اللہ علی قلوبہم)
الح وقولہ (۱۸ : ۵۷ وجعلنا علی قلوبہم اکنۃ ان یفقیہوہ وفي آذانہم وقرا ، وان
تدعہم الی الہدی ظن یمتدوا اذا ابدا)

ولو شئت لا تفلتا من هنا الی موضوع تکثیفہ الآیات الناقضۃ لمذہبہ فی
الاستقلال التام والحریۃ المطلقة الثامۃ للبشر فی افعالہم کاستناد اعلیہم الیہ تعالی
وتعید مشیتہم بمشیئہ فہما : (سأصرف عن آباء الذین یتکبرون فی الارض بغير
الحق — ولكن کرہ اللہ انبغاثہم فنبطہم وقیل اعدوا مع القاعدین — یضل بہ کثیرا
ویہدی بہ کثیرا — فلم تقتلہم ولكن اللہ قتلہم ، وما رمیت اذ رمیت ولكن اللہ
رمی — وأضلہ اللہ علی علم — فسندرجہم من حیث لا یطونہ وأملی لم ان کیدی
متین — وما نشاؤن الا ان یشاء اللہ — قل کل من عند اللہ — ولو شاء اللہ ما اقتلوا
ولو شاء اللہ لجعلکم أمة واحدة — ولو شاء اللہ لجمعہم علی الہدی — ولو شاء ربک
لا آمن من فی الارض کلہم — ولو شاء اللہ لہدکم اجمعین — ولو شئت لا تینا کل
نفس ہدایا — قل لا املک لنفسی ضرا ولا نفعا الا ما شاء اللہ — یرید اللہ ان لا
یجعل لم حفاظ فی الآخرة — ومن یرد اللہ فتنہ فلن تمکک لہ من اللہ شیئا — فن
یرد اللہ ان یردہ یشرح صدرہ للاسلام ومن یرد ان یضلہ یجعل صدرہ ضیقا حرجا
— وان یمسک اللہ بضر فلا کاشف لہ الا هو ، وان یردک بغير فلا راد لفضلہ —
لیس علیک ہدام ولكن اللہ یردہ من یشاء — واللہ لا یردہ القوم الظالمین —
واللہ لا یردہ القوم الفاسقین)

وامثال ذلک کثیر وما کنا نحب ان نشیر الیہ فی موضع لا ینسج لا یبطل ما
فہمہ الجبریۃ منہ علی اتنا قد ینا ذلک فی التفسیر وفي مواضع أخرى لا یمکن لاحد
افندی بدوی ان یردہ عما ذہبا الیہ فی تفسیرہا وهو ان مشیخہ اللہ تعالی و ارادۃ
جاریۃ علی سنن حکیمہ هو الذی وضعہا لنظام العالم ومنہا ان للانسان علما بما یفعل
وارادۃ ترجیح بعض الاعمال المکنۃ المستطاعۃ لہ علی بعض واستقلالاً متاً فی عملہ
الاختیاری ای الذی یعملہ

وجملة القول ان الفرق بين اعتقادي وهو اعتقاد جميع المسلمين وبين اعتقاد احمد افندي بدوي اننا نحن نوؤمن بان الله تعالى عالم الغيب والشهادة يعلم ما يعمله عباده قبل ان يعملوه وبعد ان يعملوه لا يتقيد علمه بالزمان ، وانه يعلم ماسوف يجازي به جميع الناس في الآخرة كما يعلم جميع ما يصيبهم من البلاء في الدنيا قبل وقوعه وبعدمه بلا فرق ، وان الجزاء على الاعمال انما يكون بحسب تأثيرها في الارواح وتركيتها للنفوس او تدهيبتها لما كل ذلك مما يحيط به علمه وتنفذ فيه مشيئته بحسب علمه ، وان هذا كله لا يتاني ما منحه الله للناس من اختيار واستقلال بل هو مرتب عليه والمنحة وآثارها من فضله بمحض ارادته . واما احمد افندي بدوي فهو يعتقد ان الانسان خارج في افعاله عن محيط علم الله تعالى ومشيئته مستقل تمام الاستقلال ليس لله عليه سلطان في افعاله لانه سبحانه وتعالى عما وصفه به كحكومة السودان في امر الجزاء وضع قوانين وهو لا يعلم من يعمل بها ومن لا يعمل ولكنهم بعد ان يعملوا يعلم على عملهم فيجازيهم عليه . . . هذا ما يريد ان يصلح به هذا الجندي دين المسلمين ، هذا هو التحقيق الذي فاق به الاولين والآخرين ، وما هو الا ضلال ميين ، فمضى ان يرجع عنه ولو بعد حين



تقریظ المطبوعات الجديدة

﴿ غاية الاماني ، في الرد على النبهاني ﴾

كتاب مؤلف من سفرین کیرین لأحد علماء العراق الاعلام المكنى بأبي المعالي الحسيني السلاجي الشافعي . رد فيها ما جاء به النبهاني من الجهالات والتقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقلوبة في جواز الاستئانة بغير الله تعالى وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وانصار السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية . بين المؤلف في كتابه هذا الحق في مسألة الاستئانة وما يتعلق بها ، وأطال فيما لا بد من الامالة فيه من تكذيب ماعزي الى ابن تيمية كذباً وبهتاناً من الاقوال الباطلة وماعزي اليه مما ظن الناقلون لجهلهم انه افرد به وهو لم يفرد به وما زعموا أنه باطل لعدم الوقوف على دليله ، وجاء بالقول الصحيحة من كتبه وكتب غيره من العلماء التي تقند أقوال المعارضين الكاذبين والجاهلين تغنيها ، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فيكون زهوقاً

وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية في التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والأدب والتصوف ، وما افرد به بعض المشاهير فانكره العلماء عليه كالانكار على النزالي وابن العربي الحاتمي وغيرهما
فلى هذا الكتاب تحيل الذين يكتبون لنا من الشرق والغرب يسألوننا ان نرد على النبهاني وكذا من اغتروا بقوله وقوله وظنوا ان قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها « انه لا يوثق بعلمه ولا بقله » هو من قبيل السب . وحاش لله ما هو إلا ما نفتقده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها ورؤية ما فيها من الاحاديث الموضوعية والتقول المكذوبة والاستنباطات الباطلة من جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً وهو ينكر الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلاً له

وقد قرظ هذا الكتاب طائفة من العلماء تار يظ حسنة فكأنهم كلهم ردوا على التبهاني ما جمعه كحاطب ليل . وقد طبع بحروف واضحة في مصر ولكن جاء فيه كثير من غلط الطبع فجمع في جدول في آخره فينبني لمن يقرأه ان يراجعه ويصحح الكتاب عليه قبل القراءة . وهو يطلب من الشيخ أحمد رزق شارح الفحامين بمصر وثمته خمسة وعشرون قرشا

﴿ اعلام الموقعين . وحادي الارواح ﴾

سبق لنا التنويه بكتاب (اعلام الموقعين) والنقل عنه فأكثر قراء المنار يعرفون قيمته ويعلمون انه لم يوثق مثله أحد من المسلمين في حكمة التشريع ومسائل الاجتهاد والتقليد والفتوى وما يتعلق بذلك كيان الرأي الصحيح والفاقد والقياس الصحيح والفاقد ومسائل الحيل وغير ذلك من الفوائد التي لا يستغني عن معرفتها عالم من علماء الاسلام .

واما « حادي الارواح إلى بلاد الافراح » فهو كتاب للإمام أبي عبد الله محمد بن القيم صاحب اعلام الموقعين جمع فيه ما ورد في الكتاب والسنة وآثار السلف في الجنة مع بيان معانيها وما يتعلق بها بما عهد من قلم المصنف الجوال في ميدان البيان ، بما يسر عن مثله فرسان هذا الشأن ، وقد طبع الكتابان معا بحرف جميل في مطبعة النيل بمصر في ثلاثة مجلدات

﴿ الاجوبة المرضية ﴾

« عما ورد كمال الدين بن ابيهم عن المستدين بنبوت . نة المغرب التبليغ »

كتاب صفحاته ٣٦ وإذا كان يعد صغيرا في ورقاته فهو كبير في موضوعه بل يقال بادي الرأي انه أكبر من المسألة التي وضع ليانها وهي سنية ركعتين قبل فريضة المغرب ، وما يظن الذكي الذي لم يقرأه انه ككثير من الكتب التي وضعت ليان شيء لا ينسجم القول فيه فأكثر واضعها من الاستطرادات والمباحث التي

ليست من الموضوع في شيء لبرضي أحدهم هو و يظهر فضله بتأليف كتاب كبير في مسألة صغيرة

وقد يظن من له حظ من علم الحديث ان هذا الكتاب لا حاجة الى مثله لان سنة المغرب القبلية ثابتة في الصحيحين ، فلا ينبغي ان يكتب فيها أكثر من سطرين ، حرصا على الوقت ان يتفق لإسرافا فيما لا فائدة فيه . واما المقلد فلا يزال أصح الحديث في المسألة أم لا لأنه يتبع ما وجد عليه آباءه وان كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون

وهذا الظن أيضا لا يصح ولا يرتضيه صاحبه لنفسه إذا هو اطلع على كتاب الاجوبة المرضية ولو كان الامر كما يظن قبل قراءته لما اطالت في تربيته والاذهان اليه

الكتاب صغير في حجمه كبير في معناه وقائده فهو كالمحول الصغير يهدم به البناء الكبير . هو يهدم لك تلك الشبهة الباطلة التي كبرت واتسعت حتى أحاطت بأذهان أكثر الناس وهم الذين يقولون إن علماءنا الذين سبقونا هم الذين أحاطوا بعلوم ديننا فيجب ان نأخذهم منهم لامن كتبهم المقدسة لاننا لا يمكن ان نفهمها كما فهموها . هذا ما كان يقوله المقلدون في كل دين حتى قاله المسلمون الذين امتاز كتبهم المنزل بابطال التقليد وذم فاعليه : يقول اتباع كل مذهب منهم ان فقهاء مذهبنا هم اعرف الناس بكلام ربنا وسنة نبينا فاذا قلدناهم كنا متبعين للكتاب والسنة من غير ان ننظر فيما ولان فهم شيئا منهما بل يجوز لنا ذلك ويقول لم اهل البصيرة بل عليكم ان تصيبوا حظا من النظر فيما وان يكون اصل اعتدائكم بهما وان يكون كلام العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء عونا لكم على ذلك فلا يسمعون دوما اضيع البرهان عند المقلد وقد يزعم الملب العلم منهم جودا ووصفا ما يراه في بعض كتب مذهبه من الاستدلال وال ترجيح والرد على المخالفين الذين لم يطلع على ادلتهم فيظن ان ذلك هو التحقيق الذي ليس وراءه غاية فيتيه بذلك عجباً ولو رجع الى اصول تلك الدلائل وتكلام اهل الشأن فيها لرأى ما لم يكن يرى وتغير حكمه على كثير منها وهذا كتاب الاجوبة المرضية يمثل لقاريه نموذجاً من ذلك

الكمال ابن المهام أعلم الحنفية في عصره ولم يجي بعده مثله بل يقل وجود مثله
 فيمن قدمه منهم حتى قيل انه وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق وكتابه الفتح القدير
 هو امثل كتبهم المتداولة واقواها استدلالا وبجتها في الحديث وتخريجا له ولكنه لما
 كان بجته واستدلالة لا جل تأييد المذهب لا لأجل بيان الحق في نفسه سواء وافق
 مذهبهم ام وافق غيره من المذاهب كان كثير الغلط والخطا في الاستدلال فاذا
 فحص العالم المستقل ادلته التي يرجح بها مذهبهم على مذهب الشافعي وغيره يرى
 الكثير منها خلافة وجدلا وكتاب الاجوبة المرضية يشرح لك ذلك في مسألة سنة
 المغرب اقبالية فان الكمال عفا الله عنه يعارض الاحاديث المتفق عليها والمروية في
 احد الصحيحين وغيرهما من كتب الصحاح بأثر عند ابي داود لم يرتق به الى مرتبة
 الصحة فيقول في ترجيحه اقوالا يقضها ما هو مقرر في علوم الحديث والاصول حتى
 انك تعد من خطاه في العشرات

فكتاب الاجوبة المرضية على صفحه يبين لكل ذي بصيرة ان المسلمين لا
 يستغنون بكتب فقهاء المذاهب بها جل مؤلفوها عن القرآن والسنة وكتب الحفاظ
 في الحديث وعلومه، وانهم لا يكونون مهتدين بكلام الله تعالى وسنة رسوله صلى
 الله عليه وآله وسلم الا اذا جعلوا العلم بهما مقصودا لذاته في الاهتداء لا لتأييد مذهب
 على مذهب

اما مؤلفه فهو الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المتقطع في دمشق الشام للتأليف
 وتصحيح الكتب المفيدة والتدريس مع الاستقلال في الفهم والاخلاص في العمل
 والاعراض عن زينة الدنيا وما يرغب فيها علماء السوء من المال والجاه . ومع هذا
 كله يهتمه الحشوية والمفسدون في الارض بأنه مشغول بتأسيس مملكة عربية ويفرون
 به الحكومة الدستورية كما كانوا يفرون به الحكومة الحميدية فله ان يقول:

انا في امة تداركها الله (م) غريب كصالح في عمود

الحرية في الاسلام

ألقى الشيخ محمد الخضر أحد علماء تونس المدرسين في جامع الزيتونة الاعظم

منذ ثلاث سنين وشهور مسامرة في نادي جمعية قدما تلاميذ المدرسة الصادقية بتونس موضوعها الحرية والاسلام شرح فيها معنى الحرية والشورى والمساواة وقسم الحرية الى اقسام : حرية في الاموال وحرية في الاعراض وحرية في الدماء وحرية في الدين وحرية في خطاب الامراء ، وختما بالكلام في آثار الاستبداد

طبعت هذه المسامرة في هذا العام فبلغت صفحاتها ٦٤ صفحة وقض صاحبها باهدائنا نسخة منها منذ اشهر وكتب عليها بخطه وقد ارجأنا قارئها راجين ان نجد وقتا نطالعها فيه ولا نجهده ، فرأينا ان تنوه بها الآن تنويها اجماليا وسنقل في جزء آخر نموذجا منها

ومن وجوه العبرة في هذه المسامرة ان علماء تونس الرسميين يخطبون في الاندية حتى في المسائل السياسية وحكم الاسلام فيها وبهذا يفضل علماء جامع الزيتونة علماء الجامع الازهر . ومنها ان الشيخ محمد الخضر كان في الوقت الذي اتقى فيه مسامرته قاضيا لمدينة بنزرت وهذا يدل على ان عمال الحكومة التونسية يتمتعون بحرية اوسع من حرية عمال الحكومة المصرية الممنوعين من الكتابة — بله الخطابة — في السياسة ولو من الوجهة الدينية . اوان فرنسا اوسم صدرا من انكثارا في ذلك

﴿ شرح الملقات للزوزني ﴾

الملقات السبع لفحول شعراء العرب في الجاهلية مشهورة وقائدها لطلاب ملكة الشعر وأدب هذا اللسان معروفة ، وشرح الزوزني لما هو عمدة المتأدبين في فيها وقد طبع أكثر من مرة ولعل أحسن طبعاته هي الطبعة الاخيرة بمطبعة دار الكتب العربية بمصر فهي تفضل غيرها بمعارضة الملقات فيها على النسخة التي اعتمدها الشيخ محمد محمود الشقيطي امام اللغة والادب في هذا العصر (رحمه الله تعالى) وبأثبت الأبيات الزائدة على ما في شرح الزوزني كما وجد في نسخة الشقيطي وبضبط الأبيات بالشكل ، وبضم معلقين آخرين اليها احدهما اللابنة الذياني والثانية لأعشى بكر واصل وقصيدتي التابغة الداليتين الشهيرتين اللتين يصف في احدهما المتجردة

زوج النعمان بن المنذر ، ويمتد في الأخرى له عما بلغه من السعاية فيه . ويطلب الكتاب من دار الكتب العربية الكبرى للحاج مصطفى الحلبي واخوته بمصر

﴿ الوطن — أو — ساستره ﴾

هي القصة التمثيلية الشهيرة لكاتب الترك وخطيبهم وأحد زعماء الأحرار السياسيين فيهم وامام النهضة الحديثة في ترقية اللغة العثمانية وتكوينها فائق كمال يك (روح) وهو يمثل في هذه القصة حب الوطن يغالب العشق فينبطه ، ويصور فيها الوجدان والوجد والشعور المتغلغل في اعماق النفس ، والهوى المستقر في زوايا القلب ، حتى تكاد تكون هذه المعاني الروحية ، اشباحا مرئية ، ولكنه يسرف في ذلك أحيانا فلا يراعي فيه مائمه مثل الطبع وتعرف طعمه الأذواق فيتنبه الذهن إلى كونه خيالاً لا حقيقياً ، وقد اشتهرت هذه القصة في أوربا حتى ترجمت باللغات الفرنسية والألمانية والروسية ، ولكنها كانت محجوراً عليها في عهد الحكومة الحيدية ، كسائر آثار مؤلفها ، وجميع ما ينه الأذهان من أمثالها ، حتى إذا ما جاء الدستور ، فأباح ما حرمه الاستبداد من الآداب والعلوم ، بادرو الأحرار العثمانيون إلى تمثيل هذه القصة بالتركية ، ثم مثلت في بيروت بعد ترجمتها بالعربية ، ترجمها بالعربية الشيخ محي الدين الخطاط وأجدر بمثله ان يحسن ترجمة مثلاً ، ويجعل فرعها وارثاً لحسن أصلها ، وقد أودعها بعض الأناشيد والقصائد من نظمه فزاد ذلك في معناها وحجبها ، وطبعها سليم افندي هاشم وكال افندي بكداش وهي تطلب من المكتبة الاهلية ببيروت ومكتبي هندية والمليجي بمصر

* * *

﴿ المجلات والجرائد ﴾

(النبراس) مجلة أنشأها في بيروت صديقنا الشيخ مصطفى الغلايني وهي

تبحث في المسائل الأدبية والسياسية وغير ذلك ومشربها دستوري إصلاحية . ومنشأها من تلاميذ الأستاذ الإمام كن على عهده مجاوراً في الأزهر يواظب على دروسه وهو ممتلئ غيرة وإخلاصاً وقد اشتهر اسمه في بيروت في أثناء اعلان

الدستور بما كان يقيه من الخطب في المجامع - وهو مؤلف كتاب (الاسلام روح المدنية) الذي رد فيه على (لورد كرور) وقد كان من جرأته في الحق أن طبعه في بيروت قبيل اعلان الدستور وفيه نقول من كلام الأستاذ الامام معزوا اليه بعضها بالتصريح وقول أخرى عن المنار (كما أشرنا الى ذلك في تقريره) ولولا ان جاء الدستور عقب طبعه لما سلم من الخطر والبلاء من الحكومة الحميدية عدوة العلم والدين - فحجة البراس جذبة بتعضيد محبي الاصلاح ومساعدة الثابتة الصالحه التي يرحي بنجاحها نجاح البلاد - وقيمة الاشتراك فيها ٢٥ قرشا لأهل القطر المصري وثمانية فرنكات لغيره من الاقطار ما عدا الولايات العثمانية فاقبىة لأهلها ربال مجيدي وربع

* * *

(المفيد) جريدة يومية سياسية أنشأها في بيروت صديقنا عبد الغني افندي العربي وهو من خيرة الثابتة الحرة في بيروت مهذب الاخلاق ذكي الفؤاد شديد الغيرة على الدولة والملة قوي الاخلاص لها وحسبك انه كان على حداته سنة من اعضاء جمعية الشورى العثمانية التي أسسناها في القاهرة لمجاهدة استبداد الحكومة الحميدية وطلب الدستور - فانا لا أزكي عليه وعلى صاحب البراس أحدا من نأبته الديار السورية في الحرية والاخلاص للدستور والرغبة في ترقية الامة بعد كهولنا المشهورين كالسيد الزهراوي ورفيق بك العظم

وقد ظهرت مزاياجريدة المفيد لأهل الفهم في بيروت بصدها في انتقاد الوالي قبلاً ادم بك وغيره من رجال الحكومة ومقارعتها لأصحاب النزعات الجنسية من الترك الذين يهضمون حقوق الأمة العربية وتضييها اهالي البلاد العربية التي انشئت بلسانهم الى ما به حياتهم ورفعة شأنهم ، من غير قية ولا مراعاة ولا مداراة ، وهي شديدة الانتقاد حتى كادت تكون غاية متطرفة فيه كجريدة المقتبس وإن الحرية التي لا تزال طفلة في مهد البلاد العثمانية لا تكاد تستطيع حمل اقبال الغلو في انتقاد الحكام فنصح لصديقنا ورفيقنا الجديد ان لا يخرج عن محيط الاعتدال ، وان يوجه سهام قده دائما الى الاعمال لا الى العمال ،

ثم اذكره بان يتقي في تقيية الأمة العربية وارشادها عصبية الجنس التي ينهى

عنها الاسلام ، وتنافي مصلحة الدولة في هذه الأيام ، وان نبث بثراً بعض الاغراء من الترك والاشراد من سائر الاقوام ، بل يجب احياء اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي الذي لا يفهم حق الفهم الا بها ، واللغة المشتركة بين جميع المسلمين على اختلاف اجناسهم ، لا لغة العنصر العربي وحده ، ولكن دعوتنا الى احيائها وقل جميع العلوم العصرية اليها ، كدعوة علماء الاسلام وانصاره من الترك الذين نرى من فضائل اقلهم في جرائدهم ومجلاهم ما لم نر لجرائدنا ومجلاتنا خيراً منه في الحث على احياء هذه اللغة الشريفة ، فارجم الى مجلة « صراط مستقيم » نبعدها في ذلك على هدى وعلى صراط مستقيم

ولا أنعى صاحب « المفيد » عن الوقوف بالمرصاد لمن يزل عن هذا الصراط من الترك وغيرهم فيعزز جنسيته ، وهو جاهل بأنه يضر بذلك قومه ودولته ، بل عليه ان يتبع عوارهم ، ويقلأ أطفالهم ، ويترجم ما يكتبون في ذلك ويحذرهم من منبته ، وإغرائه كل عنصر بتعزيز عصيته

وقية الاشتراك فيها اربعة ديات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

(الرقيب) جريدة تصدر في بغداد مرتين في كل أسبوع وتكتب بالعربية والتركية صاحبها ومديرها عبد اللطيف افندي ثيان (وكيل مجلة المنار) ويعجبنا منها ان أكثر ما يكتب فيها هو في انتقاد ما ينتقد على حكومة بغداد وعلى أهلها ومطالبة الفريقين بما يجب على كل منهما من اصلاح . وفي يدنا الآن العدد ٥٠ منها الذي صدر في ٨ رمضان وهو منشع بترجمة ما كتبه النادي العسكري في بغداد للصدارة ونظائري الحرية والداخلية عن الاختلاف واضمحلال الفيلق السادس . وسنشره في باب الاخبار . ويلىه قل ماروي عن طلعت بك ناظر الداخلية الجديد من اهتمامه بأمر الامن وراحة الاهالي وكتابه الى الولاة بذلك . والتعقيب على هذا الخبر بعدم ظهور اثر ولا ذكر له في ولاية بغداد ، والعدد كله على هذا المنهاج . قيمة الاشتراك فيها مدة سنة يصدر فيها مئة عدد ٣٠ قرشاً لاهل بغداد و٣٥ لسائر الولايات العثمانية و٧ رويات لاهل خليج فارس والمهند و ١١ فرنكاً لسائر الممالك

باب الأخبار والآراء

﴿ الديار السورية ، في عهد الحكومة الدستورية ﴾

بيروت

جعل ناظم باشا الشير واليا على بيروت بيد مطوع فجر الدستور وكانت الولاية لازال سكرى بجمرة الاقلاب ، وأهلها من احتقار الحكومة والافتيات عليها في هياج واضطراب ، فكانت سياسته فيها كسياسته في عهد الاستبداد : سياسة مدارة للأهالي حتي كان نفوذ كبير من البحارة والحايلين (الشبايلين) في بيروت أقوى من قواده ، وجوارهم أعز من جواره ، بل ظهر للناس كافة انه أحوج الى حمايتهم منهم الى حمايته ، وقد وافينا بيروت في تلك الاثناء ورأينا منه هذا الضعف ، فلفطنا في الإشارة اليه بالنصح ، مبينين له ان الاهالي مهما ظهر من اعتصابهم ، واعتصامهم فيما ليس من شأنهم ، لا يقفون في وجه الحكومة اذا اخذت بالحزم ، وعנית بما هو أول واجب عليها من حفظ الامن ، بل قلنا له ان الوالي يجب ان يكون في مثل هذا الطور الذي نحن فيه منفذا للدستور بضرب من الاستقلال يشبه الاستبداد حتي يكون الاهالي معه كمن ورد فيهم انهم يقادون الى الجنة بالسلاسل أي يلزمون الاعمال التي تقودهم اليها لزاما لا يحصى عنه . وقد أشرنا الى هذا فيما كتبناه عن رحلتنا في مجلد السنة الماضية

ولكن هذا النصح لم يؤثر في نفس الوالي لأنه جرى في المداورة على ما تعود ولأنه كسائر كبار الحكام قد شعر بثقل مسؤولية الدستور من حيث شعرا كثر الاهالي بضد ذلك وغلثوا ان الحكومة لم يبق لها عليهم من سيطرة ولا قوة فكان حفظ الامن وإضاعته في بيروت في يد عصائب أولي القوة من عامة الاهالي الذين يطلق عليهم لفظ (الابطشيات) ونحمد الله ان كانت حكومتهم على ما فيها من الخطر حافظة للامن العام ثم قل ناظم باشا الى دمشق الشام بعد اخراج شكري باشا منها - وسيجيء ذكره - وبقي فيها الى الشهر المنصرم فأعيد الى بيروت وعسى ان تكون حاله فيها خيرا من حاله السابقة في بيروت ومن حاله في الشام وسفشير اليها

ثم ولي ولاية بيروت أدهم بك وهو رجل قلم وفكر ، لارجل ادارة وعمل ، بارد المزاج لا يباي ان يعرف حال البلاد وأهلها ، ولا يهتم ما وقع فيها وانما يرى كل الواجب عليه ان ينظر في الاوراق التي تلقى اليه ، فيوقع عليها التوقيع الرسمي الذي كان يتعلمه ، اذ لم يكن من قبل يعلمه ، وقد بينا في النار من قبل اننا نصحتاه بأن يعيد نفوذ الحكومة الى نصابه ، ويوقف اقتيات عصائب العوام عند حده ، ويعنى بحفظ الامن والحرية الشخصية ، وانه أجابنا بأن هذا لا يمكن ولا يتيسر الا بعد أن تصلح حكومة الاستانة نظام الشرطة والشحنة (الضابطة والبوليس) وتنغذه في جميع الولايات ، ولم يكن يعقل معنى قولنا ان ذلك في استطاعة كل حاكم وانه لا يفتقر فيه الى إصلاح القوانين ولا تجديد النظام وإنما يحتاج فيه الى الحزم ومعرفة حال الاهالي ونفوذ الحاكم الحازم . وبيننا أيضا اننا نصحتنا بمثل ذلك لتصرف طرابلس جواد بك وانه كان يجهلنا بمثل ما أجابنا أدهم بك والي لان كلا منهما من أصحاب النظر لامن أصحاب العمل ولكن التصرف كان يجهل على والي كما يجهل والي على الاستانة ظهر بعد ذلك صدق ما قلناه لما أولهم فقد ولي قيادة الشرطة بيروت أمير الألاي نجيب بك فقل عصائب المفتاتين ومنع حمل السلاح وما كان من إطلاق الرصاص في الليل والنهار وقبض على من لم يفر ويفادر البلاد من المحكوم عليهم وأرهب جميع الاشقياء فحرف الاهالي ما لم يكونوا يعرفون من سطوة الحكومة واحترامها ، وكان خبر عون له على هذا نافذ بك رئيس الشحنة (مدير البوليس)

وولي متصرفية طرابلس الامير أمين أرسلان فعني في أول الامر بحفظ الامن فبسر له مع سوء حال الشرطة والشحنة ما كان يراه سلفه متسرا بل مستحيلا من منع إطلاق الرصاص والظهور بحمل السلاح وارهاب الاشقياء . واقبض على كثير من المحكوم عليهم منهم ولقاتهم في السجون ، ثم فترت همته في آخر العهد وقيل انه صار يقبل شفاعة بعض الوجهاء والمتنسين الى بعض الجمعيات ولعله لا يدري انهم انصار الاشقياء وأعوان السفهاء وشركاء الاصوص وسالي الامن . وقد انتخب بهجرا عن متصرفية اللاذقية وولي مكانه آخر . فهل يعتبر ان ولاية المتصرفون وروساء الشرطة والشحنة في سائر البلاد بفعل نجيب وناقد وأمين في حفظ الامن واحترام الحكومة؟

دمشق الشام

كان والي الشام عند اعلان الدستور شكري باشا ولعله أضعف ولاية الدولة عقلا وفهماً وأسوأهم ادارة؛ أقلمهم حزماً ، ناهيك بسوء تصرفه في حادثة آخر رمضان من العام الماضي فقد كان فيها آفة في ايدي اعداء الدستور ومثيري الفتنة ابتغاء قلب الحكومة الدستورية ، وإعادة العبودية الحميدة ، وقد اشرنا الى ذلك في سياق رحلتنا السورية في منار العالم الماضي فلا نعيد وقد عزل بتلك الحادثة شر عزلة

ثم ولي الشام من بعده ناظم باشا فلم يأت فيها باصلاح جديد بل انتشرت في دمشق على عهده جمعية 'وقنان' الافسادية التي أطلقوا عليها اسم 'الجمعية الحميدة' تمويها وخداعاً لعوام المسلمين . نشرها مثيرو فتنة آخر رمضان كالشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي واعوانها من الوجهاء ، ولولم يصطلم محمود شوكت باشا بجيش الحرية تلك الفتنة في الاستانة بتلك السرعة التي أدهشت العالم لظهور الفتنة في دمشق الشام في أقبح مظاهرها وقام عشرات الألوف الذين دخلوا جمعية الافساد ينادون بإبطال الدستور وإعادة السلطة الحميدة ، باسم الشريعة الحميدة ، على حين لم يخلل الاسلام سلطان من السلاطين كما خذله وأضعفه السلطان عبد الحميد لاسقى الله عهده ، ولا أرى المسلمين مثله بعده

حادثة رمضان الماضي في دمشق

أشرنا في الجزء الماضي الى هذه الحادثة المشنومة وقد ظهرت بوادرها في آخر مدة ناظم باشا وشاع ان له يدا فيها وابّ ضلعه مع الفاتنين الذين أثاروها ولهذا الاشاعة سئل عن ذلك في بيروت فأنكره وقال انه دافع عن كرد علي لما اتهم أولاً بمشايعة جمعية (وقنان) وكتب الى الاستانة ان كان كرد علي ارتجاعياً فانا ارتجاعى فكيف يتهمه بهذه الشهادة بالارتجاع ، وشاع أيضاً ان حسين عوني بك مدير المعارف بالشام قدم لهذه الفتنة في الاستانة تمهيداً قريبا به من تصور الحكومة ، وان السبب في ذلك حملات المقتبس الشديدة في الاتقاد عليه وبيان ما في ادارته من الخلل والتقصير . ويغلب على ظني انه لو بقي ناظم باشا في الشام لثلاثي الفتنة ولأخذ من محالبها مثل الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وعبد الرحمن بك اليوسف

لأنه يعرف من اخلاص هؤلاء للحكومة الدستورية ما لا يعرفه غيره ويعرف ما كان يكيد به أكابر المجرمين ودعاة الفتنة من اتباع أبي المهدى وغيره كالشيخين البيطار والقاسمي في عهد الحكومة الحميدية وانهم يكيدون لها الآن بمثل ذلك ويريدون ان يجعلوا الحكومة الدستورية كالحميدية آلة لنفوذهم والانتقام ممن يفضون من الاخيار والاحرار ومحبي الاصلاح . ناظم باشا يعرف هذا كله وكمنع أمثال هذه الفتن والشروع في زمن الاستبداد وهو قادر الآن على مساعدة الأبرياء كالشيخين وعبد الرحمن اليوسف وان لم يكن واليا فقله مقبول عند الوالي الذي خلفه وفي الاستانة أما كرد علي فقد اخطأ خطأ لا يبرئه منه أحد بل رأينا أصدق أصدقائه يلومونه فالحكومة أجدر بلومه على ما كتب وان كان بسوء فهم لا بسوء قصد ولكن ليس من العدل أن يحمل الرجل جانيا خارجا على الدولة هادما لقانون الأساسي الناطق بأن سلطان العثمانيين هو خليفة المسلمين

لو كان هذا الأمر مقصودا لصاحب المقتبس كتبه ليدعوا اليه لما أسنده إلى بلاغ شيخ الاسلام ، الذي أرسل ليطالع عليه انطامس العالم ، وهو نفسه يتنق لرب يسبق جميع الجرائد السورية الى نشره في جريدته . فن البديعي الذي لا يماري فيه عاقل منصف ان نشر تلك الفقرة قد كان زلة قلم ، لا زلة قدم ، وكثيرا ما تزل أقلام الكتاكين لكلام الله وكلام رسوله ، وآية ذلك انهم إذا نهوا أو تقيها الى خطاهم يبادرون الى اصلاحه وكذلك فعل كرد علي فأصلح في غده خطأ أمسه ، ونحن قد أصلحنا في الجزء الثامن من هذا المجلد خطأ في آية من كتاب الله وفي تفسيرها تبعالها وقم في مناوالعام الماضي ، وكتاب الله أعظم من بلاغ شيخ الاسلام فلن تعاقبنا حكومة الخلافة على ذلك الخطأ ؟ هل يرضى النبي عليه الصلاة والسلام أن تعاقب حكومة الخلافة الثانية عنه من يخطئ في خبر معاقبة الجناة في شخصه وعمله ومورد رزقه وهو القاتل د رفع عن أممي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . رواه الطبراني عن ثوبان (رض) بسند صحيح . أي الفريقين يكون طاعنا في كون الحكومة العثمانية حكومة خلافة ؟ أمن يخطئ في خبر لا يؤاخذ الله ولا رسوله عليه ، ولا سيما بمد ان تاب ورجع عنه ، أم من يعاقب من منع الله ورسوله عقابه ؟ « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »

قد قوت في دمشق الشام عيون اعداء الدستور الرجعيين ، وما زالت واجفة فيها قلوب الأحرار المصلحين ، فليهنأ الرجعيون في رمضان هذا العام بمئة صاحب المقتبس ، كما هتوا في رمضان العام الماضي بالمئة التي أناروها على صاحب النار ، وكما هتوا في عام سابق بالمئة التي أوقعوا فيها السيد عبد الحميد الزهراوي ، وليقولوا ان شاؤا ان لكل حر عندنا في رمضان مئة ، واننا نعد لكل طالب للإصلاح مئة ، وإننا نحن الظافرون في عهد الدستور وعهد الاستبداد ، واثنا نحن العاشون بحكومة عبد الحميد وحكومة رشاد ، ونحن قول ان العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وان الاعمال بالخواتيم

وما الهنا منكم بمشف قبا وطالما اشفى الهنا القبا

فاذا لم ينصف الوالي الجديد القوم فستنصفهم المحكة العرفية وان لم تنصفهم المحكة العرفية فستنصفهم الخليفة محمد رشاد بنفسه ، ويكون حزب الحق هم التاليين وحزب الفساد والاستبداد هم الخامسرين

مظالمنا في طرابلس الشام

نحن أقل الناس تعجبا بما أصاب كرد علي من الظلم لأننا من أوسعهم علما بمحظ بلادنا السورية القليل من الدستور لسوء حال الحكم وجريانهم على ما تعودوا من الاستبداد وجعل جمهور الأمة بطرق مراقبتهم ومطالبتهم بالعدل والنظم من كل هيئة حاكمة الى ما فوقها على ضعف هذه الهيئات كلها في هذا النوع من الحكم. وعلمنا هذا بعضه نظري مبني على قواعد علم الاجتماع والسياسة وبعضه اختبري بالاطلاع على أحوال الحكم وبالدخول في المحاكات بأنفسنا :

ظلمنا في عهد الاستبداد ظلما يفتنا لا يجهله أحد من حكام بلادنا ولا من الاهالي . ظلمنا في أنفسنا وفي أموالنا وفي أوقافنا وسبب هذا الظلم هو ان أحدنا صاحب مجلة المنار ، وقد نشرنا في الجزء الماضي ما كتب في جريدة يروت الرسمية من اتهام صاحب المنار هو واخوته بالجناية ليعرف الاجنبي كما عرف الوطني سبب ظلمنا والاعتداء على حقوقنا . وقد حال الحول على الدستور ولم ترجع الحكومة الدستورية إلينا شيئا مما سلبته الحكومة الحميدة منا فضلا عما سلبه الاشقياء منهم رضا بظلمنا وعدم الاتصاف لنا من يعتدي علينا

توفي والدنا وجنود الاستبداد محيطة بدواه فكنت الحكومة الاستبدادية بعض المهجين على الحقوق بما كان في تصرفه من حصة الاموال الأميرية الموجهة على أجدادنا من سلاطين آل عثمان الكرام المتسلطة اليه من ذريتهم بغير توجيه شرعي ولا نظامي ومن أوقف مسجدا أيضا . وكنا كتبنا في المنار ان نائب طرابلس في ذلك العهد وجه ذلك عليه مخالفا لقانون نظام التوجيهات المصرح بأن ما كان على الرجل من مثل هذه التولية يوجه بعد وفاته على أكبر أولاده . ثم تبين لنا انه ليس هنالك توجيه صحيح وأقنا الدعوى في المحكمة الشرعية لان صاحب هذه المجلة هو أكبر أخوته وأرشدهم وقد مرت السنة ونائب طرابلس يماطل في الدعوى ويلوي ولا يفصل فيها على وضوح الحق وظهوره ، ولماذا ؟ العلة يعرفها كل أحد ! على أنه قرر في اثنا الدعوى ان الحصة الموجهة من السلاطين على أجدادنا لم توجه بعد والدي على أحد وانه رأى ان يوجهها موقتا على خصمي مع أخ لي مناصفة الى أن تنتهي الدعوى التي لا يريدانها ما إلا إذا أنا أؤذيت وما أنا بالذي رضيه نعم قرر هذا النائب (عبد المجيد افندي الجعفري) ان الحصة المذكورة (ونسب حصة السبعة اقرار بطأ والسبعة السهام) لم توجه بعد والدي على أحد وامامه دعوى فيها ان خصمي (محمود حسن) اعتدى على هذه الحصة عدة سنين وأكلها بغير حق وهو يعلم اني صاحب الحق فيها كما هو مقرر في قانون التوجيهات فكيف وجهها الى خصمي المقتصب ولم يوجهها الي ؟ السبب في هذا هو أنه حاكم مستفيد في حكومة يرى هو انها اقرب الى الفوضى من الحكومة الاستبدادية الماضية فاذا كان لا يخاف من الله ولا من الحكومة العليا ان تسأله عن ظلمه وتعاقبه عليه فاذا يمنعه من تمكين المختلس لهذه الحصة زمنا ثم يوجهها عليه توجيها موقتا بعد ثبوت اختلاسه اياها عدة سنين قبل هذا التوجيه الموقت . وبدا !!! ماذا يخاف عبد المجيد الجعفري بعد ان ثارت عليه طرابلس بقضها وقضيضها وهجم الالوف من أهلها على المحكمة لاجراجه منها أو الفتك به لسوء سيرته واشتباره بهضم الحقوق واتهامك حرمة الشرع و بعد أن ارسلت العشرات من الشكاوي عليه بالبرق الى شيخة الاسلام ونظارة الداخلية وولاية بيروت ، و بعد ان أمر شيخ الاسلام بمحاكته في ولاية بيروت فكان من رأي المجلس الذي عقد لمحاكته الصلح بينه

و بين خصمه بعد ان ظهر لم وجه اداته والحكم عليه !! ولماذا ؟ لانهم رجل ذو عيال !
 فهل تكون هذه القاعدة متبعة في حكومتنا و مرضية عند امتنا ونكون معها امة
 دستورية وحكومة دستورية ؟ لا لا . وهل يكون من ينجو من كل هذا في
 عصر الدستور ماليا بسلب الحق من صاحبه واعطائه لغيره ؟

هذا الصلح او الاعداء عن حاكم يثبت بالشريعة ويضع الحقوق فعنده الحكومة
 لانه ذو عيال مدعاة لافساد الصالح من الحكماء فضلا عن استمرار الظالم على ظلمه
 تزوج الجعفري على ام اولاده فتاة في الرابعة عشرة من سنّها المجرد المتع وهو في سن
 الستين ليس في حليته شرة سوداء . ولا يبعد ان يتزوج فتاتين أخريين ويفتح
 اربع بيوت على قلة راتبه الشهري ، وهل يمنه قلة الراتب من ذلك والحكومة
 الدستورية تبيع له الاستبداد وهضم الحقوق والحكم بالباطل جهرا كما نعلم ذلك علم
 اليقين في قضيتنا وكما يلجج به الناس في بلادنا

استغفر الله ان الحكومة الدستورية لا تبيع له ذلك بطبيعتها وشكلها ولكن
 ليس عندنا رجال يقيمون هذه الحكومة على قواعدها ، على ان المحاكم الشرعية لم
 يكن لها حظ من الدستور فلا الاحكام فيها تجري بالمشاورة كما هم مصر ولا المشيخة
 الاسلامية رئيسة هذه المحاكم توجه اليها مفتشين يعقبون احكام التواب (القضاة)
 فيقلع عنهم بالشرعية ولا هي تضع لم كتابا كالمجلة يلزمون الحكم بمسائله . فاذا طال
 المهمل على هذه الفوضى في المحاكم الشرعية سقطت قيمة الشرع من نفوس العامة
 وبطلت قمتها به فتوجه عناية المشيخة الجليلة الى ذلك

﴿ حال الفلق السادس في بغداد ﴾

جاء في جريدة الرقيب البغدادية ما نصه مع تصحيح قليل :

ذكرت وصيقتنا (بغداد) في عددها ٤٨ ان قد اجتمع في النادي العسكري
 امراء وضباط الفلق اجتماعا عموميا وتذاكروا في أمر الفلق السادس والمخطاطة وتدنيه
 وكان من نتيجة مذاكرتهم ان بشوا بتلغراف الى الصدارة ونظارة الحربية والداخلية وقد
 وقفت على صورته وأدرجته بنصه بالتركية فأقرنا درجته بالبرية وهذه هي :

« ان فيلقنا باعتبار الاعداد هو الفيلق السادس وهو الخارس الوحيد قسم مهم من أقسام الملك العثماني ولكنه لما توالى عليه من المصائب والزبافى السنين العديدة نزل الى دركة من السفالة والضعف . ولذلك لم نزل الدواهي تتوالى على أفرادها حتى لو جمعت لبلغت أعظم مبلغ يمكن تلفة في حرب دموية عظيمة بل أضاعف ذلك . فهذه المصائب أوقعت في الخاطر وشوشت نظامه للدرجة فوق العادة .

فالיום فضلا عن وجود الافراد الاحتياطية يوجد ٢١ تابورا من الريدف أيضا تحت السلاح ومع ذلك فالامن العام مختل بصورة لا يمكن ان تلقى بالشرف العثماني ولا تقوم بشأنه وشوكته .

فالراق اليوم بكل اطرافه بوثة مصائب . والفيلق بجميع جهاته كل فرقة منه توجب الاسف الشديد لما هو فيه من الإزراء وما هو متصور من زيادته شيئا فشيئا ولا سبب الا سوء الادارة . وقد ترك هذا الفيلق الذي لم يزل في كل دقيقة يخطو خطوة لهاوية الاضمحلال منذ تأسيس الحكم الدستوري دون سائر الفيلق بلا قومندان ولا صاحب ولا رئيس أركان حرب !

فالاغتناء به اليوم لا يوازي عشر ما كان عليه عندما افتتح نجد اوسكن تلك الفوائل بأجمعها . فلو وجد قومندان مقتدر فعال (لا كمن لا أثر له سوى كونه عبئا ثقيلا على بيت المال) لتمكن من اعادة شرفه وشوكته وسطوته بهذه القوى المتفرقة الضعيفة .

فبناء على ذلك ان كان نعمة للحكومة العثمانية احتياج الى هذا الفيلق أو كان هذا الفيلق معدودا من فيالق الحكومة الدستورية فيجب تعيين قومندان فعال مقتدر وكذا رئيس أركان حرب وكذا امراء يكونون اهلا قوماندانية الصنف بأجمعها وارسالهم بالصورة السريية فان في ذلك صونا له من الاضمحلال المحقق والتلف المحقق به .

إننا للأسف لعدم وجود مقتدر في هذا الفيلق للقيام بالوكالة الحين وصول من سيعين له فلا يقتضي العهد في الوكالة الى أحد من الموجودين قط وقد حذرنا ذلك خدمة لصالح هذا الفيلق في الحال والاستقبال وباسم هذه الخدمة طلبنا ذلك . »

(تصحيح) في « ١١ و ١٢ ص ٧٥٥ » من هذا الجزء : ان الابرار بشرى من كسى . والصواب : ويسقون فيها كسأ . الخ

المسحاة

١٣١٥

فيها الحكم من يشاؤون يؤت الحكم فيها أو
غيرا كثيرا وما يدعكرا الا اولو الالباب

فيهم ما دى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « متارا » كثار الطرق ﴾

﴿ مصر الاثنين سلخ ذي القعدة ١٣٢٧ - ١٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٢٨٥ - ١٩٠٩ م ﴾

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين عامة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيلته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج قالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا ففاله

﴿ الصلاة بعد صلاة الجمعة ﴾

(س ٣٣) من صاحب التوقيع بالسودان

سيدي الفاضل صاحب المنار الاغر ، نفعنا الله به آمين

السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد فلما كانت مجلتكم الفراء هي المجلة الوحيدة الدينية الاسلامية التي اخذت على عاتقها خدمة الدين والامة واتباع منهج الحق والتي انتشر ذكرها في مشارق الارض ومقاربها حتى حازت ثقة الخالص والعام حماها الله وحفظكم لخدمة الملة والدين آمين - جئنا بالآتي :

نحن ياسيدي في بلدة حديثة العهد بالعمران يسكنها من المسلمين ما يبلغ ثلاثة آلاف نفس ما بين سوداني ومصري وجدايوي و عثاني وبعض من الهنود والمغاربة وليس فيها مرشد ديني الا قاضيها الشرعي السابق الذي أرشدنا للنار صاحبه وعرفنا كيف قصده عند الشدائد والذي بسميه وجدته وبما جمعه من المسلمين أسس زاوية من الخشب كأغلب ابنة البلدة وهي المسجد الوحيد الذي تقام فيه الجمعة والجماعة وما زال حفظه الله يمجّد ويجهّد بإلقاء دروس الفقه والتوحيد على العامة حتى نور الله بصائرهم نوعا حتى رزقنا بنقله الى محكمة مركز سواكن عقب نقل المديرية منها الى (بلدتنا) وجاء قاضي محكمة المديرية فأملانا خبرا خصوصا وانه اكبر

سنا ومرتبة من سابقه، ولما أقبلت أول جمعة بعد وصوله وحضر المصلون وازف وقت الخطبة والصلاة وصرنا في انتظار الامام ولم يتقدم أحد دعي فضيلة القاضي للخطابة فادعى انه لم يعمل المتأخر في عمره ولم يعود الخطابة فخير فيمن يندبه فتدب امام الاورطة العسكرية هنا ليخطب ويصلي بالمسلمين بالنيابة عن فضيلته فأجاب المذكور وصلى وانه وان كان في لسانه عقدة وفي لقلائه بعض تعقيد غير انا احدنا الله تعالى الذي لم يحرمانا من يقوم بالامامة والخطبة

صلى الامام الجمعة وعقبها باربع ركعات الظهر أو ثلث (لأدري) فظن بعض المالكية ان صلاة الامام الظهر بعد الجمعة تبطل صلاة المالكية والمسجد واحد لا تقام الجمعة في غيره فسل الامام عن ذلك فما كان جوابه الا ان انفل وحسب وكبر عليه ان يسأله احد من العوام ويخطبه في صلاته (وما كان الاستفتاء) وتخلص بقوله: أنا ما بخدشي أجرة ومذهبي حنفي وما ليس دعوه بمالك لاني ما حضر توشي في الازهر والي يصلي ورايه يصلي والاما يصلي شي عنه ماصلى !! (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى)

لم يكتف حضرة الامام بما أبداه من الاستياء من سؤال العالبي الذي أراد ان يذكر فشغفه الذكرى بل اعاد الكرة في الجمعة التالية وأظهر عظيم استيائه وجعل خطبته طعنا وذما وشما لمن يتجرأ على العلماء ويسألهم ويخطبهم حيث قال بعد الحمدلة والاستغفار والشهد مانصه :

« عباد الله : قال الله تعالى «ومن اعظم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها» الى عظيم . وقال تعالى «يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها» عباد الله: النبي أودى من قبل من المنافقين ولي في رسول الله اسوة حسنة ! عباد الله : وسوس شيطان من شياطين الانس لبعض المصلين وما يهدم الشيطان الا غرورا ان يخطبني في صلاتي أو ان صلاتي باطلة حيث صليت اربع ركعات ونفلا وقالوا اني صليت الظهر واقسم بالله العظيم اني ماصليت الظهر ولا تنفلت وان صلاتكم صحيحة وصلاة الذين صلوا الظهر باطلة ولم أدر كيف يتجأ هو ملا الشياطين على نخطبة علماء الله هم وكلاء الله في ارضه ! !

عباد الله: قال الله تعالى «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه قدرهم وما يفترون»
 ولئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لتغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا مقتيلا» عباد الله: اني
 سخطب وما اغتصبت الوظيفة من صاحبها وما خطبت الا بعد الاذن منه فاختروا
 الخطيب الذي يصحبكم . هذا وان لم ينته المنافقون فسوف يخرجهم الله من هذه البلدة
 مدحورين خاسرين الدنيا والآخرة كما اخرج الذين من قبلهم ، عباد الله: ان
 شعبان قد مضى هل فيكم من قدم فيه شيئا ينفعه هل فيكم من عمل صالحا
 هذا هو ملخص الخطبة وآياتها وألفاظها والتي لم يخرج عن السبب الذي سأله ومن
 وافق عليه من (الشياطين) وبأياته ماسأل

اتتهت الصلاة وقام المصلون وانصرفوا فتم من قال بفساد الخطبة وعدم جواز
 الصلاة خلف هذا الامام وآخرون قالوا بفساد الخطبة ققط ولازال المهرج والمرج
 بين الناس مع اختلاف جفسيهم وفيهم من عاهد نفسه بعدم الصلاة خلف هذا الامام
 فأغشونا وأفيدونا عن الصواب عن كلِّ وما يتبع وعن صلاح الخطبة وفسادها
 وصلاة الظهر للامام بعد الجمعة أو التنفل هل يفسدان صلاة المالكية مع نشر هذا
 السؤال برمه حتى لا يقال تجاوزوا الحق أو كتبوا غير الحقيقة والمسلمون يطلبون هذه
 الخدمة الدينية لله وللنفع العام ولكم منا الشكر ومن الله الاجر
 ولما كان خير البر عاجله فارجوكم نشره بأول عدد وأن تفسحوا له صدركم الرحيب
 رصدر مجلتكم الغراء ودمت ياسيدي

ورحم الله الاستاذ الامام حيث يقول ان طول الاقامة في الازهر تضعف
 الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به لان من فكر حضرة الامام ان علم الجغرافيا وما
 فيه من نغلب الفصول والبروج والعلوم الحديثة الاخرى هو من الكفر الذي جلبه
 الشيخ محمد عبده .

الفقير محمد بهجت

بالكاوك السودانية

(ج) ليس فيما ذكرتم من الخطبة ما يقتضي عدم صحتها أو عدم صحة صلاة

الجمعة المرتبطة بها . وصلاة الامام بعد الجمعة أربا أو أكثر أو أقل لا يبطل صلاة الجمعة على نفسه ولا على المصلين من المالكية ولا غيرهم وما علمنا ان احداً من علماء المسلمين قال ان عملاً من الاعمال يصدر من رجل يبطل عبادة غيره أو عبادة نفسه الا الردة أي الكفر بعد الايمان فانها تحبط العمل وتبطل ثوابه . فأيها المسلمون لا تغفلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . بذلك وصى الله من قبلكم وأعلمكم به لعلكم تتقون . ثم ان صلاة الظهر بعد الجمعة ليست مطلوبة عندكم في مذهب من المذاهب وان من لا يقول بسنية صلاة قبل الجمعة وبعدها كالمالكية ليس له ان يعترض بمذهبه على مذهب غيره ممن يقول بذلك ، والنظر في التعادل والترجيح بين أدلة المذاهب شيء آخر لكل أحد من المشتغلين بالعلم ان يبحث فيه بشرط ان لا يجعل سبباً للتفرق بين المسلمين باختلاف الاجتهاد الذي لامندوحة عنه . وعندي ان مذهب المالكية في هذه المسألة ارجح ولكنتي لا اعترض على غيرهم لخالفه اجتهادهم لاجتهادهم واذا كان ما ذكرتم عن الخطيب منصوحاً على غره فاني اعظه ان لا يعود الى مثله واذا كره بما يجب على الواعظ من الحلم والصبر وعدم الانتصار لنفسه ولا سباً بمثل تلك الشدة التي هي من السب والشتم وفي حديث الصحيحين « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره » وفي حديثهما ايضاً المسلم من سلم المسلمون من شر يده ولسانه » وفي رواية لغيرهما « من سلم الناس » الخ وليعتبر بما قبله تلك الحدة فانها غبرت قلوب كثير من الناس وأطلقت ألسنتهم فيه ولو علمهم بالحلم لجم قلوبهم عليه فأقدم واستفاد من اقبالهم عليه وتعلمهم منه كثرة الاجر وحسن الذكركا كان شأنهم مع القاضي السابق ولا شيء . يبين على الحلم واللين وحسن السياسة وعدم الدعوى والانتصار للنفس كالاخلاص وعسى ان يوجه قاضي المدبرية همته الى اصلاح ذات الين والعناية بارشاد أهل هذا البلد وقراءة درس لهم في الحلال والحرام وآداب الدين وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ اطلاق لفظ مولانا على الناس ﴾

(س ٣٤) من محمد علي افندي من موظفي كرك (يافا)

حضرة العالم العلامة السيد محمد وشيد رضا منشي المتار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أعرض اتني قد اطلعت على كتاب يدعى (صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان) فرأيت قد فسر كلمة « مولى » بما معناه : ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على بني الانسان كأن يقال مثلا (مولانا فلان) فكل انسان قالها لانسان غيره يشرك بالله ، قرأت هذا وأنا بين الشك واليقين في كلامه لا تني كثيرا ما أسمع هذه الكلمة يقولها الناس لأناس غيرهم فلم أر احدا يهديني للصواب سواكم فأثيت برسائلي هذه مستفتيا اياكم عن هذه الكلمة ودرجها مع الجواب بأول عدد يصدر من مجلتكم الغراء ، فلا زلت الملجأ لحل المشكلات ، والوحيد في فك المعضلات ، آمين .

(ج) لقد غلا صاحب ذلك الكتاب في قوله الذي قتلتموه غلوا كبيرا وأخطأ خطأ ظاهرا فلفظ المولى ليس مشتقا من لفظ الجلالة الذي هو من مادة « وله » بل هو مشتق من مادة الولاية أو الولاء وقد بين الله تعالى في كتابه ان المؤمنين بعضهم أولياء بعض وما كل ما أطلق على الله عز وجل من الاسماء يحرم اطلاقه على غيره كما هو معلوم من اطلاق لفظ « رؤف رحيم » على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن ومن تسمية المسلمين أبناءهم بالحكم والرشد وغير ذلك مما جاء في أسماء الله الحسنى . وقد استعمل المسلمون لفظ « المولى » من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا العهد وهو بمعنى السيد وشاع عندهم اطلاقه على المعنوق فكانوا يقولون زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) وناقم مولى ابن عمر (رض) . ومن استعماله بمعنى السيد قول الخنساء رضي الله عنها في أخيها صخر وان صخر المولانا وسيدنا وان صخرنا اذا نشئوا لنحار

﴿ السماء والزرقة التي تراها فوقنا ﴾

(س ٣٥) من السيد محمد حسين نصيف (بجدة - الحجاز)

حضرة العلامة الفاضل ، والسيد الكامل ، من طار صيته حتى ملأ الاقطار ،
بأعلا المنار ، مولانا السيد محمد رشيد رضا ، حفظه الله وأدامه

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أرجوكم حل هذه العقدة التي أبرمها
امامنا أحد طلبة العلم مدعياً ان الزرقة التي تراها فوقنا ليست بالسماء المرادة بقوله
تعالى « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بيناها وزيّنّاها وما لها من فروج » وانما
تلك الزرقة هي الجو محتجاً علينا بالحديث « ما بين كل سماء خمس مئة عام » وان تلك
المسافة لا يدركها البصر عقلاً ، فهل السماء التي تراها فوقنا زرقاء هي السماء الحقيقية
المدكوّرة بالقرآن والحديث ؟ أم الجو كما زعم ! أفيدونا وارونا من بحر علمكم الزاخر
زادكم الله علماً وقها والسلام

(ج) الحديث الذي أشار اليه طالب العلم لا يصح ولا يحتاج به لفظ السماء
قد أطلق في القرآن على عدة معان منها السقف في قوله تعالى من سورة الحج « فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع » الآية ، ومنها السحاب في عدة آيات وذلك ان هذا
اللفظ من السموات وهو الملوّ فكل ما علاك وكان فوقك جاز لك أن تسميه سماء هذا
هو وضع اللغة التي نزل بها القرآن . فهذا الشيء الأزرق الذي نراه فوقنا في النهار
سماء ومجموع هذه النجوم الالامعة التي تراها فوقنا في الليل يسمى سماء وجهة العلو
فوقك تسمى سماء . وبذلك ورد القرآن . وقد اختلف علماء الهيئة الفلكية في هذا
اللون الأزرق الذي في السماء وينسب اليه ما يشبهه من ألوان الثياب وغيرها فيقال
« سماوي » وفي لون البحر وليسوا على يقين بما يقولون فيه وهو على كل حال وكل قول
لون لا يقوم بنفسه وانما يقوم بجسم أو جوهر وما يقوم به اللون يسمى سماء وان كانت
الزرقة حادثة من الفصل بين النور والظلمة في هذه الجهة كما قال بعضهم . والقرآن لم
ينزله الله تعالى لشرح مسائل العلوم والفنون الكونية كالفلك والنبات والحيوان وإنما

تذكر فيه محاسن المخلوقات وعجائبها لتنبيه على حكمة الله في ابداعها ونظامها وعلمه الواسع وقدرته العظيمة وان السماء التي تنظر اليها في الليل والنهار ذات زينة بديعة وبناء محكم لا تفاوت في خلقها ولا فروج ولا شقوق فيها وهي من آياته سبحانه وتعالى الدالة على الوهية . وما اكتشفه علماء الفلك من اسرار سننها لا يزيد المؤمن بالقرآن الا ايمانا وخشوعا وليس فيه شيء يتقضى كلمة منه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

* * *

﴿ دفع الزكاة للجمعيات الخيرية العمومية ﴾

(س ٣٦) من صاحب التوقيع في الاسكندرية

حضرة الاستاذ الفاضل والملاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا فغننا الله به آمين
السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد هل يجوز اعطاء زكاة المال للجمعيات الخيرية
كجمعية رعاية الاطفال وهي ليست خاصة بفقراء المساكين المسلمين بل تعيل كل
من يأتيها من فقراء اليهود والنصارى وهل يجوز قلها لمكتب الادارة اذا كان بعيدا عن
مسافة القصر كالمسافة من الاسكندرية الى مصر ونظرا لاهمية الجواب ارجو التكرم به
بخطاب خصوصي وان لم يمكن فالرأي لكم ودمتم كاتبه

عمود شرف بمصلحة عموم الفئات

(ج) الزكاة المفروضة لما مصارف معينة وهي تؤخذ من أموال المسلمين لمصالحهم
فلا يجوز صرف شيء منها لغير المسلمين كما هو مفصل في كتب الفقهاء يعلم ان دفعها
لجمعية رعاية الاطفال لا يسقط الفريضة عن الدافع بل يكون ما يدفع لها من صدقة
التطوع وهي جائزة للسلم وغير المسلم كما يتناذك في تفسير قوله تعالى « ليس عليك
هداهم » فراجع في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم . واذا علمت ان دفع الزكاة
للك الجمعية غير جائز بمعنى انه يسقط الزكاة المفروضة فقد استغثت عن جواب
السؤال الثاني وهو قلها الى مكتب الجمعية من مكان بعيد عنها مسافة القصر أو أكثر
والله أعلم

* * *

﴿ العلم والاتحاد ، أيهما المقدم ؟ ﴾

(س ٣٧) من صاحب التوقيع في ستافورة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مايقول حضرة الامام السيد محمد رشيد رضا نفع الله به آمين
في رجلين قال أحدهما : لا اتحاد بدون علم وقال الآخر بل لا علم بدون اتحاد
فن يراه حضرة السيد المصيب ؟ وليتفضل بالجواب مبسوطا على صفحات المتر
لابرحم تافعين للأمة كاشفين عنها كل غمة آمين
السيد عبد الرحمن الكاف

(ج) مجال الكتابة في العلم والاتحاد وعلاقة كل منهما بالآخر بمجال واسع يمكن
أن يكتب فيه مصنف كبير ولايجسن أن يكون ذلك في جواب سؤال مجمل كهذا
السؤال، و بيان ترجيح رأي على آخر وكلاهما غير ميين ، فها هو الاتحاد المنفي نفسه
بدون علم وما هو هذا العلم المنكر ؟ وما هو ذلك العلم المنفي نفسه بدون ذلك الاتحاد
المنكر ؟ هل المراد اتحاد طائفة من أفراد الناس على عمل ما ؟ أم اتحاد طوائف من الناس
على تكوين ملك مشترك كالاتحاد الجرمانى والامريكي ؟
الاتحاد عمل يتعلق بالجماعة أو الجماعات ولاعمل الاعم العلم بكيفيته ، والعلم بمايناله
الافراد بدون اتحاد مع غيرهم فهو المقدم دائما ولكل عمل علم خاص يكون مقدمة له
ومنه الاتحاد فقول من قدم العلم هو الصواب

العرب والترك (*)

١

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

التفاير بين الاخوة الاشقاء ، والتنافس بين الجيران والخطاء ، هما من الاخلاق الموهودة بين الناس ، في جميع الشعوب والاجناس ، وكثيرا ما يفضي التفاير الى التنافر ، والتنافس الى التحاسد ، فاذا اقترن ذلك بالتقاطع والتدابير ، ولم يفض كل من المتنافسين بما في نفسه الى الآخر ، اشتعلت بينهما نار العداوة والبغضاء ، وان كان الخير لكل منهما في الموائمة والوفاء ، وان ما يقع من الشقاق بين البشر بسوء الفهم ، اكثر مما يقع بسوء النية والقصد

تلك قوانين الاخلاق وسنن الاجتماع التي تسير عليها الافراد والاقوام ، فالعرب والترك هما الصنوان في شجرة الملة الحنيفة ، والاخوان الشقيقان في الجامعة العثمانية ، والركنان الركبان لبناء الخلافة الاسلامية ، فالرابطة بينهما جديرة بأن تبقى دائما كما وصفها كمال بك نامق زعيم النهضة الادبية في الترك بقوله : « ان كان يطعم أحد في حلها فهو الشيطان » وان كان يقد عليه احد فهو الله »

هذا ما كان ، وهذا ما يجب ان يكون الى ماشاء الله ، ولكن وجد شيطانان لاشيطان واحد يطعمان في حل الرابطة المتينة بين العنصرين اللذين امتزجا كامتزاج الاكسجين والادروجين في تكوين الماء ، أو الاكسجين والنيتروجين في تكوين الهواء ، ذاك الشيطانان هما شيطان السياسة الاوربية ، وشيطان الجهل في كثير من افراد

(*) مقال طويل كتبته في الاسبلة ونشرته منذ متفرقة مترجما بالتركية في جريدة « اقدام » الشهيرة وبالغربية في جريدة « كلمة الحق »

الغصنين، ولكل واحد من هذين الشيطانين شر من شيطان الجن الذي ذكره كمال بك رحمه الله، وسأين ذلك تبيناً

ان هذا العاجز كاتب هذا المقال ربما كان من أعلم الناس بقوادم هذه المسألة وخوافيها وهزلها وجدها لا تبيح مصر منذ اثني عشرة سنة فكنت اشتغل فيها بالدعوة الى الاصلاح الاسلامي جهراً، من حيث اشتغل بالسياسة العثمانية سراً، وان مصر في هذا العصر، لهي مرآة الشرق والغرب، بما فيها من الحرية المطلقة، والشعوب المختلفة، والجرائد الحرة، والاجتماعات المباحة، فالقيم فيها يسهل عليه ان يعرف من احوال البلاد العثمانية وسياسة الدول فيها ما لا يعرفه أهل الاستانة ولا غيرهم من المقيمين في الولايات حتى في هذا العصر عصر الدستور، فاذاً قول في عصر الاستبداد القريب: عصر الحجر على المطبوعات والختم على الافواه، والمنع من الاجتماع، والرعب من ذكر بعض الاسماء والاقاب، والمقاب الشديد على فلتات اللسان، وزلات الاقلام؟؟!!

اتني مارتكت مصر وجئت الاستانة في هذا الوقت لأمتع النفس باستنشاق هوائها وعذوبة مائها ومناظر يوسفورها، وانما جئت باحثاً ومختبراً أو ساعياً في الاصلاح، فأنا أعرض ماعندي من المعرفة والاختبار والرأي، على أولي الامر وأهل الحل والعقد، بعضه بالمشافهة والمسارة، وبعضه بالكتابة في الجرائد، فان صادف آذاً واعية، واعينا بصيرة متأملة، فذلك مأرجوه، وان صدق ما قبل لي بمصر من ان أولي الامر وكذا أصحاب الصحف في الاستانة لا يبالون بقول أحد ولا برأيه - وما أظن ان الامر كما قيل - فحسبي اتني أدبت الواجب عليّ وعملت بالنصيحة الواجبة لائمة المسلمين وعامتهم كما ثبت في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما

قضيت أكثر من اسبوع في هذه العاصمة لأتقابل أحداً من أولي الامر ولا من أصحاب الجرائد وانما كان هي فيها محصوراً في اكتشاف الآراء، واستخراج خفيات النفوس، ومكونات الصدور، في الامور العامة، ومسألة سوء التفاهم بين الترك والعرب خاصة، فرأيتني بعد ان عفت على كثير من المسائل والآراء، وما

فيها من الاغراض والاهواء ، لم أزد علماً بأصل المسألة وإنما أضفت الى ما عندي جزئيات جديدة من الحوادث والوقائع تؤيد الامر الكلي ولا تنقض منه شيئاً فالامر الذي يجب التصريح به بالاجمال ، قبل بيان الاسباب والنتائج بالتفصيل والذي يجب ان يعلم وان يعمل به ، هو أنه يوجد شيء من سوء التفاهم بين العنصرين تخشى عاقبته ان لم يتدارك في الحال ، وأن كبراء الدولة وقادة الافكار في العاصمة ليسوا على هيئة منه وأستشهد على ذلك شهيدين قرييين : أحدهما فتنة الشام في هذا العام ، وثانيهما ما نشر في جريدة «اقدام» من خبر اتحاد امراء جزيرة العرب لاجل تكوين دولة عربية ١

أما الاول الذي استدلل به على ان حكومة العاصمة ليست على هيئة من احوال الولايات العربية فهو ان بعض الوشاة في دمشق الشام بلغوا هذه الحكومة بتقرير من تقاريرهم التي اعتادوها في زمن الحكومة الحميدية بأن أفراداً معينين يكونون دولة عربية وخلافة جديدة !! فبادرت الحكومة الدستورية الى التحقيق واستنطاق المتهمين بهذه الجناية جهراً ، وكانت الحكومة الحميدية تفعل ذلك في شأنهم وشأن أمثالهم سرا ، وهم أفضل علماء الشام وأخلص المخلصين من أحرارها للحكومة الدستورية ، هم الذين كانوا مضطهدين في الدور الماضي فلما جاء الدستور ظنوا ان زمن اضطهادهم قد مضى وجاء الزمن الذي ينفع فيه الصادقين صدقهم ، ويعرف فيه للمخلصين اخلاصهم ، وكانوا هم السابقين ، الى مقاومة الرجعيين ، اما ينزل نصائحهم وعلومهم كالشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي ، ولما ينزل أموالهم وفؤدهم كبدا الرحمن بك اليوسف ، والسبب في وقوع هذا الغلط عدم الوقوف على حقيقة الاحوال ودليل ذلك ان ناظر الداخلية لم يلبث ان أصدر أمراً حين علم بالحقيقة من مدة قريبة بترك التحقيق عن المتهمين بالباطل وجعل المسألة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً ، ولكن تلك الالهانة التي اصاب اولئك المخلصين بسبب ما ذكرنا من عذر الحكومة قد تنسب الى سوء القصد ، أو ضعف الثقة بالحكومة الدستورية — لو لم تتداركها — وسنبحث في طريق معرفة الحكومة والجرائد في العاصمة لاحوال الولايات في نبذة أخرى من هذا المقال وأما الامر الثاني وهو ما استدلل به على عدم معرفة الجرائد وقرائنها هنا بأحوال

البلاد العربية فهو تصديق ما نشرته جريدة « اقدام » مترجما عن جريدة « الاتحاد العثماني » من اتحاد امراء العرب وشيوخهم في الجزيرة واهتمام الناس هنا بذلك وهذا ما حملني على زيارة هذه الجريدة ومكاشفة مديرها الفاضل بحقيقة الامر في ذلك الخبر والاتفاق معه على كتابة مقال في بيان ما عندي من الصواب في هذه المسألة وفي المسألة الكبرى التي تعد هذه فروعها وهي مسألة سوء التفاهم بين العرب والترك وما يجب من طرق تلافيه بعد معرفة أسبابه ، وقد شكرت للرصيف الكريم قبوله مني ما اكتب وترجمته ونشره في جريدته

لمسألة اتفاق امراء الجزيرة أصل عريق من اوثق المصادر واصحها وهو ان شيخ لحج (ويقاب هناك بسلطان لحج) قد كتب كتابا الى بعض امراء العرب وشيوخهم كامام الزيدية في اليمن والشريف أمير مكة في الحجاز وغيرها وأرسله مع رسل من قبله يحملون بعض الهدايا وهي تتضمن الدعوة الى المذاكرة في الاتفاق على حفظ جزيرة العرب من البعث باستقلالها ولوم قبل الدولة العلية ، ولكن لم يجبه أحد الى دعوتها ولا حصل اتفاق بين اولئك الامراء ولا اتفاق على الاتحاد ، ولا ذلك من التيسر ولا شيخ لحج ممن يسم له اولئك الامراء قولا ، أو يحترمونه له رأيا ، أو يعتقدون فيه اخلاصا ، بل هم يسبونون الظن فيه لما بينه وبين انكسارها من الولا ، وما يأخذ منها من العطاء ، علمت بهذه المسألة من عدة اشهر ولم أنشرها في « المنار » ولا في غيره من الصحف لاعتقادي أنها لا ضرر فيها وانما الضرر في نشرها ، وخوض العامة بذكرها ، لما سألته بعد : ولكن لما كان علم الدولة بها واجبا ولا سيما ان كانت بدمية اجنية بادرت الى اخبار بعض من يثق بي من كبراء الدولة بها في كتاب ارسلته اليه من مصر على انه بلغني ان امير مكة المكرمة اخبر حكومة العاصمة بها ايضا

بعد ذلك سمع بعض التجار في عدن وغيرها بالخبر ولكن على غير وجهه فتناقلوه حتي وصل الى طرابلس الشام فتلقفه مكاتب جريدة « المؤيد » المصرية هناك وكبره و اضاف اليه ما جرت عادة مكاتبي الجرائد بالتوسع في مثله وأرسله الى المؤيد ، و بعد ان نشره المؤيد بزم من غير طويل نشرته جريدة « الاتحاد العثماني » فوصل الى الاستانة العلية في هذه الايام وكان له من سوء التأثير ما كان ونحمد الله

ان كانت الحكومة هنا اعرف بمحققة هذا الامر من الجرائد اذ لولا ذلك لخشي ان تحشر الزخوف ، وتتفق الالوف ، وتستبر الاسطول ، لدرء هذا الخطر الموهوم ، فان اتفاق اولئك الامراء لايتلافى بمثل مايتلافى به اتفاق الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وهما شيخان ضعيفان يقيمان في مركز فيلق من فيالق الدولة العلية ١١ أ كفي بهذه النبذة اليوم وسأ كشف الغطاء في النبذة الثانية عن اسباب سوء التفاهم واجمل هذا وذاك مقدمة لما أدعو اليه من الوحدة والاتفاق

٢

قلت ان العرب والترك يجب أن يكونا متحدين كالعنصرين المكونين للماء اوالهواء بحيث يكون الناظرون اليهما كالناظرين الى الماء يرون شيئاً واحداً لاشيئين ، والشاعرون بمقاومتها كالشاعرين بمقاومة الهواء وهو قوة واحدة لا قوتان منفصلتان ، وقلت ان شيطاني السياسة الاجنبية والجهالة الداخلية ، يطعمان في حل رابطةهما القوية ، وتحمل وحدثهما الدينية الاجتماعية ، بمحلل العصبية الجنسية ، واتانين ذلك بشيء من التفصيل

سياسة أوروبا في الاجتاس

وضعت في أوروبا قاعدة من قواعد السياسة من عهد نابليون وهي وجوب استقلال كل جنس بنفسه ، فهذه القاعدة يعمل بها رجال السياسة الاستعمارية حيث توافق مصطلحهم فقط ، وبوجد من رجال الاجتماع من يقول بوجوب اطرادها لمصلحة البشر وان كان استقلال بعض الاجتاس ينافي مصلحة جنس آخر سائد عليه او متعزز به

لهذه القاعدة فروع كثيرة تتعلق بالدولة العلية لاخبر لها في شيء منها لانها مؤلفة من اجناس كثيرة لا قوة للدولة الا بانحادها كلها او جلها بالاخلاص فان شذ منها جنس صغير هو فيها كالكربون في الهواء لم يكن ذلك ضاراً لها ضرراً يضعف كيانها فان خذ الهواء من الكربون لا يطل كونه هواء وإن كان لا يخلو في الغالب منه . واتي لأبحث هنا في هذه الفروع ولما اقول انه لا يفهم احد من الاجتاس

العثمانية في سياسة الجنسية كما يفنن الترك العثمانيون لأن من مقتضاها أن يحصر استقلالهم في بلاد الأناضول التي هم فيها أكثر عددا ولا تسمح لهم أوروبا بالاتحاد بأهل تركستان ولا هم يقدرون على ذلك بالقوة ؛ فاتهم بعض العرب وغيرهم لسانة الترك بأنهم يريدون استخدام قوة الدولة لتمييز جنسهم على سائر الاجناس العثمانية هو اتمامهم لم الجمل بمصلحة الدولة وبمنفعة جنسهم فوق الجمل بما يحظره عليهم دينهم من عصية الجنسية

سياسة أوروبا الجنسية في البلاد العربية

قلت ان القائلين بهذه السياسة في أوروبا فريقان : رجال الاستثمار الذين يستخدمونها لمصلحتهم بقدر مصلحتهم ، ورجال الاجتماع الذين يسمون لها سعيها على الاطلاق عملا بما يعتقدون من خير البشر . فالاولون يثبون في البلاد العربية العثمانية فكرة الاستقلال العربي مخادعة للعرب ليساعدوهم على الانفصال من جسم الدولة العلية ، وماذا تريد أوروبا بعد ذلك ؟ تريد أن تضع هذه البلاد العربية تحت حمايتها أو تضيفها الى مستعمراتها وتقطع عليها طريق الاستقلال باسم الاستقلال . وان لاوروبا من الدسائس والوساوس في اطماع البلاد العربية العثمانية بالاستقلال مالا تسمح لنا الحالة السياسية في الاساتة الآن بشرحه وانما اشرنا اليه لنذكر اهل الحل والعقد ورجال الصحافة في هذه العاصمة بأن سوء الادارة في عصر الاستبداد كان هو المساعد لترويج تلك الدسائس ، وان حسن الادارة وحده لا يكفي في هذا العصر لقطع عرق الدسائس وخيبة مساعي اصحابها بل يجب أن يقترن بالمساواة وتأييد الوحدة العثمانية بالعمل من الحكومة و باقوال الجرائد وفي مقدمتها جرائد العاصمة فان كلمة واحدة من جريدة تركية او من كاتب تركي تشعر بتفضيل الترك على غيرهم تحبط عمل الف واحد من العرب في الدعوة إلى الاتفاق والاتحاد

قد اشتهر امر المناظرة الطويلة التي دارت بين هذا العاجز وبين صاحب جريدة (وطن) التي تصدر في مدينة لاهور بالهند في الاقلام العثماني الذي سميت ميمونا وسماه مناظري مشوفا ، وقد كان بما قاله في رده الاخير على اتني لم أعترف لمبدأ الحيد بحسنة واحدة وقد كانت جرائد الشرق والغرب طالفة بتعداد حسناته الكثيرة ،

فأجبت في ردي الأخير عليه الذي نشرته في جزء المثار الذي صدر في آخر رمضان الماضي : اتني أعترف لبدا الحديد بصنيتين سكة الحديد الحجازية ، وعدم التعصب للجنسية ، اذ لم يكن يقال في زمنه ترك وعرب . وأزيد الآن على ما قلته هناك انه لو كانت تلك الادارة السوية مقرونة بالتعصب الجنسي للترك لافضلت البلاد العربية من جسم الدولة البتة

هذا : وان في أوروبا من اهل السياسة من يساعد على فصل بلاد العرب من جسم الدولة العليا لاجل اضعاف الدولة لا لطمع في شيء من تلك البلاد ، واتني قد دعيت منذ اعوام الى الدخول في جمعية اورباية جمعية باوربا تدعو الى استقلال البلاد العربية وقيل لي ان جمعية كذا وجمعية كذا من الجمعيات التي تريد اضعاف الترك في مقدونية وفي الاناضول وحلهم على فريق القوة العسكرية ، تساعد هذه الجمعية العربية بالمال الكثير اذا دخل فيها بعض المشهودين من المسلمين ، ولما رفضت هذه الدعوة قيل لي اسمح لنا بكتابة شيء في ذلك بقلبك او اسمح لنا أن نستخدم اسمك فلم اقبل بل كان ذلك مما قوى عزيمتي على القيام مع بعض اصداقائي الثمانين بمصر بجمعية الشورى العمانية التي ألفناها من جميع العناصر العمانية للطالبة بالدستور والاصلاح

واما رجال الاجتماع من الاوربيين الذين يميلون الى تكوين دولة عربية فكثيرون ، ومنهم المخلصون الذين لا يقصدون مساعدة الطامعين في البلاد العربية ولا اضعاف الشعب التركي ، وقد يستغرب كثير من القارئ لهذا المقال الجزم بوجود هذا الصنف من الناس في أوروبا ، ألا فليعلم المستغربون اننا نقول هذا عن علم لاعن ظن وان الانسان ما زال مصدر الترائب . وبما وقفت عليه من ذلك ان بعض هؤلاء المخلصين في حب العرب قد عرف الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) ووثق باقتداره فرغب اليه أن يضم له نظاما لاستقلال جزيرة العرب وتكوين دولة عربية فيها ليسعى في تنفيذ ذلك . وقال له انه يوجد مال كثير يربط في سبيل المشروع وانه هو يتفق من صندوقه مبلغ كذا من الوف الجنيهات . فأقنعه الاستاذ الامام بأن فصل العرب من الترك يضيع الفريقين ويضر الاسلام نفسه ،

قال له ذلك الاوربي الفاضل اذا كان الامر كذلك فانا أعاهدك على ترك السعي له
إن ما يظهره العلماء المستشرقون من آثار العرب في العلم والمدنية والدين وما يطبعونه
في كتبهم التي كانت نسجت عليها كاب النسيان، هو مما يقوي ميل أولئك الاجتماعيين
الى مساعدة الاستقلال العربي اذا سعت العرب اليه وطالبت به، فأحب ان يعرف
ذلك رجال السياسة والصحافة من الترك وان يعلموا علم اليقين انه لم يوجد الى هذا
اليوم سعي الى هذه التفرقة الضارة ولا ميل من أهل البلاد العربية، وان العارفين
منهم بهذه المنافذ يسعون في سدها، وان الذين أظهروا الدعوة اليها في أوروبا اتهم
أفراد من اصحاب المطامع الذين كانوا يبتغون المال والمنصب من عبد الحميد والتبويض
على الدستور ورجاله في أول العهد باعلانه، وان عزت العابد لا يقدر الآن على شيء،
وان كل ما يجب الآن محصور في ازالة سوء التفاهم بين العنصرين وهو ما سنبينه بعد

٣

إذا جنحت الترك للاعتصام بالامتزاج بالعرب بما ساذكره من الوسائل فان
العرب تكون أجنح لذلك لان الترك هم العنصر الاكبر في الدولة والسياسة، والقاعدة
الطبيعية في الجاذبية ان الاكبر يجذب الاصغر، ولانهم أشد استمساكا بالجنسية فيخشى
ان يكونوا هم الذين يكتنون عصبية العرب الجنسية

فان قيل ان العرب هم أكبر العنصرين بكثرة عددهم وسعة أرضهم وموارد
ثروتهم فهم الذين يجب ان يجذبوا الترك اليهم، فالجواب ان هذا كان يكون صحيحا
لو كان التنازع والتجاذب بين عامة العنصرين ومحمد الله انه لم يكن كذلك لان
هذه العصبية اذا سرت في نفوس العامة فتذبوا لها، وتوجهوا الى الصل بموجبها، فإنه
يتعسر أو يتعذر نزحهم من قلوبهم، واستخراجها من أدمغتهم، ولما التنازع والتجاذب
محصوران في طائفة من المتعلمين وهم رجال المناصب في الدولة وطلابها، والمشتغلون
بالسياسة، كأصحاب الجرائد وكتابها، ومجموع الفريقين في الترك أكثر منهم في العرب
وهو معنى قولنا ان الترك أكبر العنصرين في الدولة والسياسة، وإن انحصار التجاذب
بين اعقل المتعلمين في الفريقين هو الذي يطمع طلاب الوفاق ومحبي الاصلاح في

ازالة سوء التفاهم الذي يفري كل فريق يث سموم التفريق في عامة الناطقين بلسنته
وأما كون الترك اشد استمساكا بمصيبة الجنس من العرب فسيبه ان دولتهم
قامت بهذه المصيبة لا بالدين الذي يجمع بين الاجناس الكثيرة ويساوي بينهم كدولة
العرب أو دولهم ولا فطيل في بيان هذا لانه لا يقوي ما نرمي اليه من التأليف والتوحيد بل
ربما يعارضه، وحسبهم ان دولتهم سميت باسم جنسهم (تركيا) وكان مما زادهم استمساكا
بمصيبتهم الجنسية كثرة الاجناس المزاحمة لهم في عاصمة الملك وما يتصل بها من البلاد .
نعم انهم على قيامهم بمصيبة الجنس لم يكرهوا الاجناس التي استولوا على بلادها
على التجنس بجنسيتهم ولا على الدخول في دينهم ، أما الاول فلان دولتهم لم تكن
دولة علم وحكمة، وانما كانت دولة بأس وقوة، وقد مرت عليها القرون ولم تهمل اللغة
التركية نحو ولا صرفا ولا معاجم ولا غير ذلك من كتب التعليم . وأما الثاني فلان الإسلام
نفسه هو الذي لم يسمح لهم بذلك وقد أراده بعض سلاطينهم واستقى فيه مفتيه وشيخ
الإسلام ، فلم يفتيه فامتنع لانه كان مسلما ودولته اسلامية لاشبهة في ذلك .

ما كنت لألم بهذا الاستطراد لولا ما خشيت من الاعتراض على بعض المقدمات
الذي يترتب عليه عدم التسليم بالنتيجة . واذا سلمنا ان الاستمساك بالجنسية فيهم
أشد، وانهم أقوى على جذب غيرهم اليهم وأقدر ، فلا مندوحة لنا عن التسليم بأن
الخوف من التفريق والرجاء في الاعتصام هما من أهم أسبابهم وأقوى أيضا . واني
لأرجح الرجاء على الخوف لحسن ظني بكبراء القوم وزعمائهم الذي لا ينقضه وقوع
بعض الاغلاط منهم ، التي تولد منها ما تولد من سوء الفهم ، الذي يسهل تداركه مع
حسن القصد ، وقد رأيت بوادر الارتياح الى التدارك من نخامة الصدر الاعظم فمن
دونه من رجالهم الذين اتفق لي الحديث معهم ، بل رأيت الكثيرين من فضلائهم
قد اقبلوا بعد نشر النبهة الاولى من هذا المقال في جريدة (اقدم) للإسلام علي والتعرف
بي والشكر لي والاعتراف بحسن ما دعوت اليه من وجوب الاتحاد والاعتصام .
وكذلك فعل الكثيرون من وجهاء العرب المقيمين في هذه العاصمة . افليس هذا
دليلا على صدق ما جزمنا به من كون المسألة التي نبحث فيها مسألة سوء فهم يسهل
تداركها قبل اتساع دائرتها ، بل ومتى وضحت الاسباب ، زال الارتياح ،

تاريخ التغاير بين العرب والتürk

ان الطيب لا يحسن معالجة المريض ويكون جديرا بالنجاح فيها الا اذا كان عارفا بتاريخه الصحي ومخاطر أعليه من الامراض من قبل ، بل يجب ان يكون مع ذلك على علم بالحال الصحية في آبائه وعشيرته ليعرف استعداد مزاجه وما عسى ان يكون قد سرى اليه بالوراثه ، وكذلك يجب ان يعرف الطيب الاجتماعي تاريخ الامم والشعوب التي تصدى لارشادها ومعالجة امراضها الاجتماعية ، واخلاقتها وعاداتها الطارئة والموروثة ، وهذا ما يدعوننا الى الاشارة الى المآلبد من التذكير به من تاريخ التغاير بين هذين العنصرين اللذين يجب ان يتحدا دائما كتحدا عنصرى الهواء أو الماء كان العرب مدنات قديمة قد امتدت من بلادهم الى بلاد الكلدان والفرس من جهة الشرق والى مصر من جهة الغرب فتاريخ دولة الرعاة العربية في مصر معروف ويقول بعض المؤرخين انه كان لهم في تلك البلاد دولة اقدم منها ، وشريعة حمورابي وهي اقدم الشرائع المعروفة من التاريخ شريعة عربية ، فحمورابي العربي كان يدعى ملك السلام كما في العهد العتيق والعهد الجديد من اسفار أهل الكتاب وكان معاصرا لابراهيم الخليل عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، الا ان تلك المدنات قد زالت كما زال غيرها من المدنات القديمة — ولم يظهر شيء من آثارها الا في هذا العصر الذي غني فيه الاوربيون باستخراج الآثار القديمة من بطن الارض ، وسيجاريهم العثمانيون في ذلك وهم أحق بمعرفة تاريخ البلاد التي ورثوها ويوجب عليهم الدستور في هذا العصر عمارتها كما أوجب الاستبداد على سلفهم اهمالها ان لم قل تخريبها

ثم انى على العرب حين من الدهر لم يكونوا فيه شيئا مذكورا في عالم المدنية حتى انبلج فيهم فجر الاسلام بمكة المكرمة وطلعت شمسها بالمدينة المنورة ثم امتد نوره الى سائر الآفاق ، واتسعت فوحاته في الشرق والغرب ، واحيا العلوم التي كانت قد ماتت ، وجدد المدنية التي كانت قد عفت وطست ، ولكن كان من نتائج محو العصبية الجنسية ، ولذلك كانت الدواوين التي دونها الخليفة الثاني للحكومة في بلاد الشام بالامة الممومة الى عهد عبد الملك بن مروان ، وكان وزراء اعظم الخلفاء العباسيين

من الفرس ، وحاشية آخرين منهم وحرسهم انخلص الممتاز من الترك . ثم حدثت في بلاد الخليفة العباسي سلاطين الطوائف فكان منهم الفارسي والتركى والكردي ، ولم يخطر في بال العرب ان هؤلاء غرباء عنهم ، وانه يجب تأليف عصبية عربية لتزعج الملك منهم ، ذلك بأن الاسلام نزع عصبية الجنس من قلوبهم بقول الله لهم في سورة الحجرات «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » فعلمهم ان الشعوب التي تختلف باختلاف الجنسية والقبائل المتفرقة باختلاف النسب يجب ان تتعارف فتألف ، لا ان تتناكر فتختلف ، وبذلك أوصاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وصرح بأنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالقوى ، ولذلك كانت العرب ولا تزال تفضل مثل ملكشاه السلجوقي وصلاح الدين الايوبي الكردي على أكثر ملوك بني أمية . ولذا سهل على ملوك آل عثمان الاستيلاء على البلاد العربية ولم يخطر على بال الامة العربية أنه قد استولى عليها قوم ليسوا من جنسها ، اذ ليس لها سومتها على الاسلام جنسية في غير دينها ، ألم تر الى الشعب المصري العربي كيف يئن من نفوذ الانكليز وهم ليسوا بالكيين ، ويحن الى الترك وان كانوا الى آخر عهد عبد الحميد من الظالمين ، ومن الامور التي لا ينكرها مصري ولا تركي ان الانكليز قد اصلحوا من بعض الوجوه في مصر ، ان الترك لم يصلحوا فيها شيئا ، ولا تزيد على ذلك لثلاث نخرج الى ما ليس من غرضنا أو الى ما يوشك ان يضعف صوتنا فيه

يقول بعض المتفرجين منا ان عدم تعصب العرب لجنسهم كان ضارا بهم لانه ازال ملكهم ، وان الترك لو عملوا بهذه السياسة الاسلامية لكان شأنهم في ذلك كشأنهم ، ونقول ان هذا القول باطل وليس هذا المقام مما يتسليان بطلانه بالحجة والبرهان ، وانما الغرض مما تقدم بيان ان العرب لا يكرهون سلطة الترك تعصبا لجنسهم وإنما ينكرون منهم بعض الاخلاق والاعمال كما ينكر بعض أفرادهم بعض جماعاتهم على بعض . هذا ما عليه مجموع الامة العربية لا جميع افرادها فإني لا أنكر انه قد عرب الى كثير من المتعلمين الميل إلى التعصب الجنسي والاستقلال العربي وهم المصود من بحث هذا

ان الدولة التركية لم يكن لها في عصور قوتها نفوذ ولا سلطة ولا دواوين ولا محاكم في داخلية البلاد العربية ولا مدارس تركية فهي لم تمتزج بالعرب ولم تلحهم معهم بلحمة العدل والعلم واللغة فيكون الترك والعرب امة واحدة ، ولم تسهم بالقوة والجبروت والظلم العام فتفسد بأسهم وتجهلهم امة ذليلة ، بل كانت الى ما قبل « التنظيمات الخيرية » التي وضعت في عهد السلطان عبد المجيد (رحمه الله تعالى) تكنفي بارسال بعض عاملها الى بعض البلاد الكبيرة لاجل اخذ ما فرض على كل جهة من المال للدولة ، ولكن البلاد المصرية قد ذاقت من الظلم في عهد المماليك ما صارت تعد به عصر محمد علي باشا وعصر احاده عصر نور واصلح ، على ما كان فيه من ظلم وجور ، ومع هذا كله لم توجه نفوس المصريين الى طلب الاستقلال التام عن الترك الا في عهد الثورة المروية ، ثم لما كانت عاقبة الثورة هي احتلال الاجانب للقطر المصري حدث للمصريين من التعلق بالدولة العلية ما هو معروف وقد أشرنا اليه آفا

بعد « التنظيمات الخيرية » تغفل عمال الحكومة من الترك في البلاد العربية فلم يكن الناس يستنكرون سلطتهم ، أو يستقلون وطأنهم ، ولا كانوا يرون أنفسهم أذلاء خاضوعهم لحاكم أجنبي عنهم بل كان السواد الاعظم وهم المسلمون يمدون التركي منهم لأنه مسلم وهم قلة يفكرون في مسألة الجنسية ، وأما غير المسلمين فلم يكن عندهم فرق بين التركي المسلم والعربي المسلم فهم كالمسلمين كانوا لا يفكرون في غير الرابطة الدينية ثم صار المتعلمون منهم على الطريقة الاروية يدعون الى الرابطة الوطنية على ان اكثر اهل بلادنا لا يفهمون من معنى الوطن الا موضع الاقامة حتي ان كل بلد عندهم وطن وهذا هو المتبادر من المعنى اللغوي . ثم ان النصارى سبقوا في كثير من البلاد العربية الى التقرب الى حكام الترك بتعلم التركية حتي صار كتاب الدواوين كلهم أو جلهم منهم في أوائل العهد بالتنظيمات ثم قل عددهم فيها بعد ذلك نعم ان جهل أهالي البلاد لغة التركية وجهل الحكام من الترك لغة العربية كانا ولا يزالان من أسباب الجفاء وعدم الانس ، واشتهر الترك على رقة حاشيتهم وعلو أدبهم بالكبر والغلظة على ان كثيرا منهم كان يتكبر لظنه ان التكبر يكون أدعى

الى الهابة والاجلال ولكن لم يكن يشعر بهذا إلا بعض أفراد الامة وهم رجال الحكومة من أهل البلاد فلم يكن له تأثير في الامة يوجب سريان الكراهة للجنس ، وإنما كان يعرف بين الناس وصف الحاكم من حيث هو كما يقال هذا الوالي أو هذا المتصرف عادل لا يأتى كل « الرشوة » وهذا الوالي أو المتصرف يأكل ويشرب ... وكثيرا ما كان الناس قبل هذه الايام يمدحون الترك كلهم لوجود حاكم عادل منهم وقلة كانوا يذمونهم كلهم لظلم الحاكم منهم على أن الظالمين كانوا بطبيعة الاستبداد أكثر من العادلين

وقد عرف بين الناس في الولايات العربية شيء آخر لا بد من ذكره وان كان مرارا لتنا نبحث في هذه المسألة بحث الطبيب الأسي وفي المثل العربي « من إكتم داءه قتله » ذلك الشيء هو أن الترك يفضون العرب . ويتناقل الناس في كثير من البلاد العربية كلاما سمعوه من بعض حكام الترك صريحا في هذا ولا أحب أن أطيل في بيانه ولولأنه مشهور لما ذكرته ليعرف اخواننا الترك من ولاية الامور وأصحاب الصحف فيكونوا معنا على بصيرة فيما نطلبه من خير الامة بالاعتصام والوحدة يمكن أن يقال ان ماسم من تصرعج بعض الترك يفض العرب هو من الجزائيات التي لا تباع أن تكون استقراء ناقضا فالحكم بها على الجنس كله حكم باطل ولا سيما اذا عرف لها سبب يوجد في صنف من افراد الجنس دون غيرهم . وقد علمت بعد البحث والتحري ان هذا الصنف الذي قد بدت البغضاء للعرب من افواه كثير من أفرادهم هو صنف المتفرنجين والضعفاء في الدين من الذين يتقل عليهم مزاحمة العرب لهم في خدمة الحكومة وفي التوسل اليها بالتعلم في المدارس الرسمية فان بعض المتخرجين في هذه المدارس من ابناء العرب وبعض التلاميذ الذين لا يزالون فيها يذكرون من تعصب بعض المعلمين عليهم مالا محل لشرحه هنا . ومن المشهور عن كثير من الترك الصالحين وغير المتزاحمين معهم على اعمال الحكومة أنهم يحبون العرب حبا دينيا حتى ان منهم من يتبرك بالعربي لانه عربي فالحقيقة المحصنة هي انه ليس بين الجنسين عداوة ولا بغضاء فنقول ان الاتحاد بينهما متعذر أو متعسر وإنما هو التغاير والتنافس في طلب المناصب والوظائف وفي

صفوف المدارس قد وصل مع الغلو الى التحاسد كما أشم تا الى ذلك في فاتحة النبذة الاولى ومثل هذا التنافس والتحاسد يقيم بين المتزاحمين من ابناء الجنس الواحد فتلافيه سهل ان شاء الله

والخلاصة ان تاريخ العلاقة بين الترك والعرب لم يكن فيه شيء اكثر مما ذكرنا ولم يكن ذلك في الماضي مما يخطر على بال زعماء العرب السعي الى انفصالهم من الترك واستقلالهم بأنفسهم ولا ذكر هذا على لسان احد الا في عهد ولاية زعيم الحرية والاصلاح (مدحت باشا) على سورية ففي عهده شاع ان في البلاد حزبا كبيرا مؤلفا من وجهاء المسلمين والنصارى في بيروت والشام يسعى الى جعل القطر السوري مستقلا كقطر المصري تحت سيادة الدولة العلية ويكون انطدوله مدحت باشا . وقيل ان بعض « الماسون » كانوا يسعون الى جعل الامير عبد القادر الجزائري هو انطدوله لهذا القطر . وقد سمعت من والدي رحمه الله تعالى ان مدحت باشا على سمي في اصلاح الدولة اعتقد ان اصلاح البلاد السورية وجعلها خيرا من البلاد المصرية لا يتأتى الا باستقلالها الاداري فكان يمد السبيل لذلك فشرع بالامر وستم باشا متصرف لبنان فكاشف به الدولة فكان ذلك هو السبب في عزل مدحت من ولاية سورية . ولكن أخبرني بعض العارفين بدخائل السياسة في ذلك الوقت ان السلطان عبد الحميد هو الذي أوجد تلك الاشاعة في سورية ليتوسل بها الى اخراج مدحت من سورية لاجل الانتقام منه . ويقال ايضا ان لبعض الاجانب يدا في توجه نفوس الناس في سورية الى هذه الفكرة . وقد حدثني بعض اصحابي الذين كانوا من عمال الحكومة في عهد مدحت باشا انه سأل عما يقال في هذه المسألة فقال له زعيم الاحرار ان هذه دساتر من الاجانب يريدون بها فصل سورية من الدولة ليستولوا عليها

مثل هذه الدسيسة لا يستغرب من سياسة « يلدز » التي كانت مبنية على المكيدة والمخادعة واخفاء الحقائق بألوان التمويه والتليس وهي التي لعبت بالثورة العراقية ذلك اللب المشؤم ومكنت للانكليز في أرض مصر ثم أرادت أن ترضي سائر الدول القوية بتجديد السبيل لتمكنهم في سائر أرجاء الدولة في مقابلة مصر

فأعطت الالمانين سكة حديد بغداد وقررت اعطاء الروسيين مثلها على شواطئ البحر الاسود - وقد راجت تلك الدسيسة الجديدة على اهالي سورية فشق بينهم ان مدحت باشا وهو المعروف بحب الاصلاح ما أراد انشاء دولة عربية الا بعد يأسه من قدرة قومه على سياسة الملك واقامة العدل وتشييد دعائم المدنية بما تقتضيه حال العصر ، فكان هذا اول فكر في التغيير من السلطة التركية سرى في بلاد عربية ، وقد نفلت في القصائد البليغة المؤثرة كالقصيدة السنية الشهيرة لليازجي ولكنه فكر لم يتلقه السواد الاعظم بالتسليم

ثم سكنت هذه الافكار بعد اخراج مدحت باشا من سورية عدة سنين حتى اذا ما اشتدت المظالم الجديدة في السنين الاخيرة وقويت فتنة البن وفتنة مكشونية عاد بعض الناس الى الحديث فيها بمصر وأوربا فكان المشتغلون بالسياسة من ابناء العرب على ثلاثة آراء: بعضهم يرى السعي في أوربا لاستقلال البلاد العربية كأصحاب جريدة النهضة العربية في باريس ولم يكن لهم تأثير لعدم انضمام احد من المسلمين اليهم ولاهامهم بانهم يريدون الاستفادة من السلطان عبد الحميد بالايعام الذي كان يروج في سوق سياسته أو وسواسه

وبعضهم رأى انه يجب اتحاد المسلمين مع اليهود والنصارى على العمل ووضع له قانونا جعل فيه من الامتياز لليهود ما كان ضامنا به أن يذلوا للمشروع الملايين من أموالهم ليعطى بعضها لعبد الحميد ورجاله ثمنا للبلاد التي يراد استقلالها وكان يعتقد أن إرضاء « يلدز » بالمال ميسر أو مضمون وقد أطلعني صاحب هذا المشروع أنا وبعض أصدقائي على قانونه فلم نوافقه على السعي له مع علنا بما لليهود من اليد العاملة في كل انقلاب كبير في التاريخ ويؤيده ما حصل أخيرا من الانقلابات ...

والرأي الثالث هو ما عليه جمهور المشتغلين بالسياسة وهو انه يجب الاتحاد الدائم بين العرب والترك والمحافظة على كيان الدولة العلية بالسعي في اصلاحها وجعلها دولة دستورية ولاجله اسست جمعية الشورى العثمانية من جميع العناصر كما اشرنا الى ذلك من قبل . فهذا ملخص تاريخ هذه المسألة قبل الانقلاب الاخير فاذا جرى بعده؟

(للمقال بقية)

أبو حامد الغزالي *

٧

﴿ رأيه في التوحيد والتوكل ﴾

« ويدخل فيه بيان وحدة الوجود والجبر والكسب »

بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا تقتظم إلا بعلم وحال وعمل ، والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل ، فلنبداً ببيان العلم الذي هو الأصل وهو المسمى إيماناً في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق باق قلب فهو علم وإذا قوي سمي يقيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك ، والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك له الحمد . فمن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل ، أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه فاما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم المعاملة إلا بها فإذا لا تعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول : للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم إلى لب وإلى لب اللب وإلى قشر وإلى قشر القشر ولئن مثل ذلك تقريباً إلى الأفهام الضعيفة بالجور في قشرته

« قلا عن كتاب أحياء علوم الدين وهو تابع لما في ص ٦٧١ من الجزء التاسع

(المجلد الثاني عشر)

(١٠٥)

(المنازع ١١)

العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هي أن يقول الانسان بلسانه لا آله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المتأقين . والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام . والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقيدين وذلك بأن يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار . والرابعة أن لا يرى في الوجود الا واحداً وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحداً فلا يرى نفسه ايضاً واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فاناً عن نفسه في توحيده بمعنى انه في رؤية نفسه والخلق

فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف واللسان ، والثاني موحد بمعنى انه متقدم بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وافساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقيدته ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله نسي بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضاً احكام هذه العقدة وشدها على القلب ونسي كلاماً والمعارف بها يسمى متكلاً وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد ينحصر المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلاً واحداً اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلاً بالحقيقة الا واحداً وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه الا انه كلف قلبه ان يقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يشارك المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تاليف الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة ، والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد . فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة

السفلى والثالث كالب والرابع كالدهن المستخرج من الب ، وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كره المظن وان اخذ حطباً أطفأ النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن ، وتوحيد المتأقيصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤثروا بشق القلب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينفع بها حطباً لكنها نارة القدر بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي يحصل بانسراح الصدر وافتساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه)

وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وأ كلة المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عسارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد العقل مقصود عال للساكنين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والاتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحداً وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحداً ؟ فاعلم ان هذه غاية علوم المكشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون : افشاء سر الربوبية كفر ، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك يمكن وهو ان الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة واعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان اتفت الى روحه وجسده واخرافه وعروقه ونظاهه واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى

واحد اذ قول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكمن شخص
يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده
واعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس
فيه تفرق وكأنه في عين الجمع والمتنت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل مافي
الوجود من الخالق والمخلوق اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد
من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخرى سواء كثير وبعضها اشد كثرة من بعض
ومثاله الانسان وان كان لا يطابق الفرض ولكنه ينفذ في الجملة على كيفية مصير
الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود
للقام لم يلقه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد
نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا
كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد
الحق تارة قدوم وتارة تفرقا كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى
هذا اشار الحسين بن منصور الحلّاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال
فما ذا انت ؟ فقال ادور في الاسفار لا صحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين
قال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد ؟ فكانت
الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع
فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار
ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس
التوكل أيضا مبني عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث ، وأما الاول وهو
التفاني فواضح ، وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده
بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه ، مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب
الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه ، وأما الثالث فهو الذي ينبغي عليه التوكل اذ
يجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلذلك منه القدر الذي يرتبط
التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثل هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف
لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خالق ورازق وعطاء ومنع

وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم - فالفرد بإبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه قتلك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الأفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض

وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا انصاحا أتم من المشاهدة بالبصر وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يتبني به أن يعطى إلى قلبك شائبة الشرك لسبيين أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات إلى الجمادات أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بمقائق الأمور ولذلك قال تعالى (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) قبل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا، ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحرك محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا يحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفات العبد في النجاة إلى الريح يضاهي التفات من أخذت حزرقة فكتب الملك توقيعاً بالنفو عنه وتخليته فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغذ والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فبرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لاحكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطئ بياله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتنخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في ذلك لا اعتقادك أن الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فإذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان

خائباً وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأتاك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحزن رقتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه؟ ويقول له ايضاً نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكتاب بالقلم وهو المسخر له؟ وعند هذا زل أقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لاسلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخراً مضطراً كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخراً وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلاً لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلاعن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للياض وذلك قصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حديقها فكذلك من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهراً وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض

بل أر باب القلوب والمجاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها أنطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسيبها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذائق تكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الجار شريك فيه ولا قدر لما يشترك فيه البهائم وانما أريد به سماع يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعحوة لا يقبلها العقل نصف لي كيفية نقطة وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أر باب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فتنها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لانهاية له (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر الآية ثم انها تتناجى بأسرار الملك والملكوت وافشاء السر لو ثم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط

أمنّا على أسرار الملك قدنوحى بحفاياه فدأى بسرّه على ملأ من الخلق؟ ولوجاز افشاء كل سر لنا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لو علمت ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون ولما نعى عن افشاء سر القدر ولما قال «إذا ذكر النجوم فامسكوا وإذا ذكر القدر فامسكوا وإذا ذكر أصحابي فامسكوا» ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار

فأذا عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملوك لقلوب أرباب المشاهدات مانان: أحدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكننا في المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم نحكي من مناجياتها قدرا يسيرا يضم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه وتردد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقدرآه أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان أيضا مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه؟ فقال الكاغد ما نصفتي في هذه المقالة فاني ماسودت، وجيى بنفسى ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجيى ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الخبر عن ذلك فقال ما نصفتي فاني كنت في الحبرة وادعأ سا كنا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى علي القلم بطلمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددي كما ترى على ساحة يضاء فالسؤال عليه لا على فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار منزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحّت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنايبي ثم برتني وشقت رأسي ثم غسّتي في سواد الخبر ومراته وهي تستخدمني وتمشي عني على ثمة رأسي وقد نثرت الملح على جرحي بسوءالك وعتابك ففح عني وسل من قبرني فقال صدقت ثم سأل البد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أوجسا يتحرك بنفسه وانما أنا مركب مسخر ركبي فارس يقال له القدرة والقوة فهي

التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المد والحجر والشجر لا يمدى
شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أما ترى
أبيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينهما وبين القلم فأنا
أيضا من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب
أزعجني من ركبتي فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة
استخدامها وترديدها قالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملهم وكمن ملوم
لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبها وقد كنت
لها رابكة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا اسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن
الغافلون بي اني ميتة ومعدومة لانني ما كنت أمحرك ولا أحرك حتى جاني موكل أزعجني
وأرهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا
الموكل يسى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غرة النوم
وأرهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيتي فقال صدقت ثم سأل الارادة
ما الذي جرك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرقت الى التحريك وأرهقتها
اليه ارهاق لم نجد عنه مخلصا ولا مناصا قالت الارادة لا تعجل علي فقل لنا عذرا
وأنت تلوم فاني ما أنهضت بنفسي ولكنني أنهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر
وأمر حازم وقد كنت ساكنة قبل بغيته ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على
لسان العقل بالاشخاص القدرة فاشخصنها باضطراب فاني مسكينة مسخرة تحت قهر
العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمته طاعته لكنني ادري
اني في دعة وسكون مالم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد
وقفت عليه وقفا والزمته طاعته الزام بل لا يبقى لي منه مها جزم حكمه طاعة على المخالفة
لمعري مادام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استنصار
وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة
اتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل
متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراجلون هم
فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنصار

الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة قال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي
ولكني أشلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال
العلم اما انا ففكش نقشت في ياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انحططت
بنفسي فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عني فسل القلم عني لان الخط لا يكون الا بالقلم
فبعد ذلك تنفع السائل ولم يقنعه جواب وقال قد طال نبي في هذا الطريق
وكررت منازل ولا يزال يحبلي من طمعت به في معرفة هذا الامر عنه على غيره
ولكني كنت أطلب نفسه بكثرة الرداد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في القواد
وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك اني خط وقش وانما خطني قلم فلست
أفهمه فاني لا أعلم قلم الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا
الا بالخبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج
والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا ، أسمع جعجة ولا أرى طحنا !

قال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك من جاة وزادك قليل ومر بك ضعيف واعلم
ان الممالك في الطريق التي توجهت اليها كثيرة فالصواب لك أن تنصرف وتدع
ما أنت فيه فما هذا بشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام
الطريق الى المقصد فأنت سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا
ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم
وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة ، والثاني عالم الملكوت وهو وراثي فاذا جاوزتني
اتجهت الى منازل وفيه المهامه النج والجلال الشاهقة والبحار المفرقة ولا أدري كيف
تسلم فيها ، والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت
منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك
والشهادة والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا
وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة
بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض
وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته

الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنعم فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف ، قد جلوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي وأول علم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام « لو ازداد قينا لمشي على الهواء » لما قيل له انه كان يمشي على الماء

قال السالك السائل قد تعجبت في امري واستشعر قاي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري اطبق قطع هذه المهامة التي وصفها ام لا فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به انكتبت في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من ابواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقت فوالله ما ارى قسبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت التهمة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلبه الا قلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلبه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورمز ولا جبره زاج وعص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلبه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » الصورة الظاهرة المدركة

بالبصر فكأن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالبصار فكأن منزها صرفا ومقدسا خفلا واطور الطريق فانت بالواد المقدس طوى واستمع سر قلبك لما يوحى فملكك نجد على النار هدى وملك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه غثث بين التشبيه والتزويه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تمسه نار فلما نفخ فيه العلم بمجده اشتعل زيته فأصبح نورا على نور فقال له العلم اغتم الآن هذه الفرصة واخرج بصرك لملك نجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التزويه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكأن له في كل قلب رأسا ولا رأس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجزاه الله تعالى عني خيرا اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالأقلام

فبعد هذا ودع العلم وشكره وقال قد طالت مقامي عندك ورادتني لك وانا نازم على أن اسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فاسافر اليه وقال له ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبث به الارادات الى اشخاص القدر وصرفه الى المقدورات فقال أو قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سأته فأحالك على اليد قال لم أنس ذلك قال فجزاني مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى السخبر وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال : فمن يمين الملك ؟ قال القلم : أما سمعت قوله تعالى (والسماوات مطويات بيمينه) قال نعم والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لانه يوحى لمخلدات

كثيرة عشر عشر وصفه والجللة فيه انه يمين لا كلابان ويد لا كلابيدي واصبع لا كلاباصبع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه ونحريكه القلم فقال جوانبي مثل ما سمعت من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة اذ البد لا حكم لها في نفسها وانما محركا القدرة لا محالة فسافر السالك الى عالم القدرة ورأى فيه من المجائب ما استحقر عندها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فاسأل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزغ ويطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة (لا يستل عما فعل وهم يستلون) فغشيت به الحضرة فخر صمعا بضرب في غشيته فلما افاق قال سبحانه ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بغيرك من عقابك وبرضك من سخطك ومالي الا أن اسألك وانفزع اليك وأتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فا آتاك فخذ وما نهاك عنه فاتته عنه وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال سبحانه لا أحصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن لسان جرأة على الثناء عليك فهل للقلب مطعم في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أما سمعته يقول : العجز عن درك الادراك ادراك . فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جلالنا وجلالتنا

فعند هذا رجع السالك واعتذر عن استلته ومعاتبته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكارى عليكم الا عن قصور وجهل ، الآن قد صح عندي عذرکم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملوك والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره

(المآرج ١٢م ١١) معنى كونه تعالى الاول والآخر والظاهر والباطن . الجاحد ٨٤٥

وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس بالآخر والظاهر ليس بباطن؟ قال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على الترتيب واحد بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير السائرين اليه فانهم لا يزالون مترقبين من منزل الى منزل الى أن يتم الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العالمين في عالم الشهادة الطالين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتمل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من انكشف له أن الفاعل واحد . فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى أنه ينبغي على الايمان بعالم الملكوت فن لم يفهم ذلك أو يبحده فما طريقه؟ فأقول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال له انكارك لعالم الملكوت كانكارا السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس فلا زموا حفيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قال وأنا منهم فاني لأهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكارا السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا تثق به فلعلنا نراه في المنام فإن قال وأنا من جهلهم فاني شاك أيضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فترك أياما قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء

هذا حكم الجاحد وما الذي لا يبحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا الى عينه التي يشاهدها عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود قبل الازالة والتقية اشتغلوا بتقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أُرشد الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذوات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا

ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيداً إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأمرين فيقال له على حد عقله: إله العالم واحد والمدير واحد اذ (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فيكون ذلك على ذوق مارآه في عالم الشهادة فيغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم في المحاوره فان قلت فتل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عماداً للتوكل وأصلاً فيه ؟ فأقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل الكشف في اثاره الاحوال الا أنه في الغالب يضعف وينسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالباً ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يجرسه بكلامه أو الى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقنها من استاذة أو من أبويه أو من أهل بلده

وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على متهمي تأثير السحرة لطول مشاهدتهم ونجربتهم وأوا من موسى عليه السلام ماجاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكثرثوا بقول فرعون (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) بل (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فان البيان والكشف يمنع التفسير وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر الى ظاهر الثبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله (هذا الحكم والله موسى) ونسوا (انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضررا ولا نفعا) فكل من آمن بالنظر الى ثبانت يكفر لاحالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا نجد فيه اختلافا وتضادا أصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهرهما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك

ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا؟ فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا عزلة القدم وموقع الفلظ ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ان يشاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافترقت الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن اليه المشيئة فهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لاحالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة

فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصرف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بحث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مخفرا؟ فأقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار؟ فلنشرح الاختيار بلسان التكميلين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متطفلا وتابا فان هذا الكتاب لم يقصده بالعلم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه إذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئة والخنجرة ويحرق الماء اذا وقف عليه بحسبه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فأعرب لك عنها ثلاث عبارات: قسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسبي تنفسه فعلا اراديا ونسبي كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مها وقف على وجه الماء أو تخطى منه السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون انخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الخنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخرق الماء الى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا وجد الانخرق بعده وليس انتقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بآلة طبق الاجفان اضطرابا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغميض الاجفان اضطرابا فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة

الآية في مشاهدته بالادراك حدثت الإرادة بالتفويض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا واما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وقارة يشاء وقارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه ويانه ان الإرادة تبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما نحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تعجب وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي قطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلا بارة او بدتك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبث الإرادة بالعلم والقدرة بالإرادة وتحصل حركة الاجتنان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالإرادة ومن الاشياء ما يتوقف التميز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبثت الإرادة هنا كما تنبث لدفع السيف والستان فاذا انبثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الإرادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبثاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبثاتها الى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخبرة في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبث الإرادة الا بحكم الحس والتخيل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان أن يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لالعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداعية المشخصة للقدرة وانما هددت الإرادة لانها تنبث بحكم العقل او الحس بكون الفعل مواظا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء أن يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لاتطاق فان العقل

هنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرًا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرًا وكان حكمه جزماً لا ميل فيه ولا صارف منه انبثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يبيع بالسيف لقتل فانه يرمي نفسه من السطح مثلاً وان كان هلكاً ولا يبالي ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقت اعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تلبث له داعية البتة، لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس، والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة، والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فاما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلاً ولا. فاذاً معنى كونه مجبوراً ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لامتة ومعنى كونه مختاراً انه محل لارادة حدثت فيه جبراً بعد حكم العقل بكون الفعل خيراً محضاً موافقاً وحدث الحكم ايضاً جبراً فاذاً هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلاً يجبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لانه لما كان فنا ثالثاً واثبتوا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسباً وليس مناقضاً للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فيه وفعل الله تعالى يسمى اختياراً بشرط أن لا يجهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في الفئات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه

فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك قد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وان ايت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض؟ فاعلم أن القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يبرع به بالقدرة الازلية وهو

الاصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من اقدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعلامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والازم وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاوي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا أشار قوله تعالى (وما خلت الجن والانس الا ليعبدون) وقوله تعالى (وما خلقتنا السموات والارض وما بينهما الا عين * ما خلقناها الا بالحق)

فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كاحداث وعلى هذا الترتيب الذي وجدنا تأخر متأخر الا لا تنظروا شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتديبر وفهم ذلك عسير ولكننا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بأن نقرر انسانا مهدئا قد انغمس في الماء الى وقته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له بقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارفع الحدث فرما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند

غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرفع للحدث عن اليدين وهو جعل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقى لما لا بفصل الوجه والماء لا يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر الصلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلتترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو الخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم تقدر على ان تذكر من بحار التوحيد الاقطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واسنياف ذلك في عمر نوح محال كاستيقاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله الا الله وما أخف موثته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظه غلي القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعني التوحيد أن لا فاعل الا الله تعالى ومعني الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم؟ فأقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجمل مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكن ذلك العبد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فعني كون الله تعالى فاعلا انه الخالق الموجد ومعني كون العبد فاعلا انه المخل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعللة وارتباط الخالق بالخلق وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرة الله ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فاعلا فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرة ولاجل توافق ذلك ونطاقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى

العباد ونسبها بعينها مرة أخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت (قل يتوفاكم ملك الموت) ثم قال عز وجل (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال تعالى (أفرأيتم ما تمحرون) أضاف الينا ثم قال تعالى (أأصابتنا الماء صباه ثم شققنا الارض شقا * فأنبثنا فيها حياه وعنبا) وقال عز وجل (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) ثم قال تعالى (فنفخنا فيها من روحنا) وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال تعالى (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قيل في التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى (قاتلهم يذهبهم الله بأيديكم) فأضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى (فلم تقتلهم ولكن الله قتلهم) وقال تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين التني والاثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ رميت المعنى الذي يكون البعد به راميا إذ هما معنيان مختلفان وقال الله تعالى (الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) ثم قال (الرحمن علم القرآن) وقال (علما لبيان) وقال (ان علينا يانه) وقال (أفرأيتم ماتمنون * أأتهم نمطقونه أم نحن المخلقون) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام « انه يدخل الرسم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب اذكر أم انثى أسوي أم معوج ؟ فيقول الله تعالى ماشاء . ويخلق الملك وفي لفظ آخر - ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسماوة أو بالشقاوة »

وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يوجل الارواح في الاجساد وأنه ينتفس بوصفه فيكون كل نفس من ألقامه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب يصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بال نقل والحكم به دون تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الارض والسموات ثم قال (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالظفر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا

وربى لما عرفت ربى وهو معنى قوله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيى والميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففى الخبر أن ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحىي الموتى فأوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتكم الله من الصنع وأنا الميت والمحى لا يميت ولا يحيى سواي فأذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة «خذها لو لم تأتها لانتك» أضاف الايتان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها وكذلك لما قال الثائب أتوب الى الله تعالى ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لاهله» فكل من أضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه الى غيره فهو المتجاوز والمستعير في كلامه وللتجاوز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بمحركه وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلال فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعه أبها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فلا سلم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل» أي كل مالا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فأذا لاحق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس ككله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل: يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان

فان قلت فقد ظهر لأن أن الكل جبر فامضى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه؟ فاعلم ان معنى ذلك قد أشرنا اليه في كتاب الشكر فلا تظنول بعبادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرزمالي من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالابان

بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الي مسبب الاسباب والايان بالرحمة وسعناها الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الي حسن نظر الكفيل وهذا الايمان أيضا باب عظيم من أبواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحمطه نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا متنى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزداد فيها دبر الله سبحانه الخلق في الدنيا والآخرة جناح بموضة ولا أن ينقص منها جناح بموضة ولا أن يرفع منها ذرة ولا أن ينخفض منها ذرة ولا أن يدفم مرض او عيب او قص او فقر او ضرر عن يمينه ولا أن يزال صحة او كمال او غنى او نفع عن انعم به عليه بل كل ما خلق الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور

وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل ومسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كان فقر وضرر في الدنيا فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل قص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف اول الجنة قدر النعمة وكان هذا الروح الانس بأرواح

البهائم وتسليطهم علي ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل علي الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم علي سكان الجنان بتعظيم العقوبة علي أهل النيران وفداء اهل الايمان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة ففتضي الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكذا ان قطع اليد اذا تأكلت إبقاء علي الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الارقي التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لاجوده وحق لا لب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الا كثرون ومنع من إفتاء سره المكاشفون

والحاصل ان الشر والخير مقضي به وقد كان ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره، بل كل صغير وكبير مستطر، وحصوله بقدر معلوم منتظر، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولتقتصر علي هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولترجع الي علم المعاملة ان شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل



باب المراسلة والمناظرة

تعصب أوروبا الديني والحج

﴿ تمهيد لمقالة من سنن نافورة ﴾

أثبتنا في السنة الأولى من المثار أن التعلو في التعصب الديني ولد في أوربا ثم أعدنا الكرة في هذا مرة بعد أخرى حتى في بعض أجزاء هذه السنة ومن العجيب أن نرى جرائدنا السياسية غافلة عن تنبيه أهل الشرق إلى هذا أو وجلة من ذلك وأصحابها يرون ويسمعون ويقرأون كل يوم مايو يده حتى أن بعض الجرائد الأفريقية التي تصدر في مصر تسمنا آناً بعد آناً من آيات تعصبها عجا فهم على جهلهم بالاسلام يطمنون في أحكامه الحكيمة العادلة ويحرفون بجمل أو بسوء قصد بعض آيات القرآن كما فعلت أكثر من واحدة منهم في العصف الماضي بتحريف قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) الآية إذ أولوها بأن الاسلام يوجب على المسلمين أن يقتلوا كل من قوه من الكفار في كل مكان وكل وقت سواء كان محار بالهم أم لا، ولو كان هذا معناه لما عاش أحد من الكفار في الممالك الاسلامية وقد كان المسلمون قادرين على إبادة مخالفهم من الشرق الأدنى ومن بعض بلاد أوربا أيضاً ولكنهم كانوا يعاملونهم بأفضل مما تعاملنا به أوروبا اليوم في جواهر وسنن نافورة والهندوتونس والجزائر. وإنما الآية في كيفية القتال مع الكفار المحاربين فهي تأمرنا أن نجعل قتل عدونا في الحرب مغنياً بالأثمان وإن نكف عن القتل إذا ائحنا وظفرنا ونكتفي عند ذلك بأسرهم فكأنه يقول: اقتلوا في المعركة من يقتلكم مادمتم خائفين على أنفسكم فإذا ظفرتم فكفوا عن القتل واسروا القتالين اسراء أفليس هذا متعنى الرحمة على وهو يقول بعد ذلك في الاسرى من هذه السورة (فإما منا بملو إما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك

ولو يشاء الله لاتصبر منهم) فهل بعد هذا من رحمة ورأفة في الحرب ؟ وهل ينرض على تلك الآية الاكل غال في التمصّب ؟ وهو ما عليه الاوربيون وأضالم أدل على التمصّب من أقوالهم

ان الانكليز لم تستقر أقدامهم بمصر الا وحاولوا أن يثبتوا في موطنهم طلي كون الحجاز هو مهد الهبضة الوبائية وقد ضغطوا على الخديو توفيق باشا ليكره طبيبه سالم باشا سالم باقرار ذلك فأمره بأن يوافقهم فلم يفعل حتى أظهر توفيق باشا مفاضيته إرضاء لهم ، ثم انهم لما باعوا البواخر المصرية لشركة انكليزية بثمن لايزيد على ثمن ما فيها من الاثاث والماعون (الموبليات) وان غلّت قلت وهبوا البواخر وأرصتها حملوا الحكومة على إزام حجاج المصريين السفر في هذه البواخر دون غيرها وكانت الشركة نسيء معاملة الحجاج الذين يركبون بواخرها ولكن الظلم الذي يكون في مصر ليس كالظلم الذي يكون في مثل جاوه أو سنغافوره بل يكون ظلما مفضوحا فيها وفي أوربا فلذلك ولما بذل من السعي في تحسين معاملة الشركة للحجاج اتفق لورد كرومر مع الحكومة المصرية على وضع نظام مستدل لتقل الحجاج المصريين في هذه البواخر . وكان انفع تلك المساعي ما قام به مستر ويلفرد بلنت المستشرق الشهير وما كتبه في ذلك الى لورد كرومر وما نشر في الجرائد الانكليزية . فهذا التحسين لم يكن من رحمة لورد كرومر ورأفته ولا من عدله وعدل حكومته ولكن كان امرا اضطراريا لا بد منه ولو كان ذلك من رحمة الحكومة أو عدلها لكان عاما في سنغافورة وفي كل بلاد لها سلطان عليها

هذا ما قوله تهيدا لرسالة جاءتنا من سنغافورة ورغب اليانا ان نشرها في عدة جرائد اذا أمكن وقد شدد الكاتب التكرير فيها على الاوربيين وسمى تمصّبهم الحامل لهم على إهانة المسلمين وهضم حقوقهم تمصبا صليبا يعني انه تمصّب لأجل المسيحية نعم ان المسيحية تبرأ من مثل هذا العمل الذي يصفه صاحب الرسالة بل هي تبرأ من هؤلاء الافرنج عباد المال والقوة واعداء الضعفاء من غير أبناء جنسهم ولكن ماذا يتعد وماذا يقول مثل هذا الكاتب الذي رأى بينيه واختبر بنفسه تضيق هولاندا

وانكثرا على الحجاج دون غيرهم وهو يعلم كما يعلم كل احد انه لا عند لهم في ذلك؟
أليس يعد معذورا في كل مقاله؟ إلى وهذا نص رسالته :

الحج

﴿ أوروبا والاسلام ﴾

ماذا تريد أوروبا من الاسلام وأهله؟ انها لم تنزل نهار بناحر باصلية كأشد ما يكون
من الحرب متحدة متناصرة من حيث فندري ولا فندري فانها لا تسنح لها فرصة الا
ووثبت على قطر فاقترست استقلاله والتهمت ثروته واستعبدت أهله ونشرت فيه
الجرائم الضارة المهلكة للعقول والابدان والاموال (الخمر والزنا والتهار) كل ذلك
باسم الانسانية وتأييد الحقوق وتأمين التجارة وحب الخير و... وما هو الا الكذب
والخداع والفدر والاحتيال ولقد رابها ماترى من عطف المسلمين بعضهم على بعض
ذلك العطف الذي يوجب الاسلام ان يكون على أقوى ما يتصور ولكنه وبالا لاسف
لا يوجد منه الآن الا اسم بدون معنى ومع ذلك لم يرق لدى أوروبا الرحمة
فصاحت الصيحات المزعجة وسسته التعصب الديني ونسبت اليه ماشاءت ولوته بما
أجبت وصورته غولا يتلعن الانسانية ويبعد الحمجية ولقد نجح مسعاها فاصفى الى
زورها من تربوا في أحضانها من شباننا ومن نخرج في مدارسها المحشوة بالرهبان
والقسوس وبالملاحدة فكانوا طليعة الاعداء وسلماء لهم وجالة يصطادون بها سخاف
العقول والجهاال منا فلا حول ولا قوة الا بالله

كبر على أوروبا المتدنة أن تكون للمسلمين ندوة عامة وهو الحج يلتقي فيه أهل
الغرب منهم بأهل الشرق وأهل الجنوب بأهل الشمال فقامت لمخاربه فقالت ان
الحجاز ينبوع الامراض ولوانصفوا لعلوا - وما إخالهم جاهلين - ان الهند منذ ربع قرن
لم يفارقها الطاعون وهنكوخ منذ ١٥ سنة كذلك وغيرها كثير فلماذا لا ننظر أور إلى
تلك الجهات ونقيم عليها الحجر (الكورتينات) بل نقض عنها النظر ولكننا في مقابل ذلك

تشدد على من يأتي الحجاز أو وجع منه كأنما هو ميكروب مجتمع سواء كانت الصحة هناك معتلة أو في أحسن حال حتى صار مفهوم لفظ الحج ملازماً لمفهوم الحجر الصحي والتطهير اذ لا انفكاك عنه ولا سلامة منه مما كانت صحة الحجاج جيدة . سبحانه الله ! لماذا كل هذه العناية ومزيد الرعاية من اساطين التمدن الرحاء ؟ كلنا نعرف ونفقد انها احتاد وسخام صليبية قلبت أسماؤها فتريرا للبسطاء وسترا عن أعين العمش وما كفاهم هذا حتى اجتمعوا فكادوا للإسلام وأهله وخصوا سفر الحج بقانون مخصوص . انرى الحامل على ذلك كثرة المحبة والشقة على الحجاج واختصاصهم بمزيد العطف ؟ هكذا قال أولئك الساسة وادعوا

والدعائوي ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدياء

لو كان ما يقولونه مما يمكن ان يكون صدقا لما خص أولئك الحجاج وحدهم بهذه النعمة وحرم منها جميع المسافرين في اقطار الارض كلها ، أنرى ساسة أوروبا هان عليهم جميع الناس واشفقوا على الحجاج فقط ؟ زهوه ! انا نسألهم لماذا يكون الانسان حرا في سفره الى الاقطار الاربعة بل الى القطب الجنوبي أو الشمالي ومجاهل افريقية وغيرها بلا شرط ولا قيد حتى اذا ما قيل انه يريد الحج قيد بالسلاسل والاغلال ، وسبق الى المحاجر ، واحتاج الى اجتياز عقبات ، وتحمل صعوبات ، أنرى ذلك رحمة وعدلا ؟ يخج !! لو كان الحامل لهم على عملهم هذا هو الرحمة لكان المجلوبون كالاغنام من الهند وجاوة للعمل في افريقية واستراليا في اعماق الارض أحق برحمتهم من الحجاج لانهم اكثر واسوأ حالا منهم . قالوا ان كثيرا من الحجاج جهال مغفلون فهم عرضة للضياع ، وقد صدقوا ، وقالوا لانهم لذلك خصومهم بقانون مفرد غريب رحمة بهم وقد كذبوا ، ولو كان الامر كذلك لكان الاحق بهذا الرحمة فلاحى روسيا والحبشان فلماذا لم يرحمهم ويحجروا هذه القوانين النحسة فيهم ؟ مع ان انرى أوروبا تسوق الجيوش وتجهز الاساطيل اذا أصاب التصارى من غيرهم أذى بحق أو بغير حق ولا تراها ترحم المسلمين اللهم إلا في سفرهم الى الحج ولكن رحمة مقلوقة ! فهل بلغ من استخفاف أوروبا ان ظنت اننا نصدقها في هذا ؟ عجب عجب !!

هذه هولاندا يقتل أهل ستمرا ظليلا منذ اكثر من اربعين سنة ولم يذبس احد

من وزراء أوربا ينت شفة : أترام لم يملوا انه لم يبق من أربعة ملايين فيها إلا نحو الريع : كلاله من المستحيل ان يعلم بذلك كل أهل الدنيا ويجهله وزراء الدول المتعدنة الرحمة . بل الحقيقة ان أولئك القتولين المضطهدين مسلمون والقاتلين الظالمين لهم نصارى

قالوا ان الحجاز محل الاستبداد والنهب والظلم وقد علموا ان وجود ذلك مسقط لوجوب الحج أو مانع من دخول الحجاز وقد صدقوا ولكن ذلك كان في أيام الطاغية واتب باشا وقد طار الاستبداد معه . وقالوا انهم لذلك احتاطوا للمسافر اليه . ولو دفعوا تلك الحواجز الآن ونسخوها لقلنا انهم صدقوا فكيف وقد كذبوا أنفسهم بأنفسهم بثباتهم على العدوان والتشديد مع سبق الاصرار على ذلك : ولسان الحال أفصح من لسان المقال .

انهم بما سنوه من القوانين وأوجبه من الشروط قد جعلوا الحجيج من الاصناف المحتكرة كالافيون والخرفاخص بهم بعض الشركات القاسية تسوهم الخسف وتتهب أموالهم فلقد كانت اجرة الذهب من سنغافورة مثلا الى جدة يتراوح بين ١٧ ريالاً الى ٢٠ ريالاً وهو الآن ١١٠ ريالاً ذهاباً وإياباً ، ولو لم يقيدوه بالشروط المخصوصة لم يزد على ما كان ان لم يقص لان المراكب التي تذهب من الصين الى أوربا لا تعد كثرة وسطوحها فارغة وكذا كراتها ان لم تكن مراكب بريد ولا يكلفها أخذ الحجيج شيئاً الا ساعات قليلة تنحرف بها عن سبيلها حين ادخالهم جدة فيكون جل ماتكسبه من الحجاج أو كله ربحاً . ولكن كيف وانى وقد احتكر وافضل رحمة الرحاء من صليبي أوربا وصاروا من حقوق بعض الناس وبعض الشركات يورثونها من بعدهم !!! أفلا تكون هذه نخاسة من مخترعات القرن العشرين ؟ فهيننا مريتنا للأقوياء ما استحلوا من ظلم الضعفاء ، اذ لا راحم للسلم الضعيف ولا معين ...

أما المراكب التي اختصت بأخذ الحجاج من سنغافورة وجاوة فلا كرات فيها ولقد رأيت أمراء هذه البلاد وأبناءهم يركبون ظهور تلك المراكب الوسخة بين الفحم والبهائم مضطرين وقد اعتادوا صنوف النعم والرفاهة والنظافة فيروضون وبسة من وكثير ما يهلكون ، ويقاسون من العذاب والتكامل ما يرجمهم عليه زبانية جهنم

ولا يرحمهم محبو الانسانية من الاوربيين! وما هو ذنبهم؟ هو ذنب عظيم ألا انه هو قصد من الحج وذهابهم الى الحجاز وأوروبا لانهب ذلك، ففي تعاقبهم وبحجزهم في تلك المراكب العفنة ثم تسوقهم الى المحاجر حيث تمري ابدانهم. ويهانون ويتلف من أموالهم ما أبقته أيدي السراق والامطار والانواء. وقد بقيت أحد بكراء هذه الجهات. بعد خروجه من المحجر فرأيته كأنما نشر بعد ما قبر ولو أراد أن يذهب بأحد مراكب البريد أو بمركب من غير مراكب الشركة المحتكرة للحجيج لأقامت الحكومة عليه وعلى الباخرة التي قله الدعوى وحكم عليه وعليها بأشد أنواع العقوبات رحمة وشفقة!!

لو فرضنا ان الحكومات الاوربية تحب ان تخدم الحجيج، وانما نعتقد أنهم في منزلة القصار وعديبي الرشد لعلت منهم ما تمعله لو أرادت قتل قطع من البقر للذبح فانها تعلن ذلك الامر والشروط المرغوبة وتعطيه لمن يطلب أقل أجره عليه. ولو فعلت هذا لما كانت تبلغ أجره الحاج الواحد ذهابا وايابا ٤٠ ريالاً فيتوفر لكل نفر من الحجاج من ركاب السطح ٧٠ ريالاً وهي شيء كبير بالنسبة لفقر الاهالي اذ الكثير منهم لا يقدر على توفير ذلك المبلغ في ثلاث سنين ولكنهم عندها أذل من البقر ومعاملتها تفصح بهذا وكان يجب عليها ان تحتم على من منحهم قتل الحجاج ارجاع اجرة العوده الى ورثة من مات ولكن الامر الآن بالعكس فأنا أكتب هذه الاسطر وأمامي أحد الاهالي ويده ٢٥ ورقة مات أهلها وقد دفع أجره العوده كل واحد منهم ٥٥ ريالاً ولكن الشركة (الكبانية) أبى ان تدفع له ذلك واتفق مع احد المنتسبين اليها أن يشتري منه تلك الاوراق بعشرين ريالاً فقط ثم أبى وقال بها لمن يريد العوده من جدة ومعلوم انها هناك تباع بثمانية ريالات أو نحو ذلك والحكومة تساعد الاوربي العالم على الاهالي المساكين، وذلك ايضا رحمة وحنان!!

نعم ان طرحها أمر تفسير الحجيج في المزارد كما قلنا متاف لحرية التجارة ولكن ذلك مع نفعه للمساكين أقل اثماً من اثنائها كالحرية الاشخاص بمنهم من السفر كما يشاؤون. فاذا جاز هذا جاز ذاك بالاولى قطعاً اما قيدها حرية الحجاج المساكين

وتركها لهم مربوطين بين يدي أولئك النخاسين التلاظ الاكباد فظلم من اشنع وأبشم أصناف الظلم فيما نقصد

ويجب أن يستثنى من يركب الكرات من كل قيد كما هو الحال بالهند والصين ومن العجب أن يكون ركاب الدرجة الأولى والثانية وخدامهم مستثنين من الحجر الصحي والتطهير مطلقا هنا وفي الهند والصين ولا يستثنون إن سافروا الى الحجاز! فإذا فعل التعصب الاعمي قاتل الله الاغراض

ومن الغريب ان مجلس المبعوثان المحترم لم ينس أحد من اعضائه يئنت شفة في هذا الصدد وذلك اهل او جين ولا قول لاجل أن يتحقق مسلمو الشرق ما يقوله اعداء جمعية الاتحاد والترقي الموقرة من بغضها لكل ما يتعلق بالدين ليفصموا عرى اتحاد المسلمين من كل جهة فأتنا نتحقق كذب هذا القول بالنسبة لعقلاء القوم وفضلائهم واذا كان فيهم زنادقة أو متفرنجية أو نصارى جهال فأتني لأبخل عليهم بنصيحة يتحققون صدقها : وهي ان مفتهم كبيرة جدا في تمسكهم بالاعتدال في كل حال وفي اجتلاب محبة المسلمين كلهم والسياسة توجب عليهم الاجتهاد في ذلك ولم يفرنا قدوة حيث طردت قسوس الجزويت من بلادها وحتمهم في الشرق فلينظفاهروا بذلك لثمنه المقطوع به ولا يكونوا السبب في خسارة الدولة اهم قوة يحسب لها عدوها الف حساب وحساب فلماذا نستصرخ باعضاء المبعوثان الكرام واهل الجرائد وحلة الاقلام والعلماء الاعلام ليقبوا الحجة ولا يسكتوا عن المطالبة بالحق والانصاف فان انصار الحق كثيرون في أوروبا وغيرها وحسبنا الله ونعم الوكيل

(س . س . ي) ستفاورة

﴿ الشيعة وتمدد الزوجات ﴾

كتابي الى مولاي الاستاذ الحكيم ، بعد السلام عليه ورحمة الله وبركاته ، كتاب معجب بآله من الايادي البيضاء في اصلاح الامة ورفع « منار » الاسلام

وارشاد المسلمين الى الطريق الاقوم والصراط السوي ، يداني اعتقده انه لابد للوجود أن يكبو ، ولصارم أن ينبو ، قد رأيت في الجزء الثامن من متناوكم (صفحة ٥٩١) ما يشعر بالنسبة الى الشيعة ما هم منه براء ، وما نسبة ذلك اليهم الا محض وهم واقتراء ، وهي انهم يجوزون الزواج الدائم باكثر من اربع لاهم أولوا الآية الكريمة بخلاف ظاهرها وفهموا منها ما لم يفهمه سائر المسلمين بل ادعيت اجماعهم على ذلك مع ان اجماعهم على عدم حل الزوج باكثر من اربع كما ستعلم . ولما قرأت ما كتبتموه عجبت اشد العجب لعلي بعدم صحة ما نسب لهم قلت لعلي لم أطلع تمام الاطلاع على دخيلة الامر فعرضت ذلك على فريق من علماء الشيعة فاستنكروا ما عزي اليهم غاية الاستنكار ، وعجبوا كيف يصدر هذا الخطأ من فاضل نظير صاحب المنار ، ثم استحضرت الكتب الفقهية التي عليها اعتماد الطائفة الشيعية ، لعلي أعثر لذلك على اثر ، أو أقف له على خبر ، فلم أجد ضالتي المنشودة بل وجدت خلافاً لها انا اقل لكم عباراتهم بالحرف الواحد تملوا صدق ما اقول وتكونوا على بينة من الامر وتزيلوا هذا الغشاء عن البصائر والابصار

قال في تذكرة الفقهاء لمولفها الحسن بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة وهو من اعظم علماء الشيعة واجلهم قدرا عاش في القرن السابع والثامن مانصه :

« مسألة : أجمع علماء الامصار في جميع الازمان والاقطار على أنه يجوز للحر المسلم أن يتزوج بالعقد الدائم اربع حرائر ولا يجوز له الزيادة عليهن لما روي عن غيلان بن مسعدة التقفي أنه اسلم وبمته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربما وفارق سائرهن ، وأسلم نوفل بن معاوية فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربما وفارق الاخرى ، ورواية زرارة بن عبيد ومحمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال لا يجمع مائة في خمس ، وفي الحسن عن جميل بن دراج عن الصادق عليه السلام في رجل تزوج خمسا في عقد قال يخلى سبيل أبين شاء ويمسك الرابع ، وحكي عن القاسم بن ابراهيم أنه أجاز العقد على تسع واليه ذهب القاسمية من الزيدية - قال الشيخ رحمه الله : هذه حكاية الفقهاء عنهم ولم أجد احدا من الزيدية يعترف بذلك بل انكروها اصلا واستدلوا بقوله تعالى (فانكحوا

ما طالب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) والواو للجمع ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع والواو ليست للجمع بل للتخيير كما في قوله تعالى (أولي ابنته مثنى وثلاث ورباع) ولم يرد به الجمع اذ لو كان المراد الجمع لقال تسعة ولم يكن للتطويل معنى، قال الشيخ رحمه الله : لو كان المراد الجمع لجاز الجمع بين ثمانين عشرة لأن معنى قوله مثنى اثنين اثنين وكذلك قوله ثلاث مئة ثلاثا ثلاثا وقوله رباع مئة اربعا كما في قوله جاء الناس مثنى وموحدا أي اثنين اثنين وواحدا واحدا وهو باطل اجماعا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مخصوصا بذلك فانه جمع بين اربع عشرة امرأة فثبت ما قلناه هـ

وجاء في اللغة الدمشقية لمؤلفها محمد بن مكي المعروف بالشهيد الاول وشاوحا زين الدين المعروف بالشهيد الثاني وهما من اعظم علماء الشيعة عاش الاول في القرن الثامن، والثاني في القرن الالف مانصه :

« السابعة لا يجوز لحر أن يجمع زيادة على اربع حرائر او حرتين وأمتين او ثلاث حرائر وامة بناء على جواز نكاح الامة بالعقد بدون الشرطين والام لم يجز الزيادة على الواحدة لانتهاء العنت معها وقد تقدم من المصنف اختيار المنع ويبعد فرض بقاء الحاجة الى الزائد عن الواحدة ولا فرق في الامة بين المؤمنة والمذبذبة والمكاتبه بقسميها حيث لم تؤد شيئا وأم الولد، ولا للعبد أن يجمع اكثر من اربع اماء أو حرتين أو حرة وأمتين ولا يباح له ثلاث اماء وحرة والحكم في الجميع اجمالي هـ ا

وكلا الكتاين اللذين نقل عنهما مطبوعان في طهران عاصمة بلاد فارس وقال في مجمع البيان وهو التفسير المعتمد عند الشيعة في معنى الآية (فانكحوا ما طاب لكم) الخ وطريقه ان يذكر الآية أولا ثم القراءة فالحجة فالاعراب فالنزل فالمعنى وهذا من جملة ما ذكره في معناها :

« وقوله مثنى وثلاث ورباع معناها اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا ربعا فلا يقال ان هذا يؤدي الى جواز نكاح التسع فان اثنين وثلاثة وأربعة تسعة لا ذكرناه فان من قال دخل القوم البلد مثنى وثلاث ورباع لا يقتضي اجماع الاعداد في الدخول

ولأن لهذا العدد لفظاً موضوعاً وهو تسع فالمدول عنه الى مثنى وثلاث ورباع نوع من النبي جل كلامه عن ذلك وتقدس وقال الصادق عليه السلام لا يحمل ماء الرجل أن يجري في أكثر من اربعة أرحام من الحرث اراه

ولو أردنا استقصاء كلام علماء الشيعة لضاق المقام وطال الكلام وأظن فيما أوردناه مقنناً ومنه تعلم ان اجماع الشيعة على عدم حل الزوج بأكثر من أربع في العقد الدائم وأزديك على هذا اني رأيت في أثناء مراجعتي للكتب الفقهية ما لم أكن اعلمه وهو استشكل لبعض علمائهم في الزيادة على اربع حتى في المتعة مع ان الاكثريين منهم ذهبوا الى عدم الحد بها

ومن المعلوم لدى الاستاذ ان العصر عصر دليل وبرهان فلا يحمل بصاحب مجلة معتبرة ان يورد أمراً لم يسره بمسبار التحقيق ثم يعده من المسلمات البدييات وعندي ان عدم التثبت في نقل الاخبار أوصل الامة الاسلامية الى هذه الحالة وجعل كل فرقة تسمي الظن بالآخرى وكل هذا راجع على ما اعتقد الى عدم مراجعة كتب الفرق المنسوبة اليها تلك المقالة التي تبرا منها والاعتماد على كتب مناظرها فاني رأيت كثيراً ما ينسب علماء السنة الى الشيعة ما يتبرأون منه وما لم يوجد في كتبهم المعتبرة وكذلك يفعل علماء الشيعة وخذ لذلك مثالا ما ينسبه أغلب المسلمين الى الوهابية من المقالات الشيعة والاعتقادات الفاسدة ولوراجعنا كتبهم لا لفتانهم يتبرأون منها ولم تكن علاقتهم بها الا كقول الشاعر

انما أنت من سليبي كواو الخفت في الهجاء ظلاماً بصبر و

ولا اظنكم اعتمدتم فيما كتبتم الا على كتب أمثال ذلك (العالم الغيور) مع انكم لو اعمستم النظر واعلمتم الفكر لانتم اولئك يخطئون في بعض الامور خبط عشواء لانهم لا يعتمدون على المصادر الموثوقة بل يتكلمون على الدماع وهو مالا يجوز ان يتخذ حجة يتمسك بها كما فعل ذاك العالم الغيور في رسالته التي بثت بها اليكم عن أحوال العراق ونشرتموها في الجزء الاول من المجلد الحادي عشر وكل مطلع على احوال العراق يقفه ضاحكاً من عدم التثبت في اسانيدها والاغرب من ذلك تذييلكم

لما وقولكم ان مجتهد الشيعة ييحقون لامراء العرب المتعبدة نساء بما يصادف هوى في فؤادهم مع ان اولئك الاعراب يأفون أشد الافة من التمة ولا يفعلونها قطعيا وهي مع حلها عند الشيعة لا ترى عريا يضلها بل لا ترى عرية تقبل بها الا في النادر وربما كانت شائعة عند الفرس لا غير وهذا ما حمل بعض علماء الشيعة من العارفين بأحوال العراق على الرد على ذلك العالم الفيور في مجلته (العرفان) ولما كنت اعلم منكم الانصاف وأجلكم عن عدم التثبت ودعم ما تنقلونه بالدليل مع ان مبدأكم المطالبة بالبرهان جئت بكتابي هذا كي تفسروه على صفحات مجلته الحرة احقاقا لاحق وإعلاء لنار الصدق حتى اذا كان لكم دليل من كتب الشيعة على مدعاكم اتبتم به واني على يقين بأنه لا يوجد بتاتا وبقي امر آخر لا بد من استطلاع طلائمه واستجلاء حقيقته منكم وهو قولكم لا يمتد باجماع الشيعة لان المسلمين اجمعوا قبلهم فلمعري هذا من الغرابة بمكان لان الشيعة أقدم من بقية المذاهب المستحدثة في الاسلام كما يعلم ذلك كل من له مسكة من علم التاريخ واطلاع على نشأة القوم واني انبهكم قبل ختام الكلام الى ان كتب الشيعة أصبحت منتشرة ومطبوعاً أكثرها في بلاد فارس والهند والحصول عليها متيسر فيمكنكم استجلاب شيء منها حتى اذا قلتم شيئاً عنهم يكون على ثقة وثبتت والسلام . ٣٠ رمضان سنة ١٣٢٧ منشيء العرفان

احمد عارف الزين

(النار) أرسلت الي هذه الرسالة وأنا في سياحتي بالاستانة فأنا اعطى عليها بالابحاز وأنا جالس في احد المطاعم بعد الغداء وابدأ كلامي بالبراءة من التعصب للمذاهب ثم أقول :

أشكر للكاتب بيانه وأعده له يدا يمنها على النار اذ لانحب ان ينشر فيه شيء من الخطأ ولا يعقب ببيان الصواب ولكني أنكر عليه ما ذكره من الكلمات الجارحة التي اعتادها الذين ينكر بعضهم على بعض اتصارا لمذهب على مذهب والتشيع لقوم وإهانة آخرين كقوله « محض وهم واقتراء » فان الاقتراء تعمد الكذب ويبعد جدا ان يكون الذين عزوا هذا القول الى الشيعة قد تمعدوا الكذب في نسبتهم اليهم بل لا يعقل أن يقع هذا من عاقل اذ لا فائدة فيه ولا هو من المسائل التي يرجح بها مذهب على

مذهب وخطأ في فهم آيات القرآن جائز على كل أحد وقد وقع من بعض الصحابة وهم أهل اللسان وشهداء البيان وعن دونهم من أئمة الفقه وعلماء المذاهب المنسوبين الى السنة كثيرا ما يخطئ بعضهم مذهب بعض ، فقلهم مثل ذلك القول عن الشيعة لوجه لان يكون من الاقراء عليهم أو انتقاصهم لانهم شيعة بل لا بد ان يكون له أصل وان لم يكن هو المتمد في مذهب الإمامية أو الزيدية ، ونسبة الاقوال الشاذة في المذهب الى أهل المذهب مهود وغاية ما يقال فيه ان قلة الخالف لا يعتد به . وأنت تقول إن القاسم بن ابراهيم أجاز القدر على نسع واليه ذهبت القاسمية من الزيدية ، وهم من الشيعة في عرف أهل السنة . ولا يمد ان يكون أولئك الناقلون عن الشيعة ما ذكر قد سمعوا منهم أو قرأوا عنهم قولاً آخر من الاقوال الشاذة فظنوا انه هو المتمد في المذهب ، ويكفي في بيان مثل هذا الخطأ ان يقال ان ما نقل عن الشيعة في مسألة كذا غير صحيح أو غير معتمد عند المتمد هو كذا ولا حاجة الى مثل هذا التطويل والتحويل والتذكير بالانصاف والدليل

وأما القول بأنه لا يعتد بخلاف الشيعة في مسألة كذا لان المسلمين اجماعا قبل ذلك عليها فلا يقتض بدعوى ان مذهب الشيعة اقدم من بقية المذاهب لان المراد باجماع المسلمين قبلهم هو اجماع الصحابة لا إجماع أهل المذاهب المستحدثة أو القديمة ، وجميع المذاهب حادثة في الاسلام وقد كان الاسلام على أفضل ما كان عليه في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصر الصحابة والتابعين ولم يكن فيه مذاهب ، ثم حدثت المذاهب ففرقت كلمة المسلمين وما زادت الاسلام الا ضعفا ووهنا ولا نبحت في قدم بعضها على بعض الا من باب التاريخ اذ لا علاقة لذلك بالحق والباطل والخطأ والصواب فكون مذهب المعتزلة سابقا لمذهب الاشعرية لا يقتضي كونه أصح منه وكون مذهب الجهمية متأخرا عن مذهب الخوارج لا يستلزم ان يكون اقرب الى الصواب منه . ونحن نعرف بأن ذكرنا للمذاهب أحيانا في تفسير القرآن مخالف لمشربنا وهو انما يقيم منا سهوا فالقرآن فوق المذاهب كلها ونحن لا نلتزم في تفسيره مذهبا من المذاهب لان هذا من تفسيره بالرأي والهوى وهو منهي عنه . واما ما نشرناه لذلك العالم السائح فهو من باب النقل والناقل عدل ثقة لاشك

عندنا في عدالة وقد يخطئ ويصدق بعض الروايات الباطلة فيقلها بحسن النية ولو جاءنا رد عليه لنشرناه اذ لاحظنا غير اتباع الحق والسلام

﴿ الصديق وميراث النبي (ص) ﴾

سيدي الدكتور مرجليوث

الك ما وعدتك في جوابي عن تذكريك من الملاحظة على بعض ما جاء في انتقادك لكتاب بلاغات النساء الذي شرحته وطبعته (١) جاء في انتقادك ان الكتاب لم يذكره ياقوت في مؤلفات ابن ابي طاهر وانه قد يكون هو كتاب المستطرفات

وأفيدك : ان بلاغات النساء هو الجزء الحادي عشر من كتاب المنظوم والمنثور لابن ابي طاهر أسماه باسم خاص به هو اسم بلاغات النساء الخ ، وقد اخترت نشره بهذا الاسم لانه خير عنوان لمشمولاته وادعى لافقات النظر اليه فان غرضي من نشره هو مساعدة الحركة العاملة عندنا لترقية المرأة وترى عقب المقدمة التي وضعناها للكتاب اشارة الى ذلك فلتراجع هذا وان كتاب المنظوم والمنثور ذكره ياقوت في مؤلفات ابن أبي طاهر (راجع معجم الأدباء)

(٢) ثم جاء في الانتقاد : ان اخراج ابي بكر لقاطمة من ميراث ابيها كان يقينا بتحريض عائشة التي لم تسمح عليا قط فيما كان له من اليد في حديث الافك !! أقول : ان انباء الحوادث لا تثبت الا من طريق النقل وهذه كتب التاريخ كلها خلو من ذكر ما حسبته يقينا ولم يشر اليه في واحد منها لاتصريحها ولا تلميا ففردك بقول في حادثة مضى عليها ١٣ قرنا موضع نظر !

ان الفكر لا يلجأ الى الاستنتاج العقلي لمعرفة السبب في حادثة تاريخية الا اذا

*) كتاب لاحد الفندي الاالي بحث به الى الدكتور مرجليوث المدرس بجامعة اكسفورد ودأ على ما تعرض له بتقريره كتاب بلاغات النساء من انباء الصديق (رض) بحرمان فحمة عليا السلام من ميراث ابيها (ص) اجابة لتحريض عائشة (رض) وقد سمع به انتم لنشره بمناسبة الاحتفاء في التفسير من الاضافة في هذا الموضوع راجع (ص ٧٢٧ — ٧٣٤) من هذا الطراد

خلت روايتها من ذكره على وجه صريح مقول وليس ذلك في حادثنا فان أبا بكر لم يخرج فاطمة من الميراث الا أخذنا بقول ايها صاحب الشريعة الاسلامية: «لأنورث ما تركناه فهو صدقة» وقد اتقمت فاطمة وألما واشراف الامة حينئذ بصحة هذا القول وأقروا العمل به وقبلوه

ان مثلك لا يند عنه معرفة قوة سلطة الدين علي متعليه في ايان نشأته كما كان ذلك في عهد تلك الحادثة حينئذ والعرب على فطرتهم البدوية وسذاجتهم الطبيعية فلا يمكن أن يلتزم مع ذلك ان يجنح أبو بكر الى هضم انسان حقه بتعريض محرض وأن يقره على ذلك الباطل اعيان الامة وان يخفى كل ذلك على رواية التاريخ فيخلوه ان العيان يكذب ان الموجدة الشخصية تكون سببا في ان يمنع الانسان غيره من حقه فان كثيرا من المتعاملين يجني بعضهم على بعض ومع ذلك قل أن يكون ذلك سببا للجساسة على ان يهضم انسان حق آخر خصوصا إذا كان صريحا كما في مسألة الميراث في مثل تلك الظروف

ان عليا لم تكن له يد في حديث الافك وانما صدر عنه رأي في تخفيف وقصه على محمد واليك مانسبته عائشة نفسها الى علي في هذا الشأن وقد قتلته عن كتاب البخاري اصح كتب الرواة الاسلاميين بالاجماع قالت :

« ثم أصبحت فدعا رسول الله علي ابن ابي طالب واسامة بن زيد يستشيرهما في فراقني فأما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعاها رسول الله فقال لها يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريك؟ » قالت بريرة لا والذي بعثك بالحق ما رأيت منها أمرا انغمصه عليها قط »

وقد طوي حديث الافك بأسبابه وتأنجه لا نلحق براءة عائشة حتى أن أبا بكر أعاد صدقته على « مسطح » أحد القائلين فيه وكان قطعها عنه أثناء

ان عائشة لم يكن لها في حياة أبي بكر وعمر الى أواخر زمن عثمان دخل في شؤون الامة العامة وبعد أن يحصل منها تحريض في مسألة الميراث يخفى خبره على رواية الاخبار حتى لا يذكره منهم ذا كرم ويجوز باطله على اعيان الامة في ذلك الحين حتى لا يجهر بالحق منهم جاهر

ان الميراث لم يكن راجعا الى علي حتى تندفع عائشة بدافع موجدتها منه
تعرض أباها عليه فيه بل الميراث ميراث فاطمة والعباس عم النبي وأزواج الرسول
ومنهن عائشة

جاء في تاريخ الطبري رواية عن عائشة نفسها :

« ان فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذك وسهمه من خير فقال لهما أبو بكر أما اني
سمعت رسول الله يقول : لا نورث ما تركناه فهو صدقة ، انما يأكل آل محمد من
هذا المال واني والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته »

ولم تقتنع فاطمة والعباس بحجة أبي بكر أولو أحسا بأن الدافع اليه حقد يرض
جوانحه عليه لا بت لما اتفقتهما العربية وهما صفة بني هاشم ، وعزنها الاسلامية
وهما آل الرسول وبجانبهما علي وشيعته - ان يستخذيا للباطل ولأثارا على أبي
بكر غارة شعواء لا قبل لها بها

قد كان علي ينفذ على أبي بكر منصب الخلافة ولكن منه دينه أن يتعرض
لخليفة سلك مسلك الحق ولو وجد علي في عمل أبي بكر منفذا يدخل عليه منه لما
وآى وقد أراداه ابو سفيان رأس بني أمية (راجع الطبري) على تناوأة أبي بكر
فاستعصم علي لعدم المسوغ وأي مسوغ كان أدعى من أن يجبر ابو بكر على منع
فاطمة بنت رسول الله والعباس عم رسول الله ميراثهما بتحريض عائشة ؟

ان ابا بكر في حسن سياسته وقوة إيمانه اجل قدرا وارجح رأيا من أن يندفع
بالباطل لمنع آل الرسول حقهم الصريح وسيرته ترفع بقايتها عن أن يظن به ذلك
خصوصا ان ابا بكر لما ولي الخلافة تخلف عن بيعته من تخلف وارتد عن الاسلام
من ارتد فكان إزاء نارين فارتأى بحكمته مداراة المتخلفين حتى سكتوا عنه وراجعوه
وعزم بحزمه حرب المرتدين حتى انصاعوا اليه فكيف مع هذه الظروف يجسر على
منع رؤس بني هاشم وآل الرسول حقهم بالبطل ؟ وبعد جدا أن يشاؤا على حقهم
الصريح بتأليب الباطل والغرض مع قدرتهم على المقاومة لو أرادوا ، وبعد جدا أن
يقهر العرب اجمع ابا بكر على باطل ارتكبه بدافع التحريض وهم الذين انكروا

على عثمان توليته بعض مناصب الدولة لاجداث قومه حتى قلوه
لو أن حادثة الميراث غير معلومة السبب وكان لابد من تلمس العلة فيها لكان
خبر رأي يتفق مع طبيعة ذلك العصر وظروف هؤلاء الناس أن يقال : ان ابا بكر
اراد بتقرير ان النبي لا يورث توهين اعتماد علي في احقيقته بالخلافة علي قرابته من
النبي لانه اذا كان النبي لا ترثه قرابته في عقار وهو ملك خصوصي فبالجري او
بالاولى أن لا تتخذ قرابته وصلةً للاحقية في امر عمومي

(٣) اما اسناد خطبة فاطمة فان ملاحظتك عليه صحيحة والصواب ان
(زيد) الذي سأله ابن ابي طاهر ليس هو زيد بن علي المتوفى سنة ١٢٢ بل هو
زيد حفيده كان معاصرا لابن ابي طاهر المتوفى سنة (٢٨٠) . وقد روى ابن ابي
طاهر عنه غير هذه الخطبة كما ورد في صفحة ١٦٢ من الكتاب ذاته اذ قال : حدثني
زيد بن علي بن حسين بن زيد الطوسي . فزيد الطوسي هذا هو المتوفى سنة ١٢٢ وهو
من اجداد زيد المعاصر لابن ابي طاهر

وعليه فيكون قد سقط من اسناد خطبة فاطمة ثلاثة رجال خطأ من الناسخ
لنسخة الخطبة التي طبعت عنها هذا الكتاب

هذه ملاحظاتي اقدمها مع الثناء الجميل لك واعجابي الزائد بفضلك وأود
أن تنشرها في المجلة التي نشرت فيها تقريظ الكتاب حتى يطلع عليها قارئو التقریظ
فلا يفوتهم ما جاء فيها من التصحيحات والملاحظات وارجو أن ترسل لي نسخة من
العدد الذي تنشر فيه وعلى كل حال احب أن تتفضل بافادتي عن رأيك فيها فان
الحقيقة بنت البحث وهي ضالتنا المنشودة جميعا .

♦ حركة الإصلاح في جاوة ♦

سيدي الامام ، الداعي الى سبيل السلام ، هد التحية والسلام : قد وصلنا العدد
التاسع من المنار المنير وكله فوائدهم لها افتدة المؤمنين ، وحجة قاطعة لالسنه
الجامدين ، وقد انتعش بها قوم احبوا الهدى ، وغص بها آخرون اخلدوا الى زينة

الحياة الدنيا ، ولقد احسنتم كل الاحسان فيما اتقنتم به رسالي الفاضل السيد عثمان ونحن نواظركم عليه حرقا وانه لكما ذكرتم حري بأن تحسنوا به الفن لانه قد بلغ من الكبر عتيا وله خدم مشهورة وما ترحسنة وان كانت له هفوات معدودة ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه واتي اكاد اجزم أنه سيرجع الى الصواب ويضيف بذلك لنفسه متقية ان شاء الله ان لم يكن ادركه الخرف لانه في العقد التاسع من العمر ، نسأل الله أن يوفقنا ويايه واياكم لرضاه آمين

وكيف لا ارجو له الرجوع الى هدي الكتاب ونبذ تقديم آراء الرجال عليه وجده الادنى السيد عقيل بن عمر كان من المجتهدين الذين لا يمتثلون الناس دينهم فقد عطل ابن سعود دروس المقلدين من الحرم الشريف لما استولى على مكة المكرمة ولكنه لم يتعرض لحقبة السيد عقيل المذكور بل كان علماء نجد يجتمعون فيها كما أنه منع جميع المفتين بمكة عن الافتاء ولكنه لم يمنع السيد عقيل لانه كان يفتي بما يظهر له من حكم الكتاب وصحيح السنة وهاهي فتاوى السيد عقيل وكتبه موجودة وهو شيخ مشايخ العلويين في علوم الشريعة والطريقة وطريقهم الاخذ بالكتاب والسنة ومن احق الناس بسلوك طريق السيد عقيل حفيده السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل

وقد ظهرت بشائر نفع دعوة المنار ودعائه ومن يدعو الى ما يدعو اليه بهذه الجهات نصار الناس يتأفون من حالهم الحاضرة ويثنون مما اصابهم من الجهل وابتدأوا في تأليف جميات وجمع قواد لفتح مدارس اسلامية تعلم النابتة اللغة العربية والعلوم الدينية وطرقا مما ينفعهم في امورهم الدنيوية وبالفضل قد فتحت مدرسة في بتاوي وأخرى في قاليباق وثالثة في سورابايا ورابعة في قرمي استاذها الشاب الفيور الفاضل السيد محمد بن هاشم بن طاهر سبط الفاضل السيد عثمان ، وقد جعلوا لتلك المدارس نظاما وترتيا نوئل مع الزمن أن يكون مراقبة الى بلوغ الكمال ، وقد امتحن منذ شهرين تلاميذ مدرسة قرمي للسنة الاولى فنجحوا نجاحا يكاد يعد من المعجزات بفضل اجتهاد وذكاء استاذها وحيل صبره ، فلا أعد ماثما ان قلت انها مدرسة في

الصحيح يرى بطلانها عيانا لان الدولة التي أجدّها محتاجة لاعانة المسلمين وكنت اجتهد جهد طاقتي في جمع الاعانات المالية لها حيناً بعد آخر وأخذ من اهل البر من المسلمين من بضعة اعشار القرش الى القرش فصاعداً وأحفظها عندي ومتى اجتمع مبلغ من المال ارسله الى الاستانة - لا يعقل انسان اني كنت أوّمل من مثل تلك الدولة منفعة مالية لان ذلك الامل يجب أن يكون من القوي لا من المعوز ! وعدا ذلك فاني لو كنت أنوي الفوز بالوسامات والانواط من الدولة العلية وكاتبته بهذا الامر رجال المايين ، لما كنت أجد حسارة في ذم القابضين على زمام الاقتدار فيه ورجاله المشهورين مثل عزت « افندي » المابدوغيرم ومدح الحكومة الدستورية في تأليفي « تاريخ السكة الحجازية » ؟

والحاصل اني لم اكتب قط الى المايين كتابا ، وأنى لمثلي أن يكتبه ويجد منه أذنا صاغية ، ويتشرف بالرد الجليل منه ، اللهم اني كتبت مرة الى سعادة السيد مصطفى ذهني باشا ناظر النافذة الاسبق لكونه مشرفا على ادارة السكة الشريفة حوالي موعد الاحتفال بافتتاح السكة الكريمة الى مدينه النبي (ص) - بأسماء بضعة من اكابر الملة الاسلامية وأصحاب الجرائد ، لدعوتهم الى حضور الاحتفال رسميا ودعوة رجل أو رجلين من صحافي الانكليز أيضا لذلك الغرض ولا أذكر الآن هل كان اسمي ايضا في تلك القائمة أم لا ، وكان ذلك الكتاب كشورة نافعة لجمع الاعانات للسكة الحجازية من مسلمي الهند وغيرها من الاقطار الاسلامية لان الكبراء والصحافيين الذين يدعون الى الاحتفال ويشتركون فيه لاشك في أنهم يصيرون بعد العودة من الاحتفال ساعين في بني قومهم بتريغيبهم وحثهم على اعانة ذلك المشروع الاسلامي العظيم وتستفيد الدولة بمحصول جهيم الخالص ايضا ولا أعلن انكم ترون في مشورتي هذه غير الاخلاص والحب الصادق لدولة اسلامية عظيمة ، وكثيرا ما كنت اقترح على سعادة الباشا المدحوخ ما أراه مفيدا من اسباب توفير الاعانة والاصلاحات الضرورية لهذه السكة المباركة .

وأما أمر الوسام والنيشانات فأكرر قولي في ذلك الباب كما قلت لكم قبلأني لم أوّمل قط حصولها بل لما أرسل اليّ سعادة مصطفى ذهني باشا النيشان العثماني من

الطبقة الرابعة كتبت الى سعادته « لو كنتم أخذتم وأبى في ذلك الباب قبل ارسال
النشان فلم أكن لأقبله ، وأما الآن وقد أرسلتموه الى فأرى رده من سوء الادب »
وأرجو من كرمكم نشر كتابي هذا في « المنار » الاغر والفات رصيفاتنا الجرائد
التركية وبالاخص جريدة « بني غزته » الى نشر كتابي الذي وجد في المايين والذي
بنت هذه الجريدة قولها عليه بنصه مع الترجمة باللغة التركية لينصف العالم هل أنها
صادقة أم لا ، والا فالواجب الصحفي والاسلامي يحتم عليها اني قولها الغير الصادق
باتهامي بما لست فاعله أبدا

والرجاء من غيرتهم الاسلامية قبول دعوتي هذه لبثين طهارة ذمتهم بتبرئة البرى
من التهم الباطلة الموجهة اليه والا فلا أكون مخطئا في ظني بحزب تركيا الفتاة انه بعيد
عن الانصاف والحق كل البعد ولذلك ارسل نسخة من كتابي هذا الى رصيفتي المويدي
ايضا وارجو منها نشره

هذا واقبلوا فائق احتراماتي افندم ودمتم سالمين . كاتبه المخلص

محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية
لاهور - پنجاب (الهند)

بَابُ الْخَبَرِ الْإِسْلَامِيِّ

افتتاح مجلس المبعوثان

كان يوم غرة ذى القعدة الحرام يوما مشهودا في الاستانة العلية ، تطالت اليه
اعناق العثمانيين ، وحججت ابصار الشاهدين منهم له والثائين ، اذ هو يوم من ايامهم
المشهوده ، وعيد من اعيادهم المدودة ، ألا وهو افتتاح مجلس الامة الذي استردت
به الامة حياتها ، وحفظت كيانتها ، واصبح امرها بيدها

ولأن كان يوم اعلان الدستور هو العيد العام لجميع العثمانيين ، والحمد الفارق بين عصر رقب العدل ، و زمن سلطة الجائرين ، - فخير بهذا اليوم أن يكون عيداً مثله عظيماً ، اذ به تتحقق مباشرة الامة للقبض على أزمته الحكم عملاً ، وذلك بسن القوانين العادلة ، والتصديق على انفاذ المشروعات النافذة

قد كان هم المبعوثان في العام الماضي محصوراً في تقرير طرق المحافظة على الدستور ، والسعي في حمل الحكومة على التنازل عن واسع سلطتها ، لتكون في يد المجلس ، وينام يكافحون ويناضلون ، ويتحاجون ويتحاورون ، اذ نجمت تلك الفتنة الهائلة ، والبلية النازلة ، التي كادت تذهب جذها في جميع انحاء السلطنة ، فاهتمت على الدستور بنية زعزعة اركانه ، وقض بليانه ، وصدت المجلس عن عمله ، وحالت دون تحقيق امه ، وكان من فضل الجيش وقائده العظيم محمود شوكت باشا اجتثاث تلك الفتنة من اصولها ، واقضاء على السلطة الجائرة ، فكانت بحمد الله صفتنا رابحة ، وصفتة ربها عبد الحميد خاسرة .

اقضى ذلك العام بخيره وشره ، وقطعت قبل مغيب شمسه السنة الفتنة ، وأخذت نار الحنة ، وقد هل هلال هذا الشهر وهو اول العام الثاني للمجلس - ونوابنا الكرام جالسون على مقاعدهم ، مترقبون لطلعة سلطانهم وخليفتهم ، ليفتح مجلسهم ، ثم ينصرفون بعد ذلك الى ما تمحضوا له

هذا : ولم تكذب تنبؤ شمس نهار افتتاح المجلس الا وقد برزت العاصفة في لبوس من الزينة يروق الابصار ويسر البصائر ، وما كان خفقان الاعلام على الدور والقصور ، والحوانيت والفتادق ، إلا دون خفقان القلوب واهتزازات النفوس ! ثم اقبل الخليفة بموكبه الجليل والنهار في مستوى شبابيه يحيط به امراء الاسرة المالكة كالنجوم حول القمر ، ولما بلغ القصر بصير بوزراء الدولة وقوادها واقفين امام باب القصر لاستقباله اجلالا وتعظيماً

بعد أن جلس الخليفة على كرسي السلطنة واخذ كل واحد مكانه - وكان المجلس حفيلاً بالوزراء والقواد والسفراء وحملة الاقلام - ناول مولانا السلطان خطابه للصدر الاعظم وأمره بقراءته فخلاله بصوت جهوري دوى له المجلس حتى وعاء كل سامع

عارف بالتركية ، وانه لخطاب حكيم ، واني أنشره على اقراء مترجما ترجمة صحيحة
وهاؤم الترجمة :

﴿ خطاب السلطان ﴾

أيها الاعيان والمبعوثان المحترمون

أحمد الله جل جلاله الذي جعل جلوسي على أريكة السلطنة العثمانية في دور
الدستور السعيد ووقتي في السنة الاولى منه أن أحضر افتتاح الاجتماع الثاني للبرلمان
الصومالي وأهني أعضاءه جميعا بقدوهم المأنوس .

ان الشرح الشريف يأمر بالحكومة المتقدمة البشرية عقلا وقلا ويهدا لنا
كطريق نجاة وسلامة فاذا داومنا مسيرنا في هذه السبيل وصلنا إلى الاتحاد والقوة
اللازمين لحياتنا الاجتماعية والسياسية

إن من أكبر أماناتي المحافظة على الدستور وتأييد مبادئه وتطبيق قواعده
ومأستغل بمنتهى مقدوتي مع رعيتي مستعينا بمعونة الله وروحانية النبي صلى الله عليه
وسلم لتحقيق هذه الاماني الشريفة والوصول الى هذه الغاية المجيدة

ان امتناني كان عظيما جدا عند ما رأيت الاخاء عاماشاملا بين عموم ابناء الوطن
اثناء سياحتي في بورصه وأزميدو كنت سعيدا جدا باقترابي من افراد الامة الصادقة
ان الخدمة العسكرية التي تشمل اليوم جميع رعايانا بلا استثناء هي من نتائج ما يأمر
به القانون الاساسي الذي يضمن لهم المساواة بالحقوق والواجبات وإتي أعد وضع
هذه الخدمة العامة المحلية لقوة الدولة وعظمتها موضع التنفيذ من أهم الحوادث التي
سينقلها تاريخ نهضتنا الوطنية لان من طبائهم هذه الخدمة في الجيش يحكم عرى التأخي
الصحيح بين ابناء هذا الوطن

ان الرقي والانتظام اللذين اظهرهما أفراد جيوشنا اثناء المناورات البرية
والبحرية التي جرت لأول مرة في هذا العام يحملان على ان قدروا حق قدرهم وان
نصرف مساعدتنا لايصال هذه القوى الى درجة الكمال اذ عليها يتوقف الذب عن
حوزة الوطن والمحافظة التامة على السلم العام

ان أحوالنا الداخلية - ولله الحمد - لا توجب القلق وان الحوادث التي وقعت في قضاء الزيدية التابع لمصرفية الحديدة وفي مصرفية صير من ولاية العين وفي قضائي بارزان ولوما من ولايتي الموصل وقوصه اخذت نزول بالتدابير الرشيدة التي اتخذتها الحكومة المتفذة حتى ان القبائل الثائرة جثت للطاعة والسكون والآمال معقودة على انها لا تتكرر فيها بسد ولا سيما متى تعممت المطارف وفضمت الاهالي عامة القواعد الدستورية فيجب علينا في الوقت نفسه أن نعمل باهتمام وسرعة في سبل إنهاض المعارف وترقية الاحوال الزراعية والصناعية والتجارية في ممالكنا الواسعة وكل عمل من شأنه ان يعود على الصوم بالراحة والرفاه وعلى البلاد بالثروة والعمران

الا وان اكبر آمالي حصول التوازن المالي الذي هو أس اساس الاصلاحات وستقدم ميزانية سنة ١٣٢٦ العمومية لمجلسكم فليكن ان تدققوا فيها أسلاو فرعا وإذا كان واضعوها لم يتمكنوا من الوصول بها إلى هذا التوازن المنشود بالرغم عما أنفقوه من الحكمة والاقتصاد في وضع النفقات المعقولة اللازمة فانهم سيتوصلون بلا شك الى سد عجز الميزانية العمومية المقبلة متى استوفيت الزيادة التي ستجبي من الرسوم الجزرية ووضعت الاحتكارات المنوي وضعها وتحسنت طرق جباية الاموال الاميرية وعندئذ تزداد الثقة المالية بنا وقد أثبتت أعمالنا المالية الاخيرة لنا ذلك

قد أقمم الدستور بآدابكم الاولى على قواعد متينة لا تززع وأيدتم المنظمات الكفافة للامن والراحة في البلاد وستنظرون في اجتماعكم الثاني لوائح القوانين والنظامات التي وضعها الحكومة المتفذة مجددا فيما يتعلق بحياة المملكة الاجتماعية والاقتصادية وتأييد النظام والراحة بقوة القانون ومن هذه المشروعات التي تستحق الذكر نظام التجارة البرية والبحرية وحقوق الملكية ونظام قضاء المحاكم المتقلين وادارة الولايات وقانون الجزاء

ان علاقاتنا مع الدول كافة ودية محضة وبما أننا نراها جميعها متحدة على السعي في سبيل المحافظة على السلم العام فلذلك ترى حكومتي من واجباتها أن تكون عنصرا شريفا ساعيا معها في سبيل تأييد السلم

اتي مع بيان فائق امتناني من المساعي الوطنية التي صرفت من قبل هيئتي

في الاجتماع الاول أعلن لكما افتتاح جلساتكما اعتباراً من هذا اليوم بإسقاط كنف الداء اليه تعالى أن يوفقكما ويسهل أعمالكما إلى ما فيه خير الدولة والامة انه سيع مجيب « اهـ

بعد ان أتم الصدر الاعظم قراءة الخطاب السلطاني هتف الحاضرون للسلطان ، ومألفه السرفاء ، ثم غادر قصر التواب والقلوب هاوية الى طلعه الفراء ، والابصار شاخصة الى موكبه ذي الجلال والرواء ، والألسنة منطلقة بالهتاف له والدعاء ، أدامه الله وإفلاً في مطارف الصحة والهناء.

وبعد فإن أعمال المبعوثان في هذا العام ستتناول شؤوناً جمة تتوقف على اتخاذها على وجهها حياة الامة وعزة السلطنة ، وهي النظر في القوانين المسنونة والنظامات للموضوعة لتأييد الحق وشمول الامن والعدل ، ومن اعظم تلك الشؤون وأكدها مشروع تعمير العلوم والمعارف بين طبقات الشعب ومشروع التجارة وانشاء نظارة خاصة لها ، والنظر في توسيع سلطة الولايات ، وتهذيب قانون الجزاء (الجنايات) وغير ذلك من الاعمال التي تفصل أعمال المجلس في هذا العام ايجابية ، وقد كانت في العلم المنصرم سلبية

ولنا الرجاء بأن يقوم اعضاء المجلس بما اتدبروا له خير قيام ، ولا سيما بعد أن تمرنوا على فسق السير في المجلس ، وسمعوا كثيراً من الصيحات والانتقادات بحق وبغير حق والله المستعان
حسين وصفي رضا

﴿ خطاب رئيس المبعوثان ﴾

خطب احمد رضا بك رئيس المبعوثان اخوانه الاعضاء بعد انتخابه رئيساً خطبة حافلة نورد منها هذه الكلمات الحكيمة :

ان أول واجب على النائب الشريف النفس بعد اجتماعنا تحت سقف قصر ذي شهرة بالتاريخ هو شكر جلالة مولانا السلطان الذي تفضل علينا بهذا القصر ، ولي

الامل انكم تبيوتوني عنكم في القيام بتأدية هذا الواجب ، ولا شك بأنكم تشتغلون بهدوء وسكون ونظام لتخدموا الامة الخدمة التي تنتظرها منكم ولكنكم لا تبلغون هذا القصد الا إذا حاذرتم تجاوز حدود الاعتدال الى الطرف

وواجب ان تكون الشرائع والقوانين والمطالب مما تتطلبه حالة البلاد وينطبق على تقاليد الامة واخلاقياتها . يسهل تنفيذها . قبل ان نصوغ القوانين يجب ان نعد معدات التنفيذ التي نسم نفع تلك القوانين لكل عناصر الامة على حد المساواة ولا بد للوزارة التي تتولى التنفيذ من المساعدة والعون دخلا وخارجا . اكبر من مساعدة مجلس النواب لما بالاماني والتمني . والعون الاول هو بلا جدال ما يكون من ناعية العاطفة الدينية قبل كل شيء ، ثم من آداب الامة ودرجة تعليمها والنجاح والمدنية يشبهان مركبة تدفعها قوة ذكرى العهد الماضي فإذا لم يكن وراء هذه المركبة روح قوية تدفعها الى الامام وقوات ادييه ومادية تؤيد الدافع فاما أنها تفهم وامانها تنفقر وبما ان اعمال المجلس ومجهوداته لم تأت حتى الآن بالنتيجة التامة فهم يظنون أن هذا المجلس لانفع له . وقد جسموا بعض الهفوات ومن عادة الشعب ان يعد الخبير الذي لا يدركه أو الاعمال التي لاتعود عليه بالنفع المادي والاعمال الحسنة بنفسها اذا هي مست مرافق الافراد . من الشر

وليس ذلك غريبا في فهم الشعوب للامور على هذا الوجه فان الاصلاحات التي تطلب كيان الامة اذا كانت فجائية قد تمود غالبا بالضرر على الافراد فالتاموس الطبيعي يقضي بأن يكون الاقلاب تدريجيا وعلى مهل فليس من الواجب علينا وحدها العمل فقط . بل من الواجب على كل عثماني ان يأخذ بيد اخيه العثماني للسعي وراء نجاح الوطن متحاشيا البحث أو التفتيش عن سيآت اخيه ليعميه بها

واذا كان قد الامور حقا ومنحة من الحرية فان من الفضيلة الشريفة للضمائر الحرة الطاهرة أن لا ترى الشيء من جهة السيئة . وبأن لا تثق بكل فكر يقال دون تحقيق أقوال هذا معربا عن أملي بأن تكون الروح التي أشرت الى فضائلها هي الروح السائدة في هذا المجلس

بإثبات الحكمة من يشاؤون من يؤت الحكمة فقد أوتي
نصيباً كثيراً وما يدرى إلا أولو الأبواب

المسحاة

١٣١٥

فهم ينادي الذين يستنون القول فيبشرون به
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق ﴾

﴿ مصر الثلاثاء سلخ ذي الحجة ١٣٢٧ - ١١ يناير (كانون الآخر) ١٢٨٥/١٠١٩١٠م ﴾

فَتَاوَى الْمَثَارِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بسدد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمما قد نمتاخرا لسبب كطاقة الناس الى بيان موضوعه ورمما أحيانا غير مشترك لكل هذا . ولكن مفي على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة قال لم نذكره كان لنا على وصحيح لا غفاله

❖ مدة حمل النساء شرعا وطبا ❖

(س ٣٨) من صاحب الامضاء في قفصه (بتونس)

الحمد لله وحده

(مشكلة واقعية)

حضرة العلامة فيلسوف الاسلام سيدي السيد محمد رشيد رضا الحسيني منشئ مجلة المثار دامت سعادته وتوات مسراته ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فن المعلوم أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وأقصاها خمس سنين عند مالك وأربعة عند الشافعي وستان عند أبي حنيفة القائلين بجواز رقاد الجنين في بطن أمه ثم يفتق في خلال هذه المدة المحدودة ، ويلحق بأبيه بعد إتمام الموجبات الشرعية . وروى مالك في الموطأ ان امرأة هلك عنها زوجها فاعتدت أربعة أشهر وعشرا ثم تزوجت حين حلت فكثت عند زوجها أربعة أشهر ونصف شهر ثم ولدت ولدا تاما فجاء زوجها الى عمر بن الخطاب فذكر له ذلك ، فدعا عمر نسوة من نساء الجاهلية قداما فسالهن عن ذلك فقالت امرأة منهن أنا أخبرك عن هذه المرأة : هلك عنها زوجها حين حملت فأهرقت عليه الدماء فحشر ولدها في بطنها فلما أصابها زوجها الذي نكحها وأصاب الولد الماء تحرك الولد في بطنها وكبر .

فصدها عرب بن الخطاب وفرق بينهما . وقال عمر أما إنه لم يلقني عنكما الا خبر الحق الولد بالاول اه وقال ابن سينا في الشفاء : بلقي من جهة من أتى به كل الثقة ان امرأة وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا بنتت أسنانه اه وعلى هذا جرى عمل الفقهاء والمفسرين في مشارق الارض ومغاربها قديما وحديثا الى ان اوتى علم الطب والشرع واجلاء للبيان علم الطبيعة الذي ائتمعت بمواهبه وأسراره بنو الانسان وروا ما كان جوازه مستحيلا واقعا لا غبار عليه . فقام من بين أطباء الافرنج عندنا جماعة حكوا بجمع وقاد الجنين في بطن أمه ونسبوا الى من ادعت وقادها زناها واعتدوا لما عليه علماء الاسلام في هذا الشأن بأن علم الطب لم تنكشف أسرارها في الأزمنة النابتة انكشافها في زمننا الحاضر . وهامي (ذي) واقعة حال صورتها ان امرأة فارقتها زوجها منذ أربعة أعوام بريئة الرحم والآن ظهر به حمل نسبته لمفارقها الذي ناكرها فيه، وزعمت وقاده في هذه الاعوام واعترفت بعدم مسيس مفارقتها لها بعد الطلاق ، وفشرت معه النازلة لدى المحكمة الشرعية من حيث لحوق الولد أو نفيه كما نشر معها النازلة لدى المحكمة المدنية من حيث ربهما بالحمل من زنا . وان أدري بالحكم الهام عليها في المحكمتين بيد أن النفوس على حيرتها تتطلع الى معرفة هذه الحقيقة الشرعية الطيبة ولما كانت لمقامكم العلمي قدم راسخة في العلوم الشرعية ولصديقكم النظامي سيدي محمد توفيق صدقي معرفة عالية في علم الطب جئتكم بهذا السؤال ألتمس ادراجه قريبا على صفحات المنار مع الجواب عنه بما يقنع النفوس ويرفع الالتباس ويزيح الاشكال وربما كان النموذجا راجحا عند تعارض الأدلة ، لا زلت ملجأ للسائلين ، وقودة للمسترشدين ، والسلام من معظم حضرتكم حموده بوتيتي رئيس مجلس عدلية قفصه (تونس)

(ج) اذا قلنا ان مسألة مدة الحمل دينية يجب العمل فيها بما جاء في الدين من غير زيادة ولا نقصان فالواجب حينئذ أن نعمل بقوله تعالى في سورة الاحقاف عن الانسان (٤٦ : ١٥) وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فاذا كانت مدة الحمل والفصال ثلاثين شهرا وهي ستان ونصف فكيف نجعل مدة الحمل وحده عدة سنين من ثنتين الى خمس وقول ذلك هو حكم شرعا في المسألة ؟ فاذا كان المعلوم لكل

التاس ان مدة الحمل تسعة أشهر فمدة الرضاعة التي يكون الفصل باثنائها ٢١ شهراً هذا هو أقبلها الذي لا بد منه شرعاً وأكثرها سكتان كما في آية ٣٣٣ من سورة البقرة ولذلك قال فيها (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) وقد ذكرنا في تفسيرها قول بعض المفسرين انه يستنبط من مجموع الآيتين أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانها هي التي تبقى بعد طرح ٢٤ شهراً مدة الرضاعة التامة من ٣٠ شهراً مدة الحمل والفصل (راجع ص ٤٠٨ ج ٢ تفسير) فإذا عاش الولد الذي تلقىه امه بعد تمام ستة أشهر من حملها كالشهر السابع او الثامن فينبغي أن يكون حظه من الرضاعة أكثر من حظ من يولد لتسعة أشهر لكون غذاؤه من اللبن عوضاً عما فاته من التغذي بالدم في رحم امه فلا تقل مدة الحمل والفصل عن ثلاثين شهراً وهي حكمة ظاهرة فان زادت ثلاثة اشهر كان ذلك من تمام العناية بالولد . واذا جرينا على ذلك في جميع الاحكام الشرعية المتعلقة بالحمل نكون موافقين لاقوال اطباء هذا العصر واستقرائهم واختبارهم لان تحديد القرآن الحكيم لمدة الحمل والرضاعة لم يقصه من اقوالهم شي بل لا يزاد اقرآن بازدياد علوم البشر الا قوة وظهورا واذا قلنا ان هذه مسألة دنيوية وما يتعلق منها بالمعاملات الشرعية لا يكتفى فيه بظواهر الكتاب أو السنة وما يتبادر من معنى النصوص بل يجب أن يضم الى ذلك اختبار الناس وما يصلون اليه من معرفة الواقع بطريق الاستقراء والبحث ، قلنا حينئذ ان ما قاله العلماء الذين بحثوا في المسألة من قبل كالائمة الثلاثة الذين ذكرت اقوالهم في السؤال ليس نصاً دينياً يجب التعبد به وعدم اعتبار بحث غيرهم واستقرائهم بل يعمل اهل كل عصر بما يصل اليه علمهم واستقراؤهم ، وقد وقفنا على طريقة بحث الاوائل في مثل هذه المسألة وهو انهم كانوا يسألون المجازز ويصدقونهم كما سأل عمر (رض) المجازز الجاهليات في واقعة المرأة التي نقلت في السؤال عن الموطأ وكما كان الشافعي (رح) يسأل المجازز عن مدة الحيض والطمهر ومن المجازز أن يكذب بعضهم ويحجب بعضهم عن جهل ، وثمة بعض أئمة الفقه بما سمعه من عجائز زمانه لا يوجب أن يكون ذلك ديناً متبعاً لكل من يعمل بمقتبه وان ظهر له استقراء أمم وعلم أصح

نعم ان مقاله الفقهاء غير محال عقلا ولا طبيا فاذا فرضنا ان ما نقل اليهم من مكث الجنين في الرحم أربع سنين أو خسا قد وقع شذوذا كما قل مثل ذلك الى ابن سينا فهل يصح ان يجعل قاعدة مطردة تبني عليها الأحكام الكثيرة لمجرد احتمال تعدد ذلك الشذوذ الذي يسببه أهل هذا المصرفة طبيعة كولد حيوان أو إنسان برأسين ؟ أم القواعد تبني على الغالب المؤلف . وما جاء على خلاف الاصل وخلاف الغالب لا يقاس عليه ؟

اذا نحن بنينا أحكام الحل على ما صدق بعض أولئك الفقهاء من أقوال النساء نكون قد خالفنا إطلاق القرآن وقيدناه بقيد لائحة لاحد من المتعلمين به في هذا العصر ، وخالفنا الثابت المطرد في مدة حل المرأة وهي انها لا تنكح تبلغ سنة واحدة فضلا عن عدة سنين وخالفنا القياس الفقهي على تقدير صدق أولئك المعجزة في أخبارهم به الأئمة من ان ذلك قد وقع شذوذا فكيف اذا لم نصدقهم ، وخالفنا ما قرره أطباء هذا العصر من جميع الملل والنحل على سعة علمهم بالطب والتشريح وعلم وظائف الاعضاء (physiologie) واستنتاجهم في بحوثهم واختبارهم بالآلات والمجسات والمسابير والأشعة التي تحترق الجلد والحم فتجعل البدن شغافا يظهر مافي داخله ويرى بالعينين ، وعلى بناء علمهم على التجربة والاستقراء واستعانة بعضهم في ذلك ببعض على اختلاف الاقطار بسهولة المواصلة البريكية والبرقية ، وعلى كثرة النساء اللواتي على حرية القول وعدم الخجل من اظهار مالم يكن يظهره أمثالهن في بلادهن أو غيرها من قبل وما لا يظهره غيرهن من سائر البلاد التي لاحرية فيها كحرية بلادهن

ثم اتان نكون مع هذه المخالفات ، اللواتي نحملها لتصديق أولئك النساء المتهمات قد فرضنا لمفاسد كثيرة (منها) طعن الاجانب في شرعيتنا طعننا على العلم والاختبار لاعلى التحامل والتعصب وذلك منفر عن الدخول في ديننا وما من من ظهور حقيقته لمن لا يعرف منشأ هذه الاقوال عندنا (ومنها) تشكيك الكثير من المسلمين في حقيقة شرعيتنا وكونها إلهية ، وأعني بالكثير جميع الذين يتعلمون الطب والذين يقفون على أقوال أطباء وعلماء هذا العصر وتطمئن قلوبهم بأقوالهم في مدة الحل مع مخالفتهم لما يظنون انه هو الشريعة المقررة ثابتة بالكتاب والسنة (ومنها) إلحاق الاولاد بغير آبائهم

وهي مفسدة يترتب عليها مفاسد كثيرة في الارث والنكاح وغير ذلك (ومنها) انه يجزئ المرأة الفاجرة اذا طلقها زوجها أو مات عنها ان تدعي انها حامل منه وان الولد راقد في بطنها ويكون لديها وقت واسع تستبضع فيه ولدا من غيره بالزنا ثم تلحقه وتستولي على جميع ماله إن لم يكن له وارث آخراو على أكثره (ومنها) ان تصدق من ينسب زوجها عنها من سنة الى خمس سنين فيما تأتي به من ولد في هذه المدة انه منه ، وللقهاء في أمثال هذه المسألة كلام لا محل هنالك كره ولا للإشارة اليه باحتراز أو غيره ، فمنهم من يقول ان هذه المرأة تصدق في الحاق ما تأتي به من ولد بزوجها الغائب وان كانت غيبته أطول من أكثر مدة الحمل مهما كانت المسافة بعيدة كأن تكون هي في تونس وهو في داخل بلاد الصين التي ليس فيها سكك حديدية وذلك الاحتمال ان تطوى له الارض كرامة فيجيء من الصين الى تونس فيشأها ويعود الى مكانه في ليلة واحدة ١١. أكثر مثل هذا بعض الخنفية الذين قال بعضهم بأن مدعي طلي المسافة يكفر !

واذا نحن بينا أحكام الحل على الظاهر من اطلاق القرآن الحكيم المطابق للواقع المعروف عند كل الناس ولما يقرره الأطباء وقتنا إذا ثبت غير ذلك في حق بعض النساء يكون من الشاذ النادر الذي لا يبيح عليه حكم فائنا نسلم من كل تلك المخالفات والمفاسد ولا نكون قد خرجنا عن هدي أئمتنا فانهم إنما كانوا يتبعون الدليل القوي اذا ظهر لهم ولكن المقلدين المنسوين اليهم يفضلون العمل بما في هذه الكتب التي بين أيديهم مهما ترتب على ذلك فلا فائدة من مخاطبتهم بالدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ،

• • •

﴿ اسئلة من جاوه ﴾

(س ٣٩) من (وطني) في تلو مياوي . جنوب اسيه (سمرا)

مولاي الاستاذ الحكيم .

نرى امراء واغنياء هذه البلاد الوطنيين منهم يتهاقون تهافت الفراش على ادخال

أولادهم مدارس الحكومة لتعليمهم لغة أوربا . ولم يفكر وا يوما ان تعلم اللغة العربية من الامور المطلوبة شرعا لانها لغة القرآن . وان من المصلحين من يرى ان لا يرجع للاسلام الى مركزه الاول الا بعد تعميم هذه اللغة الشريفة بين أتباعه . واذا جئت تقول لهم ان الواجب الالهي على المسلمين القادرين إقامة مدارس عربية لتعليم أولادهم وأولاد الفقهاء الحاجزين لغة القرآن قبل تعلم أي لغة كانت . قالوا ليس المطلوب شرعا هذا . وانما المطلوب هو تعلم الاولاد ما يجب عليهم من مبادئ الدين فقط ١١ .

واستشهد بعضهم بدولة الخلافة الجديدة من انها لم تجعل لهذه اللغة مقاما في برامج مدارسها واشتهر انها جعلت التركية إلزامية ثم بعض لغات أوربا كالانكليزية والفرنسية . ولو كانت دولة الخلافة مع وجود كثير من رجال الإصلاح الاسلامي في مجلسها ترى بعض ما يراه رجال الإصلاح من ضرورة تعميم هذه اللغة بين المسلمين لكانت دولة الاسلام الكبرى هي القدوة للمسلمين في المعمورة . فاذا تقول أيها الاستاذ في هؤلاء ؟ وهل توجد طريقة لاقتناعهم ؟ وهل عندكم علم باقررت الدولة العثمانية تجاه هذه اللغة الشريفة ؟ وهل صحيح من ان الدولة قررت جعل لغة محكم بلاد سورية والعرب تركية وألزمت المترافعين بذلك ؟ قادر كونا بالخبر اليقين . نعم الله بوجودكم المسلمين . فنحن على أحر من الجمر والسلام .

(ج) اني أعتقد منذ سنين كثيرة بعد طول البحث في حال المسلمين انهم لاهية لهم الا بالاهتداء بالقرآن الحكيم سواء منهم من يؤثر الاستقلال في فهم الاسلام ومن يؤثر تقليد بعض الأئمة والعلماء . ذلك بأن هداية القرآن التي أنزل لاجلها ليست محصورة في الاحكام العملية التي أباح جمهور المسلمين من الخلف التقليدي فيها بل هذه الاحكام أظها وأدناها مرتبة فان فوقها آيات العقائد وصفات الله تعالى وسنته في خلقه وأسرار دينه ، والعبر بسيرة رسله في أممهم ، والآداب العالية ، والاخلاق الفاضلة ، وأصول الاجتماع البشري ، والسياسة ، والترغيب في رضوان الله تعالى في الدار الآخرة ، والرهيب من عقابه ، وغير ذلك من الحكم المؤثرة في النفوس ، المصلحة للقلوب ،

ولا يمكن ان يستغني المسلم عن القرآن بشيء في ذلك، بل أقول ان تفسيره وترجمته لا يفتيان في ذلك عن تلاوته وتدبره لان لاسلوبه من التأثير في النفوس ماحير البلاء والعلاء من المسلمين وغير المسلمين من المتقدمين والمتأخرين حتى قال فيه بعض المشركين في زمن التنزيل «ان هذا الاسحر يؤثر» وقال بعض فلاسفة فرنسا المتأخرين «ان محمدا (ص) كان يقرأ القرآن في حال مؤثرة من الوله والخشوع فيجذب قلوب السالمين الى الايمان به جذبا خارقا للعادة أغناه عن جذبهم بالخوارق والآيات الكونية التي باشاها آمن الناس بالانبياء من قبله »

يجب على كل مسلم ان يأخذ عقيدته من القرآن أو أن تكون عقيدته مطابقة للقرآن، ومن قال من المتكلمين ان مسائل الاعتقاد المتشقة بالآيات مقدمة على مسائل الايمان بالوحي والرسول وما نزل اليهم من ربهم فأتاها براد بهذا الترتيب ما يحتاج به على غير المتقدمين فمن كان لا يؤمن بوجود الله عز وجل لا يدعى أولا الى تطبيق عقيدته على القرآن أو أخذها منه فإنه ليس له عقيدة، وإنما يبدأ في دعوته بآيات وجود الله وصفاته بالدلائل التي جاء بها القرآن والتي هدى اليها من حيث هي براهين لا من حيث هي وحي، ويثني بالوحي مطلقا وثلاث بالرسول والقرآن، ولا يراعى هذا الترتيب فيمن ينشأ على الاسلام بل يؤخذ بعقيدة القرآن من أول وهلة وقد ذهب جماهير المحققين من العلماء الى وجوب معرفة الدليل على العقيدة وامتناع التقليد فيها، والايمان بالقرآن من أصول العقيدة وإنكار شيء منه كفر باجماع المسلمين، فكيف يستغني مسلم منهم عن معرفته ويمد نفسه من أهل الغليل في اعتقاده؟ ومن المعلوم في كتب العقائد أن إيمان المقلد يختلف في صحته بل قل السنوي في الكبرى وغيره الاجماع على عدم الاعتماد بإيمانه أي على كفره، وبعضهم قال بصحة إيمانه اذا كان مطابقا للحق وكان هو جازما به ومن أكبر هؤلاء ابو حامد الغزالي وهو قد صرح في كتاب إلجام العوام عن علم الكلام بوجوب الايمان بصفات الله تعالى كما جاءت في القرآن وانه لا يجوز ترجمتها لان الترجمة لا يمكن أن تؤدي معنى الاصل تماما وفي الانحراف عن الاصل خطر الكفر لا خطأ المعصية فقط.

انا قد أفتينا في النار من قبل بوجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم، وقول

الغزالي هذا يؤيد قوائمه بل قال لنا أحد علماء الشافعية المدرسين في الأزهر أنه رأى نصاً للإمام الشافعي في ذلك وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وعلمهم ومن بعدهم من الفاتحين الأمويين والعباسيين يدل على ذلك . فأنهم نشروا لغة الدين في جميع البلاد التي فتحوها مع بعدهم عن العصبية الجنسية وعدم التفاتهم إليها في معاملاتهم الاجتماعية والدولية . وجميع المجتهدين والفائزين بوجوب الاجتهاد في الدين يمجزون بوجوب معرفة اللغة العربية لأن الاجتهاد يتوقف على ذلك كما هو مصرح به في كتب الأصول . وانا نذكر مسلي جاوة بالبنات الآتية على وجوب تعلم العربية :

(١) ان القرآن هوية الله الكبرى على صدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة والرسالة ، وطريق العلم الصحيح بكونه آية معجزة هو فهمه الذي يعرف به وجه إعجازه وكونه آية تشتمل على آيات كثيرة . وان جواهر علماء العقائد قد قرروا ان أقوى وجوه الإعجاز فيه هي بلاغته وأسلوبه ، وهل يعرف هذا الا من يتقن العربية إقنا ؟

(٢) ان الله قد أنزل القرآن هدى للفقير ورحمة لقوم يؤمنون ولا يهتدي به الا من يفهمه كما هو بديهي ولا يفهمه من لا يعرف العربية

(٣) ان الله تعالى قد حدث على تدبر القرآن في آيات كثيرة « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ، ان الذين ارتدوا على أديارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأمل لهم » « أفلم يذُبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ، أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون » ؟ ولا يمكن تدبره الا بفهم لفته

(٤) ان الله قد أوعد من يمرض عن القرآن بترك تدبره والاهتداء به أشد العويد كقوله « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى » الخ الآيات ، ومن البديهي ان ترك تدبره والاهتداء به هو عين الاعراض عنه والهجر له الذي يخشى ان يدخل صاحبه في زمرة من اشتكى منهم الرسول (ص) الى ربه عز وجل كما قال تعالى في سورة الفرقان « قال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » وقد بالغ بعض علماء الحنفية في التوقي من الدخول في زمرة هؤلاء حتى قالوا انه يكره ان يواظب المرء على قراءة سورتي الم السجدة والانسان في صلاة فجر الجمعة لما في ذلك من هجر غيرهما من القرآن ! فاذا قالوا في قراءة سورتين وردت

قراءتهما في السنة فاذا يقولون فيمن لاحظ له من فهم شيء من القرآن لعدم معرفته لفته؟
 (٥) ما تقدم شرحه في وجوب اخذ العقيدة من القرآن أو مطابقتها له على الأقل
 (٦) ان الصلاة وهي عماد الدين المفروضة على كل مسلم ومسلمة لا تصح الا بقراءة
 شيء من القرآن فيها وأركان أخرى كالتكبير والشهادتین كلها عربية والمقصود منها فهمها
 لان فهمها هو الذي يؤثر في النفس ويذكرها بعظمة الله تعالى ومراقبته فتكون جديرة
 بأن تنهاه عن الفحشاء والمنكر كما وصفها الذي فرضها بقوله «ان الصلاة تنهى عن
 الفحشاء والمنكر» وبأن تكون عوناً للعبد على مقاومة المصائب والنوائب كما قال تعالى
 «واستعينوا بالصبر والصلاة» وبأن تحول بينه وبين الملح كما جاء في سورة المعارج
 ومن لا يعرف العربية لا يستفيد من صلاته ذلك ومن لم تنه صلاته عن الفحشاء
 والمنكر لم يزد من الله الا بعداً كما ورد

(٧) ان الخطب المشروعة في الاسلام من مفروضة ومسئونة كخطبة الجمعة
 والعيدین وعرفة كلها تؤدى باللغة العربية لغة الدين، فمن لا يعرف العربية من
 المسلمين لا يستفيد منها بل تكون هذه العبادة كسائر عباداته العربية رسوماً وتقاليد
 صورية والاسلام أجل وأكبر من ذلك

(٨) ان الاسلام قد جاء بدعوة جميع البشر الى ترك الشقاق والعداوات الجفسية،
 والدخول في السلم كافة ليكونوا أمة واحدة ويتآخروا في هذا الإصلاح فلا يتعصب
 أحد للجنس على جنس كما ثبت في آيات واحاديث كثيرة. ولا يتم هذا الارتباط
 والتآخي بين الداخلين في هذا السلم الا اذا كان لهم لغة واحدة يتعارفون بها، وهل
 توجد لغة لهذا الجمل الكبير من الاخوة يتعارفون بها غير لغة الدين الذي يتعرفون
 به الى ربهم عز وجل ويرجون رحمته ويخشون عذابه؟

هذا ما توسع له الوقت القصير من اليناث على وجوب تعلم المسلمين لغة دينهم
 ككتبه في أحد الاندية العامة في القسطنطينية على عجل وقد قرب الوقت الذي اودعه
 فيه بالبريد كما كتفي به لاشير الى شبهة ترد عليه وهي:

ينكر علينا ما تقدم بعض المتفرجين من المسلمين، الذين غلبت في نفوسهم نزعة
 الجفسية الجاهلية على نزعة الدين، فهم يحاولون مقاومة ما يجدونه في العالم الاسلامي

من الشعور بخطر التفريق والميل الى التعارف وإحياء ما اندوس من معالم الاسلام فيقول هؤلاء المنكرون إن الاسلام ليس له لغة فيمكن لكل جنس من الاجناس التي دخلت في الاسلام ان يترجم القرآن والأحاديث الى لغته ويستغني بها عن الاصل العربي وقد ينأ في أثار من قبل ان ترجم القرآن ترجمة تقوم مقام الاصل متعذرة قلن القرآن معجزة تشتمل على معجزات كثيرة ولا يمكن ان تكون الترجمة كذلك . وإن القرآن مؤثر بأسلوبه في القلوب ولا تكون الترجمة كذلك كما ينازك بالإنجاز في أول هذه الفتوى وسنزيد ذلك يانا في وقت آخر

واما زعم اولئك الجاوين أن دولة الخلافة الجديدة لم تحصل لهذه اللغة مقاما في بروجرام مدارسها الخ ماقالوه فهو زعم باطل وكذا فتر بمثله اذ أطلنا بعض الناس هنا على آخر بروجرام المدارس الاعدادية فرأينا فيه عدد الدروس العربية مساويا في بعض السنين للغة الارمن ولغة البلغار الاختياريتين، وقد اشرنا إلى هذا في مقالنا « العرب والترك » الذي كتبناه ونشرناه في بعض جرائد العاصمة نصيحة لأولي الامر ثم راجعنا البروجرام كله فوجدنا ان دروس العربية في النحو الصرف وحفظ بعض المشور والمنظوم قد قوت فيه تقريرا . نعم ان ما هو مقرر غير كاف وإن هذه البروجرامات والقوانين لا تنفذ كما يجب ولكن كان هذا من طيبة الخلل الذي جرت عليه الدولة في دور الاستبداد الطويل العريض ونرجو ان يصلح الحال في دور الدستور وإن كان يوجد في بعض رجال الحكومة الآن أفراد كثيرون متعصبون للجنسية التركية تمسبا ضارا وهولاء هم الذين حاولوا جعل المرافعات في محاكم البلاد العربية بالتركية وترون يان ذلك مفصلا في مقال « العرب والترك » من هذا الجزء، ونحن ساعون في تداوك ذلك والله الموفق

﴿ الزكاة في القراطين المالية ﴾

(س ٤٠) من صاحب التوقيع الرمزي في (سبب برنيو)

حكيم الاسلام والمسلمين ، سعد الملة والدين ، حضرة سيدي الاستاذ السيد

محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر متعني الله بعزير وجوده آمين
 بعد إهدائكم عظيم تحنني واحترامي جزاكم الله عنا جزاء موفورا وجعل سعيكم
 سميا مشكوروا على قياتكم في حكم القراطيس المالية بوجوب الزكاة فيها . وهي التي
 نعتمد عليها وتمسك بها غير اني أرجو من فضيلة سيدي الجواب عما سألت عنه
 وهو : من أي طريق عدت هذه القراطيس من القود الذهبية ؟ واستهلكت حتى
 أوفيه الى حضرة سيدي فوضوه لي أشكركم
 وأرجو أيضا سيدي أن تنظروا الى أقوال القائلين في هذه القراطيس منهم
 من قال أنها لا تجب فيها الزكاة الا زكاة التجارة وأنها كفولس النحاس في عدم
 وجوب زكاة العين فيها اه ومنهم من قال إنها في حكم السندات تجب فيها الزكاة
 على قدر الدرهم التي بها من فضة أو ذهب اه
 فهل عذان القولان للموسيه صحيح أم لا ؟ تفضلوا سيدي بزيادة الايضاح في
 هذه المسألة حتى لا أعيد ذكرها بعد . ولكم من الله جزيل الاجر ومنى جميل
 الحمد والشكر
 متمس الدعاء

م . ب .

(ج) ان هذه القراطيس لا يفرق بينها وبين قد للذهب أحد من المالين
 كما هو معروف للتعاملين بها وهناك اوراق أخرى تسمى سندات مالية تؤخذ في
 مقابلة حصه معينة بالسهم من شركة مالية وهي أشبه بمروض التجارة لان ثمنها
 يزيد في السوق وينقص وتباع كذلك وتشرى ولكنها لا قيمة لها في ذاتها
 وقد بقي بعض الفقهاء في المسائل المالية المستحدثة في هذا الزمن وهو على غير
 بينة من انواعها وعرف الناس فيها ومن كان عارفا منهم بذلك يقيس عرف
 الحادث على ما يراه اشبه به في عرف سابق مما تكلم عنه الفقهاء فبعضهم يرجح في
 ذلك جانب المعنى أو المقصد ومنهم من يرجح جانب اللفظ أو الصورة فن قال ان
 القراطيس المالية التي تدعى « بنك نوت » ويطلق عليها بعض العرب لفظ « الانواط »
 هي من عروض التجارة وجعل التعامل بها كبيع العرض بمثله أو بالنقد قد بالغ في
 الوقوف عند ظاهر الصورة ، فلمروض قيمها ذاتية وهذه لا قيمة لها في ذاتها ومن

قال انها في حكم السندات والسفانج راعى الصورة ايضا من جهة والمعنى من أخرى ووجه قوله انها اوراق تؤخذ في مقابلة قد يسترجع مثل ذلك النقد باعادتها ، وغفل عن الفرق الكبير بينها وبين السندات بالمعنى التقني وهو ان السند يكون بدين على شخص معين وهذه القراطيس تروج في الاسواق المالية فيشتري بها من كل احد كالقدين بلا فرق

هذان القولان يتفقان مع قولنا في غايته من حيث الزكاة إلا عند من يقول ان الدين لازكاة فيه قبل قبضه ويترتب على الخلاف من المسائل المهمة ان جعل القراطيس المالية كالقدين يقتضي وقوع الربا فيها وهو ما يحرم به ومن قال إنها عروض تجارة منح الربا فيها حينئذ يسهل على كل أحد أن يأكل الربا أضعافا مضاعفة بهذه الاوراق التي لا فرق بينها وبين الذهب عند أحد من المالين ، وكذلك القول بانها في حكم السندات قد يكون موصلا لا لكل الربا ولمنع الزكاة ولا حاجة الى تفصيل فمن نظر الى حقيقة المسألة في الواقع واحتاط لدينه اخذ بما قلناه والسلام

﴿ الاحاديث الموضوعية في كتاب الاحياء وروايتها ﴾

(ص ٤١) ومنه أيضا

حضرة العلامة المفضل سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الفراء متعني الله بمريز وجوده آمين

بعد اهداء أسمى السلام والتحيات العظام: تعجب بعض الافاضل بما ذكر في كتاب أسنى المطالب ونصه « اعلم ان كتاب الاحياء لسيدنا الغزالي مع جلالة قدره وعلو مرتبته ورسوخ قدمه في العلم لا يشتد عليه في الحديث لذكوره في كتابه المذكور جملة من الاحاديث الموضوعية » اهـ (ص ٣٦٨) فهل يتصور أن حجة الاسلام شعبن كتابه الجليل بالموضوعات ؟ خصوصا وقد زينت مجلة المنار بترجمة صاحب ذلك الكتاب وقد قلتم : وانما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في

المثار — الى قولكم — ولعل ذلك يكون مشوقا لهم (أي طلاب العلوم والازهرين) الى مطالعة الاحياء وغيره من كنه (٨٥١ — ١٠ ص ٥٩٥)
وعليه فهل يجوز لمن لا يتميزه الصحيح من الضعيف أو نحوه رواية أو قراءة ما فيه من الاحاديث احتياطا أم لا ؟ فضلوا سيدي بيان الحق لئلا نكون في ريب مما أتى به حجة الاسلام من أحاديث سيد الانام لا زلتم في اجلال و اكرام (ج) ان ما قاله صاحب كتاب أسنى المطالب حق وسند ك ذلك في ترجمته التي نشرها في المثار فان لما بقية سالحة ، وان أبا حامد النزالي رحمه الله تعالى لم يمن في أول امره برواية الحديث وحفظه وكذلك كان الكثيرون من الفقهاء والمكتسبين والصوفية ولا سيما في عصره وبعد عصره ، وانما عني بالحديث في آخر عمره . وقد جمع التاج السبكي في ترجمته هذه الاحاديث المطعون في روايتها في عدة صحائف من طبقات الشافعية الكبرى ووضع الحافظ العراقي كتابا خاصا في تخريج أحاديث الاحياء وهو الذي اعتمد عليه الزبيدي في شرحه للاحياء وزاد عليه مباحث وفوائد واذا كان الامر كذلك فلا يجوز لنير العارف بالحديث المطلاع على تخريج تلك الاحاديث ان يعتمد عليها في الاستدلال أو يجوز برفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ما اسنده النزالي الى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث المعتبرة وهو يفعل ذلك كثيرا في مقام الاحتجاج والاستدلال بمزج الحديث الى الصحيحين أو كتب السنن . واكثر ما فيه من الاحاديث الضعيفة والموضوعة قد ذكر في مقام الرغبة في العبادات والفضائل (كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان) أو التهريب والتنفير عن المحاصي والردائل ، وهم يتساهلون في مثل هذا المقام بتأييد كلامهم بالروايات الضعيفة على ما في ذلك من الخلاف والتفصيل في شروط جوازه عند من أجازه . وحاش للنزالي من قعد ايراد الموضوعات وانما قل ما قل منها من الكتب التي أحسن الفن بمثلها كقوت القلوب لأبي طالب المكي فغظم الاخبار والآثار الضعيفة والمنكرة والموضوعة في كتاب الاحياء منقولة من ذلك الكتاب

العرب والترك (*)

٤

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

قد انشق ليل الاستبداد عن صبح الدستور والعثمانيون الذين في بلادهم نيام يغطون : بعضهم يرى احلاما غخفة ، وبعضهم يرى احلاما سخيفة ، والذين في بلاد الحرية قيام يرقبون : بعضهم يملأ بالآمال القوية ، وبعضهم يلهو بالآمال الضعيفة ، فاستيقظ بصوت مؤذنه الثائمون ، وحده غيب سُرهم المجدُّون ، وعاود الرجاء نفوس اليائسين ، وغادر المداء قلوب المتدابرين ، واقبل المسلم بوجهه على النصراني ، والتركي على الارمني ، وعانق الشيوخ القسوس ، وصالحت الشعوب الشعوب ، واذن مؤذن بينهم (عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عز يز ذو انتقام)

هكذا كان العثمانيون في نشوة من السرور العام ، الذي كاد يكون من اضطرابات الاحلام ، أو من خوارق العادات ، بعد اقضاء زمن المعجزات ، لتأليف الدستور بين الشعوب الكثيرة المختلفة في الاديان والمذاهب والمشارب والعادات واللفظ والبقاع والثرية والتعليم ، وهي ضروب من الاختلاف لم تعهد في أمة ولا مملكة ، وبمضا كاف لا استمرار الاختلاف والافتراق ، ومنع الاتحاد والاتفاق ، وانهم لكذلك واذا بنبأة من بعض الترك بمصر ، ونبأت من كتابهم بالاستانة قد اجفلت الوداعين الساكنين ، وروعت الآمنين المستبشرين ،

كتب أحد شبان الترك الحميين في القطر المصري مقالات في جريدة الاهرام

(*) تأييد لا نشر في «ص ٨١٨ ج ١١» من هذا المجلد

يفخر فيها العرب بقومه وحفسه معبرا عنهم بالملّة المالكة، متبجحا بزعمهم أنهم هم وحدهم الذين أزالوا الحكومة الاستبدادية، وأدالوا منها الدستور والحريّة، وأنهم هم وحدهم الذين لهم الحق بالتمتع بثمرات الدستور الكاملة، وليس للعرب ولا لغيرهم من الاجناس ان يطمعوا في مساواتهم في مناصب الدولة وأعمالها لأن ولايتهم مستعمرات أو مستملكات للترك، فيجب ان يكون قصارى حظ العرب من الدستور ان يستريحوا من اعباء الظلم ويتذوقوا طعم العدل فيكونوا من الترك كأهل الجزائر من فرنسا أو أهل الهند من انكلترا !!

هذه المعاني العالبة كانت تصنع سامع العرب أحيانا في عصر الاستبداد، وقلبا كانت تكتب ولا سيما في مثل مصر التي هي أرقى من جميع الولايات التركية علما وعملا وثروة وحرية، وفيها الاقلام المرحفة، والالسنّة الذقّة، والقلوب الجريئة، نعم كانت كتبت منذ بضعة سنين في جريدة «ترك» التي كانت تصدر في القاهرة محررة بأقلام نفر من أذكيا الترك كعلي كمال بك وجلال الدين بك عارف - أسرفت تلك الجريدة في الفخر بجنس الترك معبرة عنهم بالملّة المالكة وحقرت العرب في سياق الكلام عن مرا كش ونصبت الميزان للترجيح بين الترك والعرب واختلفة القرية فجعلت العرب كلهم بمنزلة قبائل المغرب الاقصى وفاخرتهم بالترك في مدارسهم ودواوينهم وقصورهم وجيوشهم وملأت مواضعها بالفخر والتبجح ناسية ما يكتب فيها وفي غيرها من الجرائد العثمانية في البلاد الحرة في وصف مظالم خليفهم عبد الحميد خان وافساده للمملكة وتخريبه للولايات التركية والعربية والكردية والالبانية والرومية ومنعه للعلم وعيئه حتى في الجيش وفرار كتاب جريدة «ترك» وغيرهم من ظلمه الى مصر العربية. ولا أقول ان كاتب تلك التبجحات الفتنة الباردة نسي عدل الخلفاء الراشدين وعلوم العباسيين في الشرق والامويين في الغرب بل أقول انه عمي عن البلاد التي اوى اليها والمدينة التي يطعم جريدته فيها وهو يرى العرب فيها أرقى من قومه علما وثروة ومدنية. وليكتفي ذكرت تلك الجريدة يومئذ بخطأها في تحريك العصبية الجنسية التي أماتها الاسلام وبوجوب اتحاد العرب والترك وضرب تفرقهم باختلاف الجنس. وبأن العرب اذا فاخروا أي جنس بجنسهم فأنهم يفخرونه ويبدونه :

مُ الاولى ان قاخروا قال السلا بني امرى، قاخركم عفر الثرى
 مُ الاولى جوهرهم اذا اعتزوا من جوهر منه النبي المصطفى
 وانما كتبت ذلك الرد في المثار على جريدة ترك، لتلايفها السكوت عنها بالتمادي
 في ذلك التبجح الذي يولد الاضغان ويورث الاحقاد ويفر المصريين وغيرهم
 من الدولة العلية، ويمنح في المسلمين باب الشقاق باختلاف الجنسية، ولكن كتاب
 تلك الجريدة صاحوا بعد ردي صيحة أخرى ثم خفت صوتهم لاني لم أنشأ أن تستمر
 المناظرة في ذلك. ثم قام أحدهم جلال الدين بك عارف يوم احتفالنا باعلان الدستور
 خطيباً فقال: انا اليوم قد تنازلنا عن كلمة «ترك» وهي محبوبة لنا فكنا عثمانيون
 لافرق عندنا بين الترك والعرب والروم والارمن وغيرهم، فصفت الجماهير المختلفة
 لقوله هذا تصفيقا وكذلك قال غيره من سائر الخطباء العثمانيين ونادى لسان الحال
 والمغال الدستور يجب ما قبله كما ورد في الحديث الشريف «الاسلام يجب ما قبله»
 فلما انبرى ذلك الكاتب التركي بعد ذلك لكتابة ما ذكرنا تذكر الناس ما كان
 كتب من قبل وما كان يقال، وأقبل العثمانيون بعضهم على بعض يتساءلون: قال
 أكثر من واحد منهم ان القوم لا يتركون ما يألفون وانهم سيستبدون بمجتمعين كما
 استبد آحادهم (كعب الحميد) منفردين، وربما كان استبداد الجماعة أشد وأبقى من
 استبداد الواحد. وقال الاكثرون: إن هذا إلا شاب مفرور لا يزال جذعا في
 السياسة وان القرح والبزل من ساسة الترك الخنكيين لا يقولون بقوله، ولا يدنبون
 برأيه، ولكن لم يلبثوا سمعوا تلك النبأت الأخرى من جرائد العاصمة (الآستانة)
 ورأوا اعمالا من الحكومة الجديدة استدلو بها على التحامل على العرب وهضم حق
 العربية فغرت القلوب وساءت الظنون

قامت بعض جرائد الآستانة تضرب على نقمة الثغائر بين الترك والعرب وتلفظ
 بتلك الكلمات المنفرة «ملة مالكة، مستملكات، استقلال العرب، الخلافة العربية،
 يفض العرب للترك، فضل الترك على العرب، عجز العرب عن تدوين لغتهم، ونشر
 الاسلام خارج جزييرتهم» - الى غير ذلك من الكلم الدال على الجهل بالتاريخ أو
 تعمد العبث به فيما يضر ولا ينفع. وكان من أشهر هذه المباحث التي حركت الثغائر،

واحدثت التنافر، ما نشر في جريدة (اقدام) من اقتراح تنقية اللغة التركية من الالفاظ العربية، وما أودعه بعض الكتاب في مقالات نشرت فيها عن السنوسية، ومنها طعن بعض الجرائد في المصريين وفي الدمشقيين خاصة، وأهل هذين المصرين هم اعظم العرب حضارة وأوسعهم مدنية وفيهما السراة والاباة والعلماء والكتاب

رب قول يصدر عن حسن نية ويكون جديرا بأن يحترم وان كان خطأ يحدث من الار السعي، ما لم يكن يراد به، ويتفاهم ذلك بمقتضى الحال وطبيعة الزمان، وطريقة الاداء والتميز، وكذلك كان حظ اقتراح صاحب (اقدام) بدعواه في تنقية التركية من الالفاظ العربية - يقول هو ان هذا بحث في محض وان الغرض منه الاستغناء عن الالفاظ العربية التي يوجد في التركية ما يقوم مقامها، ولكن لماذا طلب هذا المصلح الغفوي تعذيب لفته من العربية دون الفارسية والفارسية؟ او قول ان هذه فلسفة مبتسرة كان يجب عدم الخوض فيها الآن وان الكلام عندما ينقل من لغة الى أخرى ويتحدث به الخاص والعام يمرض له التحريف والتبديل ويضر بحسب الحال الغالبة فقد شاع في بلاد سورية ومصر وغيرها من البلاد أن بعض كتاب الترك يدعون قومهم الى الابتعاد عن العرب حتى في ترك الالفاظ العربية المستعملة في لغتهم وانهم يعبرون عن ذلك بلفظ التطهير كأنهم يرون اللغة العربية نجسة قد تدنست بها التركية !! واثقل بعض الناس من الملزوم الى اللازم فقالوا إن هذا الكلام يهشطننا في كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وان هذه الدعوى قد تكون مقدمة لدعوة أخرى تترتب عليها اذا أجيبت وعمل بها وهي الدعوة الى الارتداد عن دين الاسلام لأن أصله وأساسه من الكتاب العزيز والسنة السنية، وانما هما باللغة العربية، والرسول الذي جاء به عربي (صلى الله عليه وسلم)

الى هذا الحد البعيد وصل سوء تأثير ذلك الاقتراح الذي نشره في هذا الوقت التحيف (أو التاكيد كما يقول الترك) الذي يجرحه مر التسميم، ويديمه لمس الحرير، وقد ردت بعض الجرائد العربية على هذا الرأي فعرفه الناس وعدوه ذنبا للترك ولم يعلم السواد الاعظم منهم ان من كتاب الترك انفسهم من رد على مقترحه بأوسع مما رد به كتاب العرب

وقد سمع أيضا من جريدة طنين كلام في غصص العرب لم يكن كهلين الذباب

فياسب اسم الجريدة بل كان كدوي المدافع وقصف العود لاشتهار هذه الجريدة بأنها لسان جمعية الاتحاد والترقي ومظهر سياستها ومكان الجمعية من سياسة الدولة معروف ولا سيما في اوائل العهد بالانقلاب — فهذا من الاسباب القولية في سوء التفاهم والتنافر بين الترك والعرب الذي نجم قرنه بعد الدستور فزول الآمال الجمعية وأساء تمييز الاحلام اللذيذة ، وقد سمع شيء منها من بعض رجال الحكومة الدستورية كطمن سليمان بك نظيف والي البصرة في الحزب الوطني المصري وهو في مصر اثناء مروه بها في سفره الى البصرة وقد اشتهر هذا رد جريدة اللواء عليه ولكنه قال قولاً آخر شرّاً منه وأسوأ تأويلاً : قال في سياق الكلام على الفتن التي تحدث في جزيرة العرب ما مآله : ان الدولة مستعدة لسحق أولئك العرب بالقوة القاهرة فان عندها سبعة فيالق من الابطال !!! فهل يصح أن يقال مثل هذا القول بمصر أو بغير مصر ؟ وهل تدرب الدولة الجند من ابناء الامة لاجل سحقها وتدميرها ؟ أم لاجل حمايتها وتميزها ؟ أما كان ينبغي له أن يقول ان أولئك العرب ان وغيرهم كانوا مرعقين بالظلم وسوء الادارة وسنبرهم الظل والتظلم فتجعلهم بذلك يتفانون في حب الدولة وطاعة الحكومة ؟

ومن أسباب سوء التفاهم ان كثيراً من احرار العرب الذين جاهدوا في سبيل الدستور حق الجهاد (ومنهم من هو معروف الاسم أو الشخص عند اكثر احرار الترك) وكثيرا من الفضلاء والكتاب الذين اظهروا الاحتمال بالدستور بضغطهم ومقالاتهم جاؤا لالاستانة زائرين ومختبرين ، واكثرهم كانوا ممنوعين منها ومحرومين ، فلم يعبأ بهم احرار الترك ولا رأوا منهم عواطف الاخاء كما رأى الارمن مثلاً ! وأما الاسباب المتعلقة بحكومة العاصمة فتها اسرافها في عزل ابناء العرب من وظائفهم حتى انما عزلت في وقت قصير زهاء بضعة عشر متدرجاً منهم ، ومنها بخلها بالوظائف على طلابها منهم وجودها بها على غيرهم من العناصر الاخرى ، ومنها تعجلها بأمر تشريع تعتمد اضافة اللغة العربية كجعل المرافعات في محاكم الولايات العربية باللغة التركية مع طلبها بأن الناس يجملونها في الغالب حتى وكلاء الدعاوي (المحامين) — وكجعل الكشوف (البيانات) التي يقدمها التجار من ابناء العرب

في بلادهم الى ادارة المكس (الجرك) باللغة التركية أو الفرنسية مع تسر ذلك أو تمنهه عليهم واقضائه ففقات كانوا في غنى عن بذلها — وكلم قبول عرائض الشكوى بالعربية حتى في مجلس الامة مع ان المشتكين من الامة وهي ذات لغات متعددة للعربية منها مكانة خاصة من حيث هي لغة الدين الرسمي الذي يكفله مقام الخلافة كما سئين ذلك بعد

ومنها ما يتعلق بنظارة المعارف خاصة كالفاء الدروس العربية من المكتب الملكي في العام الماضي (ولكنهم أعادوها في هذا العام) وكجعل العربية في المدارس الاعدادية اختيارية كاللغة الارمنية واللغة الرومية وعدد دروسها كعدد دروسها مع كون العربية اصلا من اصول اللغة الرسمية يحتاج اليها في اقامتها أكثر مما يحتاج الى اللغة اللاتينية لاتقان الفرنسية ، وكونها ينطق بها أكثر العناصر العثمانية عددا وأقلمها لمعرفة ، وكونها لغة الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للدولة — وكارسال النظارة خمسة وسبعين تلميذا من مكاتبها الى أوربا لتحصيل العلوم العالية ليس فيهم غير اثنين من ابناء العرب — وكارسالها معلمين من الترك الى مدارس البلاد العربية لأجل تعليم العربية نفسها وهم يجهلون — وكتعصب بعض المعلمين في المكاتب العالية على ابناء العرب واسماهم ما يجرح عواطفهم حتى في الدروس

ومنها ما يتعلق بنظارة الحرية كاستحضارها الضباط ولا سيما اركان الحرب منهم من الولايات العربية الى سلاطنتك والآستانة ثم تفريقهم في البلاد التركية — وكأخراجها بعض التلاميذ العرب من المكتب الحربي حتى بصورة اداوية كما أشيع في مصر وغيرها . ولعل الشبهة أو الشبه المتعلقة بنظارة الحرية اضعف من الشبه المتقدمة بغيرها ولا أرى شيطان التفريق بين المنصرين قبل وسواسه فيها فالحرية في دولتنا هي أرقى ما فيها فنسأل الله تعالى لها ولسائر النظارات اكل التوفيق وأنتم النظام

ومنها ما يتعلق بمجلس الاعيان فقد كان ينتظر أن يكون فيه اعضاء من العرب ولو بعدد ولاياتهم ان لم يقل بحسب عدد نفوسهم ولكن ذلك لم يكن ومنها ما يتعلق بمجلس المبعوثين وهو المظهر الاكل المساواة والاخاء ولكن

اخباره في السنة الماضية لم تكن تدل على ما نحب من توثيق الرابطة بين العرب والترك كسائر العناصر بل وجد العرب امورا متقدمة ، ووجوها متجمعة ، وسمعا من بعض اخوانهم كلاما لا نحب أن يكتب ويطبع ونرجو أن يكون هذا العام خيرا من سابقه وأن يكون مجلسنا وسائر امورنا العامة في ارتقاء دائم بالاخاء الصحيح والمساواة مع الاخلاص بسعي الفضلاء محيي الوفاق من العنصرين وسائر العناصر تلك كليات من اسباب ما سميتاه سوء التفاهم بين الترك والعرب وفي ضمن تلك الكليات جزئيات كثيرة

لا أقول ان كل ما روي من ذلك صحيح المثلج والسند ، ولا أقول ان ما صح منها كان بسوء النية وتعمد هضم حقوق العرب ، ولكنتي لا أستطيع أن أنكر قول من يقول انها في مجموعها تفيد التواتر المعنوي الدال على انه يوجد في رجال الدولة ورجال الصحافة التركية أناس يسيئون الظن بالعرب ولا يعطونهم حقوقهم ولا يرفقون قيمة اتحادهم بالترك واتحاد الترك بهم ، وانه تتوقف عليه حياة الدولة العثمانية وبقاؤها وان هذا الاتحاد تقتضيه طبيعة العنصرين الاجتماعية وان دار الخلاف والسلطنة هي الآلة التي يكون بها التركيب والتحليل ، وان الكيماويين الاجتماعيين الذين يحركون هذه الآلة هم رجال الحكومة ورجال الصحافة ، وانه يجب في هذا الدور - دور الانقلاب والتحول من الاستبداد الى الدستور - أن يؤخذ على أيدي المحللين بسوء القصد أو بسوء الفهم حتى لا يقل عن العاصمة الا ما يدل على ارادة المزج والتركيب والاعتصام والتأليف . ولكن وجود هؤلاء الجاهلين بهذه الحقائق والمسيئين الى العرب بأقوالهم وأفعالهم لا ينافي كون العنصر التركي أخا العنصر العربي ومحبا له كما يحبه هو ، ولذلك قلنا فيما سبق من نُبذ مقالا هذا ان التغاير والتنافر محصور بين المتزاحمين على اعمال الدولة ومناصبها وبين رجال الصحافة وحمله الاقلام وسأبين طريقة تداركه مع حفظ حرية الصحافة وتنفيذ قوانين الحكومة ولو بتزجيح الترك في المناصب ترجيحاً مقرونا بالحكمة والذوق

ان ما أشرت اليه من اسباب سوء التفاهم قد سرى في أكثر البلاد العربية ولا سيما أرقاها وهي المصرية والسورية بسرعة الكهرباء وكثر حديث الناس فيه

وخاضت فيه الجرائد ولما العفر وتبارت فيه اقلام الكتاب والشعراء فيجب تداعوه قبل أن يم نشره فيصل الى سائر البلاد والبوادي وقبل أن تضف حجة امثالكنا من محبي الورق والساجين في الاتحاد الذين اجتهدوا ولا يزالون يجتهدون في الاعتناء عن الحكومة ، وما كل عذر يقبل ولا سبيل الى ايصال الاعتذار الى الملايين اذا قلنا ان الحكومة عزلت الجمل الغير من عمالها العرب لانها ظنن انهم من صنائع أبي الهدى وعزت العابد يقال لنا ولماذا لم تزل جميع رجال السود السابق وهم صنائع عبد الحميد وبقية رجاله من الترك وقد ثبت بالعيان والبرهان انهم خربوا الملكة لان العمل كان في أيديهم ؟! وكسأنا وسأل غيرنا من الناس : ماذا ثبت على أبي الهدى وعزت العابد من الخيانات والأعمال الخربة للدولة ؟ أما أنا فلا أعرف لها ذنبا خاصا وراء همة عبد الحميد وبها وما نالها بها من مال وجاه الا أن الاول آذاني وآذى اهل بيبي بسبعه اوسايتيه والثاني اذا كان لم يوافق على ذلك فانه لم يمارض فيه ، فانا على عدم حمدي لاحد منهما وعدم دفاعي عنهما لا أرى من العدل عزل كل من نال عملا في الحكومة بجماهما ، وأعلم ان كثيرا ممن عزل من العرب لم يكن له صلة باحد منهما ، وان بعض المتممين اليهما لا يزالون في اعمالهم . وانما اعذر الحكومة بعض العذر بأن كثارها من عزل العرب وغيرهم كان من بعض الاضطراب الذي جاءت به طيبة الانقلاب ، وقد آن أن أين شيئا من ضرر التنافر ، وطريقة ازالة سوء التفاهم ، وقطع عروق التقاطع والتدابير ، وهو موضوع البنذتين التاليتين

٥

ما كاد ليل الاستبداد ينجلي بصبح الدستور ، وتقضي أيام الاحتفال بعيد في فرح وسرور ، الا وبادر كاتب هذا المقال الى زيارة القطر السوري زائرا ومختبرا للبلاد التي نشأ فيها وحجبه القلم الحميدي عنها احدى عشرة سنة ، فطفت المعاهد ، وبلوت الافكار والسرائر ، فما رأيت فيما رأيت للزعة الجنسية العربية حركة ، ولا سمعت فيما سمعت لها دعوة ، اقم الاثنا لداعية الجمعية العربية العلمية ، منعكسا عن الآستانة العلية ، لم يفهم منه معنى التفرقة ، ولم تشتد من الجمهور فيه الرغبة ، وكنت

مع هذا أقر الناس عن هذه الجمعية، وأنشأهم من تسميتها بالعربية، لثلاثتهم منها إخواننا الترك معنى المصيبة الجنسية. بل أقول طالبا السماح والغفران مؤسسيها أنني لم أكن أحسن الظن فيهم، ولا أبرهم من الأغراض الشخصية. دون الجنسية - في علمهم،

وكننت أقول في خطبي ودروسي في البلاد أنه يجب على كل بلد أو ولاية عثمانية أن تُعنى بترقية نفسها بالعلم والثروة، لتكون عضوا قويا بنية الأمة، ومعددا عظيما لتعزيز الدولة، لا لأجل أفراد أهلها بنفسيهم، أو اعتصامهم بأبناء جنسهم؛ (أي الجنسية اللغوية لا السياسية) فإن الأمم المستقلة في أحكامها المختلفة في لغاتها ومذاهبها ومواقفها، يتحد بعضها ببعض ليقوى الجميع بالمخالفة، فكيف تضيق الشعوب العثمانية نفسها وهي أمة واحدة. - بالفرق والمخالفة، نعم إن على العرب أن يحبوا لنفسيهم، وإن يطالبوا الدولة بمساعدتهم، لأن لنفسيهم في الدرجة العليا من الارتقاء، ولها في العلوم والآداب أفضل ثمرات، وهي لغة الإسلام، التي يتدارسها المسلمون من جميع الشعوب والأقوام، فهي رابطة الأخاء والمودة المعنوية، بين الملايين المذنبين للذنابة والخلافة الإسلامية، فترقية هذه اللغة خدمة للدولة العلية وترقية لها - فكنت أرى الجماهير يتقبلون كلامي بقبول حسن وما كنت أرى أحدا يعارضني بجوم الفصل بين الترك والعرب،

هذا ما كانت عليه البلاد في العام الماضي وكانت قد نجحت قرون الخلاف ولكن لم يشعر بها الجمهور فلما كثرت وكبرت كما نينا في النبذة الرابعة تنكّر الناس في سورية ومصر وخاضت في المسألة الجرائد العربية حتى في أمريكا وتبارت فيها قوائم الشعراء وتجاوبت فيها الأصوات، حتى عمت البلاد والجماهير، فاهتزت بذلك النبرة العربية اهتزازا شديدا، وصبغها بعضهم بصبغة الدين فكان تأثيرها عظيما، ومن المعاني التي نظمها الشعراء وخطب بها الخطباء ونشرت في الجرائد المصرية: أن الترك جاوروا على لغة القرآن وعدوها من النجاسات!! فافطرت القلوب، وقاضت العيون، وضج البيت والحرم، وكاد الركن يتحطم، وشكا القبر المعظم، وغضب الرب عز وجل،...

فهل تظن حكومتنا العليا ، وأصحاب الجرائد التركية في عاصمتنا ، ان هذه الغارة الشواء هين أمرها ، خفيف وزرها ، مأمونة عواقبها ، اذا ألقى جيلها على غاربها ؟؟ كلا ان من عرف حقيقتها ، وتفكر في عواقبها ، يعلم ان الامر لاد ، والخطب جد ، وانه يجب اخذه برؤبائه ، وتداركه في إنبائه ، قبل ان يستقر في نفوس العامة ، وتقتنع به الحاضرة والبادية

ان لهذا العاجز على ضعفه صوتا مسموعا في البلاد العربية ، وفي غيرها من البلاد الاسلامية ، وقد دافع بقدر طاقته ، عن الدستور والقائمين به ، حتي أزال كثيرا من شبهات المشتبهين ، ومكّن الثقة في نفوس الجماهير من المتزلزين ، وهو على ذلك وعلى حرصه على الاتحاد والاعتصام بين جميع العناصر العثمانية لم يستطع ان يقف في مجرى التيار الذي حركته تلك الاقوال والافعال التي أشرنا اليها في نفوس العرب كما وقف في مجرى التيار الذي حركه خلع عبد الحميد في بلاد الهند وفي غيرها من البلاد ، بل رأيت ان هذا التيار قد تدفق من (الدردنيل) فلابد من السعي الى قطعه من هناك ، فكان أحد باعثن بعثاني على ترك عملي بمصر في مثل هذا الوقت ، وتيمني عاصمة الملك كما سبق القول ، (وأما الباعث الآخر فسينته في مقال آخر انشره في بعض الصحف التركية ان شاء الله تعالى)

أحمد الله ان كانت هذه الحركة محصورة في دائرة الضيقة على اللغة العربية والمزاحمة في الوظائف والمناصب ، وصفوف المدارس والمكاتب ، وأنها لم تتعد الى مقام الخلافة ، ولا الى اساس الحكم والسلطة ، ولم يجر على لسان متقد ولا خطيب ولا من قلم كاتب ولا شاعر دعوة الى الانفصال من الترك ، أو الاستقلال في الحكم ، ولهذا كان التدارك سهلا ، وحسن التفاهم ميسورا ،

ما رأيت خطأ يبعث عن السياسة المثلى خارجا عن قواعد علم الاجتماع ، مثل خطأ رجال السياسة في الآستانة الذين يلقطون في الجرائد بذكر «استقلال العرب والدولة العربية والخلافة العربية» يتهمون العرب بطلب ذلك ويعودونه جهلهم لانه محال لتوقفه على المحال وهو اتفاق زعماء جزيرة العرب وشم فاتها من جهة وعلى مساعدة أوروبا

من جهة أخرى، وما كان خطأ الحكومة في الاصغاء الى الواشي والتحقيق في مسألة الشام في هذا العام الا كخطأ الجرائد أو أشد

ذلك بأن هذه الأقوال والأعمال هي التي تشغل الأفكار بما كانت خالية منه، ويخشى ان توجه النفوس الى ما كانت غافلة عنه، وتعدها لما لم تكن مستعدة له، ألم تر أن علماء الترية يحرمون ذكر الالفاظ التي تدل على الرذائل وتثير كوامن الشهوات لتلا يدعوا للتفكير فيها الى الاقدام عليها، حتى ان بعض الاوربيين حذفوا من معاجم اللغة ولا سيما التي يراجع فيها التلاميذ مثل لفظ الخيانة والسرقة كما اجمعوا على حذف ألقاظ الرّفث، وعلى هذه القاعدة جرى عبد الحميد في منع الجرائد من كثير من الالفاظ التي توجه النفوس الى ما يراه مخالفا لسياسته، ولا يميز للحكومة الدستورية ان تحذف هذه ولكن يجب عليها أن لا تكون هي المثيرة لتلك الأفكار الضارة كما يجب مثل ذلك على الجرائد من غير ان يمنعها منه القانون - فهذا هو مدرك قولي في البنية الاولى من هذا المقال انني لم أذكر مسألة اقتراح شيخ لحج على امراء العرب في النار ولا في غيره من الصحف - لاعتقادي انه لا ضرر فيها وإنما الضرر في نشرها، وخوض العامة بذكرها، لما سأينته بعد، وهذا بيانه :

ان عظمة الدولة العثمانية وعزتها وسائر ما يرجي لها في مستقبلها الدستوري يتوقف على النصر العربي مالا يتوقف على عنصر آخر من العناصر التي نطلب اتحادها كلها حتي التركي منها فان البلاد العربية المحضة أوسع من البلاد التركية المحضة مساحة وأغزر ثروة وأحسن موقعا وأشرف بقعة من حيث هي مبهط الوحي ومثابة الامم الاسلامية والنصرانية تهوي الى زيارتها من كل فج عميق وأهلها أقدر على الزراعة والصناعة والتجارة فمن تجارهم في الصين والهند وجاوة واستراليا وأمر يكامن يملكون الملايين - وأما ذكوتهم واستعدادهم للعلم فهو اشهر من ان يوصف - وأما القوة الحربية فيمكن للدولة ان تجند منهم مليوناً أو أكثر من أشجع خلق الله وأصبرهم على القتال ناهيك بفرسان العرب وخيولهم اذا تدربوا على الفنون العسكرية الحديثة، وهل تكون الدولة بأمن من مطامع أوروبا في العراق اذا أصلحت أرض الجزيرة (بين

النهريين) الا بتجديد أولئك الاسود الذين يهابهم الموت ولا يهابونه، ولا يحتاج الدولة الى ثقة كبيرة في تجهيزهم عند الحاجة،

إن قوام الدول وعظمتها في هذا العصر على مقدار ثروتها، وانما ثروتها مستمدة من الامة وان أرجى عناصر الامة العثمانية لثروتها هو العنصر العربي وان ما بين النهريين (دجلة والفرات) من بلاده هو أخصب البقاع ثروة وأوفرها غلة حتى قال هيرودتس شيخ المؤرخين انها كانت توفى غلاتها مضاعفة من مئة ضعف الى مئتي ضعف ثم كانت بعده هي ينوع ثروة الدولة العباسية، ولا يكون اشتغالها وحفظها للدولة في هذا العصر الا بالعرب وان شاركهم غيرهم في اصلاحها وثمرتها

مركز الدولة في أوربا محفوف بالمشاكل والاضطرابات، مضطرب بالطامع والفتن، ومركزها في الاناضول عرضة لفتن أيضا فليس في ولاياتها اهدأ من الولايات العربية الحضرية ك بيروت وفلسطين والشام وحلب، واما ما كان يجري في الولايات التي تطلب عليها البدواة كالبحرين فسيبه سوء الادارة وفساد السياسة التي كانت عليها الدولة الى آخر يوم من أيام الاستبداد ولما تصلح الحكومة الدستورية من ذلك الفساد شيئا بل لم تنق أسباب سوء انتظام الذي نشر أسبابه في ظل الحرية بسرعة البرق، فعليها ان تعدد وتعلم علم اليقين انه لم يجر الى هذا اليوم شيء من السعي ولا من التدبير لانفصال العرب من الترك ولم يعمل الى ذلك أحد من المشتغلين بالسياسة العامة من العرب وانه لا يوجد سبب من الاسباب يوجههم الى هذا الاهضم اخوانهم في العاصمة لحقوقهم وأهمها العالي عليهم بالجنسية التركية، والتقصير في حفظ لغتهم العربية،

سوء التفاهم محصور الآن في هذين الامرين : فعالي التركي على العربي يحسنه وإثارة نفسه عليه بأعمال الدولة ومكاتبها، والتقصير في نشر اللغة العربية، فأما الاول فأتى أعذر الترك فيه من جهة وأعدل المتحمسين منهم على غيرهم من جهة اخرى : اعذرهم من حيث ان المتحمسين منهم قد جروا على اتخاذ اعمال الحكومة سائلا وموردا للرزق وهم قلة يحسنون عملا آخر كما جروا على حسابان ذلك حقا خالصا لهم من دون سائر العثمانيين الذين اذا نالوا منه شيئا فاما يكون من إثارة الترك لهم

على انفسهم درءا لمفسدة اوجلبا لمصلحة . فان كان الدستور قد ساوى بينهم وبين سائر العناصر في كل شيء فلا تقضى ان تطبيق الدستور على الامة ، يجب أن ترمى فيه الحكمة ، ومنها أن يكون بالتدريج ولا سيما فيما يتعلق بتغيير العرف والمعاملات المتبعة والعبادات المألوفة ومن هذا الباب تقوم الحكومة في بعض المعاملات المخالفة للعرف التي يمكن تطبيقها على القانون اذا أسرعت فيها قبل اعداد الامة لها . فاذا نحن طالبنا الحكومة أن تجعل اعمال الحكومة مشتركة بين العناصر العثمانية على نسبة عدد كل عنصر منها نكون قد طلبنا الطفرة في التغيير وقطعنا على متعلمي الترك اوسع ابواب الرزق التي ألقوا الدخول فيها ، وجعلناهم دون سائر الشعوب العثمانية بعد أن كانوا فوقها من هذه الجهة التي هي اشرف الجهات في نظرم ، قبل من الحكمة أن يكون أول حظهم من الدستور خسران اعظم شيء عندهم ؟ كلا انني أرى جميع عقلاء العرب يفهمون هذا و يقدرونه قدره وإنما ينكروه ويتألم منه من هم مثل الترك في قصر فهمهم على خدمة الحكومة واتخاذ ذلك وسيلة للعيشة ، وهذه هي الجهة التي اعذل الحكومة على عدم مراعاتها وأطالبها بأن تعمل في هؤلاء المتفلسين في سلكها والمرشحين انفسهم لذلك وان لا تشعر احدا منهم بأن جنسه علة لتحامل عليه رقابهم واقناعا لهم ولغيرهم بأنها تنفذ الدستور بالعدل والمساواة بقدر الاستطاعة وتقاديا من سوء التفاهم في هذا الدور الخطر - دور التحول والاقبال

ويلعلم الفريقان ان الحكومة الدستورية لا تكون موردا واسعا للرزق ولا ينبغي ان تطلب وظائفها لأجل المعيشة لان المرتبات الكبيرة فيها قليلة جدا ، وما عداها لا يكاد يصل الى درجة الكفاف ولا سماع فترات الاسفار في هذه المملكة البعيدة الالواء اذا بطلت الرشوة كما هو المنتظر من الإصلاح في عهد الدستور وانما كانت الحكومة بابا من ابواب الثروة أيام كان الحاكم مستبدا انها مستحيها للجميع ما تصل اليه يده من اموال الامة لا يخاف في ذلك دَرَكا ولا يخشى . واتي لاشفق على اخواننا من الترك وأخشى ان يكونوا في عهد الدستور وراء الروم والارمن المزاحمين لهم في عقر دارهم وفي عاصمة الملك اذا لم ينزعوا من اذهان نايتهم فكرة الارزاق من الحكومة . وقد كان المتعلمون من المصريين على رأي المتعلمين من الترك في أيام

الاستعداد المحض والظلم ، وفي اوائل العهد بالحرية والعدل ، ثم لما عمرت البلاد صرنا نرى بعض عمال الحكومة الذين ياخذون في كل شهر عدة الوف من القروش راتباً معيناً لا يتخلف قبضه عن اليوم الاول من الشهر يستقيلون راغبين عن خدمة الحكومة الى الاعمال الحرة التي هي اوفر كسباً واوسع باباً لتحصيل الثروة ، ونرى الذي يتقاضى من الحكومة في كل شهر ثمانية آلاف وعشرة آلاف قرش يعدّ قهراً اذا لم يكن له مورد آخر من الزراعة مثلاً

واما التقييد في نشر اللغة العربية فلا أرى للحكومة فيه عذراً معقولاً فان قيل ان اللغة التركية هي اللغة الرسمية فاعداها من اللغات فنجب فيه المساواة فاذا رجحت الحكومة اللغة العربية على غيرها قلم سائر العناصر يطالبونها بمساواة لغتهم لها ويعدونها مقصرة معهم غير عادلة فيهم ! فالجواب عنه يعلم مما أشرنا الى بعضه قبل من مزايا العربية وخصائصها التي يمكن للحكومة أن تحتاج بها على أي عنصر يطلب مساواة لغته بها في المكاتب الرسمية ونزيده ايضاحاً بالتفصيل بخمسة أمور :

(١) ان العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهما اصل الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للمملكة الذي يجب على خليفة المسلمين أن ينشره ويحميه

(٢) ان السواد الاعظم من اهل المملكة مسلمون يحتاجون الى العربية في فهم دينهم وطاعة ربهم فيما حث عليه من تدبر القرآن وليس لهم جمعيات دينية تنشئ لهم المدارس كالتنصاري فالحكومة الواحدة لهم هي المطالبة بتعليمهم

(٣) ان الشريعة الاسلامية هي البنوع الذي تستمد منه الاحكام التي يحكم بها في الاحوال الشخصية والمدنية وتطبق عليها القوانين ومعظم كتبها التي عليها الاعتماد في ذلك والتي يرجع اليها عند المشكلات هي باللغة العربية فالدولة محتاجة في ذلك الى تعليم هذه اللغة

(٤) ان العنصر العثماني العربي هو اكبر العناصر وابعداها عن معرفة اللغة الرسمية للدولة ولا يتيسر تعميم هذه اللغة فيهم إلا بعد اتساع مالية الدولة بعشرات من السنين . فاذا لم تعلم الحكومة اللغة العربية لمن تقدمهم في مكاتبها للوظائف كان

نتيجة ذلك ان اكثر عمال الدولة في اوسع ولاياتها لا يعرفون لغة الاهالي فيتعذر عليهم اقامة العدل والنظام . ولا يقال انهم يستعينون على ذلك بالترجمين لانها لا تجذب الذين يحسنون الترجمة في كل مكان وان وجدتهم كانت في حاجة الى نفقات كثيرة لهم لا تحتاج الى اكثر منها لتعليم العربية ولا مندوحة عن أحد هذين الامرين الا بابقاء الحكومة كما كانت في سرايا الاستبداد جعلت نهب وسلب لاهلها الا ملء الجيوب ، واما الروم والارمن وغيرهما من العناصر فاللغة الرسمية منتشرة بينهم لا تحتاج الحكومة الى المترجمين الا في القليل من بلادهم وما ذلك بالامر الشاق ولا المتوقف على النفقات الكثيرة

(٥) ان اللغة العربية اصل من أصول اللغة التركية الرسمية يقرب أن يكون ثلث مفرداتها أو نصفها مستمدا منها ولا سيما المفردات في علوم الطب والتشريح والنبات والحیوان، فتعليم العربية في مكاتب الدولة يقوي تعليم اللغة الرسمية ويمدها فالتركية أحوج الى العربية من اللغة الفرنسية الى اللغة اللاتينية وانا نرى الافرنج يعلمون اللغة اللاتينية التي لا يوجد عندهم شعب يتكلم بها لانها من اصول لغاتهم فأغراض الترك عن تعليم العربية على كونهم أحوج اليها من هذه الجهة وعلى ما لهم فيها من الفوائد الدينية والمدنية لا يظهر تعيله الا بتعمد اضعاف العربية وهذا شيء لا يرضى به جمهورهم وان نزع اليه بعض المتفرجين المتعصين ، الذين ليس لهم رأي ولا دين

٦

زبدة المقال وخاتمة

(١) إن الجواذب التي تجذب الترك الى العرب والعرب الى الترك وتمزج احدهما بالآخر فيكونان عنصرا واحدا قويا نافعا كالماء والهواء في كونه علة للحياة والبقاء هي قوية جدا لانها جامعة بين الاخوة الدينية والمصالح المدنية والسياسية التي لا قوام للدولة بدونها

(٢) ان الحوادث السابقة واللاحقة أعدت المشتغلين بالسياسة والبحث في

الامور العامة والمتزاحمين في المكاتب والمناصب الى شي من سوء الفهم والارتياح والظينة قواها في قنوس بعض الترك شبهاث أوهمت ان العرب يريدون الانفصال من الدولة العثمانية والاستقلال بأنفسهم ، وقواها في قنوس بعض العرب أقوال منكرة قالها وكتبها بعض المشهورين من الترك وأعمال مستنكرة من الحكومة لا يصح ان تعدت أصلا واسخا في الدولة لأنها حدثت في عهد الاقلاب والفتن التي اضطرت الدولة الى الاحكام العرفية مع تبدل الوزارات وعدم انتظام الاحزاب في مجلس المبعوثين الذي يرجع اليه الامر كله

(٣) انه يمكن ان تنهض حجة قوية على التباغض بين الترك والعرب اذا وقع الشقاق بين المبعوثين في مسألة تعليم اللغة العربية أو مسألة المساواة بين النصيرين المحسة في القانون الاساسي ولكن هذا الشقاق ما وقع ولن يقع ان شاء الله تعالى . وقد حضرت مذاكرة بين فاضلين من المبعوثين أحدهما عربي والآخر تركي قال هذا اتي أحب العرب أكثر من الترك لان الذي يحبب الي الترك هو النزعة الجنسية الدنيوية وأما الذي يحبب الي العرب فهو ديني الذي عليه مدار سعادتي الأبدية ، - أو ما هذا مؤداه

(٤) ان الذين قد بدت البغضاء من أفواههم للعرب في معاهد السياسة والحكومة ومكاتب التعليم هم على قتلهم ليسوا من النصير التركي باليقين وإنما أكثرهم أو شاب وأوزاع من عناصر شتى قد تركوا وأسلموا من زمن بعيد أو قريب لأجل مناصب الدولة فهم لاحظ لهم من الحياة الا فيها فلا عجب اذا أبغضوا كل من يزاحمهم عليها (٥) يجب على القلاء السعي في إزالة سوء التفاهم وسد منافذه مهما كان سببه لئلا يتمكن في قنوس العامة فيتمتع بزعمه ونسوء منبته .

ما به يكون التأليف بين النصيرين

يجب أن يتعاون على هذا التأليف الذي تتوقف عليه حياة الدولة كل من عقلاء الامة وعقلاء الحكومة ويجب ان تكون العاصمة هي البادئة بذلك صحافتها وحكومتها العليا فاما الصحافة فيجب عليها أن ترك الخوض في مسألة الجنسية النفسية والتسبيق والعرقية ،

الى الجنسية السياسية المعبر عنها بالعثمانية، فجعل هذه هجبرها بكرة وعشياً، وبجعل تلك نسياً منسياً ، ولا تذكروا لفظ الترك والعرب، ولا اسم غيرهما من العناصر الاخر، بكلمة تشر بالترجيح أو التفضيل ، أو عصبية النصر والقبيل ، واسمري ان أولئك الرجال الذين تبدلوا كلمة العثمانية « بكلمة تركية » فصاروا يقولون ويكتبون « لثة عثمانية ولايات عثمانية »، لم اعلم اهل في السياسة رأياً، وأصبح في علم الاجتماع حكماً، من هؤلاء الذين يقرعون الاسماع كل يوم بكلمة « تركل تركل » (١) متوهمين انه يمكن تحويل العناصر العثمانية الى التركية، أو انهم يمكن ان يتحدوا بشعوب التار الروسية وتركستان الصينية، ومن الذين يريدون ازالة الالفاظ العربية، من هذه اللغة الروسية، قال كال بك زعيم النهضة الحديثة : انا اخترنا أحسن الكلم من أرقى اللغات الشرقية، وهي العربية والفارسية والتركية، فألفنا منها لثتنا العثمانية، فهذه اللغة هي لغة العثمانيين المشتركة، وليس للترك حق الاختصاص بها والارة، كما ان العربية هي اللغة الاسلامية المشتركة بين العرب وبين الترك والفرس وأهل الهند والصين والملاو وغيرهم من المسلمين، فمن العثمانيين لا نسمح لاحد ان يثبت بلثتنا العثمانية، ومن شاء ان يعلم لثة تركستان فينطقها وهي غير لثتنا الروسية، والأمة كلها تطلب بمعونتها بصيانتها وحفظها بسهولة نشرها وكون أكثر كتبنا ودفاترنا بها .

وبما يجب التنبيه عليه في هذا المقام اتقاء عزو ذنب بعض الافراد الى الشعب أو النصر على الاطلاق فاذا رأينا بعض الترك أو العرب أو الارمن مثلاً - يمين عنصراً آخر أو يدعو الى استقلال قومه فلي الجرائد أن تنسب الذنب اليه لا الى جميع قومه . وعلى هذه الطريقة جريتنا في مقالنا هذا قد برأتنا النصر التركي الاسلامي من بغض العرب والتحامل عليهم وحصرنا ذلك في فئة من الترك المشتركين في الغالب لا الخلق

كذلك يجب على الجرائد ان تتخول قراؤها بالمقالات الداعية الى اتحاد العناصر العثمانية مع بيان فوائدها للجميع . واذا احتدت جرائد الآستانة الى هذا الصراط

١٠. كتب بعضهم في هذه الايام مقالة في جريدة صباح بهذا العنوان يترك بهالتره الجنسية

المستقيم بقضها الجرائد السورية والمصرية وكان تأثير ذلك عظيما واحكم على العكس بحكم الطردة وينبغي لاصحاب الجرائد التركية ان يُعْنُوا بالاطلاع على الجرائد العربية المنتشرة وينرجحوا المهم من مقالاتها في سياسة الدولة العلية وادارتها ويعلقون عليها ما يرون فيه المصلحة للتأليف، وكذلك المهم من أخبارها فن العار على جرائد العاصمة ان لا يذكر فيها شيء عن الولايات العربية، الا ما يكون من ضيابة الشركات البرقية، أو الاخبار الرسمية، وكل من هذا وذاك رموز لا تعرف حقائق الاحوال، ولا تبنى على مثلها الاحكام، ولوقامت هذه الجرائد بوظيفتها حق القيام لجعلت لها مراسلين في تلك الولايات فوق تتبع الجرائد العربية وترجمة أخبارها

وأما ما يجب على الحكومة فأهونه وأقر به أن تنصف الواقفين على أبوابها من العرب طلاب الوظائف - وقليل مالم - قساوي بينهم وبين اخوانهم الكثيرين من الترك وترقي بعضهم من رتبة القائمقام الى رتبة المتصرف ومن هذه الى رتبة الولاية، وأن تزيد أعضاءهم في مجلس الاعيان - وأهمه وأعظمه ينحصر في امور :

(أحدها) قطع عروق العصية الجنسية من مكاتب الحكومة واستئصال جذورها فاني اسمع كل يوم من أخبار هذه المكاتب ما يشعر بأن فيها كباوين معنويين يحملون عناصر الوحدة العثمانية ويفرقون بعضها من بعض حتى بلغ بعض المعلمين الجهل أو سوء القصد أن قال بعضهم في الدرس ان العرب كانوا يجهلون علم الفلك وان الترك هم الذين علموه ذلك وهم الذين بنوا لهم المراصد! وقال بعضهم إنهم كانوا يجهلون فن الإحصاء حتى علمهم الترك إياه في زمن المأمون! وقال بعضهم إنهم كانوا يجهلون الفلسفة وجل ما كتب بالعربية في الفلسفة فهو من الترك! انصار بعض الطلاب من العرب يترحمون على فيلسوفهم المعري ويتناشدون لاميته المشهورة: بل سمعت عن معلمي بعض المكاتب ما هو شر من ذلك وأضر وأدهى وأمر، فيجب على نظارة المعارف أن تختار لمكاتبها من المفتشين المنصفين المهذبن من يكشف لها الحقيقة في ذلك وان تعنى أشد العناية بتطوير معاهد العلم من هذه المفسدة التي لأرى شيئا أضر على الدولة منها

بسهل تقرير كل حقيقة فيها فضيلة لغرد أو أفراد من عنصر من العناصر

مع تحامي اهانة غيره لا سيما اذا كانت تلك العناصر قد وجدت بينها جنسية أخرى أوسع من جنسية النسب واللغة كما جمع الاسلام العرب والفرس والترك وغيرهم فجعلهم امة واحدة . فهل جهل أولئك المعلقون المفرقون المحلون انهم يجنون بتلك النزعات على دولتهم الموثقة من عدة اجناس اكبرها وأعظمها عنصر العرب والترك فاذا هما انحلا لتحل والياذ بالله ، ويجنون أيضا على ملتهم الاسلامية ، أم هم يرمون الى ذلك ؟ وكذلك يجب أن تنقظ سائر النظارات لمثل ذلك قهلا يخلو شيء منها من افراد متعصبين الا باب المشيخة الاسلامية

(ثانيا) العناية بتعليم اللغة العربية في مكاتبها وفي المدارس الدينية في العاصمة وغيرها فان هذا برضي العرب عامة ويسر جميع المسلمين ولا يضر الترك ولا يضعف جنسيتهم كما انه لم يضر الفرس ولم يضعف جنسيتهم وهم اكثر عناية من الترك بهذه اللغة من حيث انها لغة الدين وليسوا بمحتاجين اليها لاجل الادارة والسياسة اذ ليس في مملكتهم ولايات عرية .

ألا ان من الحال في هذا العصر تحويل عنصر الى عنصر أصغر منه أو اكبر فالخريص على جنسيته النسبية او القويوة في هذه الامة العثمانية يجب أن يكون امينا مطمئا عليها والطامع من الترك في تحويل أضف عنصر من العثمانيين الى العنصر التركي وادغامه فيه انما هو طامع في الحال ، والمتوسل الى مطعمه بتعظيم قومه وتحقير غيرهم ، والتعصب لم على سواهم ، انما يطلب الشيء من ضده أو من قبضه ، ولولا ان كلا من امتنا ودولتنا لا يقوى على مثل هذه التجارب الاجتماعية لما كنت شديد الخوف من هذه النزعة الجنسية فيها فان من يكون له ولد عزيز هو محل رجائه في ارث مجده وماله لا يسمح باختياره أن نجرب في جسمه الادوية التي تجعل عاقبتها ، بذلة الادوية التي يترجح خطرها ، وسوف يعلم المجربون انهم هم الخاسرون ، اذا ظفروا في طريقهم بهرعون ، وأخشى أن لا يظهر خطايم الاحث يمز تلافيه وتداركه

(ثالثا) العناية بنشر العلوم والمعارف واسباب العمران في الولايات العربية كغيرها من الولايات من غير أدنى فرق يمكن أن يفسر بالتعصب الجنسي وأرى

أن تكثر الدولة من المدارس الصناعية والزراعية وتكتفي من المدارس التي تخرج فيها رجال الحكومة بقدر الحاجة

(وإمّا) الاخلاص التام في تنفيذ القانون الاساسي . واقليم بهذا يجمع كل مايراد من اعطاء كل عنصر حقه فان لم تفعل الحكومة هذا قلنا تهيج عصية جميع العناصر عليها حتى العرب الذين هم أشد ارتباطا بالترك واخلاصا لهم بمن سوامهم وذلك هو البلاء المين

قد استخف الدستور اهل البلاد العربية فقاموا يطرون الترك ويمشون الناس على نظمهم شأنهم والائحاد بهم وتهاقوا على جمعية الاتحاد والترقي في كل مكان حتى ان اهل لبنان أخذوا يتحدثون بالسعي الى الفاء امتيازهم بل كتب أدباؤهم كثيرا من المقالات في وجوب اتحادهم بسائر العثمانيين ، ومشاركتهم في مجلس المبعوثين ، على ان بعض الاتحاديين قد شوخوا بعض تلك الاحتفالات بيد الدستور اذ فتشوا فيها بشيء من سوء التعصب كذلك الضابط الذي خطب في حلب خطبة خربها العرب تحقيرا ، وشهر بهم تشديرا ، ولكن أكثر الناس لم يرضها حتى الفهم ، ولو أقامها في بيروت او الشام لكان مالا خيرا فيه

ظهرت أريحية العرب بسورية ومصر وغيرهم في مقاطعة النمسا في تجارتها وفي الاحتفالات بالدستور وقد ألقا بمصر لجنة لاجل جمع الاعانات الكبيرة للاسطول النمائي وضمت لذلك قانونا ليكون حجم المال عاما ولكن تلك النيات التصيية التي سمعت من دار السلطنة أضفت الهم . فإذا طال الهدل هذا التنافر فان خسارته المالية والمضوية تكون اول بوادر شوئمه ونعوذ بالله من أواخره

ويسرني أن أبشر العرب باتي وأيت من كبراء العاصمة اوتياحا الى حسن التفاهم وإزالة اسباب التنافر ولا سيما من الصدر الاعظم حسين حلي باشا والعلماء الاعلام فأنصح لهم أن يكونوا حقا لآخواتهم على هذا الزمان كما نصحت للآخرين « إن أريد إلا اصلاح ما استطعت وما توفقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

اسباب سقوط الدولة الاموية*)

سادني

وعدتكم يوم الخطبة القراء التي خطبها فينا الاستاذ الغضري في ترجمة أبي مسلم الخراساني أن أقول كلمة ألم فيها بشيء من الاسباب التي دعت الى ضعف الدولة الاموية وتيسر قيام الدعوة العباسية وانتشارها في المملكة الاموية بواسطة أبي مسلم وأضرابه من رجال الدعوة ثم نجاحهم في الامر وقلبهم الدولة الاموية وثلّ عرشها وقيام الدولة العباسية مقامها

ولما هممت بتبج التاريخ من اجل هذه الناية عنرت الاستاذ الغضري لا كفايته بإيراد سيرة أبي مسلم وما كان من انتشار الدعوة العباسية لانه لو أراد أن يطور هذا البحث ويتوسط في مناجه لاحتاج الى الوقوف أمامكم ساعات وانا بهمه كذلك ومع هذا فلا نكون وفينا هذا البحث حق من البيان لذا أتمس من حضراتكم المفضرة فيما سأطرح عليكم مختصرا في هذا الباب ولو اضمت وقتا ما في تمهيد الكلام يبحث في الخلافة لارتباط هذا البحث بسقوط بني امية وقيام دولة العباسيين

تمهيد

تملّون ايها السادة أن السلف اجتنبوا في : هل الخلافة واجبة شرعا او عقلا ؟ والذين قالوا انها واجبة عقلا قالوا انها وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعمهم بمنهم من الظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم الى آخر ما قالوه وتعلمون ان ما وجب بالعقل وجب بتحكيم العقل فيه ولما كان تعريف الخلافة

(*) خطبة لرقيق بك العظيم المؤرخ المشهور الفاضل اعضاء نادي دار العلوم بمصر

انها حل الكافة على الشرع وانما تحمل الكافة على الشرع بمن تتوفر فيه شروط البياقة لتولي امور الامة ايا كان من المسلمين فقد ترك الشارع صلى الله عليه وسلم أمر الخلافة لرأي الامة تحكيم فيه ضامرها وعقولها دون أن ينص على شخص بعينه

ومما يدلنا على أنه ليس هناك نص ديني من قبل الشارع على تخصيص الخلافة بعلي او العباس وآلها أو غيرهم من المسلمين ان أبا بكر لما احتج على الانصار يوم السقيفة لم يحتج عليهم بخبر عن الرسول بل بالكفاة والاستحقاق ورضا الامة فبمن تختاره اميرا عليها حيث قال :

« يا معشر الانصار : انكم لا تذكرون فضلا الا واتم له اهل وان العرب لا تعرف هذا الامر الا لقريش . هم اوسط العرب دارا ونسبا . قد رضى لكم احد هذين الرجلين » واخذ يدي عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح . فكثر اللفظ بين الانصار حتى بادر عمر بن الخطاب وقال : ابسط يدك ابايعك . فبسط يده فسبقه بشير بن سعد من الانصار فبايعه وبايعه سائر الناس

ولو كان هناك نص على علي لما فات ابا بكر وسائر الناس ولما قال الانصار منا امير ومنكم امير وهم اول من نصر رسول الله في حياته فلا يعدلون عما امر به مد وفاته وعلي نفسه اعترف بصحة خلافة ابي بكر ولم ينازعه عليها باسم الدين اذ خطب مرة فقال :

« لقد امر النبي ابا بكر أن يصلي بالناس وإني شاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدينا ما نرضي به النبي لدينا »

توفي ابو بكر فولي الخلافة بهد منه عمر بن الخطاب ثم توفي عمر فصرقتها الشورى الى عثمان وعلي معروف المكانة من الدين والقرابة من رسول الله فلم يقل فريق منهم بصرفها اليه باسم الدين وكل ما قيل وكتب بعد ذلك من المغائز التي غزت بها الشورى أو غمرت بها ولاية أبي بكر وعمر ليست بصحبة وما جاء من اخبار الخلاف على الخلافة بين الصحابة لا يحمل على غير ما يقع عادة من النزاع بين المتنافسين على الامارة في كل امة وجيل لكن صوره الامامية بعد

بالصورة التي توافق مذاهبهم السياسية والدينية حتى تمكنوا من صبغه بصبغة الدين والقول بوجود الامامة شرعا لعلي وآله وسوقها بعد ذلك في بنيه أو بني عمه العباس باسم الدين

علمتم أيها السادة من هذه المقدمة ان الخلافة صارت الى ابني بكر ثم الى عمر ثم الى عثمان رضي الله عنهم ولم يبق بين العرب من أجلها أدنى نزاع باسم الدين بل كان العقل هو المحكم والمصلحة رائد جمهور العقلاء من الامة بقطع النظر عما اذا كان علي (رض) حقيقا بالخلافة فانه حقيق بها بلا شك ولا ريب وانما كانت هناك ظروف وأحوال اذا وصل اليها خبر بعضها فانا نجعل بعضها الآخر بتاتا وقد راعى جمهور الصحابة تلك الظروف والاحوال بمشاة لسنة الطبيعة والعقل فقدموا عليه الثلاثة الكرام ولو كان للدين حكم باستخلاف علي لما عدلوا عنه الى العقل ومكاتبهم من الدين سامية شهد لهم بها القرآن الكريم والنبي العظيم

إذا فن أين دخلت السياسة في الدين فخلت الخلافة حشا عريا من حقوق آل البيت ؟ ومنى ظهر النزاع عليها باسم الدين وظهرت مقالة الامامية التي تتبادع كانت آفة المجتمع الاسلامي ومنها مسألة المهديوية التي عانى ويعاني المسلمون مضضها الى اليوم ؟ .. الجواب عن هذا يعرفه كل مطلع على التاريخ وكلكم مطلع عليه : دخلت السياسة في الدين وظهرت مقالة الامامية لما دخل الاعاجم في الاسلام وظهر هذا الدين وأهله على الامم وذلك بعد مضي صدر من خلافة عثمان

وأول من قام بهذه الدعوة عبد الله بن سبأ واخوانه من الموالي وأبناء الملل الاخرى الذين دخلوا في الاسلام، وابن سبأ هذا هو من الذين أحرقهم علي (رض) لغلوهم فيه

تلك البذرة الصغيرة التي بذرها ابن سبأ واخوانه من جمعية الدعوة العلوية انبتت ذلك النبات العظيم الذي فيما بعد على ما حوله فأكل دولة الامويين في المشرق أكلا بعد أن دخنها الضعف من جهات أخرى وهذا موضوع البحث وهأنذا متكلم فيه

الموضوع

تولى عثمان (رض) الخلافة بانتخاب أهل الشورى وعمل فياست سنين لا يتم المسلمون منه شيئاً وإنما اضطرب أمره في السنين الست التالية من خلافته حيث اتسعت دائرة الفتوح وكثر الموالي الاجئون الى المدينة من الاطراف ودخل في الاسلام أو تحت سلطته أقوام لم يكن لهم ما للعرب يومئذ من المصيبة والقوة والاختلاق الحرية المالية تخضعوا لجيوش العرب طوعاً أو كرهاً وكان استغراقهم في الخفاوة جبل فلقة عظيماً بينهم وبين العرب الذين كانوا على جانب عظيم من سلامة الفطرة والاختلاق الثابتة المستقيمة فكان ذلك من الوسائل التي جعلت أولئك الأقوام يأتون العرب من جهة العقائد تارة والسياسة أخرى فألقوا بينهم أول بذرة من بذور التفريق في الدين والسياسة بواسطة الدعاة منهم كعبداً بن سبأ المذكور وحران بن سودان والاول لم يترك مصرأ من الامصار الكبيرة كالشام ومصر والبصرة والمدينة الادخله لاجل بث الدعوة وزرع هذه البذور الجديدة في النفوس والارض البكر الصالحة سريعة الإنبات بالضرورة ولا سيما إن العرب محبون بطبعهم للحزب ميلامع العصبيات التي كانت تتنازعهم في عصر الجاهلية فقبلوا الدعوة الى نصره علي وأنه أحق بالخلافة ديناً بشيء من القبول وأخذت تتمكن من نفوس بعضهم هذه المقالة الجديدة حتى أفقت الى اقسامهم الى حزينين يتنصر أحدهما للي والآخر لعثمان

قامت الفتنة من ثم على الوجه الذي عرفناه في التاريخ وانتهت بقتل عثمان (رض) وقيام علي ومعاوية يتنازعان امارة المؤمنين واقسم يومئذ هذان الحزبان الى أحزاب أخرى سياسية ودينية كانت الغلبة فيها للقسم الذي شاع معاوية باسم القوة والعصبية لا باسم الدين والشرعية لأن الشرعية نفسها تحتاج في تنفيذها واستمرارها الى القوة كما تعلمون

لما تناحرن العرب من أجل النزاع على الخلافة بتلك الروح الدينية التي بها بينهم دماء الفتنة ووأى فريق منهم ان عاقبة هذه الحرب الآكلة ربما آمنت على

العرب ودينهم وملکهم من أجل الامارة أجمعوا رأيهم على الخروج من جماعة المختارين وأقوا لأنفسهم حزبا سياسيا برئاسة عبدالله بن وهب الراسبي غاية نف الخلافة وطلابها من قریش نسفا وان قام الامام من غير قریش على شرط أن يحکم برأيهم وعلى مايشيرون به أو ينتهجون له من طرائق العدل والاعزل ونصب غيره والأفلا لزوم لامام أصلا . ومعناه أن تكون الحكومة جمهورية بالضرورة والیک ما قاله عن هذا الحزب صاحب الملل والنحل قال :

« انهم جوزوا أن تكون الامارة في غير قریش وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ماثلوا له من العدل واجتنب الجور كان اماما ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلا وان احتيج اليه فيجوز أن يكون عبداً أحرأً أو نبطيا أو قرشيا »

هذا رأيهم الذي أوردده صاحب الملل والنحل ومنه نعلمون أن مبداء جمهوري بحث لاسباب في التشريع يظهر لنا ذلك كل الظهور من قوله : من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ماثلوا له أي على ما سنوا وشرعوا له بالضرورة . وقوله : وكانوا أشد الناس قولا بالقياس . وكلکم يعلم ما هو القياس بالنسبة لمن يريد التوسع في الاحکام بما يدور مع الزمان والحاجة . ولذا قد جاز لنا أن نسمي هذا الحزب أول حزب جمهوري في مبادئه ومراميه ظهر في الاسلام . ولولم يسجل باستعمال السلاح لتأييد مبادئه وحمل الأمة عليها بالقوة واضطروا ثمانا سأم جماعة معاوية الحرب القائمة من أجل الخلافة كما ستمتها جماعة علي لكانت مبادئه هي السائدة الى ما شاء الله في الأمة الامية ولا تقطع النزاع على الخلافة منذ ذلك الحين

ولكن من الاسف أن ذلك الحزب لما عجل باستعمال القوة بدم وخنجرم الذي هقدوه في حروراء خروج الكوفة ودعوا من أجله بالحروية اضطر أمير المؤمنين علي قتلهم وقتلهم في النهروان وكانوا نحو عشرة آلاف قتلهم جميعا الا عشرة منهم أفلتوا من القتل وفرقوا في البلاد وأخذوا يشنون دعوتهم سرا فكان من ذلك ماذا ؟

كان من ذلك ان اقبلوا الى جمعية سرية اقربت على الفتك بعلي ومعاوية وعمر بن العاص قائلة فليرح البلاد منهم كما ذكر ذلك المؤرخون لتبقى امارة المؤمنين شاغرة للأمة من المتنازعين عليها من قريش ويختار الأمة اميرا عليها من شئت من عامة المسلمين أو خاصتهم كما هو من مقتضى مبادئهم التي مر ذكرها

انتدب لهذا الغرض ثلاثة منهم هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي للفتك بعلي، وعمر بن بكر التميمي لعمر بن العاص، والبرك بن عبد الله الصريحي لمعاوية. واعدوا لسبع عشرة من رمضان قتل ابن ملجم عليا ولم يتمكن الاثنان الاخران من معاوية وعمر كما هو معروف في التاريخ

وكانت هذه الجمعية السرية ثانية جمعية تألفت في الاسلام بعد الجمعية السبئية التي تأسست في خلافة عثمان للدعوة الى علي كما تقدم في صدر البحث ومبادئها متباينة بل متضادة كما نعلمون

بعد ذلك استصغى معاوية الخلافة لنفسه وأدالها عن آل علي باستئزال الحسن (رض) عنها وان يترك منازعته عليها فتم له الامر بهذا وجمع كلمة العرب عليه واستالم اليه فكانت له منهم عصبية كبيرة احتسب عنها بها وضرب ضيفا بها وبها وقبض على زمام الخلافة بيد من حديد وحماها بلسان من سكر واستمال بدهائه بني هاشم والمهاجرين وابناء المهاجرين وجلة الصحابة تارة بالترغيب وتارة بالترهيب حتى ملك السنتهم وقلوبهم فانفرط عقد الناس الآن عن بني أمية واجتمعت كلمتهم على تأييد هذه الدولة ايما تأييد

لكن هل زالت تلك الروح التي بثها دعاة الامامية من الوجود ؟ وهل امكن لمعاوية ومن خلفه أن يقتلوا ذلك الفرس الذي غرسه خصومهم بالامس ؟ كلا ان تلك الروح باقية وذلك الفرس كان ينمو ليشمر ويأكل منه غارسوه من غير الرب ولو بعد قرن وما القرن من أعمال الدول والامم الا كجوم مما نعدون اغتصب الامويون الخلافة اغتصابا والفاصل خائف كايقولون وهم اذا تدرعوا بالقوة والعصبية فخصومهم من بني هاشم متدعون بالدين والمكانة الادبية التي لهم بين المسلمين والمواطف الدينية اذا تكونت ونمت واندفعت بأهلها تدك العروش

وتزلزل قوات الدول قاضط الامويون يد معاوية الى مطاردة بني هاشم والتكر لم وفعل يزيد فعلته الشقاء بأبناء قاطمة فكان ذلك داعيا الى حذر بني هاشم وسكونهم الى حين وتسار شيعتهم وعلمهم في الخفاء الى أن قامت دولة بني مروان وآلت الخلافة الى عبد الملك فتولاها والفئة مستمرة في الاطراف : قاططوارج يريدون نحو الخلافة ، وشيعة المختار بن أبي عبيد القفي بطالبون بيم الحسين ، وعبدالله بن الزبير ينازع الامويين على الخلافة ، وعمر بن سعيد الاشدق يريد ما لنفسه ، فاذا يصنع خليفة يستقبل مثل هذه العواطف ؟ وبماذا تعيش دولة قامت في بحر من الدم ؟

لاجرم انها تلجأ الى أقصى ما عندها من القوة ، وتستعمل متعى القسوة ، واقسوة تملأ الصدور حفيظة وتلحمي الخضم الى استعمال أساليب القتل والتجبل على أخذ الخضم على غرة منه

ذلك مادعا عبد الملك الى استعمال متعى القسوة في اخاد هذه الفتن وألجأ اخلافه الا قليلا منهم الى اتهاج منهمجه في معاملة الظالمين عليهم واستعمال مثل لحجاج بن يوسف في الامصار الثابتة وإشتداد هؤلاء الهال على الناس حتى كان ذلك من جملة الاسباب التي أوغرت على الامويين الصدور وهدت للدمرة المباشية سبيل الانتشار في الخفاء وصحلت على دولة بني أمية بالدمار

بلغ من قسوة عبد الملك وإظهاره الشدة في تهديد من يتلوته ان خطب بعد قتل الزبير عام خمس وسبعين خولية قال فيها :

« أما بعد فلست انظيفة المستضعف (يعني عثمان) ولا انظيفة المداهن (يعني معاوية) ولا انظيفة المأفون (يعني يزيد) الا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الاموال . الا وانني لا ادعوي ادواء هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم . تكلفونا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تزدادوا الا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم . هذا عمرو بن سعيد قرايته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا قتلنا بأسيا فها هكذا ، ألا وإننا نعمل منكم كل شيء الا وثوبا على أمبر أو نصب راية . الا وإن الجامعة (أي القيد) التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد

عندي والله لا يفضل أحد فضله الاجللتها في حقته، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه ١١١ ، ثم نزل

ثم ان السيوطي أو من سنده هذه الخطبة بقوله : في استنادها الكريمي وهو متهم بالكذب ، لكن من درس أخلاق عبد الملك بن مروان لا يستبعد عليه التعلق بهذه الخطبة اللهم الا الفترة الاخيرة فربما كانت مدسوسة عليه ومن أجلها شكك السيوطي في صحة الخطبة والا فان قساوة الطبع التي عرف بها عبد الملك لا يحتاج اثباتها الى كثير ايمان فان قطعه باقساوة كسبه خلق الثابت والجلد حتى ما يربأ بالمصائب اذا توالى عليه

ففي رواية لابن صاكر عن ابراهيم بن عدي قال : رأيت عبد الملك بن مروان وقد أتمته امور اربعة في ليلة فامتكر ولا تغير : قتل عبيد الله بن زياد ، وقتل حبيش بن دجلة بالحجاز ، وانقراض ما كان بينه وبين ملك الروم ، وخروج عمرو بن سعيد الى دمشق ، يعني مشاقا

ولكي ينبج ابنه الوليد في الشدة منهجة ولا تأخذه هودة في امر ملك او انطلاقة اوصاه قبل وفاته بوصية قال فيها :

« يا وليد اتق الله فيمن أخفك فيه - الى أن قال - وانظر الحجاج فاكرمه فانه هو الذي وطأ لكم المنابر وهو سيفك يا وليد ويدك على من نأواك فلا تسمعن فيه قول احد وانت اليه اخرج منه اليك ، وادع الناس اذا امت الى البيعة فن قال برأسه هكذا قل بسيفك هكذا »

على أن الوليد مع استمائه انتهى اليقظة في ولايته لم يسلك في الشدة مسلك ابيه بل عدل عنها الى الفتح والاحسان الى الناس وشغل المسلمين بالفتوح والعمران فشيده المصانع والمستشفيات والمساجد الكبيرة كسجد دمشق والمسجد الاقصي وكتب الى البلاد باصلاح الطرق وجعل لكل اعمى قائدا ولكل زمن خادما وأقام الفنادق فيما بين البلدان تسهيلا على ابناء السبيل وامر بحفر الآبار في الحجاز الى غير ذلك من الاعمال النافعة

و بالجملة قد كان عمرانيا محبا لرفي البلاد حتي كان الناس على عهد لا يتكلمون

بغير السمران ووجهه هه الى اتقاء المال فولى خالد بن عبد الله القسري مكتوعمر
بن عبد العزيز المدينة ومومي بن نصير بلاد المغرب ففتح الاندلس كما هو معروف
وكرر الفتح في زنه ففتح قتيبة بن مسلم ما وراء النهر الى بخارى وسمرقند أي
التركستان ، ونجاوزها الى بلاد التبت ففتح عاصمتها كاشغر ، واول مسلمة بن
عبد الملك من جة ارمينيا في جبال القفقاس

وهكذا انتهت مدة خلافة الوليد على احسن حال رآها الامويون اذ استنحل
ملكهم وعلا شأنهم وشأن دولتهم واحبهم العرب حتى اذا ولي الخليفة سليمان بن
عبد الملك اراد قتيبة بن مسلم ان يطلع طاعته لاسباب لا محل لذكرها فلم يوافق
على ذلك جند خراسان ووقع بينه وبينهم خصام افضي الى قتله فخرست الدولة
فانحما من اكبر الفاتحين في الاسلام وسار سليمان في الناس سيرة حسنة أيضا لم يجعل
لنفاقين من دولته سيلا ليليا ونخم أعماله بأحسن عمل له وهو عهد بالخلافة الى عمر
بن عبد العزيز وكلهم يعرف من هو عمر بن عبد العزيز

الا ان سليمان غرس يده غرس الدولة العباسية وقد سبقني الاستاذ الخضرى
فذكر لكم في خطبته الماضية كيفية تسميم أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
الذي كان الشيعة يدعون اليه وعهد بالامر بعده الى محمد بن علي بن عبد الله بن
عباس فلا لزوم للاعادة هنا

كان الامويون شديدي الحذر من آل علي كما ذكرنا وكان هؤلاء بعد نكبتهم
في خلافة يزيد قليلي الجراة على الظهور لشدة العدالة عليهم ومراقتهم لحركاتهم وسكناتهم
ولان الخلفاء من بني امية كانوا مع شدة حذرهم منهم يراعون مكانتهم ويحسنون
اليهم فلم ينزع أحد منهم الى الخروج عليهم لضعفهم الا زيد بن علي قد خرج في
خلافة هشام فقتل في الكوفة وقتل ابنه يحيى في خراسان أما تسميم أبي هاشم فقد
كان بأمر سليمان بن عبد الملك لانه خاف جانبه لما رأى فيه من النجاسة والذكا
وربما كان هناك سبب آخر لضعف آل علي من بني فاطمة وهو أن الذين
بقوا منهم احياء بعد نكبتهم في كربلاء كانوا اطفالا لا يصلحون لقيادة الناس فالتفت
الشيعة حول محمد بن علي المعروف بابن الحنفية من غير ولد فاطمة وهكذا ساقوا

الامامة في يده من بعده كما ساقها غيرهم الى بني قاطمة ايضا واتقلت من ثم الى أبي هاشم الى بني العباس

لاجرم أن سليمان بن عبد الملك جنى على دولته بقتل أبي هاشم لان آل علي كانوا لشدة ما عانوا من المراقبة والاضطهاد شديدي الحذر بطيئي الخبط في الثوب على الخلافة الاموية والظهور لمنازعة الامويين عليها فتلقى العهد بها آل العباس وهم يمدون عن سوء الظن والمراقبة لم يمانوا مشاق الدعوة ولم يذوقوا طعم الاضطهاد فيخافوا الوقوع فيه . ولذا مالبث ان عهد الى محمد بن علي بالامر حتى نهضوا باعباء الدعوة بجمرة عظيمة وكان لابراهيم بعد موت اخيه محمد ما كان مع أبي مسلم بن قيس امر الزعامة اليه وقيام هذا يث الدعوة احسن قيام حتى استنحل امرها وظهرت على خصوصها

أحس الامويون بهذا الخطر السريع فبادروا ابراهيم الامام بالقتل فبهض ابو العباس السطاح بعد قتل اخيه ابراهيم وعاجل الامويين بالوثوب عليهم قبل أن يدب الفشل في اهله وشيعته منتها فرصة وقوم الشقاق بين الاخوة وابناء الاعمام من آل مروان وتلفي المملكة الاموية بنار الفتن وظفر بما أراد وقضى على دولة الامويين في المشرق فذهبت كأن لم تكن بالامس

على ان ظفر العباسيين على هذا الوجه وبهذه السرعة له بواعث واسباب اخرى كاختلال نظام الدولة وغيره أرى أن ألم بها على قدر ما يمكن من الاختصار نعلمون أن الدولة تموت برجل وتحيا بآخر وان الرجال في الدول قليل والدولة الاموية لما قدت رجالها قدت جانباً عظيماً من قوتها وأعني بأولئك الرجال الرجال المخلصين الذين يخدمون الدولة بمتى الصداقة بقطع النظر عما ينسب الى افراد منهم من القسوة قبيحهم ومنهم من اجل ذلك بالظلم اذ الرجال يصطبغون بصبغة الدولة ويتشككون بشكلها والدولة الاموية لما كانت دولة مطلقة لزم أن يسير عاملها على سننها

من رجال الدولة الاموية المخلصين : موسى بن نصير ، والحجاج بن يوسف ، خالد بن عبد الله القسري ، يزيد بن المهلب ، وقيس بن مسلم واضراهم ، ومن

خطأ الخلفاء الامويين انهم لم ينصفوا امثال هؤلاء الرجال قاهرجوا من اخرجوه منهم حتى اخرجوه قتلوه كخالد بن عداقة وقيية بن مسلم ويزيد بن المهلب الذين ذهبوا ضحايا سوء الظن او سوء التغام ، وموسى بن نصير الذي زج به في السجن في نظير فتحه الاندلس ومات اقبح ميتة فقدت الدولة بقدر هؤلاء الرجال وامثالهم جانباً لا يقدر من قوتها واخذت تنحط من ثم هيتها أما الحجاج فوته في الحقيقة مبدأ افول نجم الدولة لانه كان يدها التي بها تضرب وعينها التي بها تبصر فانه بعد ان اخذ لم فتنة ابن الزبير كان والياً على الكوفة واليه ولاية خراسان وكلا المكانين عس الفتنة ومنبع الدعوة الامامية ومع هذا قد ضبطت البلاد وارعب يعلته المتنازعين للدولة والتنازعين الى الشغب . واحسن في انتقاء المهمل والقواد قامتد ملك الامويين على عهده الى كابل من بلاد الافغان شرقا والتركستان الصينية شمالا ولوجد بعد من يخلص من الولاة للدولة اخلاصه ويكون في مثل حزم وموعظه لطال عمر الدولة الاموية بلا ريب

ولعل نوايغ الرجال يكثرون في مبدأ نشوء الدولة وإن كانت هذه النظرية تحتاج الى تمحيص

ومما ساعد أيضا على اختلال نظام الدولة الاموية تباعد اطراف المملكة بما صار اليهم من الفتح الى عهد هشام بن عبد الملك اذ اتسعت دائرة ملكهم الى ما لم تبلغه قبلهم غير دولة الرومان

فاين التهرين المعروف بالجزيرة ويران وقسم من الافغان والتركستان والتبت والقوقاس وارمنيا وشبه جزيرة العرب وسورية ومصر والمغرب والاندلس كل هذه الممالك دخلت في حوزتهم واصبحت خاضعة لسلطانهم . وضبط مثل هذا الملك المترامي الاطراف مع صعوبة المسالك والمواصلات لذلك العهد متعرجا ولا سبيل على أمة حديثة عهد في سياسة الامم . ولذا قد كانت تكون الفتنة في طرف من اطراف المملكة بين الجنود والامراء المتنازعين على الولاية وتنتهي بقتل والٍ وقيام غيره وربما انتهت بغلبة المشاغب أو التنازع وضم البلاد الى حوزته واستقلاله

بالولاية عليها دونه وفصلها عن جسم الدولة والخليفة لا يعلم ذلك أولا تصل قدرته الى اتحاد نار الفتنة في تلك البلاد الثانية

مثاله ما وقع في المغرب في خلافة الوليد بن يزيد سنة سبع وعشرين ومئة اذ تنازع عبد الرحمن بن حبيب من ولد عقبة بن نافع الفهري فقام إفريقية مع حنظلة بن صفوان والي إفريقية فكانت النبل للاول واستأثر بالسلطة على البلاد وبقيت إفريقية مستقلة عن الخلافة الاموية حتى قيام الدولة العباسية

ومثل هذا وقع في الاندلس وفي بعض الاطراف السحيقة ولا يخفى ما في هذا من الوهن والخطر على المملكة

ثم ان من الامور الثابتة في الاجتماع ان الدول الحربية الفاتحة لاتزال في أفق مجدها مادامت على الخشونة وما دام الراعي والرعية منرفعين عن الانقياس في الترف والاستغراق في ملاذ الحضارة قد عرفنا هذا في كثير من الدول البائدة كدولة اليونان وخلفاء دارا والا سكندر (أي البطالسة) والرومان حتى لقد قال مونتسكيو في تاريخه اسباب صعود الرومان وهبوطهم : « ان دخول الرومانيين الى الشام كان مبدأ ضعفهم بسبب ما كان متسلطا على أهلها وملوكها من الرخاوة والترف »

والدولة الاموية انما هلكت في نفس تلك البيئة التي هلك بها الرومان من قبل ، وبعد أن حافظت على خشونتها الاولى الى خلافة هشام بدأت في خلافة الوليد بن يزيد المعروف بالتهتك تنحط عن خشونتها التي عرفت بها واخذ الخلفاء من ثم يميلون الى الترف والراحة والاستغراق في الملاذ تبعاً لاحوال البيئة التي نشأوا فيها وهذا بالضرورة كان من الاسباب التي جعلت على دولتهم يضاف اليه اقسام العرب في خراسان التي هي منبع الدعوة العلوية والعباسية الى مصرية وبماية وتنازع رؤسائهم على الولاية في ابان استضعاف الدعوة

مثاله ما وقع بين الحارث بن سريج والكرماتي وبين هذا وقصبة وبينها وبين نصر بن سيار حتى ملئت نفوس العرب هذه الحال وسشت مماسة الحرب ووأوا أنفسهم تباع ضحايا قحطان وعدنان ونزهق في سبيل المتنازعين على الخلافة من قرشي حتى قتل قائلهم :

تولت قريش لذة العيش واتت بنا كل فج من خراسان أغبرا
فلبت قريشا أصبحوا ذات ليلة يسومون في لج من البحر اخضرأ
لاجرم أن الذي بث روح الشقاق بين العرب في خراسان انغام أهل الدعوة
الهاشمية من علويين وهاشميين والذي أجمع قصد أبي مسلم في نشر الدعوة العباسية
وقلب الدعوة الاموية تواطؤ سكان البلاد الاصليين على قهر الامويين وفل عضيئهم
العرية وقد عرف ابراهيم الامام متازع الفرس وعلم ان دولته تقوم بغير العرب من
التأقين منهم وان العرب شديدو العصبية للامويين لاصطبائهم بالعصبية العربية الخالصة
فكتب فيما كتب الى أبي مسلم أن لا يبقى في خراسان ان استطاع فجل رجل الدعوة
يضيرون العرب بعضهم بعض لان قسبا كبيرا منهم ممن قم من الامويين كما قدم
في صدر الكلام قبل الدعوة وصار من التأقين بالعالمين على تشييد دعائمها سبداً واعتقادا
هكذا أتمر الفرس الدين الذي غرسه قبل ذلك قرن ابن سبأ واضرا به من
الموالي التأقين من الدولة السائدة واستحال على العرب في المشرق استبقاء السلطة
خالصة لهم من دون الام الاخرى الحكومة منهم وقد جرت سنتا لوجود هذا المجرى
في كثير من الام من قبل

قال موهبيكو: اقتضت الحكمة الالهية أن يكون للمالك حدود طبيعة تمسك
بأعنة الملوك عن تجاوز هذه الحدود وتعدى بعضهم على بعض ولا تجاوز هذه الحدود
الرومانيون أهلهم البرث أي قدماء الفرس وبددوا شملهم ولا تجاوزها البرث
أنفسهم اضطروا لاول أمرهم للرجوع الى أراضيهم

وأقول إن العرب أصيبوا بما أصيب به الرومان والبرث وطبائع الاجتماع تذر
أولئك الاقوام على ما فعلوه مع العرب وحسب العرب أن نشروا بينهم دين الاسلام
فلا مؤاخنة ولا ملام ولا سبأ أن الاسلام يرمي بطبيعته الى محو الحدود والسياسة
الجنسية بين الشعوب كما ترمي الى مثل هذا مبادي جماعات السوسيلست أو
الاشتراكيين أو الاجتماعيين لهذا الهد

ورب قائل يقول ان هذا الاقلاب أي انقلاب الدولة الاموية الى عباسية

لم تكن نتيجته كلها كما يريد أولئك الاقوام المغلوبون للعرب إذ دولة الامويين عربية قرشية ودولة العباسيين كذلك

الجواب عن هذا يأتي من وجهين : الوجه الاول ان أم المشرق لذلك العهد قلما كانت تقدر قيمة الحرية الكاملة لفنائها في وجود زعما- الاجتماع الشرقي أو كما قال مونتسكيو «ان أم آسيا لم يكن ملهم الى الحرية كبل أم أوروبا اليوم - أي لهدمهم ليحلهم على الخروج من الاسر والاستعباد وانما كان ملهم الى تغيير الملك ولاصبر لهم على بقائه طويلا»

وسواء صحت هذه النظرية أو لم تصح فانه يجوز لنا تطبيقها على الام التي دخلت تحت حكم العرب لذلك العهد باعتبار ان الاسلام جمع بينهم جميعا فلا فرق عندنا القوم وغيرهم أن يكون الخليفة أو الملك عربيا أو غير عربي مادام الملك آتلا الى غير الدولة التي هموا منها وما دام مصير أكبر السلطة اليهم بعد فل حنا العصبية العربية التي كانت قائمة في دولة الامويين منسلطة قوتها على كل شيء

وقد كان ما أرادوه بقيام الدولة العباسية التي لم يكن لها من العربية الا الاسم وهي مصطبغة بالصبغة الاعجمية مشبكة مع العناصر الاخرى بالنسب والصهر مشاركة لهم بمصالح الدولة كما تطلون

هذا الوجه الاول ، أما الوجه الثاني فانتظار النتيجة الطبيعية لمثل هذا الانقلاب ولو في المستقبل البعيد وتلك النتيجة هي أن اصطبغ الدولة أو الامة السائدة بصبغة اهل البلاد يحياها مع الزمن الى عنصر هذه الصبغة والعكس بالعكس اذ من الشعوب من اصطبغوا بصبغة العرب بعد الفتح فاندجوا فيهم ومن الشعوب من اصطبغ العرب بصبتهم فاندمج هؤلاء فيهم وهذا ما وقع لسكان آسيا الوسطى بعد قيام الدولة العباسية ثم سقوطها وقيام غيرها من الحكومات الوطنية على اقاضها وهكذا رأينا دولة الفرس وغيرها من الدول الاسلامية دينا المختلفة جنسا قد عادت الى اصلها وهي قائمة الى الآن وستبقى قائمة عزيزة الجانب منبة الجانب الى الابد ان شاء الله

وهكذا ترى الخلافة الاسلامية التي سالت من اجلها أو باسمها تلك الدماء الفريزة صارت الى غير العرب اليوم وفي دولة هي اعز دول الاسلام مكانا واجودها

بحفظ يضة الخلافة ولم يمنع الدين أن تكون اليها الخلافة كما لم يمنع أن تكون فيمن
يقم عليه اختيار الامة ورضاها في عهد الصحابة الكرام ولو من غير بني هاشم
والتاريخ يمد نفسه

هذا ما أمكتني ابراده من اسباب انحطاط الدولة الاموية ثم اقراضها تلوثه
عليكم ايها السادة بوجه الاختصار لان الاستقصاء والتتبع وبسط كل الاسباب
والتنازع لا تقوم به خطبة لانه تاريخ دولة با كلها

أما ما يقوله بعض المؤرخين من ظلم الدولة الاموية ويزي اليه دمارها فبالغ
فيه وما كان منه صحيحا فهو في نظري ثانوي بالنسبة للاسباب التي ذكرتها وتكاد
تكون نتائجها طبيعية وليس من دولة في الارض قائمة بالعدل المحض حتى الدول
المقيدة ناهيك بالملقة

ومن قال إن دولة الامويين كانت ظالمة وان ظلها هو الذي جر عليها الدمار
فجاهل باحوال الاجتماع او تنصب لدولة اخرى ولوطولب بالدليل على أن الدول
التي قامت دولة الامويين على اقاضها كالفرس والروم والقوط وغيرهم كانت اعدل
منها لما استطاع اليه سبيلا

والحقيقة ان الخلفاء الامويين كانوا اشداء على خصومهم دون سائر الناس
وكانوا في منزلة من العناية بالرعية والاهتمام بالعدل بين الناس فوق منزلة كثير من
الحكومات المطلقة وحسبك ان اشداهم قسوة وهو عبد الملك بن مروان استهل
وصيته لابنه الوليد حين الاحتضار بقوله : يا وليد اتق الله فيمن اخلفك فيهم !
والشواهد على مثل هذا كثيرة لا يسعها المقام وحسب تلك الدولة فضلا فتوحها
العظيمة التي سودت دين العرب ولسانهم على احسن اجزاء الممدود الى اليوم وتلك
الايام نداولها بين الناس

و بعد فاني لست في مقام الجرح او التعديل وانما انا باحث في التاريخ اقول
ما تبادر الى فهمي وما بلغ اليه علي من غير أن اقصد التحيز الى فئة دون اخرى او
شخص دون آخر وكل ما بسطته لديكم لم ارد به غير الوجهة التاريخية فارجوكم الصفح
عما اذا كن زل لساني بخطأ سمعتموه. ذ الانسان محل الخطأ والنسيان والسلام عليكم

المطبوعات الجديدة

كانت كثرة مواد أجزاء المار في هذا العام تحول دون ذكر المطبوعات التي أهديت إليه ، وإن سنة المار في هذا الشأن عسى لا تتفق مع سنة الصحف الأخرى فالمار لا يبدي رأيه في المطبوعات إلا بعد تلاوتها وإذا لم يسن له ذلك أشار إلى موضوعاتها بالجملة

ونحن اتبعنا لهذه السنة وجريا على هذا السنن نذكر الكتب المهداة بالاختصار ، والرجاء أننا نوفق قراءتنا ما يستحق العناية والاعتبار ، فنكتب عنه في العام آتيا بل المار

﴿ الكتب ﴾

بلغة العرب

يكاد يكون هذا الكتاب جديدا في موضوعه فقد عهد محمد كامل افندي حجاج من موظفي المحكمة المختلطة بمصر الى اختيار قطع ونقرات من أحسن كلام مشهوري رجال القلم في فرنسا كهوجو (Hugo) ولامارتين (Lamartine) وراسين (Racine) وأضرابهم وترجمها بالربية ترجمة ممتازة بالاسلوب البليغ مع المحافظة على الأصل جهدا لائقا فجاء ذلك كتابا شعريا في مثنى صفحة مطبوعا طبعا متقنا على ورق جيد وهو يطلب من مؤلفه ومن المكتبات المشهورة في مصر

تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين

هذا الكتاب فريد في بابه ، فريد في طبعه والعناية به ، جميل بصوره ورسومه جمع فيه مؤلفه شكري افندي صادق ناموس نادي الفنون الجميلة المصرية ما وعاه التاريخ قداماء المصريين من العناية بالقش والحفر والموسيقى واثبت فيه رسوم كثير من الآثار التي لم تقو عوادي الايام على محوها ، فجدير بشاق الفنون الجميلة اقتناء هذا الكتاب ، والتوفر على مطالعته . وهو يباع بمكتبة المعارف بالفتحة وثمانه ١٥ قرشا

روح الاجتماع

مؤلفه الدكتور جوستاف لويون من مشهورى علماء فرنسا ، وقد جنى ثمرته
الحرية احمد قننى باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية المشهور بألفاته الثمينة ، وحسن
اختياره لترجمة الكتب المفيدة ، وهذا الكتاب يعد منها ، ومثل هذا الكتاب جدير
بأن يفرد له فصل خاص وهذا ما ستقوم به في احد اجزاء السلسلة القابلة للتطور
ومارأيت فيما رأيت من المطبوعات العربية كتابا أقمن منه طبعا أو أجود ذوقا
فكان بذلك طابعه خليل بك صادق صاحب مسامرات الشعب خليقا بالشكر
والتناء . وياع بمكتبة الشعب وإدارة المثار وثمته عشرون قرشا واجرة البريد قرشان

علم العقيد

كتاب في علم الصرف يقع في ثلث ومئتي صفحة مطبوع طبعا نظيفا مضبوط
كله بالشكل وهو تأليف صديقنا جبر أفندي ضومط وبولس أفندي الخولي من
أساتذة كلية الامريكان في بيروت المشهورين بخدمة لغة العربية
والاول منهما معروف عند قراء المثار بما ذكر له فيه من التأليفات المفيدة وقد
تصفحتنا صفحات من هذا الكتاب فوجدناه من أحكم كتب هذا الفن وضعا وأجما
مادة وأسهلها أسلوبا ، وتتمنى أن يتاح لنا قراءته فنكتب فيه كلمة قد كاد رغب اليها
مؤلفاه الفاضلان

كتاب الفوائد

هذا الكتاب « المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » من تأليفات الامام ابن
قيم الجوزية وكفى بذلك ترفيفا بمكانة الكتاب ودلالة على فضله وقد طبعه محمد
أفندي الخالجي الكتبي وهو يطلب منه بشارع الخالجي بمصر

الاسماط الطبية

كتاب يقع في ٢٧٠ صفحة بالقطع الصغير ، يصف فيه مؤلفه الادوية اللازمة
للادواء الطارئة بأسلوب سهل ، ورسوم كثيرة تعين على الفهم ، وقد استهل بكلام
في وظائف الاعضاء (physiologie) والشمسج وهو من خبرة الكتب في هذا

الموضوع بل انه لا نظيره في بابہ ، وهذا النوع من الكتب من الضروريات لكل منزل فثنى على مؤلفه الدكتور محمد بك رشدي رئيس حكام محافظة مصر أطيح التناء ، ونحث قراء المثار على اقتنائه

زهرة الصبا

مجموع مقالات وقصائد لعبد العزيز افندي صبري من شبان مصر الاذكياء اكثرها في الوصف وبيان بعض وظائف الاعضاء وما يفتابها من الاعراض ، والالام بذكر اسباب ذلك ، وصفحات الكتاب ٢٢١ بالقلم الصغير وهو يباع بخمسة قروش في سائر المكتبات

اتر حسن

هو مجموع تأيين وراث في الدكتور سليمان الخوري الحمصي المتوفى من بضعة سنين مع ترجمة حفيظة له واثبات شهادات رجال الطب والحكومة بمحدثه ومكاته من الاطباء لجامعه رزق الله افندي نعمة الله عبود أحد اساتذة المدرسة الارثوذكسية بمصر وهذا العمل من أسطع دلائل البر وأحسن الوسائل لتخليد الذكر

• • •

﴿ الدواوين الشعرية والقصاص والرسائل ﴾

خمة دواوين العرب

عنيت المكتبة الاهلية في بيروت بطبع المأثور من شعر النابتة الديقاني وعروة ابن الورد والفردق وحاتم الطائي وعقمة الفحل وجمعت شعرهم في كتاب واحد سبت خمة دواوين العرب

وكل واحد من هؤلاء غني بشهرته عن الترفيض ، ولا سبيل أن طفت كتب الادب - منذ اشتمل مؤلفوا العرب بوضعها - بذكرهم ، وتخليد مقدرتهم في شعرهم ، ومنهم مثل النابتة الذي فضل شعره كثير من أمة الادب على كل شعر قيل ، في كل زمن وجيل ، وهو زعيم سوق عكاظ الذي كان يجلس فيه من الشعراء مجلس الرئيس المقدم والعلامة المحكم ، ومنهم مثل الفردق وهو من فحول الشعراء الاسلاميين الذي قيل فيه « لا شعره لذهب ثلث لغة العرب »

وديوان النافذة أثبت في طبعه شرح البطلوسي المشهور فزاد ذلك في حسنة وكذلك ديوان عروة قد طبع بشرح ابن السكيت وكلا الشارحين من أئمة الادب وياع الكتاب بثمانية قروش صحيحة بإدارة المئارج وبالمكتبة الاهلية في بيروت وأجرة البريد قرش ونصف ونحن كل ديوان على حدة قرشان الا ديوان الفردق والنافذة ثمن كل واحد منهما ثلاثة

بدائع الشعر في الحاسة والنشر

كتاب يقع في ٢٥٤ صفحة بالقلم الصغير بلامعه بشير افندي رمضان من مشهوري أدباء بيروت وهو مجموع القصائد التي وقع عليها اختياره مما قبل في الحاسة والنشر من الشراء الجاهليين والاسلاميين والمحدثين وقد علق عليه الشيخ عبد الرحمن سلام حواشي حل بها غريبه وأوضح مبهمه فجاء كتابا جديرا بالاقبال عليه من الادباء دالا على ذوق جامع في الشعر وحسن اختياره للحاسة والنشر والمزج يعرف باختياره كما يعرف بنظمه وتلوه كما قال الشاعر

قد عرفك باختيارك اذا كان دليل على العيب اختياره
وفته ثمانية قروش صحيحة ويطلب من جميع المكتبات المشهورة

متلابة الحبيب في النزل والنسب

هذا الكتاب هو صنو بدائع الشعر في حجه وعدد صفحاته وكون جامع فذلك هو جامع هذا الا ان هذا خاص بالنسب والنزل ، واذا كان ذلك متميزا بالبلافة والجزالة ، فان هذا متميز بالركة والسلاسة ، ومن دلائل الاقبال عليه انه صار مطبوعا خمس مرات وهو يباع بخمسة قروش بسائر المكتبات

ديوان عبد الرحمن شكري

طبع عبد الرحمن افندي شكري شعره في كتيب بلغت صفحاته الثمانين بالقلم الصغير وهو في اغراض مختلفة كثر ما في النزل والوصف وقد قال فيه حافظ افندي ابراهيم مرقعا :

شعرت بأن شعرك لا يجلو
هذبت الشهادة بأضرائها

كشف النية في مدح غير الامة

كان المرحوم محمود سامي باشا البارودي أمير الشعراء في هذا العصر غير متنازع
وأقدرهم على الثمن في مناحي الشعر غير مدافع، وقد كان الادباء ومازالوا أرسفين
لحرمانهم من ماثور منظومه وبدايم آياته، متمين ان يمثل ديوانه كطيم لهم بالفائدة
والنعم، وقد طبع له في هذا العام قصيدته المنيمة المشهورة « راجع (ص ٧٢٨٩)
من المثار » وهي تتضمن سيرة التي صلى الله عليه وآله وسلم أخذاهن سيرة ابن هشام
وانها لمن الشعر الذي لا يطاول بلاغة وجزالة، ولا يتحدى اسلوباً ومنحى، وقد غني
بتصحيحها وحل غريبها الشيخ ياقوت المرسى « كاتب يد التأمل في سنيه الاخيرة »
والقصيدة تطلب من ادارة الجريدة بمصر ومضاتها ٤٨

مقالات التديم

اتخب « ابن متصرف » بضع مقالات من مجلة « الاستاذ » التي كان يكتبها
فقد الصلحة المرحوم عبد الله التديم وطبعها في كتيب صغير والمقالات في أغراض
شقي سياسية واجتماعية ولا بد ان يقبل على هذه المقالات عشاق أدب التديم

كلمة حول الثوري

رسالة ضمت بضع مقالات وقصيدتين للدكتور أيوب ثابت كان نشرها في
جريدتي « الوطن » و « الثبات » الليروتيتين وقد جمعها منها صديقه نجيب افندي
شوشاني والدكتور صاحب هذه المقالات معروف بتحري التفرغ والافاضة فيا يكتب

برنامج جية الاعمال الخيرية الاسلامية في بيروت

أصدرت هذه الجمعية النافذة برنامجاً أودعته مقاصدها ونظامها وأعمالها و ذكر
رئيسها وأعضائها والمتبرعين لها، وقد بلغ مجموع فترات ما قامت به من الاعمال الخيرية
١٧٥٤٥ قرشا و ٣٥٥ بارة في تسعة أشهر، وهذا المبلغ اتفق على تطبيق المرضى ودفن
الموتى وإطعام المدينين وتسفير المتقطعين وغير ذلك من صنائع البر والخير فتشكر
لرئيسها صديقنا الشيخ محي الدين الخياط ولاعضائها الكرام تمحضهم لهذه الخدمة
العظيمة جزاهم الله افضل ما يجازي به الحسين

(الجرائد)

(لسان الشرق) — جريدة يومية أصدرها في مدينة حماء الشيخ احمد افندي الصابوني وهي من الجرائد الثلاث في سورية ، ولها عناية خاصة بالافاق الى تاريخ الشرق المجيد والحث على التربية والتعليم ، وقيمة اشتراكها أربعة دالات في حماء وليرة عثمانية في الخارج فتتمنى لها النجاح والفلاح (الاصلاح) — جريدة اسبوعية لمنشئها الشيخ كرامة يلدرم في سنغافورة ولم تصدر قبلها جريدة عربية هناك فيما نعلم ولذلك جعلها الادباء ميداناً تتسابق فيه قرائهم ولقد سرورنا سروراً عظيماً بصدر هذه الجريدة العربية في تلك الاصطاع فسي أن يكثر مشتركوها وبشي قاروها (الحرية) — جريدة اسبوعية أنشأها في بيروت صديقنا داود افندي بجاص ، وقد عدت أعدادها التي صدرت منها على انها حرية باسمها وما أقل الحريات بين الرصيفات ! ونحن نقول اننا عرفنا داود افندي حراً من صميم الاحرار في الزمن الذي كان كثير من احرار اليوم يتجسسون علينا أو يفرون منا ! فلا غرو اذا أقبل على الكتابة فيها الادباء وتهاقت على مطالعها القراء وقيمة اشتراكها ثمانية فرنكات في الخارج

حسين وصفي رضا

(جم الثفاس) — لم يتسم هذا الجزء لابداء رأينا في هذه الرسالة وموعداً < ج ١٣ م ١٣ >

تصحيح — (في (س ٢٣ ص ٧٤٠) كلمة < بالدخول فيهن > وهي زائدة يجب ترميها

(الفرق واخلاف بين المسلمين في سنغافورة)

الحمد لله ، الى حضرة أخى الصلاة السيد محمد وشيد رضا المحترم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قد قرأت بمنالكم الاغر في المدد الاخير المهرر آغر شصيل رسالة مصطنعة من شاوي بقول كاتبها في اثباتها انها نبئت في هذه السنين رجال يدعون الى الكتاب الى أن قال وقد غاظ أمرهم هذا أنما عاشوا بترويج الرابطة والتوجه وآخري جددوا على ما قاله بعض مصني المتأخرين كان حجر المسكي فاتهمذوهم أرباباً من دون الله الى آخره . فيا أيها السيد وشيد الى ما عرك بالحق والواقع ان ذلك الكلام لا وجود له مطلقاً بهذه الديار والناس في جعل لا يعرفون معنى التقليد ولا الاجتهاد وانما ظهر واحد جاهل مبتدع فجعل يتنوع بذكر الكتاب والستة كتباً وما ذلك الا ليطعن على المصلحين . اني لا أعرف أحداً بهذه الديار يعرف الشيخ ابن تيمية وأولئك الذين يدعون بفضل ابن تيمية هم اول من يرمون بقوله عرض الحائط فيما اذا لم يوافق هواهم واني شارع في جمع رسالة اعتمدت فيها على ما يقوله ابن تيمية مما هم مجاهرون بالقول لا يرضى ابن تيمية بها وهاتها الحك فان أذعنوا واعتزلوا وسلموا لاقوال ابن تيمية وحفظه وقوله عرفنا ان ضالهم المنشودة الحق والافانك ما يقولونه واستمع به . تأمل أيها الاخ أولئك الذين يدعون انهم يذبون عن ابن تيمية ونحن نتعرف بحلالة ابن تيمية والذي اعتقده انهم جعلوا ذنبهم عن ابن تيمية ذريعة للطن على من يذب عن معاوية وكل منهما جديراً بالذنب عنه ومعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه أولى بالذنب ان كانوا عبيداً للحق ونحن لا نرضى لهم أن يلبسوا على صاحب المنار فان السائل

(المجلد الثاني عشر)

(١٢٠)

(الملتحج ١٢)

أسير المسؤل ؟ » ليس هنا شيء مما يزعمونه الا لظن على معاوية وجواز لئنه وسبه بل كفره ولم يرضوا بالشيخ ابن حجر الا لاجل كتابيه تطهير الجنان والصواعق المحرقة . هذا هو الحق الذي تدعي الله به وترفعه الى صاحب المنار ليشتره على صفحات المنار اعلاء للحق وان لم يكن ما أقوله فليستلوا وليبينوا ماهي المسائل التي اتخذنا فيها ابن حجر رأياً سبحانه هذا جهتان عظيم وان لا يجوز التلاعب بالدين والتفريز بالمسلمين ليظمنوا على ابن حجر ولا ابن تيمية ولا غيرهم والكل ليسوا بمحمومين من الخطأ ولو عرف حقيقة منزى ذلك الكاتب أخونا السيد محمد رشيد لما أجابه مطلقاً وأنى له ان يعرف ذلك وما أنا أشرح باسمي أسئل ما أكتبه لمرقني يضاعني . حسن بن طوي بن شهاب

(المار) جاءنا من هذا الكاتب رسالة أخرى في هذا الموضوع أيضا أسهب

فيها بما لا يخرج عن معنى رسالته هذه فاختارنا المختصرة . وبما صرح به في الاخرى انه لا غرض لمن كتبوا لنا ما كتبوا الا الاحتجاج بقول المنار على عدم الاعتماد على كلام ابن حجر لاجل كتابيه الذين ذكرهما لا لأجل الانتصار للكاتب والسنة قال « وقد أطل صاحب المنار في الرد غنا بأن الحرب قائمة على قدم وساق في المباحث العلمية العملية النافعة المفيدة وأصاعوا عليه وقته وان كان كلامه لا يتخلو من فائدة » ثم قال « ان تطويله وتعميقه في محله ولكن أولئك يتخذونه حجة على لمن معاوية وسبه فقط فلا علم ولا بحث ولا خال ولا بكر الا معاوية فقط » وطلب ان يبينوا مسألة غلط فيها ابن حجر فخالف الكاتب أول السنة وقلدوه فيها . فظهر انه من الذين يعرضون فيهم وطلب منا فصل النزاع في ذلك . وذكر ان الذي قوى الخوض في هذه المسألة كتاب النصائح الكافية لمن يتولى معاوية الذي ألفه ونشره صديقه وصديقنا السيد محمد بن عقيل

أما ما كتبناه في منار شعبان فلا وجه فيه للاحتجاج على لمن معاوية وهو يعلم انهم كانوا استفتوا في لمن معاوية فمضت بالجواز ولم ترض تلك الفتوى السيد محمد بن عقيل وربما كانت من أسباب تأليفه لذلك الكتاب الذي لم يفرغ قراءته لكثرة الاعمال والاسفار ، ونحن من أولياء علي عليه السلام والرضوان ، لا من أولياء معاوية وفتته الباغية عليهم من الله ما يستحقون ، ولكننا لسنا بسبابين ولا لعنايين كما ورد في وصف المؤمنين وقد ذكرت في ترجمة الوالد رحمه الله تعالى من المجلد الثامن انه كان يقول « لانحب معاوية ولا نسبه » وكيف نحجب من بني علي جدنا وخرج عليه وكان سبياً في تلك الفتن التي كانت نكتة سوداء في تاريخ عصر النور وهو القرن الاول لنور الاسلام ،

(المثارج ١٢م ١٢) التفرق والخلاف بين المسلمين في ستغافورة ٩٥٥

وبه تحول شكل الحكومة الاسلامية عن القاعدة التي وضعها لها الله تعالى في كتابه بقوله في المؤمنين (٤٢: ٣٧ وأمرهم شورى بينهم) الى حكومة شخصية استبدادية جعلت مصالح الامة كالمال يرثه الاقرب فالاقرب الى الملك وان كرهت الامة كلها. فكان هذا أصل جميع مصائب الامة الاسلامية في دينها وديناها

وأما الذي انصح به الآن لاخواني المسلمين في ستغافورة وجاوة وحضرموت كما انصح به لسائر الناس: فهو ان لا يفرقوا ولا يتمادوا لاجل الاختلاف في هذه المسألة ولا في غيرها، وان يتأدب بعضهم مع بعض في الخطاب والكتاب، وان يعلموا ان التفرق والتعادي أشد ضررا في الدين والدنيا من الخطأ الذي يفرقون ويتعادون لاجله، وان المخلص في بحثه عن الحق ويأبى له لا يمادي اخوانه الذين لم يظهر لهم ما ظهر له بل يميزهم ويرفق بهم ولما يؤذي ويمادي صاحب الهوى، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكره التفرق والخلاف أشد من كراهته لسائر المعاصي حتى انه كان يريد ان يرشد أصحابه الى شيء فيتركه اذا رآهم تماروا واختلفوا كما فعل يوم خرج ليعين لهم ليلة القدر، ويوم أراخا أن يكتب لهم كتابا لا يضلون بعده، والحديثان في صحيح البخاري. واني لا خشى أن تزيد الرسالة التي يؤلفها أخونا السيد حسن بن شهاب هذا الخلاف والشقاق لان الغرض منها هو الانغام والالزام وقد ذكر السيد حسن في هامش رسالته السيد عثمان بن عقيل واثني عليه بالدين والتقوى وحسن النية على كونه من المقلدين. وهذا ما أشرنا اليه في جزء شعبان فانا شمننا رائحة الاخلاص ممارياتنا من رسالته فرجنا حسن الظن فيه على ما كتب الينا مرارا منذ سنين من الظن فيه بكونه آله في يد الحكومة أو حساما تقابل به المسلمين من طريق الاسلام نفسه ولذلك لم ننشر شيئا من تلك المطاعن الكثيرة، ولكن لا يجوز لنا السكوت عنه اذا هو قوم دعوة الاصلاح ونفر المسلمين من النار ومن كتب ابن تيمية على الإطلاق ولو كان بخطتنا أو بخطي. ابن تيمية في مسألة أو مسائل معينة بأن يطلع على المسألة في كلامنا أو كلامه وعلى دليلها ثم يقرع الدليل بالدليل لآخرا من قوله مطلقا فان رأينا صوابا ادعنا له وان رأينا خطأ بيننا ذلك بالدليل مع الادب والثناء

رحلة هذا العام الى القسطنطينية

(١)

رحلت في العام الماضي — وهو العام الاول للدستور — الى الديار السورية لصلة الرحم التي قطعها الاستبداد علي احدى عشرة سنة، ولاختبار حال البلاد، بعدما عانت به فيها حكومة الاستبداد، والوعظ والارشاد، والحث على الاتفاق والاتحاد، وبيان مزايا الدستور وفوائده، وما يجب على الامة من العمل للتقدم في عهده، وقد نشرت في المنار ملخص تلك الخطب والدروس فمرها قراؤه

ورحلت في هذا العام — وهو العام الثاني للدستور — الى القسطنطينية عاصمة الدولة لاسعى في أمرين عظيمين أحدهما وهو أجلبها خدمة للدين الاسلامي ولجميع المسلمين وثانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هي حكومة الدستور القائم على أساس العدل والمساواة ولنضري الامة العثمانية الكبارين

اما الاول فهو انشاء معهد ديني علمي في العاصمة للتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية واخلاقه الفاضلة وعبادته المطهرة للارواح من الفرائض والنوافل كالقيام والصيام وكثرة ذكر الله عز وجل — والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامي الذي يكون وسيلة لسعادة الدنيا والآخرة كالتفسير والحديث والتوحيد وحكمة التشريع والاخلاق والسيرة النبوية الشريفة وتاريخ الاسلام وأصول الفقه وفروعه ووسائل ذلك من اللغة وفنونها وكالفنون الرياضية والطبيعية والصحية والاقتصادية التي هي وسائل عمران الدنيا وتقوية الملة والدولة

من منافع المهد الاسلامي تميز دولة الخلافة وتأييدها بجمل عاصمتها يذبوعا للاسلام وكهية معنوية لطلاب علومه وآدابه — ومنها تخرج العلماء الذين يقدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذي كان يدافع به الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) مثل (رنان) و(هانوتو) وما أشد الحاجة الى مثل هذا الدفاع في عهد الحرية

والدستور - ومنها تخرج الدعاة إلى الخير والمرشدين للإمامة الذين يقومون بما فرضه الله تعالى على المسلمين من الدعوة والإرشاد وحرمة عليهم من التفرق في مثل قوله عز وجل (۳: ۱۰۴) ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ۱۰۵ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليقين وأولئك لهم عذاب عظيم) وأقرب فوائد المرشدين أو سلمهم إلى البلا داتى فشا فيها الجمل وكثرت المشاغب (كاللبن والعراق والأناضول) للوعظ والإرشاد الذي ينفر عن الشرور والفتن ، والفواحش ماظهر منها وما بطن ، ويرغب في البر والتعاون بين جميع أهل الوطن ، والاختلاص للدولة العلية في السر والعلن ، وتعليم أحكام الدين بأسلوب يكون في متعته السهولة ، مع مبادئ حفظ الصحة والثروة ، فهو لاء الوعاظ الذين يمكن تخرج طائفة منهم في مدة أربع سنين أو خمس سنين هم الذين يظهر ون البلاد بتأثير الدين من الثورات والفتاقل ، ويؤثفون بين جميع الطوائف والعناصر ، ويفعلون بالتصرف في القلوب والسرائر ، ما يعجز عن بعضه من لاثاثير لهم الا في الظواهر ، كأصحاب الجرائد والحكام والمساکر ،

ليس الغرض الذي أسعى إليه أن تكون الحكومة العثمانية هي التي تنشئ هذا العهد الاسلامي فإن الحكومات تعجز عن مثل هذه الاعمال ، وان كانت قادرة على بذل المال واستخدام الرجال ، لان الحكم رسميون فأعمالهم كلها رسوم لا يمس شي منها سواد القلوب - ولان ما تقوم به الحكومة تدخل فيه السياسة والسياسة ما دخلت في شيء ، الا فسدته كذا قل الاستاذ الامام وانما الغرض ان تقوم بهذا العمل جمعية من محبي الإصلاح العلماء الصالحين وان تساعد الحكومة بما يمكن من الاوقاف الخيرية وبغير ذلك كاستئنا طلاب العلم من الخدمة العسكرية واتخاذ الرعاظ منهم بالمرتبات الشهرية عرصت هذا المشروع على رئيس حكومتنا الصدر الاعظم حسين حلي باشا وعلى بعض أعضاء برلانه وعلى حضرة الكبار والعلماء هنا ومنهم محمود شوكت باشا وعلى بعض أعضاء مجلس الامامة همومي من الاعيان والمبعوثين وعلى أشهر رجال جمعية الاتحاد والتجدي فكتبوا اظهروا لنا اننا يجب بهو الاعتراف بهواشدهم مناعة وشدة احسانه وقال بعضهم اننا فدا من مثله من قبل وكذلك قالوا في ذلك فمعه

وسورية وقد وعدت بالمساعدة الممكنة من كثيرين وسأين ذلك في وقته ان شاء الله تعالى
وأما الامر الثاني الذي سميت اليه فهو ازالة ما وقع أخيرا من سوء التفاهم بين
عنصري الدولة الاكبرين - العرب والترك - وقد شرحت هذا في مقال مطول
مؤلف من ست نبد أو فصول نشرت في جريدة (إقدام) مترجمة بالتركية فصادت
استحسانا عند فضلاء الترك. وسيراه قراء المنار مجموعا في الجزئين الاخيرين - ١١ و ١٢
المشهور عندنا عن سياسة الترك انهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة
عربية أو خلافة عربية في جزيرتهم وان هذا الخوف قديم فيهم ولكن أليس قد مرت
القرون ولم تظهر من زعمائهم الدعوة الى ذلك حتى في الازمنة الاخيرة التي كاد الياأس
من الدولة يستولى فيها عليهم؟ بلى! فأني حجة لهم على استمرار هذا الخوف والحذر وبناء
الاعمال عليه وكثرة الكلام فيه؟

يقول بعضهم ان هذا غير ممكن ولذلك لم يتشبثوا به ولم يحاولوا تنفيذه ونزد عليهم
بأن العرب اذا كانوا يعلمون ان هذا غير ممكن فكيف يريدونه والارادة لا تتعلق
بالحال كما هو معلوم واذا كانوا لا يعلمونه فلماذا لم يسعوا اليه سعيه ؟
هذه وساوس وأوهام يجب أن لا تذكر ولا يبنى عليها قول ولا عمل في هذا
العصر لتلا بصير الوهم حقيقة! وان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معي
على وجوب تدارك ما قوي الآن من سوء التفاهم ولما جثت الاساتنة رأيت كثيرا
من عقلاء الترك يميلون الى هذا ولكن العقلاء من الفريقين يرتابون في سياسة بعض
الزعماء في العاصمة!

بلغ من سوء ظن بعض ساسة الترك بالعرب ما أشرنا الى بعضه في المقالات
التي نشرناها هنا مترجمة بالتركية واسمها مسألة الشام. وهناك أمور كثيرة لم نكتب
فيها شيئا كاهتمام الكثيرين بمحج الحديدو، وبما يتعجب المصريون من ادخاله في باب
السياسة كحضور عزت المابددعوة الشيخ علي بوف اليوم الاربعين لانتها الجديدة.
وبلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لي اكثر من واحد من أذكيائهم وأهل الرأي
فيهم بمصر والاساتنة ان وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقي لا يقدرون
منه عليك الاصلاحين حق قدرهما ولا يعرفون الا قيمة الخلافة العثمانية.

فيها لانك عربي ٠٠٠ فلما رأيت من عناية بعض الوزراء ولا سيما رئيسهم الصدر الاعظم وعناية كبار رجال الجمعية ما رأيت وسمعت من الوعود المؤكدة منهم ما سمعت ذكرت ذلك لبعض الظالمين ظن السوء فقالوا ان الاعمال بالخطواتم وسترى هل أنت المخطئ أم نحن المصيبون ، وإني لارجو أن تطيش هذه الاوهام بما أنتظر من محاسن الاعمال ، وعلى الله الاتكال في تصديق الآمال

صاحب جريدة وطن الهندية وتفسير القرآن

جری ذکر صاحبنا (مولوي محمد إنشاء الله) صاحب جريدة (وطن) الهندية في بعض المجالس فرأيت القوم يسيتون به الظن فذكرت لهم ما أعرف من فضله وغيرته على الاسلام ودولته وأهله ، حتى اتني ذكرت للصدر الاعظم ولبعض الكبراء وأصحاب الجرائد انه لم يدفمه الى جمع تلك الاموال الكثيرة للسكة الحجازية إلا غيرته وان من دلائل غيرته الدينية انه كتب الى قبل الدستور كتابا قال فيه ان هذا التفسير الذي تنشرونه في المنار عوافع ما كتب المسلمين وانه لاشيء يرشدهم الى ما يحبيهم مثله فأقترح عليكم أن تتركوا كل عمل ونصر فواهتمكم الى انامه وانا أرتب على نفسي مساعدة مائة أقدمها نكم في كل شهر لي أن يتم التفسير. هذا معنى ما كتبه فأجبتني بأنني لا أقبل على خدمة الدين مالا من أحد وإني أجتهد في إتمام التفسير ما استطعت . فكتب إلي ثانيا يشكر لي ذلك ويطلب الاشتراك بتمه نسخة من كل جزء يصدر من التفسير يجلد ويوزع على المساجد في البلاد العربية لاجل أن يرشد الخطباء والمدرسون الامة به ، ويطلب أيضا أن يرسل اليه عدة نسخ من كل جزء لاجل أن ينشرها في الهند وبيها لنا . وقد أرسل عدة حوالات مالية من ثمن النسخ التي اشترك فيها

ذكرت هذا للصدر الاعظم ولغيره فاشجعوا بفضل الرجل وغيرته وترجع مدد . وبعد فبقي في انعامه في شهر الثوب الثماني وسبتمبره الأيام أكثر من ذلك . ثم قدم لي كلام صاحب حكومتهم في استورية لهالة العلية مع عثمان علي . ثم بقي في انعامه بخلافه لا سيما على ما ترويه المذاهب الاسامي

Bibliotheca Alexandrina



0551736